SÜLEYMAN[İY]E [..] KÜTÜPHANESİ
Kısmı . Tekkeler-Murad
Yeni
Eski 41
Tasnif N. 1
Mikrofilm Arşiv No- 3875

كراريس
واحد وعشرون

قطف الأزهار في كشف الأسرار

مبارك باد
٤٩
مما استنسخه العبد ... وتعا...
هذا المجلد الى اواخر سورة
البراءة تمام

هذا كتاب قطف الازهار

في كشف الاسرار تاليف الشيخ الامام المجتهد
الحافظ العالم العلامة مجتهد العصر ابي الفضل
جلال الدين عبد الرحمن الشافعي السيوطي
تغمده الله برحمته واسكنه فسيح جنته
ورضا به امين امين امين
وحسبنا الله ونعم
الوكيل

فائدة عدة ما في القران من لفظ كلا ثلاثة وثلاثون موضعا في خمس عشرة سورة له وليس في النصف الاول منها شي قيل وحكمة ذلك ان النصف الاخير نزل اكثره بمكة واكثرها جبابرة فتكررت هذه الكلمة على وجه التهديد والتعسف لهم والانكار عليهم بخلاف النصف الاول وما نزل منه في اليهود لم يحتج الى ايرادها فيه لذلتهم وضعفهم **وايضا فائدة** من كتاب البرهان في علوم القران للزركشي جرت عادة المفسرين ان يبدوا بسبب ذكر النزول ووقع البحث في انه ايما اولى البداة به لتقدم السبب على المسبب او بالمناسبة لانها المصححة لنظم الكلام وهي سابقة على النزول والتحقيق التفصيل بين ان يكون وجه المناسبة متوقفا على سبب النزول كما تقدمت في قوله تعالى ان الله يامركم ان تودوا الامانات الاية فهذا ينبغي فيه تقديم ذكر السبب لانه حينئذ من باب تقديم الوسايل على المقاصد وان لم تتوقف على ذلك فالاولى وجه المناسبة **يسال** ضابط المناسبة وما القدر الذي يكتفى به فيها هو اشتراك الايتين في جنس قريب او بعيد او اشتراكهما في نوع او فصل او عرض عام او لا فيح اذ يكتفى بمطلق المناسبة فانه ما من شيئين كما قال الامام الا وما بينهما مناسبة كما ولو في نفي ما سوا اجتماعهما **فايدة ايضا** سورة الكوثر اقصر سورة في القران ومع ذلك اشتملت على اربعة معان اخبار بنعمة وامر بعبادة وبشرى بمسرة واسلوب هو معجزة فلم تخرج اذا قرنت بطول فيها عن ان تكون معجزة **فايدة اخرى** انزال القران لا بد له من مجاز لان القديم لا يوصف بالنزول والالفاظ والكتابة وغيرها مما يدل عليه معان لا يوصف ايضا بما يوصف به الاجسام فالمراد نزول الملك ومعه القران او انه لما حل في قلب النبي صلى الله عليه وسلم باي طريق كان من الوحي ووقع الهام القلب لنعليه نزل منزلة الجسم الحال فوصف بالنزول **تمت الفوايد المباركة** بحمد الله تعالى وحسن توفيقه

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم رب يسر يا كريم
سبحانك لا نحصي ثناء عليك احمدك ان انزلت كتابا عجبا عجيبا ملأت حكمة وصوابا واوسعته علوما
وادابا ونوعته بلاغة وخطابا وعجزت الفصحا الالدّ فما احاروا اليه جوابا
وحفظته وحفظت به فلا تمس النار دعا لو كان اهابا ووعدت من تدبره ووضعه
مواضعه ان نجزل له ثوابا وبعثت به نبيا سريا اميا عربيا بالسيادة حريا
وبالمكارم حفيا وعن المكاره قريا فهديت به ضالا واسعدت به شقيا وارشدت
به من كان في الضلالة غويا ونورت به حالك الظلما وبصرت به بعد العمى
وفرجت به بعد الغما صلى الله وسلم عليه وصحبه ما هاج قيظ وامح وضا اصبح ولج
وفاح طيب وارج وقام داع الى الله ببينات وحجج **وبعد** فان الله
سبحانه وله الحمد قد من الله علي بالنظر في علوم القران وحقايقه وتتبع
اسراره ودقايقه حتى صنفت في تعلقاته كتبا شتى **منها** التفسير الملقب ترجمان
القران وهو الوارد بالاسناد المتصل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
الذين شاهدوه وتلقوا منه الوحي والتنزيل وسمعوا منه التفسير والتاويل
وقد تم ولله الحمد في خمس مجلدات وهو مستوعب بغالب ايات القران من
غير ان اذكر فيه شيئا عن التابعين ولا من بعدهم وهذا لعمري هو التفسير
فان الكلام في معاني القران ممن لم ينزل عليه ولا سمع من المنزل اليه انما هو
راي محض فان كان موافقا للقواعد فهو التاويل وان خرج عنها واخطا المراد
فتحريف وتبديل قال صلى الله عليه وسلم من قال في القران بغير علم فليتبوا مقعده
من النار وقال من تكلم في القران برايه فاصاب فقد اخطا اخرجه ابو داود اي
برايه من غير استناد الى دليل ولا برهان وقال ان في امتي قوما يقراون القران
ينثرونه نثر الدقل يتاولونه على غير تاويله اخرجه ابو يعلى وقال تعالى ان الذين
يلحدون في اياتنا لا يخفون علينا قال ابن عباس هو ان يضع الكلام على غير موضعه
وكفى بذلك وعيدا وتهديدا فاذن الواجب الاقتصار في التفسير على ما ورد
عن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فان في ذلك كفاية ومقنعا ومن زعم انه
ياتي باحسن مما اتوا فانه متهم في دينه مخدوع في عقله نعم ينبغي النظر في
الترجيح اذا اختلفت الرواية عن الصحابة وذلك غير ممتنع على المتاهل لذلك
اما احداث قول زايد على ما ورد منهم فلا ولا كرامة **ولما** كان هذا التفسير المشار اليه
نقلا محضا ليس فيه اعراب ولا اسرار بياني ولا نكتة بديعة ولا استنباط حكم الا نادرا
اردفته بكتب في ذلك لتكون كالتتمة له وتحصل بها تمام ما يراد من كتب التفسير
فاجل ما وضعت من ذلك كتاب الاتقان في علوم القران وهو كالمقدمة لمن يريد
التفسير واكثره قواعد كلية وفيه من الفوايد ما لم يجتمع في غيره وهو يشتمل
على ثمانين نوعا **النوع الاول** معرفة المكي والمدني **الثاني** معرفة الحضري
والسفري **الثالث** النهاري والليلي **الرابع** الصيفي والشتائي **الخامس**
الفراشي والنومي **السادس** الارضي والسماوي **السابع** اول ما نزل **الثامن**
اخر ما نزل **التاسع** اسباب النزول **العاشر** ما نزل على لسان بعض الصحابة

الحادي عشر ما تكرر نزوله **الثاني عشر** ما تاخر حكمه عن نزوله وما تاخر نزوله عن حكمه
الثالث عشر معرفة ما نزل مفرقا وما نزل جمعا **الرابع عشر** ما نزل مشفعا وما نزل مفردا
الخامس عشر ما نزل منه على بعض الانبيا وما لم ينزل منه على احد قبل النبي صلى الله عليه
وسلم **السادس عشر** في كيفية انزاله **السابع عشر** في معرفة اسمايه واسما سوره
الثامن عشر في جمعه وترتيبه **التاسع عشر** في عدد سوره واياته وكلماته وحروفه
العشرون في حفاظه ورواته **الحادي والعشرون** في العالي والنازل **الثاني والعشرون**
معرفة المتواتر **الثالث والعشرون** في المشهور **الرابع والعشرون** في الاحاد
الخامس والعشرون في الشاذ **السادس والعشرون** الموضوع **السابع والعشرون**
المدرج **الثامن والعشرون** في معرفة الوقف والابتدا **التاسع والعشرون**
في بيان الموصول لفظا المفصول معنى **الثلاثون** في الامالة والفتح وما بينهما **الحادي
والثلاثون** في الادغام والاظهار والاخفا والاقلاب **الثاني والثلاثون** في المد
والقصر **الثالث والثلاثون** في تخفيف الهمز **الرابع والثلاثون** في كيفية
تحمله **الخامس والثلاثون** في اداب تلاوته **السادس والثلاثون** في معرفة غريبه
السابع والثلاثون في ما وقع فيه بغير لغة الحجاز **الثامن والثلاثون** فيما وقع
فيه بغير لغة العرب **التاسع والثلاثون** في معرفة الوجوه والنظاير **الاربعون**
في معرفة معاني الادوات التي يحتاج اليها المفسر **الحادي والاربعون** في معرفة اعرابه
الثاني والاربعون في قواعد مهمة يحتاج المفسر الى معرفتها **الثالث والاربعون**
في المحكم والمتشابه **الرابع والاربعون** في مقدمه ومؤخره **الخامس والاربعون**
في عامه وخاصه **السادس والاربعون** في مجمله ومبينه **السابع والاربعون** في ناسخه
ومنسوخه **الثامن والاربعون** في مشكله وموهم الاختلاف والتناقض **التاسع
والاربعون** في مطلقه ومقيده **الخمسون** في منطوقه ومفهومه **الحادي والخمسون**
في وجوه مخاطباته **الثاني والخمسون** في حقيقته ومجازه **الثالث والخمسون** في
تشبيهه واستعاراته **الرابع والخمسون** في كناياته وتعريضه **الخامس والخمسون**
في الحصر والاختصاص **السادس والخمسون** في الايجاز والاطناب **السابع والخمسون**
في الخبر والانشا **الثامن والخمسون** في بدايع القران **التاسع والخمسون** في فواصل الاي
الستون في فواتح السور **الحادي والستون** في خواتم السور **الثاني والستون**
في مناسبة الايات والسور **الثالث والستون** في الايات المشتبهات **الرابع والستون**
في اعجاز القران **الخامس والستون** في العلوم المستنبطة من القران **السادس والستون**
في امثاله **السابع والستون** في اقسامه **الثامن والستون** في جدله **التاسع والستون**
في الاسما والكنى والالقاب **السبعون** في مبهماته **الحادي والسبعون** في اسما من نزل
فيهم القران **الثاني والسبعون** في فضايل القران **الثالث والسبعون** في افضل
القران وفاضله **الرابع والسبعون** في مفردات القران **الخامس والسبعون** في
خواصه **السادس والسبعون** في مرسوم الخط واداب كتابته **السابع والسبعون**
في معرفة تاويله وتفسيره وبيان شرفه والحاجة اليه **الثامن والسبعون** في
شروط المفسر وادابه **التاسع والسبعون** في غرايب التفسير **الثمانون** في طبقات

المفسرين • وقد تم هذا الكتاب ولله الحمد وفيه من النفايس المهمة ما لا يستغنى عنه ذو
الناظر في القران ثم وضعت في الاحكام كتاب الاكليل في استنباط التنزيل
وهو مجلد لطيف يشتمل على جميع ما ذكره المصنفون في احكام القران مع تعاليق جمة
ونفايس مهمة ثم افردت كتابا في اسباب النزول سميته لباب النقول بالغت في ايجازه
وتحريره بحيث فاق الكتب المؤلفة في نوعه ثم افردت كتابا وجيزا في المبهمات
لم يؤلف في نوعه اجمع ولا اوجز ولا افيد منه ثم افردت كراسة فيما وقع فيه من
الالفاظ المعربة تتبعت فيها واستوعبت ثم كراسة سميتها معترك الاقران في مشترك
القران فايقة في معناها ثم مختصرا يسمى مجاز الفرسان الى مجاز القران وهذا لم يتم
بعد ثم كتابا يسمى حمايل الزهر في فضايل السور وهذا واسباب النزول كلاهما
تضمنه التفسير الاول وانما افرد تتميما للنكت تعرف من خطبتهما وهذا الكتاب
شغفت به تلك وقطنته معا في سلك في اسرار التنزيل اذكر فيه جميع ما وصل اليه علمي من كلام
العلماء في النظم القراني من اسرار التقديم والتاخير والتاكيد والحذف والايجاز
والاطناب والنكت البيانية من التشبيه والاستعارة والكناية والتعريض
والانواع البديعية من الالتفات والتورية والاستخدام والجناس والمشاكلة والطباق
والمقابلة الى غير ذلك من انواعه وسر ما اختلفت فيه الايات المتشابهة من تقديم
او تاخير او زيادة او نقص او ابدال كلمة باخرى وما بين الكلمات التي يظن ترادفها
من فرق ولم وقع في هذا الموضع كذا وفي هذا الموضع ذا بفقه ولم ختمت هذه الاية
بيؤمنون وهذه بيعلمون وهذه بيعقلون وهذه بيذكرون الى غير ذلك وانبه
على القراات المختلفة المشهورة والشاذة اذا كان لكل قراة معنى فان من وجوه اعجاز
القران وايجازه تنوع قراته ودلالة كل قراة على معنى فان ذلك منزل منزلة تعدد الايات
وهذا نوع عظيم من البلاغة ان يكون اللفظ الواحد بجوهره يقرا على وجهين
فيفيد بهذا الاعتبار معنيين وابين مناسبة ترتيب السور والخفي من مناسبات
الايات الى غير ذلك مما اداه من النكت والاسرار فاذا اتم هذا الكتاب وانضم الى ذ
تلك الكتب استغنى بها محصلوها عن جميع التفاسير • ومع ذلك فلا ادعي الاستيعاب
وما اوتيتم من العلم الا قليلا • ولا الاصابة في جميع ما اورده • فان من رام ذلك
لم يجد اليه سبيلا • كيف والانسان محل الغفلة والنسيان • ومعدن كلال الاذهان
غير اني ابذل جهدي فيما اورده • ولا اسطر خطا الا متعمدا • وانما الاعمال
بالنيات • وان الحسنات يذهبن السيئات • ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها • كفى المرء
نبلا ان تعد معايبه • وبالجملة فالمؤمل بذلك واسع الكرم • مفيض النعم • جدير
بالاجابة • حقيق بالاستجابة • لا يخيب لديه طارق امل • ولا يضيع عنده اليسير من العمل
وقد سميت هذا الكتاب قطف الازهار في كشف الاسرار وارجو ان
شا الله تعالى ان تم هذا الكتاب وكان في الاجل فسحة ان اضع كتابا في توافق السنة
والقران اذكر فيه كل حديث في القران معناه او اشارة اليه تحقيقا لقول الشافعي
رضي الله عنه كل ما حكم به النبي فهو مما فهمه من القران حقق الله تعالى ذلك بمنه وكرمه
سورة الفاتحة افتتح سبحانه كتابه بهذه السورة لانها جمعت جميع مقاصد القران

ولذلك

ولذلك من اسمائها ام القران وام الكتاب والاساس فصارت كالعنوان وبراعة الاستهلال
قال الحسن البصري ان الله اودع علوم الكتب السابقة في القران ثم اودع
علوم القران الفاتحة فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة اخرجه
البيهقي في شعب الايمان وبيان اشتمالها على علوم القران قرره الزمخشري باشتمالها
على الثنا على الله تعالى بما هو اهله وعلى التعبد بالامر والنهي وعلى الوعد والوعيد
وايات القران لا تخلو عن احد هذه الامور وقال الامام فخر الدين المقصود
من القران كله تقرير امور اربعة الالهيات والمعاد والنبوات واثبات القضا والقدر
لله تعالى فقوله الحمد لله رب العالمين يدل على الالهيات وقوله مالك يوم الدين
يدل على المعاد وقوله اياك نعبد واياك نستعين يدل على نفي الجبر وعلى اثبات
ان الكل بقضا الله وقدره وقوله اهدنا الصراط المستقيم الى اخر السورة يدل على اثبات
قضا الله وعلى النبوات فقد اشتملت هذه السورة على المطالب الاربعة التي هي المقصد
الاعظم من القران وقال القاضي البيضاوي هي مشتملة على الحكم النظرية
والاحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعدا
ومنازل الاشقيا وقال الطيبي هي مشتملة على اربعة انواع من العلوم التي هي مناط الدين
احدها علم الاصول ومعاقده معرفة الله وصفاته واليها الاشارة بقوله رب العالمين
الرحمن الرحيم ومعرفة النبوات وهي المراد بقوله انعمت عليهم ومعرفة المعاد
وهو الموما اليه بقوله مالك يوم الدين وثانيها علم الفروع واسه العبادات
وهو المراد بقوله اياك نعبد وثالثها ما يحصل به الكمال وهو علم الاخلاق واجله الوصول
الى الحضرة الصمدانية والالتجا الى جناب الفردانية والسلوك لطريقه والاستقامة
فيها واليه الاشارة بقوله واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم ورابعها علم
القصص والاخبار عن الامم السالفة والقرون الخالية السعدا منهم والاشقيا
وما يتصل بها من وعد محسنهم ووعيد مسيئهم وهو المراد بقوله انعمت عليهم غير المغضوب
عليهم ولا الضالين قال وجميع القران تفصيل لما اجملته الفاتحة فانها بنيت على اجمال
ما يحويه القران مفصلا فانها واقعة في مطلع التنزيل والبلاغة فيه ان يتضمن
ما سبق الكلام لاجله ولهذا لا ينبغي ان يقيد شي من كلماتها ما امكن الحمل على الاطلاق
وقال الغزالي في كتاب جواهر القران مقاصد القران ستة ثلاثة مهمة وثلاثة
تتمة الاولى تعريف المدعو اليه كما اشير اليه بصدرها وتعريف الصراط المستقيم
وقد صرح به فيها وتعريف الحال عند الرجوع اليه تعالى وهو الاخرة كما اشير اليه
بمالك يوم الدين والاخرى تعريف احوال المطيعين كما اشير اليه بقوله الذين انعمت
عليهم وحكاية اقوال الجاحدين وقد اشير اليها بالمغضوب عليهم والضالين وتعريف
منازل الطريق كما اشير اليه بقوله اياك نعبد واياك نستعين ولهذا في هذا وصفها
في الحديث بانها ثلثا القران اخرجه عبد في مسنده لان بعضهم وجهه بان دلالات
القران الكريم اما ان تكون بالمطابقة او بالتضمن او بالالتزام وهذه السورة تدل
على جميع مقاصد القران بالاخيرين دون المطابقة والاثنين من الثلاثة ثلثان ذ
قاله وايضا الحقوق ثلاثة حق الله على عباده وحق العباد على الله وحق بعض العباد على بعض

وقال الغزالي

وقد اشتملت الفاتحة صريحا على الحقين الاولين فناسب كونها بعضها تلتبس وحديث قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين شاهد لذلك وللفاتحة نيف وعشرون اسما ذكرتها بتوجيهها في النوع السابع عشر من الاتقان وذلك يدل على فخامتها وعظم شانها لان كثرة الاسما دالة على شرف المسمى وقد صحت الاحاديث في الفاتحة بانها افضل سورة في القران وفي لفظ اعظم وانه ما انزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها وان ابليس رنّ حين انزلت وانها نزلت من كنز تحت العرش وانها شفا من السم وفي لفظ من كل دا وانها رقية وان كل صلاة لا يقرا فيها بها خداج غير تام وذلك كله مما يوضح مناسبة افتتاح القران بها وكذا ما ورد من انها اول سورة نزلت وذكر بعضهم انها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة تعظيما لشانها بسم الله الرحمن الرحيم افتتح سبحانه بها كل سورة غير براءة تنبيها على شرفها وتعليما للعباد ان يبتدئوا بها في كتبهم وخطبهم وكل امر ذي بال واختصت بالاسما الثلاثة لان الاسم الكريم دال على الذات راجع اليه جميع الصفات مختص به تعالى لم يسم به احد لا في الجاهلية ولا غيرها قال تعالى هل تعلم له سميا قال ابن عباس اي لا احد يسمى الله اخرجه البيهقي وعن جابر بن زيد انه الاسم الاعظم اخرجه ابن ابي حاتم والرحمن ايضا صفة مختصة به اخرج ابن ابي حاتم عن الحسن البصري قال الرحمن اسم ممنوع اي لا يستطيع احد ان يتسمى به لان معناه الذي وسعت رحمته كل شي وذلك لا يليق لغيره به تعالى واخرج ايضا عن الحسن قال الرحيم اسم لا يستطيع الناس ان ينتحلوه تسمى به تبارك وتعالى ولا يعرف في صفاته تعالى ما لا يجوز اطلاقه على العبد غير هذين وظهرت مناسبة الاتيان في البسملة بهذه الثلاثة دون غيرها لكن ما قاله الحسن في الرحيم قد ينازع فيه فانه يجوز وصف العبد بانه رحيم وفي الحديث لن يدخل الجنة الا رحيم قالوا يا رسول الله كلنا رحيم وظهر لي في الجواب ان مراد الحسن الرحيم المعرف باللام دون المجرد منها كما قال بعضهم ان الرحمن انما يختص بالله تعالى يعرف بال دون المضاف والمجرد منها حدا رايته في كلام بدر الدين بن مالك وقال الحوفي الذي يقتضيه يعني الرحمن والرحيم ان لا يطلق واحد منهما على العبد غير ان الله يحب التخلق باخلاقه فشرف عباده بان اجاز لهم التسمية باحدهما وهو غير الابلغ فقال في حقهم رحما بينهم وهو جمع رحيم واما رحمان فلا يجوز اصلا لان كثير الرحمة كثرة مطلقة هو الله قال ولهذا رتب الاسما في البسملة هذا الترتيب مبتديا باسمه الخاص به ثم بالوصف الذي لا يستعمل في غيره من الوجوه قال وهذه الاسما جامعة للاصول الذي يجب اعتقادها فالله اشارة الى التوحيد والرحمن اشارة الى الوجود الدنيوي من الخلق والرزق وارسال الرسل والرحيم اشارة الى الحشر لان الرحيم دايم الرحمة وذلك جدير بالاخرة ولان الرحيم خاص بالمومنين وثمرة ذلك انما تظهر في الاخرة كما قال ابن عباس الرحيم الرفيق بمن احب ان يرحمه وقال العزيزي الرحمن بجميع الخلق الرحيم بالمومنين اخرجهما ابن جرير قال البيضاوي انما خص التسمية بهذه الاسما ليعلم العارف ان المستحق ان يستعان به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولي النعم كلها عاجلها واجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره اليه ويتمسك بحبله فان قلت قد علم مما تقدم ان الرحمن ابلغ فكيف قدم على الرحيم وقاعدة البلاغة الترقي

من الادني

من الادنى الى الاعلى فيقال فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض قلت هذا قد اختلف فيه على ثلاثة اقوال احدها ان الرحيم ابلغ وبه جزم ابن عسكر واستدل بتاخيره عن الرحمن الثاني ان الرحيم ابلغ لان الزيادة في البنا لزيادة المعنى قال الاصبهاني فعيل لمن كثر منه الفعل وفعلان للذي مع كثرة ذلك منه تكرر عنه وهذا ينفي تقديمه لجوابه احدها مراعاة الفاصلة ثانيها ما تقدم من اختصاصه بالله ثالثها ان الرحمن يتناول جلايل النعم وجلايلها وعظايمها واصولها فذكره اولا ثم اردفه بالرحيم كالتتمة والرديف ليتناول ما دق منها ولطف قال الطيبي وحاصله انه ليس من باب الترقي بل من باب التتميم وهو تقييد الكلام بتابع يفيد مبالغة قال فظاهر كلام الامام انه من باب التكميل وهو ان يؤتى بكلام في فن فيرى انه ناقص فيه فيكمل باخر فانه لما قال الرحمن توهم ان جلايل النعم منه وان الدقايق لا يجوز ان تنسب اليه لحقارتها فكمل بالرحيم رابعها ان الرحمن خاص بالدنيا لتناوله المومن والكافر والرحيم بالاخرة فذكر على الترتيب الوجودي خامسها ان فعلان للامور العارضة وفعيل للصفات الغريزية فوجب تقديم الرحمن على الرحيم لعروض المعنى فيه من جهة العباد وحدوث الانعام ولم كان لا تجدد نعمه قال سادسها ان الرحمن اشبه بالاعلام من حيث انه لا يوصف به غير الله فكانه هو الموصوف فيستحق التقديم على الوصف المحض قال الطيبي وهذا احسن الاقوال القول الثالث انهما سوا في المبالغة قاله قطرب ورجحه الحوفي فقال الرحمن من تكررت رحمته وكثرت والرحيم من ثبتت رحمته ودامت فان فعلان كالغضبان لمن كثر غضبه والقصير والعظيم لما ثبت فيه القصر والعظم فكل من الوصفين يفيد كثرة وليشمل الدنيا والاخرة ولهذا ورد في الحديث رحمان الدنيا والاخرة ورحيمهما اخرجه الحاكم بهذا اللفظ وقال صاحب المطلع الرحمن الذي كثرت اثار رحمته والرحيم الذي قويت اثار رحمته ففي الدنيا يصل رزقه الى كل مومن وكافر وحيوان ونبات وفي الاخرة لا يصل الا الى المومنين غير ان الواصل في الدنيا كثير الكمية قليل الكيفية لقلة الدنيا وسرعة انصرامها وكثرة شوايبها وفي الاخرة قليل الكمية بالاضافة الى من يصل اليه وهم المومنون كثير الكيفية لوجود الملك الموبد والنعيم المخلد قال الطيبي والصحيح ان الرحمن ابلغ لانه يتدارك الرحيم في الاخرة بحسب الكيفية وله مزيد اختصاص بحسب الكمية في الدنيا الراغب الرحمة تارة تستعمل في الرقة المجردة وتارة في الاحسان المجرد عنها وهذا المراد في وصف الباري تعالى وقال غيره اختلف في الرحمة هل هي مجاز عن انعام الله على عباده او عن ارادة الخير فعلى الاول هي من صفات الافعال وعلى الثاني من صفات الذات الحمد لله رب العالمين قال الخويي افضل ما افتتح بالحمد لله وذلك خمس سور في النصف الاول سورة الانعام والكهف وفي الثاني سورة سبا وفاطر والفاتحة تشمل النصفين لانها اولا واخرا ومن يبتدي بحفظه من الاخر يبتدي بها كما ان من قرا من الاول يبتدي بها فقوله في اول الانعام الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور اشارة الى اول النعم وهي نعمة الوجود ومكانه وزمانه وفي الكهف الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب اشارة الى نعمة الشرع الذي به قيام الوجود فان النعمتان في الدنيا وفي اول سبا وفاطر اشارة الى الاخرة قال رسل الملائكة للامر الاخروي اكثر

في السورتين الحمد على النعم الاخروية ويؤيد ذلك انه قال في سورة الانعام فقطع دابر القوم
الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فذكر نعمة دنيوية وقال في فاطر وقالوا الحمد لله الذي اذهب
عنا الحزن فذكر نعمة اخروية وحمد عليها واما الفاتحة ففيها الحمد على ما في الدنيا وعلى ما في
الاخرة معا فقوله رب العالمين اشارة الى نعمة الايجاد وقوله مالك يوم الدين اشارة الى نعمة
المعاد فهي افضل السور الخمسة **قال** واما ترتيب الالفاظ **فنقول** الله اسم للذات
المقدسة وهو الله ازلا وابدا قبل الخلق وبعد الافنا ثم انه برحمته خلق واوجد فهو رحمان ثم
انه بعد الايجاد رزق وابقى فهو رحيم ثم ان من خلق ورزق واوجد وابقى الى بكمال النعمة
فله الحمد فالحمد لله رب العالمين ثم ان الله تعالى مرة اخرى يخلق الخلق ويبعث من في القبور
فهو رحمان برحمة ثانية بالخلق ثان ومرة اخرى يرزق في الاخرة ويبقي برحمته فهو رحيم
فقال مرة اخرى الرحمن الرحيم ثم انه اذا خلق ثانيا ورزق ثانيا فهو في ذلك اليوم مالك
فقال مالك يوم الدين واذا كان الخلق منه اولا والرزق منه في الاولى ولذلك الابقا
والابقا منه في الاخرة فلا يجوز ان يعبد غيره فقال اياك نعبد ثم ان من عظمت
نعمه وعم كرمه لا يقدر على حق عبادته الا باعانته فقال واياك نستعين ثم ان العبادة للزلفى
والاقتراب من جناب الحق كما قال تعالى واسجد واقترب فالعابد سالك فيطلب الهداية
ويقول اهدنا الصراط المستقيم وبعد الطريق لا بد من الرفيق فيقول صراط الذين انعمت
عليهم وهم الذين قال فيهم وحسن اولئك رفيقا ثم انه بعد وجدان الطريق واصطحاب
الرفيق يخاف قطع الطريق فيقول غير المغضوب عليهم ويخاف من يضله بضلاله وان لم
يقطع عليه الطريق باحتياله فيقول ولا الضالين فهذا ترتيب في غاية الحسن **قال**
ثم ان في هذه السورة من الاسما الحسنى خمسة صريحة وهي الله والرب والرحمن والرحيم
والملك وفيها خمسة مستنبطة من المصدر او الفعل المحمود من الحمد لله به والمعبود من
اياك نعبد والمستعان من اياك نستعين والهادي من اهدنا والمنعم من انعمت والخمسة
المذكورة صريحا مناسبة للخمسة المذكورة ضمنا فالمحمود يناسب الله ولهذا وجب ذكر كلمة الله
عند الحمد ولم يرد الحمد للرب ولا للمنعم بل الوارد الحمد لله والرب يناسب المعبود ولهذا قال
يا ايها الناس اعبدوا ربكم وقال واعبد ربك والرحمن يناسب المستعان ويدل عليه
وربنا الرحمن المستعان والهادي يناسب الرحيم ويدل عليه قوله هدى ورحمة فقرن
بينهما بقي المنعم في مقابلة الملك **قلت** ويزاد على هذا اسم سادس صريح وهو المالك
في قراءة مالك ويقابله اسم ضمني في غير المغضوب ثم قال قوله الحمد لله رب العالمين كلام
لا يقوم غيره مقامه لا في الالفاظ ولا في ترتيبه وبيانه ان لفظ الحمد ان بدل بغيره بلفظ
اخر فاللفظ الذي يظن انه يقوم مقامه اما المدح او الشكر او الثنا او التمجيد او الكمال
او العظمة او غيرها اما المدح فلا يقوم مقام الحمد لان المدح ذكر ذاكر واحدا عند غيره باوصاف
كمال سوا كانت فيه ام لم تكن والممدوح لا يكون في الازل ممدوحا لانه لا بد فيه من الذكر
عند الغير والازل لم يوجد فيه اثنان لكن الله في الازل محمود لانه في الازل
متصف بالكمال ومن اتصف بصفات الكمال فهو في نفسه محمود وان لم يذكر فيه شي بدليل
قولهم احمدته اي وجدته محمودا ولا يقال امدحته بمعنى وجدته ممدوحا **واما** الشكر فلا
يقوم مقامه لان شرطه الاحسان فالمشكور لا يكون في الازل مشكورا والله في الازل

محمود

محمود والمشكور لا يكون عند زيد مشكورا باحسانه الى عمرو ويكون محمودا عنده بذلك
فالحمد ابلغ **واما** الثنا فكالمدح **قلت** بل دونه لانه قد يطلق على الوصف بغير الجميل
كما في الحديث فاثنوا عليها شرا **واما** التمجيد فابعد لان اصلها الذي بالجاه او الحيا وهو د
المطر واما غير هذه الالفاظ فلا يقوم مقامه ولا يؤدي معناه كما هو ظاهر **واما** قوله
لله فلا يقوم مقامه لفظ اخر لان ساير اسمايه تعالى مشتقة من معنى فلو قيل الحمد
للعظيم افاد ان الحمد له لعظمته وكذا الباقي والحمد لله يفيد ان الحمد له لذاته
ولاختصاصه به تعالى دون ساير الاسما **واما** الرب فلانه يجمع كل صفة من صفات
الاحسان لان الرب هو القايم باصلاح شي من اول وجوده الى اخرى مرة فلو اتى بدله
بالموجد لم يفد معنى القيام بالصلاح والاحسان والتربية او بالمحسن لم يفد دوامه
والرب دايم الاحسان وايضا فالرب انسب الاسما بلفظ الله لاختصاصه به شرعا
في الحديث لا يقولن احدكم ربي ولكن سيدي ولهذا لم يرد في اذكار الصلاة غيرهما
واما العالمين فلانه لا لفظ اجمع منه في معناه اذ العالم اسم لكل ما سوى الله ولو قال
رب الاجسام يخرج عنه بعض الاشيا او رب الاشيا لدخل فيه الله وصفاته مع تفاوت
ما بين اللفظين من التفاوت اللفظي المدرك عند السامعين او كل موجود فمثل فلا يخفى
طوله مع التفاوت المذكور **واما** ترتيبه فتقديم الحمد واجب لان الارشاد اليه
لان ذكر الله باسمه وصفته قد تقدم بالتسمية ومما كان مقصودا فتقديمه واجب ليكون
اول ما يقرع السمع ولو قيل لله الحمد لذهب الوهم قبل سماع الحمد الى ان المراد لله الملك
او نحوه فلا يفهم المقصود اول وهلة وتقديم الله واجب ايضا لان تقديم الذات
على الصفة واجب وكذا تقديم المضاف على المضاف اليه في قوله رب العالمين فعلم
ان هذه الجملة لا يقوم غيرها مقامها لا في الفاظها ولا في ترتيبها وكذا سائر اي القران
انتهى كلام الخوبي ملخصا **وقال** الاصبهاني الحمد اخص مطلقا من المدح
لاختصاصه بالحي العالم القادر المختار وهو غاية المدح ولهذا قيل لما كانت غاية
المدح بداية الحمد وعلى هذا في اللفظ فجعل الحمد الذي هو اخر المدح اول الحمد ولا يقال
مدحت الله ولا المدح لله لانه لا يدل على كونه فاعلا مختارا بل يدل على اعترافه بذلك بحال د
الحمد لله فلان الحمد مطلق الثنا سوا استحقه الممدوح ام لا والحمد الثنا على من يستحقه
قال الحمد هو اولى مما لو قيل الشكر لله لانه يوهم اختصاصه بالنعمة والاول
اعم فهو افضل لما فيه من الحمد على كل حال قال والاتيان بالحمد لله اولى من احمد الله لوجوه لما
احدها ان احمد الله يفيد كون القايل حامدا واما الحمد لله فيفيد انه كان محمودا
قبل حمد الحامدين فهو محمود من الازل الى الابد بكلامه القديم سوا حمدوا او لم يحمدوا
ثانيها ان الحمد لله يقتضي الحمد حق الله يستحقه لذاته بسبب كثرة اياديه وانواع
نعمه الظاهرة والباطنة على العباد بخلاف احمد الله فلا يدل على ذلك فالاولى اولى
ثالثها ان قول الانسان احمد الله فيه نسبة الفعل الى نفسه وهو عاجز من ان يحمده
حق حمده والحمد لله معناه انه محمود بجميع حمد الحامدين **رابعها** ان الحمد عبارة عن
صفة القلب وهي اعتقاد كونه محمودا منعما متفضلا مستحقا للحمد والتعظيم فاذا
تلفظ الانسان بقوله احمد الله مع غفلته عن معنى التعظيم اللايق بجلاله كان كاذبا لانه

اخرص نفسه مايه حامدا مع انه ليس كذلك واما اذا قال الحمد لله سوا كان غافلا ام لا فانه يكون صادقا لان معناه الحمد حق لله وهذا المعنى حاصل مع الغفلة وعدمها وقوله الحمد لله اولى من قوله الحمد لرب العالمين او للخالق او للقادر او لغيرها من الاسما والصفات لان الله اسم للذات الجامعة لصفات الكمال فالحمد لله حمد له على جميع الصفات الكمالية بخلاف غيره من الاسماء وفي العجايب للكرماني الفرق بين الحمد والشكر ان الله تعالى حمد ذاته ولا يشكره لان الشكر يستدعي سابقة احسان **قلت** وهذا معنى لطيف ولعله اقوى في مناسبة الاتيان هنا بصيغة الحمد واللام في الحمد للاستغراق الحقيقي اي جميع المحامد وفي لله للملك او الاختصاص وجملة الحمد لله اما اخبار وفايدته انه تعالى بين ان كل الحمد له لا لغيره واما ثانيا اثنى به على نفسه وعلمه عباده واما امرهم به على تقدير قولوا بدليل وقلنا الحمد لله ويؤيده اياك نعبد واليه ذهب الكسائي ونقله الكرماني عن جل المفسرين وقرئ الحمد بالنصب على انه مصدر بتقدير فعل وبالكسر اتباعا لكسر اللام وقرئ لله بضم اللام اتباعا لضمة الدال وقرئ رب بالنصب فقيل على المدح وقيل على النداء وهو لفظ يحتمل الوصف والمصدر قال ابن عبد السلام وله اربعة معان المعبود والمالك والسيد والمصلح ويحمل في كل موضع من القران على ما يناسبه فان حمل هنا على المالك عم الموجودات وان حمل على المصلح خرجت الاعراض لانها لا تقبل اصلاح لم يتصلح بها وان حمل على السيد اختص بالعقلا لانه لا يقال سيد الحجر والحشرات وان حمل على المعبود اختص بالمكلفين وهذا اخص المحامل واظهرها هنا المصلح لان الاصلاح يعم ان قلنا الحمد بمعنى الشكر والا فالسيد انسب للثنا ووجه مناسبة المالك للثنا ان من ملك يناسب ان يثني عليه مملوكه كاستيلايه عليه وعظمته ومناسبة المعبود للشكر باستحقاق العبادة انتهى **وقال** الاصبهاني يصح ان يراد به هنا جميع معانيه وذلك مما زادني وجه مناسبة الاتيان به دون المالك ونحوه **الكرماني** الرب من التربية وهي تبليغ الشي الى كماله على التدريج الراغب الرب في الاصل التربية وهي انشا الشي حالا فحالا الى حد التمام لا يقال مطلقا الا لله المتكفل بمصلحة الموجودات **قال** والعالم اسم للفلك وما يحويه من الجواهر والاعراض وهو في الاصل اسم لما يعلم به وجعل بناوه على هذه الصيغة بكونه كالالة في العالم انه في الدلالة على صانعه ولما جمعه فلان كل نوع من انواع المخلوقات يسمى عالما وجمع جمع السلامة تغليبا للناس **وقال** الخوبي انما غلب في العالمين العقلاء مع ان غيرهم الاكثر تنزيلا له لدلالته على وحدانية صانعه منزلة الناطق بالحق **الرحمن الرحيم** تكرار فيمن جعل البسملة من السورة ونكتته قيل التاكيد وقيل الرحمة على الانعام على المحتاج ولم يكن في الاية الاولى ذكر المنعم عليهم فاعادها مع ذكرهم فقال رب العالمين الرحمن لهم بزعمهم الرحيم بالمومنين يوم الدين وقال الجيلي في كتابه الذي سماه المنتخبات في المتشابهات التورية يمكن ان يذكر لتكراره وجوه اخرى منها انه ورد في الحديث كل امر ذي بال لا يبدا فيه ببسم الله فهو ابتر وفي رواية بحمد الله وذكر في الجمع بين الحديثين ان تجعل التسمية مبدا التحميد والحمد مبدا جميع ما عداه وعلى هذا ورد القران ولما كانت الجلالة اسمه تعالى والرحمن من الصفات الغالبة التي لا يصح اطلاقها على غيره والرحيم من رادف الرحمن وردعيت في التسمية متواليه وجب رعايتها في التحميد ايضا

لذلك

لذلك والفصل برب العالمين ليس باجنبي بل هو بسط للمقصود في مقامه اللايق فان مقام الحمد مقام يقتضي من البسط ما لا يقتضيه مقام التسمية لان الغرض منها التبرك ومنها الاشارة الى ان التكرار اذا وقع في الكلام البليغ على سبيل التتابع ينبغي ان يليهما بشي لا يكون اجنبيا كما وقع بقوله رب العالمين ومنها الاشارة الى انه ان يراعي في التسمية الايجاز وفي التحميد الاطناب ومنها الاشارة الى ان صفة الرحمانية من مقتضي الالوهية وصفة الرحيمية من مقتضي الربوبية نظرا الى اللف والنشر المرتب وعموم الرحمانية للمومن والكافر وخصوص الرحيمية بالمومن ومنها ان التسمية باعتبار تكررها في سائر السور اولى بالاختصار من التحميد ومنها ان التحميد لما كان الثنا بالجميل ينبغي ان يراعي في تكرر انواع الثنا المتعالقة كما وقع في القران في الحمد لله رب العالمين الحمد لله الذي خلق السموات الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب الحمد لله الذي له ما في السموات الحمد لله فاطر السموات بخلاف التسمية فان الاليق ان تكون بافضل الاسما والصفات وهو الله والرحمن والرحيم القاضي بدر الدين بن جماعة فايدة تكرار هذين الوصفين التنبيه على العلة المقتضية لحمده وشكره وهي سعة رحمته لعباده ولطفه ورزقه وانواع نعمه فالاول لتوكيد الاستعانة والثاني توكيد الشكر قال وهذه الاية يعني البسملة جمعت ما لم يجتمع في اية غيرها وهو انها اية مستقلة في الفاتحة عند من قال به وهي بعض اية في النمل وربعها الاول بعض اية في اقرا باسم ربك ونصفها الاول بعض اية في هود وبسم الله مجراها ومرساها وربعها الثالث بعض اية في الرحمن الرحيم **قال** النقاش وزعم قوم ان فيه تقديما وتاخيرا اعلم القران ونصفها الثاني اية في الفاتحة وبعض اية في البقرة هو الرحمن الرحيم قال النقاش وزعم قوم ان فيه تقديما وتاخيرا والتقدير الحمد لله رب العالمين قال وهذا تعسف شديد ما قال له احد من المتقدمين قال الكرماني انما اراد هو لا تقديم الرحمن فقط لانه يشبه الاعلام والعلم بالتقديم اولى **ملك يوم الدين** قرئ في السبع مالك وملك فقيل هما بمعنى وهو القادر على اختراع الاعيان من العدم الى الوجود وقيل مالك من الملك بفتح الميم وكسرها وملك من الملك بضمها ثم اختلف ايهما ابلغ في المدح فقيل مالك لانه اوسع واجمع يقال مالك الطير والوحش وكل شي ولا يقال ملك كل شي بل ملك الناس ولان الزيادة في البناء تدل على الزيادة في المعنى وقيل ملك لان كل ملك فلابد ان يكون مالكا ليس بخلاف العكس ولان الملك يتصرف فيما ملك وفيما لم يملك بخلاف المالك ولانه تمدح بمالك الملك وملك ما خصه ولم يتمدح بمالك الملك الذي مالك ماخوذ منه الراغب الملك اي بالكسر ضبط الشي المتصرف فيه بالحكم والملك اي بالضم المتصرف بالامر والنهي في الجمهور فالاول كالجنس الثاني فكل ملك ملك وليس كل ملك ملكا الخوبي ملك يدل على دوام الامر وثباته بخلاف مالك **فان قلت** قرئ هنا بالوجهين ولم يقرا ملك الناس ومالك الملك الا بوجه واحد فهل لذلك سر **قلت** لم اقف على كلام لاحد في ذلك وظهر لي في ذلك امران **احدهما** ان الفاتحة لكونها ام القران واساسه وقع فيها الامران كما هو شانها من ايراد الالفاظ فيها على سبيل العموم كما سبق وياتي واقتصر في غيرها على احد الامرين **الثاني** ان ملك

الرحمن الرحيم

يوم الدين وقال الجيلي في كتابه الذي سماه المنتخبات الطورية في المتشابهات التورية يمكن ان يذكر لتكراره وجوه اخرى منها انه ورد في الحديث كل امر ذي بال لا يبدا فيه ببسم الله فهو ابتر وفي رواية بحمد الله وذكر في الجمع بين الحديثين ان تجعل التسمية مبدا التحميد والحمد مبدا جميع ما عداه وعلى هذا ورد القران ولما كانت الجلالة اسمه تعالى والرحمن من الصفات الغالبة التي لا يصح اطلاقها على غيره والرحيم من رادف الرحمن وردعيت في التسمية متوالية وجب رعايتها في التحميد ايضا كذلك والفصل برب العالمين ليس باجنبي بل هو بسط للمقصود في مقامه اللايق به فان مقام الحمد مقام يقتضي من البسط ما لا يقتضيه مقام التسمية لان الغرض منها التبرك ومنها الاشارة

الناس ذكر قبله برب الناس و الرب بمعنى المالك فذكر بعده ملك ليحصل الجمع بين
الوصفين و لو قرئ ملك لكان مع قوله برب الناس تكرارا محضا فان قيل
وهنا تقدم رب العالمين قلت تقدم على سبيل العموم واعيد مالك يوم الدين
على جهة الخصوص تنبيها على عظم هذا اليوم وتفرده بالملك فيه كما اشار اليه الاصبهاني
بخلاف برب الناس و مالك الناس لو قرئ فانهما سوا ليس بينهما عموم وخصوص
وعطف الخاص على العام شايع كثير بخلاف عطف الشي على مرادفه واما مالك
الملك فانه لا معنى فيه لمالك الملك لو قرئ لانه يشبه اضافة الشي الى نفسه
والقصد الثنا على الله تعالى فانه مالك الملك بخلاف غيره من الملوك فانه ليس
بمالك لما هو ملك فيه فتامل واختصاص الاضافة بيوم الدين لما اشرنا اليه
من التنبيه على عظمه والتفرد بالملك فيه لمن الملك اليوم واضافة اسم الفاعل
الى الظرف على طريق الاتساع اي مالك الامر كله في يوم الدين ووقع نعتا للمعرفة
لانه بمعنى الاستمرار كغافر الذنب او المضي قيل وتحسنه ان اكثر الفاظ القيمة
جاء بمعنى الماضي تحقيقا فحمل هذا على معنى المضي وافاد التعريف ويويده قراة ملك
يوم الدين بصيغة الفعل الماضي وقيل هو بمعنى الاستقبال بدلا ويوم مفعول
به والمعنى انه تعالى يملك يوم الدين اي ياتي به قال الكرماني ويويده قراة
مالك يوم الدين بالتنوين بالنصب وقرئ ايضا ملك بسكون اللام ومليك قال
الجوهري اليوم قطعة زمان والنهار اسم لما بين طلوع الشمس الى الغروب وعبر باليوم
دونه اشارة الى ان الخلق باسرهم تقضى امورهم في دون النهار وقد صح الحديث
بانه تعالى يحاسب الخلق في نصف نهار ولذا لم يقل زمان الدين لانه لا يعلم منه
السرعة المذكورة لان الزمان اسم جنس كالنهار والدين هو الجزا قال الجوهري وبينهما
فرق لطيف وهو ان الدين اسم للجزا المحسوب المقدر بقدر ما يقتضيه الحساب
اذا كان موجودا ممن يعتبر له الامر المجزي به فيقال لمن اعطي كثيرا في مقابلة
قليل هذا عملك ولا يقال هذا جزاء دينك ولذلك لو احسنت الى رجل فاحسن اليك غيره
بدلا عنه فهو جزا لا دين واما اذا اعطيت من احسن اليك بحساب مستوفى على قدر ما
صنع فهو الدين ولذلك ورد هذا اللفظ في القران لانه تعالى هو المجازي لا غيره
ويجازي بحساب كما قال فسوف حسابه ثم بعد ذلك يكون العطا الجزيل والاحسان
الكثير قال وانما وقع في القران يوم الدين ولم يقع يوم الجزا وقال يوم يجزي الله
ولم يقل يوم يدين الله وقال جزا بما كانوا يعملون ولم يقل دينا بمعنى دقيق في
العربية وهو ان الفعل لا يعم الا بواسطة المصدر فاذا قلت فلان جلس او يجلس
لا يقتضي ان يكون قد جلس طويلا او مرارا واذا قلت لفلان جلوس افاد ما لا يفيده
ذلك وانظر الى قولك فلان ملك البلاد ولفلان ملك البلاد والتحقيق فيه
ان الفعل زماني والمصدر لا يقتضي زمانا فاذا قلت ملك البلاد فعل ويفعل تميز الماضي
عن المستقبل والمصدر يشمل الحالتين فهو اعم من الفعل اذا علمت هذا فالجزا عام فان كل
دين جزا وليس كل جزا دينا لما تقدم في الفرق فقال يوم الدين لانه لو قال يوم الجزا
لتناول يوم دخول الجنة وايام الدنيا لانها ايام جزا فقال يوم الدين ليوم مقاصد فيه الجزا

عتاب

عتاب بل يعطي المحسنين بغير حساب فهو يوم لا يكون الدين الا فيه واما ان كل جا فيه
يكون دينا فلا فذكر الفعل بالفظ الاعم فان يجزي اعم من يدين ولهذا التنويع
في جزا ودينا وقال الطيبي في اختصاص يوم الدين دون يوم القيامة
وغيره من اسمايه فايدتان احداهما مراعاة الفاصلة والاخرى العموم المطلوب
في الفاظ هذه السورة فان الجزا يشمل احوال القيامة من ابتدا النشور الى السرمد
معني الدايم فسبيل مالك يوم الدين وما لك يوم الدين سبيل رب العالمين في الحمل على العموم
اي حمل الرب على المالك والمربي معا فرب العالمين اذن بالتصرف التام في الدنيا
ملكا وتربية وملك يوم الدين دل على ذلك في العقبى تسلطا وقهرا وتوسط الرحمن
الرحيم بينهما مناديا بترجيح جانب الرحمة وانه تعالى رحمن الدنيا ورحيم الاخرة
وقال الاصبهاني بعد الدلالة على اختصاص الحمد بالله وان الحمد به حقيق
في قوله الحمد لله اجرى هذه الاوصاف عليه من كونه ربا مالكا للعالمين لا يخرج
منهم شي عن ملكوته وربوبيته ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلايل
والدقايق ومن كونه مالكا للامر كله في العاقبة يوم الثواب والعقاب
ليدل على ان من كانت هذه اوصافه حقيق بالحمد والثنا عليه بما هو اهله قال
وقد ذكر تعالى في هذه السورة من الاسما الحسنى خمسة الله والرب والرحمن
والرحيم والملك والسر فيه ان يقول خلقتك اولا فانا اله ثم ربيتك باسباغ
النعم فانا رب ثم عصيت فسترت فانا رحمان ثم تبت فغفرت لك فانا رحيم ثم لا بد من
ايصال الجزا فانا مالك يوم الدين وذكر الرحمن الرحيم مرة في البسملة واخرى في
اثنا السورة فوقع التكرير فيهما بخلاف الاسما الثلاثة تنبيها على ان العناية
بالرحمة اكثر منه بساير الامور ثم بين الرحمة المضاعفة ذكر ملك يوم الدين حذرا
من الاغترار ونظيره غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب اياك نعبد
هذا هو النوع المسمى في البيان بالالتفات والعرب يستكثرون منه على عادة افتنانهم
في الكلام فانهم يرون ان الكلام اذا نقل من اسلوب الى اسلوب كان ذلك احسن
تطرية لنشاط السامع واكثر ايقاظا للاصغا اليه من اجرايه على اسلوب واحد لما جبلت
عليه النفوس من حب التنقلات والسامة من الاستمرار على حال واحد وقد يختص مواقع
الالتفات بلطايف شريفة وفوايد لطيفة وهذا الموضع من احسن مواقعه
فان العبد اذا ذكر الله وحده ثم ذكر صفاته التي كل صفة منها تبعث على شدة الاقبال
واخرها مالك يوم الدين المفيد انه مالك الامر كله في يوم الجزا يجد من نفسه حاملا
لا يقدر على دفعه على خطاب من هذه صفاته بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة
في المهمات وقيل انما اختير لفظ الغيبة للحمد وللعبادة الخطاب للاشارة الى ان الحمد
دون العبادة في الرتبة لانك تحمد نظيرك ولا تعبده فاستعمل لفظ الحمد مع الغيبة
ولفظ العبادة مع الخطاب لينسب الى العظيم حال المخاطبة والمواجهة ما هو اعلى رتبة
وذلك على طريق التادب ذكره ابن جني وقيل لانه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه
الصفات العظيمة من كونه ربا للعالمين ورحمانا ورحيما ومالكا ليوم الدين تعلق
العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بان يكون معبودا دون غيره مستعانا به فخوطب بذلك

لتميزه بالصفات المذكورة تعظيما لشانه حتى كانه قيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة
والاستعانة لا غيرك فيكون من لطايفه التنبيه على ان مبتدا الخلق الغيبة
منهم عنه سبحانه وقصورهم عن محاضرته ومخاطبته وقيام حجاب العظمة عليهم
فاذا عرفوه بما هو له وتوسلوا للقرب بالثنا عليه واقروا بالمحامد له وتعبدوا
له بما يليق بهم تأهلوا لمخاطباته ومناجاته فقالوا اياك نعبد واياك نستعين
وقال ابن عبد السلام الخطاب يشعر بالقرب اذ لا تخاطب الا من يسمع
الخطاب فاشعر الالتفات بانه قريب يسمع دعا الداعين ووسيلة المتوسلين وانما
قدم اياك ليفيد الاختصاص اي لا غيرك وليكون نظرهم من الله الى العبادة لا من العبادة
اليه وفي العجايب في تقديم اياك قولان احدهما تعظيما لله والثاني قطع مجال
العطف فانك اذا قلت اضربك امكنك ان تقول وزيدا وليس كذلك اذا قدمت
فقلت اياك اضرب **وقال** الخوبي من عادتهم تقديم الاهم والاهم هنا ذكر الله
فان العبد لما ذكر الحمد لله وذكر اوصافه من كونه ربا ورحمانا ورحيما وملكا حضر
قلبه وعنده ان الاهم مخاطبته ربه فبدا بذكره ثم بذكر عبادته وهذا من كلام
العبد مع الله واما الله تعالى فقال اعبدوا ربكم لانهم طلبوا العبادة فبدا بها
لانها المقصود الاهم ثم ذكر ما يحملهم عليها فقال ربكم فان كونه ربا يقتضي ان يعبد
وفي هذا لطيفة وهو ان العبد يطلب من الله وجهه والله يطلب من العبد فعله
قال وانما جي في الحمد بالجملة الاسمية فلم يقل نحمدك وفي العبادة بالجملة الفعلية
فلم يقل العبادة لك لان الحمد له امر ثابت قبل كل خلق وان لم يحمد فجي فيه بالاسمية
الدالة على الثبوت واما العبادة ففعل منا متحقق بعد وجودنا فجي بالفعلية الدالة
على الحدوث وقري يعبد بالياء مبنيا للمفعول على اقامة ضمير المرفوع قال بعضهم
وفيه التفات من الخطاب في اياك للغيبة في يعبد وهذا التفات غريب
لكونه في جملة واحدة بخلاف المتقدم ونظير هذا قوله **شعر** انت الهلالي الذي كنت
مرة • سمعنا به والارحبي المغلب • فقال به بعد • انت وكنت الراغب العبادة غاية
التذلل ولا يستحقها الا من له غاية الافضال وهي ابلغ من العبودية التي هي اظهار التذلل
واياك نستعين كرر اياك ليكون ادل على الاخلاص والاختصاص لانه يفيد المبالغة
في تخليص الاستعانة كالمبالغة في تخليص العبادة وتخصيصها ولو حذف فلم يدل على
التقديم المفيد ذلك وفي تاخير نستعين ما تقدم من الاوجه في نعبد ويزاد هنا
مراعاة الفاصلة وقدم جملة العبادة على جملة الاستعانة لانها المقصود الاهم ولان
تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة يستدعي الاجابة اليها **و**في شرح الحكم لابن عباد
من كان من الابرار فنتيجة همته اخلاصه ان يكون اعماله سالمة من الريا الجلي والخفي
طلبا لما وعد الله به المخلصين من جزيل الثواب وهربا عما اوعد به المخلطين
من اليم العقاب وهذا في التحقيق معنى قوله اياك نعبد اي لا نعبد الا اياك ولا
نشرك في عبادتنا غيرك وحاصل امره اخراج الخلق عن نظره في اعمال بره
مع تعاهده لها والاعتماد عليها واما من كان من المقربين فقد جاوز هذا الى عدم
رؤيته لنفسه في عمله واخلاصه انما هو شهود انفراد الحق تعالى بتحريكه وتسكينه

من غير

8

من غير ان يرى لنفسه في ذلك حولا او قوة وهذا في التحقيق معنى قوله واياك
نستعين اي لا نستعين الا بك لا بانفسنا وحولنا وقوتنا فالاول هو العمل لله
والثاني هو العمل بالله انتهى وقد ظهر بهذا اسرار لطيف في تقديم اياك نعبد
على اياك نستعين **قال** الزملكاني وفي نستعين معنى الدعا وطلب الاعانة
كقوله يغفر الله لكم **وقال** الخوبي استعان يتعدى تارة بنفسه وتارة بالباء والفرق
بينهما انك اذا قلت استعنت زيدا فمعناه انك طلبت ان يكون هو معينا لك يفعل معك
فعلا مثل فعلك واذا قلت استعنت بزيد كنت انت الفاعل ولكن زيد لا بد منه هو
كالالة كما تقول استعنت بالقدوم اذا عرف ذلك فاختير هنا الاول
لان الله هو الفاعل وكذا قوله وربنا الرحمن المستعان ولم يقل به واختير الثاني
في قوله واستعينوا بالصبر والصلاة لان الصبر ليس بفاعل معين وانما هو آلة بها
يصل الفاعل الى غلبة الشيطان والنفس قال فان اورد على هذا قوله استعينوا
بالله واصبروا **قلنا** فيه لطيفة فانه لما جعل الحالي العباد قال اياك نستعين
اظهارا منهم ان فعل الله لا بد منه ولما امرهم هو قال استعينوا بالله اي لا تتكلوا
كل الاتكال بل اجتهدوا واجعلوا انفسكم كانكم الفاعلون المستقلون انتهى واطلقت
الاعانة لتتناول كل مستعان فيه من العبادة وغيرها ذكره صاحب الكشاف
وغيره وقال بعضهم اطلق كلا من فعلي العبادة والاستعانة فلم يذكر لهما مفعولا
ليتناول كل معبود به ومستعان عليه او يكون المراد وقوع الفعل من غير نظر
الى مفعول نحو كلوا واشربوا اي اوقعوا هذين الفعلين **وقال**
القاضي الضمير المستكن في الفعلين للقاري ولساير الموحدين ادرج عبادته في
تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت
الجماعة والاستعانة طلب العون وهو المظاهرة والنصر **اهدنا** الهداية الدلالة
والايصال الى المطلوب وهدي يتعدى الى المفعول الثاني بنفسه كما هنا
وباللام يهدي للتي هي اقوم وبالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم **قال**
الخوبي نجد جعل الله نفسه فاعلا للهداية وكان المهدي قد اجتهد في الطلب
عداه بغير حرف كما هنا فان الطالب اجتهد واتى بالعبادة البالغة في قوله اياك
نعبد واياك نستعين والله هو الهادي ولذا والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
لما كان الفاعل هو الله والمهدي من جاهد عداه بلا حرف وكذا ولهديناهم صراطا مستقيما
لعد ولو انهم فعلوا ما يوعظون به ويهديهم اليه صراطا مستقيما بعد فاما الذين
امنوا بالله واعتصموا به وهديناهما الصراط المستقيم اي موسى وهارون
ونعم المجتهدان ومثل ذلك كثير وسره ان الفاعل اذا كان قويا والمفعول شديد
القبول لكون الفعل يتعلق به فتعديته اليه بلا حرف **واما** ان القرآن يهدي للتي
هي اقوم وانك لتهدي الى صراط فعداه بالحرف لما كان الهادي غير الله وقال يهدي
من يشا الى صراط حيث لم يذكر اجتهاد المهدي وكذا الحمد لله الذي هدانا لهذا لم يذكر
معه اجتهادهم **واما** قل انني هداني ربي الى صراط واجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم
معروف فالجواب انه كان من التواضع وعدم العجب بمكان فكانه قال

هو الذي اعطاني الله لاجتهادي فيه او تقول هذا هو الهدى الذي هداه الله اولا
من غير سعي منه ولا كسب وهو الذي قال فيه ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان
ثم جاء الاجتهاد بعد ذلك شكرا واما قول مومن آل فرعون اتبعوني اهدكم سبيل الرشاد
فعداه بلا حرف والهادي غير الله فجوابه ان سبيل الرشاد دون الصراط المستقيم
فلما كان المفعول اسهل واكثر حصولا عداه من غير حرف واما قوله يهدي به الله
من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى
صراط حيث عداه في الاول بلا حرف وفي الثاني به والهادي فيهما الله وذكر الاجتهاد
فانه لما قال يهدي به صارت الهداية كانها ملتوية للكتاب فصار كقوله ان هذا
القران يهدي للتي هي اقوم ثم عداه للاول بلا حرف ان سبل السلام دون الصراط
المستقيم في الشرف فان الصراط المستقيم هو الذي للانبياء والاولياء والسبل
للمومنين باسرهم فعداه الى الادنى بغير حرف والى الاعلى بحرف ابانة لخطر احدهما
وشرفه على الاخر انتهى كلام الجويني ملخصا وقال الراغب الهداية دلالة بلطف
قال واما استعمالها في نحو فاهدوهم الى صراط الجحيم ويهديهم الى عذاب السعير
فانه على سبيل التهكم مبالغة في المعنى كقوله فبشرهم بعذاب اليم وقول الشاعر
تحية بينهم ضرب وجيع * قال وهداية الله للانسان على اربعة اوجه الاول
الهداية الذي عم بها كل شي بقدر فيه حسب احتماله كما قال اعطى كل شي خلقه ثم هدى
والثاني الهداية التي جعلها للناس بدعايه اياهم على السنة الانبياء وانزال القران
ونحو ذلك وهو المقصود بقوله وجعلنا منهم ايمة يهدون بامرنا الثالث
التوفيق الذي يختص به من اهتدى وهو المعني بقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وقوله
ومن يومن بالله يهد قلبه الرابع الهداية في الاخرة الى الجنة وهو المعني بقوله الحمد لله الذي
هدانا لهذا سيهديهم ويصلح بالهم والانسان لا يقدر يهدي احدا الا بالدعاء وتعريف
الطرق دون سائر انواع الهدايات وكل هداية نفاها الله تعالى عن النبي صلى الله
عليه وسلم وعن البشر وذكر انهم غير قادرين عليها فهي ما عدا الاول وكل هداية نفاها
عن الظالمين والكافرين فهي الهداية الثالثة التي هي التوفيق والرابعة التي هي الثواب
وادخال الجنة نحو كيف يهدي الله قوما كفروا الاية انتهى وانما قال اهدنا ولم يقل اهدني
لان الدعاء مهما كان اعم كان اقرب الى الاجابة ثم المطلوب اما زيادة ما منحوه او
الثبات عليه او حصول المراتب المترتبة عليه قاله القاضي الصراط المستقيم
اي الدين الحق الذي هو الاسلام من استعارة المحسوس للمعقول قال ابن عبد السلام
ونكتته ان الصراط الطريق والطريق هو الموصل الى المقاصد والخيرات فذكر الصراط
مشعر بما يدل عليه من حصول المقاصد ولفظ الدين لا اشعار له بذلك والمستقيم
الذي لا عوج فيه لانه اقصر من المعوج واقرب واسهل الراغب والقراءة في السبع
بالسين وهي الاصل والصاد ابدال لاجل حرف الاستعلاء الراغب السراط الطريق
المستسهل من سرطت الطعام ابتلعته والاستقامة تقال في الطريق الذي يكون
على خط مستو وبه شبه طريق الحق الجويني الفرق بين الصراط والطريق والسبيل
ان الطريق اعم وهو كل ما يطرقه طارق سواء كان معتادا او لا فعيل بمعنى مفعول

والسبيل

والسبيل من الطرق ما هو معتاد السلوك ولهذا يقال هذه طريقة فلان ولا يقال سبيله
لان ما يختص بواحد لا يكون سبيلا معتاد الجماعة فيقال لطريقه لان العام يوجد في ضمن
كل خاص ولهذا قال تعالى فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولانه طريق لم
يسلكه قبلهم ولا يسلكه بعدهم وقال فاتخذ سبيله في البحر سربا لان الحوت يعتاد
السلوك في البحر والذهاب به واما الصراط فهو من السبل ما لا التواء فيه ولا اعوجاج
فلا يذهب تارة يمنة وتارة يسرة بل يكون على سمت القصد ويدل عليه تقاليب
الكلمة فانك تقول هذه الحروف على سطر واحد اذا لم يكن بعضها خارجا عن سمت بعض
والسين والطاء والراء هي حروف هذه الكلمة قال ومما يدل على ان الطريق اعم من السبيل
قوله تعالى ولا ليهديهم سبيلا فلم يستثن وقال ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم
فاستثنى من الطريق طريقا وعلى ان الصراط اخص منهما لم يذكر في القران الا محمودا
وذكر السبيل لا في معرض المدح كقوله وساء سبيلا واضل سبيلا وسبيل الغي واما صراط
الجحيم فمن باب فبشرهم بعذاب اليم ثم قال فان قيل اذا كان الصراط هو الطريق
الذي لا التواء فيه ولا اعوجاج فما فائدة قوله المستقيم قلنا الصراط ما لا يمنة فيه
ولا يسرة وقد يكون فيه صعود وهبوط والمستقيم ما لا ميل فيه الى شي من الجوانب
الاربعة لان اصل الاستقامة في قيام الشخص فان كان منحنيا او منعكسا او مائلا
الى اليمين واليسار فليس بمستقيم وان وقف غير مائل الى شي من الجوانب الاربعة
فهو مستقيم فلذلك الطريق اذا لم يمل الى شي من الجوانب الاربعة فهو مستقيم
انتهى وقرا الحسن اهدنا صراطا مستقيما قال ابن جني في المحتسب ومعناه التذلل
لله واظهار الطاعة له اي قد رضينا منك يا ربنا بما يقال له صراط مستقيم ولسنا
نريد المبالغة في قول من قرا اهدنا الصراط المستقيم الذي قد شاعت استقامته
وعلمت حاله فان قيل هذا ينبغي ذاك عندنا وكثير من نعمتك ونحن له مطيعون والى ما
تامر به وتنهى عنه ما يدون وزاد في حسن التنكير هنا ما دخله من المعنى و
وذلك ان تقديره اذ متى هديتنا لنا فانك اذا فعلت ذلك بنا فقد هديتنا
الى صراط مستقيم فجرى مجرى قولك لئن لقيت رسول الله لتلقين منه رجلا متناهيا
في الخير ورسولا جامعا لسبل الفضل فالت به الحال الى معنى التجريد كقوله
وفي الله ان لم يعدلوا حكم عدل * وهو تعالى اعرف المعارف وقد سماه الشاعر حكما
عدلا فاخرج اللفظ مخرج التنكير فقد ترى كيف آل الكلام من لفظ التنكير الى معنى
التعريف قال ثم ان منادى نكرة الجنس منادى معرفته من حيث كان في كل جزء منه *
معنى ما في جملته الا ترى الى قوله واعلم ان تسليما وتركا الا متشابهان ولا سواء بمعنى
قولك ان التسليم والترك انتهى صراط الذين انعمت عليهم قال الكرماني كرر
ذكر الصراط لان الصراط هو المكان المهيا للسلوك ولم يكن مع الاول ذكر السالكين
فاعاده مع ذكرهم اي اهدنا الصراط الذي سلكه من انعمت عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين كما كرره في قوله صراط مستقيم صراط الله لانه
لم يكن مع الاول ذكر المهدي فكرره فقال صراط الله اي الصراط الذي هيأه الله للسالكين
وقال صاحب الكشاف فان قلت ما فائدة صراط الذين انعمت عليهم من الصراط

المستقيم وهلا قيل اهدنا صراط الذين انعمت عليهم قلت فايدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير والاشعار بان الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على ابلغ وجه واكده حيث ذكر اولا مجملا وثانيا مفصلا ووضع الثاني بيانا للاول وايضاحا له وقال الخويي فايدة البدل انه لما ذكر حسن الطريق باستقامته وسهولة سلوكه وسرعة الوصول به الى المقصد فان الصراط المستقيم اقرب الطرق حسن ان يذكر معه حسن الرفقا فان الطريق الحسن الطيب قد يترك ويختار غيره لحسن الرفقا فبين تعالى ان هذا الطريق جامع لحسنه في نفسه وحسن الرفقا فيه واختير البدل على الوصف حذرا من الطول اذ كان يقال الذي هو للذين انعمت عليهم مع ما فيه من تكرير الموصول وقال غيره المراد بالصراط الثاني غير الاول والمراد به العلم بالله قال السمين وتخريجه على هذا ان يكون معطوفا على حذف منه حرف العطف قال في الكشاف واطلق الانعام ليشمل كل انعام فان من انعم عليه بنعمة الاسلام لم تبق نعمة الا اصابته واشتملت عليه قال الخويي الانعام نفع العالي من دونه بامر عظيم خاليا عن العوض والمنفعة قال الراغب هو ايصال الاحسان الى الغير ولا يقال الا اذا كان الواصل اليه من العقلا لا يقال انعم على فرسه وقرا عمر صراط من انعمت وفي عليهم عشر قراات ذكرها ابن جني في المحتسب عليهم بكسر الها وضمها مع سكون الميم عليهم بكسر الها والميم عليهمي كل ذلك بالاشباع عليهم بكسر الها وضم الميم عليهمو كذلك بالاشباع عليهم بضمها عليهمو كذلك بالاشباع عليهم بضم الها وكسر الميم عليهمي كذلك بالاشباع **غير المغضوب عليهم** اما صفة للذين انعمت عليهم على معنى ان المنعم عليهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله والضلال وصح وصف المعرفة بغير وان كانت لا تتعرف بالاضافة لان ذاك في شي له اضداد واما اذا كان شي له ضد واحد ثم اضيفت غير الى ذلك الضد فانها تتعرف لا محالة نحو عليك بالحركة غير السكون والمنعم عليهم ضدهم المغضوب عليهم فصار معرفة وقيل لما كان الذين انعمت عليهم لم يقصد بهم قصد اشخاص باعيانهم قرب من النكرة وغير المغضوب وان كان نكرة قريب من المعرفة للاضافة الى المعرفة فتوافقا واما بدل من الذين على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال وقيل بدل من صراط الذين على معنى صراط غير المغضوب عليهم وقيل من الضمير في عليهم وقرئ بنصب غير حالا على معنى انهم حصل لهم الانعام وهم موصوفون بانهم لا يغضب عليهم ابدا فعلى هذا يكون تتميما واحتراسا قال الخويي فان قيل ما الحكمة في انه لم يعطف بحرف ولم يقل انعمت عليهم ولم يغضب عليهم كما قال الذين امنوا ولم يلبسوا الذين امنوا ثم لم يرتابوا قلنا الجواب المشهور انه لو قال ولم يغضب عليهم كان يقول ولم يضلوا فلا يكون الاتيان متواخية والذي نقوله انه وصفهم بكونهم منعما عليهم وعدم كونهم مغضوبا عليهم لكن الانعام ليس بامر من جهتهم لانا لا نحكم لا يكون الانعام الا اذا كان بغير عوض فالانعام عليهم من جهة الله وعدم الغضب عليهم امر من جهتهم حيث لم يكفروا بنعم الله فذكر الله انعمت عليهم لان صيغة الفعل تعلقها بالفاعل اقوى وقال غير المغضوب عليهم لان هذا الامر تعلقه بالمفعول اقوى ولو قال ولم تغضب عليهم كان فيه اسناد الغضب الى الله والله تعالى ينسب الرحمة الى نفسه كثيرا ولا ينسب الغضب الى نفسه كثيرا الا اذا ذكر سببه وايضا فقوله انعمت مسند الى ما يشعر

بعظم

بعظم الانعام لان العظيم اذا كان له انعام يكون عظيما ولو قال لصراط المنعم عليهم لم يفد ذلك لان الفقير اي شي اعطي يكون ذلك انعاما في حقه وقال ابن جني لما ذكر النعمة صرح بالخطاب لموضع التقرب الى الله بذكر نعمته واسند النعمة اليه فلما صار الى ذكر الغضب زوى عنه لفظه فلم ينسبه اليه لفظا وانحرف الى الغيبة تفاديا عن نسبة الغضب اليه في اللفظ حال المواجهة وانحرف الى الغيبة وقال السمين اتى بصلة الذين فعلا ماضيا ليدل على ثبوت انعام الله عليهم وتحقيقه لهم واتى بصلة ال اسما ليشمل سائر الازمان وجاء به مبنيا للمفعول تحسينا للفظ لان من طلبت منه الهداية ونسبة الانعام اليه لا يناسبه نسبة الغضب اليه لانه مقام تلطف وترفق فطلب الاحسان فلا يحسن مواجهته بصفة الانتقام قيل وفي هذه الجملة نوع غريب في الالتفات وهو بنا الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله او بكلمة ذكره صاحب الاقصى القريب وغيره وقد سمعت ان بعضهم ذكر في الفاتحة عدة التفات ولم اقف عليه وقد تتبعتها على اختلاف قراآتها فوجدت بها خمسة التفاتات **اولها** رب العالمين اذا نصب على النداء بعد الحمد لله **ثانيها** مالك اذا نصب عليه او اياك بعد جر الرحمن الرحيم او مالك **ثالثها** نعبد بعد اياك في قراءة الحسن **رابعها** واياك نستعين اهدنا بعد نعبد في قراءة الحسن **خامسها** غير المغضوب بعد انعمت **الراغب** الغضب ثوران دم القلب ارادة الانتقام واذا وصف الله به فالمراد به الانتقام دون غيره **ولا الضالين** دخلت لا لما في غير من معنى النفي او هي بمعنى غير كما قرئ وغير الضالين الكرماني في دخولها فوايد **احدها** تعيين عطف الضالين على المغضوب عليهم ولولا دخولها احتمل عطفه على الذين اي وصراط الضالين لان اللفظ يحتمل ذلك وان كان المعنى ياباه وعلى هذا اقتصر الكرماني **الثانية** دفع توهم انه وصف للمغضوب عليهم لان العرب قد تعطف النعت بالواو **الثالثة** افادة نفيها مجموعين ومفترقين قال الامام **فان قلت** من انعم الله عليه امتنع ان يكون مغضوبا عليه وان يكون من الضالين فما الفايدة في ذكرها **قلت** الايمان انما يكمل بالرجا والخوف فقوله صراط الذين انعمت عليهم يوجب الرجا الكامل وما بعده يوجب الخوف الكامل **وح** يقوى الايمان بركنيه وطرفيه وينتهي الى حد الكمال **وقال** الطيبي فان الكفار قد شاركوا المؤمنين في انعام كثير بين بذلك ان المراد ليس الا نعمة واحدة وقال غيره النكتة في ذكرهما افادة ان المهتدين ليسوا يهودا ولا نصارى لان المراد بالمغضوب عليهم اليهود وبالضالين النصارى كما صح التفسير بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذي وابن حبان ونقل ابن ابي حاتم اجماع المفسرين عليه ووجهه الراغب بان كل فريق خص بصفة كانت اغلب عليه وان شارك الاخر وصفه وبذلك سقط سوال الخويي ان كل مغضوب عليه ضال فما الحاجة الى ذكر الضالين وسقط سواله ايضا ان المغضوب عليه اسوا حالا من الضال والقاعدة تاخيرا الابلغ لان اليهود اسبق واقدم زمانا ولهذا اعقبت الفاتحة بسورة البقرة وجميع ما فيها من خطاب اهل الكتاب لليهود

خاصة ثم بسورة آل عمران واكثر ما فيها من خطابهم للنصارى وختمت بقوله وان من اهل
الكتاب لمن يؤمن بالله في النجاشي واصحابه من مؤمني النصارى وهذا من وجوه
مناسبة ترتيب السورتين كانه لما ذكر في الفاتحة الفرق بقي فيض في كل سورة
مما بعدها حال فريق على الترتيب الواقع فيها **الراغب** الضلال العدول
عن الطريق المستقيم وتضاده الهداية **قال** الجوبي هو فقد المطلوب بعد حصوله
قلت وفي هذه الاية مع ما قبلها طباق لان الاول بين اهدنا والضالين والثاني
بين انعمت والمغضوب واذا تاملت ما اوردناه في هذه السورة على وجازتها
من الاسرار اللطيفة والنكت البديعة علمت مناسبة الافتتاح بها وكونها ام القران
وافضله واعظم سورة هذا مع انه على كثرته بالنسبة اي ما اشتملت عليه
عما لا ندركه انها منا كنقطة من بحر وقد ورد عن علي رضي الله عنه انه قال
لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير ام القران لفعلت **سورة البقرة**
قد اشرت انفا الى وجه مناسبة تعقيب الفاتحة بهذه السورة ثم بال عمران
وهو ما ظهر لي وقال بعض الائمة تضمنت سورة الفاتحة الاقرار بالربوبية
والالتجاء اليه في دار الاسلام والصيانة عن دين اليهود والنصارى وسورة
البقرة تضمنت قواعد الدين وال عمران مكملة لمقصودها فالبقرة بمنزلة اقامة
الدليل على الحكم وال عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم ولهذا ورد فيها
ذكر المتشابه لما تمسك به النصارى واوجب الحج في ال عمران واما في البقرة
فذكر انه مشروع وامر باتمامه بعد الشروع فيه وكان خطاب النصارى في
ال عمران اكثر كما ان خطاب اليهود في البقرة اكثر لان التوراة اصل والانجيل
فرع لها والنبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة دعى اليهود وجاهدهم
وكان جهاده للنصارى في اخر الامر كما كان دعاوه لاهل الشرك قبل اهل الكتاب
ولهذا كانت السور المكية فيها الدين الذي اتفق عليه الانبيا فخوطب به جميع
الناس والسور المدنية فيها خطاب من اقر بالانبيا من اهل الكتاب والمومنين
فخوطبوا يا اهل الكتاب يا بني اسرائيل يا ايها الذين امنوا **واما** سورة النساء فتضمنت
احكام الاسباب التي بين الناس وهي نوعان مخلوقة لله ومقدورة لهم
كالنسب والصهر ولهذا افتتحت بقوله اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق
منها زوجها ثم قال واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام فانظر هذه المناسبة
العجيبة في الافتتاح وبراعة الاستهلال حيث تضمنت الاية المفتتح بها ما اكثر
السورة في احكامه من نكاح النساء ومحرماته والمواريث المتعلقة بالارحام وان
ابتداء هذا الامر كان بخلق ادم ثم خلق زوجه منه ثم بث منهما رجالا ونساء
في غاية الكثرة **واما المائدة** فسورة العقود تضمنت بيان تمام الشرايع ومكملات
الدين والدنيا بعهود الرسل وما اخذ على الامة بها فهي الدين ثم سورة التكميل
لان فيها تحريم الصيد على المحرم الذي هو من تمام الاحرام وتحريم الخمر الذي هو من تمام
حفظ العقل والدين وعقوبة المعتدين من السراق والمحاربين الذي هو من تمام حفظ
الدماء والاموال واحلال الطيبات الذي هو من تمام عبادة الله ولهذا ذكر فيها

ما يختص لشريعة محمد صلى الله عليه وسلم كالوضوء والتيمم والحكم بالقران على كل ذي
دين ولهذا اكثر فيها من لفظ الاكمال والاتمام وذكر فيها ان من ارتد عوض الله
بخير منه ولا يزال هذا الدين كاملا ولهذا ورد انها اخر ما نزل لما فيها من اشارات
الختم والتمام **وهذا الترتيب** بين هذه السور الاربع المدنيات من احسن
الترتيب **وقال** بعضهم افتتحت البقرة بقوله الم ذلك الكتاب فانه اشارة الى
الصراط في قوله اهدنا الصراط المستقيم كانهم لما سالوا الهداية الى الصراط
قيل لهم ذلك الصراط الذي سالتم الهداية اليه هو الكتاب كما اخرج ابن جرير وغيره
من حديث علي مرفوعا الصراط المستقيم كتاب الله واخرجه في المستدرك
عن ابن مسعود موقوفا وهذا معنى حسن يظهر فيه ارتباط سورة البقرة بالفاتحة
وقال الخويي اوايل هذه السورة مناسبة لاواخر سورة
الفاتحة لان الله تعالى لما ذكر ان الحامدين طلبوا الهدى قال قد اعطيتكم ما طلبتم
هذا الكتاب هدى لكم فاتبعوه وقد اهتديتم الى الصراط المطلوب المسوول ثم انه
ذكر في اوايل هذه السورة الطوايف الثلاثة الذين ذكرهم في الفاتحة فذكر الذين
على هدى من ربهم وهم المنعم عليهم والذين اشتروا الضلالة بالهدى وهم الضالون
والذين باءوا بغضب وهو المغضوب عليهم واما تسميتها سورة البقرة فلما فيها من
قصة البقرة العجيبة شانها وعادة العرب تسمية الجملة من الكلام والقصيدة
الطويلة بما هو اشهر فيها او اشد ندرة او له استغرابا ونحو ذلك ورد في اشتهر
تسميتها فسطاط القران لعظمها ولما جمع فيها من الاحكام والامثال والمواعظ التي
لم تجتمع في غيرها وفي الحديث ان لكل شيء سناما وسنام القران البقرة وقد صح في فضلها
احاديث كثيرة ذكرتها في ترجمان القران وفي خمايل الزهر **وقال**
ابن العربي سمعت بعض اشياخي يقول في هذه السورة الف امر والف نهي والف
حكم والف خبر **وقال** غيره فيها خمسماية حكم وخمسة عشر مثلا وانتهت معاني ايات
الرحمة والرجاء والعذاب فيها الى ثلاث مائة وستين **وفيها اية الكرسي**
سيدة اي القران واية الدين اطول اية في القران واخر اية نزلت
واتقوا يوما الاية وخواتيمها اعطيها ليلة الاسرا من كنز تحت العرش وفيها
الاسم الاعظم وفيها مكي ومدني وحضري وسفري وليلي ونهاري وارضي وسماوي
وما نزل مشيعا وما نزل مفردا وفيها ناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه الى غير ذلك
الم افتتح سبحانه بالحروف المقطعة تسعا وعشرين سورة وفيها اقوال كثيرة
واستوعبتها في الاتقان واصحها سبعة اقوال ارجحها انها من المتشابه الذي لا يعلم
تاويله الا الله اخرج ابن المنذر عن الشعبي قال ان لكل كتاب سرا وان سر هذا
القران فواتح السور والسر في ذلك ان الحكيم اذا صنف كتابا اجمل فيه احيانا
ليكون موضع خضوع المتعلم لاستاذه وكالملك يتخذ علامة يمتاز بها من يطلعه
على سره وليلا يستمر العالم في ابهته العلم على التمرد فذلك يستانس الى التذلل
والعبودية والمتشابه هو موضع خضوع العقول لبارئها استسلاما واعترافا
بقصورها وقيل هي اشارة الى اسماء من اسمايه تعالى كل حرف في اسم من باب الاكتفا وهو

من انواع كلام العرب وفنون بلاغتهم وقيل هي فواتح للسور كما يقولون في اول القصايد
بل ولا بل وقيل تنبيهات كالا واما التي تستفتح بها العرب كلامهم للتنبيه قال
الخويي وانما عدل عن الالفاظ المشهورة في التنبيه لان القران كلام لا يشبه الكلام
فناسب ان يوتي فيه بالفاظ تنبيه لم تعهد ليكون ابلغ في قرع سمعه وقد ورد ان الكفار
كانوا اذا سمعوا القران لغوا فيه فانزل الله هذا النظم البديع ليعجبوا منه ويكون
تعجبهم منه سببا لاستماعهم واستماعهم له سبب لاستماع ما بعده فترق القلوب
وتلين الافيدة وقيل هي اشارة الي ان القران مولف من الحروف التي هي اب ت ث
فجا بعضها مقطعا وبعضها وجا تمامها مولفا ليدل القوم الذين نزل القران بلغتهم
انه بالحروف التي يعرفونها فيكون ذلك تقريعا لهم ودلالة علي عجزهم ان ياتوا
بمثله بعد ان علموا انه منزل بالحروف التي يعرفونها ويبنون كلامهم منها وقيل
المقصود بها الاعلام بالحروف التي يتركب منها الكلام فذكر منها اربعة عشر حرفا
وهي نصف جميع الحروف في تسع وعشرين سورة علي عدد الحروف وذكر من كل جنس
نصفه فمن حروف الحلق الحا والعين والها ومن التي فوقها الكاف والقاف ومن الحرفين
الشفهيين الميم ومن المهموسة السين والحا والكاف والصاد والها ومن الشديدة
الهمزة والطا والقاف والكاف ومن المطبقة الطا والصاد ومن المجهورة الهمزة
واللام والميم والعين والرا والطا والقاف والبا والنون ومن المنفتحة
الهمزة والميم والرا والكاف والها والعين والسين والحا والقاف والبا والنون
ومن المستعلية القاف والصاد والطا ومن المنخفضة الهمزة واللام والميم والرا
والكاف والها والبا والعين والسين والحا والنون ومن القلقلة القاف والطا
واذا استقريت الكلام وجدت هذه الحروف هي اكثر دورانا مما بقي ودليله
ان الالف واللام لما كانت اكثر تداورا جاءت في معظم هذه الفواتح ثم انه تعالي
ذكر حروفا مفردة وحرفين حرفين وثلاثة ثلاثة واربعة وخمسة لان تراكيب
الكلام علي هذا النمط ولا زيادة علي الخمسة كما ذكره صاحب الكشاف وقال ابن
الزملكاني الم اشارة الي الحروف المعجمة التي منها الم فتكون علي هذا الم اسما للحروف
المعجم اجمع كما يستدل ببعض الشي علي كله نحو قرات قفا نبك وانما خص الم بالتسمية
لان الهمزة من الرية فهي اعمق الحروف واللام مخرجها من طرف اللسان ملصقة بصدر
الغار الاعلي من الفم فصوتها يملا ما وراها من هوا الفم والميم مطبقة لان مخرجها
من بين الشفتين اذا اطبقتا ولذلك ساير الحروف التي هي من فواتح السورة
لها شان ليس لغيرها ثم لما انزل القران كررها واخبر ان ذلك الكتاب الموعود به
نزله وقيل هي اسما للقران كالفرقان والذكر ولهذا لم يذكر بعدها الا ما يتعلق
بالقران كقوله الم ذلك الكتاب المص كتاب انزل اليك المص كتاب انزل اليك
الر تلك ايات الكتاب طه ما انزلنا عليك القران لتشقي طسم تلك ايات الكتاب
يس والقران ص والقران ق والقران حم تنزيل الكتاب الا ثلاث سور ليس فيها ما يتعلق
به العنكبوت والروم ون وحكمة ذلك

12

وقيل هي اسم للسور ولهذا ناسب كل سورة ما بديت به حتي لم يكن لترد الم في موضع الر
ولا حم في موضع طس وذلك ان كل سورة بديت بحرف منها فان اكثر كلماتها وحروفها
مماثل له فحق لكل سورة ان لا يناسبها غير الوارد فيها فلو وضع ق موضع ن لم يمكن لعدم
التناسب الواجب مراعاته في كلام الله فالم جمعت المخارج الثلاثة الحلق واللسان
والفم علي ترتيبها وذلك اشارة الي البداية التي هي بدا الخلق والنهاية التي هي المعاد
والوسط الذي هو المعاش من التشريع بالاوامر والنواهي وكل سورة افتتحت بها
فهي مشتملة علي الامور الثلاثة وزيد عليها صاد في الاعراف لما فيها من شرح القصص
قصة ادم فمن بعده من الانبيا ولما فيها من قوله فلا يكن في صدرك حرج ولهذا
قال بعضهم معني المص الم نشرح لك صدرك وزيد في الرعد را لاجل قوله
رفع السموات ولاجل ذكر الرعد والبرق وغيرهما وقد تكرر في يونس من الكلام
الواقع فيه الرا مايتا كلمة او اكثر فلهذا افتتحت بالر واشتملت سورة ص علي خصومات
متعددة فاولها خصومة النبي صلي الله عليه وسلم مع الكفار وقولهم اجعل الالهة
الها واحدا ثم اختصام الخصمين عند داود ثم تخاصم اهل النار ثم اختصام الملا الاعلي
ثم تخاصم ابليس في شان ادم ثم في شان بنيه واغوايهم
وسورة ق بديت به لما تكرر فيها من الكلمات بلفظ القاف
فيها نحو ستين قافا وقال صاحب المناجاة الانسب ان يقال ان لكل
فاتحة في سورة سببا ولطيفة غير ما في الاخري فيقال الم في البقرة قسم بالكتاب
لقوله بعده ذلك الكتاب وفي ال عمران قسم بالله لقوله بعده الله لا اله الا هو
وفي الاعراف قسم بالنبي صلي الله عليه وسلم لقوله بعده كتاب انزل اليك فلا يكن في
صدرك حرج خطابا له عليه السلام ولا يخفي علي اللبيب حسن الجمع منها بما في هذه
السور الثلاث بين القسم بالمنزل والمنزل والمنزل اليه وفي الرعد قسم باعظم ايات
ومخلوقاته لقوله بعده الله الذي رفع السموات وفي العنكبوت باكرم انواع المخلوقات
وهو نوع البشر لقوله بعده احسب الناس الاية وفي الروم باكرم من النوع
الاكرم وهم الانبيا عليهم السلام وفي لقمان بالوساطة من النوع الاكرم وهي
طايفة الاوليا وفي تنزيل بالصنع البديع والامكان العجيب في خلق السموات والارض
وما بينهما من المخلوقات في ستة ايام وكذلك ان تراعي هذه المناسبة في السور
المنكر فيها الحمد ففي الفاتحة باعتبار الربوبية للعالمين وفي الانعام باعتبار خلقه
السموات والارض واحداث ابني الليل والنهار لنشاورها بقوله وجعل الظلمات
والنور والكفر والاسلام وفي الكهف باعتبار انزال الكتاب وفي سبا باعتبار
تملكه لسائر ما تضمنته السموات والارضين وفي فاطر باعتبار تخصيصه صنف
الملك بخواص تشعر باجتبايه لهذا النوع من المخلوقات وتصريفهم في اهل الارض
قال فهذه قاعدة عزيزة اعطينها لنتصرف بها في جميع ما تكرر في القران علي هذا الوجه
انتهي ذلك الكتاب اوقع ذلك اشارة به للغريب والقران حاضر تنزيلا له منزلة

البعيد لعلو مرتبته قال الراغب في مفرداته يقول يا زاهدا في المستبعد بالشخص او بالمنزلة
ذاك وذلك وقال غيره الاشارة اذا كانت الى غير غيره جاز فيها ذلك وهذا كقوله
هذا ما توعدون ذلك ما كنت منه تحيد لا ريب فيه نفي الريب على سبيل الاستغراق
مع وجوده من المرتابين تنزيلا له منزلة عدمه لقيام الدليل الذي لو طمع على نفسه
هو ل عليه ذكره جماعة من اهل البيان وفي الكشاف فان قلت كيف نفي الريب
على سبيل الاستغراق وكم من مرتاب فيه قلت ما نفي ان احدا لا يرتاب فيه وانما المنفي
كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث
لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه وقيل هو نفي بمعنى النهي والريب اخص من الشك لانه شك
مع تهمة قال ليس في الحق يا امامه ريبة انما الريب ما يقول الكذوب
ذكره جماعة وقال الحوفي الشك لما استوى فيه الاعتقادان او لم يستويا ولكن
لم ينته احدهما الى درجة الظهور الذي يبنى عليه العقلاء الامور المعتبرة والريب
لما لم يبلغ درجة اليقين وان ظهر نوع ظهوره ولهذا احسن لا ريب فيه هنا لانه
بيان يكون الامر ظاهرا بالغا درجة اليقين بحيث لا يحصل فيه ريب فضلا عن شك
وقال غيره لا ريب فيه اخف من لا شك لثقله بالادغام ولهذا اكثر ذكره
الريب فيه واخر الظرف لان تقديمه يوهم اختصاصه بذلك ووجود الريب
في ما عداه من الكتب المنزلة مع براءتها منه كما ان تقديمه في لا فيها غول افاد ثبوته
في خمر الدنيا قال اهل البيان وهذه الجملة منزلة مع الجملة قبلها منزلة
التاكيد المعنوي من متبوعه في افادة التقرير مع الاختلاف في معنى الجملتين
فانه لما بولغ في وصف الكتاب ببلوغه الدرجة القصوى في الكمال
حيث جعل المبتدا ذلك الدال على كمال العناية بتمييزه والتوسل ببعده الى التعظيم
وعلو الدرجة وتعريف الخبر باللام الدالة على الانحصار فمعنى ذلك الكتاب انه
الكتاب الكامل الذي يستحق ان يسمى كتابا حتى كان ما عداه من الكتب في مقابلته
ناقص ليس بكتاب جاز ان يتوهم السامع قبل التامل انه في ذلك مجازا فاتبع بقوله
لا ريب فيه دفعا لهذا التوهم فهو وزان نفسه في قولك جاء زيد نفسه قالوا وقوله
هدى للمتقين منزل منها منزلة التاكيد اللفظي في اتحاد المعنى فان معناه انه في
الهداية بالغ درجة لا يدرك كنهها لما في تنكير هدى من الابهام والتفخيم والاتيان
به دون هاد حتى كانه هداية محضة وهذا معنى ذلك الكتاب لان معناه الكتاب
الكامل اي في الهداية اذ هي المقصود من الانزال فهو وزان زيد الثاني في جاء زيد
والهدى مصدر قالوا ولم يجئ من المصادر على وزنه الا سرى وبكى ونقى وفي
مفردات الراغب الهدى والهداية في موضع اللغة واحد لكن قد خص الله تعالى لفظ
الهدى قال والاهتداء يختص بما يتحراه الانسان على طريق الاختيار اما في الامور
الدنيوية او الاخروية وخص الهدى بالمتقين لانتفاعهم به كقوله انما انت منذر
من يخشاها وكان منذرا له ولغيره وقيل اطلاق الوصف باعتبار ما يؤول اليه
واصل الكلام هدى للضالين الصايرين الى التقوى بعد الضلال فاختصر الكلام
ايجازا وتصديرا للسورة التي هي اول القرآن بذكر اولياء الله والمرتضين من عباده

دعن

وعن ابي الانباري ان التقدير هدى للمتقين وغيرهم فحذف اكتفاء كقوله سرابيل تقيكم
الحر قال الحوفي وانما قال في اية رمضان انزل فيه القرآن هدى للناس لان
المقصود بيان شرف الشهر كونه زمان نزول اشرف الاشياء وهو القرآن فاعتبر
نفعه العام الذي بالصلاحية فان ذلك ادخل في بيان شرفه ولذلك قال بعده وبينات
من الهدى والفرقان الراغب حقيقة التقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف ثم يسمى
الخوف تارة تقوى والتقوى تارة خوفا بحسب تسمية المقتضى بمقتضيه والمقتضي
بمقتضاه وصار التقوى في عرف الشرع حفظ النفس عما يوثم ابن جماعة قال هنا
للمتقين وفي لقمان للمحسنين لانه لما ذكر هنا مجموع الايمان ناسب المتقين ولما ذكر
ثم الرحمة ناسب المحسنين وفي اعراب هذه الجمل احتمالات قال
الزمخشري وغيره والاولى بالبلاغة الاعراب عن ذلك واعراب كل جملة مستقلة
برأسها فالم جملة وذلك الكتاب ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة
وانما ترك العطف لشدة الوصل لان كل جملة متعلقة بما قبلها آخذة بعنقها تعلقا
لا يجوز معه الفصل بالعطف فتناسقت على احسن نظام لانه نبه اولا على الكلام
المتحدى به ثم ثنى بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال وكان تقريرا لجهة التحدي
وشدا لاعضاده ثم نفى عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا
بكماله لانه لا اكمل مما للحق واليقين ولا انقص مما للباطل والشبهة
ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله
وحقا لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل واحدة من الجمل الاربع
بعد ان رتبت هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة
ففي الاولى الحذف والرمز الى الغرض باللطف وفي الرابعة حذف المبتدا ووضعه
المصدر موضع الصفة وايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين انتهى الذين يؤمنون
بالغيب الاية قال الاصبهاني في هذه الجملة كاشفة لحال المتقين لاشتمالها
على فعل الحسنات وترك السيئات اما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الايمان الذي هو
اساس الحسنات واصلها وذكر الصلاة والصدقة لان هاتين اما العبادات
البدنية والمالية وهو العيار الذي يقاس به غيره عليه فان من كانت فيه هاتان
العبادتان كان ذلك دليلا على انه يقيم سائر العبادات ولذلك سمى النبي صلى الله
عليه وسلم الزكاة عماد الدين والصلاة قنطرة الاسلام فلما كانتا بهذه المثابة
كان من شانهما استجرار سائر العبادات واستتباعها ومن ثم اختصر الكلام اقتصارا
بان استغنى عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها والذي اذا وجد لم تتوقف
اخواته ان تقترن به مع ما في ذلك من الافصاح عن هاتين العبادتين واما الترك
فكذلك ينطوي تحت ذكر الصلاة الا ترى الى قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
انتهى وقد وقع ترتيبها على اللائق من تقديم الاشرف فالاشرف الامام اما قدم الترك
الذي هو الترك على الفعل الذي هو الايمان والصلاة والزكاة لقاعدة تقديم التخلية
على التحلية قال الراغب والايمان التصديق الذي معه امن واما قوله يؤمنون
بالجبت والطاغوت فهو على سبيل الذم لهم بانهم قد حصل لهم الامن بما لا يقع به الامن

قال غيره وانما عدي بالباء لتضمنه معنى الاقرار والاعتراف وانما عبر بيؤمنون دون يصدقون لما فيه من زيادة معنى الامن ومن تضمن معنى الاقرار والاعتراف ولانه اخف والغيب مصدر موضع الفاعل اي بما غاب عنهم مما لم يروه وذلك الله والجنة والنار وعبر به لانه اخف من لفظ الغائب واقتصر عليه لانه امدح وقد قيل ان فيه اكتفاء اي والشهادة على حد بيدك الخير او على بابه اي يؤمنون بالله حال كونهم بالغيب اي غائبين عنه كقوله لم اخنه بالغيب واقامة الصلاة اداؤها والمحافظة عليها باركانها وسننها قال الراغب اقامة الشيء توفية حقه قال ولم يامر الله بالصلاة حيث امر ولا مدح حيث مدح الا بلفظ الاقامة تنبيها ان المقصود توفية شرائطها لا الاتيان بهيأتها الا في قوله فان تابوا واقاموا الصلاة فقد قيل عني به الاقرار بوجوبها لا اداؤها انتهى وذكر الحوفي نحوه وزاد ولهذا لم يذكر في حق المنافقين لفظ الاقامة بل قال واذا قاموا الى الصلاة ولا ياتون الصلاة الا وهم كسالى وقال في حق السكران لا تقربوا الصلاة وانما قال لا تقيموها وقال في اية الوضوء اذا قمتم الى الصلاة لانه شرط لكل صلاة لا للصلاة التي يوفى بها على احسن حال ولو قال اذا اقمتم كان واجبا في الصلاة المؤداة بالخشوع والخضوع وهو واجب في الصلاة كيف كانت الامام اختلف في تفسير اقامة الصلاة فقيل تعديل اركانها من اقام العود اذا عدله وقيل المواظبة عليها من قامت السوق وقيل التشمر لادائها من قامت الحرب على ساق وقيل اداؤها تعبيرا عن ذلك بالقيام لانه بعضها كما عبر عنها بالركوع وبالسجود لذلك قال الطيبي فعلى الاول يكون في قوله يقيمون الصلاة استعارة تبعية وعلى الثاني كناية تلويحية وعلى الاخيرين مجاز في الاسناد وادخال من التبعيضية في مما رزقناهم صيانة عن الاسراف والتبذير وعبر بالانفاق دون الصدقة ليعمها وكل انفاق في سبيل الخير وقدم المتعلق للفاصلة وقال الاصبهاني دلالة على كونه اهم كانه قال ويخصون بعض المال بالتصدق به وقال الحوفي تهوينا لامر الانفاق فان الانفاق اذا كان مما اتاهم الله لا يصعب لا في الحال ولا في المال اما في الحال فلان ذلك ليس شيئا اوجده هو بصنعه ولا حصله بجمعه بل الله اعطاه واما في المال فان من رزق وهو كريم غني لا ينقطع الرزق فيسهل ح امر الانفاق قال والرزق اعطاء الحي من دونه ما ينتفع به والانفاق اخراج المال في وجه المصلحة فتنبيه للتبذير والتضييع والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك قال الاصبهاني يحتمل ان يكونوا هم الاولون وانما وسط العاطف كما توسط بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد انهم الجامعون بين تلك الصفات ومدحوا بها وعلى هذا الاتيان في جميع المؤمنين سواء كانوا من العرب او من اهل الكتاب ويحتمل اختصاص الثانية بمؤمني اهل الكتاب لانه لما كانت السورة مدنية وقد شرف الله المؤمنين بقوله هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ذكر بعد ذلك اهل الكتاب الذين امنوا بالرسل كعبد الله بن سلام ونظرائه فان في هذا التخصيص مزيد تشريف لهم واستدعاء ترغيب لامثالهم في الدين

وقوله

وقوله بما انزل اليك اي القران كله وعبر عنه بلفظ الماضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد وتنزيلا للمنتظر النزول منزلة النازل وقال الحوفي الاول ايمان بالامور النظرية والثاني بالامور السمعية قال وانما قال هنا ومما رزقناهم دون ومما رزقنا ولم يقل هنا بما انزلنا اليك بل انزل بالبناء للمفعول لان بعض الكفار كان يتوهم ان الرزق من غير الله كالكوكب وكياسة الرجل فقال مما رزقناهم فعال لذلك قال واستعمال قبل من حسن فيما يقتضي الاستمرار وفائدته هنا ان ما انزل اليهم مستمر لم يبطل ازاله بنزول ما انزل الى النبي صلى الله عليه وسلم وانما انتهى حكمه وتلاوته وبالاخرة اي بالدار الاخرة او بالحياة الاخرة الا انه تعالى حيث صرح بموصوف الاخرة ذكر الدار دون الحياة وحيث صرح بموصوف الدنيا ذكر الحياة دون الدار وذلك لان الدار للاقامة وهي تنبئ عن المكث والقرار واما الحياة في النفس فعرض قائم بها فقال دار الاخرة ليعلم انها للاقامة ولم يقل دار الدنيا لانها ليست للاقامة وقال الحياة الدنيا لانها عرض ذكره الحوفي هم يوقنون قال صاحب الكشاف في تقديم بالاخرة وبناء يوقنون على هم تعريض باهل الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات امر الاخرة على خلاف حقيقته وان قولهم ليس بصادر عن ايقان وان اليقين ما عليه من امن بما انزل اليك وما انزل من قبلك الامام اليقين العلم بالشيء بعد ان كان صاحبه شاكا فيه فلذلك لا يقال تيقنت وجود نفسي وان السماء فوقي ويقال ذلك في العلم الحادث بالامور ضرورة كان او استدلاليا انتهى فلذلك عبر به هنا لان الاية ان كانت في غير اهل الكتاب فواضح انهم كانوا في شك من امر الاخرة او فيهم فقد كانوا فيها على غير علم حيث قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة الى غير ذلك من اعتقاداتهم الفاسدة فيها وقد زالت كلها بايمانهم وحصل اليقين الراغب اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية واخواتها يقال علم يقين ولا يقال معرفة يقين وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم قال الاصبهاني وهذه الجملة من عطف الخاص على العام لان الغيب يعم الاخرة وغيرها وقال الكرماني في هذه زيادة وصف لم يدخل تحت الايمان لان المقلد مؤمن موفق واليقين علم يحصل بالدليل وقال الحوفي فان قيل الايمان بالله وبالرسول ليس دون الايمان بالاخرة فكيف قدم المعمول هنا التقديم المؤذن بالاهتمام خلاف ذلك فالجواب ان الخوف من الكفر بالاخرة اشد واكثر فوجب الاهتمام به لان دلائل الوحدانية لائحة ودلائل النبوة بالاعجاز وامر الاخرة انما يتيقن باخبار الله ورسوله لا بدليل نظري فاكدها بالتقديم وبالضمير الطيبي وزان قوله تعالى هدى للمتقين الى يفقهون وزان قوله الحمد لله رب العالمين الى مالك يوم الدين ووزان قوله اياك نعبد واياك نستعين وزان اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون قال وههنا سر دقيق وهو انه تعالى حكى في اول الفاتحة مدح العبد لباريه بسبب احسانه اليه وترقي فيه ثم مدح

في اول البقرة عبوه بسبب هدايته ونوفي فيه على اسلوب واحد **اولئك على هدى**
من ربهم واولئك هم المفلحون فيه الاستيناف البياني كانه قيل ما للمتصفين
بهذه الصفات فاجيب بذلك وجي باسم الاشارة ايذانا بان المذكورين قبله
اهل لاكتساب ما يورد بعده من اجل الخصايص التي عددت لهم وفي على التي
للاستعلا تمثيل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت حالهم
بحال من اعتلى الشي وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل فهو استعارة تمثيلية
تبعية وانما نكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه لا يقال لو ابصرت زيدا لا
ابصرت رجلا **قال** الكرماني وانما اعيد ذكر الهدى وقد تقدم لبيان ان الهدى
المذكور من الله لا من غيره كما زعم بعضهم ان الهدى من عند انفسهم وفي تكرير
اولئك تنبيه على انهم كما ثبت لهم الاختصاص بالهدى ثبت لهم الاختصاص
بالفلاح فجعلت واحدة من الاثرتين اي الاختصاصين في تميزهم بها عن غيرهم
بالمثابة التي لو انفردت كانت متميزة على انفرادها واعيد العاطف لاختلاف
الخبرين بخلافه في اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فانهما
متفقان لان التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهايم شي واحد لان التشبيه
من حيث المعنى وهو الغفلة لا من حيث الغفلة والصورة فكانت الجملة
الثانية مقررة لما في الاولى متصلة بها كمال الاتصال فخلي من العطف بمعزل
وهم ضمير فصل وفايدته التاكيد والاختصاص والتعريض باهل الكتاب
الذين لم يومنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ظانون انهم على الهدى
وطامعون انهم ينالون الفلاح ولذلك عرف الخبر باللام وهو يفيد الحصر
والاختصاص ايضا والفلاح الفوز بالبغية والظفر بالمطلوب **قال**
بعضهم ليس في كلام العرب كلمة اجمع للخير من لفظ الفلاح **الراغب** الفلاح الظفر
وادراك البغية وذلك ضربان دنيوي واخروي فالدنيوي الظفر بالسعادات
التي تطيب بها الحياة الدنيا وهي البقا والغنا والعز والاخروي اربعة اشيا
بقا بلا فنا وعز بلا ذل وغنى بلا فقر وعلم بلا جهل ولذلك ورد لا عيش الا
عيش الاخرة **الحوفي** معنى افلح نجا من امر عظيم ونال خيرا كثيرا ودام فيه
ان الذين كفروا وجه انفصال هذه الاية بما قبلها انه تعالى لما تقدم ذكر اوليايه
وعباده المخلصين بصفاتهم التي هي اهلتهم لاصابة الزلفى عنده وبين ان الكتاب
هدى لهم خاصة وانهم هم الفايزون بالفلاح عقبه بذكر اضدادهم وهم الكفرة
الذين لا ينفع فيهم الهدى وسوا عليهم انذار الرسول وعدمه وقطع قصتهم
عن قصة المومنين ولم تعطف عليها كقوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم
لتباين القصتين في الغرض والاسلوب فان الاولى مسوقة لذكر الكتاب وانه هدى
للمتقين والثانية مسوقة لبيان ان الكفار صفتهم كيت وكيت الاصح في الجملة
التي تدخل عليها ان جوابا لسوال محقق او مقدر وتحقيق ذلك انها للتاكيد
فانما يحتاج لها اذا كان الخبر للمخاطب ظن بخلافه الخوبي دخول ان هنا في غاية الحسن
لامرين معنوي وهو انه قد ظهر دليل عدم انتفاعهم بالانذار لان الكتاب العزيز

المعجب المعجز الهادي نزل عليهم وبلغهم ولم يومنوا فلا يومنون بعده فوقع
التاكيد بان لقطع الطمع في ايمانهم ولفظي وهو ان لا يتوهم العطف على الذين
يومنون لو قال والذين كفروا فيكون في سياق المتقين فقوله ان الذين
كفروا لا يصلح له لا لفظا ولا معنى وموافقة اللفظ للمعنى فصاحة قال وانما
قال كفروا بلفظ الماضي ويومنون بلفظ الحال او المستقبل للمغايرة بين لفظي
القبيلين ولبلاغتهم لو قيل امنوا انصرف لمن امن قبل البعثة من غير امة
النبي صلى الله عليه وسلم او لمن امن قبل نزول هذه الاية دون من تاخر
مع ان البشارة خاصة بمن امن بعد البعثة وعامة لمن امن قبل نزول الاية
وبعدها الى يوم القيامة واما كفروا فالمضي فيه ظاهر لان المراد من
تقدم كفره على نزول الاية ممن علم الله انه لا يومن **الراغب** استعمال الكفر
في الدين اكثر والكفران في جحود النعمة اكثر والكفور فيهما جميعا **سوا** مبتدا
وجملة انذرتهم ام لم تنذرهم خبره ولا يجوز عكسه لان الجملة لا تقع مبتدا
قط ولان الاستفهام لا يتقدم عليه خبره لذا قال الاصبهاني ورجح الامام
عكسه لان هذه الجملة في تاويل المصدر المفرد والمراد وصف الانذار وعدم
الانذار بالاستوا وما كان وصفا فهو بالخبرية اليق وعليهما فالجملة خبر ان وقيل
سوا وحده خبرها وما بعده مرتفع على الفاعلية وجزم به البيضاوي والكرماني
لما وقعت سوا خبرا ان لم تعطف وقيل في يس وسوا لانها جملة مستقلة عطفت
على ما قبلها قال صاحب المناجاة ويمكن ان يقال لانه تعالى لما وصف الكفار
هنا باخص ما وصفهم به في سورة يس فانه ذكر في شانهم ايتين ولم يعطف
احداهما على الاخرى وكانت هذه التسوية مبدا اوصافهم لم تكن محلا للواو
وحيث وصفهم في يس باوصاف كثيرة متقدمة وجعل هذه التسوية اخر اوصافهم
المعطوفة بعضها على بعض كان محلا للواو **الامام والاصبهاني** فان قيل انذرتهم
ام لم تنذرهم واراده انذارك لهم وعدمه مجاز والعدول عن الحقيقة
اليه يستدعي فايدة زايدة فما هي **قلنا** قوله سوا عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم
معناه سوا عليهم انذارك لهم وعدم انذارك لهم بعد ذلك لان القوم كانوا
قد بلغوا في الاصرار واللجاج والاعراض عن الايات والدلايل الى غاية لا يرجى
لهم القبول بوجه وقبل ذلك ما كانوا كذلك ولو قال سوا عليهم انذارك
وعدم انذارك لما افاد ان هذا المعنى انما حصل في هذا الوقت دون ما قبله
ولما قال انذرتهم ام لم تنذرهم افاد ان هذه الحالة انما حصلت في هذا
الوقت فكان ذلك يفيد حصول الياس وقطع الرجا منهم الذي هو مقصود
الاية وعبر البيضاوي عن ذلك بان العدول الى الفعل لما فيه من ايهام
التجدد والهمزة وام مسلوخ عنهما معنى الاستفهام قال سيبويه جرى هذا على
صورة الاستفهام ولا استفهام كما جرى قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة
على صورة النداء ولا نداء **الراغب** الانذار اخبار فيه تخويف كما ان التبشير
اخبار فيه سرور وزاد غيره ولا يكون الا في زمن يسع الاحتراز كان لم يسع كان اعلاما

ختم الله

لا الانذار قال البيضاوي واقتصر عليه لانه اوقع في القلب واشد تاثيرا في النفس
من حيث انما دفع الضرر اهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم الانذار لم تنفع
فيهم البشارة من باب الاولى لا يؤمنون جملة موكدة للجملة قبلها او مفسرة لاجمال
ما فيها لاستوا او خبر لان وما قبلها اعتراض لتقوية الخبر وقيل هي دعا ختم الله
على قلوبهم بيان لسبب تركهم الايمان وفي الختم استعارة شبهه حكمه عليها بالكفر
والشقاوة فلا تعي الخير ولا تقبله بضرب الخاتم على الشي كتمانه وتغطيته
لئلا يتوصل اليه وخص به القلوب لانها محل العقل والعلم والفهم وعلى سمعهم
افرده بخلاف القلوب والابصار لانه مصدر والمصادر اصلها ان لا تجمع وقيل
لوقعه بين جمعين وقيل هو جمع سامع لانه جعل الاذان عضوا سامعا وقري
اسماعهم بالجمع وقدمه لانه اشرف من البصر اذ له مدخل عظيم في استكمال
العقول بوصول المعارف اليه والبصر لا مدخل له في غير المبصرات
ولان السمع متصرف في الجهات الست ويقتضي بطلانه بطلان النطق بخلافه
كما قدم القلوب لانها اشرف اعضا الانسان الكشاف يحتمل ان يكون السمع
داخلا في حكم الغاشية وفي حكم الختم والتعويل على الثاني يدل على ذلك
قوله وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولما كانت القلوب والاسماع
مجوفة كان اسناد الختم اليها اولى والابصار لما كانت بارزة ادراكها متعلق
بظاهرها كانت الغشاوة بها اليق وفائدة تكرير الجار في قوله وعلى سمعهم
ليكون ادل على شدة الختم في الموضعين فانه لو لم يتكرر لكان انتظاما وللتاكيد
في تعدية واحدة وعلى ابصارهم غشاوة التنكير فيه للنوعية اي نوع غريب
من الغشاوة لا يتعارفه الناس بحيث غطى ما لا يغطيه شي من الغشاوات
وقري بنصبه على تقدير وجعل او على حذف الجار وايصال الختم اليه بنفسه
اي وختم على ابصارهم بغشاوة بضم اوله وفتحه وغشوة بكسر اوله وفتحه
وعشاوة بعين مهملة من عشي يعشو ولهم عذاب الراغب العذاب هو الايجاع الشديد
واصل التعذيب اكثار الضرب بعذبة السوط وقيل حمل الانسان على الجوع والسهر
وتنكيره هنا للتعظيم اي نوع لا يعلم كنهه الا الله السمين والذي العذاب
ايصال الالم الى الحي مع الهوان فايلام الاطفال والبهائم ليس بعذاب عظيم
الامام الفرق بين العظيم والكبير ان الاول نقيض الحقير والثاني نقيض الصغير
فالعظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثث والمعاني
جميعا وقال الراغب عظيم الشي كبر عظمه ثم استعير لكل كبير جري
مجراه محسوسا كان او معقولا عينا كان او معنى واذا استعمل العظيم في الاعيان
فاصله ان يقال في الاجزا المتصلة والكبير يقال في المنفصلة وقد يقال فيها عظيم
ومن الناس افتتح سبحانه بذكر المومنين وثنى بذكر الكافرين ثم ثلث بذكر المنافقين
وصفا ثم اخرج الفريابي عن مجاهد قال من اول البقرة اربع ايات في نعت المومنين
واثنان في نعت الكافرين وثلاث عشرة اية في نعت المنافقين قال الاصبهاني
وقصة المنافقين عن اخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة

ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين الآية

بي

١٦

16

على الجملة من يقول راعى في ضمير من لفظها وفيما بعد راعى معناها امنا بالله
وباليوم الاخر خص الامرين بالذكر تنبيها على اعراضهم في الخبث لان القوم كانوا
يهودا وايمان اليهود بالله واليوم الاخر ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله ولن
تمسنا النار الا اياما معدودة فهو اعتقاد على خلاف صفتهم فهو كفر لا ايمان
فاذا قالوه تاليا على وجه النفاق والخديعة كان خبثا الى خبث وكفرا الى كفر
وفي تكرير الباء انهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام
كما تقدم في وعلى سمعهم الكرماني ليس في القران غيره في تكرار العامل مع العاطف
في الاثبات ولا يكون الا للتاكيد وهم اكدوا كلامهم نفيا للريبة وابعادا للتهمة
فكانوا في ذلك كما قيل يكاد المريب ان يقول خذوني فنفى الله الايمان عنهم
باوكد الالفاظ فقال وما هم بمومنين وكثر ذلك في النفي نحو لا يومنون بالله
ولا باليوم الاخر قال صاحب المناجاة ويمكن ان يقال لما كان قولهم
امنا بالله وباليوم الاخر اثباتا في الظاهر نفيا في الباطن وايمانا بالحق وقصدا
للباطل وكان في الحقيقة اثباتا في صورة النفي اعطي حكمه وعومل معاملته
من تكرار العامل مع حرف العطف وما هم بمومنين في الكشاف فان قلت
كيف طابق قوله وما هم بمومنين قولهم امنا بالله وباليوم الاخر والاول في ذكر
شان الفعل اي احدثنا الايمان لا الكفر ليس لذكر شان الفاعل والا لقال نحن
مومنون اي لا غير والثاني في ذكر شان الفاعل اي ما هم بمومنين بل غيرهم
لا لذكر شان الفعل والا لقال وما امنوا بل كفروا فكيف يتطابقان قلت
القصد الى انكار ما ادعوه ونفيه من الفعل بطريق ابلغ فسلك بذلك طريق
ادي الى الغرض المطلوب الذي هو انكار ما ادعوه وقيل من التوكيد والمبالغة
ما ليس في غيره وهو اخراج ذواتهم وانفسهم من ان تكون طائفة من طوائف
المومنين لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الايمان واذا شهد عليهم
بذلك فقد انطوي تحت هذه الشهادة نفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم بقولهم امنا
على سبيل القطع والبت ونحوه يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين
منها فانه ابلغ من وما يخرجون منها البيضاوي اطلق الايمان على معنى انهم
ليسوا من الايمان في شي ويحتمل تقييده بتقدير ما دل عليه ما قبله يخادعون
الله والذين امنوا هذه الجملة اما مستانفة جوابا لسوال مقدر وهو ما بالهم
قالوا امنا وما هم بمومنين او بدل اشتمال من جملة يقول والمخادعة مفاعلة
من الجانبين وذلك خاص بهم وبالذين امنوا وذكر الله فيها تحسين وتشريف
لجانب المومنين او هي هنا من جانب واحد كعاقبت اللص ويويده ما قري شاذا
يخدعون وقري وما يخادعون بالوجهين في السبع الا انفسهم يحتمل المجاز وهو ان
وبال خداعهم المومنين راجع الى انفسهم ويحتمل الحقيقة اي وهم في ذلك
يخادعون انفسهم حيث يمنونها الاباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به وانفسهم تخادعهم
حيث تمنيهم وتحدثهم بالاماني الراغب الخداع انزال الغير عما هو بصدده بامور
يبديه على خلاف ما يخفيه ونسب ذلك الى الله من حيث ان معاملة الرسول

كمعاملته ولذلك قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وجعل ذلك خداعا تقبيحا
لفعلهم وتعظيما وتنبيها على عظم الرسول وعظم اوليائه وقول اهل اللغة ان هذا على
حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي رسول الله فيجب ان يعلم ان المقصود
بمثله في الحذف لا يحصل لو اتى بالمضاف المحذوف لما ذكرنا من التنبيه على امرين
احدهما فظاعة فعلهم فيما تحروه من الخديعة وانهم بمخادعتهم اياه يخادعون الله
والثاني التنبيه على عظم المقصود بالخداع وان معاملته كمعاملة الله انتهى وقرئ
وما يخدعون وما يخادعون بالبناء للمفعول والتقدير الا عن انفسهم بحذف الجار
ونصب على حد واختار موسى قومه وقرئ يخدعون من خدع ويخدعون بمعنى يختدعون عون
وما يشعرون لا يحسون والاصل في الشعور على الشي علم حس والمعنى ان لحوق ضرر
ذلك بهم كالمحسوس لكنهم لتماديهم في الغفلة كالذي لا يحس ومفعول يشعرون
محذوف للعلم به والتقدير وما يشعرون انهم ما يخدعون الا انفسهم وان وبال
خداعهم راجع اليهم واطلاع الله عليهم والاولى ان لا يقدر له مفعول
لان الغرض نفي الشعور على الاطلاق عنهم من غير تقييد بمتعلقه وقال الراغب
معنى وما يشعرون ونحوه لا يدركونه بحواسي ولو قال في كثير مما جاء فيه لا يشعرون
لا يعقلون لم يجز اذ كان كثير مما لا يكون محسوسا قد يكون معقولا في قلوبهم مرض
استعارة للشك بجامع الفساد وحقيقته خروج المزاج عن الاعتدال
وقيل المراد به هنا الظلمة قال الشاعر في ليلة مرضت من كل ناحية
فما يضيء لها نجم ولا قمر والجملة مستانفة جواب سؤال مقدر وهو ما بالهم يخادعون
وهي موزونة على قياس نحو وقرئ مرض بسكون الراء لغة فيه كالطرد والطرد والشلل
والشل فزادهم الله مرضا خبر وقيل دعاء ولهم عذاب اليم اسناد الالم اليه مجاز
وحقيقته لصاحبه بما كانوا يكذبون بالتشديد اي رسول الله وبالتخفيف
اي في قولهم امنا فالكذب الاخبار عن الشي بخلاف ما هو عليه والتكذيب نسبة
المخبر الى الكذب واذا قيل لهم عطف على يكذبون او على يقول امنا قال الاصبهاني
والاول اوجه من حيث انه يليه لا تفسدوا في الارض الفساد خروج الشي
عن الاعتدال ويضاده الصلاح قالوا انما نحن مصلحون اي ان صفة المصلحين
خلصت لنا وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد واتوا
بانما واصلها ان تكون في حكم يعلمه المخاطب ولا ينكره لانهم ادعوا ان صلاحهم
امر ظاهر من شانه ان لا يجهله المخاطب ولا ينكره ولذلك جاء رده موكدا
بان والجملة الاسمية وتعريف الخبر وتوسيط ضمير الفصل وتصدير الكلام بحرف
التنبيه الدال على ان مضمون الكلام مما له خطر في قوله الا انهم هم المفسدون
قال الزملكاني الا تحقيق لما يجي بعدها في معنى حقا لقد كان كذا ثم عقب
بما يدل على التقريع والتوبيخ وهو قوله ولكن لا يشعرون الدال على نفي احساسهم
والاول ان لا يقدر له مفعول اي لا شعور لهم اصلا وفائدة الاستدراك
الوقوع بين متنافيين وتقريره هنا انهم لما نهوا عن الفساد قابلوا ذلك بانهم
مصلحون واخبر تعالى بانهم هم المفسدون كانوا حقيقين بان يعلموا ان ذلك

كما اخبر تعالى وانهم ليسوا مصلحين فاستدرك عليهم هذا المعنى واذا قيل لهم
امنوا كما امن الناس اي الكاملون في الانسانية الذين كانهم الناس على الحقيقة
ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين الحق والباطل قالوا انؤمن كما امن
السفهاء اللام للعهد مشارا بها الى معهود من غير لفظه وهو الناس قال الاصبهاني
سفهوهم لفرط سفههم وجهلوهم لتمادي جهلهم وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى
من الجهلة وقد رد تعالى عليهم على نحو ما تقدم فقال الا انهم هم السفهاء ولكن لا
يعلمون قال الامام وغيره ختمت هذه الاية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون
لان النفاق وما فيه من البغي المفضي الى الفساد في الارض والفتنة امر دنيوي
مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب في جاهليتهم
وما كان بينهم من التغاور والتحارب فهو كالمحسوس واما امر الديانة
والوقوف على ان المومنين على الحق وهم على الباطل فيحتاج الى نظر واستدلال
حتى يكتسب الناظر المعرفة وايضا فقد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم
معه احسن طباقا واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم
قالوا انا معكم ساق هذه الاية بخلاف ما سبق له اول القصة وهو قوله ومن
الناس من يقول امنا لان اول القصة في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم
وهذه في بيان ما كانوا عليه مع المومنين من الاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه
المصادقين وايهامهم انهم معهم فاذا فارقوهم الى روسائهم في الكفر صدقوهم
ما في قلوبهم وليست هذه الاية بتكرير لتلك وخاطبوا المومنين بامنا الجملة
الفعلية لانهم في مقام ادعاء حدوث الايمان منهم لا في ادعاء انهم اوحديون
فيه لان انفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك
ومع شياطينهم بالجملة الاسمية وهي انا معكم تاكيدا للثبات على اليهودية
والقرار على اعتقاد الكفر واطلاق الشياطين على الروسا استعارة لمماثلتهم
لهم في التمرد والعتو والاضافة اليهم قرينتها وقرئ لاقوا قال الراغب
خلا بفلان اذا صار معه في خلا وخلا اليه انتهى اليه في خلوة انما نحن مستهزءون
اما تاكيد لجملة انا معكم لان معناها الثبات على اليهودية وانما نحن مستهزءون
رد للاسلام ودفع له منهم لان المستهزئ بالشي المستخف به منكر له ودافع
لكونه معتدا به ورفع نقيض الشي تاكيد لثباته واما بدل منها لان من حقر الاسلام
فقد عظم الكفر واما استيناف كان شياطينهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم
انا معكم فقالوا فما بالكم توافقون اهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزءون
الله يستهزئ بهم فيه من انواع البديع المشاكلة اي يجازيهم باستهزائهم او حقيقة
الاستهزاء محال على الله تعالى لانه من باب العبث والجهل فاطلق على الجزاء له
استهزاء محال على الله تعالى مشاكلة كقوله قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه
قلت اطبخوا لي جبة وقميصا ومثله ومكروا ومكر الله ولم تعطف الجملة لانها
استيناف في غاية الجزالة والفخامة وفيه ان الله هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء
الابلغ الذي يصير استهزاءهم في مقابلته كالعدم وفيه ايضا ان الله هو الذي يتولى

الاستهزاء منهم انتقاما للمؤمنين فلا يحوج المؤمنين ان يعارضوهم باستهزاء مثله ولم يقل
الله مستهزئ بهم مع انه المطابق لقولهم انما نحن مستهزئون لان يستهزئ يفيد
حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه
النازلة بهم قال تعالى اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين الطيبي
لم يقل الله مستهزئ بهم لئلا يفيد ثبوت الاستهزاء دائما وهو لا يليق بالحكيم العليم
ولا يستهزئ الله بهم لئلا يدل على انتقال الاستهزاء عنهم وليس بمراد فقال الله يستهزئ
بهم ليفيد تجدده بحسب الفعل وان ذلك التجدد ثابت دائما بحسب الجملة
الاسمية فالاستهزاء بالمنافقين متجدد من الله دائما **ويمدهم** قال الراغب اكثر ما جاء
الامداد في المحبوب والمد في المكروه فالاول نحو وامددناهم بفاكهة
يمددكم ربكم بخمسة آلاف والثاني هذه الآية ونمد له من العذاب مدا
وقرئ هنا ويمدهم بالضم من امد وقيل مد فيما كانت زيادة من مثله وامد فيما
كانت زيادته من غيره **في طغيانهم** الراغب الطغيان تجاوز الحد في العصيان
الطيبي الفرق بين طغى وعدى وبغى ان العدوان مجاوزة الحد المامور بالانتهاء
اليه والوقوف عنده والطغيان تجاوز المكان الذي وقف عليه والبغي طلب
تجاوز قدر الاستحقاق تجاوزه ام لم يتجاوزه واصله الطلب ويستعمل في
التكبر لان المتكبر طالب منزلة ليس لها باهل **يعمهون** قال الامام العمه مثل
العمى الا ان العمى عام في البصر والراي والعمه في الراي خاصة وهو التحير
والتردد لا يدري اين يتوجه **اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما
ربحت تجارتهم** فيه استعارة مرشحة استعير الاشتراء للاستبدال والاختيار
ثم فرع عليه ما يلائم الاشتراء وهو الربح والتجارة والضلالة الجور عن القصد
وفقد الاهتداء استعيرت للذهاب عن الصواب في الدين واسناد الربح الى التجارة
من باب الاسناد المجازي وانما هو حقيقة لاصحابها اي فما ربحوا في تجارتهم **وما
كانوا مهتدين مثلهم الآية** قال الراغب شبه من آتاه الله ضربا من الهداية
فاضاعه ولم يتوصل به الى ما رشح له من نعيم الابد بمن استوقد نارا في ظلمة
فلما اضاءت له ضيعها ونكس في الظلمة وقال غيره لما وصفوا بانهم اشتروا
الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة
ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها وطبع على قلوبهم بذهاب الله بنورهم
وتركه اياهم في الظلمات والثابت عن ابن عباس وغيره في وجه التشبيه
ان مثلهم في كفرهم ونفاقهم كمثل رجل اوقد نارا في ليلة مظلمة فاستضاء
بها واستدفى ورأى ما حوله فاتقى ما يحذر ويخاف وأمن فبينا هو كذلك
اذ طفئت ناره فبقي مظلما خائفا متحيرا فكذلك المنافقون اذا اظهروا كلمة الايمان
واستناروا بنورها امنوا فناكحوا المسلمين ووارثوهم وقاسموهم الفيء والغنائم
فاذا ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف وبقوا في العذاب والنقمة السكاكي متى
كان وجه التشبيه وصفا غير حقيقي وكان منتزعا من عدة امور خص باسم التمثيل
كالذي في هذه الآية فان وجه تشبيه المنافقين بالذين شبهوا بهم في الآية رفع الطمع

في تيسير مطلوب بسبب مباشرة اسبابه القريبة مع تعقيب الحرمان والخيبة
لانقلاب الاسباب وانه امر توهمي غير حقيقي منتزع من عدة امور والذي هنا
بمعنى الجمع ولذلك عاد الضمير عليه جمعا في قوله بنورهم وتركهم واستوقد بمعنى
اوقد وقيل سال غيره ان يوقد والتنكير في نارا للتعظيم والاضاءة فرط
الانارة بدليل جعل الشمس ضياء والقمر نورا واما يأتي متعديا ولازما وهاهنا
يحتملان والثاني اولى للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد اماكن واشيا
وقرأ ابن ابي عبلة ضاءت وهي لازمة ابدا ولم يقل انارت تنبيها على قوة ظهورها
كان لها ظل صولة ثم يضمحل واسناد فعل الذهاب الى الله تعالى للاشارة الى
ان الاطفاء حصل بسبب سماوي وان هذه نار لا يرضاها الله والفرق بين ذهب
به واذهبه ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا وذهب به استصحبه ومضى
به معه والمعنى اخذ الله نورهم وامسكه وما يمسك فلا مرسل له فهو ابلغ
من الاذهاب وقال بنورهم ولم يقل بنارهم انه المطابق لقوله نارا لان
في النار شيئين الحرارة والنور فذهب نورهم وبقيت الحرارة عليهم ولا نفعهم
مع انه المطابق لاضاءت لان الذهاب بالنور ابلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة
فلو قيل ذهب الله بضوئهم لاوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض
ازالة النور عنهم راسا وطمسه اصلا ولهذا ذكر عقبه وتركهم في ظلمات
فجمعها ونكرها واتبعها على وجه التتميم او الايغال ما يدل على انها ظلمة مبهمة لا
لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون وهو فعل لا ينوى له مفعول
وجمع الضمير في بنورهم وما بعده وافرده في استوقد لان المستوقد واحد
عادة والمنتفع جمع وهذا كله على ان ذهب جواب لما وقال قوم بل الجواب
محذوف اي طفئت وخمدت وذهب استئناف او بدل من جملة التمثيل على
سبيل البيان والقصد للمنافقين ورجح الزمخشري هذا الوجه في الحذف
من الوجازة والاشارة الى ان للمستوقد بعد الاضاءة حالة لا يمكن ان تبين وشرح
على حد ولو ترى اذ وقفوا على النار حتى اذا جاؤوها وفتحت ابوابها وذكر الواحدي
وجها ثالثا وهو ان جملة ذهب ابتدائية تمام جواب لما لانه جعل طفئ الله مثلا
لاذهاب نورهم فانهم اذهاب النور مقام اطفاء النار وجعلت جواب لما ايجازا
واختصارا وترك ان كان متعديا بالواحد فما بعده حال او لاثنين فاحدهما
حال **صم بكم عمي** فيه حذف المبتدا اي هم او المنافقون صيانة للسان عن
ذكرهم واداة التشبيه وهو ابلغ من ذكرها وهل يسمى مثل هذا تشبيها بليغا
او استعارة مذهبان مشهوران قال ابن جرير وهذه الجملة من المؤخر الذي
معناه التقديم فان مقامها عقب قوله وما كانوا مهتدين انتهى ويجوز ان يكون
الضمير المقدر للمستوقدين فتكون في مكانها وقرئ الثلاثة بالنصب اما على الذم
او الحال من مفعول ترك **فهم لا يرجعون** اي الى الهدى او عن الضلالة
قال الطيبي ويمكن ان ينظر فيه معنى الترشيح لان من شان التجارة طلب الرجوع
عند ظهور الخسارة وهم لا يرجعون بعد تبينها وهذا يؤيد ما ذكره ابن جرير

من تقدير التقديم **او كصيب الاية** ضرب سبحانه للمنافقين مثلا اذا ابصفا جاء
بعد ايضاح وكما يحسن للبليغ ان يجمل ويوجز في مقام يقتضي الايجاز فكذلك يحسن
له ان يفصل ويطنب في مقام التفصيل والاشباع فشبه تعالى المنافق
في التمثيل الاول بالمستوقد نارا والمراد الايمان بالاستيقاد وانتفاعه بالامنة
وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار وفي الثاني شبه دين الاسلام بالصيب
لان القلوب تحيى به حياة الارض بالمطر وما يتعلق من شبه المنافقين
بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة
من البلايا والفتن من جهة اهل الاسلام بالصواعق وطويت المشبهات
في التمثيلين على سنن الاستعارة والتمثيل الثاني ابلغ من الاول لانه
ادل على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته ولذلك اخر لانهم يتدرجون
في نحو هذا من الاهون الى الاغلظ واو للتساوي لا للشك او للابهام فكانه قال
مثلهم كاحد هذين والعرب تبهم ما لا فائدة في تفصيله كقوله وهل انا
الا من ربيعة او مضر اي من احدى هاتين القبيلتين وكصيب على حذف
مضاف اي كذوي صيب ليعود عليه ضمير يجعلون ونكر لانه اريد نوع من المطر
شديد وفيه مع ذلك مبالغات من وجوه وقرئ كصايب وفائدة قوله من السماء ان
كان الصيب من جهة التركيب لانه من الصوب وهو نزول المطر ومن
جهة البناء فان فيعلا من اوزان الصفات المشبهة وهي ابلغ من اسم الفاعل
لدلالتها على معنى الثبوت ومن الاوزان الخاصة بالمعتل وفيه مبالغة وقرئ
كصايب وفائدة قوله من السماء وان كان الصيب لا يكون الا منها انه جاء بها
معرفة فنفي ان تصوب من سماء اي افق واحد من بين سائر الافاق لان كل افق
من افاقها سماء فافاد كونه مطبقا وقوله فيه ظلمات مجاز فانما هي في مكانه وهو
السحاب وقيل الضمير عائد الى السماء بمعنى السحاب على لغة التذكير وقيل الى الليل
كناية عن غير مذكور وجمعها دون الرعد والبرق لانهما في الاصل مصدران
فحقهما ترك الجمع ونكرت الثلاثة لان المراد انواع منها كانه قيل فيه ظلمات
داجية ورعد قاصف وبرق خاطف والمراد بالرعد صوته على حذف المضاف
لان الرعد اسم للملك الموكل به ويجعلون مستانف جواب سؤال مقدر وفي اصابعهم
مجاز لان المراد انامله فهو من اطلاق الكل على البعض ونكتته الاشعار بانهم
يبالغون في ادخال اصابعهم في اذانهم فوق العادة المعتادة في ذلك
فرارا من شدة الصوت وقرئ من الصواقع قال في الكشاف وليس بمقلوب
من الصواعق بل هو على الاشتقاق الاكبر جيد وجذب قال الراغب الصاعقة والصاقعة
متقاربان وهما الهدة الكبيرة الا ان الصقع يقال في الاجسام الارضية والصعق
في الاجسام العلوية وقرئ حذار الموت وجملة والله محيط بالكافرين اعتراضية
لان يكاد البرق متصل بما قبله واحاطة الله بالكافرين مجاز والاستعارة تمثيلية
والمعنى انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط قال القطب وقوله
بالكافرين من وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على استيهال اصحاب الصيب العذاب

بكفرانهم

بكفرانهم نعم الله **يكاد البرق** استئناف ثاني كانه قيل كيف كان حالهم مع ذلك
البرق **يخطف ابصارهم** الخطف الاخذ بسرعة ويخطف بوزن يعلم وقرئ بوزن
يضرب ويختطف ويخطف بفتح الياء والخاء وكسر الطاء المشددة على ادغام التاء فيها
وبكسر الخاء لالتقاء الساكنين وبكسرها والياء اتباعا لها وبفتح الثلاثة وبسكون الخاء
وكسر الطاء مشددة وضعفت للجمع بين الساكنين على غير حده وقال ابن جني مراده
اختلاس فيخطف عندهم يرونه ادغاما ويخطف من خطف للبناء لغة لا للتعدية
ويتخطف فهذه عشر قراءات **كلما اضاء لهم** استئناف ثالث وفي ضاء **مشوا فيه**
اي في ضوئه الكشاف المشي جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعي فاذا ازداد
فهو عدو وفي مصحف ابي مروا فيه وقرا ابن مسعود مضوا فيه وفي للظرفية
او السببية **واذا اظلم عليهم قاموا** اي في الاظلام باذا وفي الاضاءة بكلما
لتكرر المشي في الاضاءة قطعا لحرصهم عليه وعدم لزوم الوقوف عند الاظلام
لامكان المشي فيه ولا حرص لهم على الوقوف فلم تكن اداة التكرار مناسبة فيه
وقرئ اظلم بالبناء للمفعول **ولو شاء الله** حذف مفعول شاء وجواب لو قوله
لذهب بسمعهم وابصارهم اي الظاهرة قال ابن جرير وخصها بالذكر لتقدم ذكرها في قوله
في اذانهم يخطف ابصارهم وقرئ لاذهب باسماعهم قال فالباء زائدة وقوله **ان
الله على كل شيء قدير** جملة استئنافية مؤكدة لمعنى ما قبلها **يا ايها الناس الايات**
لما ذكر سبحانه وتعالى فرق المكلفين من المومنين والكفار والمنافقين وصفاتهم
واحوالهم وما اختصت به كل فرقة اقبل عليهم بالخطاب ملتفتا عن الغيبة
فامر ونهى ودعى الى عبادته وحده ودل على ذلك بانه تعالى الخالق لهم ولمن
قبلهم وامتن عليهم بما خلقه لهم مفترشا ومظلا وما انزل لهم من الماء وما اخرج
لهم من الرزق وكل ذلك من دلائل وحدانيته ثم عاد الى تصديق نبيه
وازال شبهتهم فيه فتحداهم ان كانوا في ريب من هذا القران انه من عند الله
فليأتوا بسورة من مثله وليستعينوا بمن شاؤوا فانهم عربيون فصحاء كالذي
اتهموه انه من قوله محمد صلى الله عليه وسلم واخبرهم انهم ان لم ياتوا بمثله
فلا عذر لهم في ترك الايمان ولا جزاء لهم الا النار وادمج في ضمن ذلك
انه لا سبيل الى الاتيان بمثله ابدا ثم وصف النار المتوعد بها وشدة باسها
تحذيرا منها ثم بشر من امن بالجنة ووصفها ترغيبا فيها وذلك غاية الفصاحة
والبلاغة حيث جمع في خمس ايات جميع المقاصد من الامر بالعبادة والنهي
عن اتخاذ الند والاستدلال بالخلق والامتنان بالمادي وانواع الرزق
وتصديق الرسول والاعذار وازالة الشبهة والايناس والانذار والتبشير
الى غير ذلك مما دخل في ضمن ذلك فحق بمثل هذا ان يوتى به بلفظ الخطاب
بعد الغيبة ليهيج السامع وينبه السامع واقتنع بالنداء قبل الخطاب لان فيه
تحريكا وتنبيها وجيء بيا التي تعم البعيد والساهي والغافل والقريب الفطن
واذا نودي بها الاخير فذاك للتاكيد المؤذن بان الخطاب للذي يتلوها
معتنى بالنداء به الاصبهاني في كثير في كتاب الله النداء بيا ايها لان فيه اوجها من التاكيد

الاصبهاني

واسبابهن المبالغة منها ما في بابه من التاكيد والتنبيه وما في هامن التنبيه وما في
التدريج من الابهام الى التوضيح والمقام يناسب المبالغة والتاكيد لان كل
ما نادى له عباده من اوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده
ومن اقتصاص اخبار الامم الماضية وغير ذلك مما انطق الله به كتابه امور عظام
وخطوب جسام ومعان واجب عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم
اليها وهم عنها غافلون فاقتضى الحال ان ينادى بالاكد الابلغ **الكرماني** في البرهان
لا نظير في القران لهذا الخطاب لان المراد بالعبادة في الاية التوحيد والتوحيد
اول ما يلزم العبد من المعارف وكان اول خطاب خاطب به الناس فخاطبهم
باول ما يلزمهم ولانه ذكر سائر المعارف وبنى عليها العبادات فيما بعدها من السور
والايات قال ولا يرد ذلك ان سورة البقرة ليست اول القران نزولا لانها وان لم
تكن اوله نزولا فهي اوله بعد الفاتحة في اللوح المحفوظ على الترتيب الموجود في المصحف
انتهى **وقال** صاحب المناجاة التخصيص بلفظ العبادة هنا لانه ذكر بعده
الخلق والخلق يناسبه العبادة لقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وايضا
فالخلق اول نعمة تشمل الانسان من النعم الثبوتية والعبادة افضل نعمة تفضل بها عليه
واول عبادة كلف بها التوحيد فكان من المناسب الجمع بينهما **الراغب** الناس يستعمل
على وجهين احدهما المشار به الى الصورة المخصوصة وذلك عام في الصغير والكبير
والعاقل وغيره والثاني المشار به الى المختص بقوى العلم والعمل المحكم فهو المستعمل
على طريق المدح وهذا المعنى هو المراد في هذا الموضع **قوله اعبدوا الله** اعم من وحدوا
لانه يشمل التوحيد والاعمال معا **ربكم** قال الطيبي فرق بين اعبدوا الله واعبدوا ربكم
لان في الثاني ايجاب العبادة بواسطة رؤية النعمة التي بها تربيتهم وقواهم وفي
اعبدوا الله ايجابها بمراعاته من غير واسطة وعلى ذلك قوله يا ايها الناس اتقوا ربكم
وقوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله فحيث ذكر الناس ذكر الرب وحيث ذكر الايمان ذكر
الله **وقال** البيضاوي انما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هي الربوبية
الذي خلقكم اتى بالوصف الدال على الوحدانية واختار هذا الوصف دون غيره
لانه اقرب الطرق دلالة الى الافهام وانفعها للخاص والعام ولانه كما يفيد
العلم بوجود الخالق يذكر بنعمته علينا فان الوجود والحياة من اعظم النعم
وتذكير النعم يوجب المحبة وترك المنازعة وحصول الانقياد والخلق ايجاد الشيء
على تقدير واستواء قاله قطرب **وقال** الازهري هو بمعنى الانشاء وهو التقدير
والايجاد والاحداث والابداع والاختراع متقاربة والفرق بين الايجاد والاحداث
ان في الاول تابيا وفي الثاني فعلا عن قرب وبين الابداع والاختراع عدم المثال
والذين من قبلكم فيه فايدتان احداهما ان طريق العلم منها واحد كالاستدلال
بخلقكم كالاستدلال بخلق ابائكم والاخرى ان من قبلهم كالاصول لهم وخلق الاصول
يجري مجرى الانعام على الفصول فكانه تعالى يذكرهم عظم انعامه عليهم قبل ايجادهم ٥
وقريب منه من موصولا على زيادة الموصول الاول **وقرئ** وخلق من قبلكم **لعلكم تتقون**
صورته صورة الترجي والاطماع وهو من الله سبحانه حتم لكنه جرى على عادة خطاب

Margin: الكرماني

Margin: الراغب

Margin: قال الطيبي

Margin: وقال البيضاوي

Margin: والفرق بين الايجاد والاحداث الخ

العرب وايضا فعادة الملوك في مواعيدهم الذي يريدون انجازها الاقتصار
على لفظ لعل وعسى ونحوها او على ان يخيلوا اخالة او يرمزوا رمزا فاذا عثر الطالب
على شي من ذلك منهم لم يبق له شك في النجاح والفوز بالمطلوب ثم لعل متعلقة باعبدوا لا
خلقكم قال البيضاوي وفيه اشارة الى ان العابد ينبغي له ان لا يغتر بعبادته
وان يكون ذا خوف ورجاء **الامام** لم يقل لعلكم تعبدون وان كان مناسبا لاعبدوا
لانه لا معنى له والمراد الامر بالعبادة ليحصل بها اتقاء العقاب فالاتقاء التي هو
الاحتراز من المضار مرتب على العبادة فالعبادة فعل يحصل به التقوى لا نفس التقوى
الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم
قال الامام ذكر سبحانه انواعا خمسة من الادلة ورتبها على هذا الترتيب
لان اقرب الاشياء الى الانسان نفسه وعلم الانسان باحوال نفسه اظهر من علمه باحوال
غيره ولما كان المقصود من الاستدلال افادة العلم كان اظهر دلالة اقوى افادة
فكان اولى بالذكر فلهذا قدم ذكر نفس الانسان ثم ثنى بابائه وامهاته ثم ثلث
بالارض لانها اقرب اليه وهو اعرف من السماء وقدم ذكر السماء على نزول الماء وخروج
الثمرات بسببه لان ذلك كالمتولد من السماء والارض الكشاف قدم سبحانه
من موجبات عبادته وملزمات حق الشكر له خلقهم احياء قادرين اولا لانه سابقة
اصول النعم ومقدمتها **والسبب** في التمكن من العبادة والشكر وغيرهما ثم خلق الارض
التي هي مكانهم ومستقرهم الذي لا بد لهم منه وهي بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه
ومفترشه ثم خلق السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا
القرار ثم ما سواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بانزال
الماء منها عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل المنتج من الحيوان من الوان
الثمار رزقا لبني ادم ليكون لهم ذلك معتبرا ومتسلقا الى النظر الموصل الى التوحيد
والاعتراف ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون في خلق انفسهم
وخلق ما فوقهم وتحتهم وان شيئا من هذه المخلوقات كلها لا يقدر على ايجاد شيء منها
فيتيقنوا عند ذلك انه لا بد لها من خالق ليس كمثلها حتى لا يجعلوا المخلوقات
له اندادا وهم يعلمون انها لا تقدر على نحو ما هو قادر عليه وقرئ بدل فراشا
بساطا وقرئ مهادا والملائكة والقرار والوطا نظاير وقرئ من الثمرة ولم يقل
من الثمار والموضع موضع الكثرة لانه اراد بالثمرات جمع ثمرة بمعنى الثمار
فالكثرة المستفادة منها حينئذ اكثر **البسيط** الثمرة في الاصل حمل الشجرة ثم اطلق
على كل ما ينتفع به من زيادة على اصل المال يقال لبن مثمر اي ظهر زبده وعقل
مثمر اي يهدي صاحبه الى الرشد وقد قيل ان معنى الثمرات هنا جميع ما ينتفع
مما يخرج من الارض **فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون** مفعوله متروك اي وانتم
من اهل المعرفة والفطنة والتمييز او محذوف اي وانتم تعلمون انه الخالق
الجاعل المنزل المخرج وان الانداد لا تفعل شيئا من ذلك ولا يكون الها الا من يكون
كذلك وقرئ ندا والند المثل **قال** الزمخشري ولا يقال الا للمثل المخالف
المناوي **وان كنتم** لما احتج على الوجه اثبته بالبراهين القاطعة اشتغل الاحتجاج

Margin: كل ماهو ...

واتول على صدق نبيه فيما ادعاه من النبوة وفيما جاء به من القران
لما افتتح السورة بالشهادة للقران بانه حق ونفي الريب عنه وكان مناسبه
ذلك ان هذه اول سورة القران المطولة التي فصلت فيها الفصول والادلة والاحكام
فناسب ان يكون مطلعها وافتتاحها بيان حقية القران وانه لا ريب فيه لتتقبل القلوب
وتصغي الاسماع الى قبول ما يتلى فيه فكان افتتاح اول سورة القران بذلك
كافتتاح سورة النور بقوله سورة انزلناها وفرضناها وانزلنا فيها ايات
بينات لعلكم تذكرون في جريان ذلك مجرى الديباجة للكتاب ثم لما كان من
وصف الكتاب انه هدى للمتقين تخلص منه الى بيان وصف المومنين واثناه
عليهم ثم استطرد الى وصف اضدادهم من الكفار والمنافقين ولما انهى الكلام
في اوصافهم دعا الناس كلهم الى عبادته واقام الدلايل على وحدانيته ثم عاد الى
ما افتتح به من نفي الريب عن القران ليقيم الحجة عليه ويزيل الشبهة عنه فقال
وان كنتم الى اخره وهكذا شان القران يفتتح بمقصود ويستطرد منه الى امور
شتى لا دنى ملايمة ثم يعاد الى تتمة المقصود بوافيه في ريب فيه مجاز من حيث
انه جعل ظرفا محيطا بهم لكثرة وقوعه منهم مما نزلنا فيه التفات عن الغيبة
الى التكلم واتى به دون انزلنا لان المراد النزول على سبيل التدريج وذكر هذا
اللفظ هو اللايق بهذا المكان لانهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله ومخالفا
لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا نجوما بحسب الحوادث على سنن ما نرى عليه
اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم متفرقا حينا فحينا بحسب ما يظهر
من الاحوال المتجددة والحاجات المختلفة فلو انزل لانزل جملة على خلاف هذه
العادة جملة ذكره الزمخشري والامام على انه قرئ انزلنا على عبدنا قرئ على
عبادنا اي النبي وامته فاتوا بسورة من مثله في اية اخرى بسورة مثله قال
الكرماني لان من تدل على التبعيض ولما كانت هذه السورة سنام القران واوله
بعد الفاتحة حسن دخول من فيها ليعلم ان التحدي وقع على جميع سور القران من اوله
الى اخره وغيرها لو دخلها من لكان التحدي واقعا على بعض السور دون بعض
والهاء في قوله من مثله عايد الى القران قال صاحب المناجاة هذا الكلام لا
حاصل له فان الضمير الذي في مثله ان رجعناه الى القران فلا تفاوت في دخول
من في هذه السورة وغيرها في التحدي ببعض القران على بعض السور دون
بعض فالتفصيل التي ذهب اليه تحكم وكون البقرة سنام القران واوله لا دخل
له في المقصود فالاحسن ان يقال لما عبر هنا عن القران وصفه بما يتضمن ذكره صلى الله
عليه وسلم في قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فانه جعل مما نزلنا
جلس الحد وعلى عبدنا فضله اذ المراد محمد صلى الله عليه وسلم وبه يتميز عن ساير الكتب
المنزلة وان كانت انزلت على عباده لان في الاضافة تخصيصا يعين المراد فكانه
قيل وان كنتم في ريب مما نزل على محمد المبعوث باعجاز ما انزل اليه حسن
ادخال من ليحتمل اعادة الضمير الى كل من جلس الحد وفضله ولما لم يكن في غيرها
من السور التعبير عن القران على هذا الوجه لم يحسن قال وهذا وجه لطيف

28

من الله به على عبده الضعيف وادعوا شهداءكم عبر عن الاستعانة بلفظ الدعا على عادة
العرب في دعايهم القبايل في الوقايع العظيمة والحروب والشدايد قال
الشاعر فلما التقت فرساننا ورجالنا دعوا يا لكعب واعتزينا لعامر
ابن جرير الشهدا جمع شهيد وهو المشاهد كجليس للمجالس ويطلق ايضا بمعنى الشاهد
وبالاول فسره ابن عباس فقال يعني اعوانكم على ما انتم عليه قال ابن جرير اي واستنصروا
على الاتيان بسورة اعوانكم وشهداءكم الذين يشاهدونكم ويعاونونكم على التكذيب
ويظاهرونكم على الكفر وبالثاني فسره مجاهد فقال اناس يشهدون لكم اذا اتيتم
بها انها مثله قال ابن جرير والاول هو الاولى والثاني لا وجه له وقال الطيبي
يحتمل ان يراد بالشهدا الاصنام فالامر في قوله وادعوا للتهكم وان يراد الروساء
فهو للاستدراج وارخا العنان وان يراد الناس العدول فهو لاظهار التبكيت
وان يراد الناصر والمستظهر به دون الله فهو للتحدي والتعجيز من دون الله دون
اصل دون ادون مكان من الشي استعير للتفاوت في الاحوال والرتب ثم اتسع
فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد

فان لم تفعلوا جي بان التي للشك دون اذا التي هي للواجب مع ان المقام لها
سوقا للكلام على حسب حسبانهم وطمعهم وتهكما بهم ولن تفعلوا جملة اعتراضية
بين الشرط وجوابه افادة ايناسهم منه وتاكيد العجز والتقريع على رووس الاشهاد
وواوها استينافية وعبر في الجملتين بلفظ الفعل دون الاتيان مع انه المطابق
لقوله فاتوا لانه بمعناه مع انه يستطال اذ يقال فان لم تاتوا بسورة من مثله
ولن تاتوا بسورة من مثله قال قيل لو قال فان لم تاتوا ولن تاتوا لكان
المعنى على ما ذكر ويكون قد حذف مفعوله اختصارا كما حذف مفعول لم تفعلوا
ولن تفعلوا اجيب بان في نفي الفعل من المبالغة ما ليس في نفس الاتيان
من حيث ان نفي الفعل الذي هو الجنس في موضع نفي النوع الذي هو الاتيان لان
لفظ الفعل اعم معنى من ساير اخواته نحو الصنع والابداع والاحداث والخلق
والكسب والعمل لان الابداع اكثر ما يقال في ايجاد عن عدم بلا ضد ولا اقتدار
ولا آلة ولا مادة وليس ذلك حقيقة الا لله والاحداث ايجاد الشي بعد ان لم يكن
والخلق ايجاد بتقدير والصنع اجادة الفعل فكل صنع فعل وليس كل فعل صنعا ولا ينسب
الى الحيوانات والجماد كما ينسب اليها الفعل والعمل كل فعل يكون من الحيوان بقصد
فهو اخص من الفعل لانه ينسب الى غير الحيوان من الجماد والى ما يقع من الحيوان
بغير قصد والكسب ما يتحراه الانسان مما فيه اجتلاب نفع وتحصيل حظ واما
الفعل فهو التاثير من جهة موثر وهو عام لما كان باجادة وغيرها بعلم او غيره
بقصد او غيره من انسان او حيوان او جماد انتهى فاتقوا النار التي وقودها الناس
والحجارة فيه كناية حيث اقام اتقا النار التي هو ملزوم ترك العناد مقامه فهو ابلغ
في افادة المقصود ولما فيه من الاشباع بتهويل صفة النار مع الايجاز قال
الامام وانما عرفت النار هنا ونكرت في سورة التحريم لان تلك نزلت بمكة فعرفوا منها

من الله

نارا موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه بالمدينة معرفة بلام العهد مشارا بها الى ما
عرفوه اولا قلت وبذلك سقط سؤال الكشاف ان صلة الذي والتي يجب ان تكون
قصة معلومة للمخاطب فكيف علم اولئك ان نارا لاخرة توقد بما ذكر وجوابه بانه لا
يمتنع ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل الكتاب او من الرسول صلى الله عليه وسلم والوقود
بالفتح ما يوقد به وبالضم المصدر وقرئ به على تقدير ذو وقودها او على تقدير
وقودها احتراق الناس او من باب رجل عدل وانى هذا فالمعنى ليس وقود النار
الا ذلك وعلى الاول يجوز ان يكون هناك وقود آخر ذكره الطيبي **اعدت للكافرين**
جملة موكدة لما قبلها لان ايقادها بهم واعدادها لهم متقاربان او بدل منها لصحة
وقوعها موقعها او استينافية كانه سيل لمن كان وقودها ذلك فاجيب بانها
معدة لهم ذكر ذلك في الكشاف القديم زاد ابو البقا او حالية من النار وقرئ اعتدت
من العتاد بمعنى العدة وقرا ابن ابي عبلة اعدها الله تعالى اعدها لامر كذا اي هياه
وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات من عادته تعالى ان يذكر الترغيب
مع الترهيب ويشفع البشارة بالانذار ارادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط
عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار واوعدهم العذاب عقب ذلك ببشارة عباده
المومنين العاملين بالثواب الراغب البشارة والبشرى الخبر السار المبسطة لبشرة
الوجه لان النفس اذا سرت انتشر الدم انتشار الماء في الشجر تقول بشرت الرجل
وابشرته وبشرته وبينهما فرق فالاول عام والثاني نحو احمدته والثالث للتكثير
الكشاف فان قلت علام عطف هذا الامر ولم يسبق امر ولا نهي
يصح عطفه عليه قلت ليس الذي اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب له مشاكل
من امر ونهي يعطف عليه انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المومنين
فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين ولك ان تقول هو معطوف على فاتقوا
ورد هذا بان اتقوا جواب الشرط وبشر لا يصلح له ان يقال فان لم تفعلوا فبشر
الذين امنوا فاجاب الطيبي بان فاتقوا ليس جزا للشرط بل مبني عنه وهو محذوف
والتقدير وان كنتم في شك من صحة نبوته وصدق قوله ان القران منزل عليه
من عند الله فاتوا بسورة من مثله فان لم تقدروا على ذلك وانتم فرسان البلاغة
فقد صح صدقه فليتق المعاند النار وليبشر المصدق بالجنة قال ثم على هذا
التقدير يشتمل العطف على جهات من الحسن منها قرب المعطوف من المعطوف عليه
ومنها رعاية الجهة الجامعة الوهمية بين بشر واتقوا لانه في معنى انذروا والعقلية
لاتفاقهما في المسببية **ومنها** اجتماع ثلاث متقابلات **ومنها** حذف المجزوم من الشطر
الاول والصدر من الثاني المؤذن بالايجاز الذي هو طينة القران **واما عدم**
اتحاد المسند اليه في فاتقوا وبشر فمحتمل نظرا الى هذه الوجوه على ان الاتحاد
حاصل كما قررناه وقال صاحب التقريب هو عطف على الخبر الذي قبله لانه
مشتمل على معنى الامر كانه قيل انذروا وبشر **السكاكي** عندي انه معطوف
على قل مقدرا قبل يا ايها الناس او قبل فان لم تفعلوا البيضاوي لم يخاطب المومنين
بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشانهم وايذانا بانهم احقا بان يبشروا ويهنئوا

بما اعد لهم وقرئ وبشر فعل ماض مبني للمفعول معطوف على اعدت قال بعضهم والفرق
بين عمل وفعل ان عمل لما كان مع امتداد زمان نحو يعملون له ما يشاء من محاريب
مما عملت ايدينا لان خلق الاعمال وانما التمار وانما دوع بامتداد وفعل بخلافه نحو كيف
فعل ربك باصحاب الفيل كيف فعل ربك بعاد كيف فعلنا بهم لانها اهلاكات وقعت
من غير بطوء ويفعلون ما يومرون اي في طرفة عين ولهذا عبر بالاول في قوله
وعملوا الصالحات حيث كان المقصود المثابرة عليها لا الاتيان بها مرة او بسرعة وبالثاني
في قوله وافعلوا الخير حيث كان بمعنى سارعوا كما قال فاستبقوا الخيرات وقوله
والذين هم للزكاة فاعلون حيث كان القصد اتيانها على سرعة من غير توان
ان لهم جنات جمعها لان الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة ونكرها
لتنوعها فانها مرتبة على مراتب على حسب حال اهلها لكل طبقة منهم جنات من تلك
الجنان الراغب انما قال جنات بلفظ الجمع لكون الجنان سبعا جنة الفردوس
وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون والجنة
كل بستان ذي شجر يستر باشجاره الارض **تجري من تحتها الانهار** فيه حذف اي من تحت اشجارها
ومجاز عقلي اي المياه في الانهار والنهر مجرى الماء الواسع والمجرى المرسل
كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا فيه تجريد على حد لقيت منك اسدا لان الثمرة هي الرزق
ذكره في الكشاف الطيبي جرد من ثمرة رزق وهي هو فيكون رزقا اخص من ثمرة
لان الثمرة ذات اوصاف فانتزع منها وصف المرزوقية اي التي يقع الاكل عليها
لكمال هذا المعنى فيه **هذا الذي** اي مثل الذي فهو تشبيه محذوف الاداة او هو اشارة
الى النوع قاله ابن جرير ~~[illegible]~~
واتوا به الراغب الاتيان مجي بسهولة فهو اخص من مطلق المجي وقرئ بالبنا للفاعل
فالضمير للخدمة وجعل الزمخشري هذه الجملة معترضة لتقرير ما قبلها والصواب
كما قال القطب انها تذييل تؤكد صدقهم فيما ادعوه وقيل هي حالية وفي قوله به الى ما
الى المرزوق في الدارين المفهوم من المشبه والمشبه به في قوله هذا الذي
رزقنا من قبل نوع من البيان يسمى الكناية الايمانية
مطهرة ابلغ من طاهرة والمطهرة
لما فيه من الاشعار بان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله تعالى وقرئ مطهرات
وقرئ مطهرة بتشديد الطا وكسر الها بمعنى متطهرة **وهم فيها خالدون** قدم الظرف
لمناسبة رؤس الآي وقد جمعت هذه البشارة غاية المنى فان مجامع اللذات
اما المسكن او المطعم او المنكح وقد وصف الله المسكن بقوله جنات تجري من تحتها
الانهار والمطعم بقوله كلما رزقوا منها الخ والمنكح بقوله ولهم فيها ازواج مطهرة ثم
ان هذه الاشياء اذا حصلت وقارنها خوف الزوال كان النعيم منغصا فبين ان هذا
الخوف زايل عنهم بقوله وهم فيها خالدون فصارت الاية دالة على كمال النعيم
والسرور وقال القطب فقوله وهم فيها خالدون تكميل في غاية الحسن والواو فيها وفي
الجملة قبلها للحال او الاستيناف **ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما** وجه اتصال
هذه بما تقدم انه تعالى لما بين ان القران معجز وانه من عند الله استنكره الجهال

وَالسفاؤا اهل العناد واستغربوا ما فيه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت
قالوا هذه لا يليق ذكرها بكلام الفصحا فكيف يكون في كلام المعجز ورد هذه ليبين ان ما
استنكروه واستغربوه ليس في محل الاستنكار والاستغراب لان التمثيل انما يصار
اليه لما فيه من كشف المعني ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وادنا المتوهم
من المشاهد فان كان الممثل له عظيما كان الممثل به عظيما وان كان حقيرا كان حقيرا
ولما كان الاصنام التي جعلها الكفار اندادا لله لا حال احقر منها واقل فكذلك جعل
بيت العنكبوت مثلها في الوهن وجعلت اقل من الذباب واخس قدرا فسبق المثل
علي ما تقتضيه الحكمة وتستدعيه وفي يستحيي التمثيل البياني كني به عن الترك
وقرئ يستحي بيا واحدة قال الاخفش وهي لغة تميم الكرما الحيا انقباض يدل
علي خلق كريم والله تعالي لا يوصف به ومعناه هنا الترك اي لا يترك ضرب المثل ترك
ما يستحي منه وان في محل نصب او جر لان استحي يتعدي بنفسه وبمن وما زائدة
لتاكيد الخسة اي مثل كان وقرا ابن مسعود وغيره بعوضة بالنصب بدل او بيان
وقرئ بالرفع فما فوقها قيل في الصغر وقيل في الكبر اغلب فوق يستعمل باعتبار العلو
نحو ورفعنا فوقكم الطور وباعتبار الصعود والحدور نحو اذ جاوكم من فوقكم ومن اسفل
منكم وباعتبار العدد نحو فوق اثنتين وباعتبار الكبر والصغر نحو بعوضة فما فوقها
وباعتبار الفضيلة الدنيوية نحو ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات او الاخروية
نحو والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة وباعتبار القهر والغلبة نحو وهو القاهر فوق عباده
وقيل التقدير وما دونها فحذف اكتفا فاما قال الزمخشري فايدة اما في الكلام ان تعطيه
فضل توكيد ذلك وانه لا محالة ذاهب وانه بصدد الذهاب عزيمة قلت اما زيد فذاهب
ففي ايراد الجملتين مصدرتين باما احماد عظيم للمومنين ونعي عظيم علي الكافرين
فيعلمون انه الحق من ربهم في ذكر العلم مدحة للمومنين قال في اضافة رب لضميرهم
دليل المزية واما الذين كفروا فيقولون عدل عن قوله فلا يعلمون المطابق لما قبله
للاشارة الي ان قولهم هذا دليل واضح علي كمال جهلهم بهذا الاشارة فيه للتحقير
يضل به كثيرا قرئ بفتح اليا ورفع كثير وما يضل به الا الفاسقين الفاسقين قرئ
بضم اليا ورفع الفاسقين والفسق الخروج عن الطاعة قال ابن الاعرابي ولم يسمع
في كلام الجاهلية ولا في شعرهم فاسق ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه النقض
الفسخ وفك التركيب وانما دما ابرم من حبل او بناء الكشاف فان قلت
كيف ساغ استعمال النقض في ابطال العهد قلت من حيث تسميتهم العهد بالحبل
علي سبيل الاستعارة لما في العهد من ثبات الوصلة بين المتعاهدين وهذا من اسرار
البلاغة ولطايفها ان يسكتوا عن ذكر الشي المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر شي
من روادفه فينبهون بتلك الرمزة علي مكانه والميثاق ما به التوثق اسم مصدر
كالميعاد والميقات ان يوصل بدل من الها في به او من ما او مفعول له علي تقدير
كراهة او لئلا اولئك حتي به علي هدي اولئك علي هدي قال ابن عقيل وقد وقع
في هذه الايات خمس مقابلات بين بعوضة وما فوقها وبين امنوا وكفروا وبين
يضل ويهدي وبين ينقضون وميثاقه وبين يقطعون ويوصل ذكره بعضهم قلت

23

وسادس بين يعلمون ويقولون لان المراد بالاول الاعتقاد بالقلب وبالثاني القول
الصادر عن اللسان وهما خلافان في الجملة وذلك كاف في الطباق والمقابلة
كيف تكفرون الاية استفهام تقرير وتوبيخ وتعجيب للمومنين من كفر الكفار بعد قيام
البرهان وجي بكيف مع انها للاحوال للمبالغة لان انكار الحال يستلزم انكار ذاته
لانه تبع لها فهو نظير ليس بكثير الرماد بالنسبة الي ليس بمضياف ولذلك ايضا التفت
الي الخطاب عن الغيبة في قوله فيقولون لان الانكار والتوبيخ مع الخطاب ابلغ
وعدل عن الماضي اي كفرتم الي المضارع لافادة التلبس وقت الخطاب والتوبيخ
علي متلبس به ابلغ منه علي ما سبق ولدفع ايهام توبيخ من سبق منه كفر ثم امن وعطف
فاحياكم علي ما قبله بالفا والباقي بثم لان الاحيا الاول اعقب الموت بلا تراخ والاماتة
بعده تراخت عنه والاحيا الثاني تراخي عنها والرجوع الي الحساب متراخ عن النشور
وتسمية العدم قبل الايجاد موتا مجاز وبنا يرجعون للمفعول خلاف الافعال قبله
للفاصلة وقرا يعقوب ترجعون بفتح التاحيث وقع ولما ذكر في هذه الاية
دلايل الوحدانية من الاحيا والاماتة ذكر بعدها ما هو اعلي رتبة في افادة المقصود
ترقيا من الادني الي الاعلي وهو خلق الارض والسما بدليل لخلق السموات والارض
اكبر من خلق الناس فقال هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا واورده
في معرض الامتنان بما جعله لهم ينتفعون به واستغني بذكر ما في الارض عن الارض
مع ارادتها ايضا وهو نوع من كلام العرب لقولهم راكب الناقة طليحان اي الناقة
وراكبها ثم استوي الي السماء اي عمد وقصد اليها بارادته ومشيته استعاره
من الاستوا الذي هو حقيقة في الاعتدال وثم للتراخي في الرتبة لا الزمان
فسواهن جمع الضمير لان السما في معني الجنس وقيل لانها جمع سماوة وقال الزمخشري
هو ضمير مبهم وتفسيره سبع سموات كقوله ربه رجلا وهذا الوجه هو الغريب لما فيه
من الابهام ثم التفسير فان المبهم اذا بين كان افخم واعظم من ان يبين اولا لانه
اذا ابهم تشوقت النفوس الي الاطلاع عليه فاذا بين بعد ذلك حصل للنفس لذة
وهو بكل شي عليم فان قلت ختم هذه الاية بالعلم وقال في ال عمران قل ان تخفوا ما
في صدوركم او تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الارض والله علي كل شي
قدير والمتبادر الي الذهن في اية البقرة الختم بالقدرة وفي اية ال عمران الختم
بالعلم قلت بما اخبر تعالي انه خلق الارض وما فيها جميعا علي حسب
حاجات اهلها ومنافعهم ومصالحهم وخلق السموات خلقا مستويا محكما من غير
تفاوت والخالق علي الوصف المذكور يجب ان يكون عالما بما فعله كليا وجزئيا
مجملا ومفصلا ناسب ختم الاية بصفة العلم واذ قال ربك لما ذكر تعالي خلق
السموات والارض وما فيها عقبه بذكر كيفية خلق ادم الذي هو في الوجود
عقب خلق السموات والارض كما في الحديث واذ منصوب باذكر مقدرا للتصريح
به في عدة مواضع وعبر بالرب لما سبق من خلق ما في الارض الذي هو من المصالح
واضافة الرب الي الرسول ومخاطبته بالكاف تشريف من الله له واظهار لاختصاصه
به خليفة قرئ بالقاف قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها هو من ايراد الاشكال

واذ قال ربك

طلبا للجواب المزيل له وهو مستحسن لا من المراد الاعتراض المستقبح وقيل لو اذ كله
اما لاطلاعهم عليه في اللوح المحفوظ او قياسا على ما تقدم من الجن **ويسفك الدما** قال
السفك الصب ولا يستعمل الا في الدم وقال الجوهري يستعمل في الدمع ايضا وقال الراغب
وفي الجمهرة انه اذا ب وقرئ بضم اوله من الرباعي وبالتشديد للمبالغة وبالنصب في جواب
الاستفهام وقال الطيبي قوله ويسفك الدما منتظم في سلك جوامع الكلم التي هي
من حلية التنزيل كناية بلفظ السفك الدال على الاراقة والاجرا كالمايع وخص بالمضارع
المنبي في مثل هذا المقام عن الاستمرار نحو فلان يقري الضيف ويحمي الحرم وجمع الدما
وحلي بلام الاستغراق ليتصور شناعة ذلك الفعل ويستوعب الازمنة ويتضمن جميع
انواع الدما **ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك** من غرايب ما قيل انه فيه تقديما وتاخيرا
والتقدير ونحن نسبح ونقدس لك بحمدك اي ونحن وان سبحنا وقدسنا واطعنا
وعبدنا فذلك كله بحمدك لا بانفسنا وقال ابن الشجري ان شئت علقت البا بنسبح
اي نسبح بالثنا عليك وان شئت قدرت فنسبح معلنا بحمدك **قال اني اعلم ما لا تعلمون**
هذا جواب في سبيل الاجمال زاده تفصيلا بما ابانه من فضل ادم في الاية بعده
المتضمن انه لا شي اشرف من العلم واهله والا لاظهر فضله بامر سواه **وعلم ادم**
عطف في الجملة وقيل على محذوف اقتضاه الايجاز اي تجعل في الارض خليفة
وعلم وقري شاذا بالبنا للمفعول لان الغرض منه حصول العلم لادم مع العلم بان
الله هو الذي علمه اياها وانس علم المخاطبين بذلك بقراءة علم بالبنا للفاعل ذكره
ابن جني **ثم عرضهم** اعاد الضمير للمسميات التي في ضمن الاسما وقرا ابن مسعود عرضهن
وقرا ابي عرضها **انبيوني** امر تعجيز **سبحانك** مصدر بمعنى التنزيه امتنع فعله وهو
من المختصات بالله **انك انت العليم الحكيم** فاصلة في غاية التمكن والاستقرار
لان الكلام في علم عجز عنه الملائكة وامر اراد الله ابداعه وخفي عنهم وجه الحكمة
فيه وقدم وصف العلم لانه صفة ذاتية وليتصل بما يناسبه وهو لا علم لنا الا ان
الاتقان الذي هو معنى الحكمة ناشي عن العلم **انبيهم** قرا الحسن انبيهم كاعطهم على
ابدال الهمزة ثم حذفه للامر وفي الاية التفات الضماير فان ضمير انبيهم للملائكة وضميره
باسمايهم للمسميات وكذا فلما انباهم باسمايهم واعيد الظاهر ثانيا لكونه في جملة اخرى
وللنص على الاسم العام قال عبد واعلم انهما لشان المتعلق واعلاما بان هذا الخبر
في القصد كالاول **تذييل** ذهب قوم الى ان ادم نبي في ذلك الوقت وارسل الى
الملايكة وان هذا الانبا معجزته قال الواحدي فان قيل من اين علمنا للملايكة
صحة قول ادم ومطابقة الاسما للمسميات **اجيب** بانه يجوز ان يخلق لهم تعالى
علما ضروريا عند انبا ادم يدركون به مطابقة قوله **واذ قلنا للملايكة**
فيه التفات من الغيبة الى التكلم للتعظيم **ابى واستكبر** جملتان مستانفتان
جواب من قال ما فعل الكرماني في فعل هذه الحال في هذه السورة جملة ونصلها
في الاعراف بقوله الا ابليس لم يكن من الساجدين الى اخره وفي سورة اخرى
ابن جماعة لما تقدم التفصيل في السور المكية اجمل في البقرة المدنية اكتفاء بما تقدم
الراغب الابا شدة الامتناع وكل ابا امتناع وليس كل امتناع ابا البيضاوي الابا امتناع

ذكر فيه

باختيار

24 ٢٤

باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع
وقال غيره الاستكبار الانفة مما لا ينبغي ان يونف منه واخر استكبر عن ابى وان كان
سابقا عليه لانه مسببه ليورد مورد التعليل له الذي من حقه التاخير في الذكر
ولذلك عقب بقوله **وكان من الكافرين** في علم الله لانه ايضا تعليل لاستكباره
قال الامام لما استثنى ابليس من الساجدين وكان يحتمل ان يظن
انه كان معذورا في ترك السجود بين تعالى انه لم يسجد مع القدرة وعدم العذر
بقوله ابى لان الابا هو الامتناع مع الاختيار ثم انه قد يجوز كذلك بدون
الكبر فبين ان ذلك الابا مع الاستكبار ثم جاز ان يكونا مع عدم الكفر فبين انه
كفر **وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة** لما ذكر ما يتعلق بادم من نعمتي
الايجاد ثم نعمتي العلم والتعظيم اتبعه بنعمة العيشة الراضية وسكنى دار
المسرة واخرت عن نعمة العلم لان العلم غذا الارواح وهو اعلى مما للاشباح
وعن نعمة التعظيم لانه في نظر العقلا اتم من الملاذ الجسماني **الراغب**
الفرق بين افعل انت وزوجك كلا وبين افعلوا ان الاول تنبيه على انه المقصود
بالحكم والباقي تبع له وانه لولاه لما كانوا مامورين بذلك وعلى نحوه
قال فمن ربكما يا موسى وليس كذا اذا قيل افعلوا وذكر البيضاوي نحوه **وكلا منها**
رغدا وفي الاعراف فكلا بالفا قال في درة التنزيل لان الاصل في كل فعل
عطف عليه ما يتعلق به تعلق الجواب بالابتدا وكان الاول مع الثاني بمعنى الشرط
والجزا ان الاصل فيه عطف الثاني على الاول **واذ قلنا ادخلوا هذه القرية**
فكلوا فعطف كلوا على ادخلوا بالفا لما كان وجود الاكل منهما متعلقا بدخولها فكانه
قال ان دخلتموها اكلتم منها فالدخول موصل الى الاكل متعلق وجوده
بوجوده يبين ذلك قوله في مثل هذه الاية من سورة الاعراف واذ قيل
لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها بالواو دون الفا لان السكنى وهي
المقام طول اللبث لا يختص وجود الاكل بوجودها لان من يدخل بستانا
قد ياكل منه وهو مجتاز فلما لم يتعلق الثاني بالاول تعلق الجواب بالابتدا
وجب العطف بالواو دون الفا وعلى هذا وردت اية البقرة وكلا بالواو
لانه بعد كلوا اسكن وانما وردت اية الاعراف بالفا مع العطف على اسكن حملا
على معنى ادخل ساكنا ليكون في مقابلة قوله تعالى لابليس اخرج منها مذموما
مدحورا قال ولعل احد الخطابين لهما قبل الدخول والاخر بعده مبالغة في
بالاعذار وتوكيدا في الانذار وقال الكرماني المراد بالسكون في اية البقرة
الاقامة لا ضد الحركة فلم يصلح الا الواو ولان معناه اجمعا بين الاقامة لان الفا
للتعقيب والترتيب والذي في الاعراف معناه اتخاذ الموضع مسكنا لان
الله اخرج ابليس من الجنة بقوله اخرج منها مذموما مدحورا وخاطب ادم فقال
ويا ادم اسكن انت وزوجك اي اتخذاها لانفسكما مسكنا فكلا من حيث شئتما فكانت
الفا اولى لان اتخاذ المسكن لا يستدعي زمانا ممتدا ولا يمكن الجمع بين الاتخاذ
والاكل فيه بل يقع الاكل عقبه وزاد في البقرة رغدا لما زاد في الخبر تعظيما

لقوله وقلنا بخلاف سورة الاعراف انتهى والحاصل ان الفعل اذا كان كالشرط له
والمعطوف كالجزا فالفا والا فالواو والرغد سعة العيش وهناوه وقرئ رغدا
بالسكون وهي لغة تميم وقال ابن جماعة لما نسب هنا القول اليه سبحانه
وقلنا يا ادم ناسب زيادة الاكرام الدالة على الجمع بين السكنى والاكل ولذلك قال
فيه رغدا وقال حيث شئتما لانه اعم وفي الاعراف ويادم فاتى بالفا الدالة
على ترتيب الاكل على السكنى المامور باتخاذها لان الاكل بعد الاتخاذ ومن حيث
تعني عموم حيث شئتما وقال صاحب المناجاة يمكن ان يوجه بوجه اخر وهو انه لما
زاد في البقرة قيد رغدا ومعناه الواسع الرافة كان محلا للعلو ولانه لا تحجير فيه
اذ يصير كالواجب الموسع وفي الاعراف لما لم يذكر هذا القيد عطف بالفا تنبيها
على ان الجنة محل الاخذ والاكل والشرب وعدم التكليف فلا يلزم الداخل اذ يعقب
دخوله بنوع من انواع العبادات كما هو السنة للشخص اذا دخل مكانا ولهذا
شرعت تحية المسجد وتحية منزل الغير بركعتين وتحية البيت بركعتين في الذكر
الماثور قال ووجه اخر وهو ان سورة الاعراف اكثر ما سيق فيها من عدوه
القصة متحول للفا كقوله فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج فبما اغويتني
فوسوس فناسب اذ يدخل فيه كلا رعاية للتناسب وحيث لم يكن في البقرة كذلك
عطف بالواو التي هي اصل الجمع **ولا تقربا** نهي عن الاكل بلفظ المنع اي لا تحوما حوله
فضلا عن ان تتناولا منها الاكل وفي ذلك مع تمييزها بالاشارة وجعل القرب منها
سببا لان يكونا من الظالمين مبالغة في النهي وفيه مع التوسعة في جانب
الامر بقوله رغدا حيث شئتما ازالة العذر في التناول الراغب القصد
بالنهي عن قربان الشي تاكيد الحظر والمبالغة في النهي وذلك اذا القرب
من الشي مقتض للالفة والالفة داعية للمحبة ومحبة الشي كما قيل حبك الشي
يعمي ويصم والعمى عن القبيح والصمم عن النهي عنه هما الواقعان فيه
وقيل لا تقرب بالفتح بمعنى لا تتلبس بالفعل ولا تقرب بالضم اي بمعنى لا تدن
هذه الشجرة قرئ هذي بالياء وقرئ الشجرة بكسر الشين والشيرة بالكسر
وابدال الجيم ياء وهي لغية **فتكونا** يحتمل النصب والجزم وكذا الكلام في تركيب
مثل هذا **فازلهما** من الزلل اي حملهما عليه وذكر ابن عطية انه حقيقة
في القدم وانه في الراي والنظر مجاز وفي قراءة فازالهما من الازالة عن الضمير
للشجرة على قراءة ازلهما وللجنة على قراءة ازالهما وعن على الاول للسببية وعلى
الثاني للمجاوزة والتعدية **وقلنا اهبطوا** قال المفضل الهبوط الخروج
عن البلد ودخولها ايضا فهو من الاضداد انتهى وهو هنا من الاول
ومن الثاني اهبطوا مصرا وقرئ بضم الباء **ومتاع** الراغب المتاع انتفاع
ممتد الوقت **فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه** قرئ بنصب ادم ورفع
كلمات وعكسه واكتفى بذكر ادم لان حوا تبع له كما طوى ذكر النساء في اكثر
القران طلبا لستر المراة وقد شرحها في قوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا الكشاف
فتلقى ادم كلمات استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حيث علمها قال الطيبي

25

فهو مستعار من استقبال الناس بعض الاعزة وتلقي الكتاب اذا قدم لانهم حينئذ
لا يدعون شيئا من الاكرام الا فعلوه واكرام الكلمات الواردة من الحضرة الالهية
العمل بها وفي قراءة رفع الكلمات استعارة ايضا والمرام من الافعال ما يستوي المعنى
في اسنادها الى الفاعل والى المفعول في ذلك بلغني وبلغت ونال واصاب تقول
لقيت زيدا ولقيني زيد وتلقت خيرا وتلقاني خير ولهذا قرئ لا ينال عهدي الظالمين
والظالمون وامنت خيرا واصابني خير وتلقى ادم وادم من ذلك وفي الاية
حذف اي فقالها فتاب عليه **الاصفهاني** التوبة لفظ يشترك فيه العبد والرب
فاذا وصف بها العبد يكون معناه رجوع العبد من المعصية الى الطاعة
واذا وصف بها الرب يكون معناه رجع عليه بعد العقوبة بالمغفرة **القفال**
التوبة لفظ يكون للرب وللعبد واصله الرجوع وتختلف في الصلة
فتعدى في العبد بالى اي رجع عن ذنبه الى ربه وفي الرب بعلى اي رجع
عليه بالاحسان **انه هو التواب الرحيم** جملة استينافية وقرئ بالفتح للتعليل
وقدم التواب لمناسبة فتاب عليه لانه موافق لختم الفواصل بالرحيم ولانه
لما كان قبول التوبة من ازالة العقاب يقتضي حصول الثواب
وكان الثواب من جهة نعمته ورحمته وصف نفسه مع كونه توابا بانه رحيم
وجي بضمير الفصل للاشعار بان التوبة نعمة من الله وليست من العبد
لئلا يعجب التائب بل يجب عليه الشكر للتوبة **قلنا اهبطوا منها جميعا** كرره
للتاكيد ولانه نيط بكل حكم الامر فعلق بالاول عداوة بعضهم لبعض وبالثاني
اتيان الهدى والتكليف **قال** الطيبي وهذا هو الاسلوب المسمى في
البديع بالترديد **قال** الامام ولان ادم وحوا اتيا بعد الامر بالهبوط وقع
في قلبهما انه لا هبوط بعد التوبة فاعيد الامر بالهبوط ليعلما ان الامر باق
بعدها وقيل الاول امر بالهبوط من الجنة والثاني من السما **فاما ياتينكم
مني هدى** شرط جوابه الشرط الثاني وجوابه **فمن تبع** في طه فمن اتبع قال ابن جماعة
تبع ان فعل لا يلزم منه مخالفة للفعل قبله وافتعل يشعر بتجدد الفعل ويناسبه
قصة ادم هنا الفعل وجي بمن تبع وفي طه جي بعد قوله ولم نجد له عزما وعصى
ادم ربه فغوى فناسب من اتبع اي جدد قصد الاتباع ولذلك قال بعد اتبع
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وبعد اتبع فلا يضل ولا يشقى **هداي**
قرئ هدي بقلب الالف يا وادغامها في ياء المتكلم وهي لغة ياشبه
في هذيل ووقع الظاهر موقع المضمر للاهتمام به وباتباعه وجي به مضافا
وسبيل مثله ان يكون بال نحو فعصى فرعون الرسول لان الاضافة تعرف
قال ونزيد انه ذو التشريف **البيضاوي** جي بان التي للشك واتيان
الهدى كائن لانه محتمل في نفسه غير واجب عقلا فابرز في معرض الشك
فلا خوف عليهم اي فيما يستقبلونه من العذاب **ولا هم يحزنون** اي على ما فاتهم
من الدنيا فالخوف لامر مستقبل والحزن لامر ماض الراغب الخوف توقع مكروه
عن امارة مظنونة او معلومة ضد الامن ويستعمل في الامور الدينية والدنيوية

والخوف خشونة في النفس لما يحصل فيها من الغم ضد الفرح وقيل اصل الخوف
غلظ الهم من الحزن وهو ما غلظ من الارض وقال بعضهم جمعت هذه الجملة
مع اختصارها اشيا كثيرا من المعاني لان قوله فاما ياتينكم مني هدى دخل
فيه الانعام بجميع الادلة العقلية والشرعية وجمع قوله فمن تبع هداي تامل
الادلة والنظر فيها واستنتاج المعارف منها والعمل بها وجمع قوله فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون جمع ما اعد الله تعالى لاوليائه لان زوال الخوف يتضمن
السلامة من جميع الافات وزوال الحسن يقتضي الوصول الى كل اللذات
والمرادات وقدم عدم الخوف على عدم الحزن لان زوال ما لا ينبغي مقدم
على طلب ما ينبغي فان **قيل** كيف نفي الخوف عنهم والاحاديث
ناطقة بان المتقين حتى الانبيا يخافون في الاخرة ويقولون كل منهم نفسي
نفسي **اجيب** بانه لا اشكال على القراة المشهورة اذ لا تفيد الاستغراق
وفي لا خوف بالنصب فلانه تنزيلا للخوف الذي يعقبه الامن الدايم
منزلة العدم وفي قوله عليهم اشارة الى ان الخوف الذي يحصل لهم من اهوال
الموقف يسير بالنسبة الى ما يحصل للكافرين فلا يستعلي عليهم ولما وعد
المتبع بعدم الخوف والحزن عقبه بايعاد الذين كفروا وكذبوا في قوله
والذين كفروا الاية قيل وقد حذف من الكلام الاول ما اثبت في الثاني
ومن الثاني ما اثبت في الاول والتقدير فمن تبع هداي فلا خوف
عليهم ولا حزن وهم اصحاب الجنة والذين كفروا وكذبوا يلحقهم الخوف والحزن
وهم اصحاب النار وهذا يسمى في البديع بالاحتباك وحذف الفاء اولئك
استغنا بوجودها في الجملة الاولى كراهة توالي تماثل في اللفظ فيما بين الازم
الطيبي كان من حق هذا الكلام ان يذكر قبل ذكر التوبة لانه وقع عند الامر
بالهبوط والتوبة انما صدرت وهو على الارض لكن قدمت للدلالة على مزيد
الاهتمام بشانها وللايذان بان الذنب مما يجب ان يحترز منه وعلى تقدير صدوره
يجب ان يعقب بالتوبة ولا يمهل فالتقدير قلنا ذلك فهبط ادم فتلقى فتاب
الامام قرن هذا الكلام بالامر بالهبوط انعاما على ادم وحوا كانه قيل
ان اهبطتكم من الجنة الى الارض فقد انعمت عليكم بما يردكم الى الجنة قال بعضهم
وفيه من شبه التفات للانتقال من نا الى اليا **يا بني اسرايل** لما اقام سبحانه
دلايل التوحيد والنبوة والمعاد وضمنها ذكر الانعام العامة عقبها بذكر الانعامات
الخاصة على اسلاف اليهود كسرا لعنادهم ولان الخطاب في السورة معهم لانها اول
سورة نزلت بالمدينة وهم فيها فذكرهم اولا تلك النعم على سبيل الاجمال
وامرهم بالوفا بالعهد الذي اخذه عليهم في محمد صلى الله عليه وسلم وبالايمان به
وبكتابه ونهاهم عن الكفر به والاستبدال به وخلط الحق بالباطل وكتم الحق
وامرهم بالصلاة والزكاة اللذين هما اسا العبادات ووبخهم على مخالفة قولهم
فعلهم وارشدهم الى ما يعينهم على تهذيب انفسهم ثم ذكرهم ثانيا على سبيل الاجمال
ايضا تنبيها على غاية غفلتهم ثم اورد هذا التكرير بالترهيب البالغ ثم شرع بعد ذلك

في

في تعديد تلك النعم على سبيل التفصيل وهذا هو النهاية في حسن الترتيب
اذكروا اي اذكروا بالتشديد مبالغة **نعمتي** وقال لهذه الامة فاذكروني
تنبيها على فضلها لان عبيد المنعم اجل من عبيد النعم ولهذا قيل عبيد النعم
كثير وعبيد المنعم قليل والذكر بالكسر والضم لغتان لما باللسان وما بالقلب
وقيل المكسور باللسان وضده الصمت والمضموم بالقلب وضده النسيان
التي انعمت عليكم جرى على قاعدة العرب من نسبة ما للابا الى الابنا يقولون
لبعضهم ضربناكم يوم كذا اي هزم اباؤنا اباكم **قال القرندق** وبيننا
بنت الله نحن ولاته يريد ان اباه في القديم وليه **واوفوا بعهدي اوف بعهدكم**
قرا الزهري اوف بالتشديد قال ابن جني وهو ابلغ من المخفف فكانه قال
اوفوا بعهدي ابالغ في توفيتكم فهو ضمان منه سبحانه ان يعطي الكثير عن القليل
كقوله من جا بالحسنة فله عشر امثالها قال بعضهم يقال في العهد وفى ووفى
واوفى وفي الكيل اوفى لا غير قال ابن جريج هو العهد الذي اخذه عليهم في
المايدة في قوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرايل الاية اخرجه ابن جرير
وقال بعضهم اطلاق العهد على وعد الله تعالى من مجاز المقابلة
على حد وجزا سيئة سيئة والعلاقة ان وعده لا يخلف فاشبه الملتزم كالعهد
واياي فارهبون هو اكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد لما فيه من
تقديم الضمير المنفصل وتاخير المتصل والفا الموجبة معطوفا عليه تقديره
وارهبون اياي وان احدهما مضمر والاخر مظهر وما في ذلك من تكرار الرهبة
وامنوا بما انزلت من عطف الخاص على العام للاهتمام بشانه والحث عليه
ولا تكونوا اول كافر به اي من اهل الكتاب والا فقد تقدمهم كفر العرب به
او الضمير لما معكم **ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا** استعارة للاستبدال
كما تقدم في اشتروا الضلالة بالهدى وذكر الثمن ترشيح وقليلا للشناعة لنعي
عليهم وانهم استبدلوا الخسيس بالنفيس **واياي فاتقون** قريب من قوله
واياي فارهبون والفرق ان الرهبة عبارة عن الخوف واما الاتقا فما يحتاج
اليه عند الجزم بحصول ما يتقى منه فكانه تعالى امرهم بالرهبة لان جواز العقاب
قايم ثم امرهم بالتقوى لان تيقن الخطا قايم وقيل الفرق ان الرهبة مقرونة
بها وعيد بالغ الراغب الرهبة مخافة مع تحرز واضطراب قال وهي دون
التقوى فلما خاطب الكافة عالمهم ومقلدهم وحثهم على النعمة التي يشتركون
فيها امرهم بالرهبة التي هي مبادي التقوى ولما خاطب العلما منهم وحثهم
على مراعاة اياته امرهم بالتقوى التي هي منتهى الطاعة **ولا تكتموا الحق** يحتمل
النصب والجزم وقرى وتكتمون **واتوا الزكاة** الراغب الايتا الاعطا وخص
دفع الصدقة في القران بالايتا **واركعوا مع الراكعين** صرح به بعد ذكر
الصلاة لان اليهود لا ركوع في صلاتهم او حض على الجماعة **اتامرون الناس
بالبر وتنسون انفسكم** القاعدة ان المنكر بالهمزة يجب ان يليها وقد اشكل على ذلك
هذه الاية فانه كان المنكر امر الناس بالبر فقط كما تقتضيه القاعدة المذكورة

فيشكل لان امر البر ليس مما ينكر ونسيان النفس فقط كذلك لانه يصير ذكر امر الناس
بالبر لا مدخل له او مجموع الامرين لزم ان يكون العبادة جزءا لمنكر او نسيان
النفس بشرط الامرين وزاد ان النسيان منكر مطلقا ولا يكون نسيان النفس
حال الامر اشد منه حال عدم الامر لان المعصية لا تزداد بشناعة باقترانها
لا الطاعة فاكثر العلماء على ان الامر بالبر واجب وان كان الانسان ناسيا لنفسه
وظهر لي في الجواب ان يقال يحتمل ان يكون من المقرر عندهم في التوراة ان الامر
شرطه الامتثال وانه اذا لم يفعل ما امر به يكون امره غير معتد به
ولا مثاب عليه وان كان شرعنا بخلافه فوردت الاية على نسق ما عندهم
وجواب ثاني وهو ان البر المذكور هو الايمان بمحمد ولما لم يؤمنوا لم يكن امرهم به
طاعة لان شرطها الايمان وطاعات الكافر غير محسوبة له فانتفى بذلك اشكال
الانكار عند ضم الطاعة وقال البيضاوي المقصود من الاية حث الواعظ
على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل لا منع الفاسق من الوعظ فان الاخلال
باحد الامرين المطلوبين لا يوجب الاخلال بالاخر والبر اسم جامع لجميع انواع
الخير كان الفجور اسم جامع لجميع انواع الشر وفي قوله تنسون استعارة تبعية
اي تتركونها كالشيء المنسي الذي لا يخطر بالبال وانتم تتلون الكتاب فرق بعضهم
بين القراءة والتلاوة بان القراءة اصلها جمع الحروف والتلاوة اصلها اتباع
الحروف ولا يستلزم الجمع الاتباع واستعينوا عطف على الاوامر قبله
وجملة اتامرون الاية المعترضة بالصبر هو حبس النفس على ما تكره فيشمل الصبر
على الطاعات وعن المعاصي وعلى البلايا فهو من جوامع الكلم والصلاة افردها
بالذكر تعظيما لشانها واستجماعها ضروبا من الصبر ومصداق الاستعانة
بها على الطاعة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر الراغب الصلاة جامعة لكل
للعبادات وزائدة عليها لانها لا تصح الا ببذل مال فيما يطهر به البدن ويستر به العورة
وذلك يجري مجرى الزكاة وبامساك في مكان مخصوص وذلك يجري مجرى الاعتكاف
وامساك عن المفطرات من الاكل والشرب والجماع وذلك يجري مجرى الصوم وتوجه
الى الكعبة يجري مجرى الحج وذكر الله ورسوله يجري مجرى الايمان ومجاهدة في دفع
الشيطان يجري مجرى الجهاد وفيها ما ليس في شيء من العبادات الاخر من وجوب
القراءة واظهار الخشوع والركوع والسجود ومناجاة الرب وعدم الالتفات
لانه قائم بين يدي الحضرة الى غير ذلك ولذلك قال عليه السلام وجعلت قرة عيني
في الصلاة ولا شيء من العبادات يقتل بتركها بعد الايمان سواها وقيل
المراد بالصلاة الدعاء والالتجاء وقيل المراد بالصبر الصوم ومنه قيل لرمضان
شهر الصبر وقدم على الصلاة لان تاثيره في التخلية عما لا ينبغي وتاثيرها في التحلية
بما ينبغي والتخلية متقدمة على التحلية وانها لكبيرة الضمير للاستعانة وقيل للصلاة
وقيل لها وللصبر تنزيلا لهما منزلة الجمع لعدم الالتباس وقيل التقدير واستعينوا
بالصبر وانه لكبير والصلاة وانها لكبيرة فاكتفى بذكر احدهما الا على الخاشعين
الخشوع الاخبات والتطامن واما الخضوع فاللين والانقياد الراغب

الخشوع

27

الخشوع ضراعة واكثر ما يستعمل فيما يوجد في الجوارح والضراعة اكثر ما يستعمل فيما يوجد في
القلب وقال الليث الخشوع قريب من الخضوع الا ان الخشوع في القلب
والبصر والصوت والخضوع في البدن ومدار خشع على السكون وقال بعضهم الخاشع
من حصل في نفسه هيبة ظهر عنها في جوارحه سكون وتواضع لله وقال
الزجاج الخاشع الذي يرى عليه اثر الذل والخضوع الذين يظنون فيه اطلاق
الظن على اليقين مجازا وقرا ابن مسعود يعلمون انهم ملاقوا ربهم قال الواحدي
الملاقاة واللقاء حيث ذكرا في القران فالمراد بهما البعث وفي الاضافة الى الرب
واضافته اليهم من الاشعار والاحسان ما لا يحصل لو اضيف الى غير الرب او لم
يضف الرب اليهم يا بني اسرائيل الاية اعاد التذكير بالنعمة توكيدا وقرنه بنعمة
عظيمة وهو تفضيلهم على عالمي زمانهم واتقوا يوما اي عقاب يوم لان اليوم لا
يتقى قال القشيري خوف الله الخواص بصفته فقال وسيرى الله
عملكم وخواص الخواص بنفسه فقال ويحذركم الله نفسه والعوام بقوله واتقوا
يوما واتقوا النار لا تجزي اي فيه وقرئ بضم اوله والهمز فالاول لغة الحجاز
والثاني لغة تميم وقيل الاول بمعنى تقضي وتكافي والثاني بمعنى تغني
نفس عن نفس شيئا في تنكير الثلاثة من التخويف ما لا يخفى ولا يقبل منها شفاعة
ولا يؤخذ منها عدل قدم هنا قبول الشفاعة على اخذ الفدية وعكس فيما
سياتي تفننا وقال ابن جماعة الضمير منها في هذه الاية راجع الى النفس
الاولى وفي الاية الاتية راجع الى النفس الثانية فكانه بين هنا ان النفس
الشافعة الجازية عن غيرها لا تقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل عنها لان
الشافع يقدم الشفاعة على بذل العدل فقدم الشفاعة وبين في الاية الاتية
ان النفس المطلوبة بجرمها لا يقبل منها عدل عن نفسها ولا تنفعها شفاعة شافع
فيها وقدم بذل العدل للحاجة الى الشفاعة عند رده ولذلك قال هنا لا تقبل
منها شفاعة وهناك ولا تنفعها شفاعة لان الشفاعة انما تقبل من الشافع وانما
تنفع المشفوع له الرازي الوجوه التي يتلقى بها المكاره وتدارك بها الشدائد اربعة
فان الانسان اذا دفع الى كريهة دفع عنه اصدقاؤه وعشيرته بما في انفسهم
من الحمية كما يذب الوالد عن ولده بغاية قوته وجلده فان لم يكن لهم يد بالمدافعة
ولا حيلة في الممانعة عاد بوجوه الضراعة وصنوف المسالة والشفاعة فحاول
بالملاينة ما قصر عنه بالمخاشنة فان لم يغن عنه ذلك شيئا لم يبق بعدها الا
الفداء بالمال والفك من الاسر فان لم يغن عنه الثلاثة تعلل بما يرجوه من نصرة
في الاجل واداله في الخاتمة فذكر تعالى في هذه المراتب على هذا الترتيب
فبدا بانه لا تجزي نفس عن نفس شيئا ثم ثنى بانه لا تقبل منها شفاعة ثم ثلث
بانه لا يؤخذ منها عدل ثم ختم بانهم لا ينصرون قطعا لرجائهم واذلالا لطمعهم ه
وقال صاحب المناجاة لما كانت عادة العرب تختلف في دفع المكاره عنهم
من يقدم الشفاعة على الفداء ومنهم من يقدم الفداء على الشفاعة لان في نفسه زيادة
اباء سلك في الاية الاولى طريقة اولئك وفي الثانية طريقة الاخرين قال او يقال

يا بني اسرائيل

سلك فيهما مسلك العكس والتبديل وهو من محسنات الكلام قال وهذا الوجه يطرق
في جميع ما وقع فيه تقديم وتاخير انتهى قلت ولو جعل الضمير في قوله هنا ولا تقبل منها
شفاعة للنفس الاولى الجازية وفي قوله ولا يؤخذ منها عدل للنفس الثانية المجزي عنها
لكان وجها حسنا ويكون فيه لف ونشر مرتب وذكر هنا مع الشفاعة القبول
وفي الاية الاخرى النفع ومع العدل الاخذ وهناك القبول نفيا للشيء بطريق نفيه
انتفا اصله وانتفا ما يترتب عليه فالنفي والاخذ مرتبان على القبول وبدي بنفي
القبول في الموضعين لانه الاصل وجمع ضمير النفس باعتبار النفوس الكثيرة التي دلت
عليها النفس المنكرة وذكره باعتبار معنى العباد والاناسي وقرئ ولا يقبل بالتحتية
مبنيا للفاعل وشفاعة بالنصب وفيه التفات والعدل بالفتح ما يعدل به
الشيء من غير جنسه والنصر اخص من المعونة لاختصاصه بدفع الضر قال
الواحدي المعونة قد تكون على صناعة والنصر لا يكون الا مع منازعة وفي الاية نوع
طباق لان في الشفاعة نوع تذلل وفي المنازعة تعزز واذ نجيناكم من ال فرعون هو
شروع في تفصيل تلك النعمة لانه ابلغ في التذكير واعظم في الحجة ونعمة الانجا اول
النعم بالنسبة لما بعدها قدمت وقرئ انجيناكم ونجيتكم والال اخص من
الاهل من حيث انه لا يقال الا لذي الخطر كالانبياء والملوك والعقل فلا يقال
ال مكة ولا ال المدينة ولهذا يقال اهل العلم واعم من جهة شموله للقرابة والاتباع
وفرعون قال المسعودي لا يعرف له تفسير بالعربية وقيل انه بلغة
القبط التمساح يسومونكم الراغب السوم الذهاب في ابتغا السوم فهو لفظ لمعنى
مركب من الذهاب والابتغا فاجري مجرى الذهاب في سامة الابل ومجرى الابتغاء
في سامه ولا سو العذاب عبر بالسو لانه اسم جامع لجميع الافات والادا وكل مستقبح و
يذبحون وفي سورة ابراهيم ويذبحون قال الفرا الموضع الذي طرحت منه الواو
يبين انه قد مسهم من العذاب غير الذبح من الاستخدام في الاعمال الشاقة فكانه
قال يعذبونكم بغير الذبح وبالذبح وخص ذلك بما في سورة ابراهيم في
لانه من قول موسى لهم يذكرهم بايام الله كما امره الله فناسب ذلك الاطناب وقرئ يذبحون
مخففا ويقتلون مشددا ويستحيون نساءكم اصله للبالغات واطلق هنا على الصغار
الاناث تسمية للشيء باسم ما يؤول اليه فان البنات لما لم يقتلن وصلن الى حد النسا
ووجه البلاغة ان الاستبقا للاسترقاق والاذلال محنة عظيمة وفي ذلكم بلاء
البلا مشترك بين النعمة والنقمة ويصلحان هنا فعلى الاول تكون الاشارة الى الانجا
وعلى الثاني الى السوم والراغب الى انهما معا مرادان هنا من باب استعمال المشترك
في معنييه فانه قال وقوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم راجع الى المحنة التي في قوله
يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم والى المحنة التي انجاهم ولذا قوله واتيناهم من الايات ت
ما فيه بلاء مبين راجع الى الامرين كما وصف كتابه بقوله قل هو للذين امنوا هدى وشفاء
الاية قال وسمي الغم بلاء من حيث انه يبلي الجسم واذ فرقنا قال الزجاج بالتشديد
قال ابن جني ومعناه جعلناه فرقا ومعنى المخفف شققنا واغرقنا ال فرعون اراد
فرعون واله فاكتفى باضافة الثاني الى الاول وهو من فصيح كلام العرب

ثم ركب الناقة طلبتان اي الناقة وراكبها طلبتان وانتم تنظرون الى انطباق البحر
عليهم لعدم خروجهم منه ومن غريب ما قيل فيه انه متصل بقوله ويستحيون نساءكم
على التقديم والتاخير واذ وعدنا وفي قراءة واعدنا ووجه المفاعلة فيه ان الله وعد
الوحي وموسى وعد المجي الى الميقات وقيل هي هنا من جانب واحد وقيل الوعد
من الله وقبوله من موسى فنزل قبول الوعد منزلة الوعد وقيل واعد من الوعد
الافصح فيه واعد ولا يشترط فيه التفاعل بخلاف الوعد والوعيد اربعين
ليلة ذكر الليل دون النهار لان شهور العرب وضعت على سير القمر وهو ليلي
واول الشهر الليلة وصارت الايام تبعا وقال القفال لانه قد امر
بصيام الاربعين فاتى بالليل ليعلم انه قد امره ان لا يفطر فيه ليكون الصيام
وصالا وفيه بعد وقال غيره خص الليل بالذكر لانه اشرف من النهار
ولانه محل خلوة العالم والملوك واسرارهم وقرئ اربعين بكسر البا لغة
ثم اتخذتم العجل اي الها من بعده اي بعد مضيه وانتم ظالمون بوضعكم العبادة بعد صح
في غير موضعها ثم عفونا عنكم العفو محو الذنب الراغب العفو القصد لتناول
الشي وعفوت عنك كانه قصد ازالة ذنبه صارفا عنه فالمفعول في الحقيقة
متروك وعن متعلق بمضمر فالعفو هو التجافي عن الذنب وقال
غيره العفو يطلق بمعنى الترك وبمعنى المدروس وبمعنى السهولة وعفو
الذنب يصح رجوعه الى كل منها وقال ابن عطية لا يستعمل العفو بمعنى الصفح
الا في الذنب واذ اتينا موسى الكتاب اي التوراة والفرقان اي الفارق بين
الحق والباطل وهو صفة للكتاب فعطفه عليه مرادا بهما التوراة من باب
الكناية التي يراد بها نفس الموصوف والواو هي الداخلة بين الصفات للاعلام
باستقلال كل منها وقيل اريد به الشرع الفارق بين الحق والباطل اي الحلال
والحرام فعطفه على الكتاب من باب التجريد ومن الغريب قول الفرا
انه القران وان التقدير ومحمد الفرقان وقال الزملكاني في التقدير وانزلنا
الفرقان لعلكم تهتدون بما اتيناه من الكتاب الراغب كل موضع ذكر في وصف
الكتاب اتينا فهو ابلغ من كل موضع ذكر فيه اوتوا لان اوتوا قد يقال لما اذا اوتي
من لم يكن منه قبول واتيناه يقال فيمن كان منه قبول والايتا
اقوى من الاعطا في اثبات مفعوله وفي الختم بيهتدون مناسبة للكتاب
لان كتب الله كلها محصلة للهدى واذ قال موسى الاية هو من جملة النعم
لان التنبيه على ما يتخلص به من الذنب العظيم نعمة واسند الى موسى
وجيء به بلفظ الغيبة بخلاف ما قبله وبعده لما تضمنه من الامر بقتل انفسهم
وفي الخطاب بذلك قال تذكير النعمة عصيانه يا قوم فيه تلطف داع لقبول
ما يلقى بخلاف ما لو نودوا والنبي يتضمن قبيح ما صدر منهم فتوبوا الراغب
التوبة ترك الذنب على اجمل الوجوه وهو ابلغ ضروب الاعتذار فان الاعتذار
على ثلاثة اوجه اما ان يقول المعتذر لم افعل او فعلت لاجل كذا او فعلت واسات
وقد اقلعت ولا رابع لذلك وهذا الاخير هو التوبة الى قال الراغب

ذكر الى بعد التوبة تقتضي الانابة **بارئكم** البارئ هو الذي خلق الخلق بريا من
التفاوت ومتميزا بعضه من بعض بالاشكال المختلفة والصور المتباينة الطيبي
ذكر البارئ هنا دون سائر الصفات فناسب للمقام لان معناه الذي خلقهم
بريا من التفاوت وهي نعمة جسيمة وكان من حق الشكر ان يخصوا من له هذه الصفة
بالعبادة دون غيره فلما عكسوا هذه القضية وكفروا هذه النعمة بان عبدوا
ما هو على ضده اي من لا تمييز له اصلا استرد منهم تلك النعمة بان امروا
بالقتل وفك ذلك التركيب الانيق **فاقتلوا** بدل من فتوبوا لان التوبة
نفس القتل وقرا قتادة فاقتالوا من الاستقالة وفي الكشاف فاقيلوا من الاقالة
ذلكم اشارة الى المصدر المفهوم من فاقتلوا او من فتوبوا او منهما **فتاب عليكم**
اما من قول موسى على حذف اي ان فعلتم ذلك فقد تاب او من كلامه تعالى على
طريق الالتفات من التكلم الى الغيبة على تقدير ففعلتم ذلك فتاب وهذا هو
الاحسن **لن نؤمن لك** ضمن معنى نقر فعدي باللام وبالغوا في النفي حيث
عبروا بلن **جهرة** اي عيانا استعارة لان الجهر لا يستعمل الا في الصوت
فشبهوا الحديثما بالامر ونصبه على المصدر المؤكد اي رؤية جهرة لئلا يتوهم ان
ارادتهم بالرؤية العلم او التخيل على ما يراه النائم قاله الاصبهاني الراغب
الظهرية يقال لظهور الشي بافراط حاسة البصر او السمع الكرماني في قيل هو متعلق
بالقول اي قلتم جهرة اي جهرتم بتلك المقالة وقرئ جهرة بفتح الهاء على انه مصدر
كالغلبة او جمع كالكتبة **الصاعقة** قرئ الصعقة فقيل هما بمعنى وقيل ان
الصعقة ما يحدث بالانسان عن الصاعقة وهي اسم لكل مهول لذ من نارا او زلزلة
او رجفة **ثم بعثناكم** اصل البعث اثارة الشي من محله ويطلق على الاثارة والارسال
وحمله صاحب الا للتجريد لقدر مشترك وهو ازالة ما يحبس عن التصرف
وظللنا عطف على بعثناكم **الغمام** السحاب لانه يغم السماء اي يسترها وكلما يستر
شيا فقد غمه وقال مجاهد هو ابرد من السحاب وارق واصفى **كلوا** اي وقلنا
يحذف اختصارا للدلالة الظاهرة عليه **وما ظلمونا** فيه حذف اي فكفروا هذه النعمة
ولكن كانوا انفسهم يظلمون وقعت لكن هنا احسن موقع لتقدم النفي قبلها ان
ومجي الايجاب بعدها وطباق الكلامين تثبت ما بعد لكن على نحو ما نفي قبلها وقد
كان هنا مشعرة بان ذلك شانهم في انفسهم ويظلمون مضارع اللفظ ماضي المعنى
وقدم مفعوله عليه لتوافق رؤوس الاي والاعتنا باخبار من حل به [illegible]
والاختصاص **الزملكاني** دخلت كان هنا لانه اخبار عن قوم مضوا ولم يدخل في قوله
ولكن انفسهم يظلمون في ال عمران لانه ضرب مثل اريد ان جاعة لقوم حاضرين
زاد صاحب المناجاة مع قوله في اول الاية قوم ظلموا انفسهم فلما بان اخره ان
بصيغة كان ليحصل فيه النوع البديعي المسمى بالعكس والتبديل **واذ قلنا**
في الاعراف واذ قيل لهم لان اية البقرة في معرض تعداد النعم فناسب نسبة
القول الله تعالى بخلاف اية الاعراف فانها افتتحت بتوبيخهم فناسب ذلك وان
قيل لهم ولهذا ذكر هنا رغدا لان النعمة به اتم وحذف هناك وقدم هنا وادخلوا الباب

سجدا وانى نغفر خطاياكم لانه جمع كثرة وهناك خطيئاتكم وهو جمع سلامة واصله ان
للقلة والاول اليق بالمعنا وبتعداد النعم وزاد الواو في وسنزيد لدلالتها
على الجمع بينهما وشدة الاتصال وللملايمة وحذفها هناك قطعا واستئنافا كانه
قيل وما بعد الغفران فقيل سنزيد المحسنين **ادخلوا هذه القرية فكلوا** وفي
الاعراف اسكنوا هذه القرية وكلوا وتقدم وجهه قريبا **رغدا** قال
صاحب المناجاة حذفت من الاعراف لان في اسكنوا والسكون شعر بالراحة
فلم يحتج الى التنصيص عليه ولان سورة الاعراف اقصر من البقرة فكانت
محلا للايجاز قال وهذه القاعدة مستمرة في سور القران كثيرا وقد يعكس
فيوتي بالاخصر في الزيادة ويترك في الاطول لرعاية التسوية او غيرها
من المقتضيات قال ومن القاعدة زيادة الواو هنا وتركها هناك ومن عكسها
زيادة منهم هناك رعاية لعكس القاعدة فانه من الوجوه المحسنة للكلام
ايضا **وقولوا حطة** خبر مبتدا محذوف اي مسئلتنا حطة واصلها النصب
وقرئ به بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله
فصبر جميل الكرماني اخرت هذه الجملة هنا عن وادخلوا الباب سجدا
لانه بادخلوا فبين كيفية الدخول بخلاف اية الاعراف فانها صدرت باسكنوا
ووجهه الامام بان القصة اذا نقلت من لسان الى اخر جاز التقديم
والتاخير فنبه بالصورتين على ذلك فانه من نقل المعنى بخلاف ما اذا
كان الغرض حكاية اللفظ **نغفر** قرئ على البناء للمفعول بالياء والتاء وعلى البناء
للفاعل بالنون والياء وفيه على الاخيرة التفات **خطاياكم** قرئ خطيئاتكم
وخطيئتكم **وسنزيد المحسنين** قال ابن عباس من كان منكم مسيئا كانت
تلك الكلمة قربة له ومغفرة ومن كان محسنا كانت سببا في زيادة ثوابه
اخرجه ابن جرير قال في الكشاف اخرج المعطوف والمعطوف عليه وهما نغفر
وسنزيد مع متعلقيهما مخرج الشرط والجزاء اعلاما ان كلا منهما جواب للامر
وهو قولوا وان كان الثاني غير مجزوم قال الطيبي فظهر من هذا ان في الاية
الجمع والتفريق فالاول في قوله وقولوا حطة جمع الفريقين المسيء والمحسن
معا في هذا القول المخصوص والثاني في قوله نغفر وسنزيد **فان قلت**
كيف عطف وسنزيد على نغفر وهو مجزوم واجاب عنه البيضاوي بانه اخرجه
عن صورة الجواب الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله
فكيف اذا فعله وانه تعالى يفعله لا محالة قال الطيبي اراد ان الزيادة
اذا كانت من وعد الله كانت اعظم مما اذا كانت مسببة عن فعلهم وقال
بعضهم عطفت جملة وسنزيد هنا ايذانا بترتبها على الجملة قبلها وترك العطف
في الاعراف اعتبارا باقتضائها الاخبار المطلق ومجيئها على اسلوب الايجاز
ولذا لم يذكر رغدا قاله عليهم وقال الرازي ذكر الواو هنا يفيد كون
مجموع المغفرة والزيادة جزاء واحدا لمجموع الفعلين وتركها هناك يفيد توزع
كل من الجزائين على كل من الشرطين فنغفر لقولوا اشارة الى التوبة وسنزيد لادخلوا

اشارة الى العباد وحاصله انه افيد بالعطف ترتب المجموع من غير بيان ما لكل
واحد بتركه ما لكل بخصوصه فبدل الذين ظلموا زاد في اية الاعراف منهم ليكون
في مقابلة قوله في اول القصة ومن قوم موسى امة يهدون بالحق فيتساوى اخر
الكلام اوله ويطابق عجزه صدره فيكون الظالمون من قوم موسى بازاء الهادين
منهم واما هنا فلم يذكر منهم فرقة هادية بل ذكر امة عادية مبدلة مفتتحة
بقوله اذكروا نعمتي الى ما عدده عليهم من الانعام الى ان انتهى الى قوله فبدل الذين
ظلموا فلم يحتج الى منهم لانه لم يتقدمه ما تقدمه في سورة الاعراف مما يقتضيه
مع العلم بان المراد الذين ظلموا من المخاطبين بقوله ادخلوا الى ان ذلك المعنى
الخاص المقتضي لزيادة منهم هناك مفقود هنا وحذف مفعول بدل
المتعدي بالباء الى الذي قيل لهم او لا حذف وضمن بدل معنى قال وفي الاية
اكتفا فانهم كما بدلوا القول بدلوا الدخول سجدا فدخلوا يزحفون على استاههم
كما ثبت في حديث الصحيحين فانزلنا في الاعراف فارسلنا لان لفظ الرسول
والرسالة كثرت في الاعراف فجاء ذلك موافقا له ولان الارسال اشد وقعا
من الانزال وهو مناسب لاية الاعراف دون البقرة المسوقة لتعداد النعم
على الذين ظلموا اوقع الظاهر موقع المضمر زيادة في تقبيح امرهم وايذانا
بان انزال الرجز عليهم لظلمهم وفي الاعراف عليهم على الاصل ونكتة التغاير
ان هذه الاية مبنية على التفخيم لافتتاحها باسناد الفعل الى الله كما تقدم
رجزا قرئ بضم الراء لغة بني الصعدات وهو اسم للعذاب قال بعضهم واصل
الرجز تتابع الحركات فحقيقة الرجز العذاب المتقلقل لشدته قلقلة شديدة
متتابعة وقال الراغب اصل الرجز الاضطراب والرجز هنا الزلزلة بما كانوا يفسقون
في الاعراف يظلمون وهو تفنن قال صاحب المناجاة وخصت هذه الاية
بلفظ الفسق كراهة التكرار لتقدم ذكر الظلم فيها مرتين كما خصت اية الاعراف
بالظلم كذلك لذكر يفسقون عقب القصة فيها مرتين وقال ابن جماعة اية الاعراف
مسوقة للتوبيخ كما تقدم والظلم اشد من الفسق فناسب ختمها به وحاصل ما اطلقه
فيه الاثنا عشر ... الطيبي موقع كان في هذا الموضع من ... قال
الراغب كان ما استعمل في جنس الشيء متعلقا بوصف له موجود فيه وتنبيه
على ان ذلك الوصف لازم له قليل الانفكاك عنه وقرئ يفسقون بكسر السين
لغة واذ استسقى موسى لقومه قال ابن عباس كان ذلك في التيه اخرجه
ابن جرير قال الطيبي وهو قبل دخولهم القرية فدل على ان الايات
واردة على التقديم والتاخير فيتجه لقائل ان يقول ما بالها ما نصت على
ترتيب الواقعة قال والجواب عنه ما ذكره الزمخشري في قوله واذ قتلتم
نفسا فادارأتم كل ما قص من قصص بني اسرائيل انما قص تعديدا لما وجد منهم
فكذا هنا لو قصت متصلات مرتبات كانت القصة واحدة فالتفريق دل على
ان القصد تعديد النعم وتقريعهم على كفرانها نعمة عن نعمة قال وان كانت
قصة واحدة لكنها نعم متعددة ومن ثم كررها لفظ اذكروا او ... كذا انتهى

كذا

كذا وصرح في بعضها بذكر موسى واعادة مرة بعد اخرى فانفجرت فيه حذف اي فضرب
فانفجرت اشير بحذفه وبنا الفصيحة الى الدلالة على ان المامور لم يتوقف على اتباع
الامر وظهر اثره في الحال وعلى ان المطلوب من المامور به الانفجار لا الضرب
وقال بعضهم فيه حذف اكثر من ذلك والتقدير واذ استسقى
موسى لقومه لما اذ عطشوا وسالوه فاجبناه فقلنا اضرب على حد قوله فارسلون
يوسف وفي الاعراف فانبجست قال الراغب الانبجاس يقال فيما يخرج من شيء
ضيق والانفجار فيما يخرج من شيء واسع وقال الكرماني الانفجار انصباب
الماء بكثرة والانبجاس ظهور الماء في هذه السورة واشربوا فذكر بلفظ المبالغة
وليس في الاعراف فاشربوا فلطف ما بالغ فيه وقال غيره لما كانت اية البقرة
في معرض تعداد النعم ناسب التعبير بالابلغ قال صاحب المناجاة ولما كان
المستسقي هنا موسى ناسب الابلغ بخلاف الاعراف فان المستسقي بها قوم موسى
عشرة قرئ بكسر الشين وفتحها لغتان مشربهم مكان شربهم ولم يقل عينهم لتضمن
مشرب المنفعة التي هي سبب الحياة ذكره بعضهم كلوا على حذف وقلنا من رزق
الله فيه التفات من قولنا وعبر به دون منه لذكر الاكل المتعلق بالمن والسلوى
ولو قيل منه لاختص بالمشرب ولا تعثوا العثو اشد الفساد وقيل الاسراع فيه ولما
كان حصول الرزق بلا تكلف مظنة البطر عقب بالنهي عن الفساد يخرج لنا مما
فيه حذف المفعول اي ماكولا مما تنبت الارض فيه الاسناد المجازي من بقلها
قال الواحدي هو كل نبات لا يبقى له ساق اذا رعته الماشية وقثائها
قرئ بضم القاف لغة تميم وفومها قرا ابن مسعود وثومها بالمثلثة اتستبدلون
قرا ابي اتبدلون بسكون الباء ادنى قرئ بالهمز من الدناءة وهي الخسة وقيل هو
مقلوب من ادون اهبطوا مصرا اي من الامصار وقرا الاعمش مصر بلا تنوين على
ارادة البلد المعروف ما سالتم قرئ بكسر السين لغة وضربت عليهم الذلة والمسكنة
اي لزمتهم ولصقت بهم لزوم الدرهم المضروب لسكته قال الراغب الضرب ايقاع شيء
على شيء ولتصور اختلاف الضرب خولف بين تفاسيرها كضرب الشيء باليد والعصا
ونحوهما وضرب الارض بالمطر وضرب الدراهم اعتبارا بضربها بالمطرقة وقيل له
الطبع لتاثير السكة فيه وبذلك شبه السجية فقيل لها الضريبة والطبيعة
والضرب في الارض الذهاب فيها لضربها بالارجل وضرب الفحل الناقة تشبيها بالضرب
بالمطرقة وضرب الخيمة بضرب اوتادها بالمطرقة وتشبيها بضرب الخيمة قال
تعالى ضربت عليهم الذلة اي التحفتهم الذلة التحاف الخيمة بمن ضربت عليه
ومنه استعير ضربنا على اذانهم وضرب المثل هو من ضرب الدراهم وهو ذكر شيء
يظهر اثره في غيره انتهى وقال القطب يحتمل ان يكون الاستعارة في الذلة
بان شبهت بالقبة المضروبة على الشيء المحيط به من كل جانب ثم حذف المشبه به
واقيم المشبه مقامه واثبت له الضرب على سبيل التخييل فهي استعارة مكنية
وتخييلية او في الفعل وهو ضربت بان شبه الصاق الذلة ولزومها بضرب
الطين على الحائط ولزومه اياه ثم استعير اسم الضرب للالصاق الذلة فيكون مصرحة

تنبيهٌ قال وانما قال وضربت بالواو ولا بالفا تنبيها على انه ليس بمرتب على سؤالهم
النوع الاخس من الطعام بل على ما ذكر بعده في قوله ذلك بانهم الى اخره وقال
ابن الانباري وضربت عطف على محذوف اي فبطروا فعتوا وافسدوا وضربت
الماوردي الذلة ابلغ من الذل وباوا بغضب يقال باء فلان بفلان اذا
كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافاته اي صاروا احقا بغضب الكسائي
اي انصرفوا به ولا يقول باوا الا بشي اما بخير واما بشر ولا يكون بمعنى مطلق
الانصراف وقال غيره يختص بالشر الزجاج باوا بغضب احتملوه قال
الراغب اي حلوا مبوا اي منزلا ومعهم غضب الله فقوله بغضب في موضع الحال
واستعمل باوا تنبيها ان مكانه الموافق يلزمه فيه غضب الله فكيف غيره من الامكنة
واصل البوا مساواة الاجزا المكان خلافا للنبوا الذي هو منافاة الاجزا وتنكير غضب
للتعظيم ويقتلون النبيين بغير الحق الكشاف فان قلت قتل الانبيا لا يكون الا
بغير الحق فما فائدة ذكره قلت معناه انهم قتلوهم بغير الحق عندهم لان الانبيا
لم يقتلوا ولا افسدوا في الارض وانما نصحوهم ودعوهم الى ما ينفعهم فقتلوهم
فلو اسيل اليهود وانصفوا من انفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل
عندهم وقرئ وتقتلون بالفوقية وفيه التفات وقرئ يقتلون بالتشديد
على الكثرة الامام قال هنا بغير الحق وفي ال عمران بغير حق لان ما هنا اخبار
عن قدما اليهود بدليل ذلك بانهم كانوا يكفرون وما في ال عمران ان للموجودين
في عصر الرسول بدليل فبشرهم بعذاب اليم ولقوله ان الذين يكفرون ويقتلون
ولم يقتل كفر والانهم كانوا حريصين على قتل النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك سموا
فجا منكرا ليكون اعم فتقوى الشناعة عليهم والتوبيخ لهم وقال الكرماني
التعريف هنا للاشارة الى الحق الذي اذن الله فيه بقوله ولا تقتلوا النفس التي
حرم الله الا بالحق وقوله بغير حق اي في معتقدهم ودينهم فكان بالتنكير اولى
وقال صاحب المناجاة القتل بالحق على وجهين احدهما ان يكون حقا لله
كولي المقتول والثاني ان لا يكون حقا له ولكن صادر منه على وجه حق كالحاكم
فالمعرف اشارة الى الاول والمنكر اشارة الى الثاني الكرماني جمع النبيين
هنا جمع سلامة لموافقة ما بعده من الصابيين بخلاف سورة النسا حيث
جمع فيها جمع تكسير ذلك بما عصوا كررت الاشارة للتاكيد وليناط بها ما لم يناط
اولا قال الامام فخر الدين وهو كقول من يعاقب عبده عند اخذه
ذنوب فعلها هذا بما عصيتني هذا بما تجاوزت على هذا بكذا فيعدد ذنوبه تبكيتا
له قال وبدا في بيان علة ما انزل بهم من العقوبة بالاعظم فالاعظم فبدا بكفرهم
به وجحدهم نعمه ثم بقتل الانبيا ثم بالمعاصي الخاصة بهم ثم المتعدية وهو في غاية
حسن الترتيب وقيل الاشارة اولا بقوله يكفرون الى الضرب وبقوله يقتلون الى
البوا وثانيا بقوله عصوا الى الكفر وبقوله يعتدون الى القتل قال ابو حيان
ففيه لف ونشر في الموضعين وهو من محاسن الكلام ولم يقل واعتدوا في مقابل
عصوا للفاصلة والاعتدا تجاوز الحد في كل شي ان الذين امنوا الاية عادته تعالى

اذا

31

اذا ذكر وعدا او وعيدا عقبه بما يضاده ليكون الكلام تاما فلما ذكر في الاية السابقة
حكم الكفرة من اهل الكتاب وما حل بهم من العقوبة اخبر في هذه الاية بما للمومنين
من الاجر العظيم وذكر الطيبي ان هذه الاية هنا من باب الاستطراد وكذا قوله
وضربت عليهم الذلة الى اخره قال والدليل على الاستطراد العود الى خطاب
اليهود بقوله واذ اخذنا ميثاقكم والمراد بالذين امنوا من اهل الكتب السابقة
وممن امن في هذه الملة وقدم هنا النصارى على الصابيين كان لهم كتابا
باعلائهم فقدم الاشرف وعكس في اية المايدة فقدم فيها الاقدم زمانا
لان الصابيين قبل عيسى ورفعه لتقوي فيه نية التاخير لان التقديم بالشرف
اولى من التقديم بالزمان ورتب اية الحج على الازمنة وختمت بالذين اشركوا
لانهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وهم العرب ذكر ذلك في درة التنزيل
وقيد الاجر بقوله عند ربهم ليدل على عدم انقطاعه وكذا ما بعده ايضا
يدل على دوامه لانهم لو جوزوا كونه منقطعا لاعتراهم الخوف والحزن وقرا
ابو السماك والذين هادوا بفتح الدال فاعلوا من الهداية اي داموا ان يكونوا
اهدى من غيرهم ولا هم يحزنون التصريح بهم ليكون من عطف الاسمية على
الاسمية الذي هو افصح والنسب وقلنا خذوا على حذف ما اتيناكم قرئ واتيتكم
واذكروا قرئ بالتشديد وقرئ وتذكروا ماض بالتشديد ايضا توليتم
اصل التولي الاعراض عن الشي بالجسم ثم استعمل في الاعراض عن الامر والدين
الراغب التولي قد يكون بالجسم وقد يكون بترك الاصغا والايتمار اعلم
ان الله تعالى عدد عليهم من انعمه عشرا ثم عقبها بذكر قبائحهم واعتدائهم
فذكر من ذلك عدة انواع بعضها مما فعله اباؤهم وبعضها مما فعلوه في زمان
نبينا صلى الله عليه وسلم اعتدوا الاعتدا مجاوزة الحد في السبت كونوا قردة
امر تسخير لا طلب خاسئين صاغرين بلغة كنانة فجعلناها اي المسخة او العقوبة
نكالا هو الاسم من نكلت به اذا فعلت به ما ينكل او من نكلته اذا قيدته
بالنكل اي القيد تشبيها للعقوبة به بجامع المنع من الاعتدا وما خلفها
من غريب ما قيل فيه انه في نية التقديم عطفا على ضمير فجعلناها وموعظة
للمتقين خصوا بالذكر لانهم المنتفعون بذلك اتتخذنا قرئ بالتحتية لله
والنبي على الله هزؤا اي مهزوا بنا من اقامة المصدر مقام المفعول
قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين نفي عن نفسه ما رمي به على طريق الكناية
واخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعا له ما هي مقتضى الحال كيف هي
لان ما سوال عن الحقيقة وكيف عن حال الشي وهو اللايق بالمقام لكن اتى بما
لكون اسم البقرة مشتركا في تلك اللغة او لتوهمهم انها من جنس لا يعرف لغرابة
امرها او استعير جواب كيف لما او ما بمعنى كيف وكذا ما لونها على بابه لانه سوال
عن جنس اللون ذكر ذلك الزملكاني وقال الكرماني اجمع المفسرون على ان ما
في قوله ما هي بمعنى كيف وليس سوالا عن الماهية لا فارض الراغب هو المسن
من البقر سمي فارضا لكونه فارضا للارض اي قاطعا لها او فارضا لما تحمل من الاعمال

الشاقة وقيل لان في بعض البقر اثنان تبيع ومسنة فالتبيع يجوز في حال
دون حال والمسنة يصح بدلها في كل حال ضميت المسنة فارضا لذلك
فعلى هذا يكون الفارض اسما اسلاميا انتهى وقال ـــــ غيره لانه فرض سنة
اي قطعة وبلغ اخر عمره ولا بكر قال الراغب هي هنا التي لم تلد عوان هو المتوسط
بين السنين اتى به بعد لا فارض ولا بكر لازالة اللبس ونفي احتمال كونه مجملا
او جنبيا بين ذلك اصل بين ان لا يدخل الا على شيئين فصاعدا ودخل على ذلك
لانه وضع مشارا به الى اثنين ولم يثن لفظه على تاويل ما ذكر او ما تقدم وحسنه
كون اسما الاشارة تثنيتها وجمعها ليس في الحقيقة وكذلك جا الذي بمعنى الجمع
الراغب بين موضوع للخلل بين الشيئين ووسطها وتستعمل اسما وظرفا ومصدرا
ولا تستعمل الا فيما كان له مسافة او له عدد ما اثنان فصاعدا ولا يضاف الى
ما يقتضي معنى الوحدة الا اذا كرر نحو ومن بيننا وبينك حجاب ـــــ
ابو حيان الذي اذهب اليه ان في الاية حذف معطوف لدلالة المعنى
عليه اي بين ذلك وهذا اي الفارض والبكر على حد سرابيل تقيكم الحر فهو اكتفا
ما لونها قرئ بالنصب مفعول يبين وما زايدة فاقع لونها شديد الصفرة حالصها
يقال اصفر فاقع واسود حالك وابيض ناصع واحمر قاني واخضر ناضر الكشاف
فان قلت هلا قيل صفرا فاقعة واي فايدة في ذكر اللون قلت ـــــ
الفايدة فيه التوكيد لان اللون اسم للهيئة وهو الصفرة فانه قيل شديد الصفرة
فهو من باب جد جده وقال ـــــ الكرماني منهم من وقف على فاقع ولما كان تبعا
لم يحتج الى علامة التانيث وجعل نسر خبر لونها وانثه لاضافته الى مونث على انه قرئ
بالتحتية تسر الناظرين الماوردي السرور ما سربه القلب والفرح ما فرحت به
العين وقال ـــــ غيره وعبر فيه بالفعل لانه من الاعراض الحادثة
وفي اللون بالاسم لانه من الاشيا الثابتة ان البقر تشابه علينا ذكر الفعل
لان البقر اسم جنس والتذكير والتانيث في اسم الجنس جايزان بدليل اعجاز نخل
منقعر اعجاز نخل خاوية وقرئ تشابهت بالتشديد فقيل على زيادة التا في الماضي
شراد عمت احدى التايين في الشين وقيل من البقرة والفعل اشابهت وكنت
موصولا كقوله ولات حين مناص وقرئ يشابه بالتحتية والتشديد وفتح الها
قال الكرماني وهو خطا باجماع وقرئ ان الباقر وهو جمع او اسم جمع لبقرة
وفي تفسير ابي حيان في تشابه ثنتي عشرة قراة تشابه كتحامل وتشابه
بضم الها مضارع اصله تتشابه فحذف التا وتشابه لذلك مشدد الشين
بادغام التا فيها ويشابه بالتحتية والتشديد والرفع والاصل يتشابه فادغمت
التا ويشبه بتشديد الشين والبا بلا الف وتشبه ماض كتعلم وتشابهت
كتحاملت وتشابهت بتشديد الشين وتشابه مضارع ومتشبه ومتشابه
ومتشابهة صفات وانا ان شا الله لمهتدون وسط بالشرط بين اسم ان وخبرها
اهتماما بتعليق الهداية بالمشية ولموافقة رؤس الاي لا ذلول تثير الارض
هذه الجملة الفعلية صفة ذلول داخلة في حيز النفي وهو من باب على لاحب لا يهتدى

بمناره

بمناره ولا شفيع يطاع لان القصد نفي الاثارة واللفظ نفي الذل ويسمى في البديع
نفي الشي بايجابه وقرئ لا ذلول بالفتح بمعنى لا ذلول هناك حيث هي وهو نفي لذلها
ولان توصف به على حد مررت بقوم لا بخيل ولا جبان اي فيهم او حيثهم فالخبر على هذا
هو المقدر وفيه كناية حيث نفي اللازم واريد الملزوم كما يقال بمجلس فلان
مظنة الجود والكرم كناية عن ثبوتهما له ولا تسقي الحرث قرئ بضم اوله من
اسقى مسلمة قيل من العيوب وقيل من الشيات والالوان وقيل من العمل
وقيل من الحرام لا غصب فيها ولا سرقة وقيل من جميع ما ذكر ففيه من انواع
البديع الاتساع وهو ان يوتى بلفظ يتسع فيه التاويل لا شية فيها الشية
بمعنى البلغة من خواص صفات النفر يقال ثور اشيه وفرس ابلق وكبش
اخرج وتيس ابرق وكلب ابقع كل ذلك بمعنى البلغة قاله ابن عطية جئت
بالحق اي البين الواضح فذبحوها اي فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف
فذبحوها قيل امروا بذبح البقرة دون غيرها من الحيوان ودون امر اخر
لانهم عبدوا العجل فعظم امر البقرة عندهم فاراد الله ان يزيل عن قلوبهم
ذلك ويهون عندهم واذ قتلتم نفسا هو اول القصة في الحقيقة فايراده
هنا من باب ـــــ التقديم والتاخير قال ـــــ الاصبهاني ونكتة تاخيره
ان كل ما قص من قصص بني اسرائيل انما قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات
وتقريعا لهم على تلك الجنايات ولما وجد فيهم من الايات العظام وهاتان
قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين
متحدتين فالاولى لتقريعهم على الاستهزا وترك المسارعة الى الامتثال
وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الايات
العظيمة وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة على ذكر القتل لانه لو عمل
عكس لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع ولذا روعيت
نكتته بعدما استوفت الثانية استيناف قصة براسها ان وصلت
بالاولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله اضربوه
ببعضها حتى يتبين انهما قصتان فيما يرجع الى التقريع وتثنيته باخراج الثانية
مخرج الاستيناف مع تاخيرها وانها قصة واحدة بالضمير الراجع الى البقرة وقرئ
واذ قتلتم نفسا النسمة ونسبة القتل الى الجمع لوجوده فيهم فادارأتم
فيها اي اختلفتم وتدافعتم وتخاصمتم في شان النفس لان المتخاصمين يدرأ
بعضهم بعضا اي يدفعه فاطلق اللازم واريد الملزوم فهو كناية وقرئ فتدارأتم
على الاصل وقرئ فدارأتم والله مخرج ما كنتم تكتمون جملة اعتراضية ومخرج
لحكاية الحال الماضية فلذا اعمل الزملكاني الخطاب بذلك ليهود عصره
صلى الله عليه وسلم ولو خاطب القايل لقال ما كنتم تجحدون او تنكرون اذ لا يقال
للمدعى عليه كتم ولكن جحد وانكر ويقال للمخبر كتم ولذلك الشاهد الطيبي
دل بنا اسم الفاعل وهو مخرج على المبتدا على الثبات وتوكيد الحكم وان الاخراج
واقع لا محالة فقلنا فيه التفات عن الغيبة اضربوه ببعضها اي فضربوه

فهي وذكرها فاضربوه عود للقتيل المفهوم من قتلتم او على النفس فان تذكيرها
لغة كذلك يحيي الله الموتى فيه التفات عن التكلم قال الكرماني و
والتشبيه في الاحيا فقط قال ابو حيان ثم ان كان خطابا للذين حضروا
القتيل ففيه اضمار اي وقلنا لهم او لمنكري البعث في عهده صلى الله عليه وسلم
فهو من تلوين الخطاب ثم قست قلوبكم من بعد ذلك المراد بثم هنا بعدا
لتصور اي استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها لانه لما
كان قسوة القلب من بعد الامور المذكورة الموجبة للينة بعيدة التصور
ناسب الاتيان بثم ونحوه ثم انتم تمترون بعد قوله هو الذي خلقكم من طين
ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده اي امتراؤكم بعد هذه الامور الموجبة
لعدم امترائكم بعيد التصور والقسوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة وفي
وصف القلوب بها القلوب كما استعارة تمثيلية شبه حالها في نبوها عن
الاعتبار وعدم تاثرها بالايات بحال الحجارة وهي القسوة ثم استعير لها
هذه الصفة قاله الزمخشري قال القطب ويجوز ان يكون في قلوبكم
استعارة مكنية ونسبة القسوة اليها قرينة قال وهو انسب فهي كالحجارة او
اشد قسوة قيل او للشك وهو محال على الله تعالى واجيب بانها بمعنى الواو والاضر
او للتخيير السامع او للابهام عليه او للشك بالنسبة اليه والمعنى ان من عرف حالهم
شبه قلوبهم بالحجارة او بما هو اشد منها قسوة واختار ابو حيان انها للتنويع و
وكان قلوبهم على قسمين قلوب كالحجارة قسوة وقلوب اشد قسوة منها فاجمل ذلك
في قوله قلوبكم ثم فصل ونوع الى مشبه الحجارة والى اشد منها فهو لف ونشر
مجمل على حد قوله تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قال
ابو حيان وجمعت الحجارة ولم يقل كالحجر مع انه اخصر لمناسبة مقابلة الجمع
في قلوبكم بالجمع ولان قلوبهم متفاوتة في القسوة كما ان الحجارة متفاوتة في الصلابة
فلو قيل كالحجر لافهم ذلك عدم التفاوت من حيث الافراد وقسوة منصوب على
التمييز اما من الكاف او من افعل التفضيل فان كلا منهما ينتصب عنه التمييز
الكشاف فان قلت لم قيل اشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه صيغة
التفضيل والتعجب قلت لكونه ابين وادل على فرط القسوة ووجه اخر
وهو ان لا يقصد معنى الاقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كانه قيل اشتدت
قسوة الحجارة وقلوبهم اشد قسوة فان في اشد دلالة على اشتداد القسوتين
واشتمال المفضل على زيادة في الشدة ولو قال اقسى لكان دالا على القسوتين
واشتمال المفضل على زيادة في القسوة لا في شدة القسوة وترك ضمير المفضل
عليه ولم يقل منها لعدم الالباس وقرئ اشد بالفتح مجرورا عطفا على الحجارة و
ذو قساوة وان من الحجارة الاية اخره بيان لفضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسو
وتقرير لقوله او اشد قسوة والجملة تذييل للتشبيه فالواو استينافية
وقيل للعطف البيان على المبين وقيل للحال وفي الكلام حذف اي وقلوبكم لا تلين
ولا تخشع ولا تخشى وقرئ وان بالتخفيف في المواضع الثلاثة فهي مخففة من

الثقيلة

الثقيلة لما قرئ بالتشديد فهي بمعنى الا يتفجر قرئ بالنون الساكن والتفجر التفجر
بسعة وكثرة والانفجار دون منه الانهار فيه حذف اي الما الذي يخرج منه
الانهار وقرئ منها مراعاة لمعنى ما وان منها لما يشقق قرئ يتشقق ويشقق و
والتشقق التصدع طولا او عرضا فينبع منه الما بقلة حتى لا يكون نهرا فيخرج
منه الما لم يقل منها كالذي قبله لانه وليه هناك جمع وهو الانهار فناسب
الجمع بخلاف هنا قاله ابو حيان وان منها لما يهبط قرئ بضم الباء قال
ابن جني وهي اقوى قياسا من المكسورة لانه لازم قال وبعضهم حمل المكسورة
على ان الفعل متعد اي يهبط غيره اي اذا اتاه الانسان خشع لطاعة خالقه
فحذف المفعول تخفيفا ولدلالة المكان عليه قال ابو حيان رتب تقسيم
هذه الاحجار ترتيبا حسنا جدا وهو على حسب الترقي فبدا بالذي يتفجر
منه الانهار اي خلق ذا خروق متسعة فلم ينسب اليه في نفسه فعل
ولا تفعل ثم ترقى الى الحجر الذي ينفعل انفعالا يسيرا وهو ان يقدر منه
تشقق بحيث ينبع منه الما ثم ترقى الى الحجر الذي ينفعل انفعالا عظيما بحيث
يتحرك وينتقل من علو الى سفل ثم رشح هذا الانفعال التام بان ذلك
من خشية الله انتهى وعكس الطيبي فقال ان الاية على التتميم لا الترقي على
وزان قوله الرحمن الرحيم اذ لو اريد الترقي لقيل وان منها لما يتشقق وان
منها لما يتفجر لان التفجر ابلغ من خروج الما من التشقق وانما قصد استيعاب
جميع الانفعالات التي هي على خلاف طبيعة هذا الجوهر وهو ابلغ من الترقي
وقوله وان منها لما يهبط تتميم للتتميم انتهى من خشية الله قال الطيبي هو
متعلق بالكل ويؤيده ما اخرجه ابن جرير عن مجاهد قال كل حجر يتفجر منه الما
او يتشقق عن ما او يتردى من راس جبل فهو من خشية الله نزل بذلك القران
ووصف الحجارة بالخشية حقيقة وقيل مجاز وكناية عن الطاعة والانقياد
واستعارة على حد جدارا يريد ان ينقض وما الله بغافل عما تعملون وعيد
ولا تقع هذه الجملة الا عقب ارتكاب معصية قال ابو حيان ان افتتح الفقه
بان الله يامر واخشيتها بان الله لا يغفل عن العالم عمن امتثل وعمن اهمل وفي قراءة
بالتحتية وفيها التفات عن الخطاب قال ابو حيان ونكتته
انه اعرض عن مخاطبتهم وابرزهم في صورة من لا يقبل عليهم بالخطاب
وجعلهم كالغائبين لان مخاطبة الشخص ومواجهته بالكلام اقبال من المخاطب
عليه وتانيس له فقطع عنهم ذلك لكثرة ما صدر عنهم من المخالفات
افتطمعون استفهام انكار وتعجب والطمع تعلق النفس بادراك مطلوب
تعلقا قويا وهو اشد من الرجا قيل والخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم
خاصة وجي بلفظ الجمع تعظيما كلام الله قرا الاعمش كلم الله واذا لقوا الاية
الضمير في لقوا لمن نافق من اليهود وفي قالوا اتحدثونهم لمن لم ينافق منهم قال
في الانتصاف فاختلاف الضمير هنا كهو في واذا طلقتم النسا فبلغن اجلهن و
فلا تعضلوهن فان الاول للازواج والثاني للاوليا او لا يعلمون قرئ بالفوقية

على الالتفات وفايدته التنبيه على سماع ما ياتي بعده ثم التفت عنه الى الغيبة في قوله
ومنهم اميون اما لا لهمز قال ابو حيان لما بين اولا امر الفرقة التي حرفت ثم امر الفرقة
التي نافقت ثم امر الفرقة التي لامت والكرت وكل قاوا علما اخذ يبين امر فرقة
العامة التي طريقها التقليد وقبول ما يقال لهم فاستوعب فرق اليهود وقرئ اميون
بتخفيف الميم لا يعلمون الكتاب الا اماني اي اكاذيب استثنا منقطع وقرئ بتشديد
الياء وتخفيفها كمفاتيح ومفاتح وان هم الا يظنون جي بالمضارع دون اسم الفاعل ليدل
على حدوث الظن وتجدده لهم وان رايهم مضطرب غير ثابت فويل كلمة عذاب
وقيل دعا بالثبور وقيل واد في جهنم وهو الصحيح الثابت عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه قال ابو حيان لم يجي من هذه المادة التي فاوها واو وعينها
يا الا ويل وويح وويس وويب يكتبون الكتاب بايديهم هو تاكيد يرفع توهم
المجاز كقوله يطير بجناحيه وقال ابن السراج هو كناية عن انهم اختلقوا ذلك
من تلقاء انفسهم قال ابو حيان واستعمال الايدي في الجارحة اكثر والايادي
في النعمة اكثر وفي يكتبون ويكسبون جناس وقالوا لن تمسنا النار الا اياما
معدودة وفي ال عمران معدودات استيفا لاستعمال الجمعين كذا في درة التنزيل
قال ويجوز ان يكون معدودات جمع معدودة قلت ظهر لي في ذلك نكتة
وهو ان الرواية عن ابن عباس وغيره اختلفت في عدة الايام ففي رواية انهم
قالوا سبعة ايام وفي رواية اربعين وطريق الجمع ان فريقا من اليهود قالوا بالاول
وفريقا اخر قالوا بالثاني فلعل ذكر معدودة اشارة الى قول من قال
سبعة ومعدودات الذي هو جمع معدودة اشارة الى قول من قال اربعين
او معدودة الذي هو للكثرة للاربعين ومعدودات الذي للقلة للسبعة
والله اعلم بمراده ثم رايت ابن جماعة سبقني الى ذلك فلن يخلف الله عهده متعلق
بمحذوف اي ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف فهي اعتراضية بين الجملتين اللتين
وقع التعادل بينهما او مفعول مقول محذوف منصوب في جواب الاستفهام اي فتقولوا
لن يخلف بلى اثبات لما بعد حرف النفي اي تمسكم النار ابدا من كسب سيئة البيضاوي
الكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة فبشرهم بعذاب اليم
واحاطت به خطيئته الاحاطة حقيقة في احاطة جسم بجسم اخر كاحاطة السور
بالبلد فاستعير لغوايات الموت على الكفر لانه لا يقتضي تكثير شي من الحال
وفي قراءة خطياته وقرئ خطاياه البيضاوي الفرق بين السيئة والخطيئة
ان السيئة قد تقال فيما يقصد لذاته والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض
لانه من الخطا وقال غيره افراد السيئة لانه كني بها عن الشرك وهو واحد
وجمع الكبائر لان المراد بها المعاصي وهي كثيرة فاولئك دون عني فيه معنى من
واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل اتى بالظاهر بدل المضمر للفصل بينه وبين الاخبار
عنهم بقوله بلى لا تعبدون على تقدير القول اي وقلنا لا تعبدون وقرئ بالتاء
لان بني اسرائيل اسم ظاهر والاسما الظاهرة كلها غيب وبالتاء حكاية لما خوطبوا به
وهو خبر بمعنى النهي وهو ابلغ من التصريح بصيغة النهي لما فيه من ايهام ان المنهي

مطلب

عنه

عنه وقرئ لا تعبدوا ولذلك صح عطف وقولوا وما بعده عليه وبالوالدين احسانا
على تقدير واحسنوا وقدم الوالدين للاهتمام وتنكير احسانا للتعظيم اي احسانا
لا يدرك كنهه وقدم في الاية الاهم فالاهم فان حق الوالدين اكد من حق ذوي
القربى وذوي القربى اكد من اليتامى لقرابتهم واليتامى اكد من المساكين
لضعفهم وحاجتهم وفي التثنية تغليب لان الوالد حقيقة في الاب
والام والدة وقولوا فيه التفات عن قراءة يعبدون بالتحتية للناس حسنا
قرئ بفتح الحا والسين وصفا اي قولا حسنا وبضم الحا وسكون السين على انه مصدر
وصف به مبالغة اي قولا هو حسن في نفسه لافراط حسنه وقرئ حسنا
بضمتين اتباعا واحسانا مصدر كذلك وحسنى كبشرى على انه مصدر كالبشرى
زايل عنه معنى التفضيل وصفة محذوف وقد تضمن هذا الميثاق جمع الاوامر
لان العبادات اما اعتقادية وهي التوحيد او قولية وهي القول الحسن او
عملية بدنية محضة وهي الصلاة او مالية محضة وهي الزكاة او بدنية
مالية معا وهي بر الوالدين وما ذكر معها وقرن البر بالقول بالحسن لانه
ادعى لصدقه فتبين كما في حديث الكلمة الطيبة صدقة ولما كان شمول المراد
انه هو بدل لفظ لا ماله كان متعلقه الناس عموما اذ لا مشقة فيه ثم توليتم
فيه التفات عن الغيبة من بني اسرائيل وفايدته التوبيخ والتقريع استحضرهم
فوبخهم والخطاب لمعاصري الرسول صلى الله عليه وسلم اسند اليهم تولي اسلافهم
لكونهم على طريقتهم وقيل لهم ولاسلافهم على طريق التغليب فلا التفات
الا قليلا قرئ بالرفع على البدل وانتم معرضون اي وانتم قوم عادتكم الاعراض
عن المواثيق والتولية والجملة اعتراض او حال مؤكدة وجي بها اسمية لانها اكد
وبالخبر اسما لانه دال على الثبوت والاعراض والتولية قيل هما بمعنى وقيل التولية
بالجسم والاعراض بالقلب وقيل اخذا من سلوك الطريق فالتولية الرجوع
عودا على بدء والاعراض الاخذ في عرض الطريق فالمتولي اقرب امرا من المعرض
عليها فتنبه على انهم جمعوا بين الوصفين واذ اخذنا ميثاقكم افاده لان الاول
متعلق بالاوامر وهذا بالمناهي لا تسفكون اي وقلنا والجملة وما بعدها
جي بمعنى النهي والمراد لا يسفك بعضكم دم بعض ولا يخرج بعضكم بعضا
جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا فهو من المجاز باد في ملابسة
وقرئ بضم التا وكسر الفا وبضم التاء وبالتشديد ثم اقررتم وانتم تشهدون
هو توكيد كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل الخطاب بالثاني لمعاصري النبي
صلى الله عليه وسلم اي وانتم تشهدون على اقرار اسلافكم فهو من تلوين الخطاب
وذكر ذلك في ميثاق المناهي دون الاوامر لشدة اعتناء الشارع بالمناهي
اذ درء المفاسد اولى في نظر الشرع من جلب المصالح ثم انتم هؤلاء استبعاد لما
اسند اليهم من القتل والاخراج بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم له
وشهادتهم والمعنى ثم انتم بعد ذلك هؤلاء الشاهدون اي الحاضرون يعني
انكم قوم اخرون غير اولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات

وما بعده بيان له كانه لما قيل ثم انتم هؤلاء قالوا كيف نحن فجي بقوله تقتلون
انفسكم تفسيرا له **الطيبي** كان مقتضى الظاهر ثم انتم بعد ذلك التوكيد في الميثاق
نقضتم العهد فتقتلون لكن اخره اي صفتكم الان غير الصفة التي كنتم عليها ودخل
هؤلاء واوقع خبرا لانتم وجعل قوله تقتلون جملة مبينة مستقلة لتفيد ان الذي
تغير هو الذات نفسها نعيا عليهم بشدة وكادة اخذ الميثاق ثم تساهلهم فيه وقلة
المبالاة به وقيل الخبر تقتلون وهؤلاء منادى على حذف حرف الندا واختص من
تقتلون قرئ بالتشديد **تظاهرون** بالتشديد على ادغام احد التائين وبالتخفيف
على حذفها وقرئ تتظاهرون بالفك وتظاهرون بضم اوله من ظاهر وتظهرون
بالتشديد وكلها بمعنى التعاون والتناصر **وان ياتوكم** جي بلفظ الاتيان في
مقابلة الاخراج طباقا **اسارى** وفي قراءة اسرى وهو الاصل في جمع فعيل وانما
جمع على اسارى تشبيها بكسالى كما جمع كسلان على كسلى تشبيها باسرى قاله سيبويه
ووجه المشبه ان كلا محبوس عن تصرفه وقيل الاسرى من في اليد والاسارى
من في الوثاق قاله عمرو بن العلا **تفدوهم** وفي قراءة تفادوهم بمعناه او المفاعلة
وان معنى فدى دفع الفدا وفادى بادل اسيرا باسير وقيل فدى اعطى
الفداء وفادى طلب الفدا **وهو محرم عليكم اخراجهم** قال الاصبهاني نظم الاية
على التقديم والتاخير لان التقدير وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وهو محرم
عليكم اخراجهم وان ياتوكم اسارى تفدوهم والضمير للشان او للاخراج واظهره
بعده لتراخي الكلام ابو حيان تقدم القتل والاخراج خص الاخراج بتاكيد
التحريم لانه اشد ضررا من القتل من حيث انه في القتل انقطاع الضرر في الحال
بخلاف الاخراج وقيل حذف من القتل مثله اكتفاء **افتؤمنون** استفهام توبيخ
فما جزاء قال الكرماني يحتمل الاستفهام والنفي قال ابو حيان والجزاء يطلق
في الخير والشر **خزي** هوان يستحي منه **يردون** قرئ بالتاء **عما تعملون** قرئ بالتاء
والياء وفيه على التاء التفات **فلا يخفف عنهم العذاب** من باب التنبيه
بالادنى على الاعلى لانه اذا نفي التخفيف فالرفع اولى **ولا هم ينصرون** البنا
للمفعول لمراعاة الفواصل وللعموم **ولقد اتينا موسى الكتاب** قال ابو حيان
مناسبة هذه الاية لما قبلها ان ايتا موسى الكتاب هو نعمة لهم اذ فيه احكام مهم
شرايعهم ثم قابلوا تلك النعمة بالكفر وذلك جرى على ما سبق من عادتهم
اذ قد امروا باشيا فخالفوا امر الله ونهيه فناسب ذكر هذه الاية ما قبلها **وقفينا**
واتبعنا واصله الاقتفا اتباع القفا كما ان الارداف اتباع الردف **واتينا عيسى**
فصله بعد ذكر الرسل لان من قبله كانوا متبعين شريعة موسى واما عيسى فنسخ
شريعة كثيرا من شرعه **ابن مريم** اضافه الى امه ردا على النصارى فيما زعموه
وايدناه من الايد وهو القوة الشديدة وقرئ بالمد وتخفيف اليا قال ابو حيان
وفرق بعضهم بين القرائتين بان الاول بمعنى النصر والثاني بمعنى القوة **بروح**
القدس هو جبريل اي بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود فهو من باب اضافة الموصوف
الى الصفة للمبالغة في الاختصاص وقيل القدس هو الله اضيف اليه اضافة تشريف

ويؤيده

ويؤيده قراءة ابي حيوة بروح القدس **افكلما** استفهام توبيخ وتعجيب من شانهم
تهوى انفسكم ابو حيان اكثر استعمال هوى فيما ليس بحق واسند الفعل الى النفس
ولم يقل تهوون اشعارا بان النفس يسند اليها غالبا الافعال السيئة ان النفس
لامارة بالسوء وطوعت له نفسه قتل اخيه بل سولت لكم انفسكم **ففريقا كذبتم وفريقا** 35
تقتلون خص التكذيب والقتل من بين ساير قبايحهم لانهما افظع الافعال الصادرة
منهم وقدم التكذيب لسبقه القتل في الواقع وقال تقتلون على حكاية الحال
الماضية لان هذه افظع الامرين فاريد احضاره في النفوس وتصويره في القلوب
وقال الكرماني مراعاة للفاصلة قال غيره او للدلالة على انهم بعد في ارادة
ذلك فانهم حاموا حول النبي صلى الله عليه وسلم بالسم والسحر وارادة طرح الصخرة
عليه وتقديم المفعول لتواخي رؤوس الاي **وقالوا قلوبنا غلف** اي مغشاة باغطية
لا يتوصل اليها ما جاء به محمد ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختتن وقيل
المعنى هي اوعية للعلم فلا تحتاج الى ما جاء به محمد القولان عن ابن عباس
وليسا باختلاف بل الاول على قراءة غلف بسكون اللام جمع اغلف اي في غلاف
والثاني على قراءة ضم اللام جمع غلاف بكتبه بن جرير وغيره **فقليلا ما يؤمنون**
قيل فيه اكتفا وما نافية اي ما يؤمنون لا قليلا ولا كثيرا **ولما جاءهم**
حذف جواب لما الاول استغنا عنه بجواب الثانية لطول الكلام ولتعقيبه
تقرير الذنب وتاكيده واوقع على الكافرين موقع عليهم للدلالة على ان اللعنة
لحقتهم لكفرهم وليعم غيرهم من الكفار وقرئ بنصب مصدق حالا وقوله وكانوا
من قبل الى اخره جملة حالية مقررة لجهة الاشكال **بئسما اشتروا** اي باعوا قال
الطيبي وهو من الاضداد قال لا نفس بمنزلة المثمن والكفر بمنزلة الثمن لان
انفسهم لا تشترى بل تباع فهو على الاستعارة اي انهم اختاروا الكفر على الايمان
وبذلوا انفسهم فيه وانما وضع الانفس موضع الايمان ليؤذن بان الانفس انما
خلقت للعلم والعمل به المعبر عنه بالايمان فكما بدلوا الايمان بالكفر فكانهم بذلوا
انفسهم به **عذاب مهين** ذو اهانة وصف به لان من العذاب ما يكون تطهيرا
لا تهيينا **امنوا بما انزل الله** اي بكل ما انزل الله **بما وراءه** اي بعده من الانجيل
والقران او بما سواه **فلم تقتلون** اوقع المضارع موقع الماضي لتصويره على سبيل
المشاهدة في القلوب واستحضاره في النفوس واسند اليهم لرضاهم به
ان كنتم مؤمنين جواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه كما ان الشرط لما قبله
محذوف لدلالة هذا عليه فهو احتباك **ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل**
من بعده فايدة اعادة هذه القصة مع تقدمها في هذه السورة تكذيبهم في قوله
نؤمن بما انزل علينا **وانتم ظالمون** اما حال اي عبدتم العجل واضعين العبادة
في غير موضعها او اعتراض اي وانتم قوم عادتكم الظلم والفرق بين الحال
والاعتراض ان الحال لبيان هيئة المجعول والاعتراض لتاكيد الجملة بما فيها
واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور كرر هذه القصة لما علق بها من زيادة
ليست في الاولى وهي قولهم سمعنا وعصينا وقال الكرماني لان الاولى للنعماء

النعم ولذا ختمت بقوله فلولا فضل الله عليكم ورحمته والثانية للاحتجاج **قالوا**
هو التفات من الخطاب **سمعنا وعصينا** هو منهم على القول بالموجب ــــ
امرهم بالسماع فاجابوا ولكن على طريق العصيان ونظيره ويقولون هو اذن خير لكم
واشربوا في قلوبهم العجل قيل هو من قولهم اشربت البعير اي شددت حبلا في
عنقه فكانما شد في قلوبهم لشغفهم به وقيل معناه اشرب قلوبهم حب العجل وذلك
ان من عادتهم اذا ارادوا العبارة عن مخامرة حب او بغض استعاروا له اسم
الشراب اذ هو ابلغ ما يجري في البدن ولو قيل حب العجل لم يكن له هذه المبالغة
فان في ذكر العجل تنبيها انه لفرط شغفهم به صارت صورة العجل في قلوبهم
لا تنمحي وقال ــــ الاصبهاني الاشراب خلط لون بلون يقال ابيض مشرب
بحمرة اذا كان مخالطه حمرة اي داخلهم حب العجل والحرص على عبادته كما يداخل
الثوب الصبغ وحذف المضاف الذي هو الحب واقيم المضاف اليه مقامه
افادة لشدة تمكن حب العجل وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب ــــ
ليبان محل ذلك الحب قلوبهم وان الخلط حصل فيها فاسند الفعل اولا الى الجملة
ثم خص القلوب كما تقول ضربوا على رؤسهم قال ــــ الطيبي وهو من المبالغة
والايذان بان المقام يقتضي مزيد التقرير **بئسما يامركم به ايمانكم** اسناد
الامر الى ايمانهم تهكما بهم كما في اصلواتك تامرك واضيف الايمان اليهم
ولم يقل الايمان لان ايمانهم غير صحيح والمخصوص بالذم محذوف اي عبادة العجل
او هي وما فعل من قتل الانبياء والعصيان **قل ان كانت لكم الدار الاخرة الاية**
هذا رد لقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا **خالصة** الراغب الخالص
كالصافي لكن الصافي يقال فيما لم يكن فيه قبل شوب دون خالص فانه لا يقال
الا فيما كان فيه شوب فزال منه **من دون الناس** قال ابو حيان دون هنا
لفظ يستعمل للاختصاص وقطع الشركة نحو هذا لي دونك وقيل المراد بالناس
هنا النبي صلى الله عليه وسلم خاصة من العام المراد به الخصوص **فتمنوا الموت**
قرئ بكسر الواو وفتحها **ولن يتمنوه** وفي سورة الجمعة بلفظ لا لان دعواهم في
هذه السورة بالغة قاطعة حيث ادعوا كون الجنة لهم بصفة الخلوص
فبالغ في الرد عليهم بلن الذي هو ابلغ الفاظ النفي وقد ذهب ــــ
المحققون الى انها تفيد تاكيد النفي وزاد اقوام انها تفيد تابيده ايضا
ودعواهم في الجمعة قاصرة وهي زعمهم انهم اولياء الله فاقتصر على لا
قاله الكرماني واوضح ذلك صاحب درة التنزيل فقال الدعوى الاولى
هي غاية المطلوب ونهاية المامول اذ لا مطلوب وراء الجنة فوجب ان يكون ما
يبطل تمني الموت المؤدي الى بطلان شرطهم اقوى ما يستعمل في بابه وابلغه
بخلاف دعوى انهم اولياء الله فانهم يطلبون بعد ذلك اذا صح لهم هذا الوصف
دارا للثواب فكانت فرعا عن الدعوى الاولى زاد صاحب المناجاة ولهذا اكد
النفي هنا بقوله ولتجدنهم احرص الناس على حياة الاية ولم يذكر في الجمعة مثل
ذلك **بما قدمت ايديهم** اي قدموه واسند الى اليد لان اكثر الاعمال ــــ

تزاول

تزاول بها **والله عليم بالظالمين** ظاهره الخبر ومضمنه التهديد والوعيد اي عليم بظلمهم
ومجازاتهم وفائدة تخصيص الظالمين تخصيصهم بحصول الوعيد **احرص الناس**
الراغب ــــ الحرص فرط الشره وفرط الارادة **على حياة** بالتنكير اي حياة مخصوصة
وهي الحياة المتطاولة وقرئ على الحياة **ومن الذين اشركوا** اي واحرص من الذين
اشركوا وهو محمول على المعنى لان معنى احرص الناس احرص من الناس حذف
من واضيف وانما جيء بمن في الثاني دون الاول لان افعل اذا اضيف
الى جنسه لم يحتج الى ذكر من والى غير جنسه احتاج اليها نحو زيد افضل
من اخوته ولما كان اليهود من جنس الناس لم يحتج الى ذكر من ولم يكونوا
من المشركين احتيج اليها وانما خص المشركين بالذكر مع دخولهم تحت الناس
لشدة حرصهم على الحياة وتوبيخا لليهود لان الذين اشركوا لا يؤمنون
بعاقبة ولا يعرفون الا الحياة الدنيا فحرصهم عليها غير مستبعد
لانها جنتهم فاذا زاد اليهود عليهم وهم معترفون بالعاقبة والبعث
والجزاء كانوا جديرا باعظم التوبيخ **يود احدهم** استئناف لبيان زيادة
حرصهم **لو يعمر الف سنة** قيل مفعول يود محذوف دل عليه لو يعمر
اي طول العمر وجواب لو محذوف دل عليه يود اي لسر بذلك **وما**
هو ضمير الشان او احدهم **والله بصير بما يعملون** قرئ بالفوقية التفاتا
والجملة تتضمن التهديد واتي بصفة بصير وهو تعالى منزه عن الجارحة
اعلاما بان علمه بجميع الاعمال ــــ علم احاطة وادراك للخفيات
وبالمضارع وهو عالم باعمالهم السالفة والاتية لمواخاة الفواصل
قل من كان عدوا الراغب العداوة منافاة الالتئام فبالقلب يقال
العداوة وبالمشي يقال العدو وبالاخلال في العدل يقال العدوان
وبالمكان او النسب يقال قوم عدى **لجبريل** فيه ثلاثة عشر لغة
قرئ بها جبريل بالكسر وبالفتح وجبريل كخندريس وبلا يا بعد الهمزة
وكذلك الا ان اللام مشددة وجبرائيل وجبرايل وجبرال وجبرائل بالياء والهمز
وجبرائيل بيائين اولها مكسورة وجبرين وجبرين وجبرائين **فانه نزله**
اي القرآن اضمر ولم يسبق له ذكر تفخيما لشانه حيث جعل لفرط شهرته كانه
يدل على نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته **على قلبك**
اي حفظه اياك وفهمك فيه معنى الاستيلاء والاستعلاء يعني اذا انزل جبريل
بالقرآن على قلبك استولى عليه وجعل مجامعه معمورة به وتمكن فيه ولا يشذ
منه شيء لهو ابلغ من الي وخص القلب لانه محل العقل والعلم الكشاف
فان قلت ــــ حق الكلام ان يقال على قلبي **قلت** ــــ جاءت على حكاية
كلام الله كما تكلم به كانه قيل قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا لجبريل
فانه نزله على قلبك **فان قلت** كيف استقام قوله فانه نزله جزاء للشرط
قلت هو على تقدير فالوجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين
يديه فالانصاف محبته وشكره لصنيعه لا معاداته **وهدى وبشرى للمؤمنين**

اي فيه بيان ما وقع به المتكلف من الاعمال وبيان ما على ذلك من الثواب
فهو من الوجه الاول هدى ومن الوجه الثاني بشرى والاول متقدم على
الثاني في الوجود فلهذا اقدم لفظ الهدى على لفظ البشرى وخصهما بالمومنين
لانهم الذين اهتدوا به والبشرى لا تكون الا لهم **من كان عدوا لله الاية**
افادت هذه الاية تلازم العداوات فان كان عدوا لجبريل كان عدوا لميكائيل
ضرورة خلاف قول اليهود جبريل عدونا لانه صاحب الزلازل
والخسف وميكائيل سلمنا لانه صاحب المطر والرزق ومن كان عدوا لهذين
فهو عدو لسائر الملائكة ومن كان عدو الملائكة فهو عدو لرسل الله ومن عادى
رسل الله عادى الله فعداوة واحد من هؤلاء تستلزم عداوة الجميع
وافرد الملكين بالذكر وان دخلا في الملائكة لفضلهما فكانهما من جنس اخر
فان التغاير في الوصف قد ينزل منزلة التغاير في الذات وللرد على اليهود
في دعوى عداوة جبريل وضم اليه ميكائيل لما كانا اميري الملائكة لم يدخلا
في لفظ الملائكة كما ان الامير لا يدخل في مسمى الجند وقدم جبريل على ميكائيل
لفضله عليه وللاهتمام به لان اليهود انما ادعت عداوته خاصة ولما كانت
عداوة اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم بعينه عداوة رسله لم يفرد النبي
بالذكر مع انهم لم يدعوا عداوته بل ذكروا ان المانع لهم من اتباعه كون باتيه
جبريل وهو عدو وهم من الملائكة كما ثبت في سبب النزول ولما كانت عداوة
الرسل لسبب انزال الكتب كما فهم من الاية قبلها ونزول الكتب بتنزيل
الملائكة بدي بهم في الذكر قبل الرسل لهذا المعنى فلا يلزم من ذلك تفضيلهم
على الرسل لان للتقديم وجها اخر غير الشرف واوقع الكافرين موقع لهم بيانا
لكفرهم بعداوة من ذكر فان عداوة كل ممن ذكر تقتضي الكفر ابو حيان لما كانت
الاية للرد على من ادعى عداوة جبريل صرح به بعد اندراجه في الملائكة
ثم في الرسل لانه منهم فكانه ذكر في الاية ثلاث مرات تنويها بشانه
وقرئ ميكائيل وميكال وميكائل وميكائيل بهمزة بلا يا وميكائيل بيائين
اولهما مكسورة وميكئيل وميكيل بهمزة بلا يا **وما يكفر بها الا الفاسقون**
البيضاوي اي المتمردون من الكفرة قال والفسق اذا استعمل في نوع من
المعاصي دل على اعظمه كانه متجاوز عن حده **اوكلما** عطف على محذوف
اي اكفروا بالايات البينات وكلما عاهدوا وقرا ابو السماك بسكون الواو فهي
او العاطفة بمعنى بل وقرا ايضا عهدوا وهو اشبه بالمصدر المذكور
من عاهدوا ومعناه على قراءة الكافة اعطوا عهدا او اقام المصدر المحذوف
مقام معاهدة او عهد وقرئ عوهدوا **نبذه** النبذ القاء الشيء وطرحه
لقلة الاعتداد به وقرئ ابن مسعود بدله نقضه **بل اكثرهم** يحتمل ان يكون
من عطف الجمل وانه مبتدا خبره لا يومنون او من عطف المفردات
اي بل نبذه اكثرهم ولا يومنون حال **رسول من عند الله مصدق** قرئ مصدقا
على الحال **وراء ظهورهم** هو تمثيل للاعراض عنه راسا بالاعراض عما يرمي به

وراء الظهر لعدم الالتفات اليه **واتبعوا** عطف على نبذ **ما تتلوا** اي تلت وصف المضارع
موضع الماضي وقيل على حذف كان اي ما كانت تتلوا **الشياطين** قرا الحسن الشياطون
تنزيلا له منزلة جمع التصحيح **على ملك** اي على عهد ملك وعلى بمعنى في وقال الكرماني
جي به لدلالته على الكذب كما تقول قال عليه وروى عليه قال وما كل ما يرد
على قول وقال الطبري اتبعوا بمعنى فضلوا او على ملك سليمان اي شرعه
ونبوته وحاله اي فضل اليهود ما تتلوا الشياطين على شرع سليمان ونبوته
على الملكين بفتح اللام وقرئ بكسرها فعلى هذا هما من البشر **هاروت وماروت**
قرئ بالرفع على حذف المبتدا **وما يعلمان** قرئ بسكون العين من الاعلام وقرئ
وما يعلم الملكان **فيتعلمون** الضمير لما دل عليه من احد **المرء** قراءة الكافة بفتح الميم
وسكون الراء وهمزة وقرئ بكسر الراء خفيفة بلا همزة وبتشديد الراء وبضم الميم
وسكون الراء وبهمزة وبكسر الميم كذلك وهي لغات **وما هم بضارين به من احد**
قرا الاعمش بضاري قال ابن جني واشكل مثل ما يوجه به ان التقدير بضاري
احد به ثم فصل بحرف الجر قال غيره بل حذفت النون تخفيفا **ولقد علموا**
الضمير لليهود لانهم الذي سيق لهم الكلام اولا وقصة السحر مستطردة **لمن**
اشتراه اي اختاره **من خلاق** اي نصيب الراغب الخلاق ما اكتسبه الانسان
من الفضيلة بخلقه **ولبئس ما شروا** اي باعوا **به انفسهم لو كانوا يعلمون**
عاقبة ما يصيرون اليه في الاخرة بما فعلوا ذلك نفى عنهم العلم هنا مع اثباته
لهم في قوله ولقد علموا تنزيلا للعالم الذي لا يعمل منزلة الجاهل لعدم جريه
على موجب علمه **ولو انهم امنوا الاية** لما بين ما عليهم من الوعيد اتبعه بالوعد
جامعا بين الترهيب والترغيب كما هو عادته لان الجمع بينهما ادعى الى الطاعة
وترك المعصية وجواب لو انما يكون فعلية وعدل هنا الى الاسمية لما فيه
من الدلالة على ثبوت المثوبة واستقرارها كما اختار الرفع على النصب
في سلام عليكم وقيل الجواب محذوف اي لاثيبوا والمثوبة جملة مستانفة
وتنكير مثوبة للاشعار بان القليل من ثواب الله خير كثير فلبلك لا يقال له
كثير وفي وصفها بكونها من عند الله تفخيم وتعظيم لها وقرئ لمثوبة بسكون
الثاء كمشورة وجواب لو كانوا يعلمون محذوف **يا ايها الذين امنوا الاية**
ذكرت اثنا اتباع اليهود لان فيها ضربا من قبائحهم وهو التعريض براعنا لسب
النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصرح باسنادها اليهم بل خوطب بها المومنون
على سبيل النهي وضمنها التعريض باليهود في قوله وللكافرين عذاب
اليم كما عرضوا بمضمونها ولم يصرحوا فطابقت الاية لصنيعهم وقرئ راعنا بالتنوين
صفة قولا وقرئ راعونا وارعونا بالجمع وانظرنا بالقطع ابو حيان هذا اول
خطاب خوطب به المومنون في هذه السورة بالنداء الدال على الاقبال عليهم
وذلك ان اول نداء جاء اتى عاما يا ايها الناس وثاني نداء خاصا ببني اسرائيل
وهي الطائفة العظيمة التي اشتملت على الملتين اليهودية والنصرانية
وثالث نداء لامة محمد المومنين لكان اول نداء عاما امروا فيه باصل الاسلام

وهو عبادة الله وثاني نداء اذكروا فيه بالنعم الجزيلة وتعبدوا بالتكاليف
الجليلة وهو قوله من حاول النعم الوبيلة وثالث نداء علموا فيه ادب من اداب الشريعة
مع نبيهم وتعظيم من كانت هدايتهم على يديه قال ابن مسعود اذا سمعت الله
يقول يا ايها الذين امنوا فارعها سمعك فانه خير تؤمر به او شر تنهى عنه اخرجه
البيهقي وقال خيثمة ما كان في القران يا ايها الذين امنوا فانه في التوراة
يا ايها المساكين اخرجه ابن ابي حاتم وتقديم لا تقولوا راعنا على وقولوا انظرنا
من باب تقديم التخلية **وللكافرين** اللام للعهد اي اليهود الذين تهاونوا برسول
الله صلى الله عليه وسلم في قولهم راعنا فوضع الظاهر موضع ضمير اليهود للاشعار
بان قولهم ذلك كان تهاونا بالرسول ومن اهان نبي الله وحبيبه كان غاليا في الكفر
كاملا فيه مستحقا لان يعذب بعذاب اليم بالغ في الايلام وفي الجملة تذييل
وتعريض بالمؤمنين وتغليظ للوصف **ما يود الاية** زيادة من في من خير
يفيد تاكيد الاستغراق الذي افاده تنكير خيرا لوقوعه في سياق النفي وفي
جعل الذين فاعل يود وجعل كفروا صلة الذين وبيانه بقوله من اهل الكتاب
واقامة الظاهر مقام المضمر اشعار بان كفرهم يدعوهم الى متابعة الحقد
لكن كفرهم يمنعهم واقامة لفظ الجلالة مقام ضمير ربكم وتقديمه على قوله يختص
ايذان بان الله هو الجامع لصفات الالوهية يختص من يشاء برحمته لا غيره
واقامة الرحمة مقام ضمير المنزل من خير اشعار بان تنزيل الوحي
الذي هو الخير عين الرحمة كما ان ارسال الرسول محض الرحمة كقوله وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين وفي قوله والله ذو الفضل العظيم تذييل ومن الغريب
قول الشيخ ابي اسحاق الشيرازي ان قوله ولا المشركين مجرور على الجوار
ما ننسخ من اية او ننسها فيه الجناس المضارع وهو اختلاف الكلمتين بحرف
متقارب في المخرج وقرا ابن عامر ننسخ بضم النون وكسر السين اي نامر جبريل
بان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها وننساها بالفتح والهمز من النسا بمعنى التاخير
وقرا ابن عامر رضي ننسها بالضم وكسر السين بلا همز من النسيان اي ننسكها
اي نمحها من قلبك وقرئ شاذا ننسها بتشديد السين وتنساها مفتوحة ومضمومة
مع الهمز وتركه فيهما وننساها بنون وتسهيل الهمزة وننسئها بضم النون وهمزة
وننسك وننسكها فهذه احدى عشرة قراءة وفي مصحف ابن مسعود ما ننسك
من اية او ننسخها نجئ بمثلها ومناسبة وضع هذه الاية هنا ظاهرة لان اليهود
هم المنكرون للنسخ وقد تقدم في الاية قبلها انهم لا يودون ان ينزل على المؤمنين
خير من ربهم ولما كان الكفار قد يشاركونهم في الكفار الامرين ضموا اليهم
في الذكر على سبيل الاستطراد لان المقصود في هذه الايات بالخطاب
انما هو اليهود فعقبت تلك الاية المخبرة بحسدهم ووداداتهم انزال الخير بهذه الاية
المقررة لامر النسخ الذي من مذهبهم انكاره وانه ما ننسخ اية الا انزل
بدلها خيرا منها او مثلها في الخير على خلاف ما يودونه زعما لهم والاتيان بنون العظمة
في التعليق للدلالة على تعظيم الله عز وجل لنفسه واستبداده بما يتعلق وانه لا غرض

وفيه التفات عن الغيبة في قوله والله ذو الفضل العظيم الطيبي الاية
تفصيل لكيفية ابدال المنزل من الكتب السابقة على سبيل العموم لان تلك الاحكام
بعضها منسوخة وبعضها مقررة وغير الاحكام مثل القصص ومكارم الاخلاق
منسا ومتروك التلاوة مامور بالانساء **الم تعلم** استفهام تقرير **ان الله على كل شيء**
قدير اي ومنه النسخ والتبديل وفيه التفات عن التكلم الى الغيبة والخروج
عن خطاب جمع الى خطاب مفرد **الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض**
اي فهو يدبر امرها على وفق ارادته ومشيئته وهو اعلم بما يتعبدكم به من ناسخ
ومنسوخ ابن جرير الخطاب في الم تعلم للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره
تعريضا على حد لئن اشركت ليحبطن عملك قال ابو حيان الخطاب لكل مخاطب
وافرد لانه تمام نحو الا ان يتوهم انه المخاطب بذلك وهو المسمى في فن المعاني
بالخطاب العام على حد ولو ترى الاية لانه انما يتضح انفصال الم تعلم
بما قبله اذا جعل خطابا للكل على حد بشر المشائين لا مختصا بالرسول **وما لكم** فيه
الانتقال من خطاب المفرد الى خطاب الجمع **من ولي** او ترعى وال للمبالغة
ولانه اكثر في الاستعمال ولذا لم يجئ وال في القران الا في الرعد لمواخاة
الفواصل **ولا نصير** جمع بينهما لان الولي قد يعجز عن النصرة والنصير قد يكون
اجنبيا **ام تريدون ان تسالوا رسولكم** الخطاب لليهود لان السورة مدنية
وتصديقه بسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السما اي جملة فقد سالوا
موسى اكبر من ذلك وقد ثبت في سبب النزول ان هذه الاية نزلت
في قولهم ذلك **ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل** وسطه
كناية عن الذهاب عن الاستقامة لان الوسط هو المستقيم وما عداه منحرف
الحو في الضلال فقد المطلوب بعد حصوله واصله وضعه في الاشيا المدركة
بالقوة الباصرة فيقال للبعير الذي يفقده المالك ضل ولا يقال لمن خرج للصيد
فلم يره ضل الصيد والا لما لا يدركه البصر فلا يقال لمن نسي شعرا او مسئلة
لعدا تنهاه ضل قال وانما استعمل في الدين لانه لوضوحه وقوة براهينه
صار كالمشاهد المدرك بالبصر وكل مولود يولد على الفطرة ثم ان اسباب الشقا
تدل قدمه فصار فقد الدين كفقد الشي بعد حصوله **ود** الراغب
الود محبة الشي وتمني كونه **الاصبهاني** هو المحبة الكاملة الكرماني الود والتمني
يستعملان الماضي والمستقبل ويتعدى بان الى المعاني دون الاعيان والحب
خاص بالمستقبل **كثير من اهل الكتاب** فيه التفات عن الخطاب في الاية قبلها
لما تقدم ان الخطاب فيها لليهود **لو يردونكم** فيه تلوين الخطاب حيث خوطب
المؤمنون بعد خطاب اليهود **حسدا من عند انفسهم** هو تاكيد على حد ولا طائر
يطير بجناحيه اذ الحسد لا يكون الا من عند انفسهم وقيل هو متصل بودوا اي ودوا
ذلك من عند انفسهم لم يؤمروا به **فاعفوا واصفحوا** ابو حيان الصفح قريب
معناه من العفو وهو الاعراض عن المؤاخذة ماخوذ من توليت بصفحة الوجه
الوجه اعراضا البيضاوي العطف اي العفو ترك عقوبة الذنب والصفح

ترك تثريبه زاد الطيبي وقد يعفوا الانسان ولا يصفح ولما تضمنت الاية الوعد
بتغيير حال ناسب ختمها بالقدرة واقيموا الصلاة الاية لما امر المومنين بالعفو
والصفح عن اليهود عقبه بالامر بالصلاة والزكاة والحث على الخير تنبيها على انه
كما لزمهم صلاح غيرهم بالعفو والصفح لزمهم صلاح انفسهم بفعل الخير وابرز الامر
بفعل الخير في قالب لا يتوهم عدم نفعه من الصيغة الدالة على العموم الشاملة لكل
قليل وكثير المقترنة بانه مثاب عليه مدخر عند غني لا تضيع عنده الودايع تجدوه
اي ثوابه ان الله بما تعملون بصير لا يخفى عليه عمل عامل ولا يضيع عنده وهو ترغيب
في عمل الخير وتحذير من خلافه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
فيه لف ونشر مجمل اي وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى
لا يدخل الجنة الا من كان نصارى والمسوغ للاجمال في اللف ثبوت العناد بين
الفريقين فلا يمكن ان يقول احد الفريقين بدخول الاخر الجنة فوثق بالعقل
في انه يرد كل قول الى فريقه لامن اللبس وقصد الايجاز وقائل ذلك يهود المدينة
ونصارى نجران وروعي في اسم كان لفظ من وفي الخبر معناها وقرئ الا من
كان يهوديا او نصرانيا حملا على اللفظ ايضا تلك اشارة الى القولة تفظيعا لشانها
وتعدت تفظيعا لشانها او الى الاماني السابقة وهي امنيتهم ان لا ينزل على المومنين
خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم اي تلك الاماني الباطلة
المذكورة امانيهم وعلى الاول انما جمعت الا نسبة الواحدة اشعارا بانها بلغت
منهم كل مبلغ وقيل الاماني الاكاذيب قل والجملة تضمنت كلا من دخولهم الجنة
ونفي دخول غيرهم والجملة معترضة بين القول وطلب الدليل عليه وتم دعواهم
لان الرجا يتعلق بالممكن وهذا مستحيل هاتوا قيل اصله اتوا قلبت الهمزة ها برهانكم
الراغب البرهان بيان الحجة وهو اوكد الادلة بلى اي يدخل الجنة غيرهم
لا هم على عكس ما قالوا كما هو مقتضى هذا الحرف ثم صرح بقوله من اسلم وجهه
اي انقاد بجملته وخص الوجه لانه اشرف الاعضاء الظاهرة فغيره اولى الراغب
اصل الوجه العضو المقابل ثم استعير للمستقبل من كل شي حتى قيل واجهته
وقيل للقصد وجه وللمقصد وجه وعلى ذلك اسلم وجهه ووجهت وجهي وقيل
هو هنا مستعار للذات لله اي مخلصا وهو محسن بالعمل فالاعمال شرط في
قبول الاعمال المفهومة من اسلم فهو كقوله وعملوا الصالحات وزاد بالاشارة
الى الاخلاص وقد جمعت هذه الجملة على ايجازها الايمان والاسلام والاحسان
المفسر في الحديث بان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
وهو الاخلاص الذي اشرنا اليه فسبحان من عجز الفصحاء اللذعن مضاهاة
شي من كلامه الاصبهاني يجوز ان تجعل من اسلم فاعل يدخلها مقدرا وتكون
فله اجره معطوفا عليه وذلك ان اهل الكتاب لما بنوا كلامهم على النفي
والاثبات المفيد للحصر فقيل لهم بل يدخل غيركم ولما اريد ان نطلعهم على
خطاياهم في تلك المقالة على وجه يبعثهم على توخي الصواب ويرشد
غيرهما الى ما به يفوزون بالفلاح عاجلا واجلا قال من اسلم وجهه لله وهو

محسن

محسن اي يدخل الجنة من اخلص نفسه لله لا يشرك به غيره واجتنب الشرك
الجلي والخفي عقيدة وقولا ظاهرا مع باطنه اخلاصا واحسانا وهذا كلام سلك
فيه غاية طريق الانصاف بحيث اذا نظر فيه المعاند بجيد الفكر اذعن للحق
ثم انه تعالى ما اكتفى بهذا القدر من الجواب بل ضم اليه على وجه التتميم
قوله فله اجره عند ربه واطلق الاجر ليشمل ما لا يدخل تحت الوصف
وجعله من عند مالكه ومدبر امره الرؤف الرحيم واراد به ما ينبئ عن حصول
الاجر التام عاجلا واجلا فقال ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ووقع
في كلام الاصبهاني قبل ذلك ان لله اشارة الى الايمان وهو محسن اشارة
الى الاحسان وفي الاية مراعاة لفظ من اولا ومعناها اخرا وجي بالرب
دون الله لافادة الاعطاء ودون ضميره لما في توالي الضماير من الثقل وقالت
اليهود لما فرغ من قدح اهل الكتاب في المومنين اتبعه بقدحهم بعضهم في بعض
دينه لنسبة الحكم الصادر من بعض الى الجميع مجازا وتوسعا وهو طريق
معروف عند العرب نثرا ونظما ليست النصارى على شي اي معتد به
كذلك قال الذين لا يعلمون قال الطيبي هو من قلب التشبيه مبالغة
على حد انما البيع مثل الربا مثل قولهم تاكيد للتشبيه المفهوم من كذلك
فالله يحكم الاية حذف المحكوم عليه لتعظيم التقدير ومن اظلم الاية
قال ابن عباس نزلت في النصارى لما خربوا بيت المقدس
ومن طريق اخر عنه في قريش لما منعوا النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة
عند الكعبة وهذا الطريق اصح اسنادا لكن الاول اقرب لرعاية
النظم كان الايات السابقة كلها في قبايح افعال اليهود والنصارى ذكره
الاصبهاني ثم قال فان قلت كيف عبر بمساجد وانما وقع المنع والتخريب
في مسجد واحد قلت لا باس ان يجي الحكم عاما وان كان السبب خاصا الراغب
المنع الحيلولة بين المريد ومراده ولما كان الشي قد يمنع صيانة صار المنع
متعارفا في المنافسة فرقية ان يذكر فيها اسمه بدل اشتمال من مساجد او مفعول
ثان لمنع او مفعول لاجله او على حذف من وكني بذكر اسمه عن كل ما يرفع فيها جد
من انواع العبادات وسعى في خرابها حقيقة على القول الاول في المراد بها
ومجاز على القول الثاني الا خائفين فرارا الى الاختفاء لهم في الدنيا خزي مناسب
لاخافتهم المساجد بتعطيل الذكر فيها والخزي ذلك بالاذلال والهوان واخافة الذكر
ولهم في الاخرة عذاب عظيم مناسب للتخريب لما في التخريب بالنار من اتلاف
مبانيها وصورها ولله المشرق والمغرب اي الارض كلها لانهما ناحيتاها وقد وردت
روايات مختلفة في سبب نزول هذه الاية واصح ما ورد انها في القبلة حين
حولت وطعن اليهود في ذلك وبهذا يعرف مناسبة وضع الاية هنا لانها في ضمن
تعداد قبايح اهل الكتاب وقد مر قبلها تقرير امر النسخ والرد عليهم في انكاره ذلك
وقد وصلها بالاية التي قبلها ما لا يخفى من المناسبة لان المساجد والقبلة متلازمة
وللتنبيه على ان من منع من التولية الى جهة القبلة وان لم يمنع من الصلاة في المسجد

حكه حكم من منع الصلاة في المسجد وقال الجويني في تفسيره سمعت ابا الحسن بن الدهان
يقول وجه اتصالها هو ان ذكر تخريب المقدس وقد سبق اي فلا يجرمنكم ذلك واستقبلوا
قال لله المشرق والمغرب انتهى وما قلناه اقعد فاينما تولوا وجوهكم في الصلاة بامر الله
فثم وجه الله قال ابن عباس اي قبلة الله اخرجه ابن ابي حاتم وقال غيره الوجه
والجهة والوجهة القبلة واضافها الى نفسه تخصيصا وتشريفا ان الله واسع
اي يسع كل شي علما ومغفرة وجودا وفيه مطابقة لما نسب الى اهل الكتاب
من التضييق في امر القبلة عليم بنية عباده حيثما صلوا وقيل الاية خطاب للذين
يخربون المساجد منتظمة مع الاية قبلها والمعنى فاينما تولوا هاربين لحقكم العذاب
ويقويه قراءة الحسن تولوا بصيغة الماضي فتكون جملة ان الله واسع عليم للتهديد
وانه لا مهرب من الله ولا مفر واكدت بان وصرح فيها باسم الله للدلالة على الاستقلال
ولانه الخبر واجزل من الضمير وقالوا اتخذ الله ولدا هم اليهود في عزير والنصارى
في المسيح والمشركون في الملايكة والعطف على اية وقالت اليهود فان فيها الفرق الثلاث
اذ المراد بالذين لا يعلمون المشركون وقرا ابن عامر قالوا بلا واو ولما تخلل من الفصل
بقصة المساجد والقبلة من غير ذكر قوله فيهما تعطف وقال الاصبهاني هي على
الاستيناف كان سايلا سال هل انقطع حبل افترايهم على الله او امتد ولم ينقطع
فقيل بل قالوا اعظم من ذلك وهو نسبة الولد الى الله سبحانه كلمة تنزيه نزه
بها ذاته ثم احتج على هذا التنزيه بقوله بل له ما في السموات والارض اي ملكا
وخلقا وعزير والمسيح والملايكة من جملة ذلك والملكية تنافي الولادة وعبر
بما مع ان المدعى فيهم ذلك من العقلا للاعلام بانهم في غاية البعد عن الربوبية
وفي غاية التحقير الى معنى العبودية وتنبيه على اثبات مجانستهم للمخلوقات
المنافية للولدية ثم ثنى بتغليب العقلا على غيرهم في قوله كل له قانتون ايذانا
بان كل ما في السموات والارض في التسخير والانقياد بمنزلة المطيع العاقل
الذي يومر فيمتثل ولا يتوقف عن الامر ولما كان القصد فيها الاعلام بان من اتخذ
ولدا من العقلا اغرق طواية وسط هذا السلك انخراطا اوليا ايذانا بان من كان
لهذه الصفة لم تجانس ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد بديع بمعنى مبدع
وهو المنشي على غير مثال قال ابو حيان لما ذكر انه مالك لجميع من في السموات والارض
وهم المظروف للسموات والارض ذكر الظرف فيه وبديع بالرفع خبر مبتدا وقرئ
بالنصب على المدح وبالجر بدلا من ضمير له ولما ذكر ما دل على الاختراع ذكر ما يدل
على طواعية المخترع وسرعة تكوينه فقال واذا قضى امرا اي اراد قضاه
اي خلقه وايجاده قال الازهري القضا في القران على وجوه مرجعها الى انقطاع
الشي وتمامه فيكون بمعنى الخلق فقضاهن سبع سموات والامر وقضى ربك
ان لا تعبدوا الا اياه اي امر والاخبار وقضينا الى بني اسرايل في الكتاب
اي اخبرناهم والفراغ وقضي الامر اي فرغ من اهلاك الكفار والوفا فلما قضى
موسى الاجل والارادة اذا قضى امرا البيضاوي اصل القضا اتمام الشي قولا
او فعلا واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشي من حيث انه يوجبه

قال وقد تضمنت الايتان افساد ما ادعوه من خمسة اوجه التنزيه واثبات
الملكية والانقياد المنافيين للولادة والابداع الذي هو اختراع بلا مادة دفعة
خلاف الولادة فانها انفعال عن الوالد بانفصال مادته عنه وكذا اخترها على الصنع
الذي هو تركيب الصورة بالعنصر وعلى التكوين الذي يكون بتغيير وفي زمان غالبا
والخامس والاشارة الى سرعة تكوينه الاشيا وتكونها بامره دفعة بخلاف اتخاذ الولد
فانه يكون باطوار ومهلة فانما يقول له كن فيكون قال الكرماني فيه ثلاثة اقوال
احدها ان هذا عبارة عن سرعة الايجاد وان لا نصب هناك ولا تعب والامر والقول
مجازان لان المعدوم لا يخاطب والموجود لا يومر بالوجود وبهذا جزم في الكشاف
وجعله استعارة تمثيلية والمعنى ان ما قضاه من الامور واراد كونه يتكون ويدخل
تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كان المامور المطيع اذا امر امتثل ولا يتوقف
الا بقدر ما يقال له افعل كذا فيمتثل فلا قول ثمة والقصد بهذه الجملة تاكيد
استبعاد الولادة فان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لحال
الاجسام في توالدها الثاني انه حقيقة لان جميع ما هو كاين في علمه تعالى كالموجود
فصح الخطاب قلت وهذا اصح الاقوال الثالث انه خاص بالموجودات
التي اراد تعالى نقلها الى حالة اخرى وقيل معنى له لاجله ورفع يكون هو الوجه اي فهو
يكون وقراءة النصب على الحمل على اللفظ لانه صيغة الامر وقال الذين لا يعلمون الاية
لما حكى تعالى عن الكفار نسبة الولد اليه سبحانه اعقب ذلك بمقالة اخرى لهم تدل
على تعنتهم وجهلهم لما يجب لله من التعظيم وعدم الاقتراح على انبيايهم ثم لما كان ذلك
مما يضيق به صدر نبيه صلى الله عليه وسلم سلاه باخباره ان ذلك شان الكفار قبلهم
مع انبيايهم وزاد في تسليته وطمانينته وبيان شرفه بان اكد الشهادة له بالرسالة المصاحبة
للحق واسندها تعالى الى نفسه زيادة في التعظيم واقبل عليه بالخطاب مبالغة
في التكريم فقال انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ابو حيان بشير مقيس لانه من بشر
ونذير غير مقيس لانه من انذر وفي القياس منذر وسوغ ذلك اقترانه ببشير على حد
قولهم الغدايا والعشايا انتهى ثم زاد في تسكين قلبه فقال ولا تسال عن اصحاب
الجحيم ما لهم لم يومنوا انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وفي قراءة بجزم تسال مفتوح
التا نهيا له صلى الله عليه وسلم عن السوال عن احوال الكفرة والاهتمام بهم تخفيفا
عليه وتهوينا وفي سبب نزول هذه الاية ما يقتضي انها نزلت مرتبطا بالقرابتين وانه
صلى الله عليه وسلم قال ليت شعري ما فعل ابواي فنزلت اخرجه ابن جرير عن محمد بن كعب
مرسلا وقيل النهي لتعظيم ما وقع باصحاب الجحيم من العذاب كما لو سالت عن صاحب
بلية فيقال لك لا تسال عنه اي انه في امر عظيم وقرا ابي وما تسال وابن مسعود
ولن تسال والجحيم النار العظيمة والجحمة شدة تاجج النار ولن ترضى عنك
اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قال الاصبهاني وجه اتصالها بما قبلها انه لما بين
في الاية السابقة اصرارهم وتصميمهم على الكفر والتكذيب مع تبيين الايات الدالة
على حقية الاسلام عقب ذلك بانه بلغ حالهم في تشديدهم وثباتهم على كفرهم انهم يريدون
مع ذلك ان تتبع ملتهم ابو حيان افرد الملة وان كان لهم ملتان ايجازا على حد قالوا كونوا

يهودا او نصارى تهتدوا **قل ان هدى الله هو الهدى** قال الاصبهاني فيه مبالغات منها اضافة
الهدى الى الله ومنها دخول الباء واعادة الهدى في الخبر على حد شعري شعري وتسمية الدين
بالهدى تجره جوابا عن قولهم ملتنا وجعله مصدرا وتوسيط ضمير الفصل وتعريف الخبر
بلام الجنس الوطب وجه المطابقة بين كلامهم والجواب انهم لما قالوا لن ترضى عنك حتى تتبع
ملتنا الاو زعموا ان اتباع ملتهم هو الهدى لا دين الاسلام فاجيبوا على قصر القلب
بان دين الاسلام هو الهدى لا اتباع ملتهم **ولئن اتبعت اهواءهم** جمع للدلالة على كثرة اختلافهم
واباطيلهم **بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير** قال الكرماني قال
هنا بعد الذي جاءك وفيما سياتي من بعد ما جاءك لان العلم في هذه الاية علم بالكمال
ليس وراءه علم لان معناه بعد الذي جاءك من العلم بالله وصفاته وبان الهدى هدى
الله فكان لفظ الذي اليق به من ما لانه في التعريف ابلغ وفي الوصف اقعد بدليل
انه لا يتنكر قط ويوصف به اسم الاشارة بخلاف ما فيهما فخصت بالموضع الاتي لان
المعنى بالعلم هناك ان قبلة الله هي الكعبة وذلك قليل من كثير من العلم وزيدت معه
من التي لابتداء الغاية لان تقديره من الوقت الذي جاءك العلم فيه بالقبلة لان القبلة
الاولى نسخت بهذه الايات وليس الاول موقتا بوقت وختم الاية الاولى بتغليظ من الحكم
لعظم شان العلم الذي فيها وختم الثانية بقوله انك اذا لمن الظالمين لما كان الثاني
منحطا عن الاول وقال في الرعد بعد ما جاءك فاتى بما لان العلم فيها هو الحكم العربي
اي القران فكان بعضا من الاول ولم يزد من لانه غير موقت وختم ايضا
بتغليظ من الخطاب فقال ما لك من الله من ولي ولا واق لانه وان كان بعض الاصول
فهو مشتمل على الكل **الذين اتيناهم الكتاب الاية** لما ذكر كفار اليهود وقبائحهم
وانهى ما ختم بالثناء على من امن منهم لئلا يظن ان الكل داخلون في الذم كما قال تعالى
في سورة ال عمران ليسوا سواء الاية وضمير به في الموضعين للكتاب لتتسق الضمائر وقيل
وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم لتقدمه في انا ارسلناك فيه التفات عن الخطاب
وقيل لله فيكون التفاتا عن التكلم **يا بني اسرائيل الاية** قال الاصبهاني وغيره لما استقصى
الله في بيان وجوه نعمه على بني اسرائيل ثم في بيان قبائحهم في اديانهم واعمالهم ختم
الفصل بما بدأ به ليكون ما حكى عنهم محتوشا بين التذكيرين ويجعلوا بين الوعظين
والتخويف ثم شرع في نوع اخر من البيان وهو ان ذكر قصة ابراهيم وكيفية احواله
والسر فيه ان ابراهيم نبي يعترف بفضله جميع الطوائف اهل الملل والمشركون
فحكى الله عن ابراهيم امورا توجب على المشركين وعلى اليهود والنصارى الايمان بمحمد
والاعتراف برسالته **واقول** لما تقدم الرد على اليهود في انكار النسخ وسبب
ذلك نسخ القبلة قدم في الرد عليهم ذكر الامر بالتوجه الى الكعبة ذكر من بناها وهو
ابوهم الاكبر ابراهيم الذي انما شرفوا بكونهم من ذريته ليكون ذلك ابلغ داع لهم الى استقبالها
لكونها من اثار من هم منه بسبيل وذكر في خلال ذلك امورا من شانه كدعوته ببعثة
النبي صلى الله عليه وسلم والثناء على ملته وان من رغب عنها فقد سفه نفسه وان
دينه الاسلام لا اليهودية ولا النصرانية وانه وصى يعقوب معاوصيا بذلك
اولاده ما الى غير ذلك مما ذكر في اثناء القصة وافتتح بالثناء عليه باتمام ما امره به

يا بني اسرائيل

الموجب

الموجب لجعله اماما يقتدى به وان من تابعهم من ذريته في الوفا فهو ايضا امام بخلاف
من ظلم منهم فقال **واذ ابتلى ابراهيم ربه** اي اختبره وامتحنه والابتلاء في الشاهد
لاستفادة علم خفي على الممتحن من الممتحن وذلك غير جائز في حق الله فهو يعود الى اعلامه
لا الى استعلامه وقيل الابتلاء في الاصل التكليف بالامر الشاق من البلاء بمعنى ثقل المكروه
بكلمات هي مناسك الحج وخصال الفطرة العشر وسهام الاسلام الثلاثون المذكورة
في قوله التائبون الاية وان المسلمين الاية وقد افلح الايات ونظائرها من سال والكوكب
والقمر والشمس والنار والهجرة وذبح ابنه واطلاق الكلمات عليها مجاز لانها صادرة عن
اوامره وهي كلمات كما سمي عيسى كلمة لانه صادر عن كلمة كن وقرئ برفع ابراهيم
ونصب ربه فالكلمات الدعوات اي اختبر ابراهيم ربه هل يجيبه **قال اني جاعلك**
استئناف بياني كانه قيل فماذا قال ربه حين اتم الكلمات وفي الاية من انواع البديع
المراجعة وهي ان يحكي المتكلم مراجعة في القول جرت بينه وبين محاوره باوجز عبارة
واعدل سبك واعذب الفاظ قال ابن ابي الاصبع جمعت هذه الاية ثلاث مراجعات
فيها معاني الكلام من الخبر والاستخبار والامر والنهي والوعد والوعيد بالمنطوق
والمفهوم **قلت** احسن من هذا ان يقال جمعت الخبر والطلب والاثبات
والنفي والتاكيد والحذف والبشارة والنذارة والوعد والوعيد **ومن ذريتي** في
تثليث الدال وهو عطف على ضمير المخاطب في جاعلك كانه قال وجاعل بعض
ذريتي ويقال لمثل ذلك عطف تلقين كانه يلقنه بان يقول كذا كما يقال لك ساكرمك
فتقول وزيدا **قال لا ينال عهدي الظالمين** قرئ الظالمون وهما بمعنى لان ما نالك
فقد نلته ولما صدر بالثناء على باني البيت عقبه بالثناء على البيت فقال **واذ جعلنا**
البيت مثابة للناس اي مرجعا يثوبون اليه كل عام وقيل من الثواب اي يحجون فيثابوا ... بون
وقرئ مثابات باعتبار التائبين **وامنا** وصف به مبالغة اي ذا امن واطلق ليعم
امن الدنيا والاخرة والناس وغيرهم **واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى** قرئ بفتح الخاء
على الخبر وهو متصل بما قبله وما بعده وبكسرها على الامر فقيل على تقدير وقلنا اتخذوا وقيل
الخطاب خاص بهذه الامة ثم رجع الى الاول بقوله وعهدنا فالجملة على هذا
اعتراض وقيل الخطاب لليهود عطف على اذكروا نعمتي وعلى توبوا مقدرا زجرا
لهم عن انكار التوجه الى الكعبة القفال من هنا كما في قولك اتخذت من فلان
صديقا واعطاني الله من فلان اخا صالحا دخلت لبيان المتخذ والموهوب وتمييزه
في ذلك المعنى يعني ان الاية من باب التجريد ومصلى قيل موضع صلاة وقيل موضع
دعاء **قلت** ولا يبعد ارادة الامرين واختصاص الاول بقراءة الكسر كما بينه سبب
النزول والثاني بقراءة الفتح **ان طهرا** تحتمل المصدرية والتفسيرية لان في العهد
معنى القول دون حروفه **للطائفين والعاكفين والركع السجود** اي المصلين
استوعب العبادات الثلاث الخاصة بالمسجد الطواف والاعتكاف والصلاة
ابو حيان خص الركوع والسجود بالذكر باعتبار احوال المصلي لانهما اقرب احواله
الى الله وقدم الركوع على السجود لتقدمه في الزمان وجمعا جمع تكسير لمقابلهما ما قبلهما
من جمعي السلامة تنويعا في الفصاحة وخالف بين وزني تكسيرهما تنويعا في الفصاحة

واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني ا

ايضا وكان اخرهما على فعول لا فعل لاجل كونه فاصلة والفواصل قبلها وبعدها اخرها حرف
مد ولين وعطف العاكفين والركع لان كلا منهما عبادة مستقلة ولم يعطف السجود على الركع
لان المقصود بهما المصلون فالركع والسجود يشملهما فعل واحد وهو الصلاة فناسب
ترك العطف لئلا يتوهم ان كلا منهما عبادة على حدتها هذا بلدا امنا في سورة ابراهيم هذا
البلد امنا قال الكرماني لان الاول اشارة الى الوادي قبل بناء البيت فدعا ان يجعله بلدا
وان يجعله امنا والثاني اشارة اليه بعد بنائه ومصيره بلدا فدعا بامنه فهو دعاء
بامر واحد والاول دعا بامرين واسناد الامن الى البلد مجاز كعيشة راضية اي امنا
اهله وسكانه وهو ما نحن فيه وارزق اهله من الثمرات من امن بدل بعض خصه به استدراكا
موافقة لجواب الله له والاول لا ينال عهدي الظالمين ظنا ان الرزق كالامامة
قال ومن كفر اي وارزق من كفر على حد العطف في ومن ذريتي وضمير قال لله
فامتعه قرئ بالتشديد والتخفيف وقرئ شاذا فامتعه ثم اضطره الى عذاب
بصيغة الامر للدعا فضمير قال لابراهيم قال ابن جني وحسن اعادة قال على هذا
لامرين احدهما طول الكلام فلما تباعد اخره من اوله اعيدت لبعدها والاخر انه
انتقل من الدعا لقوم الى الدعا لاخرين فكان ذلك اخذا في كلام اخر فاستونف
معه لفظ القول قال ويجوز على هذه القراة جعل الضمير لله اي فامتعه يا خالق
يخاطب نفسه على ما اعتادته العرب من امر المخاطب نفسه كقول الاعشي ، ، ،
ودع هريرة ان الركب مرتحل ، وهل تطيق وداعا ايها الرجل ، وهو المسمى عندهم
بالتجريد وقرا ابي فنمتعه ثم نضطره وقرئ اضطره بكسر الهمزة لغة في المضارع و
بضم الطا اتباعا للراء واذ يرفع حكاية حال ماضية قاله الزمخشري وقال ابو حيان
لان اذ تخلص المضارع الى المضي القواعد من البيت قال الزمخشري لم يقل قواعد
البيت لان في ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام ما ليس في اضافتها لما في الايضاح
بعد الابهام من تفخيم شان المبين واسمعيل الطيبي اخر عن ابراهيم وفصل بالمفعول
الذي هو موخر رتبة عن الفاعل لان الرافع في الحقيقة ابراهيم واسمعيل كان
معينا ومناولا للحجارة ربنا في مصحف ابن مسعود ويقولون ربنا وهو تصريح بالمقدر
في قراة الكافة الحوفي حيث وقع النداء بهذا الاسم اسقط حرف النداء وحيث وقع الله
فلا بد من ذكره او عوضه وهو الميم المشددة ونكتته ان اسم الله كلمة هيبة وعظمة
فالمناسب له ذكر الحرف المشعر بالبعد والذل من المنادي ورفعة المنزلة
للمنادي واسم الرب المفهوم منه اللطف والرحمة والرافة والله تعالى قريب من
العبد بهذه الصفة اذ ما من حالة الا والله تعالى ممد الى عباده لطفا وبرا
فقيل ربنا رب من غير حرف ندا اشارة الى القرب المذكور قالوا اما وقيله يا رب
فان السوال فيه لامر القوم وهم لظلمهم بعدوا عن الرافة والرحمة الطيبي
تكرار ربنا للاستعطاف تقبل منا فرق بعضهم بين القبول والتقبل بان التقبل
تكلف القبول وذلك حيث يكون العمل ناقصا لا يستحق ان يقبل فهذا اعتراف منهما تواضعا
واعتراف في التقصير بالعمل انك انت السميع العليم في الختم بها غاية التناسب اذ صدر
منهما عمل وسوال واخر العليم على غير الترتيب لمناسبته للفاصلة واجعلنا مسلمين

قرئ

قرئ بصيغة الجمع وارنا في قراة بسكون الرا وقرئ وارهم مناسكهم وتب عليهم ربنا و
وابعث فيهم لما دعا لمكة بالامن ولاهلها بالرزق دعا بان يجعل من ذريته امة مسلمة ختم الدعاء
لهم بما فيه سعادتهم دنيا واخرة وقرا ابي وابعث في اخرهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب
رتب التعليم في التلاوة كما هو الواقع لان التلاوة اول ما يقرع السمع والتعليم
الذي هو التفهم بعده والختم بالعزيز الحكيم مناسب لان ارسال رسول على ما وصف
لا يصدر الا عن من اتصف بالعزة وهي الغلبة والقوة وبالحكمة التي هي اصابة مواقع
الفعل وقدم العزيز لانه من صفات الذات والحكيم من صفات الافعال
ولكون الحكيم انسب بالفواصل ومن يرغب استفهام انكار واستبعاد عن ملة ابراهيم
الراغب الملة كالدين وهو اسم لما شرع الله لعباده على لسان انبيائه والفرق بينها
وبين الدين ان الملة لا تضاف الا للنبي صلى الله عليه وسلم التي تستند اليه نحو ملة
ابراهيم ملة ابائي ولا تضاف لله ولا لاحاد الامة ولا تستعمل الا في جملة
الشرائع دون الاحاد فلا يقال ملة الله ولا ملتي ولا ملة زيد كما يقال دين الله و
دين زيد وديني ولا يقال الصلاة ملة الله كما يقال الصلاة دين الله سفه
نفسه استخف بها وامتهنها وقيل جهلها وقيل اضلها وقيل الاصل سفه في نفسه
فحذف الجار وفي الكلمتين نوع من الجناس ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة
لمن الصالحين الكشاف هو بيان لخطا راي من يرغب عن ملته ومعه ما يوجب
الترغيب فيها ابو حيان زاد التاكيد في الجملة الثانية لانه اخبر عن حالة مغيبة في الاخرة
فاحتاجت الى مزيد تاكيد بخلاف حاله في الدنيا فان ارباب الملل قد علموا اصطفا الله
له الطيبي خصت الكرامة الدنيوية بالاصطفا والاخروية بالصلاح لان الاصطفا
بالنبوة اقصى شرف الانسان ومنتهى درجات العباد في الدنيا واما الصلاح فهو
الاستقامة على الخير وذلك انما يصفون في الاخرة واما في الدنيا فهم لا يخلون من ادنى
خلل اذ قال له ربه اسلم قيل ظرف لاصطفيناه اي اخترناه في ذلك الوقت وقيل
لاذكر مستشهدا على ما ذكر من حاله اي ذكر ذلك الوقت ليعلم انه المصطفى الصالح
الذي لا يرغب عن ملته وفيه التفات عن التكلم ووصى وفي قراة اوصى والاول
ابلغ لدلالته على التكثير الراغب الوصية التقدم الى الغير بما يعمل به مقترنا بوعظ
بها قيل بالملة وقيل بكلمة اسلمت لرب العالمين ويعقوب بالرفع عطفا على الفاعل والنصب
عطفا على المفعول يا بني قرا ابي ان يا بني فان تفسيرية فلا تموتن ليس نهيا عن الموت
لانه ليس بمقدور بل عن ترك الاسلام لئلا يوافي الموت عليه حضر قرئ بكسر الضاد
لغة يعقوب قدم المفعول للاعتنا الموت اي اسبابه مجاز ما تعبدون اي اي شي
تعبدونه دون من لانه اعم ابو حيان لم ينقل من ابنائه يتطرق اليهم الاقتدا وانما اراد ان
يختبرهم ويستظهر ثبوتهم على ما هم عليه واله ابائك عد العم في الابا تجوزا وقرا ابي
باسقاط ابائك والحسن واله ابيك بالافراد وقدم يعقوب لانه السايل ثم ابراهيم
لانه الاصل ثم اسمعيل لانه اسن من اسحاق واشرف الها واحدا بدل يفيد التصريح
بالتوحيد ونفي التوهم الناشي من تكرار المضاف لتصحيح العطف على الضمير المجرور والتاكيد
ونحن له مسلمون قال ابو حيان لما ذكر الجواب بالفعل الذي هو نعبد لان العبادة متجددة

وانما ذكرت هذه الجملة الاسمية الدالة على الثبوت لان الانقياد لا نكون عنه ذاهلا وعنه
تكون العبادة فكانهم اجابوا بشيئين احدهما الذي سال عنه والثاني موكدا لما اجابوا
به فهو من باب الجواب المربي على السوال تلك امة الاية قال الكرماني هذا معلوم بالبديهة
وانما ذكره لبيان العدل والانصاف ومثله لكم دينكم ولي دين وللتحذير من الاتكال
على عمل الاباء والاجداد والاستدعاء الى المبادرة بالطاعات قال وانما كرره لان المراد بالاول
الانبياء وبالثاني اسلاف اليهود والنصارى وقيل الاول لاثبات ملة ابراهيم لهم جميعا
والثاني لنفي اليهودية والنصرانية وقال الاصفهاني انما اعيدت ثانيا لان الحجاج
اذا اختلفت مواطنه حسن تكريره للتذكير به وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قال
فيه لف ونشر مجمل في حذف ما تقدم في وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
بل ملة ابراهيم بالنصب على تقدير نتبع وقيل اغراء وقرئ بالرفع على تقدير المبتدا اي بل الهدى
او امرنا ملة او الخبر اي بل ملة ابراهيم ملتنا وفي الاعراب بيل التبيان انه ليس يهوديا
ولا نصرانيا حنيفا حال لانه وخص ابراهيم بالذكر دون غيره من الانبياء وان كانوا مايلين
الى الحق مستقيمي الطريقة حنيفا لان الله اختص ابراهيم بالامامة لما سنه من مناسك
الحج والختان وغير ذلك من شرايع الاسلام ما يقتدي به الى قيام الساعة وما كان من المشركين
فيه تعريض باهل الكتاب وغيرهم واشراكهم بقولهم في عزير والمسيح قولوا امنا بالله قال
ابو حيان وجه ارتباط هذه الاية بما قبلها انه لما ذكر في قوله بل ملة ابراهيم جوابا
الزاميا وهوابهم لما امروا باتباع اليهودية والنصرانية وانما كان ذلك منهم على سبيل
التقليد اتباع ابراهيم لانهم قد اتفقوا على صحة دينه والاخذ بالمتفق عليه اولى من الاخذ
بالمختلف فيه اذ كان الدين بالتقليد فلما ذكر هذا الجواب الالزامي ذكر بعده برهانا
في هذه الاية وهو ظهور المعجزة عليهم بمن ال الايات وقد ظهرت على يد محمد صلى الله
عليه وسلم فوجب الايمان بنبوته فان تخصيص بعض بالقبول وبعض بالرد يوجب التناقض
في الدليل وهو ممتنع عقلا وما انزل الينا في ال عمران علينا قال الكرماني لان الى للانتهاء
الى الشيء من اي جهة كان والكتب منتهية الى الانبياء والى اممهم جميعا والخطاب هنا
للامة لقوله قولوا فلم يصح الا الى وعلى تختص بجانب واحد وهو الفوق فكان مختصا
بالانبيا لان الكتب منزلة عليهم ولا انزلة للامة فيه وفي ال عمران قل وهو خطاب
له صلى الله عليه وسلم دون امته فكان الذي يليق به على وقال في الكشاف هذا تعسف
بل لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فجاء تارة باحد المعنيين واخرى بالاخر
وما انزل الى ابراهيم كرر الموصول لان المنزل اليه وهو الصحف العشر غير المنزل
الينا وهو القران ولما لم ينزل الى اسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كتب عطفوا
على ابراهيم لانهم كلفوا العمل بما انزل اليه والدعا اليه فاضيف الانزال اليهم كما
اضيف في قوله وما انزل الينا وافرد موسى وعيسى بالذكر من الاسباط لانهما متبوعا
اليهود والنصارى والكلام معهم ولم يكرر موصول في عيسى لانه انما جا مصدقا
لما في التوراة لم ينسخ منها الا نزرا يسيرا فالذي اوتيه عيسى هو ما اوتيه موسى وان كان
قد خالف في ترتيب وجاء وما اوتي بعد وما انزل تنويعا في الكلام وتفننا في الالفاظ
وتفننا في العبارة لما في ذلك من الحلاوة التي لا توجد في سرد الالفاظ على نمط واحد

ولما ذكر

ولما ذكر في الانزال اولا خاصا وعطف عليه جمعا ذكر في الايتا خاصا ثم عطف عليه
جمعا ولما اظهر الموصول في الانزال في العطف اظهره في الايتا فقال وما اوتي النبيون
وهو من باب عطف العام على الخاص على حد رب اغفرلي ولوالدي ولمن دخل بيتي مومنا
وللمومنين والمومنات وقدم ما انزل الينا على ما بعده وان كان متاخرا في الانزال
لانه اولى بالذكر اذ الناس بعد البعثة المحمدية مدعوون الى الايمان بما انزل اليه جملة
وتفصيلا وفي ال عمران والنبيون لان ذكر الايتا تقدم في قوله واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لما اتيتكم من كتاب لا نفرق بين احد منهم ادخل بين على احد لانه في معنى الجمع
لعمومه وقيل فيه اكتفاء اي بين احد واخر ونحوه ونحن له مسلمون قدم له لافادة الا ختصاص
والتقدير له اسلمنا لا لغرض اخر من سمعة ورياء وطلب مال وفيه تعريض بمنافقي اليهود
الذين اسلموا للرياء والسمعة ونحو ذلك وختم بذكر الاسلام بعد الابتداء بالايمان جمعا
بينهما في الاية بمثل ما امنتم به قيل مثل زايدة وقيل الباء هي الزايدة اي مثل ايمانكم
وقرا ابن عباس فان امنوا بالذي امنتم به وقرا ابن مسعود بما امنتم به وقيل هو من
مجاز الكلام يقال هذا امر لا يفعله مثلك اي لا تفعله انت ومنه مثلك لا يبخل وغيرك
لا يجود كما قال القايل ولم نقل مثلك اعني به سواك يا فردا بلا مشبه وقال
الزمخشري هو من باب التبكيت لان دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الاسلام
ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فلا يوجد اذن دين اخر يماثل دين الاسلام
في كونه حقا حتى ان امنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين فقيل فان امنوا
بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير اي فان حصلوا دينا اخر مثل دينكم مساويا
له في الصحة والسداد فقد اهتدوا وفيه ان دينهم الذي هم عليه وكل دين
سواه مغاير له غير مماثل لانه حق وهدى وما سواه باطل وضلال ونحو هذا
قولك للرجل تشير عليه هذا هو الراي الصواب فان كان عندك راي اصوب
منه فاعمل به وقد علمت ان لا اصوب من رايك ولكنك تريد تبكيت صاحبك
وتوقيفه على ان ما رايت لا راي وراءه انتهى فانما هم في شقاق فيه مبالغة
لما يشعر بانه صار ظرفا لهم وهم مظروفون له فهو مستول عليهم من جميع جوانبهم
ومحيط بهم احاطة البيت بمن فيه فهو ابلغ من ان يقال مشاقون والشقاق العداوة
قال القاضي ولا يكاد يقال في العداوة في وجه الحق فسيكفيكهم الله
عطف بالفا اشعارا بتعقيب الكفاية عقب شقاقهم وتوليهم والمجي بالسين
يدل على قرب الاستقبال لانها اقرب من سوف والذوات لا تكفي فهو على حذف
اي فسيكفيك شقاقهم قال الزمخشري والسين تفيد التوكيد لانها في
مقابلة لن قال سيبويه لن افعل نفي سافعل وهو السميع العليم ختم بهما لان كلا
من الايمان وضده مشتمل على اقوال وافعال وعقايد فناسب الختم بهما الاول
للاقوال والثاني للافعال والاعتقادات ولما كانت الاقوال هي الظاهرة لنا الدالة
على ما في الباطن قدمت صفة السميع ولان العليم فاصلة ايضا وتضمنت
الصفتان وعدا ووعيدا وتهديدا صبغة الله اي دين الله او تطهير الله وعبر بالصبغة
في طريق المشاكلة لانهم كانوا يغمسون اولادهم في ما اصفر يسمونه المعمودية

وَيقولون انه تطهير لهم وان به يصير الولد نصرانيا دفال مر المسلمون ان يقولوا امنا
بالله وصبغنا الله بالايمان صبغة فهو مصدر منصوب بفعله المقدر وقيل بتقدير
اتبعوا وقيل بدل من ملة ابراهيم وقيل اغرا اي عليكم وقرئ بالرفع خبر محذوف
اي ذلك الايمان ومن احسن استفهام معنى النفي واحسن لا تفضيل فيه اذ لا حسن
في صبغة غير الله ونحن له عابدون اي وانتم غير مخلصين فحذف اكتفا او الجملة من باب
التعريض بالذم لان ذكر المختص بعد ذكر المشترك ينبي لذلك المختص عن شارك
في المشترك ام يقولون بالتا والبا وفيه لف يحمل علي ما سبق انتم اعلم ام الله
هو تهكم واستهزا اذ لا مشاركة بين الله وبينهم في العلم حتى يسال عن الاعظم
وفايدته الا بلغية في اقامة الحجة وقطع النزاع لان كل من خوطب بهذا الكلام
يبادر الى ان يقول الله اعلم قال ابو حيان جاءت جمل هذه الايات من ابتدا
ذكر ابراهيم اي انتهى الكلام فيه علي اختلاف معانيه وتعدد مبانيه كانها جملة
واحدة في حسن مساقها ونظم اتساقها مرتقية في الفصاحة الى ذروة الاحسان
مفصحة ان بلاغتها خارجة عن طبع الانسان سيقول السفها قال ابو حيان مناسبة
هذه الاية لما قبلها ان اليهود والنصارى قالوا ان ابراهيم ومن ذكر معه كانوا
هودا او نصارى ذكروا ذلك طعنا في الاسلام كان النسخ عند اليهود باطل
فقالوا لا انتقال عن قبلتنا باطل وسفه فرد الله ذلك عليهم بهذه الاية واقول
لما كانت الايات السابقة كلها توطية لنسخ القبلة من قوله ما ننسخ من اية
الموطي على النسخ الى قوله ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله الموطي
علي التحويل الى قصة ابراهيم وبنايه الكعبة المرغب في التوجه اليها وما تبع ذلك
من توصية يعقوب جدا اليهود والنصارى اولاده باتباع ملته وامره تعالى
باتباعها وانه لا يرغب عنها الا من سفه نفسه الى ما وقع في خلال ذلك من الثنا
عليه وتبرئته من اليهودية والنصرانية ولم يبق بعد هذه التوطية البليغة
والتمهيدات العجيبة الا الصدع بالحكم الحق صدر بالاخبار عما سيقوله السفها
عند وقوعه من باب الاخبار بالمغيبات قبل كونها توطينا للنفوس على ما يرد
من الاعدا لان مجي الشي بعد العلم به اخف من مجيئه بغتة واقل تاثيرا
وبعظم شان التحويل الذي هو اول نسخ وقع وكل مبتدا اصعب فكان فيه فتنة
عظيمة حتى ارتد لذلك جماعة من الضعفا وليكون الجواب معدا لمنكر ذلك
وهو قوله قل لله المشرق والمغرب الطوفي الحتم باخر الاية مناسب لاولها
اي لا معنى لانكارهم ترك قبلة الى قبلة لان الله سبحانه له جهة المشرق والمغرب
وملكهما وهو عالم بمصالح خلقه فهو يهدي من يشا الى ما يشا ولذلك اشارة الى
المصدر المفهوم من يهدي امة وسطا فيه تورية مرشحة لان للوسط معنيين
المتوسط والخيار وظاهر اللفظ يوهم الاول لان قبلة الاسلام متوسطة
بين المشرق والمغرب وهما قبلتا اليهود والنصارى والمراد هنا الثاني وهو الخيار
كما صح التفسير بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابعد المعنيين ورشح
ذلك قوله لتكونوا شهدا على الناس فانه من لوازم كونهم خيارا اي عدولا الاصفهاني

قيل

قيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والفساد والاوساط محمية محوطة
لتكونوا شهدا على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا الكشاف اخرت صلة الشهادة اولا
وقدمت اخرا لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي الاخر اختصاصهم
بكون الرسول شهيدا عليهم ابو حيان سمي ادراك البصيرة شهادة وان كان اصله
في ادراك البصر لما بين الادراكين من المناسبة الشديدة واتى بشهيد لانه جمع
شهيد وهو ابلغ من شاهدين واشهاد التي مفعول ثان لا صفة كنت عليها
يعني الكعبة وبيت المقدس وفيه التفات عن الغيبة في الرسول
الا لنعلم المراد به علم المشاهدة وهو الذي يستحق به الثواب والعقاب وعلم
الغيب لا يستحق به ذلك وقيل المعنى ليعلم رسول الله والمومنون واسند
علمهم الى ذاته لانهم خواصه واهل الزلفى عنده وقيل لنميز التابع من الناكص
كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لان العلم يقع
به التمييز ويويده تعديه بمن وقيل المراد الا لنعلم ذلك في الازل
المستمر في الحال والاستقبال وقرا الزهري ليعلم بالبا مبنيا للمفعول
ولا يحتاج الى تاويل من يتبع الرسول فيه التفات من الخطاب في قوله كنت
قال ابو حيان ونكتته انه لما كان التوجه الى الكعبة توجها الى المكان الذي
الفه وله اليه نزاع اتى بالخطاب ولما كانت الشرذمة والمتبوعية من الامور
الالهية التي يلتفت الرسول ليدل على ان ذلك مختص بالتبليغ المحض ممن ينقلب
على عقبيه كناية عن الرجوع عما كان فيه من ايمان او غيره والرجوع على العقب
اسوا احوال الراجع في مشيته على وجهه فلذلك شبه به المرتد في الدين
وقرئ بسكون القاف لغة تميمية وان كانت اي التولية الدال عليها السياق
او الجعلة الدال عليها جعلنا لكبيرة قرئ بالرفع على زيادة كان او خبر محذوف
اي لهي كبيرة الا على الذين استثنا من محذوف اي على الناس هدى الله قال
القشيري من نظر الى الامر بعين التفرقة كبر عليه امر التحويل ومن نظر بعين
الحقيقة ظهر ببصيرته وجه الصواب فمن كان مع الله في جميع الاحوال
كان على وتيرة واحدة اي المختلفات من الاحوال له واحدة فسوا عبد او فرد او اكثر
او بعد او حقق او حول فهم به له في جميع الاحوال قال فسلم لهم
حيثما دارت الزجاجة درنا يحسب الجاهلون انا جننا ليضيع ايمانكم اي صلاتكم
الى بيت المقدس قبل التحويل قال سبب نزولها السوال عمن مات قبل التحويل
فكني عنها بالايمان لانها اعظم شعبه وليلا يتوهم اندراج صلاة المنافقين
قال في المنتخب ولو ذكر سبب نزول الاية لما اتصل الكلام
بعضه ببعض وقرئ ليضيع بالتشديد ان الله تعليل بالناس قدم اعتنا
بالمروف بهم لروف رحيم الرافة شدة الرحمة وقدم الا بلغ لكن صلة والختم بهما
قد نرى هي للتحقيق او للتكثير وهو في كلام العرب كثير جدا تقلب وجهك قيل
المراد بصرك وكني بالكل عن الجزء في السما فيه حال محذوفة اي طالبا قبلة
غير التي انت مستقبلها فلنولينك قدم الوعد قبل الامر لفرح النفس بالاجابة

ثم بانجاز الوعد فنبه الى السرور مرتين ولان بلوغ المطلوب بعد الوعد به آنس في
التوصل من مفاجاة وقوع المطلوب واكد باضمار القسم مبالغة في وقوعه **قبلة**
نكرت لانه لم يجر قبلها ما يقتضي ان تكون معهودة حتى تعرف ووصفها بقوله
ترضاها ليفيدها من التعيين **فول وجهك** اي في الصلاة قيل وانما لم يذكرها
لان الاية نزلت وهو في الصلاة فاغنى التلبس بها عن ذكرها واراد بالوجه جملة
البدن وكنى به عنه لانه اشرف اعضائه **شطر المسجد الحرام** قال بعضهم كل ما في
القران من المسجد الحرام فالمراد به الحرم كله الا هنا فالمراد الكعبة خاصة وقرا ابن
مسعود تلقاء المسجد **وحيثما كنتم فولوا** بدا بامره صلى الله عليه وسلم ثم امر امته
لانهم تبع له ولئلا يتوهم ان ذلك مما يختص به وزاد التعميم في الاماكن لئلا يتوهم
اختصاص ذلك باهل المدينة **شطره** قرا ابن مسعود قبله وابن ابي عبلة تلقاه
انه اي التولي المفهوم من الفعل وقيل هو ضمير الرسول فيكون التفاتا **من ربهم**
في الاضافة اليهم تنبيه على انه يجب اتباع الحق الذي هو مستقر ممن هو معتن باصلاحهم
كانه قال الحق من ربك **يعلمون** بالياء لاهل الكتاب وبالتاء قيل لهم التفاتا
وقيل للمؤمنين **ولئن اتيت** تسلية للرسول باظهار عنادهم **وما انت بتابع قبلتهم**
بيان لان هذه القبلة لا تنسخ الى يوم القيامة وقطع لاطماع اهل الكتاب
وافرادها وان كان لهم قبلتان لاشتراكهما في البطلان كما قيل الكفر كله ملة واحدة
وحسن ذلك المقابلة الكلية اللفظية وفي الجملة الاولى نفية لكونها اسمية وموكدة
بالباء وهي مستانفة لا معطوفة على الجواب لعدم صحته اذ لا مدخل للشرط فيها
وقرئ باضافة اسم الفاعل **وما بعضهم بتابع قبلة بعض** قال ان اهل الكتاب
وان اتفقوا في خلافك فهم مختلفون فيما بينهم ايضا كما قال تحسبهم جميعا وقلوبهم
شتى وقد قيل اهل الباطل لا يتفقون على شيء الا على عداوة اهل الحق وفي ذلك وهن
لكيدهم **ولئن اتبعت اهواءهم** الخطاب في الظاهر له صلى الله عليه وسلم وفي المعنى
لامته وفيه لطف للسامعين وزيادة تحذير لهم واكثر استعمال الهوى فيما لا خير فيه
الذين آتيناهم هو ابلغ من اوتوا لاسناده الايتاء الى الله معبرا عنه بنون العظمة
وكذا ما يجيء من نحو هذا اريد به الاكرام نحو هدينا واجتبينا واصطفينا قيل واوتوا
قد يستعمل فيما لم يكن له قبول وآتيناهم اكثر ما يستعمل فيما له قبول
الكتاب قال ابو حيان اذا اريد بالكتاب اكثر من واحد وحده نظرا الى المكتوب
المعبر عنه بالمصدر **يعرفونه** اي محمدا صلى الله عليه وسلم اضمر ولم يسبق له ذكر تفخيما
لشانه واشعارا بانه لشهرته معلوم بغير اعلام قال ابو حيان ليس باضمار قبل
الذكر بل هو التفات من ضمائر الخطاب السابقة وحكمته انه لما فرغ من الاقبال
عليه بالخطاب اقبل على الناس فقال الذين آتيناهم الكتاب واخترناهم لتحمل
العلم والوحي يعرفون هذا الذي خاطبناه في الاي السابقة وامرناه ونهيناه
لا يشكون في معرفته ولا في صدق اخباره وقيل الهاء للعلم او القران او تحويل
القبلة **كما يعرفون ابناءهم** من تشبيه المعنوي بالمحسوس المشاهد وخص الابناء
دون البنات لان الانسان قد يمر عليه برهة من الزمان لا يعرف فيها نفسه خلاف

الابناء فانه لا يمر عليه زمان الا وهو يعرف ابنه ودون البنات ولا بالاباء لانهم اكثر مباشرة
ومعاشرة والصق واعلق بالقلوب ذكر ذلك ابو حيان **الحق** خبر هو وهذا مبتدا او
او مبتدا خبره من ربك واللام للعهد او الجنس وقرئ بالنصب على البدل
من الحق قبله او مفعولا ليعلمون من فانه الظاهر مقام المضمر تنويها وتفخيما او
اغراء اي الزم من ربك فيه التفات عن الغيبة فلا تكونن من الممترين الخطاب في
المعنى لغيره وهو ابلغ من فلا تمتر لان النهي عن الكون من فرقة موصوفة بفعل ابلغ
من النهي عن نفس الفعل فقولك لا تكن ظالما ابلغ من لا تظلم لان لا تظلم نهي
عن الالتباس بالظلم ولا تكن ظالما نهي عن الكون بهذه الصفة والنهي عن الكون
على صفة ابلغ من النهي عن تلك الصفة اذ الاول يدل بالوضع على عموم الاكوان
المستقبلة عن تلك الصفة وفرق بين ما يدل على عموم ويستلزم عموما وبين ما
يدل على عموم فقط فلذلك كان ابلغ ولذلك كثر النهي عن الكون في القرآن
كقوله فلا تكونن من الجاهلين ولا تكونن من الذين كذبوا فلا تك في مرية منه
قال بعضهم والتماري المجادلة على مذهب الشك **ولكل وجهة** لما ذكر القبلة
التي امر المسلمون بالتوجه اليها وهي الكعبة وذكر تصميم اهل الكتاب على عدم اتباعها
وان كلا من الفريقين مصمم على عدم اتباع قبلة الاخر اعلم ان ذلك هو بتخيله لانه
المقدر لذلك والموجه كلا منهم الى قبلته ففي ذلك تنبيه على شكر الله اذ وفق
المسلمين الى اتباع ما امر به من التوجه واختارهم لذلك ثم قراءة الجمهور ولكل
منونا هو موليها بكسر اللام اسم فاعل الضمير والوصف لله ومضاف كل محذوف
تقديره طائفة او فرقة او نحوها وقيل التقدير ولكل نبي قبلة وقيل لكل ملك
ورسول ونبي فقبلة المقربين العرش والروحانيين الكرسي والكروبيين
البيت المعمور والانبياء بيت المقدس ومحمد الكعبة وقيل الضمير والوصف
لكل اي موليها وجهه فحذف احد المفعولين وقرا ابن عامر مولاها بالفتح اسم مفعول
فالضمير لكل قطعا وقرئ ولكل وجهة بالاضافة واحسن ما وجه به انه متعلق
باستبقوا اي استبقوا الخيرات لكل وجهة ولاكموها ولا تعترضوا فيما امركم
بين هذه وهذه وقدم للاهتمام بالوجهة وقرا ابي ولكل جعلنا قبلة وابن
مسعود ولكل جعلنا قبلة ابو البقاء وجهة جاء على الاصل والقياس جهة جاء على
الاصل والقياس جهة كعدة وزنة **اينما تكونوا الاية** قصد بها الوعظ والتحذير
ان الله على كل شيء قدير مناسب لما قبله لان جمع العالم الى يوم القيامة يحتاج الى قدرة
عظيمة فبين سبحانه انه قادر عليه مد رجاله في عموم كل شيء لئلا يطمع طامع
او يشك شاك ذكره الطوفي **ومن حيث خرجت** قال الاصبهاني كرر استقبال
القبلة بها بين الايتين لان هذا من مواضع التاكيد لاجل النسخ الذي هو من مظان
الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان ولانه نيط بكل واحد ما لم ينط بالاخر
فاختلفت فوائدها الكرماني الاولى لنسخ القبلة والثانية للسبب وهو قوله
وانه للحق من ربك والثالثة للعلة وهو قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة وقيل
الاولى لجميع الاحوال والثانية لجميع الازمان والثالثة لجميع الامكنة وقيل في

الاولى وحيث ما كنتم دون ومن حيث خرجت والثانية بالعكس لجمع في الثالثة بينهما
تنبيها على ان النبي والمومنين في ذلك سوا الشيخ سعد الدين الاولى لتكريم النبي
صلى الله عليه وسلم باجابة دعايه واعطايه متمناه والثانية لتعميم الحال
بحسب السفر والحضور والتصريح بخفية الماموروالوعيد على من تركه والثالثة
لتشريف الامة بافراد الخطاب وتعليل الحكم بما ترتب عليه من الحكم والمصالح ومن
حيث متعلق اما بول او بمحذوف اي افعل ما امرت وقوله فول عطف عليه او بجعل
ومن حيث خرجت في معنى الشرط اي ايما كنت وتوجهت فالفا للجزا انتهى وانه للحق
من ربك ازل به وهم من قد يتوهم ان تحويل القبلة بمجرد رضي النبي صلى الله عليه
وسلم حيث قال قبلة ترضاها قاله ابو حيان وما الله بغافل قال ابو حيان حيث
نبه على الحكمة ذكر الرب المقتضي للنعمة وحيث ذكر الوعيد ذكر الله المقتضي
للجلالة والمهابة الطيبي قوله وانه للحق من ربك تبديل لقوله فول وجهك
نحو قولك فلا ينطق بالخنى والحق ابلج وقوله وما الله بغافل وعد وتبديل
للمجموع يعني من حقيقة هذا المامور به وبيانه ان الله لا يهمل عامله ويعطيه
اجره كاملا تاما وهذا نوع من التاكيد المعنوي ومن ثم لما فرغ منه اتى بتوكيد
لفظي فقال ومن حيث خرجت الاية لئلا متعلق بمحذوف اي عرفنا كم
وجه الصواب في قبلتكم بقولنا ولكل وجهة هو موليها وبقولنا فلله المشرق
والمغرب الاية او فولوا الا الذين ظلموا استثنا منقطع اي لكنهم يأتون بالشبه
ويجعلونها مكان الحجة وقيل الا بمعنى الواو اي ولا الذين ظلموا وقرا زيد ابن علي
الا بالفتح والتخفيف حرف تنبيه والوقف على ما قبله اي الا هاولا فلا تخشوهم
لقولك الا زيدا فاعرض عنه واقبل على وقرئ الى حرف جر بمعنى مع فلا تخشوهم
قيل ذكر الخشية دون الخوف لان الخشية حذر من امر قد وقع والخوف حذر
من امر لم يقع ولاتم قيل معطوف على لئلا يكون وقيل على مقدر اي لا دفعكم
ولعلكم تشكرون الطوفي الحتم به يناسب لما هو في سياقه من الامر باستقبال
الكعبة ودفع حجة الناس وهم الكفار عنهم لان ذلك هداية وحراسة وصيانة
عن شبهات الاعدا وهو نعمة جليلة كقوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم
نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم كما
متعلق باتم اي كما اتممتها بارسال الرسول ووجه التشبيه ان اخر القبلات
كما انه صلى الله عليه وسلم اخر الرسل وان للعرب بهما معا عزا وشرفا لانتسابهم اليهما
ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون هو من ذكر العام بعد الخاص وقيل المراد به قصص من
سلف ومن ياتي فاذكروني اذكركم قيل معناه اثيبكم فسمي الثواب ذكرا من باب
المقابلة واشكروا لي ولا تكفرون فيه طباق ومقابلة بين الشكر والكفر والامر
والنهي قال في ابو حيان بدى بجملة الامر بالذكر لانه اريد به الثنا والمدح
العام والحمد لله تعالى وذكر له جواب مترتب عليه وثني بجملة الشكر لانه ثناء
على شي خاص وقد اندرج تحت الاول فهو بمنزلة التاكيد فلم يحتج الى جواب وختم
بجملة النهي لانه لما امر بالشكر لم يكن اللفظ ليدل على عموم الازمان ولا يمكن التكليف

باستحضار

باستحضار الشكر في كل زمان فقد يذهل الانسان عن ذلك في كثير من الاوقات
فنهى عن الكفران لان النهي يقتضي الامتناع من المنهي عنه في كل الازمان وذلك ممكن
لانه من باب التروك وقد تقدم قاعدة انه اذا كان امر ونهي بدي بالامر
وقيل ولا تكفرون لانه من كفران النعم ولو كان من كفر الايمان لقيل ولا تكفروا او ولا
تكفروا وابي الراغب ان قيل لم ابتع ان من شكر مرة او على نعمة ما فقد امتثل وعلى
قوله واشكروا لي قوله ولا تكفرون ولم يقتصر على احد اللفظين قيل لو اقتصر
على الاول لتوهم ان من شكر مرة او على نعمة ما فقد امتثل وعلى الثاني لتوهم
ان ذلك نهي عن تعاطي قبيح دون حث على الفعل الجميل فجمع بينهما لازالة هذه الشبهة
ولان في الثاني نهيا عن الكفر المطلق وذلك معنى زايد على واشكروا لي يا ايها
الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلاة قال ابو حيان مناسبته لما قبلها ظاهرة
لانهم سمعوا من طعن الكفار في التوجه الى الكعبة والصلاة اليها اذى كثيرا فامروا
عند ذلك بالاستعانة بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين اي بالمعونة
والتاييد ولما كان الصبر شاملا للصلاة ايضا اقتصر على ضم الاية بذلك فاندرج
المصلون تحت الصابرين اندراج الفرعي تحت الاصلي ولما ذكر الصبر عطف عليه
ما يتعلق بالجهاد المحتاج الى الصبر اعظم احتياج فقال ولا تقولوا الاية ونزلت تسلية
لاقرباء المقتولين في سبيل الله كما في النقل لتسلية المسلمين عما سمعوا من اذى الكفار
في امر القبلة ثم عطف عليها قوله ولنبلونكم فاخبرهم بذلك قبل وقوعه لتطمينا
لهم لان مجي البلا بعد العلم به اخف من مجيه بغتة كما تقدم خصوصا مع ما رتب
عليه من جزيل الثواب ولما اقترن به من الامر بالصبر المطلوب عند الصدمة
الاولى بخلاف ما لو اخبر ولكن الاية واسند الابتلا الى الله تهوينا على المومنين
لانه اذا كان من الحبيب سهل امره كما قيل وخفف عني ما الاقي من العنى بانك انت
المبتلي والمقدر وعندي ان قوله استعينوا بالصبر الى اخر الايتين توطية
لقوله ولنبلونكم وان الاية مشيرة الى الامر بالجهاد المصرح به بعد في قوله وقاتلوا
في سبيل الله الذين يقاتلونكم وهذه عادة القران يلوح بالتكليف الشاق قبل
الامر به برهة بدليل قصة تحريم الخمر وما عرض به فيها قبل التصريح بالتحريم
وقد ورد ان قوله وقاتلوا الاية اول اية نزلت في القتال فقد مت هذه الايات
كالتمهيد لها وان كان بينهما ايات كثيرة كما قدم قوله ما ننسخ من اية وما بعده
من الايات الكثيرة على نسخ القبلة تلويحا به وتمهيدا له وههنا لما قصد التلويح
بالجهاد ذكر نقص الانفس مضموما اليه غيره من نقص الاموال والثمرات
والابتلا بالخوف والجوع وقدم عليه ذكر فضيلة من يقتل في سبيل الله وقدم
عليه الامر بالاستعانة بالصبر والصلاة ومدح الصابرين وختم ببشارة
الصابرين ايضا والاشارة الى ما يقولونه عند نزول المصيبة وما وعدوا عليه
من الصلوات والرحمة وما وصفوا به من الهداية بشي نكره للتقليل تسهيلا
عليهم وقرب بالشيا وقد ذكرت على وجه الترقي فبدا بالخوف ثم الجوع لانه اشد
من الخوف واشد منه نقص المال واشد من نقص المال ذهاب النفس واشد

من ذهاب نفس الانسان من موت الاولاد لانهم المراد بالثمرات كما قاله هنا الشافعي ره
وبشر الصابرين اطلق ليعم جميع انواع الصبر وهو قمع النفس من مشتهيات الطبع
فان كان في مصيبة خص باسم الصبر ويضاده البطر او في نايبة تضجر سمي
سعة صدر ويضاده الضجر الجزع وان كان في الحرب سمي شجاعة ويضاده الجبن
او في الغنى سمي ضبط النفس ويضاده البطر او في نايبة تضجر سمي سعة صدر
ويضاده الضجر او في فضول الدنيا سمي زهدا ويضاده الحرص او على يسير من المال
سمي قناعة ويضاده الشره او عن شهوة الفرج والبطن سمي عفة او في اخفا كلام
سمي كتمانا الشيخ سعد الدين وبشر الصابرين عطف على ولنبلونكم عطف المضمون
على المضمون الذين يجوز فيه الاتباع والقطع على المدح والاستيناف البياني ره
اذا اصابتهم مصيبة فيه الجناس المغاير وهو ان يكون بين اسم وفعل والمصيبة
اصلها اسم فاعل من اصابت وصار لها اختصاص بالشي المكروه وهي هنا كل ما ادى
المومن حتى انقطاع شسع النعل واطفا المصباح كما ورد في الحديث
قالوا انا لله وانا اليه راجعون جمعت هاتان الجملتان ما لا مزيد عليه من الاقرار
لله بالملك والعبودية وهو يستلزم التفويض له لان المالك يتصرف
في ملكه بما يريد والاقرار بالبعث المستلزم للتنبيه على الموت الذي هو اعظم
المصايب وذكره يهون كل مصيبة وقد كانت تعزية الجاهلية ان يقولوا لكل
مصيبة ما عدى النفس جلل اي حقير اخرجه الدينوري في المجالسة عن شريح
بن عبيد وعلى حصول الجزا باثابة المصاب وعقاب المصيب اذا كانت المصيبة
بتعدي ظالم وكل ذلك مما يهون ويسلي ولذلك رتب على هذا القول
ما ذكره من الثواب الجزيل اذا قاله معتقدا معناه واتصف بثمرة فحواه ره
وقد ورد ان هذا الاسترجاع من خصايص هذه الامة لم يعطه احد قبلها ره
اخرج الطبراني عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اعطيت
امتي شيا لم يعطه احد من الامم ان يقولوا عند المصيبة انا لله وانا اليه راجعون
واخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال لم يعط احد الاسترجاع غير هذه الامة
الا تسمع الى قول يعقوب يا اسفا على يوسف اوليك اشير به للتعظيم والدلالة
على بعد المرتبة عليهم صلوات قال الجوزي فان قلت الصلاة بمعنى الدعا فلم
يقال الصلاة عليه مع ان قول الله بل الدعا عليه دعا بالشر قلت ليست الصلاة
بمعنى الدعا فقط بل بمعنى الدعا بالخير فتقبل الصلاة على اي الدعا بالخير عليه ونبه
وهي انه يطلب من الخير ما يغمره فيظهر عليه لكثرته ابو حيان ره اشارة
الى انهم منغمسون في ذلك قد غشيتهم وتجللتهم وهو ابلغ من قوله لهم وجمع
صلوات ليدل على ان ذلك ليس مطلق صلاة بل صلاة بعد صلاة ونكرت لانه
لا يراد العموم ووصفها بكونها من ربهم ليدل بمن على ابتدايها من الله اي تنشا تلك
الصفات الصلوات وتبتدي من الله واتى بلفظ الرب لما فيه من دلالة التربية
والنظر للعبد فيما يصلحه ومن ربه ورحمة قيل هو من عطف المترادفين ره
لان الصلاة من الله الرحمة وقيل الرحمة كشف الكربة وقضا الحاجة الشيخ سعد

ن عليه

الدين

الدين لما كانت الصلاة في الاصل تحريك الصلوين ناسبه ان يراد بها الحنو والانعطاف
فسر بالرافة المناسبة لذلك ويعطف الرحمة عليها بمنزلة ان قال رافة ره
ورحمة والله روف رحيم وما يغاير ان الصلاة من الله رحمة لهو اخذ بالحاصل
وبان الرحمة ايضا تنبي عن الرافة والانعطاف ومنه الرحم وجمع الصلوات للتكرير
كالتثنية في لبيك بمعنى انه لا انقطاع لرافته ودوعي مثل هذا في الرحمة ره
لتنكير التفخيم وذلك لان جمع الصلوات على عدة من ذلك ثلاثة او ما فوقها ليس
مما له كبير معنا ثم حاصل الرافة والرحمة راجع الى ايصال المسرة ودفع المضار
انتهى ابو حيان ان اريد بالرحمة الصلوات فلا يحتاج الى تقييد بصفة محذوفة ره
لان لا تقيدت او ما يغايرها فتقدير ورحمة منه واوليك هم المهتدون ره
جملة ثانية تدل على الاعتنا بامر المخبر عنه اذ ابرز كل وصف له في جملة مستقلة
وبدي بالجملة الاولى لانها الاهم في حصول الثواب المرتب على الوصف الذي
قبله واخرت هذه لانها نزلت من ما قبلها منزلة العلة لان ذلك القول
المرتب عليه ذلك الجزا الجزيل لا يصدر الا عمن سبقت هدايته واكد بقوله
هم وبالالف واللام كان الهداية انحصرت فيهم وباسم الفاعل ليدل
على الثبوت لان الهداية ليست من الافعال المتجددة وقتا بعد وقت فيخبر
عنها بالفعل بل هي وصف ثابت وها تان الجملتان نظير جملتي اوليك على هدى
من ربهم واوليك هم المفلحون ان الصفا والمروة قال ابو حيان مناسبة
هذه الاية لما قبلها ان الله تعالى لما اثنى على الصابرين وكان الحج من الاعمال
الشاقة المعنية للمال والبدن وكان احد اركان الاسلام ناسب ذكره بعد ذلك
اقول ولمناسبته امر القبلة في ان كلا طعن في فعله قوم وكلا من
شعار ابراهيم فقد ورد ان قوما تحرجوا من السعي بينهما وورد في السعي هذا
مما اورثكم ابوكم اسماعيل والصفا والمروة علمان بالغلبة ولذا لزمتهما اللام
الراغب الصفا الحجارة الصافية والاية على حذف مضاف اي طواف او سعي
فلا جناح عليه ان يطوف بهما من باب ايراد الجواب على طبق السوال
لانها نزلت جوابا لمن قال انا نتحرج ان نطوف بهما لانهما من امر الجاهلية وقرا
ابن عباس وغيره ان لا يطوف قال ابن جني ويمكن ان يكون لا زايدة لا كقوله
لئلا يعلم اهل الكتاب فيوافق قراة الكافة وقري يطوف من طاف ويطاف ره
بالتشديد واصله يتطوف يتفعل ومن تطوع قري بالتا ماضيا وبالياء وتشديد
الطا مضارعا مجزوما وما خيرا على حذف الجار اي بخير وقري به فان الله شاكر عليم
قال ابو حيان وقعت الصفتان هنا الموقع الحسن لان التطوع بالخير يتضمن
الفعل والقصد واخرت صفة العلم وان كانت متقدمة في الشكر كما ان النية
متقدمة على الفعل لتواخي رووس الاي ان الذين يكتمون مناسبته لما قبلها لان
اليهود لما كتموا صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التورية من بعد علمهم اياه ره
ومن صفته فيها انه يتوجه الى الكعبة ما انزلنا فيه التفات من الغيبة في
الاسم الظاهر من البينات والهدى قيل هما واحد والجمع بينهما توكيد وقيل ره

البينات الحجج الدالة على نبوته والهدى الاحكام كآية الرجم ونحوها من بعد ما
بيناه تبيينه بالافراد فيه التفات من التكلم الى الغيبة اولئك جي باسم
الاشارة البعيد تنبيها على ذلك الوصف القبيح وابرز الخبر في صورة جملتين توكيدا
وتعظيما واتي بالفعل المضارع لتجدد مقتضيه وهو الكتم ولذلك جي بصلة
الذين مضارعا ليدل على التجدد ايضا لان بقاهم على الكتم كتم وجي بالجملة المسند
فيها الفعل الى الله لانه هو المجازي وجات الجملة الثانية لان لعنة اللاعنين
مرتبة على لعنة الله للكاتمين وابرز اسم الجلالة على سبيل الالتفات
اذ لو جري على نسق الكلام لقيل لعنهم او نلعنهم لما في اظهار هذا الاسم من الفخامة
التي ليست في الضمير وفي يلعنهم اللاعنون جناس مغاير واللاعنون كل من يتاتى
منه اللعن وهم الملائكة والمومنون قاله الربيع ابن انس وقيل دواب
الارض قاله مجاهد وعكرمة قال الاصبهاني ولم يقل اللاعنات لان من شان
العرب اذا وصفت شيا من البهايم والجمادات بما هو صفة الناس من قول او فعل
ذهبوا به مذهب الناس في الجمع كقوله يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم الا الذين
تابوا لم يقل من بعد ذلك كما في غيرها لان قبله من بعد ما بيناه فلو ذكر البقي
واصلحوا اي ما افسدوا بكتمانهم وبينوا اي ما كتموا شرطان لا بد منهما في حصول
التوبة ولهذا اوجب على من تغير اجتهاده في فتوى اعلام المستفتي بذلك ليكف
اتوب عليهم فيه التفات عن الغيبة وانا التواب الرحيم ختم بهما ترغيبا
في التوبة عليهم لعنة الله فيه التفات عن التكلم واعاد لعنهم لان الاول
في حياتهم والثاني بعد موتهم ذكره الاصبهاني فعرف بذلك وجه الربط وان
الاية فيمن مات على الكتم ومن لم يتب والملائكة والناس اجمعين قرا الحسن
برفعها واجمعون على تقدير ويلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة وقيل
في النار واضمرت تهويلا وتفخيما لشانها وقيل لان اللعنة دالة عليها بالالتزام
وكذلك ان تقول هو عايد الى اللعنة مرادا بها النار فيكون استخداما والهكم اله
واحد اي لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله والاية خطاب
لجميع المخلوقين فهي من بعد ما تقدم من ذكر حال الكاتمين وما قبله نظير قوله
يا ايها الناس اعبدوا ربكم وما اتصل به بعد ما تقدم من بيان حال المنافقين
وما قبلهم لا اله الا هو تقرير للوحدانية بنفي غيره واثباته فالجملة الاولى دلت
على نسبة الوحدانية اليه والثانية على حصر الالاهية فيه بالنص وان دلت
على الاولى بالالتزام وقال في المنتخب لما قال والهكم اله واحد امكن ان يخطر
ببال احد ان يقول هب ان الهنا واحد فلعل اله غيرنا مغاير لالهنا فازال
تلك الوهم ببيان التوحيد المطلق فقال لا اله الا هو الرحمن الرحيم اي المولي
لجميع النعم اصولها وفروعها نبه بذلك على استحقاق العبادة له ولما تقدم
من ذكر اللعنة والعذاب جرى على عادة القران من ذكر اية الرحمة بعد
اية العذاب وعكسه وهو خبر هو مقدرا وفي الحديث اسم الله الاعظم في هاتين
الايتين والهكم اله واحد لا اله الا هو والم الله لا اله الا هو اخرجه احمد وفي سنن

سعيد

سعيد بن منصور وغيره عن ابي الضحى لما نزلت هذه الاية تعجب المشركون وقالوا ا
الها واحدا لان كان صادقا فليأتنا باية فنزلت ان في خلق السموات والارض ا
جمع السموات لانها اجناس مختلفة كل سما من جنس غير الاخرى ووحد الارض لانها كلها
تراب قاله الاصبهاني وقال غيره لم يجمع الارض لثقل جمعها وهو ارضون ولهذا لما
اريد ذكر جميع الارضين قال ومن الارض مثلهن واما السما فانه ذكرت
بصيغة الجمع وتارة بصيغة الافراد لنكت تليق بذلك المحل والحاصل انه حيث
اريد العدد اتي بصيغة الجمع الدالة على سعة العظمة والكثرة نحو يسبح لله ما في السموات
اي جميع سكانها على كثرتهم تسبح له السموات اي كل واحدة على اختلاف عددها
قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله اذ المراد نفي علم الغيب
عن كل من هو في واحدة واحدة من السموات وحيث اريد الجهة اتي بصيغة
الافراد نحو وفي السما رزقكم اامنتم من في السما ان يخسف بكم الارض اي من ا
فوقكم الكرماني قيل لفظ الخلق مزيد لان الايات في المشاهدة وقيل الخلق الهيئة
وقيل المخلوق واختلاف الليل والنهار قدم الليل لانه الاصل والاقدم والفلك
التي تجري انث على معنى الجمع وذكر في قوله الفلك المشحون على معنى الافراد
وجعل الصلة موصولا صلته مضارع ليدل على تجدد الوصف لها في كل زمان
في البحر ذكر للتوكيد اذ من المعلوم انها لا تجري الا في البحر بما ينفع الناس قال
ابو حيان اقتصر عليه وان كانت تجري بما يضر لانه في معرض الامتنان وما
اما موصولة والبا للمصاحبة او مصدرية فالبا سببية وما انزل الله من السما
من ما في ما مع ما والسما جناس ناقص ذاك بحرف في الاخير وذاك بحرف ا
في الاول ومن الاولى ابتدائية والثانية بيانية فاحيا به الارض بعد
موتها نسبة الاحيا والموت الى الارض مجاز عقلي ويسمى مجازا في الاسناد قال
ابو حيان كني بالاحيا عن ظهور ما اودع فيها من النبات وبالموت عن استقرار ا
ذلك فيها وعدم ظهوره وهما كنايتان عن بينتان لان ما برز منها بالمطر جعل تعالى
فيه القوة الغاذية والنامية والحركة وما لم يظهر فهو كامن فيها كانه
دفين فيها وهي له قبر وبث يجوز عطفه على انزل وعلى احيا والمعنى فاحيى الارض
بالمطر فيها من كل دابة بالخصب فعلى هذا يكون الاحيا والبث مع الانزال
اية واحدة وعلى الاول يكون البث اية مستقلة وهو الاولى لان المقصود
تكثير الايات ولا يصح ان يكون الاحيا اية مستقلة مع الانزال لاجل فا السببية
فالانزال والاحيا كالسبب والمسبب فصارا جميعا كالشي الواحد قيل وعطفه
على احيا ابلغ من جهة انه يفيد ترتبه على انزال في العبارة كما انه ثابت
في الواقع بخلاف ما اذا عطف على انزل فانه لا يفيد الترتيب في العبارة
ولا شك ان الاول ابلغ وادق لانه وزان قوله وانزلنا من السما ما طهورا
لنحيي به بلدة ميتا الاية ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا ومن هنا تبعيضية
اسم في موضع المفعول وتصريف الرياح قرئ في السبع بالافراد والجمع وقال
ابي بن كعب رضي الله عنه كل شي في القران من الرياح فهي رحمة وكل شي فيه

من الريح فهو عذاب اخرجه ابن ابي حاتم ولهذا ورد في الحديث اللهم اجعلها رياحا
ولا تجعلها ريحا وذكر في حكمة ذلك ان رياح الرحمة مختلفة الصفات والهيئات
والمنافع واذا هاجت منها ريح اثير لها من مقابلها ما يكسر سورتها فينشا من بينهما ريح
لطيفة تنفع الحيوان والنبات فكانت في الرحمة رياحا واما في العذاب فانها تاتي
من وجه واحد ولا معارض لها ولا دافع وقد صرح بمعنى هذا اية يونس وشورى
لنكتة تذكر هناك فان قلت ما معنى القراءة بالوجهين هنا قلت الاشارة الى التنويع
معا فان في كل اية وهذا من انواع بلاغة القران وتصريف مصدر مضاف
للمفعول والفاعل الله وقيل للفاعل اي تصريف الرياح السحاب ورجح ابو حيان الاول وعنده
انه لازم بمعنى تصرف لا يحتاج الى مفعول **لايات لقوم يعقلون** الكرماني خص
العقل بالذكر لانه به يتوصل الى معرفة الايات الاصبهاني علمهم الله في هذه
الاية كيفية الاستدلال على الصانع وعلى توحيده وردهم الى التفكر في اياته
والنظر في مصنوعاته فذكر اولا ما هو اول الاسباب وهو السموات والارض
خلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وهو اول الاسباب في عالمنا
هذا وضم اليه اختلاف الليل والنهار الذي هو من اسباب الحوادث
المتجددة التابع لخلق السموات والارض الدال على كمال القدرة دلالة ظاهرة
لتجددها على سبيل التعاقب ثم ذكر الفلك فان جريها على الماء من اقوى الدلائل
على وحدانية الخالق القادر الحليم ثم ذكر انزال الماء لانه من الايات
الظاهرة التي يفتقر اليها ما على وجه الارض من الحرث والشجر والدواب
قال تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي ثم ذكر ما يترتب عليه ويتبعه
من احيا الارض وبث الدواب فيها وهو من الايات البينات ثم ذكر تصريف
الرياح والسحاب المسخر لانهما من الحوادث الدالة على وجود المحدث ووحدانيته
وقدرته وعلمه واورد عدة ايات لان في كل شيء له اية تدل على انه واحد
لكن بعض الاشيا اوضح في الدلالة من بعض وعقول الناس في قبولها متفاوتة
فان عقل بعض الناس قد يكون له قابلية ان ياخذ من بعض الموجودات
ولا يكون له قابلية ان ياخذ من وجه اخر فبين تعالى دلائل الوحدانية
من وجوه متعددة وطرق متكثرة حتى يحصل لكل حظ ونصيب ثم بين ان في
هذه الامور المذكورة ايات لقوم يعقلون الذين لا يتخذون اندادا من دون
الله يحبونهم كحب الله فان من اتخذ اندادا من دون الله وخالط حبهم قلبه
فقد صرف فطرته وزال عقله ودخل في زمرة الاشقيا فلم تغن عنه الايات
وبهذا عرفت مناسبة اتصال الاية التي بعدها انتهى كلام الاصبهاني وقال
ابو حيان وبث الايات ترتيبا غريبا فبدا باختراع السموات لان ذلك ابنية
عظمى وقدم السموات لعظم خلقها وشرفها ثم ثنى بذكر ما ينشا عن العالم
العلوي وهو الليل والنهار وقدم الليل لسبقه في الخلق على النهار ثم ثلث
بذكر ما ينشا عن العالم السفلي وهو الفلك ثم عقب بالمشترك بينهما
وهو انزال الماء من السماء واحياء الارض به ثم ختم بما لا تتم النعمة للانسان

الاية

الا به وقدم تصريف الرياح على السحاب لتقدم ذكر الفلك على انزال الماء في الذكر
ولان الرياح هي المثيرة للسحاب **ومن الناس** قال الاصبهاني لما ذكر تعالى الايات الدالة
على وحدانيته اعلم ان قوما بعد هذه الدلالة البينة يتخذون الانداد من دون الله
وقال ابو حيان لما قيد التوحيد بالدلائل الباهرة اعقب بذكر من توقف
واتخاذه الانداد ليظهر تفاوت ما بين والضد يظهر حسنه الضد
وانه مع وضوح هذه الايات لم يشاهد هذا الفناء لشياسته قال والاحسن حمل الناس
هنا على الطايفتين من المشركين واهل الكتاب بدليل اتخذوا احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله ويؤيده قوله يحبونهم بضمير العقلاء ووحد يتخذ على
معنى من وفي قال على يتخذ لفظها وفي يتخذ من دون الله اندادا تجريد على حد قولهم
اتخذت من زيد صديقا وقرى يحبونهم بفتح اليا لغة كحب الله مصدر مضاف
للمفعول فقيل التقدير كحبهم الله وقيل كحب المؤمنين الله وقيل كالحب الذي
يجب ان يكون لله **والذين امنوا اشد حبا لله** اي من حب الكافرين للانداد
ولم يقل احب لله لان ذلك في فعل الفاعل لا المفعول **ولو ترى** بالتاء
خطاب للرسول او لكل مخاطب وهو من رؤية البصر والذين ظلموا مفعول
واذ ظرف لترى اي في حال رؤيتهم ان انهم العذاب وفيه استعمال اذ للمستقبل
وقرى على هذا يرون بالبنا للفاعل وللمفعول وجواب لو محذوف اي لرايت
امرا فظيعا وان القوة بالكسر استيناف وبالفتح بدل من امرا مفعول لرايت
المقدر وقيل هو مفعوله والمقدر لرايت خاصة واما على قراءة يرى بالتحتية
فهي علمية والذين فاعل وان القوة بالفتح مفعول وجواب لو مقدر بعده
والمعنى ولو يعلم الذين ظلموا الان القوة لله جميعا لا للانداد حال رؤية العذاب
في الاخرة لما اتخذوها اولا منوا **اذ تبرا** بدل من اذ يرون **الذين اتبعوا** هم الانداد
والمتخذون **من الذين اتبعوا** اي الكفار وقرى بالبنا للفاعل في الاول وللمفعول
في الثاني فتبروهم بالندم على الكفر **وراوا العذاب** حال تبروا في حال رؤيتهم
او عطف **وتقطعت** عطف على تبرا **بهم** بمعنى عنهم **الاسباب** وهو كناية عن ان لا
ملجا لهم من العذاب ولا يخلص قال ابو حيان في هذه الجملة من انواع البديع
نوع يسمى الترصيع وذلك في موضعين في اتبعوا واتبعوا ولذا حسن حذف ضميره
الموصول في العذاب والاسباب **وقال** عطف على تقطعت **كذلك**
اي كارايهم الله التبري وقيل هو منفصل اي الامر كذلك **حسرات** ثالث
مفاعيل يريهم والمعنى ان اعمالهم حسرات تنقلب عليهم فلا يرون الا الحسرات
مكان اعمالهم وقيل عليهم اشارة للاستعلاء والعلية **وما هم بخارجين من
النار** قال الاصبهاني في الاية تقديم هم للاختصاص فان العصاة من المسلمين
يخرجون وقد عدل عنه الزمخشري مع اعتنايه به مراعاة لمذهبه **يا ايها
الناس** قال ابو حيان مناسبة هذه الاية لما قبلها انه لما بين التوحيد ودلايله
اتبع ذلك بذكر انعامه على الكافر والمومن ليدل ان الكفر لا يوثر في قطع الانعام
بدليل قال ومن كفر ولذلك اتى بالنداء العام ولم يخص الذين امنوا وقال

وان الكفر لا يقطع الانعام
صح

المروزي لما حذر المومنين من حال من يصير عمله على حسرة امرهم باكل **الحلال**
لان مدار الطاعة عليه وقيل نزلت فيمن حرم البحيرة ونحوها ولذا قال واذا قيل
لهم اتبعوا **ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا** وهذا هو التحقيق وناسب
ذكره ما قبله لان تحريم ما ذكر انما اخذوه عن ابائهم عن الانداد الذين اتخذوهم
قدوة في تحريم ما لم يحرمه الله **كلوا مما في الارض** ادخل من التبعيضية لانه ليس كل
ما في الارض يمكن اكله او يحل **حلالا** الراغب هو مستعار من حل العقدة الاصبهاني
الحلال المباح الذي انحلت عنه عقدة الحظر **طيبا** مو كله او بمعنى مستلذا
او طاهرا قال في المنتخب الاصل في الطيب ما يستلذ ووصف به الطاهر والحلال
على جهة التشبيه لان النجس تكرهه النفس والحرام لا يستلذ اكله لان الشرع
منع منه **خطوات** قرئ في السبع بضم الخا والطا اتباعا وبضم الخا وسكون الطاء
تخفيفا واتباعا على الاصل في المفرد اذ هو خطوة وهي بالضم ما بين القدمين اي لا
تتبعوا سبيله ولا تسلكوا طريقه ولا تقفوا اثره وقرا ابو السماك بفتح الخا والطا
خطوة وهي الفعلة قال ابن جني الخطوات طرايق الشيطان والخطوات بالفتح
افعاله وقرئ بضم الخا وفتح الطا وبضمها وهمز من الخطا جمع خطاة قال الزمخشري
النهي عن اتباع خطوات الشيطان كناية عن ترك الاقتدا به وعن اتباع ما سن من
المعاصي يقال زيد اتبع خطوات عمرو ووطي على عقبه اذا سلك مسلكه انه
لكم عدو مبين تعليل لهذا التحذير من الاتباع **انما يامركم** بيان للعداوة
والفحشا قيل كل ما في القران من ذكر الفحشا فهو الزنا الا قوله
الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشا فهو منع الزكاة واصله الفحش وهو قبح
المنظر ثم توسع فيه فاستعمل فيما يستقبح من المعاني الكشاف فان قلت كيف كان
الشيطان امرا مع قوله ليس لك عليهم سلطان قلت شبه تزيينه وبعثه
على الشر بامر الامر وهم لقبولهم لوساوسه وطاعتهم له بمنزلة المامورين
واذا قيل لهم فيه التفات عن الخطاب الى الغيبة للنداء على ضلالهم لانه لا
اضل من المقلد كانه يقول للعقلا انظروا الى هولاء الحمقى الذين دعوا الى اتباع
شريعة الله التي هي الهدى والنور فجابوا باتباع ضلال ابائهم الطيبي
الاولى ان يجعل الاية تمامة في الكفرة وعليه النظم وذلك انه تعالى خلق المكلفين
ورزقهم ما به يعيشون ويتمتعون واوجب عليهم الطاعة شكرا لتلك النعمة
بقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم الايات وارسل اليهم الرسل ليدلوهم
على الهدى ثم ان الشيطان اغواهم حتى كفروا بنعمة الله فاذا قال لهم الانبياء
اتبعوا ما يرشدكم الى الهدى ولا تتبعوا ما يضلكم عن السبيل قالوا بل نتبع ما الفينا
عليه اباءنا فهذا هو التحقيق لان السورة في بيان اثبات التوحيد والنبوات
ووضع الاحكام والتنبيه على خطا الناس في الضلالات وارشادهم الى الحق فانه تعالى
كلما ذكر شيئا من احوال الامم وقصصهم كر الى هذا المعنى انتهى وبني قيل للمفعول
لانه اخصر لان الامر لذلك هو الرسول واتباعه من المومنين **ما انزل الله** فيه اعلام
بتعظيم ما امروا باتباعه اذ نسب انزاله الى الله الذي هو المشرع للشارع وكان ينبغي
ان

ان يتبغي بالقبول **ما الفينا** في المايدة وجدنا لان الفينا اخص اذ لا تطلق
على مطلق الوجود فلا يقال الفيت زيدا بمعنى وجدت زيدا وانما يقال الفيت
زيدا عاقلا والفيته على الهدى وعلى الضلالة بخلاف وجدت فانها يجوز اطلاقها
على مطلق الوجود كما تطلق على الوجود المخصوص فكان الموضع الاول اولى باستعمال
اللفظ الاخص واخر اللفظ المشترك الى الثاني والثالث **اولو** استفهام تعجب
وانكار اي ايتبعونهم **اولو كان اباؤهم لا يعقلون** في المايدة لا يعلمون لان العلم
ابلغ درجة من العقل ولهذا جاز وصف الله بالعلم دونه وكان دعواهم في المايدة
ابلغ لقولهم حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا فادعوا الغاية بلفظ حسبنا فنفي ذلك
بالعلم وهو الغاية وهنا بل نتبع ما الفينا ولم يكن غاية فنفي بما دون العلم
لتكون كل دعوى منفية بما يلايمها ابو حيان لو في مثل هذا التركيب شرطية
كقوله اعطوا السايل ولو جا على فرس واضرب زيدا ولو احسن اي وان وجي بها
التنبيه على ان ما بعدها لم يكن يناسب ما قبلها لكنها جات لاستقصا الاحوال
التي يقع فيها الفعل ولتدل على ان المراد بذلك وجود الفعل في كل حال حتى في
هذه الحالة التي لا تناسب الفعل ولذلك لا يجوز اضرب زيدا ولو اسا ولا اعط
السايل ولو كان محتاجا انتهى **ومثل الذين كفروا** تشبيه لمن دعي الى اتباع
ما انزل الله فاعرض وتولى ولم يجب واصر على ضلاله **كمثل الذي ينعق** الكرماني
التقدير مثل الذين كفروا معك يا محمد كمثل الناعق مع الغنم فحذف من كل طرف
ما دل على الطرف الاخر وهو ابلغ ما يكون من الكلام قلت وهو المسمى في
البديع بالاحتباك وفيه تشبيه داعي الكفار براعي البهايم وهو الذي اختاره
في الاية سيبويه وابن طاهر وابن خروف والشلوبين والنعيق دعاء
الراعي وتصويته بالغنم ووقع التشبيه براعي الغنم لانها من ابلد الحيوان
الا دعا وندا قيل هو من عطف المترادف بين الراغب الدعا كالندا لكن الندا قد يقال
اذا قيل يا او ايا ونحو ذلك من غير ان يضم اليه الاسم والدعا لا يكاد يقال
الا اذا كان معه الاسم نحو يا فلان ثم قال في حرف النون الندا رفع الصوت
وظهوره وقد يقال للصوت المجرد واياه قصد بقوله بما لا يسمع الا دعا ونداء
اي لا يعرف الا الصوت المجرد دون المعنى الذي يقتضيه تركيب الكلام وقال
غيره الندا يختص بالجهر وقيل بالبعد وقيل بغير المعين وقال الرماني انما عطف
لان الدعا طلب الفعل والندا اجابة الصوت واصل الندا من الندى اي الرطوبة
واستعارته للصوت من حيث انه من يكثر رطوبة فمه يحسن كلامه ولهذا
يوصف الفصيح بكثرة الريق **صم** اي هم صم عن الحق فلا يسمعونه **بكم** عنه فلا
يقولونه **عمي** عنه فلا يبصرونه **فهم لا يعقلون** شيا من التوحيد ومعرفة
الله والختم به بخلاف الاية التي في اول السورة لتشبيه الكفار في اول
الاية بالبهايم الذين لا عقل لهم **يا ايها الذين امنوا كلوا** لما عم الخطاب بالاكل في
الاية السابقة ميز المومنين بهذا الندا تشريفا لهم وتنبيها على خصوصيتهم
رزقناكم اسنده الى نون العظمة لما في الرزق من الامتنان والاحسان

واشكروا الله فيه التفات من التكلم ان كنتم اياه تعبدون التقديم للاختصاص
اي ان كنتم تخصونه بالعبادة ولا تشركوا به انما حرم لما امر بالاكل من الحلال
واراد تبيينه وكانت وجوهه كثيرة بين الحرام لكونه اقل فبقي ما سواه على الحال
حتى يرد منع آخر فهو من الايجاز البليغ ونظيره لما سئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما يلبس المحرم من الثياب فقال لا يلبس القميص ولا العمائم الحديث
نعدل عن المباح الكثير الى الحرام لقلته وحصره وقرئ حرم بالبناء للمفعول
وحرم بفتح الحاء وضم الراء مخففا ورفع الميتة ولحم الخنزير خص اللحم بالذكر والمراد
كل اجزائه لكونه معظم ما ينتفع به كما نص على قتل الصيد في الاحرام والمراد
جميع انواع التعرض له وعلى البيع يوم الجمعة والمراد كل ما يشغل وقال
ابن عطية خص اللحم ليدل على تحريم عينه ذكي ام لم يذك وما اهل به
لغير الله اي ما ذكر على ذبحه اسم غير الله من الاصنام الكرماني قدم به هنا واخره
في المائدة والانعام والنحل لان تقديم الباء الاصل وهو يجري مجرى الالف
والتشديد في التعدي فصار كحرف من الفعل فكان الموضع الاول اولى بما هو
الاصل ليعلم ما يقتضيه اللفظ ثم قدم فيما سواه ما هو المستنكر وهو الذبح
لغير الله وتقديم ما هو الغرض اولى وقال صاحب المناجاة لما اتى هنا بانما المفيد
للحصر ناسبه تقديم به المفيد للحصر ولما لم يوت به هناك لم يقدمه الشيخ
سعد الدين الحصر هنا اضافي اي بالاضافة الى ما حرمه المومنون من المقلدات
والكفار من البحائر والسوائب ونحوها فيصح القصر افرادا وقلبا اضافة لا حقيقة
فمن اضطر الراغب الاضطرار حمل امر يكرهه ويكون بسبب خارج كمن يضرب
او يهدد حتى يفعل منقادا او يوخذ قهرا فيحمل على ذلك ومنه ثم اضطره الى
عذاب النار او داخل وذلك اما بقهر قوة لا ينال له بدفعها هلاك كمن غلب
عليه شهوة خمر او قمار او ينال كمن اشتد به الجوع فاضطر الى ميتة وعلى هذا قوله
فمن اضطر غير باغ وقوله امن يجيب المضطر عام في كل ذلك والاصل في اصل
الاضطرار عدم الامتناع عن الشيء جهرا غير باغ نصب على الحال وقيل على الاستثناء
فلا اثم عليه صرح بنفي الاثم هنا لانها اول المواضع واكتفى في بقية المواضع
بما ضمن لان قوله غفور رحيم يدل عليه الكرماني قال في الانعام فان ربك غفور
رحيم وفي سواها فان الله لما سبق في سورة الانعام من ذكر ما فيه تربية الاجسام
من قوله وهو الذي انشا جنات معروشات وفيها ذكر الحبوب والثمار واتبعها
بذكر الحيوان من الضان والمعز والبقر والابل فكان ذكر الرب فيها اليق وقال
صاحب المناجاة لما ساق في الانعام صيغة التحريم على لسان نبيه صلى الله
عليه وسلم في قوله قل لا اجد فيما اوحي الي محرما وقد قال في حقه وما ينطق
عن الهوى ولا تربية اعظم من تعليم المعلم الذي رباه وزاده الى ان صار معلما
مع انه امي لا يقرا ولا يكتب كان ذكر الرب انسب وفي غيرها لم يسند التحريم على لسان
رسوله بل اسنده الى الله فكان لفظ الله اولى بالمقام ان الذين يكتمون عود
الى قصة الكاتمين وقد تقدم ذكرهم كما هو عادة القران من الاستطراد

من

من قصة الى اخرى ثم العود الى الاولى وهو حقيقة الاستطراد وبه يفارق حسن
التخلص فانه فيه العود الى المعنى المتخلص منه وقال ابو حيان لما تقدم الامر
باكل الطيبات وذكر ما حرم اكله ذكرت هذه الاية فيمن كتم ما انزل الله على نبيه
تحذيرا للمومنين ان يقعوا في مثل ذلك وذكر فيها نوعا مما حرم اكله اولئك جيء بخبر ان
جملة لانها ابلغ من المفرد وصدر باولئك على حد ما تقدم في اولئك على هدى
ما ياكلون في بطونهم الا النار ذكر البطون لنفي المجاز لان الاكل قد يراد به
التصرف نحو فلان ياكل بكذا لذا والاهلاك نحو اكل فلان ماله اي اهلكه وافسده
وقيل التقدير يحصل في بطونهم لان الاكل لا يكون في البطون وقيل الظرف حال
للنار قدم عليها اي الا النار مستقرة في بطونهم وسمي ما ياكلونه نارا لانه
يوول اليها الراغب ذكر في بطونهم تنبيها على شرههم وتقبيحا لتضييع اعظم النعم
لاجل المطعوم الذي هو اخس متناول الكرماني قال هنا ذلك وفي ال عمران اولئك
لا خلاق لهم وما هنا ابلغ لان المنكر في الايات المتقدمة اكثر فالتوعد فيها اكبر
ابو حيان رتب على الكتم واشترا الثمن القليل الذي هو كناية عن مطاعمهم الخسيسة
الفانية اربعة انواع من العقاب اكل النار في بطونهم وذلك مناسب لما اكلوه
من المال ولا يكلمهم الله وذلك جزا لمنع التكلم بالدين الذي هو الكتم
ولما ابتني عليه انهم شهود زور واحبار سوء حيث غيروا نعت النبي صلى الله عليه
وسلم وادعوا ان المبعوث هو غيره توعدهم على ذلك بان لا يزكيهم وبان لهم
عذاب اليم قال الوعيد ان الاخبار كل منها عائد الى المجموع والاولى ان كل واحد
الى واحد فالاول للثاني والثاني للاول ولما كانت جملة الكتم مشتملة على
فعل مسند الى الله كان فيما قابلها وهو ولا يكلمهم الله فعل مسند اليه ولما لم يكن
جملة الاشترا كذلك خلت عنه الجملة التي تقابلها ولم يقل ما يطعمهم الله في بطونهم
الا النار اولئك الذين اشتروا الاية تاكيد لذم الكاتمين وقدم اشترا الضلالة
بالهدى على العذاب بالمغفرة لان الاول حالهم في الدنيا والثاني في الاخرة
والاول سبب للثاني والثاني نتيجة للاول وفي لفظة الاشترا اشعار با رهم
ذلك لان الانسان لا يشتري الا ما له فيه رغبة ومودة واختيار وذلك يدل
على غاية الخساسة وعدم النظر في العواقب فما اصبرهم على النار معنى التعجب
والصبر هنا مجاز شبه تمكنهم باعمال اهل النار والمداومة عليها من غير مبالاة
باحوال الصابر على النار كما يقال لمن يتعرض لغضب السلطان ما اصبره على القيد
والسجن وقيل المعنى ما اجراهم لغة يمانية وقيل ما ابقاهم وقيل ما استفهامية
للتوبيخ وقيل نافية والله اعلم ذلك اي العذاب بان الله نزل الكتاب بالحق
اي كتموه بدلالة ما قبله او ما خلفوا فيه بدلالة ما بعده ليس البر الاية
روى الحاكم في المستدرك عن ابي ذر انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
الايمان فتلا عليه هذه الاية ثم سأله ايضا فتلاها ثم سأله فتلاها قال
الكرماني اشتملت هذه الاية على جميع المعارف التي يلزم العبد الايمان بالله
واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين وعلى جميع الواجبات وهي اقام الصلاة

وآتيا الزكاة وصلة الارحام وبرا لايتام ومواساة المساكين واعانة ابن السبيل
وذلك ليشمل اعانة المسافر والضيف واعطا من سال وفك الرقاب بالعتق
والفدا واعانة المكاتب والوفا بالعهود ومونشا ملحقي للايمان والنذور والصبر
في ما يجهد ويندرج فيه الصوم والحج والصبر على الفرايض فاقة ومرض والصبر
عند القتال وهذه اصول الواجبات وقري بنصب البر ورفعه فان اسم ليس
في الاول وخبرها على الثاني وقرابي بان تولوا ومن امن خبر لكن اما على تقدير
بر من امن او على تقدير ولكن ذا البر ويويده ما قري شاذا ولكن البار واما
بدون تقدير بان يجعل البر نفس المومن كانه متجسد منه لكثرته فيه على حد قوله
هي اقبال وادبار جعلت الناقة ما تقبل وتدبر وانه لا حال لها غيرهما كانها قد
تجسمت من الاقبال والادبار وقرا ابن عامر لكن بالتخفيف والكتاب للجنس اي
اي الكتب وقدم الايمان بالله الذي هو المبدا ثم اليوم الاخر الذي هو المنتهى
في ما بعده الذي هو من مصالح الوسط لانهما اهم والمقصود بالذات والملائكة
ثم الكتاب ثم النبيين مراعاة للترتيب الوجودي لان الملك نزل بالكتب على الرسل
الراغب قدم هنا اليوم الاخر واخر في اية ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الاخر لان تلك في الكافر وهو لا يعرف الاخرة ولا يعني بها وهو ابعد الاشيا
عن الحقايق عنده فاخر ذكره وهذه في المومن والمومن اقرب الاشيا اليه امر
الاخرة وكلما يفعله ويتحراه فانه يقصد به وجه الله ثم امر الاخرة فقدم ذكره
تنبيها على ان البر مراعاة الله ومراعاة الاخرة ثم مراعاة غيرهما انتهى ثم بعد الايمان
الذي هو عمل القلوب الاشرف ثنى بعمل الجوارح وبدا منه بايتا المال لانه من انفس
الاشيا عند العرب ومن مناقبها الجليلة وقال على حبه اي مع حب المال
فان الايتا معه ابلغ ويسمى ذلك في البديع تتميما وهو الاتيان في الكلام بفضلة
تفيد نكتة وقدم ذوي القربى لانهم احق اذ الصدقة على القريب صدقة وصلة
وفيها اجران ثم اليتامى لانقطاع حيلتهم من كل الوجوه لصغرهم ثم المساكين لان الحاجة
قد تشتد بهم ثم ابن السبيل لانه قد تشتد حاجته في الرجوع الى اهله ثم السايلين
وفي الرقاب لان حاجتهما دون حاجة من تقدم الراغب اختير هذا الترتيب
لما كان اولى من يتفقد الانسان بمعروفه اقاربه ثم عقبه باليتامى والناس
في المكاسب ثلاثة معيل غير معول ومعول معيل ومعول غير معيل واليتيم
معول غير معيل فمواساته بعد الاقارب اولى ثم ذكر المساكين الذين لا مال
لهم حاضرا ولا غايبا ثم ابن السبيل الذي يكون له مال غايب ثم السايلين الذين
منهم صادق وكاذب ثم الرقاب الذين لهم ارباب يعولونهم فكل واحد ممن
ذكر انزل فقرا ممن قدم عليه انتهى وذكر ايتا الزكاة بعد ايتا المال في هذه الوجوه
لبيان ان في المال حقا سوى الزكاة فبدا بالمندوبات قبل الواجب لانه لعدم
وجوبها قد يغفل عنها ويتهاون بها فاكدها بالتقديم كما قدم الوصية على الدين في
قوله من بعد وصية يوصي بها او دين لذلك وقيل الاول لبيان مصارف الزكاة
وقيل تمهيد لوجوب الزكاة لانها لعدم معهوديتها قد تشق عليهم ولهذا قال

بعضهم ما هذه الاخت الجزية فبدا بايتا المال في الوجوه المذكورة المعهودة
عندهم الممدوحة لديهم كما قالت خديجة انك لتصل الرحم وتحمل الكل
وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوايب الحق توطية للزكاة
وتانيسا بها وعدل عن الفعل من امن واتى واقام واتى الى الاسم في قوله
والموفون والصابرين قال الراغب لامرين احدهما لفظي وهو ان الصلة
متى طالت كان الاحسن العطف على الموصول دون الصلة لئلا تطول ويقبح
والثاني انه ذكر في الاول ما هو داخل في حيز الشريعة وغير مستغن عنه
والحكمة العقلية تقتضي العدالة دون الجور فلما ذكر الوفا بالعهد وهو مما
تقضي به العقول المجردة صار عطفه على الاول احسن انتهى وهذه نكتة
معتزلية واطلق العهد ليشمل عهد الله وعهد الناس وقري بعهودهم ونصب
الصابرين بعد الرفع على الاختصاص والمدح اظهارا لفضل الصبر في الشدايد
الراغب لما كان [illegible] الصبر من وجه مبدا الفضايل ومن وجه جامعا
للفضايل اذ لا فضيلة الا وللصبر فيها اثر بليغ غير اعرابه تنبيها على هذا المقصد
انتهى وقرا ابن مسعود والموفين بالنصب لذلك وقرا الحسن والصابرون
بالرفع الفارسي اذا ذكرت الصفات الكثيرة في معرض المدح او الذم فالاحسن
ان تخالف اعرابها ولا تجعل كلها جارية على موصوفها لان هذا الموضع من مواضع
الاطناب في الوصف والابلاغ في القول فاذا خولف باعراب الاوصاف كان
المقصود اكمل لان الكلام عند الاختلاف يصير كانه انواع من الكلام وضروب
من البيان وعند الاتحاد في الاعراب يكون وجها واحدا وجملة واحدة انتهى وفي
البأسا والباس خاص بالفقر او خاص باشتقاق الراغب الباس الشدة والمكروه
واستعمالها في الحرب اكثر والباسا في النكاية والضراء تقابل السرا والنعما
ومقابل الضرا النفع قال وقد استوعب هنا انواع الصبر لانه اما ان يكون
فيما يحتاج اليه من القوت فلا يناله وهو الباسا او فيما يناله جسمه من الم وسقم
وهو الضرا او في مدافعة موذيه وهو الباس وقال غيره ذكر على سبيل
الترقي من الشديد الى الاشد لان المرض اشد من الفقر والقتال
اشد منهما وعدى الصابرين الى الباسا والضراء بفي لانه لا يمدح الانسان على
ذلك الا اذا صار له الفقر والمرض كالظرف واما الفقر او المرض وقتا ما
فلا يكاد يمدح الانسان على ذلك الا اذا صار له الفقر والمرض كالظرف
بالصبر عليه لان ذلك قل ان يخلو منه احد واما القتال فعدي الصابرين
لا ظرف زمانه لانه حالة لا يكاد يدوم وقتها الزمان الطويل فلم يعد اليها
بفي المقتضية للظرفية الحسية الذي نزل المعنى المعقول فيها كالجرم المحسوس
وقوله اولئك الى اخره على حد ما تقدم في اولئك على هدى من ربهم الاية
ونوع هنا الخبر فاخبر عن الاول بموصول بفعل ماض لتحقق اتصافهم به وان
ذلك قد وقع منهم وثبت واستقر وعن الثاني بموصول صلته اسم الذي عل
ليدل على الثبوت وان ذلك وصف لهم لا يتجدد بل صار سجية ووصفا لازما

ولمراعاة الفاصلة ابو حيان مناسبة هذه الاية لما قبلها ظاهرة لانها ان كانت ه
نازلة في اليهود وصلاتهم الى المغرب والنصارى وصلاتهم الى المشرق وزعم
كل فريق ان ذلك البر فقد جرى ذكرهم باقبح الذكر من كتمانهم ما انزل الله واشترائهم
به ثمنا قليلا وذكر ما اعد لهم ولم يبق لهم مما يظهرون به شعار دينهم الا صلاتهم
وزعمهم ان ذلك البر فرد عليهم بهذه الاية وان كانت في المومنين فهو نهي لهم
ان يتعلقوا من شريعتهم باليسير كما تعلق اهل الكتابين ولكن عليهم العمل بجميع ما ه
في طاقتهم من تكاليف الشريعة وقيل لما اكثروا الخوض في امر القبلة حين وقع لها
التحويل وزعم كل من الفريقين ان البر هو التوجه الى قبلته رد عليهم فهو رجوع
الى القصة بعد ما وقع من الاستطراد الطيبي لما ذكر تعالى اختلاف اهل الكتاب
في الكتاب ذكر اختلافا اخر لهم في شان القبلة مستطردا وجعله مخلصا وذريعة
الى ذكر اقسام البر **يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص** قال ابو حيان مناسبة
هذه الاية لما قبلها انه تعالى لما احل قبل ما احل وحرم ما حرم ثم اتبع بذكر من د
اخذ مالا من غير وجهه وانه ما ياكل في بطنه الا النار واقتضى ذلك انتظام
تحريم جميع المحرمات من الاموال ثم اعقب ذلك بذكر من اتصف بالبر واثنى
عليهم بالصفات الحميدة اخذ بذكر تحريم الدماء ويستدعي حفظها وصونها ه
فنبه بمشروعية القصاص على تحريمها ونبه على جواز اخذ مال بسببها وانه ليس
في المال الذي يوخذ على غير وجهه واشار ايضا الى ان مثل هذا الامر العظيم
اذا عرض لمن اتصف بالبر لم يخرجه عن البر ولا عن الايمان ولذلك ناداهم
بوصف الايمان وعبر بكتب عن معنى الالزام والاثبات مجازا وحقيقته الخط
الذي يقرا لانه جدير بثبوته وتقاييه **الحر بالحر** الاية اللام فيها للعهد اي لا يوخذ
الحر الا بالحر الى اخره **فمن عفي له من اخيه شيء** عبر عن ولي المقتول
او المقتول بانه اخ القاتل تعطفا عليه وترغيبا في العفو بذكر ما هو ثابت
بينهما من الجنسية والاسلام وشيء مفعول مطلق نايب عن المصدر اي شيء من د
العفو ونكر للاشعار بسقوط كل القصاص بالعفو عن بعضه وعفي يتعدى ه
بعن الى الجاني والى الجناية فان عدي اليهما معا تعدى الى الجاني باللام والى ه
الذنب بعن وهو هنا محذوف **فاتباع بالمعروف** اي على الولي العافي **واداء
اليه باحسان** اي على الجاني المعفو له فهو لف ونشر غير مرتب وضمير اليه
للعافي الذي دل عليه عفي او لاخيه وان فسر من عفي بالولي وعفي بمعنى يسر
والاخ بالجاني كان النشر مرتبا قال ابن عطية اذا وقع المصدر في الواجب
جاز فيه الرفع او في المندوب جاز منصوبا وقد اجتمعا في قوله فقالوا سلاما قال سلام
قال سلام اي لان الجملة الابتدائية اكد من الفعلية **تخفيف من ربكم** اضيف
الى الرب لما فيه من المنة والمصلحة **ولكم في القصاص حياة** كلام فصيح بليغ
لما فيه من الغرابة اللطيفة الحسنة الوجيزة فان القصاص الذي هو قتل مزيل
للحياة بجعله ظرفا للحياة والظرف اذا احوى المظروف يمنعه من التفويت
ومن اصابته محز البلاغة تعريف القصاص وتنكير الحياة لان المعنى ولكم في هذا

الجنس

53

الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة وذلك انهم كانوا يقتلون الجماعة
بالواحد وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التقاتل
والتناحر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه حياة عظيمة وهي الحياة
الحاصلة بالارتداع عن القتل لحصول علم القاتل بالاقتصاص لانه اذا هم د
بالقتل فعلم انه يقتص منه فارتدع يسلم صاحبه من القتل ويسلم هو من القود
فكان القصاص سبب حياة نفسين بل سبب حياة اكثر الناس وهذه الجملة د
هي العلم في الايجاز المسمى بايجاز القصر فانها قايمة مقام قولنا الانسان اذا
علم انه متى قتل قتل [redacted] كان ذلك داعيا الى ان لا يقدم على القتل فارتفع بالقتل
الذي هو القصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض وكان ارتفاع القتل حياة لهم
وقد فضلت هذه الجملة على ما كان عند العرب في هذا المعنى وهو قولهم
القتل انفى للقتل بعشرين وجها او اكثر وقد اشار ابن الاثير الى انكار هذا التفضيل
وقال لا تشبيه بين كلام الخالق وكلام المخلوق وانما العلماء يقدحون اذهانهم
فيما يظهر لهم من ذلك الاول ان ما يناظره من كلامهم وهو قوله القصاص
حياة اقل حروفا فان حروفه عشرة وحروف القتل انفى للقتل اربعة عشر د
الثاني ان نفي القتل لا يستلزم الحياة والاية ناصة على ثبوتها التي هي الغرض
المطلوب منه الثالث ان تنكير حياة يفيد تعظيما فيدل على ان في القصا ص
حياة متطاولة كقوله ولتجدنهم احرص الناس على حياة ولا كذلك المثل
فان اللام فيه للجنس ولهذا فسروا الحياة فيها بالبقاء الرابع ان الاية مطردة
بخلاف المثل فانه ليس كل قتل انفى للقتل بل قد يكون ادعى له وهو القتل ظلما
وانما ينفيه قتل خاص وهو القصاص ففيه حياة ابدا الخامس ان الاية
خالية من تكرار لفظ القتل الواقع في المثل والخالي من التكرار افضل
من المشتمل عليه وان لم يكن مخلا بالفصاحة السادس ان الاية مستغنية
عن تقدير محذوف بخلاف قولهم فان فيه حذف من التي بعد افعل التفضيل
وما بعدها وحذف قصاصا مع القتل الاول وظلما مع القتل الثاني د
والتقدير القتل قصاصا انفى للقتل ظلما من تركه السابع ان في الاية طباق
لان القصاص مشعر بضد الحياة بخلاف المثل الثامن ان الاية اشتملت على فن د
بديع وهو جعل احد الضدين الذي هو الفناء والموت محلا ومكانا للضد
الذي هو الحياة واستقرار الحياة في الموت مبالغة عظيمة وهو الذي اشرنا
اليه اول الكلام على الاية وعبر صاحب الايضاح عن هذا بانه جعل القصاص
كالمنبع للحياة والمعدن لها بادخال في عليه التاسع ان في المثل توالي د
اسباب كثيرة خفيفة وهو السكون بعد الحركة وذلك مستنكره فان اللفظ
المنطوق به اذا توالت حركاته تمكن اللسان من النطق به وظهرت فصاحته
بخلاف ما اذا تعقب كل حركة سكون فالحركات تنقطع بالسكنات نظيره اذا
تحركت الدابة ادنى حركة فحبست ثم تحركت لا تتبين اطلاقها ولا تتمكن من د
حركتها على ما تختاره فهي كالمقيدة العاشر ان المثل كالمتناقض من حيث الظاهر

لان النفي لا ينفي عن نفسه الحادي عشر سلامة الاية من تكرير قلقلة القاف
الموجب للضغط والشدة وبعدها عن غنة النون الثاني عشر اشتمالها على حروف
متلايمة لما فيها من الخروج من القاف الى الصاد اذ القاف من حروف الاستعلاء
والصاد من حروف الاستعلاء والاطباق بخلاف الخروج من القاف الى التاء
التي هي حرف منخفض فهو غير ملايم للقاف وكذا الخروج من الصاد الى الحاء
احسن من الخروج من اللام الى الهمزة لبعد ما دون طرف اللسان واقصى الحلق
الثالث عشر في النطق بالصاد والحاء والتاء حسن الصوت ولا
كذلك تكرير القاف والتاء الرابع عشر سلامتها من لفظ القتل المشعر بالوحشة
بخلاف لفظ الحياة فان الطباع اقبل له من لفظ القتل الخامس عشر ان لفظ القصاص
مشعر بالمساواة فهو مبني عن العدل بخلاف مطلق القتل السادس عشر الاية
مبنية على الاثبات والمثل على النفي والاثبات اشرف لانه اول والنفي ثان
عنه السابع عشر ان المثل لا يكاد يفهم الا بعد فهم ان القصاص هو الحياة وهو
في القصاص حياة مفهوم من اول وهلة الثامن عشر ان في المثل بناء افعل
التفضيل من فعل متعد والاية سالمة منه التاسع عشر ان افعل في الغالب
يقتضي الاشتراك فيكون ترك القصاص نافيا للقتل ولكن القصاص اكثر نفيا
وليس الامر كذلك والاية سالمة من ذلك العشرون ان الاية رادعة عن القتل
والجرح معا لشمول القصاص لهما والحياة ايضا في قصاص الاعضا لان قطع
العضو ينقص مصلحة الحياة وقد يسري الى النفس فيزيلها ولا كذلك المثل ثم في
اول الاية ولكم وفيها لطيفة وهي بيان العناية بالمومنين على الخصوص وانهم
المراد حياتهم لا غيرهم لتخصيصهم بالمعنى مع وجوده فيمن سواهم وقرا ابو الجوزا
ولكم في القصص بالفتح فقيل ما قص عليكم من حكم القتل وقيل هو القران وجعل
ما فيه حياة لانه به تحيى القلوب **يا اولي الالباب** جمع لب وهو العقل الخالي
من الهوى وهذا اللفظ جمعه اخف من مفرده ولهذا وقع في القران دونه ونكتة
ذكرهم هنا بهذا الوصف ان القصاص شاق تنفر منه النفوس غالبا
وهذه الملة مبنية على اليسر ورفع الحرج فقد يتخيل ان مشروعية القصاص
تنافي ذلك وليس كذلك لما تقدمت الاشارة اليه بان فيه حياة عظيمة
ومثل هذه الاشارة لا يدركها الا ذووا الالباب الذين يعرفون العواقب
ويعلمون ان في مشروعيته من اليسر ما ليس في تركه ومن لا لب له يظن ان الامر
على خلاف ذلك **لعلكم تتقون** اي القصاص فتكفون عن القتل او القتل حذرا
من القصاص او الله باجتناب ما حرمه **كتب عليكم** لما ذكر القتل في القصاص
اتبعه بالنسبة الى الوصية المطلوبة عند حضور الموت لان القصاص حق
وجوه حضور الموت الكرماني الجمهور على اذا للتقدير وكتب لكن الكلام الاول
لما طال ونم حذف الواو قال ويحتمل انه تابع خبرها تركوا فلم يحتج الى الواو
وقال ابو حيان لا حاجة الى شي من ذلك بل هذه جملة مستانفة ظاهرة الارتباط
بما قبلها لما تقدم من منا سبتها **اذا حضر احدكم الموت** اي اسبابه ابو حيان ك

لو

لو جرى نظم الكلام على خطاب المومنين لقيل اذا احضركم لكنه روعي دلالة العموم
في عليكم من حيث المعنى اذ المعنى كتب على كل واحد منكم ثم اظهر ذلك
المضمر في احد قوله « ولست بسايل جارات بيتي » اغياب رجالك ام شهود
فافرد ضمير رجالك لانه راعي معنى العموم اذ المعنى ولست بسايل كل جارة
وهذا شي غريب مستطرف من علم العربية **ان ترك خيرا** من اعتراض الشرط
في الشرط والخبر المال وقد كثر وروده في القران بهذا المعنى وقال
بعض العلما لا يقال للمال خير حتى يكون خيرا كثيرا ومن مكان طيب قال وعبر به
هنا تنبيها على معنى لطيف وهو ان الذي تحسن الوصية به ما كان مجموعا من
وجه محمود حكاه الراغب **الوصية** مرفوع بكتب وتذكيره للفصل ولانه بمعنى
الايصا ولذا ذكر ضميره في قوله بدله وسمعه **حقا** منصوب بفعله المقدر
على المتقين خصهم تنبيها على الوجوب وان من خالف غير متق **فمن بدله بعدما**
سمعه الضميران للوصية بمعنى الايصا وكني بالسماع عن العلم لانه طريق الى
حصوله **فانما اثمه** الضمير للتبديل **على الذين يبدلونه** الضمير للايصا وهذا يسمى
التفات الضماير وهو ان يعود الضمير على شي سابق ثم يعود على آخر ثم يعود على الاول
ان الله سميع عليم الكرماني خص السميع بالذكر لما في الاية من قوله بعد ما سمعه
ليكون مطابقته وقال في الاية بعدها ان الله غفور رحيم لقوله فلا اثم عليه
فهو مطابق معنى وقال صاحب المناجاة لما ذكر في الاولى تبديل الحق
بالباطل كان اللايق بمقام التهديد للتبديل ان الله سميع عليم وفي الثانية
تبديل الباطل بالحق فكان اللايق ان الله غفور رحيم اما بالنسبة الى الموصي
فظاهر واما للوصي المغير للباطل بالحق فكان ~~اللايق ان الله~~ فلانه يكني في
الغالب عن استحقاق الاجر بصفة الغفران والرحمة والنكتة فيه ان
الصورة الواقعة من الوصي صورة معصية لما فيه من تغيير الوصية
لكنها معصية للمخلوق وطاعة للخالق فمن خاف اي علم ابو حيان العلقة
بين الخوف والعلم حتى اطلق عليه ان الانسان لا يخاف شيا حتى يعلم انه مما
يخاف منه فهو من باب التعبير بالمسبب عن السبب وقال
في المنتخب الخوف والخشية يستعملان بمعنى العلم لان الخوف عبارة عن
حالة مخصوصة متولدة من ظن مخصوص وبين الظن والعلم مشابهة
في امور كثيرة فلذلك صح اطلاق كل منهما على الاخر **من موص** بالتخفيف والتشديد
جنفا او اثما قال ابن عباس الجنف الخطا والاثم العمد اخرجه ابن جرير الراغب
اصل الجنف ميل في الحكم وقرا علي حيفا بالحاء والياء اي ميلا وبخسا **فاصلح**
بينهم اي بين الموصي والموصى لهم **يا ايها الذين امنوا** قيل لم يعبر بالمومنون
حيث وقع مع انه اخصر لوجهين احدهما ان المومنين لا يشعر بتقدم ايمانهم
بخلاف الموصول والثاني ان الالف واللام تستعمل للكمال فاذا رتب عليه
امر او نهي اوهم ان ذلك مخصوص بكامل الايمان وهو غير مختص بخلاف الموصول
بالفعل فان الفعل لا يشعر الا بمطلق الصفة **كتب عليكم الصيام** قال ابو حيان

مناسبة هذه الاية لما قبلها انه تعالى اخبر اولا بكتب القصاص وهو اتلاف
النفوس وهو من اشق التكاليف ثم اخبر ثانيا بكتب الوصية وهو اخراج المال
الذي هو عديل بالروح ثم انتقل ثالثا الى كتب الصيام وهو منهك للبدن مضعف
له قاطع عما الفه الانسان من الغذا ابالنهار فابتدا بالاشق ثم ما يليه وثمة
مناسبة وكان فيما تقدم من الاية الاولى ثلاثة من اركان الاسلام الايمان
والصلاة والزكاة فاتى بالركن الرابع وهو الصوم قلت وتمامه ان يقال
وعقبه بالخامس وهو الحج لتكون هذه الايات جامعة لاركان الاسلام
باسرها على التوالي وتقديم الاشق فالاشق وانما قدم امر القصاص على الصوم
لما ذكر معه من بدل الدية الذي هو نوع من اخراج المال اللازم فكان له مناسبة
بذكره عقب الزكاة وكذا الوصية ايضا اخراج مال فناسب الزكاة وما ذكر
معها من ايتاء المال هذا ما ظهر لي فسبحان من اودع هذا القران من فنون البلاغة
العجب العجاب ابو حيان بني كتب في الايات الثلاث للمفعول وحذف الفاعل
الذي هو الله لان مشاق صعبة على المكلف فناسب ان لا ينضاف الى الله لفظا
وحيث يكون المكتوب للمكلف فيه راحة واستبشار بني الفعل للفاعل نحو
كتب الله لاغلبن انا ورسلي كتب في قلوبهم الايمان كتب ربكم على نفسه الرحمة
وهذا من لطيف علم البيان واما بنا الفعل للفاعل في قوله وكتبنا عليهم فيها
ان النفس بالنفس فناسب لاستعصا اليهود وكثرة مخالفتهم لانبيائهم
بخلاف هذه الامة المحمدية ففرق بين الخطابين لافتراق المخاطبين ونادى
المومنين عند اعلامهم بهذا المكتوب الثالث لينبههم على استماع ما يلقى
اليهم من هذا التكليف ولم يحتج الى ندائهم الثاني لانسلاكه مع الاول
في نظام واحد وهو حضور الموت بقصاص او غيره وتباين هذا التكليف
منهما وقدم الجار والمجرور على المفعول به الصريح وان كان اكثر الترتيب
العربي بعكس ذلك لان البداءة بذكر المكتوب عليه اكد من ذكر المكتوب
لتعلق الكتب بمن يودي فيعلم بنفسه اولا ان المنادى هو المكلف فيرتقب
بعد ذلك ما كلف به انتهى **كما كتب على الذين من قبلكم** فايدة هذا الكلام
التسهيل والتهوين لان الصوم عبادة شاقة والشاق اذا عم سهل تحمله لعلكم
تتقون تصريح بفايدة الصوم تهوينا ايضا لان المشاق اذا كان له فايدة
عظيمة سهل تحمله **اياما معدودات** اتى بجمع القلة مع كونه زايدا على العشرة
تسهيلا على المكلفين ونصبه بالصيام وقيل بصوموا مقدرا وقيل بكتب
على السعة **فمن كان منكم مريضا** قيد هنا بقوله منكم ولم يقيد في الاية
الاتية اكتفا بقوله فمن شهد منكم الشهر وقال صاحب المناجاة يمكن ان يقال
قيد هنا بمنكم لانه اشترك الامر بين المومنين وغيرهم ممن تقدمهم من الامم
السالفة فاحتيج الى التقييد به ولما كان الخطاب في الاية الاخرى خاصا
بالمومنين لم يحتج اليه **او على سفر** ابو حيان عدل اليه عن ان يقول
او مسافرا اشعارا بالاستيلا على السفر لما فيه من الاختيار للمسافر فكان السفر

مركوب

مركوب للانسان يستعلي عليه ولذلك يقال فلان على طريق وراكب طريق بخلاف
المرض فانه ياخذ الانسان من غير اختيار **فعدة** اي فافطر فعليه عدة ولم يقل فعدة
لانه اخصر مع عدم اللبس وقرى بالنصب اي فليصم عدة فيكون اشارة الى ندب
التاخير الفطر للمريض والمسافر لما تقدم من قاعدة ان النصب للمندوب
والرفع للواجبات **من ايام اخر** زاد ابي في قراته متتابعات **وعلى الذين
يطيقونه فدية** هذا منسوخ وقيل التقدير ولا يطيقونه وقرا ابن عباس يطوقونه
اي يكلفونه فلا يطيقونه وقرى يطيقونه ويطوقونه اي يتطوقونه
ويطيقونه ويطوقونه من اطوق بمعنى اطاق **طعام مسكين فمن تطوع خيرا
فهو خير له** الشيخ سعد الدين خير الاول مصدر وحرف با رجل ثابت خاير
والثاني اسم تفضيل بمعنى ازيد خيرا انتهى ففيه جناس تام وهو عزيز
في القران وعندي ان خيرا الاول مصدر والثاني الذي لا تفضيل فيه كما في
حيانا خيرلكم ودونى خيرلكم والثالث افعل تفضيل فاستعملت هذه اللفظة
في الاية ثلاث مرات لثلاثة معان وفي قراءة فدية طعام بالاضافة
مساكين بالجمع لان الفدية اسم للقدر الواجب والطعام يعمها وغيرها فهو كقوله
ثوب خز وخاتم حديد والذين يطيقونه فافطروا جماعة لكل واحد منهم طعام
مسكين وقراءة التنوين في فدية على ان ما بعدها تفسير لها وافرد مسكين لان
المعنى على كل واحد لكل يوم طعام مسكين **وان تصوموا خير لكم** يصح كونه اسما
وافعل تفضيل وقرا ابي والصوم خير لكم **شهر رمضان** قيل بدل من الصيام
اي كتب عليكم شهر رمضان اي صيامه وقيل خبر محذوف اي هي اي الايام
المعدودات او لكم وقيل مبتدا خبره ما بعده وقرى بالنصب بتقدير صوموا
او بدلا من اياما او اغراء **وبينات** من عطف الخاص على العام لان الهدى منه
جلي وخفي فنص بالبينات على الجلي منه **من الهدى والفرقان** اي من جملة هدى الله
وبيناته وفيه لف ونشر فالهدى راجع الى قوله هدى والفرقان الى قوله وبينات
ولم يات والبينات ليطابقه لمواخاة لفظ القران قبله ولما فيه من مزيد
معنى لازم للبينات وهو كونه يفرق بين الحق والباطل **فمن شهد منكم الشهر
فليصمه** هو ظرف والمفعول محذوف اي المصر في الشهر ولو قعه موقع شهده
تنويها به وتعظيما له **فليصمه** اي فليصم فيه فحذف الجار وعداه وقيل فليصم
ما شهد منه **ومن كان مريضا** كرره لان الاول نزل حالة التخيير بين
الصوم والفدية فاعاده بعد النسخ ليعلم انه باق على ما كان من الترخيص لنا
للمريض والمسافر ولا يتوهم نسخه في حقهما وتعيين الصوم ولم يقيده هنا بمنكم
لتقدمه في فمن شهد منكم **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** فيه طباق
بين العسر واليسر والايجاب والسلب والجملتان مناسبتان للترخيص للمريض
والمسافر والجملة الثانية موكدة بمعنى الاولى **ولتكملوا العدة** عطف على مقدر
اي ليسهل عليكم او لتتعلموا ما تعملون او على اليسر اي ويريد بكم لتكملوا كقوله
يريدون ليطفيوا وقيل الواو زايدة وقيل للاستيناف والفعل المعلل محذوف

متدلوا عليه بما سبق والتقدير ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون
شرع جملة مما ذكر من امر الشاهد بالصوم ومن امر المرخص له بمراعاة عدة ما افطر
فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا
علة الامر بما علمكم من كيفية القضا والخروج من عهدة الفطر ولعلكم تشكرون
علة التيسير والترخيص وهذا نوع من اللف لطيف المسلك وعدي فعل التكبير
بعلى لتضمنه معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم او لتضمنه معنى
التعليل واذا سألك عبادي عني قال ابو حيان مناسبة هذه الاية لما قبلها
انه لما تضمنت طلب تكبيره وشكره بين انه مطلع على ذكر من ذكره وشكر من شكره
فيسمع نداه ويجيب دعاه او رغبته في الدعا تنبيها على انه لا بد وان يكون مسبوقا
بالثنا الجميل والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وان لم يجر له ذكر لانه العلم المعروف
ولان في قوله انزل فيه القران ما يدل عليه وفي عبادي التفات من الاسم
الظاهر فاني قريب فيه اضمار اي فقل لهم اني قريب وحذفت بخلاف سائر الاسئلة
للاشارة الى ان العبد في حالة الدعا في اشرف المقامات لا واسطة بينه وبين
مولاه وفي الوصف بالقرب تمثيل في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة لحاله ص
من ساله بحال من قرب مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته اجيب فيه مراعاة المبتدا
في فاني ولو روعي الخبر وهو قريب لقيل يجيب وهو طريقان للعرب اشهرهما
مراعاة السابق لعلهم يرشدون فاصلة لا نظير لها في القران وقيل ان فيها تعريضا
بليلة القدر حيث ذكر ذلك عقب ذكر رمضان اي لعلهم يهتدون الى معرفتها
وقرئ بالبنا للمفعول قال ابن حيان ختم الاية برجا الرشد لهم من احسن الاشيا لانه
تعالى لما امرهم بالاستجابة له والايمان به نبه على ان هذا التكليف ليس القصد
منه الا وصولك بامتثالك الى رشدك في نفسك لا يصل اليه تعالى منه شي
ولما كان الايمان شبه بالطريق المسلوك في القران ناسب ذكر الرشاد
وهو الهداية كما قال اهدنا الصراط المستقيم احل لكم اي اطلق من عقده
الحظر وهي من تمام احكام الصيام فمناسبتها لما قبلها ظاهر وقرئ احل بالبنا للفاعل
اي الله ففيه التفات عن التكلم ليلة الصيام فيه اتساع اي ليلة اليوم الذي
يصبح فيه صايما الرفث الى نسائكم الراغب الرفث كلام متضمن لما يستقبح
ذكره من ذكر الجماع ودواعيه وجعل كناية عن الجماع هنا تنبيها على جواز دعائهن
الى ذلك ومكالمتهن فيه وعدي بالى لتضمنه معنى الافضا القتبي الرفث
هو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه من ذكر النكاح الزجاج الرفث كلمة جامعة
لكل ما يريده الرجال من النسا الكشاف قلت لم كني عن الجماع هنا بلفظ
الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها
باشروهن او لامستم النسا فدخلتم بهن فما تواجرتم من قبل ان تمسوهن فما استمتعتم
به منهن ولا تقربوهن قلت استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة كما سماه اختيانا
لانفسهم وقرا ابن مسعود الرفوث هن لباس لكم وانتم لباس لهن كناية عن اجتماعهما
متجردين في فراش واحد وما يقع بينهما من التضام والتعانق وقيل كناية عن ستر كل

منها

منهما صاحبه عما لا يحل له الراغب جعل الزوجة لزوجها لباسا من حيث انها تمنعه وتصده
عن ان يتعاطى قبيحا وقال ابن عباس في الاية هن سكن لكم صححه في المستدرك
قال الاصبهاني والمعنى انكم تلابسونهن وتخالطونهن بالمساكنة وقال الكرماني سماها
سكنا من قوله وجعل منها زوجها ليسكن اليها ثم سماها لباسا كما سمي الليل سكنا في قوله
وجاعل الليل سكنا ثم سماه لباسا فقال وجعلنا الليل لباسا والجملة استيناف
كالبيان لسبب الاحلال وهو انه اذا كان بينكم وبينهن مثل هذه الملابسة
والمخالطة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم في مباشرتهن
وفيها من انواع البديع النوع المسمى بالعكس وهو ان يوتى بكلام يقدم فيه جزء
ويوخر اخر ثم يقدم الموخر ويوخر المقدم وبدي بقوله هن لباس لكم لظهور
احتياج الرجل الى المراة وقلة صبره عنها وانه هو البادي بطلب ذلك الفعل له
وافرد اللباس كانه كالمصدر تختانون قال الاصبهاني الاختيان من الخيانة
كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة وقال الراغب الاختيان
مراودة الخيانة ولم يقل تخونون لانه لم يكن منهم الخيانة وذلك هو المشار
اليه بقوله ان النفس لامارة بالسوء انتهى قلت وهذا اصوب
فتاب عليكم اي خفف عنكم بالاباحة والرخصة وهذه الكلمة تقال كثيرا
عند الترخيص كقوله علم ان لن تحصوه فتاب عليكم فاقروا ما تيسر فاذ لم تفعلوا
وتاب الله عليكم باشروهن امر اباحة وكني به عن الجماع لما فيه من تلاصق
البشرتين وابتغوا الراغب الابتغا خص بالاجتهاد في الطلب واستعماله
في المحمود والبغي بمجرد الطلب واكثره في المذموم ما كتب الله لكم قيل الولد
وقيل الرخصة وقيل ليلة القدر قال الامام ووجهه على هذا ان الانسان
اذا قضى وطره من المباشرة وصار فارغا من داعية الشهوة المانعة
عن الفراغ للطاعة امكنه ان يتفرغ لها اي اذا تخلصتم من تلك الخواطر
المانعة فابتغوا ما كتب الله لكم من الصلاة والذكر وطلب ليلة القدر
قلت ووجه ادخال ذلك بين قصة الجماع والاكل الاهتمام بالعبادة ليلا
بحيث لا يغفل عنها بالانهماك في الملاذ وقرئ واتبعوا من الاتباع فما كتب الله القران
وقرئ وائتوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر
الخيط الابيض اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط
الاسود ما يمتد معه من غبش الليل شبها بخيطين ابيض واسود قال ولاح
من الصبح خيط انارا وقوله من الفجر بيان للخيط الابيض واكتفى به
عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما بيان للثاني وهذا من باب التشبيه
فان قوله من الفجر اخرجه من باب الاستعارة كما ان قولك رايت اسدا
استعارة فاذا زدت من فلان رجع تشبيها وانما زيد من الفجر حتى كان
تشبيها ولم يقتصر به على الاستعارة التي هي ابلغ وادخل في الفصاحة
لان من شرط المستعار ان يدل عليه الحال او الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم
يعلم ان الخيطين مستعاران ولذلك ظن كثير من الصحابة قبل نزول من الفجر

ان المراد حقيقة الخيطين وكان احدهم يضع عند راسه خيطين ويأكل الى ان يتبين
له فنزل من الفجر بيانا لما خفي عليهم وخرج به عن حد الاستعارة الى التشبيه البليغ
وبهذا التقدير صار تجريدا كانه جرد من الفجر خيطا ابيض وهو كانك اذا قلت
رايت من زيد رجلا كريما كانك جردت منه رجلا كريما وهو كما اذا قلت رايت
منه اسدا كان تجريدا او تشبيها معا او لانه كذلك مع ما فيه من الاكتفاء واللف
والنشر المرتب المضمر احد جزئيه الزملكاني قوله من الفجر منتظم في الظاهر
مع الخيط الاسود ولا سواد للفجر فالتقدير حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الفجر
من الخيط الاسود من الليل اي حتى يتبين لكم بياض الصبح في بقية سواد الليل
ابن عبد السلام التشبيه في الفجر ظاهر لان طوله اكثر من عرضه واما الظلام
فكرة فكيف يشبه بالخيط والجواب ما قاله ابو عبيدة المراد بالخيط الاسود
الفجر الاول ويكون من باب وصف الشيء بما يؤول اليه لان الفجر يصير الى السواد
بعد وجوده والمعنى حتى يتبين لكم الفجر الثاني من الفجر الاول قلت
وعلى هذا فيمكن ان تجعل من الفجر بيانا للخيط الابيض والخيط الاسود معا د
بناء على استعمال المشترك في معنييه ويكون المقصود به دفع وهم من ظن ان د
المراد حقيقة الخيطين فابان ان المراد بهما الفجر بقسميه من صادق وكاذب
وعلى هذا فلا خلاف في الاية ولا اكتفاء ويكون من باب اللف والنشر المجمل لكن
الاجمال هنا في النشر لا في اللف على عكس ما تقدم في وقالوا لن يدخل الجنة
الا من كان هودا او نصارى وهو نوع غريب لم ار من نبه عليه ثم اتموا الصيام
الى الليل ذكر لغاية الصيام بعد ذكر ابتدائه وهذه الجملة اخر قصة الصوم د
وفي ختمها بلفظ التمام والى الليل نوع بديع من براعة الختام ولا تباشروهن وانتم
عاكفون في المساجد لما فرغ من احكام الصيام اتبعه باحكام الاعتكاف د
لما بينهما من المناسبة ولهذا اشترط قوم الصيام فيه وندب به اخرون وعقب الفقهاء
في كتبهم باب الصوم بباب الاعتكاف وعندي انه يوخذ من الاية عدم اشتراط
الصوم فيه لانه لما حظر في الصوم من الفجر ثلاثة اشياء الجماع والاكل والشرب
ثم ذكر الاعتكاف فحظر فيه الجماع فقط دل على اباحة الاخرين والا لحظرهما
معه ايضا وفيه عاكفون بلا الف وفي المسجد على الافراد قال بعض الصوفية
اجرى الله في الاية ان محل القربة مقدس عن اجتلاب الحظوظ تلك حدود الله
فلا تقربوها الكرماني قال هنا فلا تقربوها وفيما سياتي تلك حدود الله فلا
تعتدوها لان الحد الذي هنا نهي وهو قوله ولا تباشروهن وما كان من الحدود
نهيا امر بترك مقاربته والذي هناك امر وهو بيان عدد الطلاق بخلاف ما كان
عليه العرب من المراجعة بعد الطلاق بغير عدد وما كان امرا امر بترك مجاوزته
وهو الاعتداء قلت يشكل على هذا اتيانه بصيغة الجمع في تلك حدود فانه
يدل على عوده الى النهي عن المباشرة وغيره من الاوامر التي قبله لكن قال
ابو حيان انه على تغليب جهة النهي اذ هو المعقب بذلك وقال صاحب المنهاج
لما كان المنهي عنه هنا المباشرة ولا تكون الا بالقرب ناسبه لا تقربوها والمنهي

عنه هناك التجاوز في الاخذ عما دفعه الزوج من المهر فناسبه لا تعتدوها قلت
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لمن قالت في الخلع وازيده لا خير في الزيادة وقال
في الكشاف من كان في طاعة الله والعمل بشرائعه فهو متصرف في حيز الحق فنهي ان
يتعداه لان من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي ان يقرب الحد الذي
هو الحاجز بين حيز الحق والباطل لئلا يداني الباطل وان يكون في الواسطة متباعدا
من الطرف فضلا عن ان يتخطاه كما قال عليه السلام من حام حول الحمى يوشك
ان يقع فيه ثم قوله فلا تقربوها ابلغ من لا تاتوها واضيفت الحدود الى الله دلالة
على المبالغة في عدم الالتباس بها كذلك اي مثل هذا البيان الذي ذكر لعلهم
يتقون قال ابو حيان حيث جاءت اية تكليف شاق ختمت برجاء التقوى كما
تقدم في ايتي القصاص والصوم وحيث جاءت برخصة ختمت برجاء الشكر كما
تقدم في اية يريد الله بكم اليسر وهنا وقع الختم برجاء التقوى لان الاية
تضمنت تكليفا شاقا وهو منع الانسان من امر مشتهى بالطبع اشتهاء عظيما
بحيث هو الدماله من الملاذ الجثمانية ولا تاكلوا اموالكم قال ابو حيان مناسبة
هذه الاية لما قبلها ان من تعبده الله بالصوم فحبس نفسه عما تعوده من
الاكل والشرب والجماع ثم بالاعتكاف فحبس نفسه عن اللذة الكبرى معتدا
في مكان لا يبرح منه جدير ان لا يكون مطعمه ومشربه الا من الحلال الخالص د
الذي ينور القلب ويفضي به الى الاجتهاد في العبادة والا لم يكن صومه د
تاما وتقدم ايضا ان في الدعا شرط الاجابة احلال المطعم والمشرب
والملبس فناسب النهي عن اكل الحرام عقب ذلك ولما كان اول قصة الصوم
كما كتب على الذين من قبلكم وكان من شان اهل الكتاب اكل الباطل والرشا ناسب
ذكر هذه الاية هنا للنهي عن التشبه بهم فهذه مناسبات شتى كل منها كاف
واقتصر على ذكر الاكل والمراد سائر وجوه الاخذ لانه الاغلب واضافة اموالكم
للملابسة اذ لا ينهى الانسان عن اكل ماله والمعنى لا ياكل بعضكم مال بعض
وتدلوا على تقدير لا وقراها ابي ولا لان المقصود النهي عن الجميع لا الجمع ومعنى د
تدلوا ترشوا قال الادلاء ارسال الدلو والرشوة من الرشاء وهو حبل الدلو د
كانه يمد بها لتقضى الحاجة وقيل من قولهم ادلى بحجته اي قام بها كانهم جعلوا المال
هو الحجة يسالونك عن الاهلة مناسب لما تقدم من قصة الصوم والفطر
لانهما معدوقان برؤية الهلال ولما سياتي من قصة الحج ولهذا صرح في جواب
السؤال بذكره فكانت هذه الاية براعة الاستهلال
لاحكام الحج والاهلة جمع هلال وهو القمر في اول الشهر اول ليلة والثانية
قيل والثالثة ثم يقال له قمر ولا يقال هلال ذكره الراغب وقال غيره الهلال
غرة القمر حين يراه الناس سميت هلالا لان الناس يهلون عند رؤيته اي
يرفعون اصواتهم والمضارع هنا لحكاية الحال الماضية وجمع الهلال
وهو مفرد لاختلاف ازمانه قل الكرماني جميع ما في القران من السؤال وقع
عقبه الجواب بغير فاء الا في قوله ويسالونك عن الجبال فقل فانه اجيب

بالغا لان الاجوبة في الجميع كانت بعد السؤال وفي طه قبل السؤال
فكانه قيل ان سئلت عن الجبال فقل مواقيت جمع ميقات وهو الوقت المضروب
والوقت الزمان المفروض لامر ما للناس شامل للعبادات من الصوم والحج
والنذور والاجال في المعاملات والعدد وغيرها فقوله والحج من عطف
الخاص على العام صرح به ليبني عليه ما ذكره بعده من احكام الحج فهو من حسن التخلص
ابو حيان لم يرد السؤال عن ذات الاهلة بل عن حكمة اختلاف احوالها
وفائدة ذلك فلذا اجيبوا بانها مواقيت فلو كانت على حالة واحدة ما حصل
بها التوقيت قلت وهذا ما دل على سبب النزول ووقع المفتاح وكتب مثاله بعينه
هنا كلام قد نبهت عليه في الاتقان وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها
قال في الكشاف وجه اتصاله بما قبله كانه قيل لهم سؤالكم عن الاهلة
وعن الحكمة في نقصانها وتمامها غير الاهم للعلم بان افعاله تعالى لا تكون الا
حكمة بالغة فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها انتم مما ليس
من البر في شيء وانتم تحسبونها برا قال ويجوز ان يجري ذلك على طريق الاستطراد
لما ذكر الحج لانه كان من افعالهم في الاحرام قلت هذا احسن وهو الذي جزم به
غيره وزاد انه ذكر صحبه من باب الزيادة في الجواب على ما في السؤال لانه اهم
كمن سئل عن البحر فقال هو الطهور ماؤه الحل ميتته ثم قال ويجوز ان يكون
تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم وان مثلهم فيه كمثل من يترك باب الدار ويدخل
من ظهرها والمعنى ليس البر ما انتم به من هذه الاسئلة ولكن البر من اتقى
ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله وأتوا البيوت من ابوابها اي وباشروا الامور
من وجوهها ولا تعكسوا قلت ليس هذا مراد الاية كما يرده سبب النزول
والاحاديث في تفسير الاية ولكن البر من اتقى فيه التقدير ان السابقان
وفيه ولكن البر ابو حيان هذه الاية كانها مختصر من الاية السابقة لان
هناك عدا اوصافا كثيرة هي البر ثم قال في اخرها واولئك هم المتقون وقال
هنا ولكن البر من اتقى والتقوى لا تحصل الا بحصول تلك الاوصاف
ضمنا اذ جامعها هو المتقي ثم لما تقدم جملتان خبريتان عطف عليهما جملتان امريتان
الاولى راجعة للاولى والثانية راجعة للثانية وذلك من بديع الكلام
فقال وأتوا البيوت من ابوابها هذه راجعة الى جملة وليس البر
وعاد ضمير البيوت بلفظ الوحدة كما هو الافصح في جمع الكثرة واتقوا الله هذه
راجعة الى جملة ولكن البر من اتقى لعلكم تفلحون قال ابو حيان هو متعلق
بجملة واتقوا الله خاصة لان التقوى جامع الخير من امتثال الاوامر واجتناب
المناهي تعلق بها رجاء الفلاح وهو الظفر بالبغية وقاتلوا معطوف على واتقوا
الله عطف الخاص على العام اهتماما بشانه بحسب اقتضاء الوقت
وقد ورد انها اول اية نزلت في القتال وقيل انها نزلت لما صد المشركون
صلى الله عليه وسلم واصحابه عام الحديبية وصالحوه على ان يعود من قابل للعمرة القضا
وخاف المسلمون ان لا يفوا بذلك ويصدوهم ويقاتلوهم في الشهر الحرام وفي الحرم

فنزلت

فنزلت مبيحة لقتالهم ان قاتلوا ابو حيان وبذكر هذا السبب ظهرت مناسبة
الاية لما قبلها لانه تضمن شيئا من متعلقات الحج ولهذا قال بعده ولا تقاتلوهم
عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه وقال الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات
قصاص في سبيل الله استعارة ظرفية مجازية وقدم على المفعول الصريح لانه
الاهم ولذا اقتصر عليه في اية اخرى ولا تعتدوا اطلق ليعم جميع وجوه الاعتداء
من الابتداء بالمقاتلة وقتل ما نهي عن قتله من النساء والصبيان والشيوخ ومن
القى السلم والمثلة وغير ذلك قال الاصبهاني وهذا من كمال البلاغة ان اختصر
اللفظ وازداد زيادة المعنى واقتلوهم اي الذين يقاتلونكم حيث ثقفتموهم اي
وجدتموهم في حل او حرم الاصبهاني الثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة
الراغب اصل الثقف الحذق في ادراك الشيء وفعله يقال ثقفت كذا
اذا ادركته ببصرك لحذق في النظر ثم قد يتجوز به فيستعمل في الادراك
وان لم يكن معه ثقافة قال وافعالهم في الاية والفتنة اي الشرك منهم وقيل
تعذيبهم من اسلم وقيل صدهم اياكم عن المسجد وقيل العذاب المعد لهم
في الاخرة قال الاصبهاني والاولى ان يحمل على جميع هذه الامور وقال
ابو حيان الفتنة والقتل مصدران لم يذكر فاعلهما ولا مفعولهما وانما
اخبر ان ماهية الفتنة اشد من ماهية القتل فكل مكان تحقق فيه هذه
النسبة كان داخلا في عموم هذا الاخبار وتعيين نوع ما من افراد هذا
العموم يحتاج الى دليل الراغب اصل الفتن ادخال الذهب النار لتظهر جودته
من رداءته واستعمل في ادخال الناس النار نحو يوم هم على النار يفتنون
ذوقوا فتنتكم وتارة يسمون ما يحصل عنه العذاب نحو الا في الفتنة سقطوا
وتارة في الاختبار نحو وفتناك فتونا وجعلت الفتنة كالبلاء في انهما
يستعملان فيما يدفع اليه الانسان من شدة ورخاء قال تعالى في الامرين
ونبلوكم بالشر والخير فتنة لكنهما في الشدة اظهر معنى واكثر استعمالا انتهى
ولا تقاتلوهم في قراءة تقتلوهم وكذا الفعلان بعده ففيهما مجاز اي حتى يقتلوا
بعضكم ولم يقرأ فاقتلوهم الا بوجه وفيه بشارة عظيمة بالغلبة عليهم اي هم
من الخذلان وعدم النصرة بحيث امرتم بقتلهم لا بقتالهم فانتم متمكنون منهم
لا تحتاجون الى ايقاع القتل بهم اذا ناشبوكم القتال لا الى قتالهم
وضمير فيه لعند ويقدر فيه في الفعلين بعده كذلك جزاء الكافرين
اشارة الى عليه القتل وهو الكفر فان انتهوا اي عن الكفر وقيل عن المقاتلة
فالمغفرة على هذا للمخاطبين باسقاط تكليف القتال عنهم وقاتلوهم الضمير
لمن تقدم فتكون معممة في الاحوال والامكنة وما سبق في من قاتل
حتى لا تكون فتنة فسره ابن عباس وغيره بالشرك وقال الطيبي الذي يقتضيه
حسن النظم وايقاع النكرة في سياق النفي ان تجري فتنة على حقيقتها
لتستوعب جميع ما يسمى فتنة فيدخل فيها الشرك والقتال والتحريب
ما غلبه فخالفوا دين الاسلام فيطابقه قوله ويكون الدين لله لان معنا

يكون الدين كله لله كما جاء في سورة الانفال ويكون تعميما بعد تخصيص
لان الفتنة حملت اولا على الشرك ولو اريد بها عين الفتنة السابقة لكان الاولى
ان يجاء معه لان الشيء اذا اعيد اضمر او كرر بعينه وضعا للمظهر موضع المضمر
فان النكرة اذا اعيدت ولم يرد بها التكرار كانت غير الاول
بخلاف المعرفة ولان قوله فان انتهوا فلا عدوان يقتضي مفعولا اعم مما
اقتضاه قوله فان انتهوا فان الله غفور رحيم لان الثاني اذا ذكر وجيء بالثاني
اعم من الاول كان احسن من العكس لئلا يجيء الكلام مبتورا انتهى ملخصا
ويكون الدين لله زاد في الانفال كله لان القتال في هذه السورة مع اهل مكة
وفي الانفال مع جميع الكفار فقيده بقوله كله قاله الكرماني والامام
فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين هو خبر بمعنى الطلب وقع كناية عن قول
فلا تعتدوا على المنتهين لان اثبات العدوان على الظالمين على سبيل الحصر
في هذا المقام مفيد لنفي العدوان عن المنتهين لانه مقابله الاصل في
اصل الكلام فان انتهوا فلا تقاتلوهم ثم وضع قوله فلا عدوان على المنتهين
موضع ذلك ثم كني عن ذلك بقوله فلا عدوان الا على الظالمين ثم تسمية
المقاتلة عدوانا على سبيل المشاكلة المعنوية لان التقدير فان انتهوا عن
العدوان قاله الرماني وقيل معناه فلا سبيل ولا حجة لقوله ايما الاجلين
قضيت فلا عدوان علي اي فلا سبيل علي الامام ختم هنا بذلك وفي الانفال
بقوله فان الله بما تعملون بصير لان الحكم هنا لما كان في الكفرة المخصوصين
كان الانتهاء سببا لكف العدوان عنهم وعدم تمكنه عن الظالمين المستمرين
على ظلمهم لعدم الانتهاء ولما كان الحكم في الانفال لجميع الكفرة ناسبه
التقييد بما هو اعم من اطلاع الله على احوالهم اخلصوا في الانتهاء او لا
ومثل هذا اذا صدر من الحكيم الحليم كان فيه غاية التهديد الشهر الحرام
بالشهر الحرام اي الامر في الاول للعهد الذهني وفي الثاني للعهد الحضوري
والحرمات قرئ بسكون الراء فمن اعتدى عليكم هذا مؤكد لما قبله من قوله
والحرمات قصاص فاعتدوا عليه سمي الجزاء اعتداء مشاكلة بمثل اي بعقوبة
مثل وقيل الباء زائدة اي مثل اعتدائه فهو نعت لمصدر محذوف
اي اعتداء مماثلا لاعتدائه واتقوا الله الاية مناسب للامر بترك الاعتداء
والتعدي في القصاص وانفقوا مناسب للامر بالقتال لان الجهاد يحتاج
لبذل المال كما تبذل فيه النفس في سبيل الله الاصبهاني كلما امر الله به
من الخير فهو من سبيل الله واكثر ما يستعمل في الجهاد ولا تلقوا بايديكم قيل الباء
زائدة وقيل المفعول محذوف اي لا تلقوا انفسكم بايديكم كما يقال اهلك
فلان نفسه بيده اذا تسبب في هلاكها وقال ابو حيان بل ضمن تلقوا معنى
تفضوا وكني بالايدي عن النفس لان بها الحركة والبطش والامتناع وقيل
المعنى لا تجعلوا التهلكة اخذة بايديكم مالكة لكم وقيل لا تاخذوا في ذلك
يقال لكل من اخذ في عمل التي يديه اليه الواحدي المعنى لا تقربوا مما يهلككم

لان

لان من القى بيده الى الشيء فقد قرب منه وهذا مبالغة في الزجر وتاكيد في النهي
التهلكة الراغب جميع ما يؤدي الى الهلاك وقال غيره مصدر بمعنى الهلاك
قيل ولم يوجد في كلام العرب مصدر على تفعلة بضم العين الا هذا واحسنوا ان
الله يحب المحسنين ختم به مناسب للانفاق واتموا الحج عود الى ما كان الكلام فيه
من قصة الحج بعد انقضاء ما تخلله من قصة القتال الذي خافوه في الاحرام وبدأ به
قبل العمرة وان نزلت الايات وهم محرمون بها لانه اكد واعظم الاصبهاني ينبغي حمل اتموا
على معنييه اي ابتدوا فاذا دخلتم فيه فاتموه ليكون جامعا بين وجهي الاتمام
وقرا علي واقيموا وقرئ والعمرة بالرفع على الابتداء والخبر ما بعده وقرئ واتموا الحج
والعمرة الى البيت لله قال ابن عبد السلام قال لله لان الحج مما يكثر فيه الرياء
بخلاف غيره من العبادات وقال المروزي لان الكفار كانوا يحجون للاصنام
فان احصرتم الراغب اصل الحصر التضييق والاحصار المنع من طريق البيت
ويطلق على المنع الظاهر كالعدو والباطن كالمرض بخلاف الحصر فانه لا يقال
الا في المنع الباطن وقوله فان احصرتم محمول على الامرين وكذا قوله للفقراء
الذين احصروا في سبيل الله بخلاف او جاءوكم حصرت صدورهم فانه خاص
بالباطن اي ضاقت صدورهم بالجبن والبخل فما استيسر من الهدي اي على من
احصر او عليكم او فالواجب او فليهد واستيسر بمعنى تيسر الراغب
الهدي مخصوص بما يهدى الى البيت واحده هدية بسكون الدال وقال
غيره سمي بذلك لانه يتقرب به الى الله بمنزلة الهدية يهديها الانسان الى غيره
تقربا اليه وقرئ بكسر الدال وتشديد الياء جمع هدية كمطي ومطية وقيل
التشديد لغة تميم والمخفف مصدر لا واحد له ولا تحلقوا رؤوسكم قيل خاص
بالمحصرين وقيل عام ففيه من فنون الخطاب خطاب العام بعد الخاص وفيه
مجاز في الفاعل اي لا يحلق بعضكم راس بعض وفي المفعول اي شعر رؤوسكم
حتى يبلغ الهدي محله كني به عن الاحلال على قول العموم فتضمن الاشارة
الى مشروعية الهدي ووقته ومكانه فمن كان منكم فيه القولان السابقان
وحديث كعب بن عجرة في نزولها يؤيد كونها في غير المحصرين او به اذى من راسه ففدية
يقدر قبله فحلق الراغب الفدية ما يقي به الانسان نفسه من مال
يبذله في عبادة يقصر فيها ورفعها على الابتداء اي عليه او الخبر اي فالواجب
وقرئ بالنصب اي فليفد من صيام او صدقة او نسك ترقى من الادنى الى
الاعلى فان قيل لم قال او نسك ولم يقل او ما استيسر من الهدي كالاية
السابقة والاتية قلت ظهر لي ان ذلك لنكتة وهو انه لو قاله لاوهم ان
المراد به ما تقدم مما يجب على المحصر بعينه وانه اكتفي به هنا وان الحالق
لعذر مخير بين ان يصوم او يتصدق او يكتفي بما استيسر من الهدي الذي لزمه
في الاحصار من غير زيادة فعدل الى قوله او نسك ونكره ليفيد انه غيره
وانه ذبيحة اخرى الراغب النسك العبادة واختص باعمال الحج والنسيكة مختصة
بالذبيحة والمناسك مواقف النسك واعمالها انتهى وقال ابن الاعرابي النسك

سبائك الفضة كل سبيكة نسيكة ثم قيل للمتعبد ناسك لانه خلص نفسه من دنس
الاثام وصفاها كالسبيكة المخلصة من الدنس ثم قيل للذبيحة نسك لانها من
اشرف العبادات التي يتقرب بها فاذا امنتم ابو حيان الامن سكون يحصل في القلب
بعد اضطرابه فمن تمتع بالعمرة الى الحج والتمتع الانتفاع فمن لم يجد اي الهدي فصيام
ثلاثة ايام في الحج اي عليه وقرئ بالنصب بتقدير فليصم وقوله في الحج اي في زمن
الاحرام به او في اشهره قولان وسبعة اذا رجعتم قيل الى اوطانكم وقيل فرغتم من اعمال
الحج وفي رجعتم التفات عن الغيبة والاصل رجع ومراعاة بمعنى من وقرئ وسبعة
بالنصب عطفا على محل ثلاثة لانه نصب بصيام او باضمار فعل اي صوموا تلك
عشرة كاملة ذكرت هذه الجملة للتاكيد لرافع لاحتمال ان يعني بالواو معنى او ونظيره
في التاكيد فتم ميقات ربه اربعين ليلة لانه رافع لاحتمال ان تكون العشرة بغير
تواعده ولا طائر يطير بجناحيه رافع لاحتمال ارادة قوة الاسراع دون الطيران
يقولون بالسنتهم رافع لاحتمال ارادة القول القلبي ابن الباذش اتى بعشرة توطية
لقوله كاملة لانها هي الخبر المستقل به فائدة الاسناد فجيء بها للتوكيد كما تقول زيد
رجل صالح وقال غيره مذهب العرب اذا ذكروا عددين ان يجملوهما لقلة
معرفتهم بالحساب كما ورد انا امة امية لا نكتب ولا نحسب وورد ذلك في اشعارهم
كثيرا الكشاف فائدة الفذلكة في كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا
ليحاط به من جهتين فيتاكد العلم وكاملة تاكيد اخر وفيه زيادة توصية
بصيامها وان لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها وقيل كاملة بشروطها وحدودها
وقيل كاملة في وقوعها بدلا من الهدي وقيل لفظه خبر ومعناه الامر اي فاكملوها
ولا تنقصوها الكرماني ان قيل لم قيد الثلاثة والسبعة بالعشرة وذلك معلوم
بالبديهة فعنه ثمانية اجوبة جوابان من التفسير وجواب من الفقه وجوابان من النحو
وجواب من اللغة وجوابان من المعنى وجوابان من الحساب اما التفسير فالجواب
الاول ان المقصود ذكر الكمال لا ذكر العشرة وان المعنى تلك عشرة كاملة
عن شاة والثاني تقديره فصيام عشرة ايام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم
واما الفقه فان الكفارات وجبت متتابعة ولما فصل هنا بينهما بالافطار قيد
ليعلم انها كالمتصلة واما النحو فان الواو قد تاتي بمعنى او نحو فانكحوا ما طاب لكم
من النساء مثنى وثلاث ورباع اي احد المذكورات فقيد ليعلم ان كليهما مرادان
واما اللغة فان السبع يذكر والمراد به الكثرة لا العدد المعروف
وكذلك السبعون والسبعمائة فقيد ليعلم ان المراد به العدد المعروف وهو ما بين
الست والثمان واما المعنى فان الثلاثة لما عطفت عليها سبعة احتمل ان يكون بعدها
ثالثة فقيد بالعشرة ليعلم انها كملت واما الحساب فان السبعة المذكورة عقب
الثلاثة يحتمل ان تكون مع الثلاثة اي هي من جملتها كما في قوله وقدر فيها اقواتها
في اربعة ايام بعد قوله خلق الارض في يومين فان المراد يومان مع اليومين
المتقدمين لا اربعة سواها فقيد بقوله تلك عشرة كاملة ليعلم ان السبعة سوى
الثلاثة والثاني ان عادة الحساب قد جرت بذكر الجملة بعد التفصيل قال

الفرزدق

الفرزدق ثلاث واثنتان فهي خمس وقال الاعشى ثلاث بالغداة فهن
حسبي وست حين يدركني العشاء فذلك تسعة في اليوم ري وشرب
المرء فوق الري داء وفائدة ذلك ما تقدم من الاعلام بالجملة بعد التفصيل
ثم الحساب تارة يذكرون التفصيل ثم الجملة كما هنا وتارة الجملة ثم يفصلون بعضها
كما في قوله اثني عشر شهرا منها اربعة حرم انتهى ومما قيل في ذلك انه اتى بعشرة
لئلا يتوهم اختصاص الكمال بالثلاثة المضمومة في الحج لشرفه وقيل لازالة الايهام
المتولد من تصحيف الخط لاشتباه سبعة وتسعة كما قيل مثله في حديث ان لله تسعة
وتسعين اسما مائة الا واحدا البهاء السبكي في عروس الافراح الفرق بين التكميل
والتتميم ان الاول استيعاب الاجزاء التي لا توجد الماهية الا بها والتتميم لما وراء
الاجزاء من زيادات يتاكد بها ذلك الشيء الكامل ولذلك قال تلك عشرة كاملة
اي لم تنقص اجزاؤها وقال واتموا الحج والعمرة لله روي اتمامها ان تحرم بهما من
دويرة اهلك وهو وصف به زيادة على الاجزاء فانما هيئة الحج والعمرة يوجدان
بدونه وقد جمع بينهما في قوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي لما
كانت اركان الدين وجدت بها اجزاء الاجزاء ذاك استعمل فيه لفظ الكمال
ولما كانت نعمة الله حاصلة للمؤمنين قبل ذلك لكن اليوم غير نافعة استعمل فيها
الاتمام لانه زيادة على نعم الله التي كانت قبل كاملة انتهى ذلك اشارة الى الاقرب
وهو لزوم الهدي او بدله او الى الابعد وهو اباحة التمتع قولان ويؤيد الثاني
اللام فانها تناسب الرخص والمناسب في الواجبات على لمن لم يكن اهله حاضري المسجد
الحرام ذكر الاهل كناية عن الاستيطان واتقوا الله في المحافظة على حدوده وما امركم
به ونهاكم عنه في الحج واعلموا ان الله شديد العقاب لمن خالفه وتهاون بحدوده
الحج اشهر اي اشهر الحج او وقت الحج او حج اشهر والاصل في اشهر فاتسع فيه ابو علي جعل
الاشهر حجا لكثرة وقوعه فيها وفيه اطلاق الاشهر على شهرين وبعض شهر عند من لا يراه
بقية ذي الحجة منها ابو حيان مناسبة هذه الاية لما قبلها انه تعالى لما امر باتمام
الحج والعمرة وكانت العمرة لا وقت لها معلوم بين ان الحج له وقت معلوم معلومات
اي معدودات عند الناس لان مشروعية الحج فيها جاءت على ما عرفوه وكان مقررا
عندهم فمن فرض اعاد الضمير جمعا لان العائد اليه جمع قلة فلا رفث قرئ برفع رفث
ولا فسوق ولا جدال القراءة بفتح الثلاثة ورفع الاولين وبناء
الثالث ووجهه على هذا ان الاهتمام بنفي الجدال اشد من الاهتمام بنفي الرفث
والفسوق لاشتماله على قضاء شهوة النفس من تمشية قوله الذي هو في ضمن
الرفث وعلى مخالفة امر الله الذي هو من الفسوق وزيادة الايذاء والايحاش
المؤدي الى العداوة والبغضاء وعدم الانقياد للحق غالبا فخص بمزيد الزجر والمبالغة
في النفي وقيل رفع الاولين محمول على النهي والثالث على الاخبار بانتفاء الجدال
وكانه قيل لا شك ولا خلاف في الحج ابن العربي قوله فلا رفث ليس نفيا لوجوده
الوقت بل نفي لمشروعيته فان الرفث يوجد من بعض الناس واخبار الله لا يجوز
ان يقع بخلاف مخبره وانما يرجع النفي الى وجوده مشروعا لا الى وجوده محسوسا

فانا نجد المطلقات ضادا لنفي الى الحكم الشرعي لا الى الموجود الحسي لا يمسه الا المطهرون
اي لا تمسه احد منهم شرعا فان وجد المس فعلى خلاف حكم الشرع وهذه الدقيقة التي
فاتت الحكما فقالوا ان الخبر يكون بمعنى النهي وما وجد ذلك قط ولا يصح ان يوجد فانهما
مختلفان حقيقة ومتباينان وضعا وقرئ برفع الثلاثة وبنصبها منونة مصادر بتقدير
فعل اي لا يرفث ولا يفسق ولا يجادل الامام الحكمة في ذكر هذه الالفاظ الثلاثة لا زيد
ولا انقص انه قد ثبت في العلوم العقلية ان الانسان فيه اربع قوى شهوانية
بهيمية وغضبية سبعية ووهمية شيطانية وعقلية ملكية والمقصود من جميع
العبادات قهر القوى الثلاث الاول فقوله فلا رفث اشارة الى قهر القوة الشهوانية
ولا فسوق اشارة الى قهر القوة الغضبية ولا جدال اشارة الى قهر القوة الوهمية
التي تحمل الانسان على الجدال في ذات الله وصفاته واحكامه وافعاله وهي الباعثة
للانسان على منازعة الناس ومماراتهم والمخاصمة معهم في كل شي فلما كان منشا
الشر محصورا في هذه الامور الثلاثة خصها بالذكر ابو حيان ذكر في الاية ثلاثة
وفي الحديث من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه فاقتصر
في اثنين لان مقصد الحديث ما يترتب عليه مغفرة الذنوب وليس الجدال
من ذلك لانه ان كان من المحظور اندرج في قوله ولا فسوق لعمومه او المكروه
فلا يجعل شرطا للمغفرة فلذلك اقتصر على الرفث الذي هو محظور في الحج والفسوق
الذي هو محظور مطلقا ولانه لبيان الاكمل والافضل وهو تنزيه الحاج عن
المخاصمة والمجادلة فمقصدها غير مقصد الحديث وانما خص النهي عنهما
بالحج لان النهي عن الرفث خاص به والاخرين تعظيما لحرمته لان التلبس بالمعاصي
فيه افحش واعظم منه في غيره ونظيره الحديث اذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث
ولا يجهل والجهل منهي عنه مطلقا لكن خص الصوم بالذكر تعظيما لحرمته ولانه
اكد فيه من غيره الراغب الجدال المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة واصله
من جدلت الحبل اي احكمت فتله فكان المتجادلين يفتل كل منهما الاخر عن رايه
وقيل اصله الصراع واسقاط الانسان صاحبه على الجدالة اي الارض الصلبة
في الحج فيه اقامة الظاهر مقام المضمر للتاكيد ولازالة توهم عوده على من لا بد
الحج وما تفعلوا فيه التفات من الغيبة وحمل على معنى من وعموم لافعال القلب
واللسان والجوارح من خير يعلمه الله الاصبهاني في تقدم الامر بفعل الخير في قوله
واتموا الحج والعمرة والنهي عن فعل الشر في قوله فلا رفث وما بعده ثم عقبهما
بقوله وما تفعلوا من خير يعلمه الله لخص الخير بذلك دون الشر كما واشاره الى انه
تعالى يظهر الخير ويستر الشر وفي الكشاف حث على الخير عقب النهي عن الشر
ليستعملوا مكان القبيح الحسن الطيبي اذا حمل فلا رفث وما بعده على معنى النهي
وما تفعلوا على معنى الامر كان من الطرد والعكس لانهما متقابلان لان النهي عن
الشي امر بضده وعكسه وتزودوا اي في سفركم لان الاية نزلت فيمن كان يحج
بغير زاد فان خير الزاد التقوى اي ما يتقي به سوال الناس ثم اردفه بتقوى
الله الذي هو زاد الاخرة فقال واتقون يا اولي الالباب وهذه نهاية البلاغة

وقيل تزودوا امر بالتزود الى الاخرة بقرينة ما قبله وما بعده وان التقوى
في عرف الشرع والقران عبارة عما يتقى به النار ويرده سبب النزول
وقيل هو امر بالتزود في السفرين معا وكان التقدير وتزودوا ما تنتفعون به
لعاجل سفركم واجله قلت وتتمته ان يقال وارد فه بجملتين اولاهما تتعلق بالدنيا
الثانية بالاخرة ففيه لف ونشر للاجمال المطوي قال ابو بكر الرازي احتمل قوله
وتزودوا الامرين من زاد الطعام وزاد التقوى فوجب الحمل عليهما اذ لم
يقم دليل على تخصيص احد الامرين ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم
زاد ابن عباس في قراته في مواسم الحج ابو حيان الجناح اعم من الاثم
لانه فيما يقتضي العقاب وفيما يقتضي الزجر والعتاب قال ومناسبة
هذه الاية لما قبلها انه لما نهى عن الجدال والتجارة قد تفضي الى المنازعة
ناسب ان يتوقف فيها لان ما افضى الى المنهي عنه منهي عنه اولان المسلمين
لما صار كثير من المباحات محرما عليهم في الحج توهموا ان التجارة من هذا القبيل
فابيحت لهم قلت وايضا فلما قال واتموا الحج والعمرة لله توقف كثير من التجارة
في الحج لانه قد يكون فيه شائبة دنيوية بمداخلة التجارة فينتفي الاخلاص لله
المامور به ولهذا اختلف اصحابنا فيمن سافر للحج والتجارة هل يثاب
في الحج اولا فنبه تعالى على اباحتها اذا كان المقصود الاعظم هو الحج فاذا افضتم
من عرفات الراغب اي دفعتم منها بكثرة تشبيها بفيض الماء قال جماعة والاية
منها دالة على وجوب الكون فيها اذ الافاضة لا تكون الا بعده المشعر الراغب
مشاعر الحج معالمه الظاهرة للحواس من قبله اي قبل هداه ثم افيضوا يا قريش
من حيث افاض الناس اي غيركم من العرب اي من عرفات خلاف ما كانوا عليه
من مخالفتهم والوقوف بمزدلفة قائلين نحن اهل الحرم فلا نخرج منه وقيل
المراد بالناس ابراهيم اخرجه ابن جرير من طريق عن ابن عباس وقرا ابن مسعود
الناسي اي ادم وثم للتفاوت ما بين الافاضتين وان احديهما صواب والاخرى خطا
وقيل هي على بابها من الترتيب وان هذه الافاضة من جمع وقيل في الكلام تقديم
وتاخير اي فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ثم افيضوا
من حيث افاض الناس فاذا افضتم من عرفات وقيل هي للترتيب في الذكر
لا في الزمان الواقع فيه الافعال وحسنه ان الافاضة السابقة لم يكن مامورا
بها انما كان المامور به ذكر الله اذا فعلت فكانه قيل ثم لتكن تلك الافاضة
من عرفات لا من مزدلفة واستغفروا الله اي من مخالفتكم في الموقف
كذكركم اباءكم قريء اباؤكم بالرفع واباك بالافراد او اشد ذكرا احسن ما قيل في
اعرابه انه مصدر فاذكروا الله احرى لكونه كالفاصلة قال ابو حيان وظن
المتقدمون انه تمييز فاحتاجوا الى تخاريج متكلفة ليصححوا نصبه اذ ظاهره
انه من جنس ما قبله لحقه اجزا الاصبهاني بين الله اولا تفصيل مناسك الحج
ثم امر بذكره عند المشعر الحرام ثم امر بذكره على الوجه الذي هدى اليه
ثم انكارا ليا نهم قبل ذلك الهدى كانوا ضالين ثم بين ان الاولى ان يترك ما كانوا

عليه وقت الضلالة والجاهلية وان يقتصر على ذكره ثم بين بعد الذكر كيفية الدعا
بقوله فمن الناس الى اخره وما احسن هذا الترتيب وابلغه فان تقديم العبادة
واجب كسرا للنفس وازالة لعصيانها ثم بعد العبادة لا بد من الاشتغال بذكر الله
لتنوير القلب ثم بعد الذكر يشتغل المرء بالدعا فان الدعا انما يكمل اذا كان مسبوقا
بالذكر كما حكى تعالى عن ابراهيم انه قال الذي خلقني فهو يهدين الى قوله رب
هب لي حكما فقدم الذكر على الدعا وفي الحديث اذا دعا احدكم فليبدا بتحميد الله
والثنا عليه **فمن الناس** المعنى اكثروا ذكره الله ودعاه فان الناس بين قليل
الهمة لا يطلب الا اغراض الدنيا وعاليها يطلب خير الدارين والنفصيلية
والمجمل ما عليه الناس في نفس الامر يعلم من سياق الايات الاصبهاني لما بين
تعالى الارشاد الى هذا النسك العظيم الشان قال فاذا قضيتم مناسككم اي اذا
فرغتم من عبادتكم الحجية ونفرتم الى اوطانكم لا تقولوا قضينا ما علينا بل اذكروا
الله ذكرا كثيرا ثم قسم الناس اربع فرق احدها الكافرون الذين غاية مقصدهم
ومنتهى همتهم اغراض الدنيا وهم المراد بقوله فمن الناس من يقول ربنا اتنا
في الدنيا حسنة والثانية المقتصدون الذين يطلبون خير الدنيا والاخرة
وهم المراد بقوله ومنهم من يقول الاية والثالثة المنافقون الذين كانت
تحلوا السنتهم وقلوبهم امر من الصبر وهم المراد بقوله ومن الناس من يعجبك
قوله والرابعة السابقون الباذلون نفوسهم في سبيل الله وابتغاء مرضاته
وهم المراد بقوله ومن الناس من يشري نفسه فالثانية في مقابلة الاولى
والرابعة في مقابلة الثالثة فلهذا ذكرهم على هذا الترتيب ارشادا لهم الى
اختيار ما هو الاصوب ولما فرغ من ذلك واراد ان يشرع في قصة بني اسرائيل
التي بما يتخلص منه اليها فقال يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة انتهى
وقال ابو حيان الذي يظهر ان قوله فمن الناس تقسيم للماموريين
بالذكر وانهم ينقسمون في سؤال الله الى من يغلب عليه حب الدنيا فلا يدعو الا بها
ومنهم من يدعو بصلاح حاله في الدنيا والاخرة وان هذا من الالتفات
ولو جا على مقتضى النظم لقيل فمنكم ونكتته انهم لم يواجهوا بهذا الذي لا ينبغي
ان يسلكه عاقل وهو الاقتصار على الدنيا فابرزوا في صورة انهم غير المخاطبين
بالذكر بان جعلوا في صورة الغايبين **حسنة** بالتنكير في الموضعين اي حسنة
عظيمة لا يكون ورا ها حسنة فتشتمل جميع الحسنات في الدنيا والاخرة **وقنا عذاب
النار** هو من جملة الحسنة المدعو باتيانها في الاخرة افرد بالذكر اهتماما به
اولئك خاص بالفريق الثاني لتقدم ما للفريق الاول في قوله وما له في الاخرة
من خلاق اي نصيب والاشارة به للتعظيم لعلو مرتبتهم **كسبوا** الاصبهاني سمي الدعا
كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب الراغب الكسب ما يتحراه الانسان
مما فيه اجتلاب نفع وتحصيل حظ وتبايل فيما اخذه لنفسه ولغيره والاكتساب
لا يقال الا فيما استفدته لنفسك فكل اكتساب كسب وليس كل كسب اكتسابا ويستعملا
في الصالح والسيء فمن الاول لهم نصيب مما كسبوا او كسبت في ايمانها خيرا للرجال

نصيب مما اكتسبوا وللنسا نصيب مما اكتسبن ومن الثاني ابسلوا بما كسبوا
وويل لهم مما يكسبون وعليها ما اكتسبت ومن الصالح لها ثم توفى كل نفس ما كسبت
قال وقد خص الكسب بالصالح والاكتساب بالسيء في قوله لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
سريع الحساب في الختم به وعد ووعيد وبشارة ونذارة ووصف لنفسه بسرعة حساب
الخلايق على كثرة عددهم وكثرة اعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه
ورجا الرحمة ومعنى الحساب تعريف عباده مقادير الجزا على اعمالهم وتذكيره اياهم ما قد
نسوه من ذلك **واذكروا الله** اطلق الذكر هنا وفيما تقدم ليعم الصلاة والتلبية
والتكبير والرمي وساير وجوه الاذكار والعبادات **في ايام معدودات** سماها بذلك
لقلتها **فمن تعجل في يومين** الكرماني هو يوم وبعض الثاني فثنى لوجود بعض الثاني
كالجمع لوجود بعض الثالث في قوله الحج اشهر **فلا اثم** قرا سالم ابن عبد الله ابن عمر
فلاثم بحذف الهمزة اعتنا لها اي فلا موجب ثم الالف لا التقاء مع التاء وهما ساكنان
ومن تاخر ابو حيان فيه طباق غريب بين تعجل وتاخر لان ضد التعجل التاني وضد
التاخر التقدم فعبر في تعجل بالملزوم وفي تاخر باللازم عن الملزوم وقوله فيه
فلا اثم عليه من باب المقابلة اللفظية لان المتاخر اتى بزيادة في العبادة فله
زيادة في الاجر وانما اتى بقوله فلا اثم عليه في مقابلة قوله ذلك فيمن تعجل
فهو كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه **لمن اتقى** اي ذلك التخيير ونفي الاثم
لمن اتقى في حجه لانه الحاج على الحقيقة وفي مصحف ابن مسعود لمن اتقى الله
واتقوا الله طلب للتقوى في المستقبل فليس بتكرار لما قبله واعلموا انكم اليه
تحشرون توكيد للامر بالتقوى لان من علم انه لا بد من حشر وحساب
وسؤال وجنة ونار قويت دواعيه الى التقوى وتقديم اليه للاختصاص
اي لا الى غيره ولا مالك يومئذ سواه ولا ملجا الا اياه وختم قصة الحج بذكر الحشر
كما هو العادة في كثير من قصص القران ان يختم بذكر المعاد تاكيدا للتحقيقة وردا
لمنكريه وتنبيها على الاخلاص في العبادات ليظهر ثمرتها فيه ابو حيان افتتحت
قصة الحج بالامر بالتقوى وختمت بها وتخلل في غضونها الامر بها تاكيدا لمطلوبيتها
ومن الناس من يعجبك تقدم من كلام الاصبهاني الاشارة الى مناسبة هذه الاية
لما قبلها وقال ابو حيان لما قسم الناس الذين قبل الى مقتصر على الدنيا
وسايل حسنة الدنيا والاخرة التي يذكر النوعين هنا فذكر من النوع الاول
من هو حلو المنطق يظهر الود وليس ظاهره كباطنه وعطف عليه من يقصد رضي
الله ويبيع نفسه في طلبه وقدم هنا الاول لانه هناك المقدم ولهذا علق الاعجاب
بقوله دون غيره من الاوصاف لان الواقع منه قول كما قال فمن الناس من يقول
والكاف خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل مومن الراغب التعجب حالة تعرض
للانسان عند الجهل بسبب الشي وليس هو شيا له في ذاته بل هو حالة بحسب الاضافة الى من يعرف السبب ومن لا يعرفه وحقيقة اعجبني كذا اي ارانى عجبا ومنه
الاية وقال غيره يقال في الاستحسان والمحبة اعجبني كذا وفي الانكار والكراهة
عجبت من كذا **في الحياة الدنيا** يجوز تعلقه بالفعل اي يعجبك في الدنيا لفصاحته
وحلاوته ولا يعجبك في الاخرة لما يرهقه في الموقف من اللكنة ويتبين فيه من المخالفة

وبالقول اي يعجبك ما يقوله في شان الدنيا ويشهد الله قرئ بفتح الياء والهاء ورفع الجلالة
وقرا ابي ويستشهد الله الد الخصام يجوز كونه مصدرا فاضافته بمعنى في وجمعا لخصم
بمعنى من تولى اي ذهب وقيل بمعنى ولي ولاية سعى الراغب السعي المشي السريع وهو
دون العدو ويستعمل للجد في الامر خيرا كان او شرا واكثر ما يستعمل في الافعال
المحمودة الاصبهاني اصل السعي المشي بسرعة ويستعار لايقاع الفتنة في الارض ابو حيان
معلوم ان السعي لا يكون الا في الارض لكن ذكر لافادة العموم اي في اي مكان حل
منه سعي بالفساد والتكثير اي انه كثير التقلب في نواحي الارض للسعي بالفساد ويهلك
الحرث والنسل هو داخل في الافساد وخصا بالذكر لانهما اعظم ما يحتاج اليه من في عمارة
الدنيا وقرا ابي وليهلك وقرئ ويهلك برفع الكاف استينافا وقرئ ويهلك بفتح
اوله والرفع من هلك والحرث فاعل وقرئ كذلك بفتح اللام لغة ويهلك بالبنا
للمفعول الراغب النسل الولد لكونه ناسلا عن ابيه اي منفصلا عنه اخذته العزة
بالاثم اي حملته عليه والزمته به او احتوت عليه العزة واحاطت به وصار له
كالماخوذ لها كما يوخذ الشي باليد فالبا على الاول للتعدية وعلى الثاني
للسببية والمصاحبة ابو حيان في هذه الكلمة نوع من البديع يسمى بالتتميم وهو
ارداف الكلام بكلمة ترفع اللبس عنه وتقربه للفهم كقوله ولا طاير يطير بجناحيه
وذلك ان العزة محمودة ومذمومة فالمحمودة في طاعة الله كما قال اعزة على الكافرين
ولما قال بالاثم اتضح المعنى وتبين انها العزة المذمومة المؤثم صاحبها
فحسبه جهنم اي كافيه جزا واذا لا لفي طباق من حيث المعنى وهي صيغة استعظام
لما حل به من العذاب المهاد هو المكان المهيا للنوم الموطا للراحة ذكر على سبيل
التهكم على حد قوله تحية بينهم ضرب وجيع ومن الناس الاية لما ذكر المنافق
الذي يبدي خلاف ما يضمر ناسب ان يذكر ضده وهو من يبذل نفسه في طاعة الله
ويرتكب الصعب لمرضاته ولما طال الفصل هنا بين القسم الاول والثاني
اظهر في الثاني ومن الناس وهناك لما لم يطل قال ومنهم بالاضمار يشري اي يبيع
وهو كناية عن بذل النفس ابتغا مفعول له والله روف بالعباد ابن عطية هذه ترجية
تقتضي الحض على امتثال ما وقع به المدح في الاية كما ان فحسبه جهنم تخويف
يقتضي التحذير مما وقع به الذم ابو حيان لما ختم تلك بالوعيد ختم هذه بالوعد
المبشر بحسن الماب وجزيل الثواب ودل على ذلك بالرافة التي هي سبب لذلك
فصار ذلك كناية عن احسان الله اليهم لان رافته بهم تستدعي جميع انواع الاحسان
ولو ذكر اي نوع من الاحسان لم يحد ما افاده لفظ الرافة ولذا كانت الكناية
ابلغ وعدل عن قوله بهم الى بالعباد لامرين احدهما ان لفظ العباد له في القران
تشريف وتخصيص كقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان سبحان الذي اسرى
بعبده اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ولذلك قيل ما اضيف
الى الله عباد وما اضيف الى الناس عبيد والثاني مراعاة الفواصل فان قبله الفساد
المهاد في هذه الاية والتي قبلها نوع من البديع وهو التقسيم وقيل ان فيها نوعا منه
وهو التقديم والتاخير وهو من ضروب البيان في النظم والتنزيل على قوة الملكة

في ضروب الكلام وذلك ان قوله واذكروا الله معطوف على قوله فاذا قضيتم مناسككم
فاذكروا الله وقوله ومن الناس من يعجبك ومن الناس من يشري معطوف على قوله
فمن الناس من يقول ومنهم من يقول وهو معطوف على الذكر فيصير الكلام كله
منسوقا على الذكر لانه مناسب له في المعنى ويصير التقسيم معطوفا بعضه على بعض
لان التقسيم الاول في معنى الثاني فيتحد المعنى ويتسق اللفظ السلم بالفتح والكسر
الاسلام والطاعة كافة اي جميعا حال من الواو او المجرور وهو الصواب
لان سبب نزولها ان بعض مومني اهل الكتاب تمسك ببعض ما في التوراة نحو
تعظيم السبت ومع ايمانه بنبوة محمد لم يعمل بها يامرهم بالدخول في الاسلام وهم داخلون
فيه فان زللتم قرئ بكسر اللام لغة واصله للقدم ثم استعمل في الراي والاعتقاد
حكي ان قاريا قرا هذه الاية فقال في اخرها فاعلموا ان الله غفور رحيم فسمعه
اعرابي ولم يكن يقرا فقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران
عند الزلل لانه اغرا عليه فلما قيل له عزيز حكيم قال هكذا ينبغي هل استفهام بمعنى
النفي ينظرون فيه التفات عن الخطاب باتيهم الله اي امره وباسه وعذابه
بدليل او ياتي امر ربك فجاها باسنا والاية مسوقة للتهديد والوعيد في ظلل
جمع ظلة الراغب وهي سحابة تظل واكثر ما يقال فيما يستوخم ويكره وقرئ
في ظلال قال ابن جني والوجه ان يكون جمع ظلة ايضا لان الظل ليس بالغيم
وانما الظلة الغيم والظل عدم الشمس في اول النهار فهو عرض والظلة جسم
والملايكة قرئ بالجر عطفا على تدخول في او من وقرا ابن مسعود ياتيهم الله
والملايكة في ظلل وقضي الامر اي وقع الجزا وفرغ من الحساب وعذب اهل العصيان
وليس في جمل الوعيد ابلغ من هذه وفيها ايقاع الماضي موقع المستقبل وقرئ
وقضي الامور وقرا معاذ بن جبل وقضا الامر مصدر مرفوع عطفا على الملايكة
وقيل مجرور عطفا عليها في قراة الجر قال بعضهم في قوله وقضي الامر والى الله ترجع
الامور من علم البيان الايجاز فانه يندرج فيه جميع احوال العباد منذ خلقوا
الى ان يبعثوا ومن البحث الى الفصل بين العباد وفي الى الله اختصاص ترجع
بالبنا للفاعل اي تصير وللمفعول اي ترد وقرئ بالتذكير مبنيا للمفعول
من رجع المتعدي سل بني اسرايل هو سوال تبكيت وتقريع وقرئ اسال ابو حيان
لما تقدم هل ينظرون الاية والمعنى فيه استبطا دخولهم في السلم وانهم لا ينتظرون
الا اية عظيمة تلجيهم الى الدخول فيه جا هذا الامر بسوالهم عما جاهم من الايات
العظيمة ولم تنفعهم كم اتيناهم فيه التفات ثم فيما بعده من اية بينة
اي فبدلوها بدليل ما بعده ومن يبدل قرئ بالتخفيف والمفعول
محذوف اي كفرا بدليل الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا نعمة الله الطيبي هو
من وضع الظاهر موضع المضمر بغير لفظه السابق للاشعار بتعظيم الايات وتقبيح
فعلهم من بعد ما جاته قيد به مع ان التبديل لا يصح الا بعد مجيها لانه ربما يوجد
التبديل من مخبر بالمبدل او عن جهل به فيقيد زيادة علة وعلى خلاف
ذلك الفايدة منه التقريع والتشنيع الطيبي ومن يبدل نعمة الله واراده

على سبيل التبديل وهي مع ذلك مشتملة السنتهم متعرضة كقوله كم اتيناهم من اية
بينة لتضمن الاستفهام في كم معنى التوبيخ والتقريع فان الله شديد العقاب
قيل فيه اضمار اي له قال الشيخ عبد القاهر في دلائل الاعجاز والاولى تركه لان
المقصود من الاية التخويف بكونه في ذاته موصوفا بانه شديد العقاب
من غير التفات الى كونه لهذا او ذاك والعقاب عذاب يعقب الجرم الطيبي في الاية
مبالغات شتى احداها العموم في من ليدخل فيها اولا الذين بدلوا فيه دخولا اوليا ثانيها
اقامة الظاهر مقام المضمر كما سبق ثالثها اضافة النعمة الى الله رابعها التتميم في قوله
من بعد ما جاءته خامسها نسبة المجيء الى الايات على سبيل الاستعارة سادسها ايقاع قوله
الله شديد العقاب جزاء للشرط على تاويل الاضمار يعني تبديل الناس نعمة الله سبب
لاخبار الله بكونه شديد العقاب وهذا لا يفيد اثباته الا عند قطاعة الشان سابعها
اقامة المظهر مقام المضمر في الجزاء ثامنها تصديره باداة التاكيد تاسعها اضافة
الشديد الى العقاب عاشرها التتميم في الجزاء انتهى قيل وهذه الاية مقدمة
في المعنى على التي قبلها وهي هل ينظرون الاية زين الاصبهاني لما ذكر تعالى
حال من يبدل نعمة الله وهم الكفار الذين كذبوا بالايات والادلة اتبعه بذكر السبب
الذي من اجله كانت هذه طريقتهم لتعريف المومنين ضعف عقول الكفار
في ترجيح الفاني على الباقي وقرئ بالبناء للفاعل والفاعل الله وقرئ زينت
والذين اتقوا من اقامة الظاهر مقام المضمر لكن بمعنى الظاهر السابق لا بلفظه
ونكتته الاشارة الى ان السعادة الكبرى انما تحصل للمومن المتقي مع ما فيه من
ازالة التكرار وفي الاية ثلاث طباقات بين الدنيا ويوم القيامة وكفروا
وامنوا ويسخرون وفوقهم والله يرزق من يشاء بغير حساب الراغب
فيه اوجه قيل يعطيه اكثر مما يستحقه وقيل يعطيه ولا ياخذ منه وقيل يعطيه
عطاء لا يمكن للبشر احصاؤه لكثرته وقيل يعطيه بلا مضايقة وقيل اكثر مما يحسبه
وقيل يعطيه بحسب ما يعرفه من مصلحته لا على حسب حسابهم وقيل يعطي المومن
ولا يحاسبه عليه وقيل يقابله في الاخرة لا بقدر استحقاقه بل باكثر منه والختم
بهذه الجملة مناسب لسعة الكفار في الدنيا وسعة المومنين في الاخرة قال
تعالى كان الناس الاصبهاني لما بين اصرار الذين كفروا على الكفر وحب الدنيا
بين ان هذا المعنى غير مختص بهذا الزمان بل في الازمنة المتقادمة قال
الناس كانوا امة واحدة ثم اختلفوا وما كان اختلافهم الا بسبب البغي والحسد
وحب الدنيا والتنازع في طلبها امة واحدة اي على الاسلام فاختلفوا وقيل
على الكفر فلا تقدير والاول اصح ويدل عليه وما كان الناس الا امة واحدة
فاختلفوا وقرا ابن مسعود بزيادة فاختلفوا وانزل معهم الكتاب
اي الكتب وضمير معهم لمجموعهم الصادق ببعضهم حتى حد يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
فلا تدل الاية على ان مع كل نبي كتابا وقيل التجوز في انزل اي وجعل كقوله
وانزلنا الحديد وقيل في الكتاب على معنى الموحى به ليحكم اي الكتاب لانه اقرب
مذكورا او النبي الذي اشتمل عليه لفظ النبيين لانه هو المظهر او الله لانه الحاكم

في

في الحقيقة ويؤيده ما قرئ لنحكم بالنون وفيه على هذه التفات وقرئ ليحكم بالياء
مبنيا للمفعول وما اختلف فيه الا الذين اوتوه خصهم بالذكر تنبيها على شناعة
فعلهم ولان غيرهم تبع لهم فهم اصل الشر واتى بمن لدلالتها على ابتداء الغاية تنبيها
على ان اختلافهم متصل باول زمان مجيء البينات لم يقع منهم اتفاق على شيء بعد المجيء
بل بنفس ما جاءهم البينات اختلفوا وذلك اشنع عليهم حيث رتبوا على الشيء
خلاف مقتضاه وقال بغيا بينهم ليبين ان الحامل على ذلك مغلهم بمجرد
البغي والظلم لا لخلل فيما جاءهم قال ابو حيان في قوله بغيا اشارة الى حصر العلة
فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه اي اولئك المتقدمون اولا وقيل فيه
تقديم وتاخير اي للحق مما اختلفوا فيه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
اي طريق موصل الى المطلوب وهو طريق الجنة ثم بين ان ذلك الطلب
لا يفضي الى المطلوب الذي هو دخول الجنة الا باحتمال الشدائد في التكليف
فقال ام حسبتم استفهام انكار واستبعاد ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم
اي لم يات وهو متوقع الاتيان منتظر لان ذلك هو الفارق بين لم ولما الاصبهاني
لما ذكر الله ان الذين كفروا يسخرون من الذين امنوا ذكر ما كانت عليه الامم
من الاختلاف واستهزاء كافرهم بمؤمنهم تسلية للمومنين وتشجيعا لهم على الصبر
على خلاف المشركين واهل الكتاب وعداوتهم واستهزائهم ثم قال لهم على طريقة
الالتفات التي هي ابلغ احسبتم ايها المومنون ان تدخلوا الجنة بمجرد الايمان
دون ان تنالوا من اذى الكفار ومن احتمال الفقر والفاقة ومكابدة الضر
والبؤس في المعيشة ومقاساة الاهوال في مجاهدة العدو كما نال ذلك
من قبلكم من المومنين في الامم الخالية والمثل الشبه الا انه مستعمل في حال
غريبة او قصة عجيبة لها شان وهو على حذف مضاف اي مثل محنة الذين
من قبلكم تاكيد لان الذين خلوا يقتضي التقدم مستهم استئناف بيان للمثل
وزلزلوا ازعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة بما اصابهم من انواع البلايا
والرزايا والاهوال حتى يقول الرسول برفع الفعل على حكاية الحال
الماضية ونصبه وهو من ايقاع المستقبل موقع الماضي اي قال ومعنى الغاية ان
الامر تناهى في الشدة وتمادى في العظم وبلغ بهم الضجر ومس الجهد الى استبطاء
النصر حتى قال الرسل والمومنون متى نصر الله استبطاء له لغاية ما لحقهم
من الجهد لان الرسل لا يقدر مقدار صبرهم وثباتهم وضبطهم لانفسهم فاذا ضجوا
كان ذلك الغاية القصوى التي لا مطمح وراءها في غاية الشدة فاجيبوا من قبل الله
الا ان نصر الله قريب فهو على تقدير فقيل لهم وقيل الاية من باب اللف والنشر غير
المرتب والاصل حتى يقول الذين امنوا متى نصر الله فيقول الرسول الا ان نصر الله قريب
وتقدير النظم حتى يقول الرسول الا ان نصر الله قريب جوابا لقول الذين امنوا
متى نصر الله وانما قدم في اللف الرسول لشرفه والمومنون تبع له وقدم في النشر
قولهم لانه سابق وقول الرسول قاله جوابا ولان فيه مواخاة الفاصلة وفي قوله
والذين امنوا دون ومعه تفخيم لشانهم حيث صرح به ظاهرا بهذا الوصف الشريف

ابن جماعة قال هنا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين الاية في آل عمران
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وفي براة ام حسبتم ان تتركوا
الاية لان اية البقرة في الصبر على معاناة اذى الكفار واية آل عمران في حق
المجاهدين وما حصل لهم من القتل والجراح والهزيمة يوم احد واية براة في من
كان يجاهد مع النبي صلى الله عليه وسلم ويباطن اعداءه واولياءه من الكفار المعادين
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فناسب مضمون كل اية ما سيقت له وهو معنى قول
الكرماني اية البقرة للنبي والمومنين واية آل عمران للمومنين واية براة للمجاهدين
يسألونك ماذا ينفقون لا صاحبي لما بين تعالى حال من زين له الحياة الدنيا
وقال من اعرض عنها واقبل على الاخرة شرع في بيان الاحكام التكليفية
وهو من هنا الى قوله الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم قال من عادة القران
ان يكون بيان التوحيد فيه والوعظ والنصيحة والاحكام مختلطا بعضها ببعض
ليكون كل واحد مقويا للاخر ومؤكدا له فان قيل سالوا عن ما ذا ينفقون لا عمن
تصرف النفقة اليهم فكيف طابق الجواب السوال اجيب بانه قد تضمن قوله
ما انفقتم من خير ما ينفقونه وهو كل خير الذي دل على ما انفقتم على سبيل الابهام
والعموم ومن خير بيان له فيكون الجواب منطابقا ثم زاد في الجواب
ما هو اهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا اذا وقعت موقعها وبدأ بالوالدين
لانهما اهم وحقهما اكد اذ كانا من اسباب وجوده وربياه في حالة ضعفه ثم ثنى بالقرابة
لانهم اهم من الاجانب اذ هم كالجزء منه ولان الصدقة عليهم صدقة وصلة ثم اليتامى
لانهم لا يقدرون على الاكتساب لصغرهم ولا اب يكتسب لهم فهم في معرض الضياع
والمساكين اقل حاجة منهم لان لهم قدرة على التحصيل في الجملة وذكر بعضهم بعدهم
ابن السبيل لانه بسبب انقطاعه عن بلده قد يقع في الاحتياج والفقر ثم اردف
هذا التفصيل الحسن الكامل بما هو مجمل فقال وما تفعلوا من خير اي مع
هؤلاء او غيرهم حسبة لله وطلبا لجزيل ثوابه وفرارا من عقابه فيه الالتفات
فان الله به عليم فيجازيه وقال ابو حيان مناسبة الاية لما قبلها ان الصبر على
النفقة وبذل المال هو من اعظم ما تحلى به المومن وهو من اقوى الاسباب
الموصلة الى الجنة قال وفي الكلام حذف تقديره ولمن يعطون فجاء الجواب
ببيان المنفق والمصرف معا او التقدير يسألونك مصرف ماذا ينفقون
فطابقه الجواب ببيانه قال وخير الاول اريد به المال والثاني الفعل المقابل
للشر قلت ففيه حينئذ الجناس التام وهو عزيز في القران كتب عليكم القتال
فرض بالبناء للمفعول ومناسبة الاية لما قبلها انه لما ذكر مس من تقدمنا من اتباع الرسل
البلاء وان دخول الجنة معدوق بالصبر على ما يبتلى به المكلف ثم ذكر الابتلاء
بالانفاق للمال انتقل الى اعلا منه وهو الابتلاء بالجهاد الذي فيه بذل النفس
والمال معا كره الاصبهاني الكره بالضم المشقة وبالفتح الاجبار وهذا المعنى لم
يقرأ هنا بالفتح كما قرئ في سائر المواضع بالوجهين لان المقصود هنا المشقة لانهم
اكرهوا عليه الراغب قيل الكره والكره واحد كالضعف والضعف وقيل الكره

بالفتح

بالفتح المشقة التي تنال الانسان من خارج مما يحمل عليه باكراه والكره بالضم ما يناله
من ذاته وهو يعافه اما من حيث الطبع او العقل او الشرع والقتال كره اي يكرهونه
من حيث الطبع ثم بين بقوله وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم انه لا يجب للانسان
ان يعتبر كراهيته للشيء او محبته له حتى يعلم حاله وكرهت يقال فيهما جميعا الا ان
استعماله في المضموم اكثر واكرهت في المفتوح اكثر انتهى وقال ابو حيان ذهب بالفتح
ايضا اما على انه مصدر بمعنى المضموم او بمعنى الاكراه على سبيل المجاز كانهم اكرهوا عليه
لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم وذهب بعضهم الى ان الكره بالفتح هو المصدر واما بالضم
فاسم للمفعول كالاكل بمعنى الماكول وعسى ان تكرهوا شيئا من حيث الطبع كالغزو لما فيه
من المشقة والخطر وهو خير لكم من حيث الشرع لما فيه من احدى الحسنيين اما الظفر
والغنيمة او الشهادة وعسى ان تحبوا شيئا كالقعود عن الغزو وهو شر لكم لما فيه من
الذل والفقر وحرمان الغنيمة والاجر وعسى في الجملة الاولى للاشفاق وفي
الثانية للترجي ووقوع من الله جريا على عادة العرب في كلامهم والملوك في مواعيدهم
تجانة واجلالا مع ارادة التحقيق الراغب الخير ما يرغب فيه الكل والشر ضده
ويستعملان اسمين ووصفين بمعنى افعل التفضيل والذي هنا من الاول
الاصبهاني الشر الشرر واصله من شررت الشيء اذا بسطته فهو انبساط الاشياء
الضارة والله يعلم ما فيه مصالحكم وانتم لا تعلمون ذلك فبادروا الى ما يامركم
به وان شق عليكم والمقصود منه الترغيب في الجهاد لان الانسان اذا علم ان
الله يعلم ما لا يعلمه ثم علم انه لا يامره الا بما فيه صلاحه علم قطعا ان الذي يامره
به يجب امتثاله وان كرهه طبعه او احبه وهذه الجملة في هذا المقام تجري مجرى
قوله في جواب الملائكة اني اعلم ما لا تعلمون يسألونك عن الشهر الحرام
لما فرض القتال ذكر ما يتعلق به من حيث الزمان قتال فيه بدل اشتمال
من الشهر الحرام وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر بتقدير همزة الاستفهام وقرئ قتل
قل قتال فيه الكرماني لم يعرفه باللام كما تعرف النكرة اذا اعيدت
لان الثاني هنا ليس بالاول زاد في المنتخب لان الاول الذي سالوا
عنه قتال عبد الله بن جحش وكان لنصرة الاسلام واذلال الكفر فليس هو من
كبير انما الكبير قتال غير هذا وصد الراغب الصد يكون صرفا ومنعا كما هنا
وانصرافا وامتناعا نحو ويصدون عنك صدودا والمسجد الحرام قيل هو عطف
على مجرور الباء وقيل على مجرور عن وفصل بقوله وكفر به لفرط العناية به وهو
كما في قوله ولم يكن له كفوا احد فان موضع له بعد كفوا ولكن قدم لفرط العناية
به وقرئ بالرفع على ان الاصل وكفر بالمسجد حذف الباء ثم اضيف بعد حذف
المضاف اليه مقامه والفتنة اكبر من القتل اشد كما في الاية السابقة لمناسبة
ما قبله من قوله كبير واكبر عند الله وفيها اي في هذه الاية نوع من الجدل
وهو المعارضة فانهم لما استعظموا القتال في الشهر الحرام قيل لهم هو كبير
لكن عارضه صدور ما هو اكبر منه منكم واذا تعارض امران قدم مراعاة الاشد
منهما ولا يزالون يقاتلونكم فيه تلوين الخطاب وهو مخاطبة الامة بعد النبي

صلى الله عليه وسلم تشريفا له ان يخاطب بمضمونه **حتى** للتعليل بمعنى كي ذكر لتهييج المومنين
وتحضهم على قتالهم **ان استطاعوا** قال الزمخشري استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل
لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق بانه لا يظفر به ولما تضمنت الجملة ذكر
الارتداد استطرد الى حكمه ذكره شرفا فقال **ومن يرتدد الاية**
فيه النوع البديعي المسمى بالمزاوجة وهو ان يزاوج بين معنيين في الشرط والجزاء
ثانيهما مرتب على الاول وهنا زاوج في الشرط بين الردة والموت عليها بالفاء وفي
الجواب بين احباط العمل والخلود في النار والثاني مرتب على الاول كما لا يخفى
وهذا النوع مثاله في القران عزيز جدا ومثاله في الشعر • اذا ما نهى الناهي
فلج بي الهوى • اصاخت الى الواشي فلج بها الهجر • ومن ذهب الى ان الردة تحبط
العمل وان لم تتصل بالموت قال في الاية لف ونشر لان الحبوط عائد الى الارتداد
والخلود في النار عائدا الى الموت على الكفر وروعي في اول الكلام لفظ من
وفي اخره معناها ولما كانت هذه الاية نافية لاثم الذين جاهدوا وقتلوا
في رجب في سرية بن جحش وظنوا انهم ان سلموا من الاثم فلا اجر لهم نزلت الاية
التي بعدها مقررة لثبوت الاجر لهم وعلقه بالرجا حيث قال
يرجون رحمة الله لانه مشروط بالموت على الايمان وهذا الشرط غير متيقن لان
العاقبة مستورة عنهم فلا يحصل لهم الا الرجا وتعليما للعباد ولئن يلغوا من
العبادة الغاية القصوى ان يكونوا على الرجا الممتزج بالخوف لا على الطمانينة
والجزم وقدم فيها الايمان ثم الهجرة ثم الجهاد كما هو الواقع وافرد الايمان بموصول
لانه اصل ومما فرعان قاد رجا في موصول واحد وجي باولئك لما تقدم في اول
السورة ولما ذكر رجاهم رحمة الله اخبر تعالى انه متصف بالرحمة وزاد وصفا اخر
وهو الغفران **يسلونك عن الخمر** مناسبة الاية لما قبلها انه تعالى لما ذكر مصرف النفقة
في الوجوه التي ذكرها بين هنا نوعين من مصارف المال وذمهما فكان ذكر المصرف
الخبيث بعد المصرف الحسن كذكر قصة ان الذين كفروا بعد الذين يومنون ورحمته
بعد ذكر المنفق ايضا **والميسر** هو القمار مصدر من يسر كالموعد واشتقاقه من اليسر
لانه اخذ حصل المال بيسر وسهولة من غير كد او من اليسار لان الماخوذ
منه سلب يساره **اثم كبير** قرئ بالموحدة والمثلثة ووجه الاول ان المبالغة
في تعظيم الذنب انما تكون بالكبر لا بالكثرة بدليل كبائر الاثم حوبا كبيرا ووجه
الثاني انه تعالى وصف فيهما انواعا كثيرة من الاثم في اية المائدة وانه قابله
بقوله ومنافع وهي اعداد كثيرة فكذا الاثم وصار التقدير فيهما مضار كثيرة ومنافع
كثيرة **واثمهما اكبر** قرا ابن مسعود اكثر بالمثلثة وفر الى بدله اقرب
ويسلونك ماذا ينفقون الاصبهاني هذا السوال قد تقدم ذكره فاجيب عنه
بذكر المصرف واعيد هنا فاجيب بذكر الكمية **العفو** قال ابن عباس الفضل عن العيال
قرئ بالنصب بتقدير انفقوا وبالرفع بتقدير هو والذي ينفقونه كذلك قيل انما افرد
الخطاب والمخاطب جماعة لانهم في معنى القبيل ويجوز ان يكون الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم **تتفكرون في الدنيا والاخرة** اي في زوال تلك وفنائها واقبال هذه وبقائها

فتزهدوا

فتزهدوا في الفاني وترغبوا في الباقي وصرح بمتعلق التفكر اول موضع ثم حذفه في بقية
المواضع للعلم به وقيل هو متعلق بيبين وفي الاية تقديم وتاخير وجملة التفكر معترضة
ويسالونك عن اليتامى لما امرهم باصلاح اموالهم حيث امرهم بانفاق العفو
عقبه بالامر باصلاح اموال محاجيرهم لانهم يتصرفون عليهم بالانفاق وغيره **اصلاح
لهم** قرا طاوس اليهم على تضمينه معنى الاحسان ونكره ليفيد العموم البدلي في كل اصلاح
يتعلق بالمال او بالبدن مخالف ما لو عرفه فكان يفيد اما العموم الشمولي وهو غير
ممكن وقوعه او العهد في اصلاح خاص **وان تخالطوهم** قال ابو حيان فيه التفات
من يسالونك وليس كما قال بل هو داخل في القول ولما كانت المخالطة
هو المسئول عنه صرح بها في الجواب مكتنفة بذكر الاصلاح قبل وبعد وابرزت
في صورة الشرط لانها انت لجواز الوقوع لا للطلب وندب وجعل الجواب
فاخوانكم اي فهم اخوانكم دون تجارا ونحوه بحث على قصد الاصلاح والنصيحة
كان ذلك شان الاخ مع اخيه ولذا لم يقل فاولادكم المناسب لكونهم اطفالا لان
الغالب عند الاخوة التعاطف والتواد والتعاون والاصلاح ذكر الاخوة له
وقرئ بالنصب بتقدير فتخالطون **والله يعلم المفسد من المصلح** جملة معناها
التحذير والمجازاة وعدى يعلم بمن لتضمنه معنى يميز **ولو شاء الله لاعنتكم** اي
لضيق عليكم بمنع المخالطة ذكرهم بنعمته في ذلك ليلطفوا عند ما حالا لهم من المخالطة
باصلاح ولا تجاوزوه الى المخالطة بافساد الراغب المعانتة كالمعاندة لكن المعانتة
ابلغ لانها معاندة فيها خوف هلاك ولهذا يقال عنت فلان اذا وقع في امر يخاف
منه التلف **ان الله عزيز حكيم** الطوفي هو مناسب لما قبله لان الاعنات هو الايقاع
في امر شاق وذلك لا يتحقق الا بعزة وحكم وعلته وقهر **ولا تنكحوا** ابو حيان مناسبة
الاية لما قبلها انه تعالى لما ذكر تحريم الخمر من المشروبات وما جر اليه الميسر من الماكولات
عقبه بتحريم المشركات من المنكوحات وايضا فلما ذكر حكم اليتامى في المخالطة
وكان من انواعها المناكحة حتى ان بعضهم فسرها بالمصاهرة فقط ناسب الاستطراد
الى ذكر المنكوحات والقراءة بفتح التاء من نكح وقرئ بضمها من انكح ولا تنكحوا انفسكم
المشركات ولم تقرا في الثاني الا بالضم اذ لا يصح فيه المعنى الاول وحذف مفعوله
الثاني اي ولا تنكحوا المشركين المومنات وعدل عن قوله ولا تنكحوا المشركين
وان كان ذلك خولف لمقابلة للاشارة في اعتبار الولي قاله في المناجاة الراغب
اصل النكاح للعقد ثم استعير للجماع ومحال ان يكون في الاصل للجماع ثم استعير للعقد
لان اسما الجماع كلها كنايات لاستقباحهم ذكره كاستقباح تعاطيه ومحال ان يستعير
من لا يقصد فحشا اسم ما يستقبحونه لما يستحسنونه **ولامة مومنة** ابن الحاجب
المراد كل امة مومنة فهو المصحح للابتدا لا الوصف **خير من مشركة** اي من حرة مشركة
فنبه طباق قال وقيل لا تقدير واطلاق المشركة ليعم الحرة والامة تنبيها على ان الحرية
عليها باعتبار الشرك فقط دون الحرية قلت ويحتمل ان يقدر في الجملة الاولى
ولو كرهتم في مقابلة قوله في الثانية ولو اعجبتكم كما قدر في الثانية حرة في
مقابلة قوله في الاولى ولامة فيكون في الاية احتباك وثلاث طباقات وخير

في الموضعين لا تفضيل فيه اذ لا خير في المشرك البتة قال تعطويه لفظ التفضيل
يجي في كلام العرب ايجابا للاول ونفيا عن الثاني لقوله تعالى اصحاب الجنة
يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا وقولهم العسل احلى من الخل اولئك اشارة
الى المتقدمين المشركات والمشركين قصد به بيان العلة لما ذكر من الحكم يدعون
اما بالقول او بالمعنى بسبب المحبة والمخالطة وحذف مفعوله تنزيلا له منزلة اللازم
اي من شانهم الدعاء او مقدرا اي يدعونكم او من ناكحهم الشيخ سعد الدين فيه
استعمال المشترك في معنييه لان صيغة يدعون للمذكر والمونث
الا ان الواو على الاول ضمير والنون حرف وعلى الثاني النون ضمير والواو لام الفعل
الى النار اي الكفر المودي اليها تعبيرا بالمسبب عن السبب والله يدعوا عبر به بدلا
عن والمومنون يدعون الذي هو حق المقابلة مبالغة في ان الكفار في جانب
من جانب الله وتشريفا للمومنين حيث اقام سبحانه دعاه مقام دعائهم
والمغفرة بالجر عطفا على الجنة وبالرفع مبتدا خبر باذنه اي بامره على الاول
وبتوفيقه وتيسيره على الثاني ابو حيان قدمت الجنة هنا على المغفرة واخرت في قوله
الى مغفرة من ربكم وجنة لان الاصل تقديم المغفرة لانها سبب لدخول الجنة
والسبب متقدم على المسبب وانما هنا فرعي حسن المقابلة في قوله قبل يدعون
الى النار ويبين اياته للناس اي لا يخص تبيينها باحد دون احد ويسالونك
ذكر تعالى يسالونك في ستة مواضع فذكر الثلاثة الاول بغير واو والثلاثة
الاخيرة بالواو لان سوالهم عن الحوادث الاول وقع في احوال متفرقة لا يتصل
بعضها فلم يوت فيها بحرف العطف لان كل واحد من تلك السوالات سوال مبتدا وسوالهم
عن الثلاثة الاخيرة في وقت واحد فجي بحرف العطف دلالة على الجمع المحيض
يحتمل المصدر والمكان والزمان ويويد الاول قل هو اذى والثاني
فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن موكد بقوله فاعتزلوا حتى يطهرن
بالتخفيف اي ينقطع بانقطاع الدم وبالتشديد اي يتطهرن بالماء قاله ذلك
القراتان وجوب للامرين او وجوب الاول وندب الثاني فاتوهن امر اباحة لانه
بعد الحظر ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين اعتراض للحث على الطهارة وتجنب
الوطي في الحيض او الدبر الطوفي هو مناسب لقوله يطهرن وهو من باب
رد العجز على الصدر نساؤكم حرث لكم اي موضع حرثكم اي زرعكم استعارة تشبيه الجماع
بالنطفة لزرع والنطفة بالبذر والرحم بالارض والولد بالنبات الراغب وجه
المشبه ان بهما بقا نوع الانسان كما ان الزرع به بقا اشخاصهم فاتوا حرثكم انى شئتم
تمثيل باعتبار تشبيه المجموع من اتيان قبل المراة اي بمجموع اتيان الاراضي التي
يزدرع فيها من اي جهة كانت فان وجه الشبه اذا كان مجموعا ماخوذا من امور
يسمى تمثيلا اي جامعوهن من اي جهة اردتم كما تاتون اراضيكم التي تريدون ان
تحرثوها من اي جهة كانت شئتم واني يحتمل ان تكون بمعنى كيف وبمعنى من
اين وبمعنى متى والثلاثة مروية عن السلف فالاول لعموم الاحوال والثاني لعموم
الجهات والثالث لعموم الاوقات وفي قول رابع انها بمعنى حيث شئتم وهو عن ابن عمر

وهو

67

وهو عن ابن عمر وهو لعموم المكان الاتي فيه تنبيها على رايه من اباحة الوطي في الدبر الكشاف
قوله هو اذى فاعتزلوا النساء من حيث امركم الله فاتوا حرثكم من الكنايات اللطيفة
والتعريضات المستحسنة وهذه واشباهها في كلام الله اداب حسنة على المومنين
ان يتعلموها ويتادبوا بها في محاوراتهم ومكاتباتهم الثعلبي هذه من الطرف
كنايات القران حيث عبر بالحرث عن الفرج وقدموا لانفسكم ما يدخر لكم عمله
فامتثلوا اوامره ولا تجسروا على مناهيه واعلموا انكم ملاقوه فيجازيكم وعيد وتهديد
وبشر المومنين بالثواب والكرامة والقصد به رعاية الترتيب المعتبر في القران
وهو ان يعقب كل وعيد وعدا قال الطوفي هو مناسب لقوله وقدموا لانفسكم
واتقوا الله لان تقديم الخير والتقوى سبب الفلاح الموجب للبشرى ابو حيان
في الالتفات من امرهم الى امر الرسول بالتبشير تانيس عظيم ولم يات بضمير الغيبة
بل بالظاهر لدلالته على الوصف الاسنى ولكونه فاصلة ولا تجعلوا الله ابو حيان
مناسبة الاية لما قبلها انه تعالى لما امرهم بالتقوى وحذرهم يوم المعاد نهاهم عن ابتذال
اسمه وجعله معرضا لما يحلفون عليه دائما لان من يتقي ويحذر يجب صيانة
اسمه وتنزيهه عن ان يذكر في كل ما يحلف عليه من قليل وكثير وعظيم وحقير
عرضة فعلة بمعنى مفعول كغرفة وقبضة يقال فلان عرضة لكذا اي
معرض له الراغب العرضة ما يجعل معرضا للشي ان تبروا مفعول له اي كراهة
ان تبروا او لئلا تبروا واعرب من جعله مبتدا خبره محذوف اي امثل لكم او خير من
ان تجعلوا الله عرضة قال ابو حيان هو على نزع الخافض اي لايمانكم على ان
والله سميع عليم قال ابو حيان الختم بهما مناسب لان السميع يناسب الحلف لانه من
المسموعات والعليم يناسب ارادة البر والتقوى اذ محلهما القلب الطوفي معنى الاية
ان يدعى الشخص الى معروف من بر او تقوى او اصلاح بين خصوم فيقول علي يمين ان لا
ادخل في شي من هذا فنهوا عن ذلك لانه وسيلة الى سد باب المعروف
بل ينبغي ان يجيب اليه وان كان قد حلف ويكفر عن يمينه كما في الحديث وحيث ظهرت
مناسبة الفاصلة لمضمون الاية فالمعنى والله سميع لاعتذاركم باليمين عليم بقصدكم
بذلك الاعتذار لا يواخذكم لما نهى عن جعل اسمه عرضة للحلف وكان حصا لما ذاكره
الايمان بين ان ما سبق اليه اللسان من اليمين من غير قصد غير مواخذ به واصل
اليمين العضو واستعمل للحلف لما جرت العادة من تصافح المتعاقدين ولكن
يواخذكم بما كسبت قلوبكم هو مفسر لقوله في المائدة بما عقدتم الايمان كما ان اية
المائدة مفسرة للمواخذة المذكورة هنا بقوله فكفارته الى اخره فكل من الايتين
مجملة من وجه ومبينة من وجه اخر فصار كل منها مفسرا للاخرى ووقعت
لكن هنا احسن موقع لكونها بين ضدين وما موصولة وقيل مصدرية وقيل نكرة
موصوفة الطيبي اصل الكسب لما يزاول باليد كقوله كسبت ايديكم فاستعماله
في القلب استعارة فيفيد المبالغة الراغب قوله بما كسبت قلوبكم اعم من قوله بما
عقدتم الايمان لان القلب ما كان يعبر به عن الجزء الذي به المعرفة والتفكر
من سائر اجزائه يجري الاجي من الرعي تنبيها بقوله بما كسبت قلوبكم ان الاعتداد به دون

غيره من الجوارح حتى ان كل فعل لا يكون به او عنه سهوا وخطا متجاوز عنه **والله غفور**
مناسب لما لا مواخذة فيه وهو الجملة الاولى **حليم** مناسب لما فيه المواخذة وهو الجملة
الثانية **للذين يؤلون** ابو حيان مناسبة الاية لما قبلها ظاهرة لانه تقدم شي من ذلك
النادي من احكام الايمان وهذه الاية جمعت بين الشيئين واقول لما كانت
هذه الايات كلها في احكام التنابذي بالنكاح في قوله ولا تنكحوا المشركات الاية لا
لانه اول وسابق على غيره من احكامهن ثم باحكام الوطي في الاية التي تليه لانه المقصود
الاعظم منه ثم لما اريد بيان الطلاق ذكر قبله الايلا الذي هو قريب منه في تحريم
الوطي لانه من متعلقات الحكمة العصمة ولان الطلاق يعقبه اذا امتنع من الفيئة
ولما كان يمينا صدر بالكلام على الايمان اجلالا من النهي عن الاكثار من الحلف بالله لا
والتصميم على ما حلف عليه اذا كان البر في الحنث والاخبار بان اللغو من الايمان
لا يواخذ به انما يواخذ بما تعمده القلب وذلك كالمقدمة للمقصود ثم فرع عليه الايلا
الذي قصد بالذات وهو يمين خاص في نوع خاص واخبر انه ان لم يفي بعد المدة فليس
الا الطلاق ثم عقبه بان المطلقات يتربصن للاعتداد وان الرجعية منهن لزوجها
الرجعة في العدة لا بعد انقضائها ثم اخبر ان الزوج يملك الرجعة في طلقتين ما لم تكن
افتدت نفسا منه بالخلع فهي اخص بنفسها ثم اخبر انه اذا طلق الثالثة حرمت عليه حتى
تنكح زوجا غيره فاذا طلقها الثاني حلت للاول بشرطه ثم حث الازواج على الاحسان
في حقهن وترك المضارة وانه لا تصلح المراجعة والامساك بقصد الاضرار ثم حث الاوليا
على اجابة الزوجات في العود الى ازواجهن ونهاهم عن العضل ثم بين احكام الاولاد
في الارضاع والنفقة والفطام ثم بين عدة المتوفى عنها ثم بين احكام الخطبة في
العدة وغيرها ثم احكام المطلقة قبل الدخول في المهر فجعل للمسمى لها النصف ولغيرها
المتعة ثم بين ان لجميع المطلقات المدخول بها المتعة من رجعية وغيرها وخلل في ضمن
ذلك بالامر بالمحافظة على الصلوات لان المذكور من امر الزوجات والاولاد تشغل
من العبادة والمحافظة عليها فنبه على الاهتمام بالمحافظة عليها وترك الغفلة عنها
حتى في حال القتال والخوف الذي هو اشغل للقلب من امر الزوجات والاولاد وبهذا
الذي قررناه عرفت مناسبة ترتيب هذه الايات كلها وقرا ابن مسعود وابن
عباس يقسمون **من نسائهم** قيل من بمعنى على لان يولون انما يتعدى بها وقيل ضمن
معنى يمتنعون فعدي بها **تربص اربعة اشهر** من اضافة المصدر الى ظرف الزمان توسعا
والاصل تربصهم اربعة اشهر والتربص التوقف والانتظار قال ابو حيان وهو مقلوب
التصبر **فان فاؤا** الراغب الفيئة الرجوع الى حالة محمودة وقرا ابن مسعود فان فاؤا
فيهن واي فيها **فان الله غفور رحيم** ختم بها لبيان ان الايلا معصية والفيئة توبتها
والتوبة تسقط الذنب وتقتضي المغفرة والرحمة **وان عزموا الطلاق** العزم ما يعقد عليه
القلب ويصمم والطلاق نصب باسقاط على او تضمين عزموا معنى نووا وقرا
ابن عباس السراح قال ابو حيان ويظهر ان جواب الشرط محذوف
تقديره فليوقعوه **فان الله سميع** اي لما قاله المطلق **عليم** اي لما كان له المطلق اي بما تقلبه
الكشاف فان قلت عزم الطلاق مما يعلم ولا يسمع قلت الغالب ان العازم للطلاق وترك الفيئة

لا يخلوا

لا يخلوا عن مقاولة ودمدمة ولا بد له ان يحدث نفسه ويناجيها بذلك وذلك حديث
لا يسمعه الا الله كما يسمع وسوسة الشيطان ابو حيان سميع مناسب لايقاع الطلاق
المقدر لانه مسموع وعليم مناسب للعزم واخر للفاصلة ولانه ابلغ من السميع وكذا قال
الطوفي **والمطلقات يتربصن** خبر بمعنى الامر وهو ابلغ في تاكيده لاشعاره بانه مما يجب
ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانه امتثل وصار موجودا فاخبر عنه وبناؤه على المبتدا
مما زاده ايضا فضل تاكيد ولو قيل ويتربصن المطلقات لم تكن تلك الوكادة
فالبنا على المبتدا يفيد التاكيد لا التخصيص ايضا **بانفسهن** قيل الباء زائدة في التاكيد
والفائدة في ذكر الانفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لان فيه ما يستنكفن
منه فيحملهن على ان يتربصن فان انفس النسا طوامح الى الرجال فامرن ان يقمعن انفسهن
ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص **ثلاثة قروء** اتى بجمع الكثرة دون اقراء
اتساعا باستعمال احد الجمعين مكان الاخر لاشتراكهما في الجمعية كما اتى بجمع القلة
في انفسهن مكان نفوسهن والمقام له اذ هي نفوس كثيرة قاله في الكشاف
قال ولعل القروء كانت اكثر استعمالا من الاقراء فاوثر عليه وقال
الكرماني لما ذكر النسا وكان لكل واحدة ثلاثة اقراء جا لكثرتهن بلفظ الكثير
وقرئ قرو بالتشديد بدل الواو بدلا من الهمزة وقرئ بفتح القاف مفردا من اضافة العدد
الى اسم الجنس لاطلاقه على الواحد والجمع **ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن**
اي من الحيض والولد قال الزمخشري ويجوز ان يراد اللاتي يبغين اسقاط ما في
بطونهن من الاجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في ارحامهن كناية
عن اسقاطه **ان كن يؤمن** ليس شرطا في النهي بل تعظيم لفعلهن وان من امن
بالله وبعقابه لا يجترئ على مثل ذلك **وبعولتهن احق بردهن** تخصيص بعد تعميم
لان المطلقات عام والضمير هنا عايد له باعتبار الرجعيات خاصة ونظيره
قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا مع قوله وان جاهداك
وهو خاص بالمشركين وفي بعولتهن مجاز الكون واحق لا تفضيل فيه اذ لا حق لغير
البعولة في الرجعة ويجوز ان يكون تفضيلا اي منهن اي املك لامرهن منهن
وقرئ بسكون التاء من بعولتهن فرارا من ثقل توالي الحركات كما قرئ بسكون نحو بارئكم
وذكر ابو عمرو ان ذلك لغة تميم وقرا ابي بردتهن **ان ارادوا اصلاحا** مفهومه عليه
لا شرط في جواز الرجعة **ولهن مثل الذي عليهن** قال ابو حيان هذا من بديع الكلام
اذ حذف من الاول ما اثبت نظيره من الثاني وعكسه والتقدير
ولهن على ازواجهن مثل الذي لازواجهن عليهن **وللرجال** فيه اقامة الظاهر
مقام المضمر للتنويه بذكر الرجولية التي بها ظهرت المزية للرجال على النسا ولما
من قلق توالي المضمرات لو قيل ولهم **درجة** الراغب الدرجة نحو المنزلة لكن يقال
بالصعود دون الامتداد على البسيط ولذلك عبر بها عن المنزلة الرفيعة **والله عزيز
حكيم** الطوفي هو مناسب للاية لانها تضمنت احكاما وهي على وفق الحكمة ولا بد لنفوذها
من عزة وغلبة وحكمة قاهرة **الطلاق مرتان** الزملكاني هذا الفصل في المعنى شرط وجزا
والتقدير فمن طلق امراته مرتين فليمسكها بعدها بمعروف او ليسرحها باحسان ونظيره

ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون وهذه حكاية من الكفار ثم قال في جوابه انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون والتقدير ان كشفنا العذاب تعودوا الاصفهاني اللام في الطلاق للمعهود السابق اي الطلاق الذي حكمنا بثبوت الرجعة فيه وانما قال مرتين لا دفعة واحدة ولما كان الاهم عدم المراجعة دايما التي كان عليها اهل الجاهلية صرح بذلك او تسريح اي ارسال ولا يحل لكم الى اخر الاية قال صاحب النظم هو اعتراض والتقدير الطلاق مرتان فان طلقها الثالثة فلا تحل له الاصفهاني وقوع ذكر الخلع بين الطلقتين والثالثة كالاجنبي لكن لما كان الرجعة والخلع لا يصحان الا قبل الطلقة الثالثة فاما بعدها فلا ذكر حكم الرجعة ثم اتبعه بحكم الخلع ثم ذكر الطلقة الثالثة لانها كالخاتمة لاحكام الطلاق قال ابو حيان لما قال او تسريح باحسان اقتضى ذلك ان من الاحسان ان لا ياخذ الزوج من امراته شيا مما اعطاها واستثنى من ذلك قصة الخلع الزملكاني ضمن هذا الفصل المذكور لبيان عدد الطلاق المحرم فصلا اخر وهو حكم الخلع ثم انه خاطب الجميع فيما اعترض من حكم الاختلاع ثم رجع الى الزوجان فقال الا ان يخافا ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ومن قراها فانضم اليا فلمخاطبة الحكام والمعنى بان لا يحل لهما ان يحكما بالمزوج بالاخذ الا بالجهة التي اذن الله بها فلما فرغ من هذا الفصل عاد الى تكميل بيان الطلاق المحرم فقال فان طلقها يعني الزوج المطلق تطليق الطلقة الثالثة فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها يعني الزوج الثاني فلا جناح عليهما يعني الزوج الاول والمراة المطلقة فهذه فصول ادرجت في اثناء الفصل المسوق لبيان عدد الطلاق الكشاف فان قلت لمن الخطاب في قوله ولا يحل لكم ان تاخذوا ان قلنا للازواج لم يطابقه قوله فان خفتم ان لا يقيما فان الخطاب فيه للايمة والحكام او للايمة والحكام فهؤلاء ليسوا باخذين منهم ولا بموتين قلت يجوز الامران ان يكون اول الخطاب للازواج واخره للحكام وذلك كثير في القران وغيره وان لا يكون كله للحكام لانهم الذين يامرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم والخوف هنا بمعنى العلم ومن قرا بضم اليا فانه بدل اشتمال من الف الضمير قلت واذا جعلنا الخطاب في ولا يحل لكم للازواج ففي قراءة يخافا التفات عن الخطاب وقرا ابن مسعود وان تخافوا ان لا يقيموا بالغيبة ايضا ففيه التفات وتغليب وقرئ كذلك بالخطاب فلا التفات الفارق قوله فلا جناح عليهما اي على المجموع والمراد الزوج كقوله يخرج منهما اللؤلؤ نسيا حوتهما وقرا ابي ان يظنا وذلك اشارة الى جميع ما تقدم من احكام الطلاق والرجعة والخلع وعدم المضارة والاخذ الامام في ختم هذه الاية بقوله فاولئك هم الظالمون وجوه احدها انه تعالى ذكر في سائر الايات الا لعنة الله على الظالمين فذكر الظلم ههنا تنبيها على حصول اللعن ثانيها ان الظلم اسم ذم وتحقير فوقوع هذا الاسم يكون جاريا مجرى الوعيد ثالثها انه اطلق لفظ الظلم تنبيها على انه ظلم من الانسان لنفسه حيث اقدم على المعصية وللغير بما اتاه في حقه وفيه اعظم التهديدات وقال الطوفي الختم بالظلم مناسب لقوله ومن يتعد حدود الله كما قال ومن يتعد حدود الله فقد ظلم

نفسه

نفسه حتى تنكح زوجا غيره ابن عبد السلام الغاية باقية على اصلها فانها بمجرد النكاح يرتفع تحريمها الناشي من الطلاق الثلاث ويخلفه تحريم كونها زوجة الغير حتى يطلق وتنقضي عدتها وتحل له مطلق لا عموم له فيقتضي ثبوت فرد من افراد الحل ورفع فرد من افراد التحريم لا الجميع قيل وكل ما في القران من لفظ النكاح فالمراد به العقد الا هنا فالمراد به الوطي قال ابو علي فرقت العرب بالاستعمال فاذا قالوا نكح فلان فلانة ارادوا عقد عليها واذا قالوا نكح امراته او زوجته ارادوا به الوطي قال الاصفهاني وهذا كلام محقق لان الزوجية تفهم حصول العقد قبل ذلك فلم يبق لاضافة النكاح الى الزوجة معنى الا الوطي فان طلقها اي الزوج الثاني قبل وجي بان دون اذا تنبيها على ان طلاقه يجب ان يكون على ما يخطر له دون الشرط له لان اذا للمحقق وان للمبهم وما يحتمل الوقوع وعدمه فلا جناح عليهما اي الزوج الاول والمراة ان ظنا الكشاف من فسر الظن هنا بالعلم فقد وهم لان الانسان لا يعلم ما في الغد انما يظن ظنا يبينها قرئ بالنون على الالتفات واذا طلقتم النساء الاية الاصفهاني ان قيل معنى هذه الاية هو بعينه معنى قوله الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان فذكر هذه الاية بعد تلك تكرار بلا فائدة اجيب بان من حمل هذه الاية على انه كلام مبتدا مفيد لعدم مشروعية الجمع بين الطلقات سقط عنه هذا السؤال لان تلك في بيان كيفية الجمع والتفريق وهذه في بيان كيفية الرجعة ومن حمل تلك على بيان كيفية الرجعة فهو وارد عليه وله ان يقول ان من ذكر حكما يتناول صورا كثيرة وكان اثبات ذلك الحكم في بعض تلك الصور اهم لم يبعد ان يعيد بعد الحكم العام تلك الصورة الخاصة مرة اخرى ليدل على ان في تلك الصورة من الاهتمام ما ليس في غيرها وههنا كذلك لان قوله الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان فيه بيان انه لا بد في مدة العدة من احد هذين الامرين ومن المعلوم ان رعاية ذلك عند مشارفة العدة على الزوال لا بد من رعاية احد هذين الامرين ومن المعلوم ان رعاية ذلك عند مشارفة زوال العدة اولى بالوجوب من سائر الاوقات التي قبلها قلت خصوصا ان الاية نزلت فيمن قال لامراته والله لا طلقتك فتبيني مني ولا اويك ابدا قالت وكيف ذلك قال اطلقك فكلما همت عدتك ان تنقضي راجعتك اخرجه الترمذي والحاكم فلما كانت هذه الواقعة هي السبب في نزول هذه الاية بدئ اولا ببيان عدد الطلاق وانحصاره في الثلاث وتحريم المراة بعد الثالثة حتى تنكح زوجا اخر واشير في اول الاية الى المامور به من الامساك بمعروف او التسريح باحسان في ضمن اباحة الرجعة بعد الطلقتين ثم افردت في ذلك اية لزجر الواقع منه ذلك على طريق البسط بذكر صورة الواقعة وهي كونه عند بلوغ الاجل وبتاكيد ذلك بقوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا وبالوعيد عليه بالجمل التي بعد ذلك والحاصل ان ذكر الامساك بمعروف والتسريح باحسان في هذه الاية على طريق الاصالة والقصد بالذات وفيما قبل على طريق الرمز والاشارة والاستتباع وانتهاز الفرصة في ايصاله الى ذهن السامع اولا في ضمن بيان الاحكام

لم يودع قلبه الى ان يأتيه في تمامه كلام طويل يناسبه ولهذا كان في الاية الاخيرة
من الاطناب والتأكيد والوعيد والزجر والوعظ والنصح والتهديد ما ليس
في الاولى شيء منه واضاف الاجل اليهن لانه امس بهن ولهذا قيل الطلاق للرجال
والعدة للنساء الكرماني قرئ هنا ولا تمسكوهن بالتخفيف فقط وفي غير هذه الاية
بالوجهين لمناسبة قوله قبله فامساك فامسكوهن الاصبهاني ان قيل لا فرق بين قوله
امسكوهن بمعروف وبين ولا تمسكوهن ضرارا لان الامر بالشيء نهي عن ضده او مستلزم له
فما الفائدة في ذكره اجيب ـــــ بان الامر لا يفيد التكرار فلا يتناول كل الاوقات
والنهي يتناول كل الاوقات فلعله يمسكها بمعروف في الحال وفي قلبه ان يضارها
في المستقبل فقال ولا تمسكوهن ضرارا لدفع ذلك وضرارا مفعول له **وما انزل**
من عطف الخاص على العام وقيل مبتدأ خبره يعظكم **بكل شيء عليم** الطوفي مناسب لما تضمنه
الاية لان الامساك ضرارا وعدوانا واتخاذ الايات هزوا مرجعها الى نية الاسباب
وقصد **واذا طلقتم النساء الاية** اولها خطاب للازواج بالاجماع وقوله فلا تعضلوهن
خطاب للاولياء عند الاكثرين ويؤيده سبب النزول فازواجهن مجاز باعتبار الكون
وللازواج عند اخرين فازواجهن مجاز باعتبار الاول وبلغن اجلهن هنا على حقيقته
وفي الاية قبلها اريد به مشارفة البلوغ ومقاربته قال الشافعي دل سياق الكلامين
على افتراق البلوغين لانه نهى عن العضل الشديد بالعضل المتناول من الحيوان ويجوز ان يراد
في كل مشدد ابو حيان جعل الخطاب في اول الاية للازواج وفي اخرها للاولياء ـــ
فيه تنافر في الخطاب وبين الشرط والجزاء والاولى بما ذكره ابن عطية والزمخشري
ان الخطاب للمؤمنين على العموم الذين منهم الازواج ومنهم الاولياء واريد بالاول ذلك
البعض وبالثاني بعض اخر **ذلك يوعظ به** في الطلاق ذلكم قال الكرماني لما كان
الكاف حرف خطاب لا محل له من الاعراب جاز افراده وجمعه ومثله ثم عفونا عنكم
من بعد ذلك وقيل حيث جاء موحدا فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وخص التوحيد
هنا لقوله من كان منكم وجمع في سورة الطلاق لما لم يكن بعده منكم والقصد بهذه
الجملة التأكيد والتهديد قيل وفي الايتين انواع من البديع الطباق بين فامسكوهن
وسرحوهن والمقابلة في فامسكوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا وتلوين الخطاب حيث
خاطب اولا الازواج وثانيا الاولياء وثالثا للنبي صلى الله عليه وسلم ورابعا عامة
المؤمنين والتكرار في فبلغن اجلهن مع اختلاف البلوغين ومخاطبة الواحد بخطاب
الجمع لا تخاطب في واحد **والوالدات يرضعن** خبر بمعنى الامر الاصبهاني سواء كن
مطلقات او مزوجات فان اللفظ عام ولم يظهر ما يخصصه وقيل هو خاص بالمطلقات
لان الله تعالى ذكر هذه الاية عقب الطلاق وهذه الاية تتمة تلك الايات ـــ
ظاهرا ووجه ربط هذه الاية بما قبلها انه اذا حصلت الفرقة حصل التباغض والتعادي
وذلك يحمل المرأة على ايذاء الولد لتؤذي به الزوج المطلق ولانها ترغب في التزوج
باخر فتهمل امر الطفل فلهذا ندب الله الوالدات المطلقات الى رعاية جانب الاطفال
والاهتمام بشأنهم قال الاصبهاني ولقائل ان يقول ان الاية مشتملة على حكم مستقل اعتبار امه
فلم يجب تعليقها بما قبلها **حولين** لان غالب الحول السنة بانتقالها ودوران الشمس في مطالعها

ومقاديرها

ومقاديرها **كاملين** تأكيد لرفع التوهم لانه يجوز ان يقال اقمت حولين وهو لم يستكمل الثاني
لمن اللام للبيان **ان يتم** قرئ برفع يتم اما اهمالا لان واما على انه منصوب بحذف النون
والفعل للجماعة باعتبار معنى من وقرئ تتم بالفوقية اولاده ورفع الرضاعة وقرئ
بكسر الراء لغة وقرئ الرضعة وقرئ ان يكمل بضم الياء **وعلى المولود له** لم يقل الوالد
مع انه اخصر ليعلم ان الوالدات انما ولدت لهم لان الاولاد للآباء ولذلك ينسبون
اليهم لا الى الامهات فلذلك وجب عليهم رزق الامهات في ارضاعهم ولذلك ذكر باسم
الوالد حيث لم يكن من هذا المعنى في قوله لا يجزي والد عن ولده ابن عبد السلام
نبه تعالى على العلة التي لاجلها اختصت نفقة الولد بابيه دون امه لان اللام تشعر
بالنفع والولد ينفع اباه اكثر مما ينفع امه لانه يجمله في المحافل ويدفع عنه في الحروب
الى غير ذلك من وجوه المنافع التي لا تحصل للام ابو حيان لما كلفه المولود له سلاه بلام
التمليك وان الولد انما ولد له لا لامه **رزقهن** هو بكسر الراء اسم للمرزوق كالطحن
والرعي وقيل مصدر كالمفتوح **وكسوتهن** قرئ بضم الكاف لغة **بالمعروف** ـــ
قال في الكشاف تفسيره ما يعقبه وهو **لا تكلف نفس الا وسعها** الاصبهاني الوسع ما يسع الانسان
ضيقه ولو ضاق عنه لعجز عنه فالسعة بمنزلة القدرة ولهذا قيل الوسع فوق
الطاقة الراغب الوسع من القدرة ما يفضل عن قدر المكلف قال تعالى لا يكلف
الله نفسا الا وسعها تنبيها على انه يكلف دون ما تنوء به قدرته وقرئ تكلف بفتح التاء
على حذف احدى التاءين اي تتكلف وبالنون على الالتفات ونصب نفسا ابو حيان
تفسير هذه الجملة لينفق ذو سعة الاية **لا تضار** القراءة بالرفع خبرا والفتح نهيا
وبالسكون وتشديد الراء اجراء للوصل مجرى الوقف وقرئ بالسكون والتخفيف
على حذف الراء الثانية واجراء الوصل مجرى الوقف وقرئ بكسر الراء مشددة لالتقاء
الساكنين وتضارر بالفك مكسور الراء الاولى ومفتوحها فهذه سبع قراءات ـــ
والدة بولدها ولا مولود له بولده اضيف الولد في كل منهما استعطافا
والباء للسببية ابو حيان في هذه الجمل الاربع من بلاغة المعنى وفصاحة اللفظ ما لا يخفى
على من تعاطى علم المعاني فالاولى ابرزت اسمية وجعل خبرها فعلا لان الارضاع
مما يتجدد دائما ثم اضيف الاولاد الى الوالدات تنبيها على شفقتهن وهزا لهن وحثا
على الارضاع وجاء بلفظ العموم ليعم المطلقات وغيرهن والثانية ابرزت كذلك
وجعل الخبر جارا ومجرورا بلفظ على الدالة على الاستعلاء المجازي والوجوب فاكد بذلك
مضمون الجملة لان من عادة المرء منع ما في يده من المال واهمال ما يجب عليه من الحقوق
وقدم الخبر للاعتناء به وقدم الرزق على الكسوة لانه الاهم في بقاء الحياة والمتكرر
في كل يوم والثالثة ابرزت فعلية ليتجدد مضمونها وجيء بمرفوع الفعل نكرة في سياق
النفي ليعم ما سبق لاجله وغيره والرابعة كذلك وهي كالشرح للجملة قبلها لان النفس
اذا لم تكلف الا وسعها لا يقع ضرر لا للوالدة ولا للمولود له فلذلك جاءت غير معطوفة
بخلاف الثانية مع الاولى حيث عطفت عليها لتغايرهما وقدم عدم مضارة الوالدة
على المولود له مراعاة للجملتين الاوليين اذ بدئ فيهما بحكم الوالدات وثني بحكم المولود
له **وعلى الوارث** عطف على قوله وعلى المولود له وما بينهما تفسير للمعروف معترض

بين المعطوف والمعطوف عليه وقرئ وعلى الورثة فان ارادا اي الوالدة والمولود له
وقرئ اراد بالافراد وان اردتم خطاب للآباء وفيه التفات تسترضعوا اولادكم
قال الواحدي اي لاولادكم مراضع غير الوالدات فحذفت اللام اكتفاء بدلالة الاسترضاع
ما آتيتم اي اعطيتم اي اردتم ايتاءه وقرأ ابن كثير بالقصر بمعنى جئتم وفعلتم يقال
اتى جميلا اي فعله وقرئ ما اوتيتم مبنيا للمفعول اي آتاكم الله واعلموا ان الله بما
تعملون بصير قال الطوفي هو مناسب لما هو في سياقه من ادلة الرضاع لانه
لتضمنها تشاور الزوجين وامرار احدهما للآخر والمولود وبصير بمعنى عليم والذين
يتوفون اصل التوفية الاتمام ثم عبر بها عن الموت لانه يوافي عند تمام الاجل وقرئ
بفتح الياء قال ابن جني اي يتوفون ايامهم واعمارهم وآجالهم يتربصن اي بعدهم بحذف
العائد نحو السمن منوان بدرهم وجاءت الآية هكذا الا كقوله والمطلقات يتربصن
لانها توطية لقوله فلا جناح عليكم اذ القصد بالمخاطبة من اول الآية الى آخرها
للرجال قاله ابن عطية وعشرا حذف الهاء والمراد الايام تغليبا لليالي لانها سابقة على
ايامها قال ابو حيان وحسنه انه منقطع كلام فاشبه الفواصل
كما حسن قوله ان لبثتم الا عشرا لكونه فاصلة فلا جناح عليكم خطاب للاولياء
فيما فعلن في انفسهن بالمعروف وفي الآية الآتية من معروف قال في درة التنزيل
لان المراد بالاول المعروف من الشرع وهو الذي امر الله به وبالثاني وجه من الوجوه
التي لهن ان يفعلنه فاخرج مخرج النكرة كذلك وقال الكرماني
النكرة اذا تكررت صارت معرفة وهذه الآية وان تقدمت في الرسم على تلك
فهي متأخرة عنها في النزول فجيء بالمعروف معرفا وهو المذكور هناك منكرا
اشارة اليه والله بما تعملون خبير الطوفي هو مناسب لما تضمنته الآية لان العدة
قد تستخفي بها المرأة وتخلط فيها ولا جناح عليكم يا معشر الرجال عطف على فلا جناح
ووجه الاتصال انه لما اخبر تعالى بان المرأة اذا انقضت عدتها فلا جناح فيما اردت
من التعرض للازواج اردفه بانه لا جناح على الرجال في التعرض للنساء بالخطبة
وهذا من محاسن الاتصال جدا ولهذا قال في الآية التي بعدها لا جناح بغير
عطف لانه لا اتصال بين ما فيها وبين ما في هذه حتى يعطف عليها علم الله انكم
ستذكرونهن هو عذر في التعريض وفيه طرف من التوبيخ كقوله علم الله انكم
كنتم تختانون ولكن لا تواعدوهن المستدرك محذوف لدلالة ستذكرونهن
عليه اي فاذكروهن وفي حذفه اشارة الى ان الاولى خلافه سرا اي عقد نكاح
وهو مجاز عن مجاز فان الوطء تجوز عنه بالسر لكونه لا يقع غالبا الا في السر ثم تجوز
به عن العقد لانه مسبب عنه فهو من مجاز المجاز ولا تعزموا عقدة النكاح
الراغب العزم عقد القلب على امضاء الامر والنهي عن العزم على الفعل ابلغ من النهي
عن الفعل لا محالة ونصب عقدة اما على اسقاط الجار او على تضمين تعزموا معنى
تنووا واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه تهديد مناسب لقوله
في اول الآية ولا جناح عليكم فيما عرضتم به وقيل لما اخذ بالجملة قبلها عقب بهذه
لتنزيل بعض نوع التحذير والتهديد على عادته تعالى من الجمع بين الترهيب والترغيب

المجاز

والتخويف

والتخويف والرجا قلت ويحتمل عوده غفور الى ما نفى عنه الجناح وحليم الى ما
نهى عنه لانه يشعر بتأخير العقوبة عمن استحقها تمسوهن قراءة بالف على المفاعلة
لان بدن كل منهما يلاقي الآخر وبدونها لان الغشيان انما هو من فعل الرجال
الموسع قرئ بفتح الواو والسين المشددة قدره بفتح الدال وسكونها لغتان لاهل
الحجاز وقيل الساكن مصدر والمتحرك اسم وقرئ بنصب الراء باضمار فعل اي اوجبوا
او ليؤدوا وقرئ بصيغة الماضي وعلى المقتر فيه طباق فنصف قرئ بضم النون
لغة وبنصب آخره على تقدير فادفعوا الا ان يعفون اي النساء وقرئ بالفوقية
على الالتفات وقرئ يعفونه والهاء للسكت او ضمير النصف الى يعفون عنه
او يعفو قرأ الحسن بسكون الواو لغة الذي بيده عقدة النكاح قيل الزوج
وقيل الولي وهو المختار عندي لانه لو اريد الزوج لعبر به اذ هو احضر اذ
كان يقال او تعفوا بالتاء ولا مقتضى للعدول عن ذلك ولانه اتى به
بلفظ الغيبة والازواج في مقام الخطاب ولذا عقبه بخطاب الازواج
فقال وان تعفوا اقرب للتقوى فجمعت الآية الثلاثة وعلى القول
ان المراد به الزوج ففيه التفات من الخطاب ثم التفت اليه عن الغيبة
في وان تعفوا والبلاغة تقتضي ان يراد به الولي للامرين المشار اليهما
اولا قال ابن عبد السلام في اماليه تلون الخطاب وتنويعه بالخروج
من الخطاب الى الغيبة وبالعكس اقل في كلامهم من المشي على اسلوب واحد
فجعل لانه من قبيل الاكثر اولى انتهى فان قيل كان التعبير بالولي اخصر
فلم عدل الى الذي بيده عقدة النكاح قلت للاشارة الى اختصاصه بالولي
المجبر ويؤيد ذلك تقديم المجرور وهو بيده فانه يفيد الاختصاص اي الذي
عقدة النكاح في يده خاصة بحيث لا يشاركه فيها احد وذلك هو الولي
المجبر الذي يلي للزوجة معه امرها اذن ولا منع وقرئ وان يعفوا بالغيبة
ولا تنسوا مجاز اي تتركوا اذ النسيان ليس في الوسع حتى ينهى عنه والخطاب
قيل للرجال والنساء معا فغلب المذكور واصرح من ذلك قراءة علي ولا تناسوا
وقال ابن جني الفرق بين القراءتين ان تنسوا نهي عن النسيان على الاطلاق
وتناسوا نهي عن فعلهم الذي هم اختاروه كقوله تغافل وتعامى اي اذا سعى في
ذلك واسرع فيه واظهر من فعله وتعاطاه وتظاهر به وزاد في حسنه
ان المأمور هنا جماعة وتفاعل لائق به كتقاطعوا وتواصلوا وتقاربوا وتباعدوا
ان الله بما تعملون بصير ختم الآية بما يفيد الوعد على الاحسان والوعيد على الاساءة
ابو حيان لما كان دفع النصف من المزيات ناسب الختم بصفة البصير ولما
كان مضمون الآية السابقة مما يدرك بلطف وخفاء ناسبه الختم بصفة الخبير
حافظوا على الصلوات تقدمت الاشارة الى مناسبة وضع هذه الآية هنا
ومما قيل فيها انه يحتمل حدوث خوف قبل نزول تمام احكام المطلقات
فبين حكم الصلاة فيه لمسيس الحاجة اليه ثم بين بقية احكام المطلقات وقال
الطيبي لما بين تعالى احكام الازواج والاولاد واوصاهم بالتقوى ونهى عن نسيان

الحقوق والفضل فيما بينهم بقوله ولا تنسوا الفضل بينكم اردفه بالامر بالمحافظة
على حقوق الله لاسيما افضلها نفعا واعلاها قدرا وهي الصلوات وفيه اشعار بان
مراعاة حق العباد مقدمة على حق الله ويدل على ان الاية مستطردة العود الى ما
ذكر مما يتعلق بالازواج وقال الراغب لما كان القران منزلا في حسب
الحاجات ثم انه تعالى لا يذكر شيئا مما يتعلق بالاحكام الدنيوية الا ويقرنه بحكم
اخروي لينبههم على مراعاة الاخرة في جميع احوالهم وانها هي المقصودة بالقصد
الاولى واما ساير ما يتحرى فلاجل ذلك لما حثهم على العفو والفضل عرفهم ان السلوك
في التخصيص بذلك هو المحافظة على الصلوات بكل حال فان الصلاة هي الامرة
بالمعروف الناهية عن المنكر ثم صرف الكلام الى ذكر ما كان بصدده فتمه ابو
حيان حافظوا من باب طارقت النعل ولما ضمن معنى التكرار والمواظبة عدي
بعلى والصلاة الوسطى افردت بالذكر لفضلها اولان المحافظة عليها اشد قلت
ولان الاية نزلت في التخلف عن صلاة الظهر لشدة الحر فصرح بها ولهذا اختير
انها الظهر ويقويه ان في المصحف عايشة وحفصة ام سلمة زيادة وصلاة العصر
وقرا ابي وابن عباس صلاة العصر بالواو وعلى البدل من الصلاة الوسطى و
وقرا ابن مسعود وعلى الصلاة الوسطى باعادة الجار وقرئ والصلاة بالنصب
على المدح كقوله والمقيمين الصلاة او عطفا على محل ما قبله وقرئ الوسطى بابدال
السين صادا لمجاورته الطا فان خفتم حذف متعلقه ليعم الخوف من عدو وغيره
كسبع وسيل وكل امر يخاف منه فرجالا جمع راجل وقرئ بضم الراء مع تشديد الجيم
وتخفيفها وقرئ فرجلا بضم الراء وفتح الجيم المشددة وبفتح الراء وسكون الجيم و
جوع له وقرئ فرجالا او ركبانا بالالف او ركبانا جمع راكب ولا يقال الا لصاحب الجمل
واما صاحب الفرس ففارس وكذا بغال وحمار فاذكروا الله اي صلوا كما قد علمتم
من الصلاة قبل الخوف بان تاتوا بها بجميع اركانها فالكاف على بابها من التشبيه
وفي الاية طباقات بين الخوف والامن وان واذا ورجالا وركبانا وعلمكم ما لم
تكونوا تعلمون وعبر في جانب الخوف بان وفي جانب الامن باذا لقلة الخوف
بالنسبة الى الامن وصية بالنصب اي فليوصوا وبالرفع اي فعليهم فالمراد بالتوفي
مقاربته الوفاة وقرا ابن مسعود الوصية مبتدا خبره لازواجهم او عليهم
مقدرا متاعا نصب بمقدر اي متعوهن وجعل الله لهن او بوصية في حذف البا و
وقرا ابي متاع لازواجهم متاعا الى الحول وروي عنه فمتاع والله عزيز حكيم
الطوفي مناسب لمضمون الاية لانه حكم لابد فيه من عزة منفذة وحكمة مصححة
وللمطلقات متاع اعاده ليعم كل المطلقات حقا على المتقين اي بهم ليعمهم الوجوب
لان تلك لما نزلت قال رجل ان شيت احسنت وان شيت لم احسن فنزلت هذه
الم تر الم ينته علمك وهذا اللفظ يستعمل فيما تقدم للمخاطب العلم به فيكون تقريرا
وتعجيبا وفيما لم يتقدم له علم به ويسمى تشويقا ابو حيان مناسبة الاية لما قبلها
انه تعالى متى ذكر شيئا من الاحكام التكليفية اعقبه بشي من القصص على سبيل
الاعتبار للسامع فيحمله ذلك على الانقياد وترك العناد ولما كان قد وقع ذكر الوفاة

في

في ضمن المعتدات اعقبه بذكر هذه القصة العجيبة من اماتته هولاء ثم احياهم
في الدنيا للدلالة على قدرته تعالى وتنبيها على المعاد وانه كاين لا محالة وقيل
لما بين حكم النكاح بين حكم القتال لان كلا منهما تحصين للدين وقال كذلك
يبين الله لكم اياته ذكر هذه القصة لانها من عظيم اياته وبدايع قدرته
فقال لهم الله موتوا وصيغه موضع كما امات الله ليدل على انهم ماتوا
ميتة رجل واحد بامر الله ومشيته وتلك ميتة خارجة عن العادة والغرض
بسياق هذه القصة هنا تشجيع المسلمين على الجهاد واعلامهم ان الموت لابد منه
وان الفرار لا ينجي منه ولهذا قال عقب ذلك وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان
الله سميع لما يقوله المتخلفون عن القتال عليم بما يضمرونه في قلوبهم و
وقال الطوفي لما كان القتال لابد فيه حاجة من مشاورة وتدبير
ناسبه سميع ولما كان يحتاج الى نية صحيحة وهو القتال لتكون كلمة الله هي
العليا لا للرياء ولا للمغنم ناسبه عليم ولما حث على القتال في سبيل الله اردفه
بالحث في الانفاق فقال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا استفهام بمعنى
الامر والتشويق قال الكرماني هذا اللفظ يدل على المسارعة والسبق والقرض اسم
ما يدفع من المال ليوخذ بدله شبه به عمل المومنين لله على ما يرجون من ثوابه
وذكر على سبيل التانيس والتقريب للناس بما يفهمونه كما شبه بذل النفوس
والاموال واخذ الجنة بالبيع والشرا وقيل التقدير يقرض عباد الله واضافه الى نفسه
استعطافا ثم رغب فيه بقوله فيضاعفه بالف ودونها مشددا مرفوعا
ومنصوبا واكد الفعل بالمصدر والوصف فقال اضعافا كثيرة و
ثم زاد في تاكيد الرغبة بقوله والله يقبض ويبسط لان من علم ذلك كان اعتماده
على فضل الله اكثر من اعتماده على ماله وذلك يدعوه الى الانفاق في سبيله
وترك البخل ثم ختم بقوله واليه ترجعون وهو يفيد الزجر عن ترك الانفاق و
والترغيب فيه من حيث انه يفيد الموت وفنا المال وملاقاة الخالق وقد
لا مال له وعنده الثواب الجزيل ومن تذكر ذلك رغب في اقراض ماله
له ليوافيه به مضاعفا في دار الثواب والفرق بين ضعف وضاعف ان التضعيف
لما جعل مثلين والمضاعفة لما زيد عليه اكثر من ذلك الم تر الى الملا من بني
اسرايل لا يظهر لي تعلق هذه الاية بما قبلها من حيث انه تعالى لما امر بالقتال
والانفاق فيه ذكر قصة بني اسرايل وفيه انهم لما امروا بالقتال
من هذه الامة على تركه كما فعل اوليك وان يكونوا متشمرين لقتال اعدا الله و
الملا الملا الرجال لا يكون فيهم امراة وكذلك القوم والنفر والرهط وقال
الزجاج هم الوجوه وذوو الراي وقال غيره هم الاشراف لانهم يملون
العين هيبة نقاتل قرئ بالرفع على الحال وبالياء مجزوما ومرفوعا على الصفة
لملك هل عسيتم بكسر السين وفتحها لغتان والفتح اشهر ومالنا الواو
لربط الكلام بما قبله ولو حذفت لجاز ان يكون منقطعا عنه ان لا نقاتل زيادة
ان في مثل هذا او تركها لغتان فصيحتان اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي اوردنا

ن
عادة

من ابنائنا بالسبي قاله الكرماني وقيل هو على القلب اي واخرج منا ابناؤنا
وقرئ اخرجنا بالبناء للفاعل وهو ضمير العدو **والله عليم بالظالمين** وعيد
لهم على ظلمهم بترك القتال **ونحن احق بالملك منه** حال مقررة لجهة الاشكال
ولم يؤت حال ثانية لتتميم معنى الاولى والمبالغة فيه والحاصل ان الاولى لكونه
غير نسيب والثانية لكونه فقيرا فقابل ذلك بخصلتين اتم مما ذكروا من النسب
والمال وهما زيادة البسطة في العلم والجسم وقدم ذلك في الملك اشد
لان الجاهل مزدرا غير منتفع به وان الجسيم اهيب في القلوب واقوى في النفوس
ثم زاد في ذلك ان الملك سيؤتيه من يشاء فلا اعتراض عليه **والله واسع عليم**
الطوفي مناسب لايتاء الملك من يشاء لانه واسع الفضل والعطا عليم بمن يصطفيه
ويختصه من الناس لان له في خلقه اسرارا لا يحيط بها غيره **التابوت** قرأ ابي بالها
لغة الانصار **سكينة** قرئ بتشديد الكاف **مما ترك آل موسى وآل هارون**
آل مقحم لتفخيم شانهما **تحمله** قرئ بالتحتية **فلما فصل** فيه محذوف اي فاتاهم
التابوت فاذعنوا له واجابوا الى المسير تحت لوائه الراغب فصل القوم عن
مكان كذا وانفصلوا فارقوه **بنهر** قرئ بسكون الهاء حيث وقع **ومن لم يطعمه**
اي يذقه ولهذا اختير على يشرب منه الذي هو مقتضى المقابلة لانه ابلغ
اذ نفي الطعم يستلزم نفي الشرب من غير عكس قاله ابن عطية **الا من اغترف**
استثناء من الجملة الاولى لان الجملة الثانية في حكم التاخير قدمت للعناية والتقدير
فمن شرب منه فليس مني الا من اغترف غرفة بيده ومن لم يطعمه فانه مني ومعناه
الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكرع بدليل فشربوا اي فكرعوا
غرفة بالضم التي المغترف وبالفتح المرة الواحدة **فشربوا منه الا قليلا** قرئ
بالرفع وهو اخراج لهم من الشاربين بالاتباع كان الكلام مبني عليه حيث صار
تابعا وحكم مثل ذلك ان ما بني على اخراجه اتبع وما لم يبن على اخراجه
وكانه انما التفت اليه بعد مضي الكلام الاول قطع ونصب **فلما جاوزه**
فيه حذف اي تجنب الذين شربوا ولم يجاوزوا النهر وجاوزه الاخرون
طاقة من الطوق وهو القوة **قال الذين يظنون** اما من وضع الظاهر موضع
المضمر فضمير قالوا للمتكثرين الذين لم يجاوزوا او المراد بهم الخلص من الذين امنوا
فئة هي القطعة من الناس وقرئ بابدال الهمزة ياء **والله مع الصابرين**
يحتمل ان يكون من تتمة كلامهم وان يكون من كلامه تعالى استينافا
برزوا فبارزوا بالبراز من الارض وهو ما ظهر واستوى **افرغ** الراغب افرغت
الدلو صببت ما فيه ومنه استعير افرغ علينا صبرا **وثبت اقدامنا** كناية
عن تشجيع قلوبهم وتقويتها الطيبي هو كلام جامع ليشتمل على جميع ما يحصل به
الظفر على العدو والبيضاوي في الدعاء ترتيب بليغ اذ سالوا اولا افراغ الصبر
في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب عنه
ثم النصر على العدو المرتب عليهما غالبا **فهزموهم** قال الطيبي هي الفصيحة
الراغب اصل الهزم غمز الشيء اليابس حتى يتحطم ومنه الهزيمة لانه يعبر عنه

بالحظ والكسر **دفع** قرا نافع دفاع وهو من جانب واحد لان الله تعالى لم يغلبه احد وهو
الدافع وحده **تلك** اشارة الى القصص المذكورة من قصة الالوف وما بعدها
نتلوها فيه التفات **وانك لمن المرسلين** حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراءة
كتاب ولا سماع اخبار الطوفي الختم به مناسب لاول الاية لان تلاوة الايات
عليه سبب صيرورته مرسلا واما قوله في آل عمران تلك ايات الله نتلوها
عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين مؤكدا لذلك اي انما ندعوهم
الى الحق عدلا لا الى الجور ظلما **تلك الرسل** اشارة الى جماعة الرسل الذين ذكرت
قصصهم في السورة او الذين ثبت علمهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبر بالرسل
بدل المرسلين لاختصارا للفظ وارادة لقلق التكرار الزجاج وانك لمن المرسلين
اي انت من هؤلاء الذين قصصت اياتهم لانك قد اعطيت من الايات مثل الذي
اعطوا وزدت على ما اعطوا كما اشار الى ذلك في الاية التي بعدها الطيبي
النظم يقتضي اعم من ذلك بان يجعل التعريف في المرسلين للجنس وان يراد بالايات
جميع الايات المذكورة من مفتتح السورة وتقريره انه سبحانه لما بين بقوله
وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الاية انه نبي صادق ومعجزته هذا
القران الذي بذ بفصاحته فصاحة كل ناطق وسبق ببلاغته غبار كل سابق
وما اكتفى بذلك بل اتى بكل ما يتعلق بامور الدين من التوحيد والاخلاق
والديانات واحوال الاخرة وقصص الانبياء السالفة والامم الدارجة
والاحكام التي تناط بها امور الامة واطنب فيها كل الاطناب ليؤذن بان
الكتاب كما انه معجزة في نفسه مشتمل على حكم وعلوم واحكام يتوقف عليها
امر الرسالة ثم لما اراد ان يرجع الى ما بدا به من اثبات نبوته ورسالته قال
تلك ايات الله نتلوها عليك لتكون كالفذلكة لسائر ما ذكر وكالتخلص
الى حديثه صلى الله عليه وسلم وانه نبي مرسل وانه افضل الرسل على سبيل الترقي
كانه قيل تلك المذكورات كلها ايات الله ملتبسة بالحق الهادي الى طريق
مستقيم ليقرر بها امر نبوتك الذي ثبت بالمعجزة القاهرة وليعلم انك
من المرسلين الجامعين بين المعجزة والوحي وانك افضلهم واوسطهم
لانك اعطيت ما اعطوا وزدت على ما اعطوا وهو هذا الكتاب الكريم فعلى هذا
التعريف في الرسل كما في المرسلين وهي للجنس والمشار اليه بقوله تلك
الرسل ما يعلم من المرسلين ثم لما كان هنا مظنة ان يسال السائل عن الرسل
هل يتفاوت حالهم في علو الرتبة ومراتب الزلفى ام هم سواء فقيل تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض ثم اخذ يشرحهم في بيان التفضيل منهم من كلم الله ومنهم
من رفع درجاته وانما فرق واحد من الاقسام وخص بقوله بعضهم وبالدرجات
ليشير الى ان هذا القسم مباين للاقسام ومغاير له بحسب ما خص به لان
رفع الدرجات ليس من قبيل ما اوتوا ولا هو داخل في حكم ما اعطوا فكان ذلك
تفضيلا لمحمد صلى الله عليه وسلم على الرسل انتهى **منهم من كلم الله** فيه التفات
عن التكلم وقرئ بنصب الجلالة وقرئ كالم الله بالنصب **ورفع بعضهم درجات**

١١

هو محمد صلى الله عليه وسلم ابهمه تفخيما لشانه واعلاما بتفرده واشعارا بانه العلم
الذي لا يشتبه ووسط بذكره بين موسى وعيسى اشارة الى انه واسطة له
عقد النبوة وآتينا فيه التفات عن الغيبة عيسى ابن مريم قال صاحب الفرايد
خص موسى وعيسى بالذكر من بين المرسلين لان الكلام فيما مر مع اهل الكتاب
واليهود ينكرون عيسى والنصارى ينكرون موسى وقال الامام
انما خصا بالذكر لان امتيهما موجودتان وامم ساير الانبيا ليسوا كذلك وقال
البيضاوي خص عيسى بالذكر لافراط اليهود والنصارى في امره تفريطا وحبا
وقال غيره الوجه ان ذكر بما البيان وجه التفضيل يعني ان
فضل النبي صلى الله عليه وسلم على رسول مثله انما يظهر بسبب اختصاصه بما اوتي
من الفضل والكرامة ورفعة الدرجة وبحسب هدايته وارشاده وكثرة
تبعيته ولا شك في ان اولئك الثلاثة هم المخصوصون من بين ساير الانبيا
بذلك وان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم له عليهما قصبات السبق ومن ثم اكتفى
بهم عنهم وبهدايتهم المقصود وهو فضل نبينا على ساير الانبيا عليهم الصلاة والسلام
ولو شاء الله فيه التفات عن التكلم ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره تاكيدا للامر
وتكذيبا لمن زعم انهم فعلوا ذلك من عند انفسهم لم يجر به قضاء وقدر قال بعضهم
وجه تعلق هذه الاية بما قبلها انه تعالى انبا محمدا صلى الله عليه وسلم من اخبار الانبيا
السالفة مع قومهم كسؤال قوم موسى ارنا الله جهرة وقولهم اجعل لنا الها
كما لهم آلهة بعد ان شاهدوا منه الايات الفطنة من فلق البحر وغيره وكقوم
عيسى بعد ان شاهدوا منه احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص فكذبوه وراموا
قتله وكالملا من بني اسرائيل حسدوا طالوت ودفعوا ملكه بعد المسالة وخالفوه
في امر النهر فعزى الله رسوله عما راى من قومه من التكذيب والحسد فشهد له اولا
بان ما اتى به قرآن من عند الله تلاه عليه على لسان جبريل لم يفترعه من قبل
نفسه ووقع في ذلك غاية حسن التخلص بالاشارة الى الايات والقصص السابقة
ثم شهد له بانواع من التاكيد ردا على من انكر رسالته ثم اخبره فقال تلك الرسل
الذين فضلهم الله بكلامه وبعضهم بتاييده بروح القدس وآتينا البينات ثم ما لهم
من قومهم مثل ما لك واختلفت اممهم بعدهم حتى اقتتلوا وذلك كله واقع في
بمشيئة الله وارادته فلا يحزنك ما ترى من قومك فانه بقدر الله ولك اسوة
بالرسل قبلك ولقوله ما اقتتل الذين من بعدهم واختلفوا اتصال ظاهر
بقصة الملا من بني اسرائيل من بعد موسى وافتراقهم في امر النهر كما لا يخفى
وفي الاية التقسيم في موضعين ولكن الله يفعل ما يريد الطو في هو مطابق لقوله
ولو شاء الله لان فعله لما يريد سبب توقف الامور على مشيئته يا ايها الذين آمنوا
انفقوا الاصبهاني وجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه تعالى لما امر بالقتال
في ما سبق ثم بالقرض والمقصود منه الانفاق في الجهاد ثم انه مرة ثانية
اكد الامر بالقتال وذكر فيه قصة طالوت وجالوت ثم اعقبه بالامر بالانفاق
في الجهاد وفي الزكاة المفروضة واقول الاولى ان يقال ان الاية الاولى لما ذكرت

ق

٧٧

74

في الانفاق في الجهاد وهو احد قسمي الانفاق الواجبين ذكر هنا القسم الآخر وهو الزكاة
فانها خاصة فيها لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة قرى بالثلاثة بالفتح وبالرفع ونفي الاجر بين
خاص بالكافرين ولذا قال والكافرون هم الظالمون قال
عطا الحمد لله الذي قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل والظالمون هم
الكافرون الاصبهاني لما قال ولا خلة ولا شفاعة اوهم ذلك نفي الخلة والشفاعة
مطلقا فذكر عقبه هذه الجملة ليدل على انه خاص بالكافرين والمعنى والكافرون
هم الذين وضعوا الامور في غير موضعها فانهم ودوا ما لا ينفعهم ووادوه في
الآخرة وتوقعوا الشفاعة ممن لا يشفع لهم وهم آلهتهم التي عبدوها الطوفي
الختم به مناسب لما تضمنته الاية بتقدير محذوف لانه لما اخبر بوقوع اليوم
الآخر اشار الى ان من كذب به فهو كافر والكافر ظالم بوضعه التكذيب غير موضعه
وحصر الكافرين في الظالمين حصر للاخص في الاعم لان الكفر نوع من الظلم
والنوع اخص من جنسه آية الكرسي مناسبة وضعها هنا ان من عادته تعالى
في القرآن الكريم ان يذكر علم التوحيد وعلم الاحكام وعلم القصص مرتبطا
بعضه ببعض والمقصود الاعظم علم التوحيد واما علم الاحكام فللتوسل
الى الاعمال الصالحات التي هي من تمام التوحيد واما القصص فللمبالغة
في التزام الاحكام والتكاليف وتقرير دلائل التوحيد وهذا الطريق في
البلاغة احسن الطرق واكملها فان الاستمرار على نوع واحد يفضي الى الملالة
والسامة والانتقال من نوع الى آخر ينشرح له الصدر ويفرح به
القلب ويصغي له السمع ولما ذكر فيما تقدم جملة من الاحكام ثم اتبعها بقصة الالوف
وقصة طالوت وجالوت واختلاف الامم بعد انبيائهم اعقبها بما يتعلق بعلم
التوحيد وقال بعضهم جرت عادة القرآن اذا ذكر احكاما ذكر بعدها
وعدا ووعيدا ليكون باعثا على العمل بما سبق ثم يذكر آيات توحيد وتنزيه
ليعلم عظم الآمر والناهي وقد صح في الحديث ان آية الكرسي سيدة آي القرآن
واعظم آية فيه وانها ربع القرآن قال ابن عبد السلام وسبب
شرفها ان فيها احدا وعشرين اسما لله ما بين ظاهر ومضمر قال ابن العربي
انما صارت آية الكرسي اعظم الآيات لعظم مقتضاها فان الشيء انما يشرف
لشرف ذاته ومقتضاه ومتعلقاته وهي في آي القرآن كسورة الاخلاص في سوره
الا ان سورة الاخلاص تفضلها بوجهين احدهما انها سورة وهذه آية والسورة
اعظم لانه وقع التحدي بها فهي افضل من الاية التي لم يتحد بها والثاني ان سورة
الاخلاص اقتضت التوحيد في خمسة عشر حرفا وآية الكرسي اقتضت التوحيد
في خمسين حرفا فظهرت القدرة في الاعجاز بوضع معنى معبر عنه بخمسين
حرفا ثم يعبر عنه بخمسة عشر وذلك بيان لعظم القدرة والانفراد بالوحدانية
قال الغزالي انما كانت آية الكرسي سيدة الآيات لانها اشتملت
على ذات الله وصفاته وافعاله فقط ليس فيها غير ذلك ومعرفة ذلك هي المقصد
الاقصى في العلوم وما عداه تابع له والسيد اسم للمتبوع المقدم وقوله

آية الكرسي

ومعرفة

الله اشارة الى الذات لا اله الا هو اشارة الى توحيد الذات الحي القيوم اشارة
الى صفة الذات وجلاله فان معنى القيوم الذي يقوم بنفسه ويقوم به غيره
وذلك غاية الجلال والعظمة لا تاخذه سنة ولا نوم تنزيه وتقديس له عما
يستحيل عليه من اوصاف الحوادث والتقديس عما يستحيل احد اقسام المعرفة
له ما في السموات وما في الارض اشارة الى الافعال كلها وان جميعها منه واليه
من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه اشارة الى انفراده بالملك والحكم
والامر وان من يملك الشفاعة انما يملكها بتشريفه اياه والاذن وهذا نفي الشركة
عنه في الملك والامر يعلم ما بين ايديهم الى قوله بما شاء اشارة الى صفة العلم
وتفضيل بعض المعلومات والانفراد بالعلم حتى لا علم لغيره الا ما اعطاه ووهبه
في قدر مشيئته وارادته وسع كرسيه السموات والارض اشارة الى عظم ملكه
وكمال قدرته ولا يوده حفظهما اشارة الى صفة القدرة وكمالها وتنزيهها
عن الضعف والنقصان وهو العلي العظيم اشارة الى اصلين عظيمين
في الصفات فاذا تاملت هذه المعاني ثم تلوت جميع اي القران لم تجد جملتها
مجموعة في اية واحدة فان شهد الله ليس فيها الا التوحيد وسورة الاخلاص
ليس فيها الا التوحيد والتقديس وقل اللهم مالك الملك ليس فيها الا الافعال
والفاتحة فيها الثلاثة لكن غير مشروحة بل مرموزة والثلاثة مجموعة مشروحة
في اية الكرسي والذي يقرب منها في جمعها اخر الحشر واول الحديد ولكنها ايات
لا اية واحدة فاذا قابلت اية الكرسي باحد تلك الايات وجدتها اجمع للمقاصد
فلذلك استحقت السيادة على الاي كيف وفيها الحي القيوم وهو الاسم الاعظم
كما ورد به الخبر انتهى كلام الغزالي ثم قال انما قال صلى الله عليه وسلم
في الفاتحة افضل وفي اية الكرسي سيد لسر وهو ان الجامع بين فنون الفضل
وانواعها الكثيرة يسمى افضل فان الفضل هو الزيادة والافضل هو الازيد واما
السود دهو رسوخ معنى الشرف الذي يقتضي الاستتباع ويابى التبعية والفاتحة
تتضمن التنبيه على معان كثيرة ومعارف مختلفة فكانت افضل واية الكرسي
تشتمل على المعرفة العظمى التي هي المقصودة المتبوعة التي يتبعها ساير المعارف
فكان اسم السيد بها اليق انتهى الحي قرئ بالنصب على المدح وكذا ما بعده
القيوم الراغب هو المقيم المحافظ لكل شيء والمعطي له ما به قوامه وذلك هو
المعنى المذكور في قوله اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقوله افمن هو قايم على كل
نفس بما كسبت وقرئ القيام والقيم لا تاخذه سنة اي نعاس ولا نوم الكرماني
بدا بالسنة ترقيا من القليل الى الكثير الاصبهاني ان قيل اذا كانت السنة
عبارة عن مقدمة النوم فقد دل قوله لا تاخذه سنة على انه لا ياخذه نوم
بطريق الاولى فما الفايدة في ذكره قلنا تقدير الاية لا تاخذه سنة فضلا عن
ان ياخذه نوم وايضا لما كان ضعيف المزاج نومه خفيفا وقوي المزاج نومه ثقيلا
جاز ان يتوهم متوهم انه تعالى هو القوي فياخذه النوم الثقيل لقوته ولا تاخذه
السنة فنفى عنه النوم الثقيل ايضا دفعا للتوهم المذكور وقال التاج البارنباري

الامر

٧٥

الامر في الاية على خلاف ما فهم والسوال غير وارد البتة والمنفي فيها ولا اعم هو
الخاص وثانيا العام على خلاف ما ظن فان الاخذ فيها بمعنى الغلبة ولا يلزم
من عدم غلبة السنة التي هي القليل من نوم او نعاس عدم غلبة النوم وانما
كان يصح الايراد لو قيل لا يحصل له سنة ولا نوم وقال الطيبي الاية من باب
التتميم وهو ابلغ من الترقي فانه درج في لا تاخذه سنة انتفا النوم بطريق
الاولى ثم جي بقوله ولا نوم تاكيدا للنوم المنفي ضمنا ومثله لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة الا احصاها فانه اذا لم يغادر كبيرة من باب اولى ولا تقل لهما اف
ولا تنهرهما ولو كانت هذه الايات من الترقي لقدم النوم والكبيرة والنهر
وقال بعضهم عبر بقوله لا تاخذه سنة ولا نوم كناية عن انه لا
يغفل عن حقير ولا جليل من اطلاق المسبب على السبب وقال ابن جرير المعنى
لا تحله الافات والعاهات المذهلة عن حفظ المخلوقات اقيم المذكور منها
مقام الجميع كقوله ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما الزمخشري الجملة تاكيد للقيوم لان
من جاز عليه ذلك استحال ان يكون قيوما له ما في السموات وما في الارض
اي هما وما فيهما على حد راكب الناقة طليحان واتى بما تغليبا للاكثر والاختصاص
الكل به من جهة المخلوقية وهي من حيث انها مخلوقة غير عاقلة فعبر بما تنبيها على ان
المراد من هذا الاختصاص الاختصاص من جهة المخلوقية وابعاد الضمير في
ايديهم وما بعده باعتبار العقلاء من علمه اي معلومه لان علم الله لا يتبعض
وسع قرئ بسكون السين على بقاء الفعلية وبالسكون وضم العين ورفع السموات
اسم مبتدا وخبر كرسيه قيل هو العرش وقيل دون العرش ومنه احاديث
وقيل علمه قاله ابن عباس وقيل ملكه تسمية للملك بمكان صاحبه وقيل المقصود
به تصوير عظمة الله وكبريائه تخوطب الخلق في تعريف ذاته وصفاته بما
اعتادوه في ملوكهم وعظمائهم فاثبت لنفسه عرشا ثم كرسيا وما هو الا تصوير
لعظمته وتخييل لرفعة شانه وكرسيه ثم ولا يؤوده الكشاف فان قلت
كيف ترتبت الجمل في اية الكرسي من غير عطف قلت ما منها جملة الا وهي واردة
على سبيل البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف
لكان كما تقول العرب بين العصا ولحايها فالاولى اي لا تاخذه سنة ولا نوم بيان
لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية ما في السموات
لكونه مالكا لما يدبره والثالثة من ذا الذي يشفع لكبرياء شانه والرابعة
يعلم ما بين لاحاطته باحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة
من غيره والشفاعة والخامسة وسع لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات
كلها او لجلاله وعظمته وقال الاصبهاني يمكن ان يقال مضمون الجملة الاولى
وهو الله لا اله الا هو محققة لمضمون الجملة الثانية لان الذي يقدر ان
يخلق هو الذي يستحق ان يعبده المخلوق ولا شي بهذه الصفة الا هو فيجب
ان يكون موجودا لا سبيل اليه للفناء وقائما على كل شي وهو قايم بذاته وهو الحي
القيوم فهذه موكدة للاولى ولما كان حيا قيوما لزم ان لا تاخذه سنة ولا

نوم والالم يكن قيوما فهذه الثالثة موكدة للاولى ولما كان حيا قيوما لزم ان لا
تاخذه سنة ولا نوم فهذه الثالثة موكدة للثانية ولما كان بهذه الصفة
وجب ان تكون السموات والارض وما فيهما ملكا له لا نزاع لشي في ذلك
فهذه الرابعة موكدة لمجموع المضمون في الثالثة واذا كان كذلك فلا
شفاعة لاحد الا باذنه والا لتحقق لشي التصرف في بعض ما في السموات والارض
بوجه واذا كان كذلك لزم ان يعلم ما قدموه من الاعمال
وما اخروه ليكون اذنه في الشفاعة وعدم اذنه فيها من علم وحكمة ولا يحيطون
بشي من علمه من تمام ما هو المراد من هذه الجملة فعطفت عليها لتتم المراد
منها ثم اكدت بما يتبعه وهو وسع كرسيه فهذه الجمل كلها في حكم واحدة فعطف
عليها الجملة الاخرى وهي ولا يوده حفظهما لانه لا يبطئ تمام ان هذه الاجسام
العظام بالنسبة اليه في الحفظ كادنى شي وعطف وهو العلي العظيم ليعلم
ان علاه وعظمته غير منحصر على ما يفعله العاقل من الجمل المتقدمة بل تقصر
العقول عنها فانها ان لم تعطف لم تكن موكدة ومقررة للمتقدمة وليست
لذلك بل مضمونها يشارك المتقدمة ببعض الوجوه ويفارقها بما لا يعلمه الا
الله وقيل الله لا اله الا هو تصريح بنفي الالهة واثبات الاله
الحق على سبيل الاجمال وما بعده الى اخر الاية اشارة الى نفي الهة كل طايفة
من الكفار على التفصيل فقوله الحي اشارة الى نفي الالهية الاصنام
القيوم الى نفي الهية البشر لا تاخذه سنة ولا نوم زيادة بيان لنفي
الهية البشر له ما في السموات وما في الارض الى نفي الهية الكواكب
والملايكة والبشر ايضا من ذا الذي يشفع الى نفي الالهة التي يعبدونها
لتكون شفعا وهم عند الله يعلم ما بين برهان قاطع على اثبات وحدانيته
في الالهية ولا يحيطون برهان قاطع على نفي الالهية الملك والبشر وسع
كرسيه برهان قاطع على اثبات وحدانيته في الالهية ونفي الهية غيره لانه انما
يستدل على الالهية بالقدرة التامة والعلم التام وهو العلي العظيم
زيادة ايضاح لبيان قدرته وعلمه العلو في ختم اية الكرسي بهذين
الوصفين لما تضمنته من التوحيد وصفات الجلال ومن اتصف بذلك
كان عليا في رتبته عظيما في سلطانه ومملكته الماوردي الفرق بين
العلي والعالي ان العالي هو الموجود في محل العلو والعلي هو المستحق
للعلو وان العالي هو الذي يجوز ان يشارك والعلي هو الذي لا يجوز ان
يشارك لا اكراه في الدين قال القفال لما بين تعالى دلايل التوحيد
بيانا شافيا قاطعا للعذر قال بعد ذلك انه لم يبق بعد ايضاح هذه الدلايل
للكافر عذر في الاقامة على الكفر الا ان يقسر على الايمان ويجبر عليه وذلك
مما لا يجوز والا لبطل معنى التكليف والامتحان ولهذا قال
قد تبين الرشد من الغي يعني ظهرت الايات ووضحت البينات وبان
الهدى من الضلال والحق من الباطل وتميز الرشد بوزن عنق وبوزن

بجل

جمل والرشاد وفيه طباق فمن يكفر بالطاغوت ويومن بالله فيه طباق قال والطاغوت
قيل مصدر وقيل جمع وقيل يقع على المفرد والجمع وهو صيغة مبالغة من الطغيان
الراغب هو عبارة عن كل معبود من دون الله وزنه فعلوت وقيل فلعوت
والاصل طغووت قلب لام الفعل قبل العين ثم قلب الفا لتحركه وانفتاح ما قبله
ابن عطية قدم ذكر الكفر بالطاغوت على الايمان بالله ليظهر الاهتمام بوجوب
الكفر بالطاغوت زاد ابو حيان ولانه مناسب لما قبله اذ الكفر بالطاغوت
رفض عبادته ولاتصاله بلفظ الغي قبله فقد استمسك بالعروة الوثقى استعارة
تمثيلية شبه المستمسك بالايمان بالمستمسك في مهوات بعروة وثيقة
يومن انفصامها اي انقطاعها الراغب العروة ما يتعلق به من عراه اي
ناحيته لا انفصام هو بالفا انقطاع من غير بينونة واما بالقاف فانقطاع
مع بينونة وعبر بالاول لانه ابلغ في النفي والله سميع عليم مناسب لمضمون
الاية لان الايمان والكفر مشتملان على قول لساني وعقد قلبي الله ولي
الاية فيه اربع طباقات قيل وكل ما في القران من الظلمات والنور فالمراد
فالمراد الكفر والايمان الا قوله في اول الانعام وجعل الظلمات والنور
فالمراد حقيقتهما وجمع الظلمات لاختلاف الضلالات ولهذا جمع اولياهم
والايمان واحد ومعبود المومنين واحد وذكر الاخراج من النور في جانب
الذين كفروا اما مجاز بجعل المنع من الدخول فيه اخراجا واما
حقيقة والمراد من كان مومنا بعيسى وكفر بمحمد كما قال ابن عباس وقدم الحسن
اولياهم الطواغيت وبدي في جانب المومنين باسم الله واخرعنه
بانه وليهم تشريفا لهم وبدى في جانب الكفار بوصفهم بالكفر نعيا عليهم ثم
اخبر عنهم بان اولياهم الطاغوت ولم يصدر بما استهانة به وانه مما ينبغي
ان لا يجعل منفيا بلا ولا عكس لاختيار فيه فابتدا باوليايهم وجعل الطاغوت
خبرا كانه هو مجهول فاخبر به وجملة يخرجهم ويخرجونهم في موضع التفسير
للولاية وقد وقع الكلام فيما تضمنته هذه الاية من انواع البديع فاستخرج
منها مايه وعشرين نوعا واخر ذلك بتاليف الم تر الاصبهاني ذكر تعالى قصصا
ثلاثا الاولى في بيان اثبات العلم بالصانع وهي مناظرة ابراهيم مع ملك
زمانه والثانية والثالثة في اثبات الحشر والنشر وهما قصة الذي مر
على قرية وسوال ابراهيم ربه كيف يحيي الموتى قلت
وفيهما تقوية لما في مناظرة ابراهيم لانه لما قال ربي الذي يحيي ويميت
وادعى نمرود مثل ذلك ولم يات بحقيقة ذكر تعالى قصتين وقع فيهما
احيا الموتى منه تعالى على سبيل الحقيقة مشاهدا فكان الابتدا ولى لبيان
انصاف الله بذلك والابتا لبيان الحجة على ذلك ابو حيان لما ذكر تعالى ولي
المومنين وولي الكافرين الطاغوت عقبه بمناظرة ابراهيم نمرود لما فيها
من غلبة ابراهيم اذ كان الله وليه وانقطاع نمرود اذ كان وليه
الطاغوت الا ان حزب الله هم الغالبون ان اي لان ربي الذي يحيي ويميت

الله ولي الذين آمنوا الآية

الاخبار بمثل هذا الصنيع يفيد الاختصاص ولذا لم يات مثله في كلام نمرود لانه
لم يقصده قال انا احيي واميت اي بالقتل والعفو عنه فلما راه ابراهيم احمق
بليدا انتقل الى حجة مسكتة لا يمكنه ان يدعي فعلها قيل ولبلادته لم يذكر في القران
باسمه وهو نمرود بخلاف فرعون قال الفا دليل شرط محذوف اي ان زعمت ذلك
او موهت به فبهت القراة بالبنا للمفعول وقري شاذا بالبنا للفاعل على وزن
ضرب وعلم وحسن والبنا لثة ابلغ والاولى فعلها متعدد فاعله ضمير ابراهيم
والله لا يهدي القوم الظالمين الى الحجة قال الاصبهاني حذف المفعول كي يفيد
العموم فاختصر اللفظ افادة لزيادة المعنى وهو من اللطايف الغراء او كالذي
مر قيل التقدير اولم تر الى الذي مر فالكاف زايدة وقيل التقدير اوارايت
مثل الذي مر فحذف ارايت لدلالة الم تر الى الذي عليه لان كليهما كلمتا تعجب
وتنبيه وانما قدر ارايت دون الم تر بالى ويجوز ان يحمل على المعنى دون
اللفظ كانه قيل ارايت الذي حاج او كالذي مر ونظيره قل لمن الارض ومن
فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله ثم قال من رب السموات السبع ورب العرش
العظيم سيقولون الله فهذا عطف على المعنى لان معناه لمن السموات
وقال ابو حيان المختار في هذه التاويلات اعتقاد ان الكاف على حرفيتها وانها هي
هنا اسم بمعنى مثل مجرورة بالعطف على الذي وقري بفتح الواو عاطفة
والهمزة للتقدير على قرية الى اخره اريد بالقرية اولا حقيقتها والاحيا والاماتة
قيل مجازان عن العمارة والخراب وقيل حقيقتان على تقدير اهل هذه اولا
تقدر على الاستخدام ثم بعثه الاحيا لم يقل ثم احياه لان بعثه يدل على انه عاده
كما كان اولا حيا عاقلا فاهما مستعدا للنظر والاستدلال لم لبثت المقصود من
هذا السوال التنبيه على حدوث ما حدث من الخوارق لم يتسنه قري باثبات
الها وصلا وحذفها اي لم يتغير بمر السنين وضمير للشراب لانه اقرب
اللفظين والنفي يذكره عن الاخر وقري لم يتسن بادغام التا في السين وقري
بدله لمائة سنة ولنجعلك قيل الواو زايدة وقيل عاطفة على مقدر وعليها
فاللام تعليل لمحذوف اي اريناك ذلك لتعلم قدرتنا ولنجعلك ننشزها
بالراء من نشر وانشر من النشور وهو الاحيا وبالزاي من نشز والنشز من النشوز
وهو التحريك والارتفاع اي نحركها ونرفعها فنردها الى مواضعها من الجسد
ونركب بعضها على بعض وقري الى ننشيها ثم نكسوها استعارة لما غطى العظم
من اللحم واصله لما واري الجسد من الثياب تبين قري بالبنا للمفعول
وقري بين كذلك اعلم بصيغة المضارع فضميره للذي مر وبصيغة الامر
فضميره لله والختم بالقدرة مناسب للاحيا الميت واذ قال
ابراهيم قيل بتقدير واذكر وقيل عطف على الم تر الى الذي حاج لانه في تقدير
الم تر اذ حاج قال اولم تومن سال مع علمه انه اثبت الناس ايمانا ليجيب
بما اجاب به لما فيه من الفايدة الجليلة للسامعين ولكن ليطمين اي سالت ذلك
ليطمين فصرهن بضم الصاد اي املهن وكسرها اي قطعهن وقيل هما لغتان
بمعنى الميل وقري فصرهن بفتح الصاد وكسر الرا المشددة من صره يصره بمعنى

قال ابراهيم استيناف
كما سلوكانه قيل فماذا قال
ابراهيم لمي في هذه المرتبة
من المحاجة ونماذا اجمعه
فقيل قال فان الله ياتي
بالشمس من المغرب حسبما
يقتضيه مشيته فات بها
من المغرب اذ كنت قادرا
على مثل مقدوراته تعالى
لم يلتفت عم الى ابطال
مقالة اللعين ايذانا بان
بطلانها من الجلاء والظهور
بحيث لا يكاد يخفى على احد
وان التصدي لابطالها من
السعي في تحصيل الحاصل والى
بمثال لا يجد اللعين فيه مجالا
للتموية والتلبيس فبهت
الذي كفر اي صار مبهوتا

الحبس

الحبس وبكسر الصاد وضمها مع فتح الرا المشددة من صره يصره ويصره المضموم
من الصر بمعنى الشد والمكسور من الصرير وهو الصوت اي صح بهن وقد ورد
عن ابن عباس التفسير بقطعهن واو ثقهن فكانه تفسير على القراتين وعنه ايضا
انها بالنبطية وقال وهب بالرومية اليك متعلق بحذان فسر بالفعل
بقطعهن وبصرهن ان فسر باملهن ويقدر بعده ثم قطعهن الكشاف انما امر بضمها
اليه ليتاملها ويعرف اشكالها وهياتها لئلا يلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم انها
غير تلك الكرماني خص الطير لانه جامع لخواص الحيوان ولو كان غيره لبقي خاصة
الطيران وخص اربعة لكونها جامعة للطبايع الاربعة لان كل واحد منها
مخصوص بطبع وذلك ابلغ في القدرة وعدد الاجبل اشارة الى نواحي الدنيا
ومهب الرياح الطوفي فاصلة الاية مناسبة لها لان احيا الطير بعد تفريق
اجزايها امر عظيم خارق لا بد فيه من عزة وقوة واقتدار وحكمة قال
فان قيل احيا القرية والمار وحماره كذلك فهلا فصلت ايته
بما فصلت به هذه من العزة والحكمة فالجواب ان المار على القرية استبعد احياها
في القدرة بدليل قوله انى يحيي هذه الله بعد موتها وذلك يقرب ان يكون
شكا في القدرة فقرر تعالى له عظيم قدرته بخلاف ابراهيم فانه لم يشك
في القدرة ولا استبعده فاختلفت الفاصلتان مثل الذين ينفقون الاية
قيل في كيفية النظم انه تعالى لما اجمل في قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة فصل بعد ذلك بهذه الايات
تلك الاضعاف وانما ذكر بين الايتين الادلة على قدرته بالاحيا والاماتة
من حيث لولا ذلك لم يحسن التكليف بالانفاق لانه لولا وجود الاله المثيب
المعاقب لكان الانفاق عبثا وقال الطيبي اعلم ان البلغا فيما
يذهبون اليه دقيق المسلك لطيف المغزى وهو انهم اذا شرعوا
في حديث ذي شجون له شعب وفنون شتى ولهم اعتنا بنوع منها
اكثر من الاخر تحينت وجدانه مجالا لطيفا كان اورده والله جل سلطانه
حين فرغ من بيان الاحكام وشرع في القصص تحريضا على الجهاد وحثا
على الانفاق في سبيله اشادة للدين وقمعا للملحدين قال وقاتلوا في سبيل
الله الاية ثم قال من ذا الذي يقرض الله الاية ولما كان الانفاق هو
العمدة في الجهاد كرر ذكره مرارا وذلك انه لما قص حديث طالوت وجالوت
وشذا من احوال الانبيا تقريرا للجهاد وتاسيا بهم كر الى حديث الانفاق وبعث له
يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم الاية ثم اتى بوصف ذاته المقدسة
وبقصة جليلة وكر راجعا الى قصة الانفاق بهذه الاية ثم لما استوفى حقه
من البيان ختم السورة بخاتمة سنية وما ذاك الا لان الانفاق عند الله
خطبا جليلا وخطرا عظيما انتهى وفي الاية احتباك لانه حذف من الاول
نفقات نظير حبة في الثاني ومن الثاني زارع نظير الذين في الاول
قال هنا سبع سنابل وفي يوسف وسبع سنبلات استعمالا للجمعين قاله

الزمخشري وحسن جمع التصحيح هنا بمجاورته سبع بقرات مائة قري بالنصب على تقدير
انبتت او اخرجت او بدلا من سبع سنابل بدل بعض من كل او اشتمال
والله واسع عليم بتلك الاضعاف جودا لا ينقصه ما يتفضل به عليم بمن ينفق
في سبيله وبمن يستحق المضاعفة الذين ينفقون هذه الاية لبيان شرط
اعتبار النفقة التي وعد عليها بالمضاعفة ثم لا يتبعون معنى ثم تراخي الرتبة
واظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس
الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا
منا ولا اذى تكرير لا لافادة انتفاء كل منهما شرط لحصول الاجر لهم لم تدخل
الفا في خبر الذين اشارة الى ان اجرهم عند ربهم انما هو على سبيل التفضل
لا بايجاب الانفاق والله غني عن صدقات العباد حليم بتاخير العقوبة
عن المان والموذي يا ايها الذين امنوا الاية ضرب فيها مثلا للمان والموذي
ثم في الذي بعدها مثلا لضده وقوله لا يقدرون قيل عائد الى قوله كالذي
ينفق باعتبار المعنى وقيل الى قوله لا تبطلوا صدقاتكم على طريقة الالتفات
والتقدير فانكم اذا فعلتم ذلك لم تقدروا على شي مما كسبتم واقول عندي
ان المثل في الاية راجع الى الذي ينفق ماله رئا الناس وهو غير مومن
فعله في الظاهر بر وفي الحقيقة بخلافه كما ان الصفوان عليه تراب
في راي العين متصل به وفي الحقيقة منفصل عنه فاذا جا المطر واذهبه
صار اجرد نقيا منه كذلك المرائي الكافر اذا جاء الحساب تركه عاريا من
انفاقه بالكلية والدليل على ما قلناه ان قوله فمثله بضمير الافراد فهو عائد
الى اقرب مذكور وهو الذي ينفق وهو مفرد ثم اعاده في لا يقدرون
باعتبار المعنى ثم ختم الاية بقوله والله لا يهدي القوم الكافرين قال
ابو حيان وفيه ترجيح لمن قال ان ضرب المثل عائد على الكافر ثم ضرب
في الاية الثانية مثلا للذين ينفقون اموالهم ابتغا مرضات الله وذلك
ضد المنفق رئا لا ضد المان والموذي وهذا كله استطراد جر اليه التنظير
بنفقة المرائي ثم ضرب في الاية الثالثة مثلا للمان والموذي قال
الاصبهاني في قوله ايود احدكم الاية هذه متصلة بقوله لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى الاية فانه مثل ضرب له قلت ولذلك جا بلفظ الخطاب
على نمط الخطاب في لا تبطلوا صدقاتكم والمثلان المعترضان بلفظ الغيبة
على نمطها في كالذي الراغب الصفوان كالصفا الواحدة صفوانة الكرماني
هو الحجر الصافي من الرمل قال الكسائي مفرد جمعه صفوان بالكسر ابن جني
قرا الزهري بفتح الفا ابن جماعة قال هنا لا يقدرون على شي مما كسبوا
وفي سورة ابراهيم لا يقدرون مما كسبوا على شي لان المثل هنا للعامل
فكان تقديم نفي قدرته وصلتها انسب لانه من صلة القدرة وهناك للعمل
لقوله مثل الذين كفروا اعمالهم كرماد تقديره مثل اعمال الذين فكان تقديم
نفي مما كسبوا انسب ومثل الذين الاية ابو حيان لما ضرب مثل المنفق رئا الناس

وهو غير مومن ضرب مثل ضده ليظهر للسامع تفاوت ما بين الضدين وهذا من
بديع اساليب فصاحة القران ولما وصف الاول بوصفين قابل ذلك
هنا بوصفين فقوله ابتغا مرضات الله مقابل لقوله رئا الناس وقوله تثبيتا
من انفسهم مقابل لقوله ولا يومن بالله واليوم الاخر لان المراد بالتثبيت
توطين النفس على المحافظة عليه وترك ما يفسده ورجا ثوابه ولا يكون الا
عن يقين بالاخرة وفي الاية احتباك على قياس ما تقدم كمثل جنة قرى
بالحا والبا بربوة الاصبهاني الربوة المكان المرتفع المستوي الذي تجري فيه
الانهار فلا يعلوه الما ولا يعلوا على الما وخصها لان الشجر فيها ازكى واحسن
ثمرا والقراة بضم الرا وفتحها وقرا ابن عباس بكسرها وقرى برباوة بفتح الرا
وكسرها اصابها وابل قال ابو حيان لم يعطف بالفا وعطف في قوله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فلينظر ما الفرق بين الموضعين
قال شيخنا الامام تقي الدين الشمني رحمه الله في حاشيته على مغني اللبيب
في الكلام على ان الفا تدخل في الصفات ليدل على ترتيب معانيها في الوجود
دخلت الفا في الصفة الثانية في الاية الاولى لان ترتيبها في الممثل به
على الصفة الاولى وهي عليه تراب متعين لان الممثل به صفوان اصاب
التراب الذي عليه وابل فاذهبه بخلاف الاية الثانية
حيث لم تدخل فيها الفا في الصفة الثانية لعدم تعين ترتيبها في الممثل به
على الصفة الاولى وهي بربوة قال وفرق اخر بين الاثنين وهي ان الصفة
الاولى في الاية الثانية ثابتة والصفة الثانية عارضة ومعلوم
ان العارضة مترتبة في الوجود على العارضة فلا حاجة الى ما يدل على ترتيبها
بخلاف الصفتين في الاية الاولى فانهما عارضتان والثانية مترتبة
في الاولى فلا بد مما يدل على ترتيبها وهو الفا انتهى والوابل المطر الثقيل
والطل اضعفه وهو ما له اثر قليل قال ابن الجوزي معنى الاية
ان صاحب هذه الجنة لا يخيب فانها ان اصابها الطل حسنت وان اصابها
الوابل اضعفت فكذلك نفقة المومن المخلص والله بما تعملون بصير
فيه التفات وقرى بالغيبة قال الطوفي والختم به مناسب لمضمون الاية
اي بصير بعملكم الخالص من المشوب فيجازي على كل قال ابو حيان فقيه وعد
ووعيد جنة من نخيل واعناب خصهما بالذكر لانهما اقرب
الشجر واكثرها منافع لجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على سائر الاشجار
تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما بذكر كل الثمرات ووصفها بجريان الانهار
من تحتها ولا يمكن الزيادة على هذا في حسن الجنة ثم شرع في بيان شدة
حاجة مالكها اليها من كونه كبيرا عاجزا عن الاكتساب وكثرت جهات حاجاته
بحسب احتياجه الى مؤنه ومؤن من يقوم بخدمته وتحصيل مصالحه
وزيادة على ذلك ان له ذرية تحتاج الى ما يقوم بهم وهم ضعفا عاجزون
لا ينتفع بهم في دفع حاجتهم فضلا عن حاجة ابيهم وقرى جنات ابو حيان

بقول اكرم

حيث وقع في القران ذكر هذا نص على النخيل دون الثمرة وعلى ثمرة الكرم دون
الكرم لان اعظم منافع الكرم هو ثمرته دون اصله والنخل كله منافع ثمرته
وخشبه وجريده وليفه وخوصه وسائر ما يشتمل عليه **له فيها من كل الثمرات**
فيه حذف الموصوف اي رزق او ثمر من كل **واصابه الكبر** ابو حيان في لفظه
الاصابة معنى التاثير فهو ابلغ من وكبر **ضعفا** قرئ ضعاف **اعصار** ريح تثير الغبار
فيه ذكر الضمير لان الاعصار مذكر من سائر اسماء الرياح وحاصل المثل ان نفقة
المان والموذي شبيهة بالجنة المذكورة من حيث ان صاحبها ينتفع بها في الاخرة
احوج ما يكون اليها كما فقد صاحب الجنة جنته وهو احوج ما يكون اليها وفي التشبيه
بالجنة دون غيرها مناسبة حسنة لان الذي يفقده المان والموذي
من نفقته انما هو ثوابها وهو الجنة وفي ذكر ان هلاكها بنار احرقتها مناسبة
ايضا لان مقابل الجنة في الاخرة النار وهي جزاء المن والاذى ابن ابي الاصبع
في الاية من فنون البديع الاستقصا وهو ان يتناول المتكلم معنى فـ
يستقصيه فياتي بجميع عوارضه ولوازمه بعد ان يستقصي جميع اوصافه
الذاتية بحيث لا يترك لمن يتناوله بعده فيه مقالا وبيانه هنا انه سبحانه
لو اقتصر على قوله جنة كان كافيا فلم يقف عند ذلك حتى قال
في تفسيرها من نخيل واعناب فان مصاب صاحبها بها اعظم ثم زاد تجري من
تحتها الانهار متمما لوصفها بذلك ثم كمل وصفها بعد التتميمين فقال له فيها
من كل الثمرات فاتى بكل ما يكون في الجنان ليشتد الاسف على افسادها
ثم قال في وصف صاحبها واصابه الكبر ثم استقصى المعنى في ذلك
حتى وصف الذرية بالضعفا ثم ذكر استئصال الجنة التي ليس لهذا المصاب غيرها
بالهلاك في اسرع وقت حيث قال فاصابها اعصار ولم يقتصر على ذكره للعلم بانه
لا يحصل به سرعة الهلاك فقال فيه نار ثم لم يقف عند ذلك حتى اخبر
باحتراقها لاحتمال ان تكون النار ضعيفة لا تفي باحراقها لما فيها من الانهار
ورطوبة الاشجار فاحترس عن هذا الاحتمال بقوله فاحترقت
فهذا احسن استقصا وقع في كلام واتمه واكمله **يا ايها الذين امنوا انفقوا الاية**
لما اثنى تعالى على الانفاق ووعد عليه بالمضاعفة ثم شرط في اعتباره فقد المن بعد
والاذى ثم نهى عنه تاكيدا للتحذير منه وطلب له مثلا وخلل في ضمن ذلك
نظيره بالريا وضرب له ولضده مثلين وتضمن ذلك شرطا ثانيا في اعتبار وضرب
الانفاق وهو ان يكون خالصا لوجه الله عاريا من الريا اردف ذلك بشرط
ثالث في اعتباره وهو ان يكون من طيب مال المنفق ثم حذر في الاية
بعده من وسوسة الشيطان وتثبيطه عن الانفاق بوعده الفقر وختم الاية
الاولى بقوله غني يناسب النهي عن الخبيث وقوله حميد يناسب الانفاق
من الطيب والثانية بقوله واسع يناسب وعد المغفرة والفضل لـ
ومطابق لوعد الشيطان الفقر الذي هو تضييق منه وقوله عليم يناسب
وسوسة الشيطان والقاه في القلب الامر بالبخل الراغب تخصيص الامر بالانفاق

بالكتب

بالكتب دون الموروث مثلا لان الانسان بما يكتسبه اضن مما يرثه
فان الموروث مغفول من نحواه وقرئ تيمموا بضم اوله من يمم وقرئ تاموا
بالهمزة وتيمم ويمم وتامم الثلاثة بمعنى قصد وقال الخليل اممته قصدت
امامه ويممته قصدته من اي جهة كان والاغماض التساهل والتغافل
وقرئ تغمضوا بتشديد الميم مكسورة من غمض لغة في اغمض ومفتوحة
وقرئ بفتح التاء وضم الميم وبضم التاء وفتح الميم مخففة اي تحملوا على التغافل
عنه والمسامحة فيه وقرئ الفقر بضم الفاء لغة وقرئ بفتحتين **يؤتي الحكمة**
الاصبهاني لما ذكر في الاية قبله ان الشيطان يعد بالفقر ويامر بالبخل
وان الله يعد بالمغفرة والفضل نبه على ان الامر الذي لاجله وجب
ترجيح وعد الرحمن على وعد الشيطان ان وعد الرحمن يرجحه الحكمة
والعقل ووعد الشيطان يرجحه الشهوة والهوى من حيث انهما يامران
بتحصيل اللذة الحاضرة ويعرضان عن النظر في عواقب الامور قلت
وعندي ان يقال ان ادخال هذه الاية في خلال ايات الانفاق
كادخال حافظوا على الصلوات في خلال ايات العدة تنبيها على الاهتمام وذلك
لان الحكمة هي العلم النافع الموذي الى العمل فكانه تعالى يقول
لا يلهينكم امر الانفاق عن النظر في العلم والعمل به فان المنفق بلا علم
قد يضع الشي في غير مواضعه فحث على العلم ثم عاد الى ذكر الانفاق واحسن
من هذا انه لما ذكر وعد الشيطان ووعد الرحمن كانه قال ومثل هذا
لا يدركه ويعرف مغزاه ويميز بين المشتبه منه الا من اتاه الله الحكمة
والهمه العلم ولذا ختم بقوله وما يذكر الا اولوا الالباب وقرا يعقوب
ومن يوت بكسر التاء وضميره لله والمفعول الاول محذوف وقرئ تؤتي الحكمة
من تشا بالخطاب في الفعلين الثلاثة وقرئ ومن تؤته باثبات الضمير
وهو المفعول الاول وذكر الحكمة ثانيا بلفظ الظاهر لكونها في جملة اخرى
وللاعتنا بها والتنبيه على شرفها قال الزمخشري وتنكير خير للتعظيم
ولما كانت هذه الايات كلها في احكام النفقة الواجبة شرعا المنحصرة في
نفقة الجهاد والزكاة اللذين ذكر في كل منهما اية كما تقدم وكان لها قسم
ثالث لكنه ليس بايجاب الشرع بل بايجاب الانسان على نفسه
بالنذر ختم بالامر به والحث على الوفا به فقال **وما انفقتم**
من نفقة او نذرتم من نذر اي فوفيتم به **فان الله يعلمه** فيجازيكم عليه
وافرد الضمير لان العطف باو ثم هدد على ترك الوفا به بقوله
وما للظالمين من انصار فاستوفى جميع النفقات الواجبة ثم بين في
الايات بعدها ان الصدقات الواجبات وغيرها يجوز ابداؤها ظاهرا
وان اخفاها افضل حذرا من الريا الذي سبقت الاشارة الى التحذير منه
وان الصدقة على الفقرا خير من الصدقة على الاغنيا وافضل وذلك خاص
بالنوافل فقال **ان تبدوا الاية** وقيل ضمير تخفوها للصدقات

مراده النوافل والاولى من اداتها الفرض فيكون استخداما وعلى التقرير السابق
يكون الاستخدام في ضمير تؤتوها وقري نكفر بالرفع استينافا والجزم عطفا
على محل الجزاء والنصب عطفا على مصدر متوهم وعلى الثلاثة قري بالياء فالضمير
للاخفاء ولله وبالتاء فالضمير للصدقات وبالنون وقري بالتاء مبنيا للمفعول
وباسقاط الواو والياء ومجزوما وما بعد لا على قراءة النون ففي قوله **والله بما تعملون**
خبير الثبات وهذه الجملة اشارة الى تفضيل صدقة السر لان الله لا يخفى عليه
امرها وادخال من في من سياتكم لان الصدقة لا تكفر الجميع وابهمه حذرا من
الاعراض عن فعله اذا علم تكفيره **ليس عليك هداهم** نزلت لما نهى صلى الله عليه وسلم
عن التصدق على المشركين او كره الصحابة ذلك كما اخرجه النسائي والحاكم وبذلك
يعرف وجه اتصالها بما قبلها وقيل الهدى هنا بمعنى الغنى اي ليس عليك ان تغنيهم
بل تواسيهم والله يغني من يشاء وقيل الاية مرتبطة بقوله يؤتي الحكمة من يشاء
وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله نفي معناه النهي وقيل حال اي ما تنفقوا من خير
والحال انكم لا تريدون الا وجه الله فهو لكم اي اجره وثوابه ولا يضركم كفر
المتصدق عليه الاصبهاني ذكر وجه الله للتشريف لان قولك فعلته لوجه زيد
اشرف في الذكر من فعلته له لان وجه الشي في الاصل اشرف ما فيه ثم كثر حتى صار
يدل على شرف الذكر من غير تحقيق وجه كما تقول وجه الدليل كذا اي اشرف
ما فيه من جهة شدة ظهوره وحسن بيانه **للفقراء** الاصبهاني لما بين في الاية الاولى
انه يجوز صرف الصدقة الى اي فقير كان وفي الثانية انه يجوز صرفها الى
المشركين بين في هذه من هو اشد الناس استحقاقا بصرفها اليهم وهم الفقراء
الذين من صفتهم كيت وكيت واللام متعلقة بمحذوف اي اعملوا واجعلوا
ما تنفقون للفقراء ووصفهم بوصفين عظيمين حبسهم نفسهم في سبيل الله وهو
الجهاد او طلب القران والعلم المانع لهم عن التكسب والضرب في الارض وعفتهم
المانعة لهم من السؤال حتى يظنهم من لا خبرة له بحالهم اغنياء ويدركهم
الحاذق بفراسته لما عندهم من اثر ذلك من البوس ورثاثة الحال
واثر الجهد وقال ابو حيان قوله للفقراء جواب سؤال مقدر كانه قيل لمن
هذه الصفات المحثوث على فعلها فقيل للفقراء فبين مصرف الصدقة الراغب
العفة حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة والمتعفف المتعاطي
لذلك بضرب من الممارسة والقهر وفي الاية طباقات بين الفقراء والاغنياء
واحصروا واضربا في الارض وتحسبهم الجاهل وتعرفهم ومن التعفف
وسيماهم والتعفف ولا يسالون **لا يسالون الناس الحافا** اي الحاحا اي لا يقع
منهم سؤال اصلا قال الزمخشري الفائدة في ذكر الصفة ونفيها
هي ان تضم الصفة مع الموصوف لتعم انتفاء الموصوف في مقام المشاهد على
انتفاء الصفة فيكون ذلك ازالة لتوهم وجود الموصوف **وما تنفقوا من خير فان**
الله به عليم الاصبهاني هو نظير قوله في الاية قبله وما تنفقوا من خير يوف اليكم
وانتم لا تظلمون وليس هذا من باب التكرير بل فيه فوائد منها انه لما قال في الاية

الاولى

الاولى ذلك ومن المعلوم ان توفية الاجر من غير بخس ونقصان لا يمكن الا عند العلم
بمقدار العمل ختم هذه الاية بوصفه بالعلم به ومنها انه لما رغب في التصدق على المسلم
والمشرك قال وما تنفقوا من خير يوف اليكم فبين ان اجره واصل لا محالة ثم لما رغب
في التصدق على الفقراء الموصوفين بهذه الاوصاف الكاملة والانفاق عليهم اعظم
وجوه الانفاقات اردفه بما يدل على عظم ثوابه فقال وما تنفقوا من خير فان الله
به عليم وهو يجري مجرى قول السلطان لعبده احسن الى فلان فانا احسنت اليه
فانا علمه ويصل الى خبره فانه اعظم وقعا مما لو قال له فان اجرك واصل اليك
الذين ينفقون الاية الاصبهاني لما بين في الاية المتقدمة اكمل من تصرف
اليه النفقة بين في هذه اكمل وجوه الانفاق وهو ان يعم الاوقات والاحوال
بالصدقة فكلما نزل بمحتاج عجل قضاء حاجته ولم يوخر وذلك مناسب لختم ايات
الانفاق بها فان الختم انما يكون بالمشتمل على الاكمل وفيها تاكيد وايضاح لما
اوجز في قوله ان تبدوا الصدقات فنعما هي الاية وتقديم الليل والنهار والسر
على العلانية لفضل الاولين **الذين ياكلون الربا** الاصبهاني لما كان بين الصدقة
والربا تضاد لان الصدقة عبارة عن نقص المال بسبب امر الله به والربا عبارة
عن طلب الزيادة عن المال مع نهي الله عنه ولهذا قال تعالى يمحق الله الربا
ويربي الصدقات وعادة القران جارية بتعقيب حكم احد الضدين بالاخر
عقب حكم الصدقات حكم الربا وقال ابو حيان لما نهى عن الصدقة من الخبيث
وامر بها من الطيبات من الكسب ذكر نوعا من الخبائث كان غالبا عليهم في الجاهلية
وخص الاكل لانه معظم الامر كما في اية اليتامى وكتب الربا بالواو على لغة
من يفخم كما كتب الصلاة والزكاة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع
وقرا ابو السمال والربو بضم الباء ساكن الواو وقال ابن جني وفيه شذوذ لان
الخروج من الكسر الى الضم اللازم ووقوع الواو بعد الضمة في اخر الاسم
وهذا شي لا يعهد الا في الفعل وقري الربوا بفتح الباء ساكن الواو على لغة من
يقف على افعى افعو واجرا الوصل مجرى الوقف قيل وهي لغة الحيرة ولذا
كتبها اهل الحجاز بالواو لانهم تعلموا الخط من الحيرة **لا يقومون** اي من قبورهم اذا بعثوا
وقرا ابن مسعود يوم القيامة **يتخبطه** يصرعه الراغب الخبط الضرب
على غير استواء **من المس** قال الراغب كني به عن الجنون كما كني به عن النكاح ويطلق
في كل ما ينال الانسان من الاذى نحو مستهم الباساء واصله ما يدرك بحاسة اللمس
ابو حيان من المس تاكيد ليتخبطه راجع لاحتمال المجاز وهو ان يراد بالتخبط
الاغواء وتزيين المعاصي **قالوا انما البيع مثل الربا** هذا من قلب التشبيه مبا لغة
منهم اذ القصد تشبيه الربا بالبيع في الحل لا عكسه فبالغوا وجعلوا الربا
اصلا في الحل مقاسا عليه البيع فقال تعالى ردا عليهم **واحل الله البيع وحرم**
الربا فلا قياس مع وجود النص **فمن جاءه موعظة** ذكر الفعل للفصل وقيل
الموعظة وقري جاءته **من ربه** فيه تعظيم الموعظة وتانيس العبد لقبولها
ومن عاد اي الى اكل الربا مشبها له بالبيع في الحل **يمحق الله الربا ويربي الصدقات**

لما بالغ في الامر بالصدقات والحث عليها وفي الزجر عن الربا ذكر هذه الجملة
في طريق الاستيناف ليكون باعثا على فعل الصدقات وترك الربا وفيه
طباقات وجناس اشتقاقي الراغب المحق النقصان واذهاب البركة
ابوحيان هو نقص الشي حالا بعد حال وقرئ بالتشديد في الفعلين لا يحب
كل كفار بتحليل الربا اثيم فاجر باكله ابوحيان اي بصيغة المبالغة في كفار
واثيم تنبيها على امر عظم الربا ابن نورك ذكر الاثيم ليزول الاشتراك
الذي في كفار اذ يقع على الزراع كما في اعجب الكفار نباته ابن جماعة عدل
عن قوله يبغض اي لا يحب توخيا لاحسن اللفظين ولان لفظ البغض مكروه
للنفس فلم تحسن نسبته الى الله تعالى الامام قال هنا لا يحب كل كفار اثيم
وفي اول النسا ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا وفي اخرها ان الله لا
يحب من كان خوانا اثيما وفي الحديد والله لا يحب كل مختال فخور لان
اية البقرة في الكفار استحلوا ما حرم الله فقالوا انما البيع مثل الربا فوصفهم
بالكفر فناسبه الاثيم واية النسا الاولى اتت بعد الامر بالعبادة
وترك الشرك فناسبه الشرك عن الاختيال والفخر اللذين يضادان
العبادة والعبدية والثانية فيمن سرق الذرع وبعد قوله يختانون
انفسهم فناسبه خوانا اثيما واية الحديد بعد النهي عن الاسى على ما فات
والفرح بما اتي وذلك سبب التفاخر والخيلا وتقدم وتفاخر بينكم فناسب
والله لا يحب كل مختال فخور قال وا ختصت اية البقرة والحديد بالواو
لان مبناهما على الاتصال الذي هو من مقتضيات الواو لان الكلام في
السورتين متصل بعضه ببعض واية النسا بان لان مبناها على الانفصال
الذي هو من مقتضيات ان لان الكلام قد تم عند اخر الامر والنهي وجات
اية الامر والنهي بلفظ من كان واية الاخبار بلفظ كل وفيه من المناسبة
مالا يخفى ان الذين امنوا الاية عادته تعالى في القران مطردة بانه مهما
ذكر وعيد اذكر بعده وعدا فلما بالغ في وعيد الربا اتبعه بهذا الوعد
يا ايها الذين امنوا الاية نزلت فيمن طالب بعد النهي عن الربا بربا
كان له قبل النهي الاصبهاني لما بين الله في الاية المتقدمة ان من انتهى عن
الربا فله ما سلف ظن انه لا فرق بين المقبوض منه وبين الباقي في الذمة
فبين في هذه الاية ان ما لم يقبض لا يجوز اخذه وانما شدد في الوعيد
عليه لان من انتظر مدة طويلة في حلول الاجل ثم حضر الوقت وظن نفسه
على ان تلك الزيادة قد حصلت فيحتاج في منعه الى تشدد عظيم وقرئ
بقا بالالف لغة طي وبقي بسكون اليا وقوله ان كنتم مومنين
شرط اريد به التهييج فان لم تفعلوا اي تتركوا ما بقي من الربا سمي الترك
فعلا فاذنوا بالمد وكسر الذال اي اعلموا غيركم ممن لم ينته عن الربا واذا
اعلموا غيرهم علموا هم لا محالة وبالقصر وفتح الذال اي اعلموا انتم واسمعوا بحرب
اي بنوع منه عظيم لا يطاق الكشاف فان قلت هلا قيل بحرب الله ورسوله

دوس

دوس اموالكم اي اصولها سميت روسا مجازا لا تظلمون ولا تظلمون خبر معناه
النهي والقراة بالبنا للفاعل في الاول وللمفعول في الثاني وقرئ بعكسه وان
كان ذو عسرة قرئ ذا على ان كان ناقصة واسمها ضمير الغريم وقرئ معسرا
وقرئ ومن كان ذا وقرئ فان كان فنظرة قرئ بسكون الظا تخفيفا وهي لغة
تميم وقرئ فناظرة بها الحكاية مع اسم الفاعل وقرئ فناظره بصيغة الامر وها
الكناية اي سامحه وقرئ ميسره بالفتح والضم بالاضافة الى ضمير الغريم
وقرئ ميسوره كذلك وقرئ فناظره بالبنا مصدر ككاذبة وقاقرة وقرئ فناظر وه
ميسرة بفتح السين وضمها وياسرة وان تصدقوا ابن عبد السلام عبر به بدل
وان تبروا ليفيد ان ذلك عنده بمنزلة الصدقات التي يثيب عليها ترغيبا
فيه والقراة بالتشديد والتخفيف وقرئ بتاين واتقوا يوما الاية زيادة
مبالغة في الزجر عن الربا والتهديد عليه على اعظم الوجوه وفيها مع ذلك
وعظ لجميع الناس البر والفاجر وهي اخر اية نزلت فيما اخرجه النسائي عن ابن عباس س
وفيها من براعة الختام ما لا شعار بالاخرة المستلزمة للوفاة ما لا مزيد على حسنه
ترجعون بالبنا خطابا على جهة المبالغة في الوعظ والتحذير مبنيا للمفعول
والفاعل وقرا الحسن يرجعون بالتحتية والبنا للمفعول قال ابن جني وفيه
التفات على حد كنتم في الفلك وجرين بهم قال ونكتته هنا الرفق من الله تعالى
بصالحي عباده وذلك ان العود الى الله بحساب اعظم ما يخوف به العباد
فاذا قرئ بالخطاب فقد خوطبوا بامر عظيم تكاد تنشق له قلوب المطيعين فانحرف
عنهم بذكر الرجعة بلفظ الغيبة رفقا بهم وكانه قال اتقوا يا مطيعون يوما
يرجع فيه العاصون ويجازون فيه بجرائمهم واما قراة الخطاب ففيها فضل
تحذير للمومنين نظرا لهم واهتماما بما يحقق لهم السلامة وقرئ تردون وتصيرون
ابن جماعة قال هنا وفي ال عمران ما كسبت وفي النحل والزمر ما عملت تفنيا
وايضا لما تقدم في الزمر لفظ الكسب في مواضع وبدا لهم سيئات ما كسبوا
عدل الى لفظ عملوا تركا للتكرار ولم يتقدم ذلك في البقرة وال عمران وانه اشارة
الى ان الاعمال كسب العبد خيرا كان وشرا يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم لما حرم
الربا في تلك الايات اباح السلم بهذه الاية وقيل في كيفية النظم انه تعالى لما
ذكر قبل هذا الحكم نوعين من الحكم الاول الانفاق في سبيله وهو يوجب
تنقيص المال اولا وعاقبته الزيادة والثاني ترك الربا الذي يوجب زيادة
المال اولا وعاقبته النقص وختم الحكمين بالتهديد العظيم والامر بالتقوى
والتقوى تسد اكثر ابواب المكاسب والمنافع اتبع ذلك بالارشاد الى كيفية حفظ
المال الحلال وصونه عن الفساد وذلك من المعين على التمكن من الانفاق في
سبيل الله المامور به وبالغ في الارشاد الى ذلك بالبسط الشديد بخلاف عادة
الفاظ القران من جريها على الاختصار بدين ذكر مع ان تداينتم يفهمه للتاكيد
على حد ولا طاير يطير قال الكرماني ونكتته قطع المجاز اذ قد يقال تداينا بمعنى
تجازينا وقال الزمخشري انما ذكر ليرجع اليه الضمير في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر

لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه ابين لتنويع الدين
الى حال ومؤجل وقيل ذكر ليفهم ان المراد اي دين كان قليلا او كثيرا وقال الامام
تداينتم من باب المفاعلة فقد يفهم جواز بيع الدين بالدين وهو باطل فقوله
بدين ليفهم ان المراد تداين يحصل فيه دين واحد نحو هذه خمسة اجوبة
مسمى فائدته الاعلام بان من حق الاجل ان يكون معلوما **فاكتبوه** امر ارشاد
ولا يأب الاصبهاني هو نهي ارشاد ايضا **كما علمه الله** على حد واحسن كما احسن
الله اليك اي ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله **فليكتب** اعاده بصيغة الامر
تاكيدا **وليملل** الاملال اعادة الشيء مرة بعد اخرى واملل لغة الحجاز وبني
اسد واملى لغة تميم وقيل امليت فرع امللت ابدلت اللام ياء لانها اخف
وليتق الله ربه جمع بين اسم الذات ووصف الربوبية تنبيها على مقتضاهما من
التحذير والمراقبة وتذكير النعمة والتربية **ان يمل هو** في تاكيد الضمير المستكن
بهو من الفصاحة ما لا يخفى لما فيه من دفع المجاز الذي يحتمله اسناد الفعل الى
الضمير والتنصيص على انه غير مستطيع بنفسه **واستشهدوا** ابو حيان يحتمل
ان يكون للطلب وان يكون بمعنى اشهدوا **شهيدين** الاصبهاني ذكر بنا المبالغة
دلالة على من قد شهد وتكرر ذلك منه فكانه اشارة الى العدالة **فان لم يكونا رجلين**
الكرماني لا مفهوم لهذا الشرط بالاجماع **فرجل وامرأتان** اي يشهدون
او فليشهدوا او فليكن **ان تضل** قراءة حمزة بالكسر شرطا جوابه فتذكر برفعها
اي فهي تذكر وغيره بالفتح تعليلا وتذكر بالنصب عطفا عليه والتقدير ارادة ان
تضل فتذكر وهو من اقامة السبب مقام المسبب لان الضلال سبب الاذكار
والاذكار هو المراد في الحقيقة والتقدير ارادة ان تذكر ان ضلت واعاد احداهما
لان المذكرة غير الضالة فليس من اقامة الظاهر مقام المضمر نعم كان يمكن ان
يقال فتذكرها الاخرى وعدل عنه لان التقديم يفيد الاهتمام وهو اولى
بالمذكرة لا بالناسية فلو قدم لافاد الاهتمام بالناسية وهو خلاف القواعد
قاله ابن عبد السلام ومفعول تذكر الثاني محذوف اي الشهادة التي ضلت عنها
وقرئ تضل بضم اوله مع كسر الضاد وفتحها وقرئ فتذاكر **اذا ما دعوا** اطلق
ليعم التحمل والاداء معا **ولا تسأموا** الكشاف كني بالسآمة عن الكسل لانه
من صفة المنافقين فلم يطلقه على المؤمنين وقرئ بالغيبة على الالتفات
هنا وفي يكتبوه وترتابوا **صغيرا او كبيرا** فيه ترق **الى اجله** نص عليه للدلالة
على كتابته ايضا كما يكتب اصل الدين **اقسط** فيه استعمال افعل التفضيل
من غير ثلاثي لان فعله اقسط وكذا قوله **واقوم** لان فعله اقام واستعمل
وقال ابو حيان ينبغي ان يكون من قسط الثلاثي بمعنى عدل فقد حكى
ابن السكيت في الاضداد عن ابي عبيدة قسط جار وقسط عدل واقسط
بالالف عدل لا غير وكذا حكاه ابن القطاع ايضا وكذا اقوم من قام بمعنى اعتدل
انتهى ابو حيان نسق هذه الاخبار في غاية الحسن اذ بدا اولا بالاشرف
وهو اقسط عند الله ثم ثنى بما يليه ثم بما يليه وهو نفي الريبة **تكون**

تجارة

تجارة بالرفع فكان تامة والنصب خبرا لها ناقصة والاسم للمبايعة او التجارة **ولا يضار**
مشترك بين الفاعل والمفعول اي لا يضارر الكاتب والشهيد صاحب الحق او المدين
او لا يضارر الداين او المدين الكاتب والشهيد ويؤيد الاول ما قرئ ولا
يضارر بالفتح وكسر الراء الاولى والثاني ما قرئ ولا يضارر بفتح الراء قال
الاصبهاني والاولى ان يحمل على المعنيين جميعا وقرئ لا يضار بفتح الراء نفي بمعنى
النهي وبكسرها لالتقاء الساكنين وقرئ ولا يضار كاتبا ولا شهيدا بكسرة
الراء ونصب الاسمين والفاعل ضمير صاحب الحق **فسوق بكم** اي ملتبس بكم او
فيكم فالباء ظرفية وهو ابلغ اذ جعلوا محلا للفسق **واتقوا الله** تحذير من الفسوق
ويعلمكم الله وعد وتذكير بالنعم **والله بكل شيء عليم** ختم به لما فيه من الاشعار
بالمجازاة للفاسق والمتقي واعيد لفظ الله في الجمل الثلاث على طريق تعظيم
الامر فجعلت كل جملة منها مستقلة بنفسها لا تحتاج الى ربط بالضمير بل اكتفي
فيها بربط العاطف الطوفي الختم به مناسب لما تضمنته اية الدين من الاحكام
الكثيرة ولقوله ويعلمكم الله لانه اذا اخبرهم انه بكل شيء عليم وثقوا بتعليمه
وسكنوا اليه **وان كنتم على سفر** ذكره على سبيل التمثيل لانه مظنة فقدان
الكاتب واعواز الاشهاد فتعديه الى كل عذر **ولم تجدوا كاتبا** قرأ ابن عباس
كتابا بصيغة المصدر وقال انه يعم الصحيفة والدواة والقلم
وقرئ بضم الكاف بصيغة الجمع وكتبا **فرهن** جمع رهن وقرئ بسكون الهاء
تخفيفا وفي قراءة فرهان جمع الجمع وهو خبر محذوف اي فالوثيقة **فان امن**
قرئ اومن رباعي مبني للمفعول اي امنه الناس وقرئ ايتمن **وليتق الله**
ربه اكد به الامر باداء الدين كما ذكر ذلك ايضا عند قوله فليملل الذي عليه
الحق فامر بالتقوى حين الاخذ والاقرار والوفا **ولا تكتموا** عود الى خطاب
الشهود وقرئ بالغيبة **اثم قلبه** الكشاف اسند الاثم الى القلب ولو قال
فانه اثم لكان اوجز دا المعنى لانه ابلغ حيث اسند الاثم الى الجارحة التي تعلق
بها الفعل وهو القلب لان كتمان الشهادة هو اضمارها في القلب فلا يتكلم بها ولان
القلب رئيس الاعضاء واذا فسد فسد الجسد كله فكانه قيل فقد تمكن الاثم
في اصل نفسه وملك اشرف مكان منه ولئلا يظن ان كتمان الشهادة من الاثام
المتعلقة باللسان فقط وليعلم ان القلب اصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان
ترجمان عنه ولان افعال القلوب اعظم من افعال الجوارح وهي لها كالاصول
فاذا جعل كتمان الشهادة من اثام القلوب فقد شهد له بانه من عظائم الذنوب
وقال باثم دون ياثم ليدل على الثبوت وقرئ قلبه بالنصب على التشبيه
بالمفعول به وقيل على التمييز وقيل على البدل من اسم ان وقرئ بفتح الهمزة
والثاء المشددة والميم فعلا ماضيا وقلبه بالنصب مفعول اي جعله اثما
والله بما تعملون عليم وعيد للكاتم الطوفي هو مناسب لما قبله من اداء الامانات
والشهادات اخبر تعالى انه عالم بعملهم من اداء وكتمان فيجازي كلا بحسبه وقراءة
بالغيبة في يعملون من قراءها في ولا يكتموا وقد وقع في هاتين الايتين تلوين الخطاب

في عدة مواضع وهو الانتقال من خطاب الحضور الى خطاب الغيبة وعكسه **لله ما**
في السموات قيل لما جمع في هذه السورة اشيا كثيرة من علم الاصول وهي دلايل
التوحيد والنبوة والمعاد واشيا كثيرة من بيان الشرايع والتكاليف من الصلاة
والزكاة والقصاص والصوم والحج والجهاد والحيض والايلا والطلاق والخلع والرجعة
والعدة والصداق والرضاع والربا والبيع وكيفية المداينة ختم بهذه الاية
على سبيل التهديد وقد ثبت ان الصفات التي هي كمالات حقيقية ليست الا القدرة
والعلم فعبر عن كمال القدرة بقوله لله ما في السموات وما في الارض وبقوله والله
على كل شي قدير وعن كمال العلم بقوله وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله
واذا ثبت كمال القدرة وكمال العلم وكان كل من في السموات والارض ملكا له وخلقا
كان ذلك غاية الوعد للمطيعين وغاية الوعيد للعاصين فلهذا السبب
وقع الختم بهذه الاية ولهذا وقع فيها ذكر الحساب والمغفرة والعذاب وقيل لما ذكر
في اخر الاية المتقدمة والله بما تعملون عليم ذكر عقبه ما يجري مجرى الدليل العقلي
على ثبوت العلم له فان من كان خالقا لهذا الخلق العجيب المتقن المحكم المشتمل على الحكم
الباهرة والمنافع المتكاثرة لا بد ان يكون عالما ضرورة وقيل لما تقدم النهي عن كتم
الشهادة والوعيد عليه بين ان له ملك السموات والارض فيجازي على الاظهار
والكتمان ولهذا قال وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه وفيهما طباق والقراءة
فيغفر ويعذب بالجزم عطفا على الجواب والرفع باضمار هو وقري بالنصب
باضمار ان وقرا ابن مسعود باسقاط الفا والجزم على البدل بعضا واشتمالا وختمت
بذكر القدرة مناسبة للمغفرة والتعذيب والحساب اذ لا يصح ذلك الا من قادر
قاله الطوفي وغيره الكرماني قدم ذكر المغفرة على العذاب في هذه السورة
وغيرها وعكس في المايدة لان اية البقرة وغيرها جات ترغيبا في المسارعة الى طلب
المغفرة واشارة لسعة مغفرته ورحمته واية المايدة عقب ذكر السارق
والسارقة فناسب تقديم ذكر العذاب ولما نزلت هذه الاية شق على الصحابة
المواخذة بحديث النفس وقالوا لا نطيقها فقال لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا
سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقراها القوم وذلت بها السنتهم
انزل الله في اثرها امن الرسول الاية فلما فعلوا ذلك نسخها الله فانزل لا يكلف الله
نفسا الا وسعها الى اخر السورة رواه مسلم وغيره قال ابو حيان وبهذا السبب
في النزول عرفت مناسبة امن الرسول الاية لما قبلها واخرج الفريابي
عن محمد ابن كعب قال ما بعث الله من نبي الا ارسل من رسول انزل عليهم الكتاب
الا انزل عليه هذه الاية وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله الاية
فكانت الامم تابى على انبيايها ورسلها ويقولون نواخذ بما تحدث به انفسنا ولم
تعمله جوارحنا فيكفرون ويضلون فلما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم اشتد على
المسلمين ما اشتد على الامم قبلهم فقالوا يا رسول الله انواخذ بما نحدث به انفسنا
ولم تعمله جوارحنا قال نعم فاسمعوا واطيعوا الى ربكم فذلك قوله امن الرسول الاية

فوضع الله عنهم حديث النفس الا ما عملت الجوارح لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت
من شر وبهذا يعرف مناسبة ختم السورة بهذه الاية لان هذه السورة اعظم سور
القران واشتملت على ما لم يشتمل عليه غيرها من الاحكام وغيرها فناسب ختمها بهذه
الاية التي انزلت على جميع الانبيا المتضمنة ان جميع ما ابداه العبد واسره محاسب
عليه ثم هو في المشية اما المغفرة واما العذاب وحق لهذه السورة ان يختم
بهذه الاية التي لها شان بحيث لم تغادر نبيا ولا رسولا الا انزلت
عليه ثم اردفت بما امتازت به هذه الامة على غيرها من التخفيف عنها والترخيص
في شانها ورفع ذلك الاصر مع بقا رسمها تذكيرا لهم بالنعمة في نسخها وتنبيها
على ابايهم بها وقولهم سمعنا واطعنا كما قال غيرهم من الامم ولذلك ذكر كما حملته
على الذين من قبلنا ووقع الختم بايتين عظيمتين من كنز تحت العرش لم يعطهما
نبي قبل نبينا صلى الله عليه وسلم كما ورد في الحديث وفيه انه اعطيهما ليلة الاسرا
وانهما صلاة وقران ودعا وتشفيان وترضيان الرحمن وتنفران الشيطان
وقيل لما ذكر في هذه السورة جملة من فرايض الاحكام ختمت بذكر تصديق نبيه
والمومنين بجميع ذلك وقيل انه تعالى بدا السورة بمدح المتقين الذين
يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة وينفقون وبين في اخر السورة ان الذين
مدحهم في اولها هم امة محمد صلى الله عليه وسلم فقال والمومنون كل امن بالله
وملايكته وكتبه ورسله وهذا هو المراد بقوله في اول السورة وبالاخرة هم يوقنون
ثم حكى عنهم هنا كيفية تضرعهم الى ربهم في قولهم ربنا لا تواخذنا ان نسينا
الى اخر السورة وهو المراد بقوله في اولها اولئك على هدى من ربهم واولئك هم
المفلحون فانظر كيف حصلت الموافقة بين اول السورة واخرها ابو حيان لما كانت
مفتتح السورة بذكر الكتاب المنزل وانه هدى للمتقين الموصوفين بما وصفوا
به من الايمان بالغيب وبما انزل الى الرسول والى من قبله كان مختتمها ايضا
موافقا لمفتتحها قال وقد تتبعت اوايل السور المطولة فوجدتها يناسبها اواخرها
بحيث لا يكاد ينخرم منها شي وذلك من ابدع الفصاحة حيث يتلاقى اخر الكلام
المفرط في الطول باوله وهي عادة العرب في كثير من نظمهم يكون احدهم
اخذا في شي ثم يستطرد منه الى شي اخر ثم الى اخر هكذا طويلا ثم يعود الى ما كان اخذ
فيه انتهى قلت وقد الفت في ذلك كتاب مراصد المطالع في تناسب المقاطع
والمطالع **امن الرسول بما انزل اليه من ربه** افرده بالايمان وحده ثم اشرك المومنون
كل امن لان الذي ينزل الى الرسول قد يكون متلوا يعرفه الغير فيمكن ان يومن به
وقد يكون وحيا لا يعلمه سواه فيكون مختصا بالايمان به ولا يتمكن غيره من الايمان
به فلهذا كان مختصا في باب الايمان بما لا يمكن حصوله في غيره وقيل والمومنون
معطوف ويويده ما قري وامن المومنون وقدم الملايكة على الكتب لانها
واسطة في انزالها فهي متقدمة على تنزيل الكتب والكتب على الرسل لانهم
الذين تنزل اليهم الكتب فالكتب متقدمة وجودا وقراة وكتابة وقيل انها ابلغ من
قراة وكتبه وكلاهما في السبع لانه للجنس والجنسية قايمة في الوحدان كلها لا يخرج منها

ثي واما الجمع فلابد فل تحته الا ما فيه الجنسية من المجموع وقري وكتبه ورسله
باسكان ثانيهما تخفيفا وقرا ابن مسعود وكتابه ولقايه ورسله لا نفرق باضمار
يقولون او قايلين وقرا يعقوب بالياء على لفظ كل وقرا ابي وابن مسعود لا يفرقون
على معناها بين احد اي واحد كما يفعل اليهود والنصارى سمعنا اي قوله واطعنا
اي امره لجد فالدلالة المعنى عليهما غفرانك اي نطلب غفرانك في رفع المواخذة
بحديث النفس ربنا تقدمت نكتته عند قوله ربنا تقبل منا واليك المصير
اشارة الى ان العبد متى علم انه لا بد من المصير اليه كان اخلاصه في الطاعات
اتم واجتنابه المعاصي اكمل لا يكلف استيناف اخبار من الله لا تتمة حكاية كلام الرسول
والمومنين كما دل عليه سبب النزول والاحاديث الصحيحة فلذلك جا بلا
عطف لكمال الانفصال وهو اجابة لدعايهم بقولهم غفرانك الا وسعها قري بصيغة
الماضي على حذف ما الموصولة او المفعول الثاني اي شيا وما بعد الاحالة
وفيه على هذه القراة قلب والاصل الا وسعته على حد ادخلت القلنسوة في
راسي قاله ابن عطية لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فيه طباق قال الكشاف
خص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان في الاكتساب اعتمالا فلما كان الشر
مما تشتهيه النفس وهي منجذبة اليه وامارة به كانت في تحصيله اعمل واجهد
فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دليل
فيه على الاعتمال ابن عطية الحسنات تكتسب بلا تكلف لانها على جادة امر الله
ورسم شرعه والسيات تكتسب بتكلف لان كاسبها يتكلف خرق حجاب نهي
الله ويتخطاه اليها فحسن في الاية مجي التصريفين احرازا لهذا المعنى وجي في
الحسنات باللام لانها مما يفرح به وتضيف له ملك الكاسب وفي السيات بعلى
لانها اوزار واثقال تحملها ربنا باضمار قولوا على التعليم للدعا الا صبرا في المقصود
من جميع العبادات والطاعات التعظيم لامر الله فالدعا خلاصة العبادة
فبهذا السبب ختمت هذه السورة الكريمة المشتملة على هذه العلوم الشريفة
بالدعا والتضرع الى الله ثم انه تعالى علم المومنين اربعة انواع من الدعا
ذكر في مطلع الثلاثة الاول ـــــ ربنا ولم يذكر في مطلع الرابع
ربنا لان المطلوب في الاول الترك وفي الرابع الفعل فترك منه لفظ ربنا
اشعارا بان العبد اذا واظب على التضرع نال القرب من الله سبحانه وتعالى
فلم يحتج الى الندا لان الندا انما احتيج اليه عند البعد انتهى لا تواخذنا قيل انما
خرج على صيغة المفاعلة وهو فعل واحد لان المسي قد امكن من نفسه
وطرق السبيل اليها بفعله فكانه اعان عليه من ياخذه بذنبه فكان له بذلك
مشاركة اصرا اصله الحمل الذي ياصر حامله اي يحبسه فكانه لا يستقل به
لثقله استعير للتكليف الشاق وقرا ابي حمل بالتشديد اصارا بالجمع وقري
اصرا بضم الهمزة ما لا طاقة لنا به اي من التكليفات الشاقة والعقوبات على التفريط
فيها وبشموله للامرين يخرج عن ان يكون مع ما قبله تكرارا محضا وطاقة
من المصادر التي جاءت على غير قياس فعلها ولا يقاس عليها والقياس اطاقة لانه

الانباري المعنى لا تحملنا ما يثقل علينا اداوه وان كنا مطيقين له على تجشم وتحمل
مكروه خاطب العرب على حسب ما تعقل فان الرجل منهم يقول للرجل يبغضه
ما اطيق النظر اليه وهو مطيق لذلك لكنه يثقل عليه ومثله ما كانوا
يستطيعون السمع واعف عنا واغفر لنا وارحمنا الظاهر ان هذه الثلاثة
عايدة الى الثلاثة الاول فالعفو راجع الى عدم المواخذة بالنسيان والخطا
اي اعف عنا وامح ذنبنا فلا تواخذنا به والمغفرة الى تحميل الاصر الذي كان على
من قبلنا اي اغفر لنا واستر ما من الفضيحة بعدم رعاية حقه فلا تحمل علينا
والرحمة الى تحميل ما لا طاقة به اي ارحمنا فلا تحملنا ما لا نطيقه وبذلك
عرف مناسبة عدم اقترانه بلفظ ربنا لانه ليس دعا رابعا مباينا للثلاثة
بل كالنداء عاد الثلاثة بمعناها او بسببها معا او بلوازمها ثم رايت ابا حيان
ذكر نحو ذلك فقال ـــــ ختمت هذه السورة بالدعا الذي هو اشرف
العبادة اذ الداعي يشاهد نفسه في مقام الحاجة والذلة والافتقار ويشاهد
ربه بعين الاستغنا والافضال وافتتحت كل جملة بقوله ربنا ايذانا بانهم
يرغبون من ربهم الذي هو مربيهم ومصلح احوالهم وبانهم معترفون بانهم
مربوبون داخلون تحت رق العبودية والافتقار ولم يات لفظ ربنا في
الجمل الطلبية اخيرا لانها نتايج ما تقدم من الجمل التي دعوا فيها بربنا
وجاءت مقابلة كل جملة من الثلاث السوابق جملة فقابل لا تواخذنا بقوله
واعف عنا وقابل ولا تحمل علينا اصرا بقوله واغفر لنا وقابل ولا تحملنا ما لا
طاقة لنا به بقوله وارحمنا لان من اثار عدم تكليف ما لا يطاق الرحمة
وجمع بين الثلاثة لان العفو اسقاط العقاب على الذنب الا انه لا يقتضي
ستره فقد يعفو عليه ثم يعفو فسالوا اولا اسقاط العقوبة لانه الاهم
ثم سالوه المغفرة التي هي الستر لازالة عقوبة التخجيل ثم سالوا الرحمة
التي هي طلب الثواب ونشاها النعيم انتهى الراغب العفو ازالة الذنب
بترك عقوبته والغفران ستره والرحمة افاضة الاحسان فالثاني ابلغ
من الاول والثالث ابلغ من الثاني وقيل بعد ذلك انت مولانا اشارة الى
انهم في غاية الخضوع ونهاية التذلل وانهم معترفون بانه سبحانه هو مولى
كل نعمة وهو سيدهم الذي لا يطلبون الا منه ولا يلجاون الا اليه فانصرنا
على القوم الكافرين في الحرب والمناظرة فان من حق المولى ان ينصر عبيده
على اعدايه واعدايهم فلذلك رتبه عليه بفا السببية كما يقال انت الشجاع
فقاتل وانت الكريم فجد والنصر اذا كان بمعنى الغلبة عدي بعلى او بمعنى
المنع عدي بمن وقد وافق اخر السورة اولها من ذكر اوصاف
المومنين ثم الاشارة الى وصف الكافرين ووافق اخر السورة التي قبلها
من اختتامها بالدعا والاشارة الى الفرق الثلاث المومنين والكافرين
الشاملين للمشركين واليهود والنصارى المشار اليهما بقوله كما حملته على
الذين من قبلنا ومن موافقتها لاخر الفاتحة حسن التامين في اخر هذه كما

في الفاتحة اخرج ابو عبيد في فضايل القران عن ابي ميسرة ان جبريل
لقن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند خاتمة البقرة امين واخرج
عن معاذ ابن جبل انه كان اذا اختم سورة البقرة قال امين قال الامام الرازي
ومن تامل في لطايف نظم هذه السورة وفي بدايع ترتيبها علم ان القران كما
انه معجز بحسب فصاحة الفاظه وشرف معانيه فهو ايضا معجز بسبب ترتيبه
ونظم اياته الا اني رايت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطايف غير
منتبهين لهذه الاسرار وليس الامر في هذا الباب الا كما قيل
والنجم تستصغر الابصار صورته والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

سورة آل عمران

تقدمت الاشارة الى مناسبة وضعها هنا في
اول سورة البقرة ووجه التسمية ما وقع في قصة آل عمران من الامرين
الغريبين في ولادة يحيى وعيسى وثبت في سبب النزول ان صدرها الى
بضع وثمانين اية نزلت في وفد نصارى نجران ومجادلتهم في شان عيسى
اقول ولما كان المقصود الاعظم تقرير كونه عبد الله والرد عليهم
في دعوى الهيته او نبوته جاءت على الترتيب البليغ من الابتدا بما فيه براعة
الاستهلال لما سنبينه ثم تقرير كون هذا الكتاب صدقا وحقا ثم الوعيد
في مخالفة ذلك ومعاندته ثم استطرد الى وصف الكتاب وتقسيمه الى محكم
ومتشابه ووصف اهل الزيغ باتباع متشابهه ثم استطرد من امر الى امر
كل منها لنكتة يا في بيانها الى ان اراد التخلص للمقصود فافتتحه بذكر اصطفاء
الله آدم الذي هو ابو البشر ونوحا الذي هو اول الرسل وآل ابراهيم الذي
هو اول الانبياء ومتقدمهم بعد نبينا صلى الله عليه وسلم وآل عمران الذي عيسى
من ذريته ثم ذكر قصة ولادة مريم وذلك من المبالغة في استيفاء الشيء في
بذكر اصوله الدالة على حدوثه وانه هو صورة ثم ذكر قصة ولادة يحيى لتنزيلها
في ولادة مريم ولما تم نمطا من الغرابة الواقعة في ولادة عيسى من حيث الولادة
في غير حينها عادة لكن امر عيسى اغرب فقدمت التلييل الغرابة تانيسا بالاشد
غرابة وتمهيدا له ثم ذكر مبدا خلق عيسى وذلك دليل حدوثه وعبوديته
ثم تخلص الى ذكر رسالته وما حصل له من ارسل اليهم وهمهم بقتله ثم ذكر رفعه
الى السما وهو آخر ما انقوله وذلك استيعاب لا مزيد عليه ثم اخبر نبيه صلى الله
عليه وسلم ان هذا الذي تلاه عليه وحي صدق وقول حق وذكر محكم ثم ضرب
لعيسى في خلقه بلا اب مثلا بآدم فانه اغرب منه حيث خلق بلا اب ولا ام
وذلك حجة قاطعة وبرهان لا يطلب معه دليل فلما اصر النصارى على
دعواهم عنادا بعد هذا البيان التام والاحتجاج الدامغ امر نبيه
صلى الله عليه وسلم ان يدعوهم الى المباهلة وذلك آخر قصتهم فانظر الى
هذا الترتيب البليغ والنظم الانيق والمقدمات الموطية والتمهيدات
من مبدا السورة الى التخلص لقصة آل عمران الى التخلص لقصة عيسى
وابتدا في شانه بالاخبار بحاله في خلقه الدال على حدوثه وعبوديته لانه

سورة آل عمران

اقول ولما كان

85

اول الادلة في ذلك وللاشارة الى ان المصدق بان هذا الكتاب وحي من عند الله
يكتفي باخبار ربه بذلك ولا يطلب معه دليلا اخر ثم ثنى بالناس على اهل
ذلك عند استمرار العناد فلم يبق الا اقامة الدليل العقلي النقلي فلم يكتف به
لا يقف عند السمعيات واذ قدم المراد الدليل السمعي ثم العقلي واستمر
العناد ولم يبق الا المباهلة التي هي صحة للكاذب من المتخاصمين في هو لها تختم
قال ابو حيان مناسبة هذه السورة لما قبلها واضحة لانه لما ذكر آخر البقرة
انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ناسب ان يذكر نصره تعالى على الكافرين
حيث ناظرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد عليهم بالبراهين الساطعة
والحجج القاطعة فقص تعالى احوالهم ورد عليهم في اعتقادهم وذكر تنزيهه تعالى
عما يقولون وبداءة خلق مريم وابنها المسيح الى آخر ما رد عليهم ولما كان مفتتح
اية آخر البقرة آمن الرسول بما انزل اليه من ربه وكان في ذلك الايمان بالله
وبالكتب ناسب ذكر اوصاف الله وذكر ما انزل على رسوله وذكر المنزل على غيره
الله لا اله الا هو الحي القيوم لا صح ابى في هذا الكلام متنزل رد به على وفد نجران
اذ هذه الصفات لا يمكنهم ادعاوها لعيسى لانهم يقولون انه سلب وذلك
نوت في معتقدهم ومن البين انه ليس بقيوم قال الامام مطلع هذه السورة له نظم
عجيب لطيف وذلك ان اولئك النصارى الذين نازعوا الرسول صلى الله
عليه وسلم كانه قيل لهم اما ان تنازعوه في معرفة الاله او في النبوة فان كان
الاول فانتم يكتبون له ولدا فالحق متعه بالدلايل العقلية فانه ثبت بالبرهان
انه حي قيوم والحي القيوم يستحيل عقلا ان يكون له ولد وان كان النزاع في النبوة
فهو ايضا باطل لانه بالطريق الذي عرفتم ان الله انزل التوراة على موسى
والانجيل على عيسى عرف ان الله انزل القران على محمد فان المعجزة هي الدالة على ان
الله انزل التوراة والانجيل على موسى وعيسى وهي حاصلة هنا فكيف يمكن
منازعته في صحة النبوة فهذا هو وجه النظم وهو مضبوط حسن جدا انتهى لك
عقب الدليل الاول بالدليل الثاني تعالى نزل عليك الكتاب
بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس
وادمج في الدليل في صحة النبوة الدال على صدق القران لانه لو كان من عند غير الله
لم يكن مشتملا على الحق وعدم الاختلاف ولا مصدقا لما قبله من الكتب المنزلة
على الانبيا عن الله لان الجاي به امي لم يخالط احدا من العلماء ولا قرا على احد شيئا فعرف
اذا ان هكذا امتنع عادة ان يسلم عن الكذب فلما لم يكن كذلك ثبت انه من عند
الله ولما كانت هذه السورة قرينة سورة البقرة وكالمكملة لها افتتحت بتقرير
ما افتتحت به تلك وصرح في منطوق مطلعها بما طوي في مفهوم مطلع تلك وهو
ان القران نزل وفي التوراة والانجيل بانزال انما نقتنا ليطلق على ترادف التنزيل
والانزال وانما لا منهما لا جملة وهو نسق لمفرقا بناه على ان التنزيل مفرد
من لانه بنا تكثير الا صح في وصف القران في اول البقرة بانه هدى للمتقين ولم
يصفه هنا لان المتقين هم المنتفعون به فصار من هذا الوجه هدى لهم لا لغيرهم

نزل عليك الكتاب صح

واما هنا فالمناظرة كانت مع النصارى وهم لا يعتدون بالقران فلذا لم يقل فيه
هنا انه هدى بل قال انه حق في نفسه سوا قبلوه ام لم يقبلوه واما التوراة
والانجيل فهم يعتقدون صحتهما ويدعون انهم يعملون بهما فلا جرم
وصفهم الله لاجل هذا التاويل بانه هدى **اقول** وفي افتتاح السورة
بجملة الله لا اله الا هو الحي القيوم مقصد بديع وذلك ان البيهقي اخرج في دلايل
النبوة عن مقاتل ابن حيان ان الله اوحى الى عيسى ابن مريم فسره لاهل سوران اني انا
الله الحي القيوم والذي لا ازول صدقوا النبي الامي العربي صاحب الجمل الى اخره
فافتتحت هذه السورة التي نزلت في مجادلة النصارى بالوصف الذي نزل على نبيهم
في افتتاح الامر بتصديق نبينا صلى الله عليه وسلم وذلك تمام المناسبة والمطابقة
ابن جني قرا عمر القيام وعلقمة القيم وابراهيم نزل بالتخفيف ورفع الكتاب وهو بدل
في استقلال الجملة الاولى فقوله الله مبتدا ولا اله الا هو خبر وما بعده
صفة او خبر ثان وثالث او لا اله الا هو معترض بين المبتدا والخبر للثنا والحي
القيوم خبران كحلو حامض نزل بالتخفيف استيناف وبالتشديد خبر رابع او هو
الخبر وما قبله اعتراض للثنا وقرى الانجيل بالفتح وهو دليل عجمته ابو حيان لتي
اتى بذكر المنزل عليه القران بقوله عليك ولم يات بذكر المنزل عليه التوراة
والانجيل تخصيصا للنبي صلى الله عليه وسلم وتشريفا له بالذكر وجا بلفظ الخطاب
لما فيه من المؤانسة والى بعلى لما فيها من الاستعلا كان الكتاب تجلله وتغشاه
وقوله لما بين يديه اصله ان يقال لما يتمكن الانسان من التصرف فيه كالشي
الذي يحتوي عليه ولم يثن عليه هدى مع انه جار على اثنين لانه مصدر
ابن عطية قال فيهما هدى للناس وفي القران هدى للمتقين لان ما هنا خبر
مجرد وهدى للمتقين خبر مقترن به الاستدعا والصرف الى الايمان فحسنت
الصفة ليقع من السامع النشاط والبدار قال ابن فورك التقدير هنا هدى
للناس المتقين ويرد هذا العام الى ذلك الخاص قال ابن عطية وفيه نظر
وانزل الفرقان قيل اراد جنس الكتب السماوية لانها فارقة بين الحق والباطل
وقيل الكتب الثلاثة التي ذكرت اولا اعاده بذكر صفتها وقيل اريد الكتاب الرابع
وهو الزبور وقيل اريد القران وكرر ذكره بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا
بين الحق والباطل بعد ما ذكر باسم الجنس تعظيما لشانه واظهارا لفضله وقيل المراد
كل ما انزله فارقا بين الحق والباطل من الايات والمعجزات كطوفان نوح وفرق
البحر لموسى وغير ذلك الاصبهاني الظاهر انه اراد بالفرقان القران لكونه
معجزا فان الاهم في هذا المقام ذكر ما يفيد الجام الخصم بما يدل على ان القران نزله
الله بالحق فانه لما قال نزل عليك الكتاب بالحق استبعد الخصوم ذلك فذكر قوله
وانزل التوراة والانجيل رفعا لاستبعادهم فانهم معترفون بانزالهما
فكما لا استبعاد في انزالهما لا استبعاد في انزاله ثم دفع الاستبعاد لا يلزم منه
دفع الريب فاقام الحجة على دعواه لرفع الريب بقوله وانزل الفرقان الذي هو المعجز
الفارق بين الحق والباطل ولما كان اعتبار كونه منزلا غير اعتبار كونه معجزا

فان الاول لكونه دعوى والثاني لكونه حجة فانهما متغايران بالذات حسن العطف
قلت وبهذا يعرف نكتة التعبير اولا بنزل وثانيا بانزل لان الاول لما كان المقصود
منه الاخبار بنزوله من عند الله ذكر على الهيئة التي نزل عليها لان نزوله هو محط
القصد فهو عين صفته والمقصود من الثاني الاخبار بكونه معجزا فارقا بين الحق
والباطل محط القصد وصف له خاص زايد على النزول فلم تراع صفة النزول
واتى بانزل لان الانزال للاعجاز امر واحد لا تكثير فيه وللاشارة الى
حصول الاعجاز باول ما نزل منه وباية اية نزلت ثم لما قرر الحجة بابلغ عبارة
واوجز اشارة وجمع فيها ما يتعلق بمعرفة التوحيد وما يتعلق بمعرفة النبوة
عموما ومعرفة نبينا صلى الله عليه وسلم خصوصا اتبع ذلك بالوعيد زجرا
للجاحدين والمعرضين عن هذه الايات الساطعة والبينات القاطعة
فقال **ان الذين كفروا** الى اخره الطوفي ختم الاية بقوله عزيز ذو انتقام
مناسب لوعيد الكفار بالعذاب الشديد لان العذاب تسلط لا بد فيه من عزة
وغلبة وحيث اقترنت هاتان الصفتان فلا بد ان يكونا في سياق عقوبة
على ذنب كقوله في المايدة ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام
لانه في سياق قصة قتل الصيد في الاحرام والعقوبة عليه والانتقام
افتعال من النقمة وهي السطوة والانتصار وقيل هي المعاقبة على الذنب
بمبالغة في ذلك ويقال نقم اذا انكر وانتقم اذا عاقب ابو حيان اتى رد
بالعزة القدرة التامة وهي من صفات الذات وبذي انتقام الى كونه فاعلا
للعقاب وهي من صفات الفعل والوصف بذو ابلغ من الوصف بصاحب ولذا لم يجي
في صفاته تعالى صاحب الزمخشري ذو انتقام له انتقام شديد لا يقدر على مثله
منتقم وكانه اخذ ذلك من التنكير **ان الله لا يخفى عليه شي** الامام لما ذكر انه
قيوم وهو القايم باصلاح مصالح الخلق ولا يتم ذلك الا بمجموع امرين كونه
عالما بجميع حاجاتهم على جميع الوجوه وكونه قادرا على دفعها والاول
لا يتم الا بكونه عالما بكل شي والثاني لا يتم الا بكونه قادرا على كل ممكن اشار الى الاول
بقوله ان الله لا يخفى عليه شي في الارض ولا في السما والى الثاني بقوله **هو الذي يصوركم**
في الارحام كيف يشاء قال وفي هذه اللطيفة اخرى وهي ان قوله ان الله لا يخفى عليه
شي في الارض ولا في السما لا يجوز اثباته بالسمع لان معرفة السمع موقوفة على العلم
بكونه عالما بكل شي بل بالدليل العقلي وهو انه تعالى افعاله محكمة متقنة
والفعل المحكم المتقن يدل على كون فاعله عالما فذكر الدليل العقلي الدال عليه
وهو انه هو الذي صورهم في الارحام على هذه البنية العجيبة والهيئة
الغريبة وركب الاعضا المختلفة في الشكل والطبع والصفة فبعضها عظام
وبعضها اعصاب وبعضها اوردة وبعضها شرايين وبعضها عضلات ثم انه ضم بعضها
الى بعض على احسن التركيب واكمل التاليف وذلك يدل على كمال قدرته حيث خلق
ذلك من نطفة وعلى كمال علمه من حيث ان الفعل المحكم المتقن على هذا الوجه
لا يصدر الا عن العالم فكان قوله هو الذي يصوركم دالا على الامرين معا واذا ثبت

انه عالم بجميع المعلومات قادر على جميع الممكنات ثبت انه قيم المخلوقات فظهران
هذا كالتقرير لما ذكره اولا من قوله الحي القيوم ومن تامل في هذه اللطايف
علم انه لا ابلغ ولا احسن من كلام الله وتحتمل تنزيل ذلك على ما نزلت فيه الاية
وذلك ان النصارى ادعوا الهية عيسى وعولوا في ذلك على امرين احدهما
يتعلق بالعلم وهو اخباره بالمغيبات وتخبركم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم
والاخر بالقدرة وهو احياوه الموتى وابراوه الابرص ثم انه لما استدل تعالى الحكمة
على بطلان قولهم في الهية عيسى وفي التثليث بقوله الحي القيوم ومعناه ان الاله
يجب ان يكون كذلك وعيسى ما كان حيا ولا قيوما الزم القطع بانه ما كان الها اتبعه
بهذه الاية ليقرر فيها ما يكون جوابا عن الامرين اما الاول فانه لا يلزم من العلم ببعض
المغيبات ان يكون الها لكن عدم احاطته بكلها يدل على انه ليس باله قطعا قال
الاله هو الذي لا يخفى عليه شي في الارض ولا في السماء اي يكون عالما بجميع المعلومات
وعيسى ما كان كذلك فوجب القطع بانه ليس باله واما الثاني فانه لا يلزم
من صدور هذه الافعال عنه كونه الها لان الاله هو الذي يكون قادرا
على تصوير الناس في الارحام من نطفة كيف شا وعيسى ما كان كذلك فلا يكون
الها فقوله ان الله لا يخفى عليه شي في الارض ولا في السما اشارة الى الجواب عن الشبهة
المتعلقة بالقدرة ثم انه تعالى لما اجاب عن شبهة النصارى اعاد كلمة التوحيد
زجرا لهم عن قولهم بالتثليث فقال **لا اله الا هو** وقوله **العزيز** اشارة الى كمال
القدرة الحكيم اشارة الى كونه كامل العلم وهو تقرير لما مر من ان علم عيسى ببعض
المغيبات وقدرته على الافعال المذكورة لا يكفي في كونه الها فان الاله يجب ان
يكون كامل القدرة وهو العزيز كامل العلم وهو الحكيم **فان قيل**
قوله لا يخفى عليه شي عند اطلاقه يكون دالا على انه عالم بكل شي وهو ابلغ في الغرض
من التقييد بقوله في الارض ولا في السما فما الفايدة فيه **اجيب** بان الغرض
اعلام العباد كمال قدرته تعالى وهو عند التقييد المذكور اقوى لان الحس
متى اعان العقل على المطلوب كان الفهم اتم والادراك اكمل الراغب لا يخفى عليه شي
ابلغ من يعلم في الاصل وان كانا عند الاستعمال يفيدان معنى واحدا قال بعضهم
ووجهه ان لا يخفى عليه شي يدل على انه يعلمه من كل وجه بصحة ان يعلم منه نطاق
عالم فانه من جهة اللفظ يصدق على من يعلم الشي من وجه ويخفى عليه من وجه
اخر كما في علم المخلوقين قال الراغب وذكر هنا يصوركم بلفظ الحال
وفي موضع اخر فصوركم لانه لا اعتبار بالازمنة في افعاله وانما استعملت
الالفاظ فيه للدلالة على الازمنة بحسب اللغات وايضا فصوركم انما هو على
نسبة التقدير وان تعلقه تعالى في حكم ما قد فرغ منه ويصوركم على حسب
ما يظهر لنا حالا فحالا انتهى وقرى تصوركم بمعنى صوركم والتصوير جعل الشي
على صورة وهي هيئة الحاصلة للشي عند ايقاع التاليف على اجزايه واصله
من صاره يصوره اي اماله فهي صورة لانها مايلة الى شكل ابويه قاله
بعضهم والفرق بين الصورة والصبغة ان الصبغة بنية مضمنة بجعل جاعل

قال الراغب

وقرئ تصوركم

هيئة

قال

والصبغة

في

في دلالة الصبغة الاقوية وليس كذلك الصورة لان دلالتها على جعل جاعل قياسه
والرحم اصلها من الرحمة لان الاشتمال فيها يوجب الرحمة والعطف فسمي بذلك
العضو ابو حيان في ذكر التصوير في الرحم رد على من زعم ان عيسى اله اذ من المعلوم
بالضرورة انه صور في الرحم الطوفي الختم بالعزيز الحليم مناسب لاول الاية
لان التصوير في الارحام امر عظيم لطيف دقيق يحتاج لعظمه الى عزة وقدرة
وللطفه ودقته الى حكمة **هو الذي انزل عليك الكتاب** هو تقرير لحقيقة الكتاب
ولكونه قيوما بمصالح الخلق فان انزال الكتاب من اعظم مصالحهم لما فيه من مكارم
دينها واخرى ابو حيان مناسبة الاية لما قبلها انه لما ذكر تعديل البنية وتصوير
ما يشاء من الاشكال الحسنة وهو امر جسماني استطرد الى العلم وهو امر روحاني
ولما ذكر صدر السورة نزل عليك الكتاب ذكر هنا كيفيته واتى بالموصول
اذ في صلته حوالة على التنزيل السابق وعهد فيه وقيل ان من جملة ما تمسكت
به النصارى في عيسى قوله تعالى وروح منه فانزل الله هذه الاية
لبيان ان ايات الكتاب نوعان محكم ومتشابه وذم متبعي المتشابه ووصفهم
بالزيغ وسر وقوع المتشابه في القران مبسوط في الاتقان ومشار اليه
في اول سورة البقرة ووصفه كله بالاحكام في قوله كتاب احكمت اياته
لان المراد به كونه محكما بالنظم العجيب والمعنى البديع وبالتشابه في قوله
كتابا متشابها لان المعنى به انه يشبه بعضه بعضا في الفصاحة والبلاغة
ويصدق بعضه بعضا لا اختلاف فيه ولا تناقض **هن ام الكتاب** لم يقل امهات
لان الايات كلها في تكاملها واجتماعها كالاية الواحدة وكلام الله واحد وقيل
التقدير كل اية ام **زيغ** الراغب هو الميل عن الاستقامة الى احد الجانبين وزاغ
وزال ومال متقاربة الا ان زاغ لا يقال الا فيما كان عن حق الى باطل **تاويله**
الراغب التاويل من الاول وهو الرجوع الى الاصل وذلك رد الشي الى الغاية
المرادة منه علما كان او فعلا **والراسخون** الصواب انه مبتدا وقرا ابن عباس
ويقول الراسخون وقرا ابن مسعود وان تاويله الا عند الله والراسخون الراغب
الراسخ في العلم المتحقق به التي لا تعرضه شبهة والراسخون هم المومنون
بقوله الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا **كل من عند ربنا** من جملة القول
جعلت كانها مستقلة بالقول ولذا لم يشرك بينهما بحرف العطف او جعلا مترجمين
في القول امتزاج الجملة الواحدة واضافوا العندية الى الرب دون سايرا سمايه
تعالى لما فيه من الاشعار بالنظر في مصلحة عباده فلولا ان في المتشابه مصلحة
لجعله كله محكما **وما يذكر الا اولوا الالباب** ابن عطية اي ما يقول هذا
ويحكم ويومن به ويقف عن اتباع المتشابه الا ذو لب الراغب
اللب العقل الخالص من الشوايب وسمي بذلك لكونه خالص ما في الانسان من
قواه كاللباب وقيل هو ما زكى من العقل فكل لب عقل وليس كل عقل لبا ولهذا
علق الله الاحكام التي لا تدركها الا العقول الزكية باولي الالباب قال غيره ولم
يستعمل مفردة في القران لثقله بالادغام **ربنا** من تتمة عقولهم **لا تزغ قلوبنا**

والرحم

ابو حيان

الطوفي

وقرئ بفتح التاء ورفع القلوب وهو من باب لا ارينك ههنا اي لا تزغنا فتزيغ بعد اذ هديتنا
اي بعد وقت هدايتك ايانا وقيل اذ زائدة وقيل بعد زائدة ولما كان تطهير القلب
عما لا ينبغي مقدما على تنويره بما ينبغي سالوا اولا ان لا يجعل قلوبهم مائلة عن الحق الى
الاباطيل والعقائد الفاسدة ثم طلبوا ان ينور قلوبهم بانوار المعرفة وجوارحهم
واعضاءهم بزينة الطاعة فقالوا وهب لنا من لدنك رحمة هي شاملة للاحسان
الدنيوي والاخروي ابو حيان سالوا بلفظ الهبة المشعرة بالتفضل والاحسان
من غير مقابلة وختم بقوله انك انت الوهاب بصيغة المبالغة اشارة الى سعة
كرمه ورحمته وان المطلوب يسير في جنب هباته الجزيلة الطوفي هو رد العجز
على الصدر ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه من تتمة دعائهم للاشارة
الى ان غرضهم من سؤال الرحمة ليس الدنيا فقط بل الاخرة التي هي المقصود الاهم
وهناك يظهر خزي اهل الزيغ وعز اهل الرسوخ وقرئ بتنوين جامع ونصب
الناس ان الله لا يخلف الميعاد هو من كلامه تعالى لا من كلام الداعين ابدية
كلامهم وهذا يسمى في البديع حشو التمهيد ونظيره قوله تعالى حكاية عن بلقيس
ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة ثم قال تعالى وكذلك
يفعلون فهذه الجملة من كلامه تعالى اكد بها كلام بلقيس وليست من تتمة كلامها
وبهذا يعرف الفرق بين هذه الاية وبين قوله في اواخر السورة حكاية
عن المؤمنين ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف
الميعاد حيث اتى هنا بالغيبة وهناك بالخطاب لان ذاك من تتمة كلام المؤمنين
خطابا لمولاهم ومن قال ان الجملة هنا من تتمة دعاء الراسخين اجاب
في الفرق باجوبة احدها ان اول السورة قد تقدم فيه ذكر الله واوصافه مرة
بعد اخرى صريحا ولم يتقدم ذكر الكناية الا مرة فعدل من الخطاب الى الغيبة
لانه الاغلب واما اخر السورة فالغلبة للكناية الثاني ان اتصال هذا الموضع
بما قبله معنوي وتقديره فقنا شره وهو المطلوب بقوله ربنا انك جامع الناس
ليوم لا ريب فيه واتصال ذاك الموضع بما قبله لفظي ومعنوي لتقدم
لفظ الوعد في قوله ما وعدتنا فهو اشد فحيث لا اتصال مما هنا فحسن مجيئه هناك
على سنن واحد والعدول هنا الى الغيبة الثالث ان هذه الاية في بيان الحشر
والنشر لينتصف للمظلومين من الظالمين فهو مقام الهيبة وكان ذكره باسم الاعظم
ابلغ وهناك لطلب العبد من ربه ان ينعم عليه بفضله ويتجاوز عن سيئاته
فكان مقام التقرب والتعطف والخطاب به اليق ان الذين كفروا الاصبهاني لما حكى
عن المؤمنين دعاءهم وتضرعهم حكى كيفية حال الكافرين وشدة عقابهم لن
تغني قرئ بسكون الياء وبالتحتية مفتوحا وساكنا اموالهم قدمت على الاولاد في
هذه الاية وما شابهها لانها ابلغ في الدفع من الاولاد وهم وقود النار وقرئ بضم
الواو وفي الحصر بهم مبالغة كانه ليس لها وقود الا هم فهو حصر مجازي كداب
خبر محذوف اي دابهم وهو العادة المستمرة دائما على حالة واحدة وقرئ بفتح الهمزة
ال فرعون خصهم بالذكر لان الكلام مع بني اسرائيل وهم يعرفون ما جرى لهم حين كذبوا

بموسى كذبوا تفسير للداب باياتنا فيه التفات فاخذهم فيه التفات عن التكلم
في باياتنا قال الكرماني ونكتته انه لما عدل في قوله ان الله لا يخلف الميعاد
عن الخطاب الى الغيبة عدل هنا ليكون الكلام على منهاج واحد واستعير الاخذ
للعقاب لان المعاقب كالماخوذ الاسير الذي لا يقدر على التخلص والله شديد
العقاب الطوفي مناسب لقوله فاخذهم الله بذنوبهم لان ذنوبهم سبب
لاخذهم بالعقاب قل للذين كفروا الاصبهاني وجه اتصالها انه بين في الاية المتقدمة
ما حل بالمكذبين فكما نزل بالقوم العذاب المعجل ثم يصيرون الى دوام
العذاب كذلك ينزل بمن كذب محمدا صلى الله عليه وسلم امران احدهما المعجل
وهو القتل والسبي والاذلال ثم يكون بعده المصير الى العذاب الاليم
ستغلبون من قرا بالتاء فالامر واقع على هذه اللفظة ومن قرا بالياء فهو واقع
على المعنى اي قل لهم ما يكون هذا معناه ويحتمل ان يكون تقديره قل للذين
كفروا ان الذين كفروا سيغلبون وبئس المهاد اما من جملة المقول
او استيناف من كلامه تعالى قد كان لكم اية لم يقل كانت والاية مؤنثة
لانه ردها الى البيان اي قد كانت لكم بيان فذهب الى المعنى وترك اللفظ
والخطاب لليهود وهم الذين كفروا في الاية قبلها كما يبينه سبب النزول
فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة فيه احتباك اي فئة مؤمنة تقاتل في
سبيل الله واخرى كافرة تقاتل في سبيل الطاغوت وقرئ فئة وكافرة
بالجر على البدل وبالنصب على المدح والذم وقرئ يقاتل بالتحتية على
تاويل الفئة بالقوم يرونهم مثليهم بالتاء خطابا لليهود اي ترون الكفار
مثلي المؤمنين ففي الضمير لف ونشر غير مرتب وبالياء بلفظ الغيبة لليهود
ايضا على طريقة الالتفات فاتفقت القراءتان وليست احدى القراءتين
للمؤمنين ولا للكافرين لئلا يخالف قوله واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم
قليلا ويقللكم في اعينهم ومما اجيب به على جعله لذلك من ان التقليل وقع
اولا والتكثير بعد الملاقاة خلاف الظاهر وقرئ بضم اوله مع التاء والياء
راي العين مصدر مؤكد دافع لاحتمال ان يراد روية القلب او روية النوم
ان في ذلك لعبرة حيث نصر المؤمنين مع قلتهم على الكافرين وهم مثلاهم زين للناس
الاية هذه الاية كالشرح والبيان للعبرة المذكورة في الاية قبلها وقيل ان اليهود
لما قالوا اما كان لو اوردوا عليهم بما سبق وكانوا مستظهرين بما خولوه من المال
والسلاح والابناء بين تعالى في هذه الاية ان هذه الاشياء ونحوها من متاع
الدنيا زائلة وان الاخرة خير وابقى ثم وصف الجنة وما فيها وبين انها
للذين اتقوا ووصفهم بصفات تتم الجملة وقال ابن برجان عرض
تعالى في هذه الاية بان المحب لمتاع الدنيا يورثه حب الجبن عن القتال
وتغشية البصائر والة القلوب عن النظر في الايات والاعتبار بها وهذا
هو ترك الاستعداد لحسن الماب انتهى وقرا مجاهد زين بالبناء للفاعل ونصب
حب وفاعله ضمير راجع الى الله في قوله والله يؤيد بنصره من يشاء واما قول ابن جني

انه ضمير الشيطان دل عليه ما تردد في القران من نحو قوله الشيطان يعدهم
الشيطان ويمنيهم فانه بنا على رايه من الاعتزال فانه كان معتزليا واوقع
التزيين على حب الشهوات دون الشهوات نفسها لان ذلك ابلغ اذ لو اوقعه
على نفس الشهوات لم تزين غالبا الا لواجدها فان كان ايقاعه على حبها
اعم لواجدها وفاقدها قاله ابن برجان قال الاصفهاني وجعل الاعيان
التي ذكرها من النسا وما بعدها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا
عليها والا فالشهوة توقان النفس اليها واجملها اولا ثم فسرها ليقررا ولا في ذ
النفوس ان المزين لهم حبه ما هو الا شهوات لا غير ثم يفسرها بهذه الاعيان
فيكون اقوى في تخسيسها وادل على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها وقدم
النسا لان حبهن اشد والالتذاذ بهن اكثر والاستيناس بهن اتم وخص
البنين من الاولاد لانهم احب الى الابا منهن كما هو معروف وقدمهم على
الاموال لان حب الانسان ولده اكثر من حبه ماله بخلاف
ما اذا ذكرا في معرض الاستغنا والذهب فان الاموال تقدم كما سبق
وقدم الذهب على الفضة لانه احب منها واعلى قيمة وقدم ما على الخيل وما
ذكر بعدها لانها اعم نفعا وقدم الخيل على الانعام لانها اشرف ولصاحبها
اعز والانعام على الحرث لانها اجمل لصاحبها ولم يجمع الحرث لانه في ا
الاصل مصدر ولما ذكر في هذه الاية ستة انواع من متاع الدنيا
قابلها بستة من امور الاخرة الجنات والانهار والخلد والازواج والتطهير
والرضوان كذا قال بعضهم **قلت** واحسن منه ان يقال ان الاية
الاولى اشتملت على ذكر جميع منافع الدنيا والجنة شاملة لذلك لان
فيها جميع المطالب كما قال وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين فدخل فيها
جميع من المطعم والمشرب والملبس والمفرش والمنظر والمنكح ثم صرح بهذا
في قوله وازواج من باب عطف الخاص على العام للاهتمام به وليصفها بما ليس
في نسا الدنيا من التطهير الشامل لجميع الاحوال الذميمة التي في النساء
من الحيض والنفاس والاقذار وسوء العشرة ولما كان قوله في الاية
الاولى ذلك متاع الحياة الدنيا مشعرا بالزوال والفنا اتى في مقابلته
بقوله خالدين فيها ولما كان قوله زين للناس حب الشهوات مشعرا
بانها غير مرضية عند الله اتى في مقابلته بقوله ورضوان من الله واتى
في مقابلة قوله للناس بقوله للذين اتقوا فانظر الى هذه المقابلات
العظيمة والاستفهام في اؤنبئكم للتشويق وفي خطابه النفات
وفي قراءة جنات بالجر بدلا من خير فلام للذين متعلق به والتنكير في رضوان
للتعظيم والقراءة بكسر الرا لغة الحجاز وضمها لغة تميم وقال ابن برجان وصف
تعالى الشهوات بوصف فيه فخامة وللنفوس اليه التفات لنكتة وذلك
ان الغرض الترغيب في شهوات الاخرة ومتى توصل بين قرينين وعظم امر
المغلوب ورفع قدره فالمراد في ذلك مدحة الغالب واظهار فضله

والله بصير بالعباد الطوفي مناسب لما في الاية لان المعنى انه تعالى عالم
بمن يستحق الجنات ونعيم الاخرة فيوفقه لها بالتوفيق والصلاح **الذين
يقولون** تابع للذين اتقوا **الصابرين** الاية عطف الصفات بالواو للدلالة
على كمالهم في كل واحدة من هذه الخصال فهو داخل تحت هذا المدح مستوجب
لهذا الثواب والاطلاق في الصبر والصدق والقنوت والانفاق ليعم
جميع وجوهها وخص الاستغفار بالاسحار لانه افضل الاوقات
واجوبها والسحر الوقت الذي قبل طلوع الفجر قاله الزجاج وغيره
وقيل من ثلث الليل الاخر الى الفجر وقيل من اخر الليل ثم يستمر بعد الفجر
الى الاسفار واصله الخفا للطفه **شهد الله** لما مدح تعالى المومنين واثنى
عليهم اردفه بدلائل ظاهرة تدل على فضلهم وكمالهم واصل الشهادة الحضور
ثم نقل الى الاخبار عما تقرر علمه في النفس وقيل شهادة الله عبارة عن خلقه
الدلائل الدالة على توحيده وشهادة الملائكة واولوا العلم عبارة عن اقرارهم
بذلك شبهت دلالته على وحدانيته بافعاله الخاصة وبما اوحى من اياته
بشهادة الشاهد في البيان والكشف وكذلك اقرار الملائكة واولي العلم
بذلك واحتجاجهم عليه فيكون قوله شهد الله استعارة تبعية مصرحة
لا تحقيقية قطعية المروزي ذكر سبحانه شهادته على سبيل التعظيم ل
لشهادة من ذكر بعده لقوله قل الانفال لله والرسول والمورخ شهد الله
بمعنى قال الله بلغة قيس عيلان وقرئ شهد بالبنا للمفعول فانه بدل
من الجلالة اي شهد الوهية الله ورفع الملائكة على هذه القراءة على الابتدا
والخبر محذوف اي يشهدون وقرئ شهدا الله بصيغة الجمع وكلام الجر
كقوله قوامين بالقسط شهدا لله وهو بالنصب حال من الضمير في المستغفرين
اي يستغفرون لانه شهد الله بانه لا اله الا هو وذلك غاية الارتباط
وبالرفع على اضمارهم وقرئ كذلك بالوجهين والاضافة الى اسم الله
وقرئ بضم الشين والهاء جمع شهيد كنذير ونذر ومضافا الى الله ذ
مرفوعا ومنصوبا فهذه سبع قراات **انه لا اله الا هو** قدم المفعول
فاصلا بين المعطوف والمعطوف عليه ليدل على الاعتنا به وعلى تفاوت
درجة المتعاطفين بحيث لا يتسقان متجاورين وقرئ انه بالكسر اجرا
الشهيد مجرى قال لان الشهادة في معنى القول او على ان معمول شهد ان
ان الدين عند الله الاسلام وما بينهما اعتراض وقرئ ان لا بحذف الضمير
والتخفيف والملائكة قدمهم على اولي العلم من البشر لانهم الملا الاعلى
وعلمهم كله ضروري بخلاف البشر فان علمهم ضروري واكتسابي **قايما**
قرئ فيها وقرئ القايم بالرفع خبر هو مقدرا **لا اله الا هو** الكرماني كرر
لان الاول جار مجرى شهادة الشاهدين والثاني جار مجرى حكم الحاكم
بصحة ما شهدوا ونقل ذلك الامام والاصبهاني وغيرهما وقال ابن برجان
يمكن ان يكون التكرير لاجل عظم الشهادة كما كررت في الاذان وكما ذكر

الصلاة مكررا في صدر سورة المومنين وسورة المعارج اشعارا بتعظيمها
الراغب كرر لان صفات التنزيه اشرف من صفات التمجيد لان اكثرها مشاركة
في الفاظها العبيد فيصح وصفهم بها ولذا وردت الفاظ التنزيه في حقه اكثر
وابلغ ماوصف به من التنزيه لا اله الا هو فكرر هنا لانه سر كون الثاني قطعا
للحكم لقولك اشهد ان زيدا خارج وهو خارج والثاني لئلا يسبق بذكر العزيز
الحكيم الى قلب السامع تشبيه اذ قد يوصف بهما المخلوق انتهى العزيز الحكيم لف
وصفان بمعنى القدرة والعلم مقرران لما قبلهما فانه تعالى لما ذكر التوحيد
والقيام بالعدل اردفهما بذلك على وجه التكميل والتوكيد ليدل قوله لا اله
الا هو على التوحيد الصرف وقائما بالقسط على انه تعالى يجري الامور كلها على
الاستقامة والسداد وقدم العزيز على الحكيم لان العلم بكونه قادرا متقدم
على العلم بكونه عالما في طريق المعرفة الاستدلالية الطوفي الختم بهما مناسب
لقوله قائما بالقسط اذ لا يقدر على اقامة القسط الا من اجتمع له العزة والحكمة والحكم
فالحكمة يعلم القسط ووضع الاشيا مواضعها وبالعزة والحكم ينفذ ذلك
ان الدين عند الله الاسلام قرئ بفتح ان بدل اشتمال من انه او معمول الحكيم
وبكسرها جملة مستانفة موكدة **وما اختلف** الاصبهاني المقصود من الاية بيان
ان الله اوضح الدلائل وازال الشبهات والقوم ما كفروا الا بغيا وعنادا
ابن برجان هذا اخبار منه تعالى ان اول وجوب الشهادة اجماع واتفاق
في دين الاسلام وانما خرق الاجماع اختلاف حادث بعد انعقاده **قلت**
وانظر الى هذا التخلص العظيم فان الكلام لما كان اولا في اهل الكتاب
واستطرد منه الى وصف متاع الدنيا ثم حال الاخرة وانها للذين اتقوا ثم
وصف خالصهم واتبعها بذكر الشهادة تخلص بذكر اختلاف الذين اوتوا الكتاب
في الدين ليعود الى الكلام فيهم الذين كان فيه اولا ولهذا اعقبه فان
حاجوك الى اخره الطوفي سريع الحساب مناسب لقوله ومن يكفر لانه
اشارة الى الوعيد على الكفر **فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله** الامام في كيفية
ايراد هذا الكلام طريقان احدهما انه اعراض عن المحاجة اذ قد اظهر لهم
الحجة على صدقه قبل نزول هذه الاية بالمعجزات وغيره وقد ذكر قبل هذه
الاية الحجة بقوله الحي القيوم على فساد قول النصارى في الهية عيسى وبقوله
انزل عليك الكتاب على صحة نبوته وذكر شبه القوم واجاب عنها وذكر
معجزة اخرى وهي ما شاهدوه يوم بدر وبين القول بالتوحيد بقوله
شهد الله والثاني انه اظهار للدليل وذكر انهم كانوا مقرين بالصانع واستحقاقه
للعبادة فكانه قال انا متمسك بهذا القول المتفق عليه والخلاف فيما وراءه
وعلى المدعي الاثبات **ومن اتبعن** عطف على التاء في اسلمت ولم يوكد لطول
الفصل ويجوز ان يكون مفعولا معه ذكره جماعة **ااسلمتم** استفهام بمعنى
الامر عبر به ليكون دالا على معاندة المخاطب ومعناه انه قد اتاكم من البينات
ما يوجب الاسلام ويقتضي حصوله لا محالة فهل اسلمتم ام انتم بعد على كفركم

وقد

وقد يعبر عن هذا الاستفهام بالاستقصار اي النسبة الى التقصير نحو فهل انتم
منتهون لما فيه من الاشعار بالتقاعد عن الانتهاء والحرص على تعاطي المنهي عنه
فان اسلموا الى اخره فيه طباق **والله بصير بالعباد** وعد لمن اسلم ووعيد
لمن تولى **ان الذين يكفرون** هم اهل الكتاب ذكر لهم ثلاثة اوصاف مقدما
فيها الاعظم فالاعظم ثم عقبها بثلاثة اوجه من الوعيد البشارة بالعذاب الاليم
وهو مسبب الاثام والمكروهات وهو مقابل للكفر لانه اعظم مما بعده وحبوط
الاعمال وهو زوال المنافع عنهم بالكلية وهو مقابل لقتل الانبيا
والثالث وقوع ذلك في حقهم على وجه لا يكون لهم ناصر ولا دافع كما لم يكن للامرين
بالقسط من ينصرهم حين قتلوهم وقرا الحسن يقتلون الاول بالتشديد وحمزة
الثاني ويقاتلون والاعمش وقد قتلوا الذين واتى والذين بالفا قال ابو
حيان جا هنا بغير حق وفي البقرة بغير الحق لان الجملة هنا اخرجت مخرج
الشرط وهو عام لا يتخصص فناسب ان يكون المنفي بصيغة التنكير حتى يكون
عاما وفي البقرة جا ذلك في سورة الخبر عن ناس معهودين فناسب صيغة
التعريف لان الحق الذي كان يستباح به قتل الانفس عندهم كان معروفا
لقوله وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس فالحق هنا معهود معروف
بخلاف ما في هذه السورة قال ثم هذه اللفظة من الحشو الحسن لانه لم يقتل
نبي قط بحق وانما اتى به ليتاكد قبح قتل الانبيا ويعظم امره في قلب العازم عليه
وقال من الناس ليبين انهم غير الانبيا الذين تقدم ذكرهم **وما لهم من ناصرين**
ابو حيان مجي الجمع هنا احسن من مجي الافراد لانه راس اية ولانه بازا من
للمومنين من الشفعا **الم تر** الاصبهاني لما نبه تعالى على عناد القوم بقوله
فان حاجوك بين في هذه الاية غاية عنادهم وثم لاستبعاد توليهم بعد علمهم
ان المدعو اليه كتاب الله وان الرجوع اليه واجب **ليحكم** بالبنا للفاعل
وللمفعول **وهم معرضون** اي وهم قوم لا يزال الاعراض ديدنهم **فكيف**
لما ذكر تعالى اغترارهم بما هم عليه من الجهل بين انه سيجي يوم يزول
فيه ذلك الجهل وينكشف فيه ذلك الغرور وفي الكلام حذف اي فكيف
حالهم او فكيف يصنعون وهو استعظام لما اعد لهم وتهويل له وانهم يقعون
فيما لا حيلة في دفعه ولا مخلص منه وانما ما حدثوا به انفسهم تعللا
بباطل وتطمع بما لا يكون **اللهم** قيل انه الاسم الاعظم وقيل اصله يا الله امنا
بخير حذف الهمزة وابقيت حركتها على ما قبلها لكثرة استعماله **مالك الملك** ف
تؤتي الملك لم يقل تؤتيه مع انه اخصر لان الملك الاول عام والثاني بعضه
لان الملك الذي يؤتاه الناس ليس كل الملك الذي الله مالكه فتعين الاظهار
من تشا اي ايتاه الملك وكذا ما بعده وفي الاية طباق في تؤتي وتنزع
وتعز وتذل وتولج وتخرج والليل والنهار والحي والميت
فهذه خمس طباقات وفي الاية الثانية النوع المسمى في البديع بالعكس
في موضعين وفي قوله **بيدك الخير** اختصاص اي لا بيد غيرك ومجازا

استعيرت اليد للقدرة واكتفا اي والشر نكتته التادب بعدم التصريح باضافة الشر اليه وكون الخير هو الاغلب والافضل ابن عطية خص الخير بالذكر لان الاية في معنى دعا ورغبة فكان المعنى بيدك الخير فاجزل حظي منه الراغب لما كانت في الحمد والشكر لا الحكم ذكر الخير اذ هو المشكور عليه ثم لما كان قد يوهم خروج الشر عن قدرته اردف بما يدل على دخوله فيها لئلا كغيره فقال **انك على كل شي قدير** فهو تكميل واحتراس وقال الطوفي الختم به مناسب للافعال المذكورة في الاية اذ لا يقدر عليها الا كامل القدرة عامها ثم اردفه بقوله **تولج الى اخره** الدال على قدرته الباهرة فهو كالتقرير لقوله انك على كل شي قدير وختم بقوله **وترزق من تشا بغير حساب** دلالة على ان القادر على تلك الافعال العظيمة المحيرة للافهام لقادر ان يرزق من يشا بغير حساب قادر على ايتا الملك من يشا من عباده وهم هذه الامة وينزعه من الكفار خلاف ما استبعده المنافقون وقال ابن برجان ظاهر تلاوة هاتين الايتين اقرار وايمان بما تضمنتا ومعناها الدعا لان قوله اللهم مالك الملك دعا لا محالة ونداء باسم مقتض بمعنى لسوال فكان المعنى بما بعده اتنا ايها الامة الملك وانزعه من ايدي اعدائنا واعزنا واذلهم فان بيدك الخير وانت على كل شي قدير وكما تولج الليل في النهار والنهار في الليل تديل هذا على هذا وهذا على هذا انتهى وكان يحسن على ظاهر الدعا ان يختم الاية الاولى بما ختمت به الثانية وبالعكس لكنه لما صرف المشيئة في الاولى ظاهرا ختمها بوصف القدرة ولما صرف القدرة ظاهرا في الثانية ختمها بوصف المشيئة انتهى **قلت** يدل لما ذكره من الدعا ما ورد في الحديث ان اسم الله الاعظم هذه الاية وفي هذه الاية الطوفي التي صلة مناسبة لقوله وتخرج الحي من الميت لانه اخبر انه يخرج المرزوق وهو الحي فناسب الاخبار بانه يرزق اذ لا يستغني الحي عن رزق والقراة في الميت بالتخفيف والتشديد **لا يتخذ** الاصبهاني لما ذكر ما دل على كمال قدرته بين ما يجب على العبد في المعاملة مع الكفار لان كمال الامر في شيئين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وايضا لما بين انه مالك الدنيا والاخرة بين انه ينبغي ان تكون الرغبة فيما عنده ولا يتم ذلك الا بموالاة اوليائه ومعاداة اعدائه وقرئ بالرفع على النفي المراد به النهي **تتقوا** فيه التفات ونكتته اللطف بالمومنين حيث لم يواجهوا بالنهي ووجهوا بما فيه مسامحة **منهم تقاة** اقام مصدر تتقي مقام الاتقا لان العرب تخرج مصدر احدى الكلمتين المتفقتين معنى على مصدر الاخرى وفي قراة تقية بوزن مطية مصدر على فعيلة **ويحذركم الله نفسه** اي بطشه وعقوبته او اياه والفائدة في ذكر النفس تاكيد التهديد وتشديد الوعيد **والى الله المصير** مناسب للتحذير لان وقوع المحذر به انما يكون كاملا عند مصيرهم اليه **قل ان تخفوا** الاية الاصبهاني لما نهى

عن اتخاذ الكافرين اوليا ظاهرا وباطنا واستثنى التقية في الظاهر اتبعه بالوعيد على ان يصير الباطن وفق التقية **قل** وفق الظاهر وبين ان الله يعلم الظواهر والبواطن ويعلم كل المعلومات فلا يخفى عليه شي مما اضمره العبد ثم اتبعه بقوله والله على كل شي قدير اتماما للتحذير بعيان القدرة **فان قلت** لم قدم الاخفا على الابدا هنا وعكس في اخر البقرة **قلت** لم ار من تعرض لذلك ويمكن ان يقال لما كانت الاية هنا عقب التحذير من الموالاة والحب وهما من اعمال القلوب ناسب الابتدا بالاخفا واية البقرة عقب التذكر من كتم الشهادة واداء الشهادة من اعمال اللسان فناسب الابتدا بالابدا وجعل ابو حيان ذلك من باب التفنن وكذا قوله هناك ما في انفسكم وهنا ما في صدوركم الطوفي قوله والله على كل شي قدير في بادي الراي غير مناسب لما في الاية من قوله يعلمه الله ويعلم لان هذا يقتضي ان يكون فاصلته والله بكل شي عليم غير انه مع النظر مناسب بتقدير محذوف اي يعلم ما تخفون وما تبدون فيجازيكم عليه ثوابا وعقابا وهو قادر على جزائكم لانه على كل شي قدير ولا شك ان المجازاة تحتاج الى قدرة وتحقق ذلك انه في سياق الوعيد على موالاة الكفار **يوم تجد** قيل العامل في يوم اذكر وقيل اتق وقيل يحذركم وقيل المصير وقيل قدير وخص اليوم وان كان غيره من الايام بمنزلته في قدرة الله تعظيما له لعظم شانه كقوله مالك يوم الدين **محضرا** قرئ بكسر الضاد اي محضره الجنة وما تحل العطف والاستئناف **تود** قرئ ودت **ويحذركم الله نفسه** الاصبهاني كرره تاكيدا للوعيد ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه وقال الكرماني لان الاول وعيد عطف عليه وعيد فان قوله والى الله المصير معناه مصيركم اليه والعقاب معد لديه فاعاده في الاية الثانية ليستدرك له بوعد وهو قوله والله رؤوف بالعباد وفي كشف المعاني الاول في سياق الوعيد والثاني في سياق حذر التفويت **والله رؤوف بالعباد** الطوفي مناسب للتحذير لان من حذر نفسه فقد رأف بمن حذره حيث نبهه على جهة الحذر ليحذر ابو حيان لما ذكر صفة التحذير وكررها وكان ذلك مزعجا للقلوب ذكر صفة الرحمة من باب اتباع الوعيد بالوعد وجات جملة الوعيد اسمية ليكون ابلغ من جملة الوعيد الفعلية وجا متعلقة اعم ليدل على الاحسان الى التام **قل ان كنتم تحبون الله** قال ابن برجان لقرب معنى الولاية من معنى المحبة نظمها وقرئ بفتح اول الفعلين من حب لغة وقرئ يحبكم بالفتح والادغام وقرئ فاتبعوني بتشديد النون الحقوا لامر بنون التوكيد وادغمها في نون الوقاية ولم يحذف الواو تشبيها بتحاجوني **والله غفور رحيم** مناسب لما قبله من رد العجز على الصدر **قل اطيعوا الله** الاية هذه كالشرح للاية قبلها لان معنى محبة

بدل التحذير

الله الايمان به وطاعته وطاعة رسوله وتعظيمه **فان تولوا** يحتمل ا
الماضي والمضارع **فان الله لا يحب الكافرين** اوقع الظاهر موضع المضمر
بيانا لكفرهم وتقطيعا لشانهم **ان الله اصطفى** الاصبهاني لما بين ان محبته
لا تتم الا بمتابعة الرسول بين علو درجات الرسل وشرفهم **قلت**
هذا مطلع قصة عيسى وابتدا خلقته المقرر للرد على النصارى في ما ادعوه
واصطفى من الصفوة كاصطنع من الصنعة واصطبر من الصبر وفيه زيادة
مبالغة لان زيادة المبنى والصفوة الخلوص من كل دنس **ادم ونوحا
وال ابراهيم وال عمران** في الاقتصار على هذه الاربعة وترتيبهم على هذا
النسق ما لا يخفى من البلاغة لان ادم ابو البشر واول الانبيا ونوحا اول
الرسل وجميع الخلق بعد من ذريته وابراهيم ابو الانبيا وجد بني اسرايل
وعمران ابو ام عيسى وعيسى هو المقصود ذكره فبدا باصطفا اجداده متقدما
الاعلى فالاعلى ليعلم انه خيار من خيار من خيار وقيل المراد عمران ابو موسى
وهارون وهو ايضا من اجداد عيسى قال الاصبهاني ويويد الاول
ذكر اذ قالت امراة عمران على اثره ابن جماعة ادخل ال في عمران لانه لم يكن
نبيا وانما الانبيا من ذريته وفي ابراهيم للاشارة الى كثرة الانبيا في نسله
او لكثرة من تبع ملته دون ادم ونوح لانهما المقصودان بانفسهما وقرا ابن
مسعود وال محمد **على العالمين ذرية** قيل نصبه على البدل
وقيل على الحال وقيل على المدح الراغب الذرية اصلها الصغار من الاولاد
ثم صار تطلق على الصغار والكبار معا اذا الن ملكا في ثم صار تطلق على
الاباء لان الاب ذري منه الولد اي خلق فكان ذرية لولده كما ان الولد
ذري من ابيه قال ومن استعمالها في الابا قوله تعالى واية لهم انا حملنا
ذريتهم في الفلك المشحون اي اباهم قال ومنه هذه الاية جعل ادم ومن
ذكر معه ذرية للانبيا وسبقه الى ذلك صاحب النظم الراغب
فقال الذرية تقال للواحد والجمع والاصل والنسل ومنه حملنا ذريتهم
اي اباهم ابن جني قراءة الكافة بضم الذال وقري بكسرها وفتحها فعلية من الذر
مصدر ذرا الله الخلق او من الذرا لان الخلق كان في القديم كالذر **والله
سميع عليم** الطوفي مناسب لما قبله فكانه تبين به وجه اصطفايهم لانه
سميع لاقوالهم عليم بصحة مقاصدهم ونياتهم فكان ذلك سببا لاصطفايه
لهم **اذ قالت** الاصبهاني لما كانت الايات مسوقة لمحاجة نصارى نجران
معلمة بصورة الامر الذي قد ضلوا فيه ومبينة لحقيقته ابتدا بذكر اصطفا ها
والمذكورين الذين ال عمران منهم ثم ذكر قصصا كثيرة قال فالقصة الاولى
قصة ام مريم لان القصد وصف قصة القوم الى ان يبين امر موسى **فتقبل**
التقبل اخذ الشي عن الرضا به في كل حال **انك انت السميع العليم**
مناسب للنذر لانه لا بد فيه من قول مسموع وقصد معلوم **وضعتها**
انث ضميرها حملا على المعنى **قال رب اني وضعتها انثى** اعتذارا الى الله وتحسر

على خيبة رجائها **والله اعلم بما وضعت** القراءة بنا المتكلم على انه من كلام ام مريم
ايضا رايان ما قاله قبله اعتذار وتحسر لا اعلام تعالى الله عن ذلك وتسلية
لنفسها كانها تقول ولعل لله فيه سر وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر
وبنا التانيث الساكنة فهي جملة اعتراضية من كلام الله تعظيما لولدها وتجهيلا
لها بقدر ذلك الموضوع اي والله اعلم بما وضعت اي بالشي الذي وضعته وبما
علق به من عظايم الامور وان يجعله وولده اية للعالمين وهي جاهلة بذلك
وقري بكسر التا خطابا من الله لها **وليس الذكر كالانثى** من كلام ام مريم اي
ليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لانها لا تصلح لخدمة المسجد
الذي نذرا لذكرها وادخال الكاف على الادنى لانه في معرض السلب
والقاعدة دخولها على الاعلى في المدح وعلى الادنى في ضده ولذا في السلب
ومنه يا نسا النبي لستن كاحد من النسا اي في النزول ام نجعل المتقين كالفجار
اي في سو الحال وكذا هنا وقيل الجملة من كلامه تعالى اعتراضية اي ليس الذكر
الذي طلبت كالانثى التي وهبت لما حوته هذه من التعظيم والايات
والفضل الذي لم يحوه الذكر الذي قدرت حصوله فالكاف داخلة على الاعلى
لانه مقام المدح **واني سميتها مريم** ذكرته لربها لان مريم في لغتهم العابدة
فارادت بذلك التقرب الى الله وطلب ان يعصمها ليكون فعلها مناسبا لاسمها
ولهذا اتبعته طلب الاعاذة لها ولذريتها **واني اعيذها بك** عبر بالمضارع
لقصد الدوام والاستمرار بخلاف وضعتها وسميتها لانقضايهما فيما ان قد انقطعا
فتقبلها ربها قري بصيغة الامر ونصب ربها على الندا وكذا انبتها وكفلها
قري بصيغة الامر **بقبول** مصدر وضعه موضع تقبل ونظيره الولوع
والطهور والوضو ولا خامس لها وقياسها الضم والبا قيل زايدة اي قبولا
وقيل سببية والتقدير بامر ذي قبول وقيل معنى تقبلها استقبلها الصرفي
اتما قال فتقبلها لان ما كان من باب التفعل يدل على شدة اعتنا الفاعل
بالفعل كالتعبد والتجلد فالتقبل يفيد المبالغة في اظهار القبول
ولم يقل حتى تصير المبالغة اكمل لان التقبل وان ادى الى ما ذكر الا انه يفيد
نوع تكلف على خلاف الطبع اما القبول فانه يفيد معناه على وفق الطبع
فذكر التقبل ليفيد الجد والمبالغة ثم ذكر القبول ليفيد ان ذلك ليس على خلاف
الطبع بل على وفقه وهذه الامور وان كانت ممتنعة في حق الله تعالى
من حيث الاستعارة للدلالة على حصول العناية العظيمة **وانبتها نباتا حسنا**
مجاز عن التربية الحسنة واقام نباتا مقام انبات وقيل التقدير فنبتت
نباتا **وكفلها** بالتخفيف ورفع زكريا والتشديد ونصبه اي ضمها الله اليه
وجعله كافلا لها وقري واكفلها وكفلها بكسر الفا لغة والقراءة زكريا بالمد
والقصر **ان الله يرزق من يشا بغير حساب** يحتمل ان يكون من كلام مريم
وان يكون من كلامه تعالى وهو مناسب في الاية من وجدان الرزق **هنا** واستعيره صح
لك اصله للمكان هنا للزمان وفيه اشعار بالسببية **قال** تفسير لدعا ابن برجان

حاذكر سوال زكريا ربه على وجه من الخطاب متفقه في المعنى فهنا رب هب
لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعا وفي مريم رب اني وهن العظم مني
الى قوله واجعله رب رضيا وفي الانبيا رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين
ويجي ذلك محققا دليل على تكراره ففيه اشارة الى التكرار والالحاح في الدعا
قلت وقد يكون دعا مرة فعبر تعالى عنه بالفاظ متنوعة كما هو عادته
في تكرير القصص ابو حيان دعا بلفظ رب لانه مربيه ومصلح حاله وبلفظ هب
لان الهبة احسان محض لا في مقابلة الراغب استعمال الطيب في الصالح كاستعمال
الخبيث في ضده على ان في الطيب زيادة على معنى صالح والفاصلة مناسبة
لما في الاية من الدعا والسماع فكني به عن الاجابة فنادته الملايكة وفي قراءة
فناداه بالتذكير والمراد جبريل وحده كما قرا ابن مسعود فناداه جبريل من العام
المراد به الخصوص قيل والنداء يستعمل في التبشير وفيما ينبغي ان يسرع به
وينهى الى نفس السامع ليسر به ان الله بالكسر على اضمار القول والفتح على اضمار البا
وقرا ابن مسعود فنبه يا زكريا يبشرك في القران من مضارع البشر عشرة مواضع
قرئت في السبع بالتخفيف والتشديد الا قوله في الحجر فبم تبشرون فاتفقوا
على التشديد وقري هنا ايضا بالضم مخففا من ابشر بيحيى قال ابن برجان في اسمه
اشارة الى كونه يقتل شهيدا لان الشهدا احيا عند ربهم يرزقون مصدقا
بكلمة اي بعيسى سمي كلمة لانه وجد بكلمة كن وحدها من غير اب وقري
بكسر الكاف وسكون اللام وسيدا اي متبوعا لقومه ذكره في مقابلة قوله
يرثني ويرث من ال يعقوب وما بعده في مقابلة قوله واجعله رب رضيا
وذكرت الصفات على وجه التدلي قال رب انى يكون لي غلام استبعاد
فان قلت ما وجه سواله ذلك مع طلبه الولد وعلمه بقدرة الله
اجيب بانه تعالى الهمه السوال ليجاب بما اجيب به من الحكمة فيستفاد
وقد بلغني الكبر قيل هو من باب القلب اي بلغته كما قال في اية اخرى وقد بلغت
من الكبر وقال الراغب اذا بلغت الكبر فقد بلغك الكبر وامراتي عاقر
اخر ذكر المراة هنا وقدمه في سورة مريم لتناسب روس الاي وايضا فانه
فلما قدم ذكره هناك اولا بقوله وهن العظم مني وكانت المراة عاقرا
اخره ثانيا تفننا في الفصاحة قال الماتريدي لا يراعي الالفاظ في الحكاية
انما يراعي المعاني المدرجة في الالفاظ ابو حيان جاءت جملة الكبر فعلية لانه
تتجدد شيا فشيا وجملة المراة اسمية لان كونها عاقرا امر لازم لها قال كذلك
اي الامر كذلك كما ذكر من خلق غلام منكما فهو خبر مقدر وقيل خبر والله وما
بعده مبتدا اي الله على هذه الصفة ويفعل ما يشا بيان له وقيل هو صفة
مصدر محذوف اي يفعل ما يشا فعلا مثل ذلك وقال ابن برجان الكاف
للتشبيه والتسوية بين الحكمين والاشارة الى ما عند زكريا من العلم بامره
وقدرته على ذلك اذا شاء كقدرته على سنته الظاهرة يفعل ما يشا من
ذلك بتوسط الاسباب وباطراحها ثم اراه اية ذلك بقوله عقبه في سورة مريم

وقد خلقتك من قبل ولم تك شيا وكذا قوله لمريم كذلك الاشارة الى علم بمقدور
الله الغايب انه عنده كالحاضر الموجود المعهود فقوله كذلك اي هكذا هو عند
ربك كالمعهود عندك انتهى قال رب اجعل لي اية اي علامة اعرف بها
الحبل لم يطلبها شكا بل لتشوقان النفس الى المطلوب ليعرف وقته حال
حدوثه قبل ظهوره عادة وليتلقاه بمزيد الشكر والاجتهاد في العبادة وجعل
ايته حبس لسانه عن كلام الناس مع قدرته على الذكر من جنس الاية
في ولادة امراته مع انها في سن العقر ان لا تكلم قري بالرفع على ان مخففة
رمزا قري بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وبفتحتين جمع رامز كخادم وخدم
والابكار مصدر ابكر وقري بفتح الهمزة جمع بكر بفتحتين واذ عطف على اذ قالت
امراة عمران ابو حيان لما فرغ من قصة زكريا وكان قد استطرد من قصة مريم
اليها رجع الى قصة مريم وهكذا اساليب العرب والملايكة هنا جبريل وحده
كما تقدم ودل عليه سورة مريم وقري قال وتكرير قوله اصطفاك
لان المراد اصطفاك اولا حين تقبلك من امك ورباك ثم ثانيا حال
لبرك بما اتاك من المعارف والفضايل والنبوة ان كانت نبية وهو احد
القولين ومال اليه السبكي يا مريم اقنتي الاصبهاني لما بين تعالى انها مخصوصة
بمزيد الاصطفا اوجب عليها مزيد العبادات ابن الزملكاني المراد باقنتي
اطيعي واسجدي صلي واركعي اشكري كقوله وخر راكعا واناب
ولم تشرع صلاة الا والركوع فيها متقدم وقال غيره قدم السجود على الركوع
لانه افضل اذ اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ولم يقل مع
الراكعات لان الاقتدا بالرجال افضل من الاقتدا بالنسا وللتغليب
ولمراعاة الفاصلة وفي قراءة ابن مسعود واركعي واسجدي في الساجدين
ابن عطية الذي عندي في الاية ان مريم امرت بفصلين ومعلمين من
معالم الصلاة وهما طول القيام والسجود وخصا بالذكر لشرفهما في اركان
الصلاة وهذان مختصان بصلاتها منفردة والا فمن يصلي وراء امام
لا يقال له اطل قيامك ثم امرت بعد بالصلاة في الجماعة فقيل لها واركعي
مع الراكعين وقصد هنا معلم اخر من معالم الصلاة ليلا يتكرر لفظ ولم
يرد بالاية السجود والركوع الذي هو منتظم في ركعة واحدة ذلك
اي ما تقدم من امر مريم وامها وزكريا ويحيى من انبا الغيب نوحيه اليك
تقرير لصدقه فيما اخبر به لتقوم به الحجة على نصارى نجران وقد اعاده
ثانيا بعد قصة عيسى بقوله ذلك نتلوه عليك من الايات والذكر الحكيم
وثالثا بعد ضرب المثل بقوله الحق من ربك فلا تكونن من الممترين
ورابعا بقوله ان هذا لهو القصص الحق كل ذلك لتقرير الحجة عليهم بتصديق
ما اخبر به القران وما كنت لديهم اي لم تكن حاضرا مشاهدا لهم فتخبر بذلك
انما علمته من جهة الوحي زيادة تقرير ايضا ونفي لما نفيه معلوم ضرورة
تهكما بالمنكرين والضمير فيه عايد على غير مذكور بل لما دل عليه المعنى

اي لدي المتنازعين كقوله فاثرن به نقعا اي بالمكان **اذ يلقون اقلامهم** ينظرون
ايهم يكفل والمضارع لحكاية الحالة الماضية **اذ قالت الملائكة** لما ذكرها امر مريم
في اول امرها شرع كيفيته ولادتها لعيسى وقرى واذ قال **بكلمة منه** من لابتداء
الغاية لانه لم يكن للاب واسطة بينه وبين الله ونظيره وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض جميعا منه **اسمه** ذكر ضمير الكلمة لان المسمى بها مذكر **المسيح عيسى
ابن مريم** ذكره بلقبه ثم اسمه ثم نسبته ونسب الى امه مع ان الخطاب معها لان
الانبيا ينتسبون الى الاباء لا الى الامهات فاعلمت بنسبته اليها انه يولد من غير
اب فلا ينسب الا الى امه وذكره بمجموع هذه الثلاثة لان الاسم للمسمى
علامة يعرف بها ويتميز فكانه قيل الذي يعرف به ويتميز عمن سواه مجموع
هذه الثلاثة ثم عقبها بصفاته الجميلة ابن الانباري بدا بلقبه لان
المسيح اشهر من عيسى لانه قل ان يقع على سمي يشتبه به وعيسى قد يقع
على عدد كثير فقدمه لشهرته الا ترى ان القاب الخلفا اشهر من اسمايهم قلت
وفي هذا رد على النحاة حيث اوجبوا تاخير اللقب عن الاسم عند اجتماعهما
ومن المقربين لم يقل ومقربا كما قال وجيها لمراعاة الفاصلة والتقريب
صفة جليلة عظيمة معناها علو المنزلة عند الله **ويكلم** اي ومكلما وجي بهذه
الحال مضارعا للتجدد المهد اصله مصدر سمي به مقر الصبي في رضاعه ٥
وكهلا قيل هو بشارة ببلوغه حد الكهولة اذ الكلام في الكهولة مما يتساوى
فيه الناس وقيل حين ولد لانه رفع في مبدا الكهولة ونزل فيها ابو حيان المشهور
في اللغة ترتيب سن المولود انه في الرحم جنين فاذا ولد فوليد وفي الاسبوع
صديع وفي مدة الرضاع رضيع واذا فطم فطيم واذا دب دارج واذا
سقطت اسنانه ثغور واذا عادت ثغر واذا جاوز العشر مترعرع
وناشئ واذا قارب الحلم يافع ومراهق واذا احتلم بالغ وحزور وهو في
هذه الاحوال غلام واذا اخضر شاربه وسال عذاره واذا التحى
فتى وشارخ واذا كملت لحيته مجتمع وما دام الى الثلاثين ثم كهل الى خمسين
ثم شيخ **ومن الصالحين** ابن الانباري معناه من صالحي الحال
عند الله الكرماني خص الانبيا بذكر الصلاح لانه لا يتخلل صلاحهم خلاف ذلك
الماتريدي الصلاح يتحقق في الانبيا من جميع الوجوه وفي غيرهم لا يتحقق
الا من بعضها **انى يكون لي ولد** وفي سورة مريم انى يكون لي غلام لتقدم قوله
لاهب لك غلاما زكيا **يخلق ما يشاء** وفي قصة يحيى يفعل ما يشاء قيل
لان امر عيسى ابدع واغرب فعبر فيه بالخلق الدال على الاختراع والابداع ثم رايت
ابا حيان ذكر مثل ذلك **ويعلمه** بالياء عطفا على يخلق وبالنون التفاتا وقال
ابن عطية هو عطف على وجيها وما بعده لان التقدير ومعلما ولهذا قال بعده
ورسولا والجميع احوال وقال الامام التقدير في الاخير ونبعثه رسولا
الى بني اسرائيل قايلا اني قد جيتكم **بانه** قرى بالياء في الموضعين **اني اخلق**
بالكسر استينافا او تفسيرا لما قبله بالجملة والفتح بدل مما قبله او رفع بتقدير

هي

هي **كهيئة الطير** اي شيا او تمثالا كهيئته وقيل الكاف اسم مفعول به الكرماني الهيئة
الحال الظاهرة الراغب الهيئة الحالة التي يكون عليها الشي محسوسة كانت او معقولة
لكن في المحسوس اكثر وقرى بكسر الهاء وتشديد اليا وقرى الطاير **فانفخ فيه**
قيل في الهيئة وقيل في الطير وقيل في الطين وقيل الضمير للكاف اي في ذلك
الشي المماثل وفي المايدة فتنفخ فيها اي الهيئة وسر التنويع ان الذي هنا من كلام
المسيح في ابتدا تحديه ولم يكن صورة بعد فحسن التذكير والافراد والذي في المايدة
من كلامه تعالى له يوم القيامة معددا نعمه عليه بعد ما قضت وكان قد اتفق
ذلك منه مرات وانقضى فحسن التانيث لجماعة ما صوره من ذلك ونفخ
فيه وقرى هنا فانفخها على اسقاط في فيكون طيرا بالجمع لانه خلق طيرا كثيرا والافراد
لانه لم يخلق غير الخفاش لانه اكمل الطير خلقا ليكون ابلغ في القدرة لان لها
لسانا وثديا وهي تحيض وتطير باذن الله قاله ازالة للشبهة وتنبيها على ان
خلق الحياة انما هو من الله وكرره هنا مرتين وفي المايدة اربعا لان ما هنا
من كلام عيسى في تصور ان يكون من فعل البشر اضافه الى نفسه وهو الخلق
بمعنى التصوير واحياه الابرص والاكمه بمعنى التطبب واما مصير الطين
طيرا واحيا الموتى فمن فعل الله وحده وما في المايدة من كلامه تعالى فاضاف
الكل الى صنعه اظهارا لعجز البشر وان فعل العبد مخلوق لله وقيل باذن
الله هنا عايد لجميع ما قبله وهو الصواب لان الاكمه والابرص لا يصح
للمتطبب فيهما لانهما دا اعيا ولهذا خصا بالمعجزة من بين ساير الادوا اذ
بعث في زمن الطب **تدخرون** قرى تذدخرون بالذال وتذخرون
بوزن تعلمون والذال معجمة **ومصدقا** اي وجيتكم مصدقا فهو عطف
على باية من حيث المعنى **ولاحل** عطف على مصدقا من حيث المعنى **حرم**
قرى بالبنا للفاعل وبوزن كرم **وجيتكم باية من ربكم** كرره تاكيدا لان
اخراج الانسان عن المالوف والمعتاد من قديم الزمان عسير ثم فصل
بقوله **فاتقوا الله واطيعون** لان طاعة الرسول من لوازم تقوى الله ثم ختم
بقوله **ان الله ربي وربكم** ومقصوده اظهار الخضوع والاعتراف بالعبودية
لئلا يتقولوا عليه الباطل ويقولوا انه اله او ابن اله وزاد في الزخرف هو
تاكيدا واستغنى عنه هنا وفي سورة مريم بما تقدم من الايات في خلقته
الدالة على انه تعالى خالقه لا والده كما زعمت النصارى ولما لم يتقدم مثله
في الزخرف ذلك حسن التاكيد والاتيان بضمير الفصل المفيد للقصر وهو اثبات
الربوبية ونفي الابوة وفي الكشاف وجيتكم باية من ربكم شاهدة على صحة
رسالتي وهي قوله ان الله ربي وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا القول
لم يختلفوا فيه وقرى بالفتح على البدل فقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض
فاعبدوه جي بالفا الترتيبية على ما قبله لان الرب تجب عبادته على عبيده
ثم اكد ذلك بقوله **هذا صراط مستقيم فلما احس عيسى منهم الكفر** الاصبهاني لما
حكى تعالى بشارة مريم بكلمة منه واستقصى في بيان اسمه وصفاته ومعجزاته

ترك قصة ولادته لانه شرحها في سورة مريم على الاستقصا وشرع في بيان ان عيسى
لما شرح لهم تلك المعجزات واظهر لهم تلك الدلايل قصدوا قتله فلما احس منهم
الكفر اي علم اراد وا قتله اي علم ذلك منهم علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحس
قال من انصاري الراغب اي ظهر له ذلك ظهورا بان للحس فضلا عن الفهم
واقول هذه الاية وقع فيها حسن التخلص وللطافته جدا حار الفكر
في موضعه ويحتمل ان يكون هنا كما اشار اليه الاصبهاني فيكون جميع ما في الاية
الا قوله مستقيم من كلام الله تعالى حكاية عما يقوله عيسى اذا ارسل فحومه
تتمة البشارة لمريم ويقدر هنا فنفخ جبريل في جيب درعها فحملت به فابده ووضعته
فبلغ فارسل فقال فلما احس ويحتمل ان يكون التخلص من عند قوله ورسولا الى
بني اسرايل وهذا اوضح ولهذا جاءت الافعال والاضافات بعده بضماير التكلم
من عيسى وكانت قبل بصيغة الغيبة فيكون لهم كلامه تعالى في البشارة امر ايل
ويحتمل ان يكون اخر البشارة والانجيل ورسولا على الاستيناف اي فخلقناه وارسلناه
رسولا الى بني اسرايل فقال ويحتمل ان يكون اخر البشارة ومن الصالحين
ونحمله على الاستيناف على معنى علمناه ويويده الفصل بقول مريم وما قيل لها
في الجواب فيكون اخر قصة ولادته اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ثم
تخلص الى رسالته وهذا وجه لعمري قوي والاول اقوى منه الى الله اي متضاما
الى نصرته وقيل مع الله وقيل في الله الحواريون قري بتخفيف اليا امنا بالله
جار مجرى العلة لما قبله لان الايمان بالله يوجب نصرة دينه ورسوله
ثم طلبوا اشهاده عيسى تاكيدا لايمانهم فقالوا واشهد بانا مسلمون وفي الاية
بانا لانه اول كلام الحواريين فجا على الاصل وما هنا تكرير كلامهم فخفف لان التكرير
فرع والتخفيف فرع والفرع بالفرع اولى ثم تضرعوا الى الله فقالوا ربنا امنا بما
انزلت واتبعنا الرسول وفيه زيادة على قولهم امنا بالله الايمان بالكتاب
والرسول فعند ذلك طلبوا الزلفى فقالوا فاكتبنا مع الشاهدين اي اولي
العلم الذين يشهدون لك بالوحدانية المشار اليهم في قوله شهد الله الاية ومكروا
اي كفار بني اسرايل الذين احس عيسى منهم الكفر ومكر الله من باب المشاكلة الراغب
المكر صرف الغير عما يقصده بحيلة ومكر الله بالعبد امهاله وتمكينه من اغراض
الدنيا وقال المفضل المكر لطف التدبير وقال غيره اصل المكر التدبير
المحكم الكامل ثم اختص بالتدبير في ايصال الشر خفية وقال بعضهم المكر
الاحتيال على العبد لا يتباعه في الضر والفرق بينه وبين الحيلة ان الحيلة قد
تكون لاظهار ما يعسر من الفعل من غير قصد الى الاضرار والمكر حيلة توضع في
الاضرار والله خير الماكرين اي اقواهم مكرا وابعدهم كيدا واقدرهم على العقاب
من حيث لا يشعر المعاقب اذ ظرف لخير الماكرين او لمكر الله او لاذكر اني متوفيك
ورافعك قيل هو من باب التقديم والتاخير رافعك ومطهرك ومتوفيك
الي اضافة تشريف الى سماي ثم الي مرجعكم رجوع الى خطابهم من الغيبة
في الذين اتبعوك فوق الذين كفروا فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون في لقمان

الى

الى مرجعكم فانبيكم بما كنتم تعملون لان الاختلاف تقدم هنا فناسبه الحكم ولا ذكر
له في لقمان فناسب الانبا لانها عامة في الاعمال فاما الذين كفروا الاية بيان
للاختلاف والحكم المجملين في الاية الاولى وبدا بقسم الكفار لانهم اقرب في الذكر
في قوله فوق الذين كفروا ولان الكلام فيمن كفر بعيسى ورام قتله فكانوا اهتم
وقال فاعذبهم لموافقة فاحكم ووفيهم بنون العظمة لمناسبة
عظم المخبر عن جزايه وهم المومنون فانهم عظماء عند الله وفي قراءة بالياء التفاتا
وفي قوله والله يحب على قراءة النون التفات ولما تقرر امر عيسى من ابتداء
خلق امه ثم خلقه الى رفعه قال تعالى ملتفتا الى التكلم ذلك نتلوه عليك من
الايات والذكر الحكيم فقرر بذلك كونه وحيا وصدقا وانه من جملة ذكر وكتاب
محكم لا يتطرق اليه البطلان ولا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
وفي ذلك مقنع لمن رام الحق وترك المرا والعناد ولما لم يقنعهم ذلك وتمسكوا
بشبهة التي هي انه كيف يكون ولد بلا اب والعادة والعقل قاضيان بخلافه
اذ البرهان القاطع بزعمهم دال على انه لا بد للناس من والد اتى من تعالى بحجة
عقلية وقياسا او لويا فقال ان مثل عيسى اي صفته وشانه الغريب اذ لا
يقال مثل الا لما له شان وفيه غرابة عند الله عبارة عن الحق في نفسه اي
هكذا هو الامر فيما غاب عنكم وفيه التفات كمثل ادم خلقه هو وما بعده
مفسر لوجه الشبه اي خلق ادم ولا اب له ولا ام باجماع منا ومنكم وكذا
حال عيسى ثم للترتيب في الذكر لا في الوجود كن فيكون اي فكان ولهذا اجمع على
رفعه وانما احتيج الى بيان وجه الشبه لان عيسى اشبه ادم في اشيا كثيرة
كالنبوة والعلم وصفة التركيب والرفع الى السما والنزول منها الى غير ذلك
والمقصود هو خلقه بلا اب فقط لانه موضع الاستدلال فلذا صرح به
الحق خبر مبتدا اي هذا او الذي انبانك به فلا تكن من الممترين الخطاب له صلى
الله عليه وسلم والمراد غيره تهييجا للثبات وزيادة في ثباته وتلطفا بغيره وفي ترك الامتراء
وفي البقرة فلا تكونن من بنون التوكيد قال الكرماني في مناسبته لقوله قبله
فلنولينك ولم يتقدم هنا ما يقتضي مناسبته فترك واقول بل لان امر القبلة
كان محل الاضطراب لكونه اول نسخ في الاسلام وقد ارتد له جماعة فناسب تاكيد
النهي عن الامتراء فيه ولهذا وقع هناك من التكرير والتاكيد ما لا مزيد عليه
واما هنا فامر عيسى واضح بين لمن تامله فترك التاكيد احالة على ما ظهر من الادلة
على حق ترك اللام في قوله ثم انكم يوم القيامة تبعثون ولم يجله في الموضعين من نوع
تاكيد فان قوله فلا تكن من الممترين ابلغ فلا تمتر الراغب المرية التردد في الامر
وهو اخص من الشك والامترا المحاجة فيما فيه مرية تلت
ولهذا عقبه بقوله فمن حاجك الاصبهاني بين الله في صدر هذه السورة وجوها
من الدلايل القاطعة على فساد قول النصارى في عيسى واتبعها بذكر الجواب
عن جميع شبههم على سبيل الاستقصا وختم الكلام بالنكتة القاطعة بفساد
كلامهم وهو انه لما لم يلزم من عدم الاب لادم ان يكون ابنا لله لم يلزم ايضا

ذلك نتلوه عليك

ان مثل عيسى

من عدم الاب لعيسى ذلك ومن انصرف وطلب الحق علم ان البيان قد بلغ الغاية
القصوى فعند ذلك قال تعالى لمن حاجك وقيل لما احتج على النصارى اولا بالعلم
السمعي ثم بالعلم البرهاني العقلي امر ان يحتج عليهم من طريق الاعجاز وصوابه هلة
الداعية المحاجة ان يطلب كل واحد ان يرد الاخر عن حجته ومحجته تعالوا
الاصل في المراد المجيء بالراي والعزم ابن جني هو من تعالى بمعنى ارتفع وقرئ
بضم اللام على ان الاصل تعاليوا انتقلت ضمة الياء الى اللام وحذفت ندع ابناءنا
الى آخره الزمخشري فان قلت ـــ ما معنى ضم الابناء والنساء في المباهلة
الى الانفس قلت لانه آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه وكذب
خصمه حيث عرض نفسه واعزته لهلاك الاستئصال وخص الابناء والنساء
لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلوب وقدمهم في الذكر على الانفس لينبه على
لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليؤذن بانهم مقدمون على الانفس مفدون بها
نبتهل اي نتفل بهلة الله على الكاذبين والبهلة بالضم والفتح اللعنة ان هذا
لهو القصص الحق اي لا ما ادعته النصارى في شان عيسى وما من اله الا الله
من في مثل هذا منزلة البناء على الفتح في لا اله الا الله في افادة معنى الاستغراق
وان الله لهو العزيز الحكيم اشارة الى وصفي الالهية وهما القدرة التامة
عن الغلبة فلا يمتنع عليه شي والعلم المعبر عنه بالحكمة فيما صنع واتقان
لما اخترع فلا يخفى عليه شي وهما منتفيان عن عيسى عليم بالمفسدين كناية
عن عنادهم وعبر به دون الضمير ليعمهم وغيرهم وليدل على ان توليهم افساد
قل يا اهل الكتاب تعالوا لما اورد صلى الله عليه وسلم عليهم انواع الحجج وانقطعوا
ثم دعاهم الى المباهلة فخافوا وجبنوا عنها كما ورد في الحديث وكان صلى الله
عليه وسلم حريصا على ايمانهم قال تعالى يا محمد اترك ذلك المنهج من الكلام واعدل
الى منهج آخر يشهد كل عاقل سليم القلب مستقيم الفكر انه كلام مبني على الانصاف
وترك الجدال ـــــ وقل يا اهل الكتاب مخاطبا لهم باحسن الاسماء واكمل الالقاب ب
حيث جعلوا اهلا لكتاب الله تطييبا لخاطرهم وتالفا لقلوبهم والمراد بقوله
تعالوا توجيههم الى النظر فيما دعوا اليه وان لم يكن انتقالا من مكان الى مكان
عال الى كلمة قرئ بسكون اللام مع كسر الكاف وفتحها وعبر بها هنا عن
كلمات مجازا سواء اي عادلة مستقيمة مستوية بالجر صفة وقرئ بالنصب
حالا وقرا ابن مسعود بدله عدل بيننا وبينكم اذا اتينا بها نحن وانتم
كنا على السواء لاستقامته لا يختلف فيها القرآن والتوراة والانجيل ان
تفسير للكلمة او خبر هي مقدرا بعضنا بعضا فيه لطيفة وهي ان البعضية
تنافي الالهية اذ هي تماثل في البشرية وما كان مثلك استحال ان يكون الهك
فان تولوا عن التوحيد والاجابة فقولوا خطاب للامة بعد خطاب
الرسول اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فوجب عليكم ان تعترفوا وتسلموا
بانا مسلمون دونكم ويجوز ان يكون من باب التعريض ومعناه اشهدوا
واعترفوا بانكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره يا اهل الكتاب لم

يا اهل الكتاب

نزل

نزل في مخاصمة وفد نجران مع اليهود وقول الاولين ان ابراهيم كان نصرانيا لانا
وقول الاخرين انه كان يهوديا فبراه الله من المقالتين واخبر ان اليهودية والنصر انية
انما حدثتا من بعده بدهر طويل والاستفهام للتوبيخ والتقريع ولذا قال
افلا تعقلون اي هذا كلام لا يعقل او محال ان ينسب المتقدم الى المتاخر ها انتم
في قراءة بالقصر فقيل حذفت الفها التاكيد وقيل الاصل اانتم بهمزة الاستفهام م
فابدلت هاء على احد قوليه وانت صواحبه فعلى هذا الذي هاولاء اي يا هاولاء
حاججتم فيما لكم به علم اي من امر محمد المذكور في كتابكم وان كان علمكم فيه
ومحاجتكم لم توافق الحق فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ولا ذكر له في كتابكم اصلا
باليهودية ولا بالنصرانية ثم برا ابراهيم وكذبهم في دعواهم بقوله
ما كان ابراهيم الآية وبدا بانتفاء اليهودية لتقدمها على النصرانية وكرر لا لتاكيد
النفي عن كل واحد من الدينين ثم نفى عنه الاشراك على سبيل التكميل بقوله
وما كان من المشركين وفيه تعريض بان اليهود والنصارى مشركون بقولهم
عزير ابن الله والمسيح ابن الله ولم يقل وما كان مشركا لكونه راس اية
ثم حققوا ان دين ابراهيم الحنيفي الاسلام دين هذا النبي محمد صلى الله عليه الحنيفية
وسلم وامته وذكر محاجتهم في ابراهيم عقيب محاجتهم في عيسى ظاهر المناسبة
ثم لما كان هذا النوع احد رذائلهم اردفه بانواع منها كودهم ضلال المومنين
ثم كفرهم بايات الله مع علمهم بها وذلك اقبح ما يكون ثم خلطهم الحق بالباطل
وكتمهم الحق ثم تلعبهم في الدين وامرهم بالايمان وجه النهار والكفر آخره ثم اصرارهم رهم
على الخيانة في الاموال بعد اصرارهم عليها في الدين بكتم الحق ومناسبته ذلك
ظاهر وبدا بالخيانة في الدين لانه اشد وفي الحديث خيانة الرجل في علمه
اشد من خيانته في ماله وهذا النبي من عطف الخاص على العام وقرئ
بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم والله ولي المومنين
ضد اقامة الظاهر مقام المضمر قال ابو حيان وفيه ولي واولى جناس
وانتم تشهدون ابو حيان فيه طباق معنوي لان الشهادة اقرار واظهار والكفر
ستر تلبسون قرئ بفتح الباء مضارع لبس جعل الحق كانه ثوب لبسوه
وقرئ بضم اوله وتشديد الباء المكسورة ابو حيان ختمت هذه الآية
بقوله وانتم تعلمون والتي قبلها بقوله وانتم تشهدون لان المنكر عليهم
في تلك هو الكفر بايات الله وهي اخص من الحق لان الايات بعض الحق
والشهادة اخص من العلم فناسب الاخص الاخص وهنا الحق اعم من الايات
وغيرها والعلم اعم من الشهادة فناسب الاعم الاعم وجه النهار اي اوله سمي وجها
لانه احسنه واوله ما يواجه به الناظر فيراه ونصبه على الظرف
آخره ضمير للنهار وفي الآية طباقان ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم من تتمة كلام
الطايفة وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض وقوله ان يوتى احد مثل ما اوتيتم
متصل بكلام اليهود اي ولا تصدقوا بان يوتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم
خاصة فمحل ان جر او نصب قولان او يحاجوكم عطف على ان يوتى والضمير

بدل التنبيه صح

ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الخ

والضمير لاحد لانه في معنى الجمع اي ولا تومنوا لغير اتباعكم انهم يحاجوكم يوم القيامة
بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة فعلى هذا في الاية نوع لف ونشر فانهم قالوا
بامرين فنفوا عن المومنين ان يوتى احد مثل ما اوتوا فقابلهم تعالى بقوله
قل ان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء ونفوا عنهم الاهتدا الى الحجة فقابلهم
بقوله تعالى قل ان الهدى هدى الله وقيل تم كلامهم عند قوله دينكم والمعنى
ولا تومنوا اعتقادا الا لمن تبع دينكم بخلاف غيرهم فلا تونوا لهم في الايمان
وجه النهار واكفروا اخره ثم ابتدا تعالى بقوله قل ان الهدى هدى الله وما بعده
والمعنى قلتم هذا القول ودبرتم هذا التدبير لاجل ان يوتى احد مثل ما اوتيتم
من العلم والكتاب او يحاجوكم اي كراهة ذلك حسدا وبغيا ويويده قراة ابن
كثير ان يوتى احد بهمزة الاستفهام للانكار اي الان يوتى احد قلتم ذلك
قال الكرماني وعلى قراة الاستفهام هو مفصول عن الاول وقطعا لان الاستفهام
لا يعمل فيه ما قبله ومما قيل في الاية ان لا مقدرة اي ليلا يوتى وقري ان
يوتى بكسر الهمزة نافية من تتمة كلام اليهود ايضا او بمعنى الا ان وقيل من
كلام النبي صلى الله عليه وسلم لامته وقري به ويوتي بالبنا للفاعل من كلام
النبي صلى الله عليه وسلم لامته والمفعول محذوف اي لا يوتي احد احدا
واسع عليم مناسب لما قبله اي واسع الفضل عليم بمن يستحقه **ذو الفضل
العظيم** مناسب بقوله يختص برحمته من يشا **تامنه** قري تيمنه بكسر التاء وهي
وبه لغة تميم **بقنطار** هو مثال للكثير والدينار مثال للقليل **ليس** اثبات
لما نفوه من السبيل **من اوفى** الى اخره جملة مستانفة مقررة للجملة التي سدت
مسدها وقام عموم المتقين مقام ضمير من **ان الذين يشترون الاية** الاصبهاني
لما وصف الله اليهود بالخيانة في الاموال والخيانة لا تتمشى الا بالايمان الكاذبة
ذكر في هذه الاية وعيد من يقدم على الايمان الكاذبة قلت وقد صح
انها نزلت في من حلف على حق اقتطعه وذلك نوع من الخيانة فذكره لبعد وصف
اليهود بالخيانة ظاهر المناسبة وفيه تحذير المسلمين من التلبس بالخيانة
التي هي من اوصاف اليهود **ولا ينظر اليهم يوم القيامة** كناية عن السخط والغضب
وان منهم لفريقا الاية فيها النوع المسمى بالترديد وهو تكرير الكتاب
ثلاث مرات متعلقا في كل مرة بغير ما علق به في الاخرى الاصبهاني **وما هو
من الكتاب** نفي خاص وما هو من عند الله نفي عام والليّ اصله في الاجسام
ثم استعير للمعاني وفي قراة يلوون بالتشديد وقري يلون بضم اللام على حذف
احد الواوين **ما كان لبشر** الاصبهاني لما بين ان عادة علما اهل الكتاب
التحريف والتبديل اتبعه بما يدل على ان من جملة حرفوه ما زعموا ان عيسى
كان يدعي الالهية وانه كان يامر قومه بعبادته واكذبهم تعالى في ذلك
قلت قد صح انها نزلت فيمن قال من اليهود وللنبي صلى الله عليه وسلم اتريد ان
نعبدك كما عبدت النصارى عيسى فهو من جملة قبائح اليهود فذكر عقب ذكر
انواع ذا بلهم **ان يوتيه الله الكتاب والحكم والنبوة** الاصبهاني ذكرت الثلاث

علي

على ترتيب حسن لان الكتاب السماوي ينزل اولا ثم يحصل في عقل النبي فهم ذلك الكتاب
واليه الاشارة بالعلم فان المراد به العلم والفهم ثم يبلغ الى الناس واليه الاشارة
بالحكم فان المراد به العلم والفهم ثم يبلغ الى الناس واليه الاشارة بالنبوة الزملكاني
النفي في الاية واقع في غير موضعه ثم نسق بثم ونظيره ولولا رجال مومنون الاية
تقديره ولولا ان تطاوا رجالا مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم اي مثل اعمال
الذين كفروا **ثم يقول** ابن حيان اتى بثم التي للمهلة تعظيما لهذا القول
وقري برفع يقول على اضمار هو **ولكن كونوا** اي على اضمار يقول **ربانيين** قيل الرباني
فوق الحبر لان الحبر هو العالم والرباني الذي جمع الى العلم والفقه البصر
بالسياسة والتدبير والقيام بامور الرعية وما يصلحهم في دينهم ودنياهم
تعلمون بالتخفيف والتشديد مع ضم التا وقري به مع فتحها **تدرسون**
قري بكسر الراء مع فتح اوله وضمه **ولا يامركم** بالرفع على القطع وبالنصب على معنى
ولا له ان يامركم وقري ولن **ايامركم** استفهام انكار **واذ اخذ الله ميثاق
النبيين** الاصبهاني القصد بهذه الاية تقرير الاشيا المعروفة عند اهل الكتاب
مما يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قطعا لعذرهم واظهارا لعنادهم
الكرماني قيل التقدير ميثاق النبيين وامهم فحذف اكتفا وقيل التقدير
ميثاق امم النبيين وقيل يريد بالنبيين الامم من غير تقدير كما يرد الخطاب
للنبي والمراد الامة وقرا ابن مسعود ميثاق الذين اوتوا الكتاب
لما قرا حمزة بالكسر وتخفيف الميم فهي مصدرية والفعلان بعدها في تاويل
المصدر واللام للتعليل اي لاجل ايتاي اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء
رسول مصدق لتومنن به والمعنى اخذ الله ميثاقهم ليومنن بالرسول
لاجل انا اتيناكم ويجوز ان تكون موصولة وقرا غيره بالفتح والتخفيف فاللام الموطية
للقسم وما شرطية ولتومنن جواب القسم ساد مسد جواب الشرط واللام
للابتدا وما موصولة مبتدا ولتومنن خبره ابن حيان ثم جاءكم عطف على محذوف
اي فقبلتموه والتزمتموه وقرا الاعرج لما اتيناكم بالفتح والتشديد ووجهه
ابن جني بان التقدير لمن ما بزيادة من فقلبا النون ثلاث ميمات حذفت
الاولى قلت وعندي في توجيهها غير ذلك وهو ان فيها التفات
عن الغيبة الى الخطاب فانه قد تقدم ان المراد اخذه على اهل الكتاب فالتقدير
واذ اخذ الله ميثاقكم يا اهل الكتاب مع انبيائكم لما اتاكم اي وقت اتيانه
الكتاب اياكم بايتائه لانبيائكم لتومنن ان جاءكم رسول مصدق لما معكم
فقوله لتومنن متصل بقوله وحكمه جواب الميثاق وقدم عليه ثم جاءكم
رسول ليعود اليه الضمير في به وهذه الاية مع اية ان يوتى احد
من مشكلات من حيث التركيب وفيها اقوال كثيرة والقراة اتيتكم بالتاء واتيناكم
بالنون وقري مصدقا حالا **اصري** هو العهد لانه مما يوصر
اي يشد ويعقد وقري بضم الهمزة لغة او جمع اصار لما بين في هذه الاية
ان الايمان بمحمد شرع اوجبه الله على جميع من مضى من الانبيا والامم بين ان كل من

جوابه لما

كره ذلك فانه يكون طالبا دينا غير دين الله فقال **أفغير دين الله يبغون**
بالتاء خطابا على حد الخطاب في الآية قبله وبالياء التفاتا والفاء العطف الجملة
على جملة فأولئك هم الفاسقون ثم توسطت همزة الانكار او للعطف على محذوف
اي ايتولون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول لانه اهم من حيث ان الانكار
متوجه الى المعبود بالباطل **طوعا وكرها** فيه طباق وقرئ بضم الكاف **واليه يرجعون**
بالتاء والياء كما سبق وقرا ابو عمرو بالياء في الاول والتاء هنا لان الاول خاص والثاني
عام ففرق بينهما لافتراقهما في المعنى **قل آمنا بالله الآية** لما ذكر تعالى في الآية
السابقة انه اخذ الميثاق على الانبياء واتباعهم بتصديق الرسول المصدق لما
معهم بين هنا من صفته صلى الله عليه وسلم كونه مصدقا لما معهم ليجب
عليهم اتباعه وافرد ضمير قل وجمع آمنا ليدل على انه مبلغ لهذا التكليف من
الله الى الخلق الا الرسول صلى الله عليه وسلم ثم قال آمنا تنبيها على ان من آمن
بالرسول مشارك له في الايمان بالله وبما انزل **ومن يبتغ الآية** لما قال
في الآية الاولى افغير دين الله يبغون وفي آخر التي تليها ونحن له مسلمون
اتبعه بان بين في هذه الآية ان الدين ليس الا الاسلام ومن ابتغى دينا غيره
فهو مردود عليه **كيف يهدي الله الآية** نزلت فيمن ارتد ومناسبتها للآية
التي قبلها ظاهرة لان المرتد مبتغ غير دين الاسلام والاستفهام بمعنى النفي
او الاستبعاد **وشهدوا** عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل لان معناه
بعد ان آمنوا **والله لا يهدي القوم الظالمين** ليس تكرارا لما في اول الآية
لان ذلك خاص بالمرتدين والثاني عام فيهم وفي غيرهم وفيه رد العجز على
الصدر والناس اجمعين قرئ بالرفع **خالدين فيها** استخدام كما تقدم تقريره
في نظيره من البقرة **ان الذين كفروا الآية** فيمن استمر على الردة وتاب عند الغرغرة
وقيل المراد لن تقبل توبتهم بعد الموت اذا ماتوا على الكفر فجعل لن تقبل توبتهم
كناية عن الموت على الكفر وفائدة هذه الكناية التغليظ في شانهم وابراز حالهم
في صورة حال الآيسين من رحمة الله التي هي اغلظ الاحوال **لن تقبل توبتهم**
قرئ بالنون ونصب توبتهم ففيه التفات **واولئك هم الضالون** اي الذين
بلغوا في الضلالة غاية هي اشد واكمل وقال الامام الكفار اقسام من تاب
توبة صحيحة وهم الذين قال فيهم الا الذين تابوا الآية ومن تاب توبة فاسدة
وهم الذين قال فيهم لن تقبل توبتهم ومن مات على الكفر من غير توبة وهم
المذكورون في قوله **ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار** وادخل الفاء في قوله
فلن يقبل من احدهم للايذان بان الكلام مبني على الشرط والجزاء وان سبب امتناع
قبول الفدية هو الموت على الكفر بخلاف قوله في الآية التي قبلها لن تقبل توبتهم
فان عدم قبول التوبة ليس مسببا على الكفر لان التوبة تقبل من الكافر
وانما سببه صدورها في وقت لا تنفع فيه التوبة وليس مذكورا في الآية فلهذا
تركت منه الفاء ذكره الاصبهاني وغيره وقرئ نقبل بالنون وبالتحتية اي الله
وقيل من احدهم دون منهم لانه ابلغ وامس في المقصود اذ يحتمل منهم ان يكون

بقد

بتقدير الجمع **ذهبا** تمييز وقرئ بالرفع بدل من ملء **ولو افتدى به** قيل فائدة الواو
التعظيم والتقدير لن تقرب الى الله بملء الارض ذهبا لم ينفعه ولو افتدى به
من العذاب لم يقبل منه وهذا آكد في التغليظ لانه تصريح بنفي القبول
من جميع الوجوه وقيل الواو دخلت لبيان ان التفصيل بعد الاجمال لان قوله فلن
يقبل يحتمل وجوها فنص على نفي القبول بجهة الفدية لان من غضب على بعض عبيده
اذا اتحفه بهدية لم يقبلها البتة الا انه قد يقبل الفدية فاذا لم يقبل
الفدية ايضا كان ذلك غاية الغضب والمبالغة انما تحصل بذكر المرتبة
التي هي الغاية فحكم الله تعالى انه لا يقبل بهذا الطريق فلان لا يقبل بسائر
الطرق اولى وقيل التقدير ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما
في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به والمثل يحذف كثيرا في كلام العرب
قلت ويقال في تقرير هذا اعيد الضمير في به على ملء الارض
مرادا به ملؤها مرة ثانية فيكون استخداما وقرئ لو بدون واو ولما بين
ان الكفار لا ينجيهم من العذاب فدية عقبه بانه لا ينجيهم منه ايضا ناصر
ولا شافع بقوله **وما لهم من ناصرين** وتقديم المجرور لافادة الاختصاص
وان للمؤمنين ناصرين **لن تنالوا البر الآية** الاصبهاني لما بين تعالى ان الانفاق
لا ينفع الكفار علم المؤمنين كيفية الانفاق الذي ينتفعون به في الآخرة
ابن برجان لما ذكر تعالى الاسلام وان لا دين مقبول عنده سواه وتقدم
ان الاسلام هو الدخول في السلم كافة وكان كل شيء قد اسلم لله فهو ينفق مما عنده
ذكر الانفاق ونظمه بما تقدم من ذكره في مفتتح التنزيل بقوله ومما رزقناهم
ينفقون ثم بما تقدم من ذكره في هذه السورة بقوله والمنفقين وفي الآية
انسجام البليغ حتى انها جاءت موزونة على مثال بحر الرمل **كل الطعام الآية**
الاصبهاني الآيات المتقدمة في تقرير الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم وفي توجيه الالزامات على اهل الكتاب وهذه الآية في بيان الجواب
عن شبهات القوم فانهم قالوا له كيف تدعي انك على ملة ابراهيم وانت تاكل لحوم
الابل وقد كانت محرمة على ابراهيم فاكذبهم الله في ذلك وابان انها انما حرمت
من عهد اسرائيل وهو يعقوب حرمها على نفسه بنذر نذره وذلك بعد ابراهيم
بدهر والتوراة فيها ذكر ذلك وهي حجة عليهم وفي ذلك مع تكذيبهم المقصود
رد عليهم في انكار النسخ ابو حيان الجامع بين الآية وما قبلها انه تعالى اخبر انه لا ينال
المرء البر الا بالانفاق مما يحب ونبي الله اسرائيل حرم الابل وكانت احب الطعام
اليه تقربا الى الله فاجتمعت الآيتان في كل منهما فيه ترك ما يحبه الانسان
ويؤثره على سبيل القربة اليه **قل صدق الله** في ما اخبر به من ان تحريم ما ذكر
حادث بعد ابراهيم وفيه تعريض بكذب اليهود اي ثبت ان الله صادق فيما
انزل وانتم الكاذبون فثبتت عليكم الحجة ولزمكم اتباع ملة ابراهيم
باتباع محمد صلى الله عليه وسلم الامام المقصود من الآية بيان ان محمدا صلى الله
عليه وسلم على دين ابراهيم في الفروع والاصول **قلت** وعلى هذا فهي منتظمة

مع ما تقدم من قصة المحاجة في ابراهيم اعيد هنا تقريرا وتوكيدا وبيانا للموافقة
دين محمد له في الفروع والمذكور هناك لموافقته في الاصول لما كان من اعظم شعاير
ملة ابراهيم الحج عقب هناك بذكره لبيان كذب اليهود والنصارى في دعواهم
انهم على دينه وهم لا يحجون وافتتح بذكر فضيلة البيت ليفرع عليه ايجاب الحج
ولانه من بنا ابرهيم وفيه مقامه فلم تركه اليهود والنصارى واقتصروا
على بيت المقدس وليس من بنايه وزادوا ففضلوه عليه واستقبلوا في صلاتهم
اليه وانكروا استقبال البيت لما نزل ايجابه وهذا كله مخالف لملة ابراهيم
لا موافق لها فهم كاذبون في دعوى انهم على دينه وعلى هذا التقرير وقع كل
الاستطراد من ذكر محاجة القوم في ابراهيم الى ذكر انواع قبايحهم الى غير ذلك
مما استطرد اليه كل مناسب لما قبله على عادة القران في ذلك ثم رجع الى ما يتعلق
بالمحاجة وفي التخليل بالمستطرد اليه مناسبة لطيفة لانه كله مما يناسب
الاصول فلما انقضى عاد الى المحاجة بما هو في الفروع وضع قري بالبنا للفاعل
فضميره لله او لابرهيم فيه ايات بينات مقام ابرهيم قيل التقدير منها له
مقام وقيل المقام نفسه مشتمل على ايات لانه الصخرة الصما والغوص فيها
الى الكعبين والانة بعضها دون بعض وابقاوه دون سائر ايات الانبيا
وحفظه مع كثرة اعدايه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة وقيل المقام
المناسك ومحالها وفي قراة اية بينة ومن دخله كان امنا قيل هو من جملة الايات
والتقدير وامن داخله وقيل هو خبر بمعنى الامر اي من دخله فامنوه
ولله على الناس حج البيت من استطاع الاصبهاني في هذا الكلام انواع من التاكيد
والتشديد منها قوله ولله على الناس اي انه حق واجب لله في رقاب الناس لا
ينفكون عن ادايه والخروج من عهدته لانه اله معبود الزم عبيده هذه
العبادة فيجب عليهم الانقياد سواء عرفوا وجه الحكمة ام لا ومنها انه ذكر الناس
ثم ابدل منه من استطاع وفيه ضربان من التاكيد الاول ان الابدال
تثنية للمراد وتكرير له وذلك يدل على شدة العناية والثاني ان الايضاح
بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له في صورتين مختلفتين وذلك يدل
على شدة الاهتمام ومنها قوله ومن كفر مكان من لم يحج تغليظا على تارك الحج ومنها ذكر
الاستغنا وذلك يدل على المقت والسخط والخذلان ومنها قوله عن العالمين ولم يقل
عنه وما فيه من الدلالة على الاستغنا عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن
العالمين تناوله الاستغنا لا محالة ولانه يدل على الاستغنا الكامل فكان
ادل على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه وعن بعضهم لم يخاطب الله نبي
من العبادات بان لله عليهم الا الحج لانه ليس في العبادات اشق منه اذ يشترك
فيه اجهاد النفس والمال ويكثر فيه التعب والنصب والقراة حج بالفتح
لغة العالية وبالكسر لغة نجد قل يا اهل الكتاب الاية الاصبهاني لما اورد
تعالى الدلايل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم مما ورد في التوراة والانجيل من
البشارة بمقدمه ثم عقب ذلك بشبهات القوم كالشبهة الاولى فيما يتعلق

على

بحل الطعام والثانية ما يتعلق بالكعبة ووجوب استقبالها ووجوب حجها
فعند تمامها وتطبيقة الاستدلال وتكمل الجواب عن شبهات اصحاب الضلال
فعند ذلك خاطبهم بالكلام اللين وقال لم تكفرون بايات الله بعد
ظهور الايات وسقوط الشبهات وهذا هو الغاية القصوى في ترتيب الكلام
وحسن نظمه ثم لما انكر عليهم في ضلالهم اتبعه بالانكار عليهم في اضلالهم
ضعفة المسلمين فقال يا اهل الكتاب لم تصدون الاية وختم الاية الاولى
بقوله والله شهيد على ما تعملون لانهم كانوا يظهرون الكفر بمحمد صلى الله
عليه وسلم واما القا الشبهة في قلوب المومنين للصد عن سبيل الله فما
كانوا يظهرونه بل كانوا يحتالون في ذلك بوجوه الحيل فقال فيما اظهروه
والله شهيد على ما تعملون وانما كرر في الايتين قل يا اهل الكتاب
لان المقصود التوبيخ على الطف الوجوه وتكرير هذا الخطاب اللطيف اقرب
الى التلطف في صرفهم عن طريقهم في الضلال والاضلال وادل على النصح لهم
في الدين والاشفاق وقري يصدون بضم اوله من اصد لغة وقوله من امن
يحذف به المذكور في الاعراب مناسبة لقوله فيما تقدم ومن كفر تبغونها
حال فلذلك لم تدخلها الواو ودخلت في اية الاعراف لانها معطوفة كانه قال
توعدون وتصدون وفي ذلك تعداد لقبايحهم لانه من قول شعيب
والذي هنا من امر الله تعالى فلم يكثر من التعداد اغضا وكرما ولما تقدم
من ان المقصود التلطف الراغب جا اهل الكتاب بدون قل وجا هنا بقل
فبدون قل هو استدعا منه تعالى لهم الى الحق فجعل خطابهم منه استلانة
للقوم ليكونوا اقرب الى الانقياد ولما ذكر الغض منهم ذكر قل تنبيها
انهم غير مستاهلين ان يخاطبهم بنفسه وان كان كلا الخطابين وصل
على لسان النبي صلى الله عليه وسلم واطلق اهل الكتاب على المدح تارة وعلى الذم
اخرى واهل القران والسنة لا ينطلق الا على المدح لان الكتاب قد يراد
به ما افتعلوه دون ما انزل الله وقد يراد به ما انزل الله وايضا فقد
يصح ان يقال على سبيل الذم والتهكم كما لو قيل باهل القران لمن لا يعمل بمقتضاه
انتهى يا ايها الذين امنوا الاية لما حذر اهل الكتاب من الاغوار والاضلال
عقبه بتحذير المومنين عن طاعة فريق منهم ولم يات بلفظ قل كما في الايتين
قبله في خطاب اهل الكتاب تشريفا منه تعالى للمومنين وتانيسا وابرز
النهي في صورة شرطية لانه لم يتم طاعتهم لهم وكيف تكفرون استفهام انكار
وتعجب واستبعاد اي من حيث يتطرق اليكم الكفر والحال ان ايات الله
وهي القران المعجز تتلى عليكم على لسان رسوله والرسول بين اظهركم يعظكم ويزيح
شبهتكم تتلى قري بالتذكير للفصل ومن يعتصم الاعتصام الاستمساك
بالشي ولما ذكر اولا ان طاعة الفريق تودي الى الكفر ذكر في مقابله ان الاعتصام
بالله يهدي الى الاسلام والدين القيم ثم عقبه بايا كالشرح والبيان
لمعنى الاعتصام بالله فبدا بتقوى الله ثم بالاعتصام بحبل الله وهو القران

اي التمسك بما فيه من امر ونهي ثم بلزوم الجماعة فان الفرقة مع الشيطان
ثم بذكر نعم الله فان ذلك ادعى ان يشكروها وهذه الامور غاية المطلوب
ولهذا الاعتصام فقال يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته في مصحف
حفصة بدله اعبدوا الله حق عبادته وقد فسر حق تقاته بان يطاع فلا يعصى
ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر فكان اهم الامور الاربعة فلذا بدا به وعطف
عليه الباقي عطف الخاص على العام وبدا منها بالاعتصام بالقران لانه قريب
من الاول في العموم فقال واعتصموا بحبل الله الراغب الحبل معروف
واستعير للقران والنبي وغير ذلك مما اذا اعتصمت به وصلك الى المقصود
وقال غيره هي استعارة تمثيلية لان وجه الشبه فيها منتزع
من متعدد شبه استظهار العبد بالله ووثوقه بحمايته والنجاة من المكاره
باستمساك الواقع في مهواة بحبل وثيق مدلى من مكان مرتفع يامن انقطاعه
قال الاصبهاني ويجوز ان يكون الحبل استعارة لعهده او دينه والاعتصام استعارة
لوثوقه بذلك او يكون الاعتصام ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه
واذكروا نعمة الله الاضافة للعظمة والعموم على سبيل الاجمال ثم فصل بقوله
اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم اي فصرتم بنعمته اخوانا وهذه منا سبة
لقوله ولا تفرقوا وهي من اعظم نعم الدنيا ثم اردفها باعظم نعم الاخرة فقال
وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها شبه حياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع
في النار لو وافى الموت عليها بقعودهم على حرفها مشفين على الوقوع فيها فجمع هذا
البيان نعمتين عظيمتين هما اعظم النعم وسبب الحياة في الدنيا والاخرة [illegible]
لما في العداوة والفرقة من اثار الحروب التي فيها فنا الانفس بالقتل والنار كذلك
وفي كنتم اعداء واصبحتم اخوانا طباق كان في العداوة وشفا حفرة ايهام
طباق لان العداوة منشرة للنار والحرب قال بعضهم والاكثر في اخ الدين ان يجمع
على اخوان وفي اخ النسب ان يجمع على اخوة ابو حيان شفا الشي طرفه وهو حرف
كل جرم له مهوى كالحفرة والبير والجرف والسقف والجدار ويضاف في
الاستعمال الى الاعلا نحو شفا جرف والى الاسفل نحو شفا حفرة الراغب
شفا البير والنهر طرفه ويضرب به المثل في القرب من الهلكة كالايتين وضمير
فيها عايد الى شفا وان كان مذكرا لاضافته لمونث قاله جماعة واختاره
ابو حيان جريا على قاعدة رجوع الضمير الى المضاف دون المضاف اليه
لانه المتحدث عنه ولما كانت الاوامر السابقة لخاصة انفسهم اردفه
باوامر متعلقة بالغير من الدعا الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
في قوله ولتكن الاية ليكون الامران في مقابلة ما حكاه عن اهل الكتاب
من ضلالهم واضلالهم غيرهم الاصبهاني امرهم اولا بالمحافظة على التقوى
والحزم بالدعا اليه وهذا هو الترتيب البليغ المطابق للعقل الجمهور من في منكم
للتبعيض وقالت طايفة للبيان قال المفضل اي لتكونوا امة بهذه الصفة
قال وهذا من كلام العرب فصيح يقولون للرجل ليكن منك رجل في مثل هذا

تقوى الله الاعتصام بحبل الله الاجتماع والطاعة الترغيب [illegible]

اي

اي كن قايما به قلت وهذا هو النوع المسمى بالتجريد وفي الحديث تفسير
الدعا الى الخير باتباع القران والسنة وعطف الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر على الدعا الى الخير من عطف الخاص على العام اهتماما بشانهما روى
سعيد ابن منصور في سننه عن ابن الزبير انه كان يقرا ولتكن منكم امة
يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون
بالله على ما اصابهم ولما امرهم بذلك نهاهم عن التشبه باهل الكتاب
من اليهود والنصارى في ما فعلوه من التفرق والاختلاف في فهم الكتاب
والقا الشبهات في النصوص واستخراج التاويلات الفاسدة لها
المشار اليه في قوله اول السورة فاما الذين في قلوبهم زيغ الاية
وحذر بعد ذلك فقال ولا تكونوا ايها المومنون عند
سماع هذه البينات كالذين تفرقوا ابو حيان هذه الاية قبلها كالشرح
لقوله واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا فشرح الاعتصام بحبل الله
بقوله ولتكن منكم امة وشرح قوله ولا تفرقوا بقوله ولا تكونوا الى
اخره وقيل لما امر المومنين بالدعوة الى الخير والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وكان ذلك متوجها الى بعضهم بقوله منكم امة
نهاهم جميعا عن الفرقة والاختلاف وامرهم بالاجتماع والتعاون
على الخير واختلفوا عطف مبين لمعنى التفرق وان المراد به تفرق الكلمة
لا تفرق الذوات من بعد ما جاءهم البينات الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة
واولئك المذكورون لهم عذاب عظيم يوم ظرف متعلق بما قبله
ذكر لبيان حال الممتثلين للامر والمخالفين تبيض وجوه وتسود وجوه
فسر في الحديث بان المراد بالفريق الاول اهل السنة وبالثاني اهل
البدع وهو مناسب لما قبله لان اهل البدع هم الذين خالفوا في فهم
الكتاب واولوا النصوص بالتاويلات الفاسدة واختلفوا على اثنتين
وسبعين فرقة كل فرقة تضلل الاخرى وقري بكسر اول الفعلين
وقري تبياض وتسواد فاما الذين اسودت وجوههم نشر بعد لف
وهو غير مرتب وقري اسوادت وابياضت اكفرتم على حذف القول
اي فيقال لهم والهمزة للتوبيخ والتعجب فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون
الاصبهاني ذكر ذلك ليشمل الوعيد من كفر بعد ايمانه والكافر الاصلي
ففي رحمة الله اي الجنة من تسمية المحل باسم الحال مجازا ابو حيان اضاف
الرحمة اليه دون العذاب كعادته من اسناد الجميل اليه هم فيها
خالدون استيناف كانه قيل كيف يكونون فيها فاجيب بذلك الحصر في
انما ابتدا بقوله يوم تبيض وجوه وختم بقوله واما الذين ابيضت
وجوههم ولم يرتب النشر ترتيب اللف لان عادة القران الافتتاح باهل
الخير والختم بهم نتلوها فيه التفات وقري بالياء عودا على الله وقيل الى جبريل
لانه التالي وان لم يجر له ذكر للعلم به وما الله فيه التفات يريد ظلما

نكرة ليفيد نفي القليل والكثير ومناسبة الختم بهذه الجملة الاشارة الى انه عادل
فيما تقدم اخباره من تعذيب طائفة وتنعيم اخرى ثم اكد ذلك بذكر الحجة
القاطعة في ان جميع المخلوقات ملكه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال
ولله ما في السموات وما في الارض وعبر بما تغليبا للاكثر والى الله ترجع الامور
الاصبهاني اعاد ذكر الله في الايتين تفخيما للكلام وتنبيها على عظم المعنى
وقيل لما كان اول كل من الايتين واخره جملتان مستقلتان منفردتان
في المعنى حسن اظهار الاسم فيهما فانه اذا انكر رف جمل كثيرة على هذا الحد حسن
فيها كلها اظهار الاسم ولم يحسن الاتيان بالضمير ولما كان كل المخلوقات
منه بدا واليه يعود قال ولله ما في السموات وما في الارض اشارة
الى انه تعالى هو الاول والى الله ترجع الامور اشارة الى انه
هو الاخر وذلك يدل على احاطة علمه وحكمه وتصرفه وقد بين باولهم واخرهم
فان الاسباب والمسببات منتسبة اليه وان الحاجة منتهية اليه
ثم لما امر المؤمنين ونهاهم وحذرهم من التشبه باهل الكتاب اراد تقرير ذلك
وطريق اخر يقتضي حملهم على الانقياد والمطاوعة فقال
كنتم خير امة اخرجت للناس اي انكم في اللوح المحفوظ خير الامم وافضلهم
فلا ينبغي بكم ان لا تعطوا اعلا نفسكم هذه الفضيلة وان تنقادوا والى
الطاعة وان تدعوا الى الخير وان لا تتشبهوا من هود ونكم فان الفاضل
لا يليق به ان يفعل افعال المفضولين والارا ذل ومثل هذا الكلام
عادة تحمل النفوس الابية على الارتكاب معالي الامور وتجنب سفسافها
كما في الحديث اذا مدح المؤمن ربا الايمان في قلبه ابو حيان هذه
الاية من تمام الخطاب في قوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وتوالت
بعد هذا مخاطبات المؤمنين من اوامر ونواه واستطرد من ذلك
لذكر من يبيض وجهه ويسود وشيء من احوال الاخرة ثم عاد الى الخطاب
الاول فقال كنتم خير امة تحريضا بهذا الاخبار على الانقياد
والطواعية وكان ناقصة في الاظهر وقيل تامة وقيل بمعنى صار
وقيل زائدة الكرماني قيل هي متصلة بقوله هم فيها خالدون اي ويقال
لهم في القيمة كنتم خير امة اخرجت حذف الفاعل للعلم به وهو الله ووقع
في الضمير لفظ الغيبة جريا على امة لا الخطاب جريا على كنتم وهما طريقان
للعرب للناس من غريب ما قيل فيه انه مفعول تامرون قدم عليه فقرن
باللام المقوية على حد ان كنتم للرؤيا تعبرون تامرون بالمعروف
استيناف بين به كونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم
ويقوم بمصالحهم الامام قدم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على قوله
وتؤمنون بالله لان الايمان مشترك بين جميع الامم فليس المؤثر لحصول
هذه الزيادة بل المؤثر كونهم اقوى حالا في الامر والنهي واما الايمان
شرط للتاثير لانه ما لم يوجد لم يصر شيء من الطاعات مؤثرا في صفة الخيرية

والمؤثر

ومنه ذلك ثم الامر ... عليهم ويتبع ... الذكر ...

١٠٠

والمؤثر الحقيقي بالامور من شرط التاثير واكتفى بذكر الايمان بالله عن الايمان
بالنبوة لانه مستلزم له لكان اي الايمان منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون ١٠١
اللام فيهما تدل على المبالغة والكمال في الوصفين لن يضروكم الا اذى هو
استثناء متصل مفرغ من المصدر المحذوف وقيل منقطع وان يقاتلوكم
يولوكم الادبار هذه الجملة كالمؤكدة للجملة قبلها واتى بلفظ الادبار دون
الظهور لما في ذكره من الاهانة ولانه ابلغ في الانهزام والهرب ولهذا اثر
استعماله في القران ثم لا ينصرون استيناف اخبار انهم لا ينصرون
ابدا ولم يشركه في الجزاء فيجزم لانه ليس مرتبا على الشرط بل التولية مرتبة
على المقاتلة والنصر منفي عنهم ابدا قاتلوا ام لا اذ سببه الكفر فالجملة معطوفة
على جملة الشرط وثم للتراخي في الاخبار لا الزمان الزمخشري ثم للتراخي في الرتبة
لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم اعظم من الاخبار بتوليهم الادبار فان
قلت ما موقع الجملتين اعني منهم المؤمنون ولن يضروكم قلت
هما كلامان واردان على طريق الاستطراد عند اجراء ذكر اهل الكتاب
ولذلك جاءا من غير عطف الا بحبل قيل تقديره الا ان يعتصموا بحبل
وقيل فلا نجاة من الموت الا بحبل وقيل هو استثناء منقطع تقديره
لكن اعتصامهم بحبل ينجيهم من القتل والاسر والسبي والاستيصال
الاحوال الزمخشري هو استثناء متصل من عموم الاحوال والمعنى ضربت
عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل من
الله وحبل من الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين اي لا عز لهم
قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من الجزية وشبه
العهد بالحبل لانه يصل قوما بقوم كما يفعل الحبل في الاجرام ابو حيان
الظاهر في تكرار الحبل انه اريد حبلان وفسر حبل الله بالاسلام وحبل
الناس بالعهد والذمة وقيل الاول ما نص عليه من اخذ الجزية
والثاني ما فوض الى راي الامام وقيل الاول ما نص عليه من اخذ الجزية
والثاني ما فوض الى راي الامام وقيل المراد حبل واحد اذ حبل المؤمنين
هو حبل الله والعهد ليسوا الضمير لاهل الكتاب من اهل الكتاب امة
مستانف بين به انتفاء التسوية قائمة بمعنى مستقيمة يتلون ايات
الله جيء بالمضارع ليدل على التجدد وهم يسجدون اي يصلون حال او حالية
وقيل هي مقطوعة من الكلام الاول اخبر عنهم ايضا انهم اهل سجود
فهو نعت مجدد بواو العطف يؤمنون صفة اخرى او استيناف او حال
من ضمير يسجدون او بدل من يسجدون اقوال الزمخشري وصفهم بخصائص
ما كانت في اليهود من تلاوة ايات الله بالليل ساجدين ومن الايمان بالله
لان ايمانهم به كلا ايمان لاشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل
ومن الايمان باليوم الاخر لانهم يصفونه بخلاف صفته ومن الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لانهم كانوا

متباطئين عنها غير راغبين فيها ابو حيان وصف هذه الامة بست صفات
الاستقامة ولما كانت وصفا ثابتا لا ينتغير جاءت باسم الفاعل وصلاة الليل
وهي العبادة التي فيها الخلوة لمناجاة الله والايمان بالله واليوم الاخر وهو
الحامل على عبادة الله وذكر اليوم الاخر لان فيه ظهور اثر العبادة من الجزاء
الجزيل وتضمن الايمان بالانبيا اذ هم الذين اخبروا بوقوعه والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر لانهم لما كملوا في انفسهم سعوا في تكميل غيرهم بهذين الوصفين
والمسارعة في الخيرات وهي صفة تشمل افعالهم المختصة بهم والمتعدية
عنهم وهذه الصفات حيث توسط الايمان وتقدمت عليه الصفة المختصة
بالانسان في ذاته وتاخرت عنه الصفتان المتعديتان والصفة المشتركة
وما تفعلوا من خير فلن تكفروه القراءة بالغيبة عودا على امة قائمة وبالخطاب
في الالتفات لما وصفهم باوصاف جليلة اقبل عليهم تانيسا لهم واستعطافا
عليهم فخاطبهم بان ما يفعلونه من الخير لا يمنعون ثوابه ولذلك اقتصر على
الخير ولم يذكر الشر لانه موضع عطف وترحم وقيل المخاطب به المخاطبون في قوله
كنتم خير امة فيكون تلوينا لا التفاتا وكفر يتعدى لواحد وعدي هنا الى
اثنين لتضمنه معنى حرم والله عليم بالمتقين ابو حيان لما كانت الاية
فيمن اتصف بالاوصاف الجميلة واخبر تعالى انه يثيب على فعل الخير
ناسب ختمها بذكر علمه بالمتقين وان كان عالما بالمتقين وبغيرهم ومعنى
علمه بهم انه مجازيهم على تقواهم ففيه وعد لهم ووعيد لغيرهم الطوفي هو
كقوله وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم في انه اشارة الى تصحيح الجزاء والى
الاخلاص بدليل قوله والله عليم بالمتقين وقال ـــــ في اية اخرى
انما يتقبل الله من المتقين ومن راى بعمله لم يتق فيه فلم يتقبل منه
ان الذين كفروا الاية ابو حيان لما ذكر شيا من احوال المومنين ذكر شيا
من احوال الكافرين ليتضح الفرق بين الفريقين مثل ما ينفقون ابو حيان
لما ذكر تعالى ان ما يفعله المومنون من الخير لا يحرمون ثوابه اخذ في بيان
نفقة الكافرين فضرب لها مثلا اقتضى حرمان ثوابها الزمخشري شبه
ما كانوا ينفقون من اموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن
الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي حسه البرد فذهب
حطاما ابن عطية شبه انفاقهم الذي يعدونه قربة وحسنة وذخرا
يوم القيامة بزرع نبت واخضر وقوي الامل فيه فهبت عليه ريح صر
محرق فاهلكته ثم قيل هو من التشبيه المركب لم تتقابل فيه الافراد
بالافراد فانه شبه المنفق بالزرع والمعنى على تشبيهه بالحرث
وقيل وقع التشبيه بين شيئين وشيئين ذكر احد المشبهين وترك
ذكر الاخر على حد ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق فهو احتباك وقيل
هو على حذف مضاف من الاول اي مثل هلاك ما ينفقون وقيل من الثاني
اي كمثل مهلك ريح وقيل ما مصدرية اي مثل انفاقهم فيكون قد شبه

المفعول

المعقول بالمحسوس اذ شبه الانفاق بالريح وقيل الانفاق استعارة للاعمال
قال ابن عطية وهو بعيد الراغب قيل ما ينفقون عبارة عن اعمالهم كلها
وخص الانفاق لكونه اظهر واكثر وقرئ تنفقون بالخطاب على معنى قل لهم
والصر ريح لانها مختصة بالعذاب والصر ان كان البرد او صوت لهب النار
او صوت الريح الشديدة فظاهر كون ذلك في الريح وان كان صفة للريح
كالصرصر فهو من التجريد حيث جعل الموصوف ظرفا للصفة على حد قوله
وفي الرحمن للضعفاء كاف ظلموا انفسهم اي بالمعاصي وقيل بالزرع في غير
حينه وما ظلمهم قيل الضمير للمنفقين وقيل لاصحاب الحرث وايد ابن عطية
الاول بقوله ولكن انفسهم يظلمون لانه يدل على حاضر وقرئ لكن
بالتشديد فاسمها انفسهم والخبر يظلمون يا ايها الذين امنوا لما ذكر صفة الكافر
حذر المومنين من موالاتهم ومصافاتهم بطانة هي في الثوب بازاء الظهارة
وتستعار لمن يختصه الانسان كالشعار والدثار ابو حيان تشبيه الصديق
بما يباشر بطن الانسان من ثوبه فقيل له بطانة ووليجة هو من التجريد
لا يالونكم قال ـــــ ابو حيان هي والجمل بعدها لا محل لها من الاعراب
اذ جاءت بيانا لحال البطانة الكافرة ويقال الوت في الامر اي قصرت فيه
فهو متعد الى واحد بحرف الجر فتعديته الى الضمير على اسقاط اللام والى
خبالا على اسقاط في والاصل لا يالون لكم في خبال وقيل خبالا تمييز منقول
من المفعول والاصل لا يالون خبالكم اي في خبالكم وقيل مصدر في موضع
الحال ـــــ الزمخشري يقال الا في الامر يالو اذا قصر فيه ثم استعمل متعديا
للمفعولين في قولهم لا الوك نصحا ولا الوك جهدا على التضمين والمعنى
لا امنعك نصحا ولا انقصكه ودوا ما عنتم الراغب المعاندة والمعانتة
متقاربان لكن المعاندة هي الممانعة والمعانتة ان يتحرى مع الممانعة
المشقة ابو حيان اصل العنت انضمام العظم بعد جبره قد بدت البغضاء
قرئ قد بدا لان الفاعل مونث مجازا او على معنى البغض من افواههم
ذكرها دون الالسنة اشعارا بان ما يلفظون به يملأ افواههم كما يقال
قال كلمة تملأ الفم اذا تشدق بها وما تخفي صدورهم اكبر اسناد الاخفا
الى الصدور مجازا اذ هي محال القلوب التي تخفي ان كنتم تعقلون شرط
جيء به للتهييج وتومنون بالكتاب كله فيه جملة محذوفة اي وهم لا يومنون
بكتابكم عضوا عليكم الانامل اما على حقيقته واما مجازا للتمثيل عبر
بذلك عن شدة الغيظ والتاسف على ما يفوتهم من اذى المومنين
والعض وضع الاسنان على الشيء بقوة واما عظ الزمان فبالظاء المشالة
والانامل اطراف الاصابع قال ابن عيسى اصلها النمل المعروف وهي مشبهة
به في الدقة والتصرف بالحركة موتوا بغيظكم صيغة امر ومعناها الدعا
وقيل التقريع وقيل الخبر والباء للحال اي تموتون ومعكم الغيظ ان الله
عليم بذات الصدور قيل هو من جملة المقول وقيل استيناف من كلام الله

ابوحيان ذات بمعنى ذي بمعنى صاحب واصله عليم بالمضمرات ذوات الصدور
ثم حذف الموصوف وغلب اقامة الصفة مقامه ومعنى صاحبة الصدور
الملازمة لها التي لا تنفك عنها الطوفي الختم به مناسب لقوله واذا لقوكم
الاخره لان ذلك صفة للمنافقين فاخبرهم سبحانه انه يعلم ما في صدورهم
لا يخفى عليه منه شيء وان نفاقهم لا ينفعهم وهذه الفاصلة لا تنفع غالبا
الا في سياق كلام مشتمل على امر خفي من نفاق وغيره يتعلق به العلم ان تمسسكم
حسنة تسوهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها فيه اربع طباقات وقد استعيره
في المس والاصابة شبه الحصول بهما من باب تشبيه المعقول بالمحسوس
ابن عطية ذكر المس في الحسنة ليبين انه بادني طروء الحسنة تقع المساءة
بهولاء والاصابة في السيئة وهي ابلغ دلالة على شدة العداوة اذ لا يفرحون
الا بما فيه زيادة تمكن من الشدائد وقري يمسسكم بالتحتية لان تانيث
الحسنة مجازي لا يضركم بالتشديد من ضر يضر وبالتخفيف من ضار يضير ده
وقري بضم الراء وبكسرها مع التشديد بلغات وقري لا يضرركم بالفك كيدهم
هو الاحتيال بالباطل قال ابن قتيبة واصله المشقة من قولهم
فلان يكيد بنفسه اي يعالج مشقات النزع وسكرات الموت ان الله بما يعملون
محيط ابوحيان هو وعيد معناه المجازاة الطوفي هو مناسب لاول
الاية لانها في المنافقين وقري تعملون بالفوقية اما على الالتفات
او على اضمار قل او خطابا للمومنين يتضمن توعدهم على اتخاذ بطانة من
الكفار واذ غدوت من اهلك هو اول الايات النازلة في قصة احد
ابوحيان مناسبة هذه الاية لما قبلها انه تعالى لما نهاهم عن اتخاذ بطانة
من الكفار ووعدهم انهم ان صبروا واتقوا لا يضركم كيدهم ذكرهم بحالة
اتفق فيها بعض طواعية واتباع لبعض المنافقين وهو ما جرى يوم احد
لعبد الله ابن ابي انخزل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعه في
الانخزال ثلاثماية رجل من المنافقين وغيرهم من المومنين وغدا خرج غدوة
اي في اول النهار تبوء تنزل وقري بالتخفيف من ابوا وبالتسهيل بوزن
تعطي المومنين قري للمومنين بلام الجر وهي بمعنى ترتب وتهيي وقال
ابوحيان الظاهر ان الاصل تعديته لواحد بنفسه وللاخر باللام ه
مقاعد جمع مقعد وهو مكان القعود والمعنى مواطن ومواقف ابن عطية
لفظ المقاعد هنا ادل على الثبوت لا سيما ان الرماة انما كانوا قعودا وقيل
مقاعد القتال بالاضافة والله سميع عليم ابوحيان جاءت هاتان الصفتان
لان في ابتداء هذه الغزوة مشاورة ومجاوبة باقوال مختلفة
واظهروا على نيات مضطربة الطوفي وجه مناسبة الختم به ما سبق
في قوله في البقرة وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم د
اذ همت بدل من اذ غدوت او معمول للوصف قبله طائفتان منكم ه
الكناية عمن تقع منه ما لا يناسب ستر عليه ان تفشلا فيه حذف بالتعدية

والفشل في البدن الاعياء وفي الراي العجز والفساد وفي الحرب الجبن والخوف
والله وليهما فيه احتراس ازال به توهم نقص في الطائفتين لما هموا به وقري
والله وليهم اعادة للضمير على المعنى لا على لفظ التثنية كقوله وان طائفتان
من المومنين اقتتلوا هذان خصمان اختصموا وعلى الله فليتوكل المومنون
ذكر تعجبا وازالة للفشل ابن فارس التوكل اظهار العجز والاعتماد على الغير
وقيل هو من الوكالة وهو تفويض الامر الى غيره ثقة بحسن تدبيره
ولقد نصركم الله ببدر ابوحيان لما امرهم بالتوكل عليه ذكرهم بما يوجب
التوكل عليه وهو ما سبق لهم من النصر يوم بدر وهم في حال قلة وانتم
اذلة فيه طباق لان النصر اعزاز وجاء باذلة جمع قلة ليدل على انهم كانوا
قليلين فاتقوا الله لعلكم تشكرون ابوحيان ترجية الشكر اما على الانعام
السابق بالنصر يوم بدر او على الانعام المرجو ان يقع فكانه قيل لعلكم
ينعم عليكم نعمة اخرى فتشكرونها وضع الشكر موضع لانه سبب له الطوفي
قد يقف الخاطر عن فهم مناسبة الفاصلة لما قبلها اذ التقوى ليست
سبب الشكر انما سبب الشكر النعمة غير انا نقول التقوى سبب النعمة
التي هي لازم الشكر وموثره فاقام الاثر مقام الموثر والتقدير
اتقوا الله لعلكم ينعم عليكم فتشكرون اذ تقول للمومنين الجمهور على ان
الاية متصلة بما قبلها والاخبار من قصة بدر فاذ معمول نصركم وقيل هي من
تمام قصة احد والاية قبلها معترضة للتحريض على التوكل والثبات
للقتال الن يكفيكم دخلت اداة الاستفهام على حرف النفي ده
على سبيل الانكار لانتفاء الوكالة بهذا العدد من الملائكة وكان حرف
النفي لن الذي هو ابلغ في الاستقبال من لا اشعارا بانهم كانوا لقلتهم
وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالايسين من النصر وفي مصحف
ابي الا يكفيكم ابن عيسى الكفاية مقدار سد الخلة والامداد اعطاء
الشيء حالا بعد حال منزلين بالتشديد والتخفيف مع البناء للمفعول
وقري بهما مع البناء للفاعل اي ينزلون النصر بلى ايجاب لما بعد لن
اي يكفيكم الامداد بهم ابن عطية بادر المتكلم الى الجواب بقوله
بلى لينبني بما يستانف من قوله عليه وهذا يحسن في الامور البينة
التي لا محيد في جوابها ونحوه قل اي شيء اكبر شهادة قل الله من فورهم
اي وجههم وهي لغة هذيل وكنانة ابوحيان اصل الفور من فارت
القدر اشتد غليانها وبادر ما فيها الى الخروج استعير للسرعة ثم سميت
به الحالة التي لا ريث فيها ولا تعريج على شيء من صاحبها يمددكم ربكم ه
اسند الامداد الى لفظة رب دون غيره من اسمائه تعالى اشعارا
بحسن النظر لهم واللطف بهم مسومين بكسر الواو وفتحها وما جعله
الله الضمير للامداد وقيل للانزال وقيل للتسويم وقيل للعدد ه
الا بشرى استثناء من المفعول له فرغ له العامل لكم الكرماني زيادة

بدل الكفاية

الانعام

هنا واسقطت في الانفال لانه لما كانت البشرى هنا للمخاطبين بين فقال لكم
واما في الانفال فاكتفي بما تقدم من قوله استجاب لكم لانه قد علم ان البشرى
للمخاطبين **ولتطمئن** عطف على موضع بشرى اذ اصله للبشرى الا مام له
في ذكر الامداد مطلوبان احدهما ادخال السرور في قلوبهم وهو المراد
بقوله الا بشرى والثاني حصول الطمانينة بالنصر فلا يجبنوا وهذا
هو المقصود الاصلي ففرق بين العبارتين تنبيها على حصول التفاوت
بين الامرين فعطف الفعل على الاسم ولما كان الاقوى حصول الطمانينة
ادخل حرف التعليل **قلوبكم به** الكرماني اخر به هنا وقدمه في الانفال
مراعاة للازدواج لانه لما قال هنا بشرى لكم قدم قلوبكم ازدواجا
بين الخطابين ولما عدم الخطاب في الانفال بقوله لكم قال ولتطمئن
به مراعاة لقوله وما جعله ازدواجا بين كنايتي الغيبة ابن جماعة
اية ال عمران ختم فيها الجملة الاولى بجار ومجرور وهو قوله به لتناسب
الجملتين واية الانفال خلت فيها الاولى عن ذلك وجواب اخر
وهو ان اية الانفال قدم فيها به اهتماما وكانت اية ال عمران على الاصل
من ابلا الفاعل الفعل وجواب اخر وهو التفنن في الكلام انتهى وقال
صاحب المناجاة قدم القلوب في ال عمران على به لانهم كانوا في شدة
فلم يفصل بين الاطمانان والقلوب بشي وفي الانفال لما كان في
محل الظفر وسط بين الاطمانان والقلوب به **وما النصر الا من عند الله**
العزيز الحكيم في الانفال ان الله عزيز حكيم لان اية الانفال متقدمة
النزول في وقعة بدر وهذه نزلت بعدها في وقعة احد فبين اولا
ان النصر من عنده لا بغيره من كثرة عدد او عدد ولذلك علله
بعزته وقدرته وحكمته المقتضية لنصر من يستحق نصره واحال
في الثانية على الاولى بالتعريف كانه قيل انما النصر من عند الله العزيز
الحكيم الذي تقدم اعلامكم ان النصر من عنده فناسب التعريف
بعد التنكير قاله ابن جماعة وعبارة الكرماني ذكر في الانفال
على وجه الاخبار اي النصر من عند الله الغالب القادر الحكيم الذي يضع
النصر موضعه لا من الملائكة فالعدة والعدد وذكر في ال عمران
بلفظ الصفة اذ قد سبق الخبر عنه به الطوفي العزيز الحكيم مناسبة
لقوله وما النصر الا من عند الله وما جعله سببا فيه من ارسال الملائكة
لنصر المومنين لان ذلك لا يقدر عليه الا عزيز حكيم حاكم حكيم بتقديراتها
لمواقعها **ليقطع طرفا** قيل متعلق بمحذوف اي امركم او نصركم وقيل بقوله
وما النصر الا من عند الله وقيل بيمددكم وقيل بجعله وقيل هو معطوف
على ولتطمئن بحذف حرف العطف وجملة وما النصر الى اخره اعتراضية
واختار ابو حيان تعلقه باقرب مذكور وهو العامل في من عند الله
وهو خبر المبتدا والتقدير وما النصر الا كاين من عند الله لا من عند غيره

لاحد

لاحد امرين اما قطع طرف من الكفار بقتل واسر واما بخزي وانقلاب
بخيبة ولبس عن الجماعة بطرف لان من قتله المسلمون في حرب هم طرف من الكفار
اذ هم الذين يلون القاتلين فهم حاشية منهم فكان جميع الكفار رفقة وهاولاء
المقتولون طرفا منها ابو حيان شبه به من قتل منهم وتعرق بالشي المنقطع
الذي تفرقت اجزاوه وانخرم نظامه **او يكبتهم** الراغب الكبت الرد بعنف
وتذليل الكفاشي التا بدل من الدال والاصل كبده اي فعل فعلا يوذي
كبده وقرى او يكبدهم بالدال **ليس لك من الامر شي** جملة معترضة بين
المتعاطفين وقيل او في او يتوب عليهم بمعنى الى ان او الا ان فيكون متصلا
بالجملة وقرا ابي برفع يتوب ويعذبهم **ولله ما في السموات وما في الارض**
لما قدم ليس لك من الامر بين ان الامر انما هو لمن له الملك والملك ه
فجا بهذه الجملة موكدة للجملة السابقة **يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء** ه
لما تقدم قوله او يتوب عليهم او يعذبهم اتى بهذه الجملة موضحة ان تصرفاته
على وفق مشيته وناسب البداة بالغفران تقديم او يتوب عليهم والارداف
بالعذاب تاخيرا ويعذبهم وفيه طباق **والله غفور رحيم** ابو حيان
في هذه الجملة ترجيح لجهة الاحسان والانعام الطوفي فان قلت
قد ذكر قبل الفاصلة المغفرة والعذاب فلم كان فصل الاية بالمغفرة اولى
من العذاب قلت لان رحمة الله غلبت غضبه وسبقت عذابه
فجانبها راجح ما لم يوجد في الكلام ما يقتضي الاهتمام بالعذاب فيغلب
يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربا ابن عطية هذا النهي عن اكل الربا اعترض
اثنا قصة احد ولا احفظ في ذلك شيا مرويا ابو حيان مناسبة هذه
الاية لما قبلها وتخللها اثنا القصة انه لما نهى المومنين عن اتخاذ بطانة
من غيرهم واستطرد لذكر قصة احد وكان الكفار اكثر معاملاتهم بالربا
مع امثالهم ومع المومنين وهذه المعاملة موديه الى مخالطة الكفار
نهوا عنها قطعا لمخالطتهم ومودتهم وايضا فاكل الحرام له مدخل عظيم في عدم
قبول الاعمال الصالحة والادعية فناسب ذكر الاية هنا وقيل لما وعد
تعالى المومنين بالنصر والامداد مقرون بالصبر والتقوى بدا بالاهم
منها وهو ما كانوا يتعاطونه من اكل الاموال بالباطل وامر بالتقوى ثم بالطاعة
وقيل لما قال ولله ما في السموات وما في الارض بين ان ما فيها
من الموجودات ملك له ولا يجوز ان يتصرف في شي منها الا باذنه على الوجه
الذي شرعه واكل الربا تصرف بغير الوجه الذي شرع فنبه على ذلك ونهى
عما كانوا في الاسلام مستمرين عليه من حكم الجاهلية **اضعافا مضاعفة**
الراغب قيل اتى باللفظين على التاكيد وقيل بل المضاعفة من الضعف
لا من الضعف والمعنى ما تعدونه ضعفا هو مضعف اي نقص **واتقوا الله**
لعلكم تفلحون لما نهاهم عن امر صعب عليهم فراقه وهو الربا امر بتقوى الله
اذ هي الحاملة على مخالفة ما تعوده المرء مما نهى الشرع عنه ثم ذكر ان التقوى

سبب لرجا الفلاح وامر الربا مطلقا لا مقيدا بفعل الربا لقصد العموم واتقوا النار التي
اعدت للكافرين لما تقدم واتقوا الله والذوات لا تتقى وانما المتقى محذوف
او صحه في هذه الاية قال ابو حنيفة وهذه اخوف اية في القران حيث اوعد
الله المومنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه باجتناب محارمه واطيعوا
الله والرسول قال ابن اسحاق هذه الاية هي ابتدا المعاتبة في
امر احد وانهزام من فر وزوال الرماة من مركزهم وسارعوا القراة بالواو
على العطف وبدونها على الاستيناف لما امروا بتقوي النار امروا بالمبادرة الى
اسباب المغفرة والجنة وقرابي وسابقوا وقدم ذكر المغفرة على الجنة لانه
السبب الموصل اليها عرضها السموات اي كعرض السموات حذف اداة التشبيه
ثم المضاف اعدت للمتقين خصوا بالذكر تشريفا واعلاما بانهم الاصل في ذلك
وغيرهم تبع لهم في السرا والضرا فيه طباق والكاظمين الغيظ الكظم الامساك
على غيظ وغم والكظيم والمكظوم الممتلى اسفا وكظم الغيظ رده في الجوف اذا كاد
يخرج من كثرته فضبطه ومنعه كظم له الراغب الكظم مخرج النفس وبه يعبر
عن السكوت كقولهم فلان لا يتنفس اذا وصف بالمبالغة في السكوت وكظم
فلان حبس نفسه وكظم الغيظ حبسه ابو حيان الغيظ اصل الغضب وكثير
اما يتلازمان والغيظ فعل نفساني لا يظهر على الجوارح والغضب فعل لها
معه ظهور في الجوارح وفعل ما ولا بد ولذلك اسند الى الله تعالى اذ هو عبارة
عن افعاله في المغضوب عليهم ولا يسند الغيظ اليه تعالى الراغب
الغيظ اشد غضب وهو الحرارة التي يجدها الانسان عند ثوران دم قلبه
واذا وصف الله تعالى به فانما يراد به الانتقام كقوله وانهم لنا لغائظون
اي داعون بفعلهم الى الانتقام منهم والتغيظ اظهار الغيظ وقد يكون ذلك
مع صوت مسموع كما قال سمعوا لها تغيظا وزفيرا والذين اذا فعلوا فاحشة
ابو حيان العطف بالواو مشعر بالمغايرة لما ذكر الصنف الاعلى وهم المتقون
الموصوفون بتلك الاوصاف الجميلة ذكر من دونهم ممن قارف المعاصي
وتاب واقلع وقيل هو من عطف الصفات مع اتحاد الموصوف
وانه من نعت المتقين ومن يغفر الذنوب الا الله جملة معترضة بين المتعاطفين
او بين الحال وصاحبه فيها ترقيق للنفس وداعية الى رجا الله وسعة عفوه
واختصاصه بغفران الذنب ولم يصروا على الراغب الاصرار التعقد في الذنب
والتشدد فيه والامتناع من الاقلاع عنه واصله من الصرار السد اولئك
اشارة الى الصنفين ونعم اجر العاملين الزمخشري قال اجر العاملين
بعد قوله جزاؤهم لانهما في معنى واحد ابن جماعة قال هنا ونعم بالواو وفي
العنكبوت نعم اجر العاملين بغير واو لانه تقدم هنا عطف الاوصاف
فناسبه العطف ولم يتقدم مثله في العنكبوت فجاءت بغير واو وكانه تمام
الجملة قد خلت من قبلكم سنن لما ذكر تعالى الجمل المعترضة في قصة احد عاد الى
الكلام والخطاب قيل للمومنين تسلية عما وقع لهم يوم احد من القتل والهزيمة

وقيل

وقيل للكفار وقيل هذه الجملة معترضة للبعث على الايمان وقوله هذا بيان اشارة الى ما
بين من امر المتقين والتائبين والمصرين هذا بيان للناس ابو حيان لما كان البيان
ظاهرا واضحا قال للناس ولما كانت الموعظة والهدى لا يكونان الا للمتقي
خص بذلك المتقين لان من عمي فكره وقسى فواده لا يهتدي ولا يتعظ ولا
يناسب ان يضاف اليه الهدى والموعظة ولا تهنوا الراغب الوهن ضعف
من حيث الخلق والخلق وانتم الاعلون فيه طباق قرح القراة بفتح القاف
وضمها لغتان كالضعف والضعف والكره والكره وهما مصدران وقيل بالفتح
الجرح وبالضم المه الراغب القرح الاثر من الجراحة من شي يصيبه من خارج
والقرح اثرها من داخل وقري بفتح القاف والرا لغة كالطرد والطرد والشل
والشلل وقري تمسسكم قروح بالفوقية والجمع نداولها فيه التفات وقري
بالتحتية على نسق ما سبق والمداولة المعاودة وهي المعاهدة مرة بعد مرة
يقال داولت بينهم الشي فتداولوه والدور والدول
متقاربان لكن الدور اعم فان الدول لا يقال الا في الحظ الدنيوي وليعلم الله
فيه التفات وعطف على مقدر اي ليتعظوا وقيل الواو زايدة وقيل اللام
متعلقة بمحذوف متاخر اي فعلنا ذلك وهو المداولة والله لا يحب الظالمين
جملة معترضة وليمحص الله الراغب اصل المحص تخليص الشي مما فيه من عيب
كالفحص لكن الفحص يقال في ابراز شي من اثناء ما يختلط به وهو منفصل
عنه والمحص يقال في ابرازه عما هو متصل به يقال محصت الذهب
اذا ازلت عنه ما يشوبه من خبث قال والتمحيص في الاية كالتزكية
والتطهير ويمحق الكافرين قيل قابل تمحيص المومنين بمحق الكافرين لان
التمحيص اهلاك الذنوب والمحق اهلاك النفوس وهي مقابلة لطيفة
في المعنى ام حسبتم هذه الاية وما بعدها عتب لمن وقع منهم الهفوات
يوم احد وفي امر الاقوال السابقة في اية البقرة ولما يعلم الله
قري بفتح الميم اتباعا لفتحة اللام وعلى ارادة النون الخفيفة وحذفها
كقوله لا تهين الفقير ويعلم الصابرين بالنصب على اضمار ان بعد واو
مع وقري بالجزم عطفا على يعلم وبالرفع على الاستيناف اي وهو يعلم
من قبل قري بضم اللام مقطوعا عن الاضافة في موضع ان تلقوه نصب
بدل اشتمال من الموت ان تلقوه الضمير للموت وقيل للعدو ولدلالة الكلام
عليه وقري تلاقوه فقد رايتموه اي اسباب الموت
وهي الحرب كقوله لقد رايت الموت قبل ذوقه فيه استخدام وانتم
تنظرون جملة حالية للتاكيد ودفع ما يحتمله رايتموه من المجاز والاشتراك
وقيل مستانفة التي بها للتوبيخ وهي من نظر الفكر والا لمثل لا روية العين
وقال ابن الانباري يقال ان معنى رايتموه قابلتموه وانتم تنظرون
بعيونكم ولهذه العلة ذكر النظر بعد الروية حين اختلف معناهما لان الاول
بمعنى المقابلة والمواجهة والثاني بمعنى روية العين قال ابو حيان في جملة

حال مبينة لا موكدة وما محمد الا رسول هذا استرار في عتبهم قد خلت
من قبله الرسل قرئ رسل بالتنكير افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم
الكرماني الاستفهام دخل الشرط وحقه ان يدخل الجزا لان المعنى انتقلبون
على اعقابكم ان مات محمد لكن الشرط والجزا لما تنزلا منزلة جملة واحدة
صار دخوله على الشرط كدخوله على الجزا الزمخشري هذا نظم فيه تقديم وتاخير
لان المعنى واقع على الانقلاب لانه الذي انكر عليهم ومثله افان مت فهم الخالدون
والتقدير افهم الخالدون ان مت والاوجه ان يقدر محذوف بعد الهمزة
وقيل الفا لتكون عاطفة عليه ولو صرح به لقيل اتومنون به مدة حياته
فان مات ارتد ثم فتحا لفوا سنن الامم قبلكم في ثباتهم على ملل انبيائهم
بعد وفاته يدل على ذلك قوله تعالى قد خلت من قبله الرسل
انتهى ورد حل ان هنا على المحقق وليس من مظانها لانه اورد مورد المشكوك
فيه للتردد بين الموت والقتل ومن ينقلب على عقبيه من باب التمثيل
مثل به من يرجع الى دينه الاول وقرئ عقبه بالافراد وسيجزي الله
الشاكرين وعد للثابت بعد وعيد المنقلب وما كان لنفس ان تموت
الا باذن الله ابو حيان قول العرب ما كان لزيد ان يفعل معناه انتفاء الفعل
عن زيد وامتناعه ثم تارة يكون لكونه ممتنعا عقلا كقوله ما كان لله ان
يتخذ من ولد ما كان لكم ان تنبتوا شجرها وتارة لكونه ممتنعا عادة نحو ما
كان لزيد ان يطير وتارة لكونه ممتنعا شرعا كقوله وما كان لمومن ان يقتل
مومنا كتابا موجلا نصب على المصدر المؤكد وقيل اغراء اي الزموا وامنوا
بالقدر ومن يرد ثواب الدنيا هذا تعريض بالذين رغبوا في الغنائم يوم
احد واشتغلوا بها نوته فيه التفات وقرئ بالياء في الفعلين وفي سيجزي
وسيجزي الشاكرين الطوفي هو من باب الايطا وكاين الكلام عليها مبسوط
في الاتقان وفي قراءة وكاين بالمد قال ابو حيان وهما اكثر استعمالا في
لسان العرب واشعارها قال وكاين بالاباطح من صديق
وقرئ كاين على مثال كعا وكيان وكاين على مثال كع وكي بكاف بعدها يا مكسورة
منونة قتل في قراءة قاتل وقرئ قتل بالتشديد وعلى كل يصلح اسناد الفعل
الى الضمير والى ربيون ربيون جمع ربي وهو عابد الرب وكسر الرا من تغيير
النسب وقرئ بضم الرا وهو من تغيير ايضا وبفتحها على الاصل فما وهنوا
بفتح الها وقرئ بكسرها وبسكونها لغات في سبيل الله فيه التفات
وما ضعفوا بضم العين وقرئ بفتحها لغتان وما استكانوا قيل هو استفعل
من كان يكون اي لم يكونوا بصفة الوهن والضعف وقيل من كانه اذا اخضعه
وقيل افتعل من السكون واصله استكن واشبعت الفتحة فتولدت الالف
وما كان قولهم لما ذكر ما كانوا عليه من الجلد والصبر وعدم الوهن والاستكانة
للعدو وذلك كله من الافعال النفسانية ذكر ما كانوا عليه من الانابة والاستغفار
والالتجا الى الله بالدعا الا ان قالوا الكرماني جعل قولهم الخبر لان ان قالوا اشد تعريفا

لامتناعه

لامتناعه من الوصف وقرئ برفع قولهم اسم كان والخبر ان قالوا وقدم طلب الاستغفار
على طلب تثبيت الاقدام والنصر ليكون طلبهم ذلك الى الله من زكاة وطهارة
فيكون طلبهم التثبيت بتقديم الاستغفار حريا بالاجابة والذنوب
والاسراف متقاربان من حيث المعنى فجاء ذلك على سبيل التاكيد وقيل احدهما
للكبائر والاخر للصغائر وغيرها فاتاهم قرئ فاثابهم ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة
لم يراع في الجواب ترتيب السوال اعتبارا بالواقع يا ايها الذين امنوا قيل الخطاب
خاص باهل احد وقيل عام بل الله قرئ بالنصب على معنى بل اطيعوا الله سنلقي
فيه التفات وقرئ بالياء جريا على الغيبة في قلوب الذين كفروا الرعب
قدم المجرور على المفعول للاهتمام بالمحل الملقى فيه قبل ذكر الملقى والقراءة
بضم العين وسكونها فقيل لغتان وقيل الاصل السكون وضم اتباعا كالصبح
والصبح وقيل الاصل الضم وسكن تخفيفا كالرسل والرسل ابو حيان الرعب
الخوف واصله من الملي يقال رعبت الحوض ملاته وسيل راعب يملا
الوادي الراغب الرعب الانقطاع من امتلا الخوف بالله فيه التفات ما لم
ينزل به سلطانا المراد نفي السلطان والنزول معا على حد قوله
على لاحب لا يهتدى بمناره ومأواهم النار الاية في مأوى ومثوى جناس
الراغب الثواء الاقامة مع الاستقرار ابو حيان بدا بالماوى وهو
المكان الذي ياوي اليه الانسان ولا يلزم منه الثواء لان الثواء دال
على الاقامة فجعلا ماوى ومثوى فنبه على الوصف الذي استحقوا به
النار وهو الظلم بالاشراك كما قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم ولقد
صدقكم الله الاية ابو حيان جاءت المخاطبة في هذه الاية بجميع
ضمير المومنين وان لم يصدر ما عوتبوا به من جميعهم على طريقة العرب
في نسبة ما يقع من بعضهم للجميع على سبيل التجوز وفي ذلك ابقاء على من فعل
وستر لهم بعين وزجر لمن لم يفعل ان يفعل والحس القتل الذريع وقرئ
بضم التاء من الاحساس اي تذهبون حسهم بالقتل الراغب الحاسة القوة
التي بها يدرك الاعراض الجسمية يقال حسست واحسست وحسيت
واحسيت فحسست يقال على وجهين احدهما اصبته بحسي نحو عنته
ورمحته والثاني اصبت حاسته نحو كبدته وفادته ولما كان ذلك قد
يتولد عنه القتل عبر به عن القتل فقيل حسسته اي قتلته واما احسسته
فلا يقال الا لما كان من جهة الحاسة واما احسسته فحقيقته ادركته
بحاسني حتى اذا فشلتم جواب اذا محذوف اي انهزمتم او منعكم نصره
او نحو ذلك منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة جملتا اعتراض
بين المتعاطفين وقال ابو حيان هو دليل الجواب
المحذوف اي انقسمتم قسمين والله ذو فضل على المومنين قال الطوفي هو
مناسب لقوله ولقد عفى عنكم وعدل الى الظاهر لافادة العموم اذ تصعدون
الراغب الصعود الذهاب في المكان العالي واما الاصعاد فقيل هو الابعاد

في الارض سوا كان في صعود او حدور واصله من الصعود وهو الذهاب
في الامكنة المرتفعة ثم استعمل في الابعاد وان لم يكن فيه اعتبار الصعود
كما في تعالى فانه في الاصل دعا الى العلو ثم صار امرا بالمجي سوا كان الى اعلى
او الى اسفل وقيل لم يقصد بقوله اذ تصعدون الابعاد في الارض وانما
اشار به الى علوهم فيما تحروه واتوه كقولك ابعدت في كذا وارتقيت فيه
كل مرتقى وكانه قال اذا بعدتم في استشعار الخوف والاستمرار
على الهزيمة ابو حيان قرا الجمهور تصعدون من اصعد والهمزة فيه للدخول
اي دخلتم في الصعيد كاصبح اي دخل في الصباح فالمعنى اذ تذهبون في
الارض ويبين ذلك قراة ابي اذ تصعدون في الوادي وقرى تصعدون
من صعد في الجبل اذا ارتقى اليه وقرى تصعدون بتشديد العين
من تصعد في السلم واصله تتصعدون فحذفت احدى التائين والجمع
بينهما انهم اولا اصعدوا في الوادي ثم لما ارهقهم العدو صعدوا في
الجبل وقال المفضل صعد واصعد وصعد بمعنى واحد
وقري بالياء في الفعلين على الالتفات والعامل في اذا اذكروا مقدرا
او عصيتم او تنازعتم او فشلتم او عفى عنكم او ليبتليكم او صرفكم اقوال
قال ابو حيان والاول اجودها لان ما قبل اذ جمل مستقلة يحسن السكوت
عليها فليس لها تعلق اعرابي بما بعدها انما تتعلق به من حيث ان السياق كله
في قصة واحدة وتعلقه بصرفكم جيد من حيث المعنى وبعفى عنكم جيد
من حيث القرب **ولا تلوون على احد** الراغب يقال فلان لا يلوي على احد
اذا امعن في الهزيمة ابو حيان يقال لوى بكذا اذا ذهب به ولوى عليه
كر عليه وعطف وقري تلؤون بابدال الواو همزة لكراهة اجتماع الواوين
وتلون على حذف الهمزة بعد نقل حركتها الى اللام او على انه مضارع ولي
عدي بعلى على تضمين معنى العطف وقري تلوون من الوي لغة في لوى
واحد على عمومه وقيل المراد به النبي صلى الله عليه وسلم عبر عنه باحد تعظيما
له وصونا لاسمه ان يذكر عند ذهابهم عنه وقري بضم الهمزة والحاء وهو
الجبل قيل على تقدير على من كان على جبل احد **فاثابكم** الفرا الاثابة
هنا بمعنى المعاقبة قال ابو حيان وسمي الغم ثوابا على معنى انه قايم في هذه
النازلة مقام الثواب الذي كان يحصل لولا الفرار فهو نظير قوله
تحية بينهم ضرب وجيع الراغب الثواب يقال في الخير والشر لكن الاكثر المتعارف
في الخير والاثابة تستعمل في المحبوب وقد تقال في المكروه على الاستعارة
كاستعارة البشارة فيه وقال بعض المحققين ذكر لفظ الاثابة
وان كان الغم مكروها بالطبع لانه ثواب من الله من وجه لانه كان سبب
تهذيب نفوسهم الذي بينه تعالى بقوله لكيلا تاسوا على ما فاتكم وكل امر
يؤدي الانسان الى ان يجعله بحيث لا يقلقه فوت مطلوب ولا فقد محبوب
فيا له من ثواب ولهذا قال حكيم جماع الزهادة في قوله لكيلا تاسوا على ما

فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم **غما بغم** قيل البا للسببية وقيل للمصاحبة **لكيلا تحزنوا**
قيل لا زايدة والجمهور انها باقية على معناها من النفي **على ما فاتكم ولا ما اصابكم**
فيه طباق **والله خبير بما تعملون** ابو حيان هذه الجملة تقتضي تهديدا وخص العمل
هنا وان كان خبيرا بالاقوال والنيات ايضا تنبيها على اعمالهم من تولية الادبار
والمبالغة في الفرار وهي اعمال تخشى كما قال الطوفي الختم بها مناسب
لمضمون الاية اي لا يخفى عليه ما كان من عملكم وهو الفرار ولا من عمل
قلوبكم وهو الحزن على ما فاتكم من الغنيمة واصابكم من الجراح والقتل
امنة بمعنى الامن قاله ابن قتيبة وغيره وفرق اخرون فقالوا الامنة
تكون مع بقا اسباب الخوف والامن يكون مع زوال اسبابه وقيل هي
هنا جمع امن ككاتب وكتبة وقري بسكون الميم بمعنى الامن **نعاسا**
الراغب هو النوم القليل وقيل هو هنا عبارة عن السكون والهدو ابو
حيان نسبة الانزال الى النعاس مجاز لان حقيقته في الاجرام **يغشى** قري
بالتحتية حملا على لفظ النعاس وبالفوقية حملا على لفظ امنة **اهمتهم** ابو
حيان اهمني الامر اقلقني وادخلني في الهم الراغب اهمني كذا احملني على
الهم والهم الحزن الذي يذيب الانسان **ظن الجاهلية** الكشاف هو كقولك
حاتم الجود ورجل صدق يريد الظن المختص بالملة الجاهلية ويجوز ان
يراد ظن اهل الجاهلية **يقولون هل لنا من الامر من شي** هو استفهام على
حقيقته وقيل بمعنى النفي ولما اكد بزيادة من جاءوا به موكدا بان وكل
في قوله **قل ان الامر كله** بالنصب على التاكيد والرفع على الابتدا والتاكيد
في الموضع **يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك** فيه طباقان ومقابلة
بين الاخفا والابدا والاثبات والنفي وفي انفسهم ذلك **يقولون**
تفسير لابهام قوله ما لا يبدون لك **قل لو كنتم** الى اخره هذا من النوع المسمى
في البيان بالاحتجاج النظري وبالمذهب الكلامي **لبرز** قري بتشديد
الرا مبنيا للمفعول **كتب عليهم القتل** قري القتال وقري كتب بالبنا
للفاعل ونصب القتل **مضاجعهم** جمع مضجع وهو المكان الذي يتكا فيه
للنوم ويسمى فيه مكان القتل المضجعة المقتول فيه **وليبتلي الله** عطف
على محذوف اي ليقضي الله امرا او متعلق بمؤخر اي فعل هذه الامور
الواقعة على المومنين في مثل ذلك **ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم**
ابو حيان كان متعلق الابتلا ما انطوت عليه الصدور وهي القلوب
كما قال ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ومتعلق التمحيص وهو التصفية
والتطهير ما انطوت عليه القلوب من النيات والعقايد **والله عليم**
بذات الصدور مناسب لما قبله من قوله وطابقه قد اهمتهم
الى قوله ما في قلوبكم قاله الطوفي **يوم التقى الجمعان** فيه تثنية اسم
الجمع على خلاف القاعدة لافتراق المدلولين **استزلهم** بمعنى ازلهم **ان الله**
غفور حليم تعليل لعفوه تعالى عنهم **وقالوا لاخوانهم** اللام للسبب

لا للتبليغ اذا ضربوا في الارض اي فاتوا او كانوا غزا اي فقتلوا وقرئ د
بتخفيف الزاي اما على حذف احد المضعفين او على حذف التا والاصل غزاة د
وما قتلوا قرئ بالتشديد ليجعل الله قيل هي لام كي وقيل هي لام الصيرورة
فعلى الاولى هي متعلقة بمحذوف دل عليه السياق اي اوقع ذلك القول
منهم والمعتقد في قلوبهم والله يحيي ويميت رد عليهم في تلك المقالة
الفاسدة وفيه طباق والله بما تعملون بصير قال الراغب علق ذلك بالبصر
لا بالسمع وان كان الصادر منهم قولا مسموعا لا فعلا مرئيا لما كان ذلك
القول من الكفار قصدا منهم الى عمل يكاولونه فخص البصر بذلك كقولك
لمن يقول شيئا وهو يقصد فعلا يحاوله انا ارى ما تفعله الطوفي الختم به
مناسب لمضمون الآية ومعنى الفاصلة راجع اما للقايلين او للمومنين ا د
المخاطبين قال ولعله بالنظر لهذين الاحتمالين قرئ يعملون
بالياء والتاء ولئن قتلتم في سبيل الله او متم قدم القتل هنا بخلاف ما في الآية
قبلها وبعدها لانه ابتدا اخبار ومحل تحريض على الجهاد فقدم الاشرف
الاهم في تحصيل المغفرة والرحمة اذا القتل في سبيل الله اعظم ثوابا من
الموت في سبيله واما الآيتان الاخريان فقدم فيها الموت على القتل د
لانه الاغلب الراغب تضمنت هاتان الآيتان الزاما هو جار مجرى قياسين
شرطيين اقتضيا الحرص على القتل في سبيل الله تمثيله ان قتلتم في سبيل
الله او متم حصلت لكم المغفرة والرحمة وهما خير مما تجمعون فاذا الموت
والقتل في سبيل الله خير مما تجمعون ولئن متم او قتلتم فالحشر لكم حاصل
واذا كان الموت والقتل لا بد فيه من الحشر فنتيجة ذلك ان القتل والموت
اللذين يوجبان المغفرة والرحمة خير من القتل والموت اللذين لا يوجبانهما
والقراءة متم بضم الميم وكسرها لغتان ويجمعون بالفوقية للمومنين وبالتحتية
للكفار وتقديم لا الى الله يفيد الاختصاص الكشاف لوقوع اسم الله هذا د
الموقع مع تقديمه وادخال اللام على الحرف المتصل به شان ليس بالخفي
فبما رحمة ما زايدة للتاكيد ولو كنت فظا غليظ القلب قيل الوصفان
بمعنى جمعا للتاكيد وقيل الفظاظة الجفوة في المعاشرة قولا وفعلا وغلظ
القلب عبارة عن كونه خلق صلبا لا يلين ولا يتاثر وعن الغلظ تنشا
الفظاظة فقدم ما هو ظاهر للحس على ما هو خاف وانما يعلم بظهور اثره د
الراغب الفظ الكريه الخلق مستعار من الفظ ماء الكرش وذلك مكروه شربه
لا يتناول الا في اشد ضرورة ابو حيان الغلظ اصله في الجرم وهو تكثر اجزايه
ثم استعمل في قلة الانفعال والاشفاق والرحمة فاعف عنهم واستغفر لهم
وشاورهم في الامر ابن عطية امر بتدريج بليغ امر بالعفو عنهم فيما يخصه
فاذا صاروا في هذه الدرجة امر بالاستغفار فيما لله فاذا صاروا في د
هذه الدرجة صاروا اهلا للاستشارة في الامور وقرا ابن عباس
وشاورهم في بعض الامر فاذا عزمت بالخطاب وقرئ بضم التاء على انها ضمير

لله والمعني فاذا عزمت لك على شي اي ارشدتك اليه وجعلتك تقصده ففيه د
التفات ثم في قوله على الله التفات ان ينصركم الله فيه التفات عن ضمير الغيبة
وان يخذلكم قرئ بضم اوله من اخذل والخذلان لان الترك في موضع يحتاج
فيه الى التارك وفيه مع ينصركم طباق فمن ذا الذي ينصركم اجيب
بالاستفهام لبعد جواب الاول بالنفي تنويعا للكلام في الفصاحة وتلطفا
بالمومنين حتى لا يصرح لهم بانه لا ناصر لهم بل ابرز ذلك في صورة الاستفهام
الذي يقتضي السوال عن الناصر وان كان المعنى على نفي الناصر لكن فرق
بين الصريح والمتضمن فلم يجر المومنين في ذلك مجرى الكفار الذين نص عليهم
بالصريح انه لا ناصر لهم كقوله اهلكناهم فلا ناصر لهم وعلى الله د قدم لافادة
الاختصاص وما كان لنبي ان يغل ابو حيان مناسبة الآية لما قبلها من حيث
انها تضمنت حكما من احكام الغنايم في الجهاد وفي قراءة يغل بالبناء للمفعول
اي ينسب الى الغلول افمن اتبع استفهام بمعنى النفي ابو حيان
اي حيث من اتبع رضى الله فامتثل اوامره واجتنب مناهيه كمن عصاه فبا
بسخطه وهذا من الاستعارة البديعة جعل ما شرعه الله كالدليل الذي د
يتبعه من يهتدي به وجعل العاصي كالشخص الذي امر ان يتبع شيا فنكص
عن اتباعه ورجع مصحوبا بما يخالف الاتباع والسخط الكراهة المفرطة د
الراغب السخط الغضب الشديد المقتضي للعقوبة وهو من الله انزال
العقوبة الشديدة وفي الآية طباق وحذف اي فما واه الجنة هم درجات
فيه تغليب اذ مراتب النار دركات وقيل الضمير لمن اتبع رضوان الله د
فالتقدير هم ذوو درجات او لهم درجات وقرئ درجة والله بصير بما
يعملون الطوفي مناسب لما في سياقه اذ لا ينزل الناس في درجاتهم د
الا من هو بصير بتفاوت اعمالهم واحوالهم ومن يستحق منهم التقديم
والتاخير ابو حيان خص العمل دون القول لان العمل جل ما يترتب
عليه الجزاء لقد من الله على المومنين ابو حيان مناسبة الآية لما قبلها انه تعالى
لما ذكر الفريقين فريق الرضوان وفريق السخط وانهم درجات عند الله
مجملا من غير تفصيل فصل احوالهم وبدا بالمومنين وذكر ما امتن عليهم
به من بعثة الرسول اليهم تاليا لآيات الله ومبينا لهم طريق الهدى
ومطهرا لهم عن ادناس الشرك ومستنقذا لهم من غمرة الضلالة بعد ان كانوا
فيها وسلاهم عما اصابهم يوم احد من القتل والجرح بما نالهم يوم بدر د
من الظفر والغنيمة ثم فصل حال المنافقين الذين هم اهل سخط بما نص د
عليه ومعنى من تطول وتفضل الراغب من عليه اثقله بالنعمة وخص د
المومنين لانهم المنتفعون ببعثته وقرئ لمن من الله بمعنى الجارة ومن
مجرورها والتقدير لمن من الله على المومنين منه او بعثه اذ بعث
من انفسهم الكرماني في غير هذه الآية منهم لان هذه في معرض المنة فجعله
من انفسهم ليكون موجب المنة وكذا قوله لقد جاكم رسول من انفسكم لما وصفه

بقوله عز وجل لما اصابتكم مصيبة اي اخر جعله من انفسهم ليكون موجب الاجابة والايمان
به اظهر وابين الماثريدي وجه الامتنان بكونه من انفسهم حصول الانس به والشرف
لهم وقري بفتح الفا من النفاسة اي بمعني كيف سؤال عن الحال قل هو من عند
انفسكم جواب يتضمن تعيين الكيفية لانه بتعيين السبب وهو يقتضي تعيين
تعين الكيفية من حيث المعني واعاد هو على المصيبة حملا على المعنى ان الله على
كل شي قدير الطوفي هو مناسب لما في الابتداء ان الله اصابكم بذلك بما كسبتم
ولا يصيب احدا بمصيبة الا من هو قادر وبالجملة ارتب المكاره على الخلق بتقدير
للقدرة ابو حيان نبه بذلك على ان ما اصابهم كان لوهن منهم لا لضعف في
قدرة الله وليعلم المؤمنين عطف على لاذن اي باذن الله عطف السبب على السبب
وقيل عطف على نافقوا قالوا لم يرد بالفا لانه جواب سوال اقتضاه دعاؤهم
الى القتال كانه قيل فماذا قالوا قال لو نعلم والله اعلم بما يكتمون مناسب
لقوله ما ليس في قلوبهم الذين بدل من الذين نافقوا قالوا لاخوانهم اي حين
خرجوا وقعدوا حال بتقدير اي قد ما قتلوا قري بالتشديد ولا تحسبن
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل سامع وقري بالتحتية فالفاعل ضمير
حاسب دل عليه الفعل قتلوا بالتخفيف والتشديد وقري قاتلوا بل احيا
بالرفع خبرهم مقدرا وقري بالنصب قال الزجاج على معني بل احسبهم ورده
الفارسي بان الامر يقين فلا يضمر فعل الحسبان بل اعتقدهم او نحوه
ويستبشرون بمعني يبشرون ان لا خوف بدل اشتمال من الذين يستبشرون
كرر الفعل على سبيل التاكيد ان كانت النعمة والفضل بيانا لمتعلق
الاستبشار الاول قاله الزمخشري وقيل هو بدل من الاول فلذا لم يدخل
عليه واو العطف وقيل هو مستانف متعلق بهم انفسهم لا بالذين لم يلحقوا
بهم فقد اختلف متعلق الفعلين فلا تاكيد وفي تنكير نعمة وفضل ابهام
وتعظيم وظاهر العطف تباين النعمة والفضل فالاولى الجزاء والثاني
التضعيف وان الله بالكسر على الاستيناف وبالفتح عطف على متعلق
الاستبشار وقري والله الذين استجابوا مبتدا والجملة بعده الخبر وجوز
الاتباع نعتا او بدلا الذين قال لهم الناس هو من العام المراد به الخصوص
لان القايل واحد ان الناس قد جمعوا لكم الاية ابو حيان لما ذكر اخبار
المثبطين بان قريشا قد جمعوا لهم وامرهم لهم بخشيتهم ترتب على هذا التخو
يف امر ما قبلي وهو زيادة الايمان وهو مقابل للامر بالخشية والاخبار
تولي بل جمع الناس وهوان كافيهم شر الناس هو الله تعالي ثم اثنوا
عليه بقولهم ونعم الوكيل فدل على ان قولهم حسبنا الله هو من المبالغة في
التوكل عليه وعدة امورهم به فانظر الى براعة هذا الكلام وبلاغته
حيث قوبل قول بقول ومتعلق قلب بمتعلق قلب الطوفي الختم بالحسبلة
مناسب لما في سياقه من توكل الصحابة الذين استجابوا بعد اصابة القرح
وكذا قوله والله ذو فضل عظيم مناسب لقوله بنعمة من الله وفضل لم

بمسسهم

بمسسهم سوء ان ذلك فضل من الله ذلكم اشارة الى القايل المثبط يخوف
اولياءه اي يخوفكم اولياءه وقرا ابن مسعود وابن عباس وقرا ابي يخوفكم باوليائه
ولا يحزنك لما نهي الله المؤمنين عن خوف اوليا الشيطان وامرهم بخوفه
نهي رسوله عن الخوف لمسارعة من سارع في الكفر والقراة بالفتح والضم من
حزن واحزن يقال حزن الرجل اصابه الحزن واحزنه جعله حزينا يسارعون
قري يسرعون حظا الراغب الحظ النصيب المقدر قاله ابو حيان واذا
لم يتقيد فانما يستعمل في الخير ان الذين اشتروا من ذكر العام بعد
الخاص والمراد فاالتاكيد وليرتب لهم العذاب بنوعيه من العظيم
والاليم ولا يحسبن بالخطاب فالذين مفعول اول وانما الى اخره في موضع
الثاني وبالغيبة فالذين فاعل وسدت انما الى اخره مسد المفعولين
وقري بالغيبة وكسرانما على التعليق باضمار اللام ولهم عذاب مهين
ابو حيان وصف تعالي عذابه في مقاطع هذه الايات الثلاث
بعظيم واليم ومهين ولكل مناسبة تقتضي ختم الاية بها اما الاولى
فان المسارعة في الشي تقتضي جلالة ماسورع فيه وانه من النفا سه
والعظم بحيث يتسابق فيه فختمت الاية بعظم العذاب وهو جزاوهم
على المسارعة في الكفر اشعارا بخساسة ما سابقوا فيه واما الثانية
فانه ذكر فيها اشترا الكفر بالايمان ومن عادة المشتري الاغتباط
بما اشتراه والسرور به والفرح فختمت الاية باليم لان صفقته
خسرت بالم العذاب كما يجده المشتري المغبون في تجارته واما الثالثة
فانه ذكر فيها الاملا وهو الامتاع بالمال والبنين والصحة وكان الامتاع ع
سببا للتعزز والاستطالة فختمت الاية باهانة العذاب
لهم وان ذلك الاملا الموجب للتعزز في الدنيا ماله الى اهانتهم بالعذاب
الذي يهين الجبابرة ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه قيل الخطاب
للكفار وقيل للمؤمنين الكشاف فان قلت لمن الخطاب في انتم
قلت للمصدقين جميعا من اهل الاخلاص والنفاق كانه قيل ما كان
الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض
وانه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا
حتى يميزهم منكم حتى يميز بالتخفيف من ماز وبالتشديد من ميز قال
ابن السكيت وهما بمعنى الراغب الميز والتمييز الفصل بين المتشابهات
وقيل التشديد اقرب الى الفخامة والترب في الاستعمال وقيل لا يكون
مازالا في كثير من كثير فاما واحد من واحد فميز ولهذا قال
ابو معاذ يقال ميزت بين شيئين وميزت بين الاشيا وقري بالضم والتخفيف
من اماز ولا تحسبن الذين يبخلون ابو حيان مناسبتها لما قبلها انه تعالى
لما بالغ في التحريض على بذل الارواح في الجهاد في الايات السابقة شرع
في التحريض على بذل الاموال في الجهاد وغيره وبين الوعيد الشديد لمن بخل

والقراءة تحسبن بالخطاب فالذين اول المفعولين وبالغيبة فان كان الفعل مسند
الى ضمير الرسول او حاسب فكذلك او الى الذين فالمفعول الاول محذوف
اي بخلهم وقرئ باسقاط هو **بل هو شر لهم** لما كان تحسبنا الخير ضما ان احدهما
ان لا خير ولا شر والاخر اثبات الشر اتى بهذه الجملة تعين احد القسمين لـ
وهو الثاني **سيطوقون** بيان لكونه شرا لهم **ولله ميراث السموات والارض**
تقرير لذم من بخل بما هو ملك لله واخبار بفنا العالم وان جميع ما يخلفونه
فهو وارثه وهو خطاب على ما يفهمه البشر وان كان ملكه لكل شي لم يزل
والله بما يعملون خبير القراة بالياء وبالتاء على الالتفات قال الطوفي والختم به
مناسب لما في الاية لان البخل منع ما ينبغي بذله وهو عمل **لقد سمع الله الاية**
نزلت ردا لمن قال ذلك من اليهود ووجه ارتباطها بما قبلها ظاهر
سنكتب ما قالوا جي بلفظ المستقبل لانه يفيد معنى المجازاة **ونقول
ذوقوا عذاب الحريق** لما كان الصادر منهم قولا وفعلا ناسب ان يكون
الجزا قولا وفعلا فان في الجمع بينهما اعظم انتقاما واستعير لمباشرة العذاب
الذوق لانه من ابلغ انواع المباشرة وفي سنكتب ونقول التفات
وقرئ فيهما بالغيبة والبنا للفاعل وفي قراة بالبنا للمفعول في الاول
ورفع قتلهم للفاعل في الثاني وقرئ سنكتب ما يقولون وستكتب ما قالوا
بتا مضمومة على معنى مقالتهم وقرئ ويقال ذوقوا **ذلك بما قدمت ايديكم**
نسب المعاصي الى الايدي لان اكثر الاعمال تزاول بها **وان الله ليس بظلام
للعبيد** الطوفي مناسب لما في الاية لان من عوقب على كسبه وجنايته
لم يظلم ومن عاقبه على ذلك لم يظلم **فان قلت** القاعدة ان نفي المبالغة لغة
في الفعل لا تستلزم نفي اصل الفعل فلم عبر هنا بصيغة المبالغة **قلت**
اجيب بوجوه **احدها** ان ظلاما وان كان للكثرة لكنه جي به في مقابلة
العبيد الذي هو جمع كثرة ورشحه انه تعالى قال علام الغيوب
فقابل صيغة فعال الدال على اصل الفعل بالواحد **الثاني** انه نفي لظلم
الكثير فينتفي القليل ضرورة لان الذي يظلم انما يظلم لانتفاعه بالظلم
فاذا ترك الكثير مع زيادة نفعه فلان يترك القليل اولى **الثالث**
انه على النسب اي بذي ظلم حكاه ابن مالك عن المحققين **الرابع** انه اتى بمعنى
فاعل لا كثرة فيه **الخامس** ان اقل القليل لو ورد منه تعالى لكان كثيرا
كما يقال زلة العالم كبيرة وعبر بعضهم عن هذا بان العذاب الذي يفعله
بهم لو كان ظلما لكان عظيما ينفاه على حد عظمه لو كان ثابتا **السادس**
انه اراد ليس بظالم ليس بظالم ليس بظالم تاكيدا للنفي فعبر عن ذلك بليس
بظلام **السابع** انه ورد جوابا لمن قال ظلام والتكرار اذا ورد جوابا
لكلام خاص لم يكن له مفهوم **الثامن** ان صيغة المبالغة وغيرها في صفات الله
سوا في الاثبات فجرى النفي على ذلك **التاسع** انه قصد التعريض بان ثم ظلاما
للعبيد من ولاة الجور ابو حيان جا بلفظ العبيد دون العباد هنا وفي فصلت

لمناسبة

لمناسبة الفواصل قبله كما ناسب لفظ العباد في سورة غافر ما قبله وما بعده
الذين قالوا جار على الذين قبله وقال الزجاج على العبيد **عهد** ابو
حيان العهد اخص من الامر لانه في كل ما يتطاول امره ويبقى في غابر الزمان
الراغب العهد حفظ الشي ومراعاته حالا بعد حال وسمي الموثق الذي يلزم مراعاته
عهدا **بقربان** الراغب القربان ما يتقرب به الى الله وصار في التعارف
اسما للنسيكة التي هي الذبيحة ويستعمل للواحد كما في هذه الاية وللجمع كما
في قوله قربانا الهة ابو حيان هو في الاصل مصدر سمي به المفعول
وقرئ بضم الرا اتباعا **جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير** الكرماني
قال في سورة فاطر وبالزبر وبالكتاب بزيادة البا لان ما هنا بني على الاختصار د
مع وضوح المعنى بدليل افتتاح الاية بالماضي وهو اخص من المضارع ه
المبدو به اية فاطر وبنا الفعل للمفعول هنا وللفاعل هناك وقيل هنا
جاءوا وهناك جاءتهم رسلهم وفي قراة هنا بادخال البا فيهما ايضا وجي بالكتاب
مفردا وان كان مجموعا من حيث المعنى لتناسب الفواصل قيل وهو من عطف
المرادف لان الزبر الكتب وقيل الكتاب جنس للتوراة والانجيل وغيرهما
والزبر الزاجر من غير ان يراد به الكتب **كل نفس ذائقة الموت**
جي بهذه الجملة للوعظ والتسلية للمؤمنين عن صنع المكذبين كما سلي
بالاية قبلها الرسول صلى الله عليه وسلم وقرئ بنصب الموت
مع تنوين ذائقة وحذفه لالتقاء الساكنين على حد قوله ولا ذاكر الله
الا قليلا **فمن زحزح** هو ابلغ من زح لما فيه من التكرار وفي الجملة ثلاث
مقابلات **وما الحياة الدنيا الا متاع** قال الزمخشري شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس
على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته وقرئ الغرور الغرور
بفتح الغين وفسر بالشيطان **لتبلون في اموالكم الاية** قال ابو حيان هي
مسوقة في ذم اهل الكتاب وغيرهم من المشركين فناسب ما قبلها من الايات
التي جاءت في ذم اهل الكتاب وقدم الاموال على الانفس على سبيل الترقي
الى الاشرف او على سبيل الكثرة لان الرزايا في الاموال اكثر من الرزايا
في الانفس **من عزم الامور** اي معزوماتها التي عزم الله اي اوجبها وقال
النقاش العزم والحزم واحد الحا مبدلة من العين **لتبيننه** القراة في الفعلين
بالياء والتاء وقرئ لتبينونه بغير نون التوكيد **لا تحسبن الاية**
نزلت في فريق من اليهود كتموا النبي صلى الله عليه وسلم ما سالهم عنه كما
ورد في الحديث فعرف بذلك وجه ارتباطها بالاية قبلها والقراة في الفعلين
بالياء والتاء وقرئ اتوا بالمد واوتوا بالبنا للمفعول وفي مصحف ابن
مسعود باسقاط فلا يحسبنهم **بمفازة** مفعلة من فاز وهي المكان اي بموضع
فوز اي نجاة الفرار الفوز التباعد من المكروه الراغب الفوز الظفر بالخير
مع حصول السلامة **ولله ملك السموات والارض** تقرير لحكمه على من ذكر
بالتعذيب **والله على كل شي قدير** الطوفي مناسب لما قبله لان الاستقلال

بالملك العام والتمكن من تعذيب الغير يستدعي القدرة التامة العامة
ان في خلق السموات والارض الاية مناسب لذكر السموات والارض في
وذكر قدرته على كل شي ابن جماعة قدم هنا خلق السموات والارض على اختلا
الليل والنهار لمناسبة تقدم ملك السموات والارض وعكس في يونس
في قوله في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لايات
لتقدم قوله هو الذي جعل الشمس ضيا والقمر نورا الاية وذلك اختلا
الليل والنهار وفي كلاهما بمناسبته الذين يذكرون الله فيه من انواع
البديع حسن التقسيم باستيفا احوال الذاكر ربنا على تقدير القول
سبحانك اعتراض للتنزيه فقنا رتب بالفا لانه نتيجة الذكر والذكر
والاقرار اخزيته الراغب خزي الرجل لحقه انكسار اما من نفسه واما
من غيره فالذي من نفسه هو الحيا المفرط ومصدره الخزاية والذي
من غيره ضرب من الاستخفاف ومصدره الخزي واخزاه يتناول منهما
جميعا والاية يحتملهما انتهى ابو حيان اخزيته فضحته من خزي الرجل
يخزي خزيا اذا افتضح وخزاية اذا استحيى الزجاج المخزي في اللغة
المذل المحقور بامر قد لزمه يقال اخزيته الزمته حجة
اذللته معها مناديا اذ كان الرسول فينادي على حقيقته او القران
فهو مجاز ابو حيان جمع بين قوله مناديا وينادي لانه ذكر الاول
مطلقا وقيد الثاني تفخيما لشان المنادي لانه لا منادي اعظم من مناد
ينادي للايمان وذلك ان المنادي اذا اطلق ذهب الوهم الى مناد للحرب
او لاطفاء النائرة او لاغاثة المكروب او لكفاية بعض النوازل
او لبعض المنافع فاذا قلت ينادي للايمان فقد رفعت من شان
المنادي وفخمته ونادى ودعى وندب تعدي باللام والى كما يعدى
بما قبلها لوقوع معنى الاختصاص وانتها الغاية جميعا ان امنوا تحتمل
المصدرية والتفسيرية فامنا العطف بالفا موذن بتعجيل القبول
وتسبب الايمان على السماع فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سياتنا الذنوب
الكباير والسيات الصغاير ففيه ثلاث مقابلات وتوفنا مع الابرار
مع هنا مجاز عن الصحبة الزمانية الى الصحبة في الوصف والابرار جمع بار
او بر وجمع ايضا على بررة الراغب بررة خص بها الملايكة في القران من
حيث انه ابلغ من ابرار فانه جمع بر وابرار جمع بار وبر ابلغ من بار
كما ان عدلا ابلغ من عادل على رسلك اي على السنة رسلك
وقري بسكون السين ابو حيان تكرر لفظ ربنا خمس مرات على سبيل الاستعطاف
وتطلب رحمة الله بندايه بهذا الاسم الشريف الدال على التربية والملك
والصلاح فاستجاب بمعنى اجاب وقال تاج القرا اجاب عام واستجاب
خاص في حصول المطلوب اني اي باني وكذا قرا ابي وقري اني بالكسر على اضمار
القول وقري اضيع بالتشديد فالذين هاجروا تفسير للعمل وقاتلوا

وقتلوا في قراة وقتلوا وقاتلوا وقري وقتلوا وقتلوا بتقديم المبني للفاعل
وقتلوا وقاتلوا بالبنا للمفعول والتشديد في قتلوا وقتلوا لذلك د
ثوابا مصدر موكد لا يغرنك قري بالنون الخفيفة ثم ماواهم الكرماني
عطف بثم لان قبله متاع قليل وهو في الدنيا فالماوي متراخ وفي الرعد
وماواهم بالواو لانه عطف على سو الحساب وهما جميعا في الاخرة فناسب
الجمع لكن الذين اتقوا ربهم لما تقدم الاخبار عن الكفار بان لهم متاعا قليلا
في الدنيا وان ماواهم جهنم استدرك بلكن الاخبار عن المتقين بامرين
متقابلين لذينك الامرين احدهما ماواهم وهي الجنات والثاني ذكر الخلود
فيها وفي قراة لكن بالتخفيف نزلا نصب على المصدر وهو ما يعد للضيف
من القرى وقري بسكون الزاي من عند الله اضيف اليه هنا وفيما تقدم
للتشريف وما عند الله خير للابرار تذييل وان من اهل الكتاب الاية
لما تقدم في الايات السابقة ذم اهل الكتاب ذكر المومنين منهم ومدحهم
لا يشترون تعريض بكفرة اهل الكتاب الذين اشتروا باياته عرضا من الدنيا
سريع الحساب الطوفي مناسب لما قبله لما وعدهم بالاجر قرب عليهم مدته
يا ايها الذين امنوا الاية ابو حيان ختمت هذه السورة بهذه الوصاة التي
جمعت الظهور في الدنيا على العدو والفوز بنعيم الاخرة فامر فيها
بالصبر والمصابرة والرباط فقيل اصبروا وصابروا بمعنى واحد للتاكيد
وقيل اصبروا على طاعة الله وصابروا اعدا الله بالجهاد ورابطوا في الثغور
في سبيل الله الراغب اصبروا احبسوا انفسكم على العبادة ورابطوا جاهدوا
اهواكم الكشاف المصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب
الصبر عليه تخصيصا لشدته وصعوبته وقد بينت في كتاب مراصد
المطالع في تناسب المقاطع والمطالع ان كل سورة تناسب اولها واخرها
وهذه السورة افتتحت بذكر انزال القران والتوراة والانجيل من قبل
وختمت بذلك في قوله وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله وما انزل
اليكم وما انزل اليهم سورة النساء تقدمت الاشارة الى مناسبة (سورة النساء)
وضعها هنا واقول هذه السورة ايضا شارحة لبقية مجملات
سورة البقرة في ايات عديدة كاية اليتامى والوصية والمواريث
والانكحة ونكاح الامة والصداق والخلع والقتال وفيها من الاعتلاق ه
بسورة الفاتحة تفسير الذين انعمت عليهم في قوله فاولئك مع الذين انعم
الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين واما وجه اعتلا قها
بال عمران فمن وجوه منها ان ال عمران ختمت بالامر بالتقوى وافتتحت هذه
السورة به وذلك من اكد وجوه المناسبات في ترتيب السور وهذا نوع
من انواع البديع يسمى تشابه الاطراف ومنها ان سورة ال عمران ذكرت
فيها قصة احد مستوفاة وذكر في هذه السورة ذيلها وهو قوله فما لكم في
المنافقين فئتين فانها نزلت لما اختلف الصحابة فيمن رجع من المنافقين

عن غزوة احد كما في الحديث ومنها ان في ال عمران ذكر الغزوة التي بعد احد
في قوله الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح الاية
واشير اليها هنا بقوله ولا تهنوا في ابتغا القوم ان تكونوا تالمون الاية
وبهذين الوجهين عرف ان تاخير النسا عن ال عمران انسب من تقديمها عليها في
مصحف ابن مسعود لان المذكور هنا ذيل ما في ال عمران وتابعه ولاحقه
فكان بالتاخير انسب ومنها انه لما ذكر في ال عمران قصة خلق عيسى بلا اب
واقيمت له الحجة بادم وفي ذلك تبرئة لامه خلافا لما زعمه اليهود وتقريرا
لعبوديته خلافا لما ادعته النصارى ذكر في هذه السورة الرد على الفريقين
معا فرد على اليهود بقوله وقولهم على مريم بهتانا عظيما وعلى النصارى
بقوله ولا تغلوا في دينكم الى قوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله
ومنها انه لما ذكر في ال عمران اني متوفيك ورافعك الي رد هنا على من زعم
قتله بقوله وقولهم انا قتلنا المسيح الاية ومنها انه لما قال في ال عمران والراسخون
في العلم يقولون امنا به قال هنا لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون
الاية ومنها انه لما قال في ال عمران زين للناس حب الشهوات من النسا
والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة
والانعام والحرث فصل هذه الاشيا في السور التي بعدها على نسق ما وقعت
في الاية ليعلم ما احل من ذلك فيقتصر عليه وما حرم فلا يتعدى اليه
ففصل في هذه السورة احكام النسا ومباحاتها ومحرماتها للابتدا بها في الاية
والبنين فشرك البنات معهم في الارث ردا لما كانوا يصنعون من تخصيص
البنين بالميراث لحبهم لهم فكان ذلك تفصيلا لما يحل ويحرم من اثار حب البنين
اللازم عن الحب ثم فصل في سورة المائدة احكام السراق وقطاع الطريق
لتعلقهم بالذهب والفضة الواقع في الاية بعد النسا والبنين ووقع
في هذه السورة اشارة الى ذلك في قسمة المواريث ثم فصل في سورة الانعام
امر الحيوان والانعام والحرث وهو بقية المذكور في الاية فانظر الى هذه
اللطيفة التي من الله بالهامها وبقيت وجوه اخرى بينتها في كتاب تناسق
الدرر في تناسب السور ابو حيان وجه ارتباط اول السورة باخر ما قبلها
انه اخبر في اخر تلك ان بعض المؤمنين من بعض في اصل التوالد فنبه
في اول هذه على اتحاد الاصل وتفرع العالم الانساني منه ليحث على التوافق
والتواد والتعاطف وعدم الاختلاف ولينبه بذلك على ان اصل الجنس
الانساني كان عابدا لله مفردا بالتوحيد والتقوى طائعا له فكذلك ينبغي
ان تكون فروعه التي نشات منه فنادى تعالى ندا عاما للناس وامرهم بالتقوى
التي هي ملاك الامر وجعل سببا للتقوى تذكاره اياهم بانه اوجدهم
وانشاهم من نفس واحدة ومن كان قادرا على مثل هذا الايجاد والغريب
الصنع فهو جدير بان يتقى فقال يا ايها الناس اتقوا ربكم قيل وجعل هذا
المطلع مطلعا لسورتين احداهما هذه وهي الرابعة من النصف الاول

112

والثانية سورة الحج وهي الرابعة من النصف الثاني وعلل هذا الامر بالتقوى
بما يدل على معرفة المبدا وهناك بما يدل على المعاد وبدا بالمبدا لانه الاول
من نفس واحدة انث مراعاة للفظ النفس وقرئ واحد بالتذكير مراعاة
للمعنى او على ان النفس تذكر وتونث وخلق منها زوجها في الاعراف
وجعل منها زوجها وهو تفنن وبث الراغب اصل البث اثارة الشيء وتفريقه
رجالا كثيرا ونسا التنكير للشيوع وقدم الرجال لفضلهم وخص رجالا بذكر
الوصف بالكثرة فدل على الحذف من الثاني اكتفا وقيل تنبيها على ان اللايق
بحالهم الاشتهار والخروج والبروز واللايق بحال النسا الاختفا وقرئ
وخالق وباث على تقدير وهو واتقوا الله كرره تاكيدا للاول وقيل لاختلاف
المتعلق وذكرا اولا الرب الذي يدل على الاحسان والتربية وثانيا الله الذي
يدل على القهر والهيبة جمعا بين الترغيب والترهيب بادئا بالترغيب
تساءلون بالتشديد والتخفيف وقرئ تسالون مضارع سال وتسلون
بحذف الهمزة والقا حركتها على السين والارحام بالنصب عطفا على الجلالة
اي واتقوا الارحام ان تقطعوها وبالجر عطفا على الضمير المجرور من غير اعادة
الجار ويؤيده قراءة ابن مسعود وبالارحام وكانوا يتناشدون بذكر الله
والرحم وقرئ بالضم رقيبا اي حافظا ابو حيان هو فعيل من رقب
يرقب احد النظر الى امر ليتحققه على ما هو عليه ويقترن به الحفظ الطوفي
هو مناسب لما في سياقه من الوصية بتقوى الله وصلة الارحام اكد ذلك
بان اخبرهم انه رقيب عليهم مشاهد لهم ليحتاطوا بمراعاة ما امرهم به
واتوا اليتامى مناسب لما تقدم من الامر بوصل الارحام وفي اليتامى
مجاز الكون ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم قيد جي به للتقبيح فعلهم لا للاحتراز
كما في قوله اضعافا مضاعفة حوبا مصدر بمعنى الاثم وقرئ بفتح الحا
لغة تميم وحابا وهما مصدران ايضا وقيل الحوب بالفتح المصدر وبالضم
الاسم وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى الاية الكرماني طعن بعض
اهل الالحاد في تلفيق الاية وله وجوه احدها ان خفتم ان لا تقسطوا
في نكاح اليتامى فان الامر فيهن وفي مهورهن على المتزوج ضيق فانكحوا
من غيرهن ما طاب لكم الثاني ان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى وهمكم ذلك
فكذلك خافوا في النسا الثالث ان خفتم الحيف والجور
في انفاقكم اموال اليتامى فقد خطرت عليكم ان تنكحوا اكثر من اربع
الرابع ان تحرجتم عن اكل مال اليتيم فتحرجوا عن الزنا وانكحوا ما طاب
لكم الزمخشري في الاية ليسر اجزا الكلام طبقا لاوله فلا يجوز في الظاهر
ان يكون جوابا وتاويله ان كنتم تتحرجون من مخالطة اليتامى مخافة
ان لا تقسطوا فلم لا تتحرجون من ترككم الاقساط في امر النسا لان احدهم
كان يتزوج العشر والعشرين ثم لا يقسم بينهن وربما جار عليهن في الماكل
والملبس والعشرة فكانه قال ان تحرجتم من امر اليتامى فتحرجوا من امر النسا

فانكحوا ما طاب لكم منهن اي حل ثم بين ما حل بان قال مثنى وثلاث ورباع
فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة اي فلينكح كل واحد واحدة ولو ذهب
مذهب مثنى وثلاث ورباع لقال احادا ولم يقصد فيه الاستيعاب
على جهة التفصيل انتهى وقرئ تقسطوا بفتح التا بمعنى عدل كما تقدم
حكايته او بمعنى جار على زيادة لا وقرئ من طاب وما طيب مثنى وثلاث
ورباع هي معدولة عن اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة
ولم يرد بها التوكيد انما اريد تكرار العدد الى غاية المعدود كقوله
بعيرا بعيرا وفصلت لك الحساب بابا بابا وقرئ ثنا وثلث
وربع مقصورات من ثناء وثلاث ورباع بحذف الالف فواحدة بالنصب
على تقدير فانكحوا وبالرفع على الابتدا او الخبر مقدر اي كافية او على الخبر
والمبتدا مقدر اي فحسبكم او ما ملكت هو من باب علفتها تبنا وما باردا
اذ لا يصح ان يتزوجها فانكحوا فيقدر طؤوا وقرئ من ملكت واسند
الملك الى اليمين لا تصافه بمدح واليمين مخصوصة بالمحاسن تعولوا
من عال بمعنى جار وقيل بمعنى لترغبوا له ويويد الاول تقدم ان لا تعدلوا
والعدل ضده الجور وقرئ تعيلوا بفتح اوله اي تفتقروا من العيلة
من عال يعيل افتقر وبضمه من اعال الرجل لترغيبا له صدقاتهن صدقة
بوزن سمرة وقرئ بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بضمهما وقرئ صدقتهن
بضمتين نحلة الراغب النحلة العطية على سبيل التبرع وهي اخص من الهبة
لان كل نحلة هبة ولا عكس وسمي الصداق نحلة من حيث انه لا يجب في مقابلته
سوى التمتع دون عوض مالي ابو حيان النحلة العطية عن طيب نفس
وهو مصدر لا تو امن معناه منه ذكر الضمير مع عوده الى الصدقات على معنى
الصداق او اجراء للضمير مجرى الاشارة وقيل هو عايد الى المال الدال عليه
صدقاتهن وقيل على الايتا الدال عليه واتوا فكلوه امرا اباحة هنيئا مريئا
نصب على المصدر او الحال الراغب الهني وكل ما لا يلحق فيه مشقة ولا
وخامة والمرء ما كان سايغا لا تنغيص فيه وقرئ بالادغام فيهما
ولا تؤتوا السفهاء اموالكم قيل الخطاب لارباب الاموال فالاضافة على حقيقتها
وقيل للاولياء والمراد السفهاء واضافها الى المخاطبين تعطيفا لهم على حد
ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل ولا تقتلوا انفسكم ابو حيان لما امر ولا
بايتا اليتامى اموالهم ثم بايتا النساء صدقاتهن وكان هذا عاما خصصه
بغير السفهاء التي قرئ اللاتي واللواتي قياما مصدر كالصيام وفي قراءة
قيما مصدرا ايضا وقيل جمع قيمة وقرئ قواما بكسر القاف وفتحها وقوما
بالكسر مصدر ولم تعل وارزقوهم فيها ابو حيان لم يقل منها تنبيها على ما قاله
عليه السلام ابتغوا في اموال اليتامى كي لا تاكلها الصدقة فيكون الانفاق
عليهم من فضلاتها المكتسبة وقيل في بمعنى من بلغوا النكاح اي الحلم فان
آنستم الراغب ابصرتم استبانة ابو حيان انس كذا احس به وشعر وقرا ابن مسعود

113

فان احستم اي احسستم رشدا قرئ بفتحتين وبضمتين ونكره كان المراد
نوع من الرشد وطرف ومخيلة من مخيلته ولا تنتظر تمام الرشد ولا تاكلوها
عبر بالاكل عن الاخذ لانه اعظم وجوه الانتفاع اسرافا وبدارا مصدران في
موضع الحال ان يكبروا نصب بدارا فليستعفف قال ابو حيان هي
ابلغ من فليعف لان فيه طلب زيادة العفة الراغب الاستعفاف
طلب العفة وهي حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة وكفى
بالله هو من زيادة البا في الفاعل لانه في معنى الامر اي اكتف بالله حسيبا
اي كافيا الراغب اي رقيبا يحاسبهم واصله المحاسب ثم عبر به
عن المكافي بالحساب قل او كثر مما اي من الميراث او المقسوم
وليخش الذين الاية قال ابن جني الاليق بما تقدم وما تاخر ان تكون
من الايات الواردة في الايتام جعل تعالى اخر ما دعاهم به الى حفظ
مال اليتيم ان ينبههم على حال انفسهم وذريتهم وذلك من اقوى البواعث
في هذا المقصود على الاحتياط وقرئ بكسر اللام في الافعال
الثلاثة وقرئ ضعفا بضمتين وضعفا وضعافا كسكارى وضعفا كظرف ابو
حيان ترتيب هذه الاوامر احسن ترتيب حيث بدا اولا بالخشية
التي محلها القلب وهي الاحتراز من النهي بمقتضى العلم وهي الحاملة
على التقوى ثم بالتقوى وهي مسببة من الخشية اذ هي جعل المرء نفسه
في وقاية مما يخشاه ثم بالقول السديد وهو ما يظهر من الفعل الناشي
عن التقوى الناشية عن الخشية ولا يراد تخصيص القول السديد
فقط بل المعنى على الفعل والقول السديدين وانما اقتصر على القول
لسهولته على الانسان يقال بمعنى الفاعل وبمعنى المفعول
انما ياكلون فيه وقوع ان و خبر الان وحسنه طول الكلام في بطونهم
تاكيد كما تقدم مثله في البقرة نارا هي حقيقة في الاخرة وقيل من مجاز
الاول وسيصلون بالبنا للفاعل وللمفعول وقرئ بضم اليا واللام
مبنيا للفاعل من الرباعي وبالتشديد مبنيا للمفعول والصلا التسخن
بقرب النار قاله ابو حيان وقال الراغب اصله الايقاد بالنار الخليل
صلي الكافر النار قاسى حرها ابو حيان عبر بالصلا بالنار عن العذاب
الدائم بها اذ النار لا تذهب ذواتهم ولا تغذيهم بالكلية كما في الاية الاتية
وجا ياكلون بدون سين وسيصلون بالسين لان الثاني موخر الى الاخرة
والاول في الدنيا فاشبه الحال ولما كان لفظ نار مطلقا قيد في قوله
سعيرا اذ هو الجمر المتقد الراغب السعر التهاب النار والسعار حر
النار وسعرها اضاف به حر والسعير الجحيم فعيل بمعنى مفعول
يوصيكم الله ابو حيان لما ابهم في قوله نصيب مما ترك الوالدان والاقربون
في المقدار والاقرب بين في هذه الاية المقادير ومن يرث من الاقربين
وبدا بالاولاد وارثهم من والديهم كما بدا بهم في قوله للرجال نصيب مما ترك

الوالدان وقدم الذكر لفضله وعبر بلفظ الايصا لانه ابلغ وادل على الاهتمام وطلب
حصوله بسرعة وقري بالتشديد في اولادكم اي اولاد موتاكم لانه لا يخاطب
الحي بقسمة الميراث في اولاد وللذكر قري ان للذكر فان كن الضمير عايدا لي ما دل
عليه الاولاد من الاناث فوق اثنتين قيل بظاهره وان للبنتين النصف
والجمهور على ان للثنتين ايضا الثلثين اي لثنتين فقيل فوق زائدة وقيل
بين هنا حكم ما فوق الثنتين والواحدة من البنات وسكت عن حكم الثنتين
وبين في اخر السورة حكم الواحدة من الاخوات والثنتين وسكت عما فوقهما
فوجب الحاق المسكوت في كل اية بالمنطوق في الاخرى قال الزملكاني ذكر في
كل من الايتين ما كف عن ذكره في الاخرى فوجب حمل كل واحدة منهما فيما امسك
عنه فيها على ما ذكر في غيرها وقري بسكون ثاني ثلث وثلثا وربع وسدس
وان كانت واحدة بالنصب على ان كان ناقصة وبالرفع على انها تامة
النصف قري بضم النون ولابويه فيه تغليب لكل واحد منهما بدل
تفصيل اذ لولا هذا البدل لفهم اشتراكهما في السدس وهو ابلغ واكد
مما لو قيل لكل واحد من ابويه السدس اذ تكرر ذكر تمام مرتين مرة بالاظهار
ومرة بالاضمار ولو كان التركيب ولابويه السدسان لاوهم الترجيح
في المقدار بين الابوين فكان هذا التركيب في غاية النصية والفصاحة
فلامه الثلث فيه اكتفا اي والباقي وهو الثلثان للاب
وفي قراة بكسر الهمزة لغة هوازن وهذيل فان كان له اخوة فيه اطلاق
الجمع على الاثنين فصاعدا من بعد وصية يوصي بها او دين قدم الوصية
على الدين وان كانت موخرة عنه شرعا لانها لكونها مشبهة بالنية قد يتغافل عنها
ويتهاون بها فاقيد بالتقديم الاهتمام ومن متعلقة بمحذوف
اي يستحقون ذلك كما فصل ويوصي بالبنا للفاعل والمفعول اباوكم
وابناوكم الى اخره الزجاج معنى الكلام ان الله تعالى تولى قسمة المواريث
على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم انفع لكم فتضعون
الامر على غير حكمة ولهذا اتبعه بقوله ان الله كان عليما حكيما اي عليم بما يصلح
خلقه حكيم فيما فرض ابن عطية هذا تعريض للحكمة في ذلك وتانيس للعرب
الذين كانوا يورثون على غير هذه الصفة الطوبي الفاصلة مناسبة
لما في الاية من توزيع الفروض على اهلها وتخصيص بعضهم بالقليل وبعضهم
بالكثير وذلك يستدعي علما وحكمة قال وحكى ابو علي النسفي عن مشايخه
ان حبرا من النصارى سمع هذه الاية فصاح صيحة ثم اسلم فسيل عن ذلك
فقال اني تاملت هذه القسمة فعرفت انه لا يهتدي الى مثلها الا
العليم الحكيم ولكم نصف لما ذكر تعالى ميراث الفروع والاصول اخذ في ذكر
المتصلين بالسبب وبدى بخطاب الرجال لشرفهم يورث بالبنا للمفعول
مخففا ومشددا كلالة الزمخشري هي في الاصل مصدر بمعنى الكلال
وهو ذهاب القوة من الاعيا فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد

بجمع

لانها بالاضافة الى قرابتها كالة ضعيفة الراغب الكلالة مصدر الوارث
والموروث جميعا وتسميتها بذلك اما لان النسب كل من الملحوق به او لانه
قد لحق به بالعرض من احد طرفيه وله اخ او اخت زاد ابن ابي وقاص في قرايته
من ام وفي قراة ابي من الام فان كانوا فيه تغليب ضمير المذكور يوصي بها
الضمير عايد على رجل كما علا عليه ضمير وله اخ وقيل الى المعنى وفي قراة بالبنا الى
المفعول وقري غير مضار وصية باضافة مضار الى وصية انشاعا على حد يا سارق
الليلة اهل الدار والله عليم حليم الطوبي هو مناسب لما في الابتداي والله
عليم بصواب ما فصل من احكام الفرايض حليم عمن ضار في وصيته فرغب
من المضارة بالنهي عنها ولم يقنط من التجاوز باتصافه بالحلم الامام ما وصف
نفسه بقوله عليم وفيه اشارة الى المجازاة على المضارة اعقب ذلك بالصفة
الدالة على الصفح وذلك عادة اهل القران ان لا يذكر ما يدل على العقاب
الا ويردف بما يدل على العفو تلك حدود الله الايتين لما ضمن
المواريث اشار الى انها حدود لا يجوز تعديها ثم قسم الناس الى عامل
بها مطيع والى غير عامل عاص وبدا بالمطيع لان الغالب على من كان مومنا
بالله الطاعة ولان قسم الخير ينبغي ان يبتدا به ويعتنى بتقديمه وفي
الايتين ثلاث مقابلات وفيهما مراعاة لفظ من تارة ومعناها اخرى
والقراة بدخله في الموضعين بالياء والنون ففيهما على الثانية ثلاث
التفاتات الراغب وصف الفوز بالعظيم اعتبارا بفوز الدنيا
الموصوف بقوله متاع الدنيا قليل والصغير والقليل في وصفهما
متقاربان ابو حيان فلظ في قسم العاصي اذ لم يكتف بالعصيان بل اكد ذلك
بقوله ويتعد حدوده وناسب الختم بالعذاب المهين لان العاصي المتعدي
للحدود برز في صورة من اغتر وتجاسر على معصية الله وقد تنفع المبالاة
بالشدايد ما لم ينضم اليها الهوان ولهذا قالوا المنية ولا الدنية قيل
وافرد خالدا في المعاصي وجمع في الطايع لان العاصي يدخل النار وحيدا
واهل الجنة يدخلونها جملة زمرا الكرماني قال هنا وذلك
الفوز العظيم بالواو وفي براة بغير واو لموافقة ما قبل وما بعد
من قوله ومن يطع ومن يعص وفي براة اعد الله بغير واو فناسب
تركها واللاتي ياتين الفاحشة ابو حيان مناسبة الاية لما قبلها انه تعالى
لما امر بالاحسان الى النسا بذكر ايتاء صدقاتهن وتوريثهن وقد كن لا يورثن
في الجاهلية ذكر التغليظ عليهن فيما ياتينه من الفاحشة وهو في الحقيقة
احسان اليهن اذ هو من مصالح دينهن واخراتهن ودنياهن ايضا ولانه تعالى
لما ذكر حدوده المشار بها الى جميع ما وقع من اول السورة الى موضع ٥
الاشارة وكان في مبتدا السورة التخصيص بالتزويج واباحة ما ابا من نكاح
اربع استطرد بعد ذلك الى حكم من خالف ما امر الله به من النكاح من الزواني
وقدمهن على الرجال لانهن ادخل في باب الشهوة ولهذا قدمت في اية الزانية

والزاني وان كانت الاية الاتية في اللواط فوجه التقديم ظاهر لان الزنا اكثر منه
خصوصا عند العرب فلم يكونوا يعرفونه واطلق على الزنا اسم الفاحشة الزائدة
في القبح على كثير من القبائح وان كان القتل والكفر اكبر منه لكونه احسن منه
انواع الفساد وقرئ بالفاحشة واللذان بتخفيف النون وتشديدها وقرئ
بالهمزة والتشديد وقرا ابن مسعود والذين يفعلونه فآذوهما الطوفي
مناسب لقوله فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما انما التوبة اي قبولها
على الله عبر بعلى للتاكيد وقيل هي بمعنى عند فاولئك يتوب الله عليهم لما ذكر
ان قبول التوبة عليه ذكر انه يتعطف عليهم فيرحمهم ولذلك اختلف متعلقا
التوبة حيث قيل في الاول على الله وفي الثاني عليهم يعملون السيئات
جيء بالمضارع دون الماضي اشارة الى الاصرار ولا الذين بلا النافية وقرئ بلام
الابتداء مبتدا خبره اولئك اعتدنا فيه التفات يا ايها الذين امنوا الاية
عود الى قصة النساء بعدما لاستطراد منها الى ذكر فاحشة الرجال المقابلة
لفاحشة النساء ثم قصة التوبة المتصلة بقوله فان تابا واصلحا كرها
بفتح الكاف وضمها ولا تعضلوهن خطاب للازواج بعد خطاب وارثي الازواج
وهو يحتمل الجزم والنصب ويؤيد الثاني قراءة ابن مسعود ولا ان تعضلوهن
مبينة بفتح اليا وكسرها فعسى ان تكرهوا شيئا علق الكراهة بلفظ شيء دون ضمير
هن لقصد العموم ويجعل الله فيه التفات وان اردتم الاية لما اذن في اخذ
شيء منهن اذا اتين بفاحشة بين تحريمه في غير حال الفاحشة واقام الارادة
مقام الفعل فكانه قال وان استبدلتم وهذا عكس الصنيع المشهور من اقامة
الفعل مقام الارادة واتيتم احداهن قنطارا فيه مبالغة وحمل على معنى زوج
وقرئ بوصل الف احداهن بهتانا اصله الكذب الذي يواجه به الانسان
صاحبه على جهة المكابرة فيبهت المكذوب عليه اي يتحير ثم سمي كل باطل
يتحير من بطلانه بهتانا افضى ابو حيان الافضا الى الشيء الوصول
الى فضائه اي سعته غير محصورة وكنى به عن الجماع ميثاقا غليظا الزمخشري
وصف بالغلظ لقوته وعظمه واسناد الاخذ اليه مجاز ولا تنكحوا الاية
هي متصلة بقوله ولا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها لان سبب نزولها
من كان من العرب يتزوج امراة ابيه كرها ومقتا الراغب المقت البغض الشديد
لمن تراه متعاطيا القبيح ابو حيان المقت بغض مقرون باستحقار حصل بسبب
امر قبيح حرمت عليكم امهاتكم لما تقدم تحريم نكاح امراة الاب وليست اما
كان تحريم الام اولى فوصل به تتميم ما استتبعه وبنات الاخ وبنات الاخت
افرد المضاف اليه اكتفاء بجمع المضاف طلبا للخفة وامهاتكم اللاتي ارضعنكم
واخواتكم من الرضاعة ذكر من الرضاع قسمين وان كان المحرم منه ايضا
سبعا تنبيها على الباقي فالامهات يستدل بها على قرابة الاولاد والاخوات
يستدل بها على قرابة العمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت واخواتها
من النسب لكونه دونه وقرئ اللاتي والرضاعة بالكسر اللاتي في حجوركم صفة

موافقة

115

موافقة للغالب فلا مفهوم لها ولذا لم يذكر له مفهوما كما ذكر مفهوم قوله اللاتي
دخلتم بهن وحلائل جمع حليلة وهي الزوجة لانها تحل مع الزوج حيث حل فعيلة
بمعنى فاعله وهي من لفظ الحلال [illegible] فهي بمعنى محللة ابو حيان الحليلة اسم
يختص بالزوجة دون ملك اليمين الذين من اصلابكم وصف برفع المجاز الذي يحتمله
لفظ ابنائكم اذ كانوا يطلقونه على من يتبنوه ان الله كان غفورا رحيما
الطوفي مناسب لقوله الا ما قد سلف لان ذلك مغفور والاسلام يجب
ما قبله والمحصنات عطف على المحرمات والاحصان اصله المنع ومنه
الحصن ثم استعمل بمعنى التزوج كما هنا وبمعنى العفة كما في محصنات غير
مسافحات احصنت فرجها وبمعنى الحرية كما في فعليهن نصف ما على المحصنات
من العذاب وبمعنى الاسلام الراغب لم يقرأ هنا الا بالفتح لان المراد المزوجات
دون العفيفات وقرئ في غيره بالفتح والكسر لاحتمال الامرين وقرئ
هنا بضم الصاد اتباعا لضمة الميم كتاب الله عليكم نصب على المصدر المؤكد
لمضمون الجملة السابقة من قوله حرمت عليكم وقيل على الاغراء وقرئ كتب
بصيغة الماضي ورفع الجلالة وكتب بصيغة الجمع مرفوعا اي هذه كتب
الله عليكم اي فرائضه ولازماته واحل لكم بالبناء للفاعل والمفعول
ما وراء ذلكم اي سواه ان تبتغوا بدل من ما محصنين حال غير مسافحين
حال مؤكدة لان الاحصان لا يجامع السفاح ففيه طباق الكرماني ذكر
وكذا في المائدة وفي الاية الاتية محصنات غير مسافحات لان ما هنا
راجع الى الرجال الناكحين وما ياتي راجع الى النساء المنكوحات فما
استمتعتم به منهن زاد ابي وابن عباس في القراءة الى اجل مسمى فآتوهن
اجورهن استعارة في المهور اذ حقيقتها ما يدل على عمل فريضة حال او مصدر
لا توهن ان الله كان عليما حكيما الطوفي مناسب لما هو في سياقه من تحريم
المحرمات واحلال ما عداهن لان ذلك لا يصدر الا عن علم وحكمة ولا ينفذ
الا من حاكم ماض الحكم ومن لم يستطع لما فرغ من ذكر المحرمات والمباحات
شرع في ما يحل في حال ويحرم في حال طولا سعة في المال ان ينكح المحصنات
المراد هنا الحرائر فما اي فلينكح مما فتياتكم جمع فتاة واصلها الحدثة السن
ثم كني بها عن الرقيقة قاله الراغب والاضافة فيه على حذف ما تقدم في امهاتكم
اذ ليس المعنى ان الرجل ينكح فتاة نفسه والله اعلم بايمانكم جملة معترضة
مناسبة لذكر المؤمنات وغلب فيها خطاب الذكور بعضكم من بعض جملة
اخرى معترضة قصد بها التانيس بنكاح الاما وان الاحرار والارقا كلهم
متواصلون متناسبون يرجعون الى اصل واحد وقد اشتركوا في الايمان
وقد كانت العرب تستنكف من نكاح الاما وتستهجنه غير مسافحات
اي معلنات بالزنا ولا متخذات اخدان اي مسرات به الراغب الاخدان جمع خدن
وهو المصاحب واكثر ما يستعمل ذلك فيمن يصاحب بشهوة فاذا احصن قيل المراد
اسلمن وقيل تزوجن فلا مفهوم للشرط على هذا والقراءة بالبناء للفاعل والمفعول

فاذا تبين هو من اعتراض الشرط على الشرط المحصنات المراد الحرائر ذلك اشارة الى
نكاح الامة وان تصبروا اي عن نكاح الاما وحذف لقصد العموم والله غفور
رحيم الطوفي مناسب لما هو في سياقه من احلال نكاح الامة ومن تخفيف
عذابها بالنسبة الى الحرة ليبين لكم ويهديكم قيل معناهما واحد والحق التفرقة
والله عليم حكيم الطوفي مناسب لما في الاية لان بيان الاحكام الظاهرة
الحكمة لا تكون الا من عالم حكيم والله يريد ان يتوب عليكم قيل تكرار للتاكيد
وقيل علقت الارادة بالتوبة اولا على سبيل العلية وثانيا على سبيل المفعول
فقد اختلفا لتخلتان فلا تكرار وقال اراد سبب التوبة فقد اراد التوبة
عليهم اذ قد يصح ارادة السبب دون الفعل ابن عطية تكرار ارادة
الله التوبة عن عباده تقوية للاخبار الاول وليس المقصد في الاية
الا الاخبار عن ارادة الذين يتبعون الشهوات فقدم من ارادة الله توطئة
مظهرة لفساد ارادة متبعي الشهوات واكد فعل الميل بالمصدر على سبيل
المبالغة ولم يكتف حتى وصفه بالعظم لان الميول مختلفة ورتب
علاجها متفاوتة وميل ها ولا ابعد الميول معالجة وجاءت الجملة الاولى
اسمية لانها ادل على الثبوت ولتكرر اسم الله فيها مظهرا ومضمرا والثانية
فعلية لان ارادتهم تتجدد في كل وقت الراغب الواو في الثانية للحال
لا للعطف تنبيها على انه يريد التوبة عليكم في حال ما تريدون ان تميلوا
خلافا بين الاخبارين في تقديم المخبر عنه في الجملة الاولى وتاخيره في
الثانية ليبين انها ليس على العطف وقرئ يميلوا بالغيبة ميلا
عودا على الذين وميلا بفتح اليا الراغب الميل العدول
عن الوسط الى احد الجانبين ويستعمل في الجور ومنه فلا تميلوا كل الميل
وملت عليه تحاملت عليه ومنه فيميلون عليكم ميلة واحدة والمال
سمي بذلك لكونه مائلا ابدا وزائلا واذا استعمل الميل في الاجسام
قيل ما كان خلقة ميل وما كان عرضا ميل يريد الله ان يخفف عنكم
جملة مستانفة وقيل حال من الجملة السابقة وخلق الانسان ضعيفا
اي في امر النسا وقرئ خلق بالبنا للفاعل يا ايها الذين امنوا الاية ابو حيان
مناسبة الاية لما قبلها انه تعالى لما بين كيفية التصرف في النفوس
بالنكاح بين كيفية التصرف في الاموال الموصلة الى النكاح والى ملك
اليمين وان المهور والاثمان المبذولة في ذلك لا تكون مما ملكته
بالباطل وابطل كل طريق لم يبحه الشرع واضافة الاموال
الى المخاطبين للملابسة كما تقدم الا ان تكون الاستثنا منقطع تجارة
بالرفع والنصب على ان اسمها مضمر يعود على الاموال او تفسيره التجارة
ولا تقتلوا انفسكم قيل على حقيقته وقيل مجازا اي لا يقتل بعضكم بعضا اسند
القتل الى انفسهم لانهم كنفس واحدة وقرئ تقتلوا بالتشديد ان الله كان بكم
رحيما الطوفي مناسب للنهي عن قتل انفسهم زاد ابو حيان وعن اكل الحرام

ولبيان

ولبيان جهة الحل التي بها قوام الانفس وحياتها للنهي عن قتل انفسهم زاد ابو
حيان وقيل رحيما بكم اذ لم يكلفكم قتل انفسكم حين التوبة كما كلف بني اسرائيل ذلك
ويكون الاختصاص المفهوم من تقديم بكم ومن يفعل ذلك اشارة الى ما
وقع النهي عنه في الاية قبلها من اكل الحرام وقتل الانفس وقيل الى الثاني
خاصة لانه اقرب مذكور وقيل الى ما سبق النهي عنه من قوله ولا يحل
لكم ان ترثوا النسا كرها الى هنا عدوانا قيل هو من عطف المرادف
نصليه بضم النون من اصلاه وقرئ بفتحها من صلاه وقرئ بالضم والتشديد
وفيه التفات وقرئ باليا على نسق ما تقدم على الله فيه التفات على القراءة
المشهورة ان تجتنبوا الاية ابو حيان مناسبة الاية لما قبلها ظاهرة لانه
تعالى لما ذكر الوعيد على فعل بعض الكبائر ذكر الوعد على اجتناب الكبائر
كبائر قرئ كبير بالتوحيد نكفر باليا والنون ففيه على الثاني التفات
سيئاتكم قرئ بزيادة من وندخلكم باليا والنون مدخلا بضم الميم مصدر
وبفتحها مكان ولا تتمنوا ابو حيان مناسبة الاية لما قبلها انه تعالى لما نهى عن
اكل المال بالباطل وعن قتل الانفس وكان ما نهى عنه مراعاة
الى التبسط في الدنيا والعلو فيها وتحصيل حطامها نهاهم عن تمني ما فضل به
بعضهم على بعض اذ التمني لذلك سبب مؤثر في تحصيل الدنيا وتشوق النفس
اليها بكل طريق فلم يكتف بالنهي عن تحصيل المال بالباطل وقتل الانفس
حتى نهى عن السبب المحرض على ذلك وكانت المبادرة الى النهي عن المسبب
اكد لفظاعته فبدا به ثم اتبع بالنهي عن السبب حسما لمادة المسبب
وليوافق العمل القلبي العمل الخارجي فيستوي الباطن والظاهر في الامتناع
عن الافعال القبيحة فضل الله فيه التفات واسالوا الله من فضله
لما نهاهم عن تمني ما فضل به بعضهم امرهم بان يعتمد وافي المزيد عليه والقراءة
سلوا لغة الحجاز واسالوا لغة تميم بكل شي عليما الطوفي مناسب لاول الاية
وهو النهي عن التمني اي ان الله عليم بما يصلحكم فرب متمن ما اعطيه غيره
وفيه فساد حاله قال وليس مناسبا لقوله واسالوا الله من فضله لان صفة
القدرة به انسب اذ هي المؤثرة في العطا واجابة السوال
لا العلم ولكل جعلنا فيه التفات وفيه عود الى قصة المواريث وارتباط
بقوله للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنسا نصيب مما اكتسبن عاقدت
في قراءة عقدت مخفف ومشدد وفي اسناده الى الايمان مجاز والمراد
به الحلف وقيل الزوجية وقيل الولا وقيل الوصية ان الله فيه التفات
شهيدا مناسب للعقد والمعاقدة قاله الطوفي الرجال قوامون له
اعتلاق بقوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض والمراد ببعضهم
هنا الرجال وببعض النسا وعدل عن الضمير فلم يقل بما فضلهم الله
عليهن لما في ذكر بعض من الابهام الذي لا يقتضي عموم الضمير فرب انثى فضلت ذكرا
بما حفظ الله برفع الجلالة اي بحفظ الله اياهن اي بتوفيقه وبنصبها وما موصولة

وفي حفظ ضميرها اي بالطاعة والبر الذي حفظ الله في امتثال امره واللاتي مقابل
الصالحات فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فيه الترقي وفي
المفهم بالافراد ان الله كان عليا كبيرا الطوفي مناسب لاول الاية وآخرها لان
قيام الرجال على النساء فيه نوع استعلاء وطلب السبيل عليهن بعد
الطاعة بغي عليهن والبغي فيه علو وتكبر فزجرهم عن ذلك واخبرهم انه هو العلي
الكبير المستحق للاتصاف بهاتين الصفتين لا غيره وان خفتم خطاب للاوليا
والحكام لعد خطاب الازواج شقاق بينهما اصله شقاقا بينهما فاضيف
اتساعا ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما الكرماني الضميران يحتملان اربعة
اوجه عودهما للحكمين وللزوجين والاول للحكمين والثاني للزوجين وعليه
عليما خبيرا الطوفي مناسب لما في الاية اي عليم بمصلحة الزوجين في مشروعية
الخلع وبعث الحكمين خبير بما هو الاولى بهما في معاشهما فلذلك شرعه لما
يكون طريقا الى التخلص من تنوا الحشرة واحدى الصفتين مؤكدة للاخرى
غير ان خبيرا ابلغ من عليم من جهة الاشتقاق ابو حيان عليم بمقصد الحكمين
وكيف يوفق بين المختلفين خبير بخفايا ما ينطقان به في امر الزوجين
واعبدوا الله ابو حيان لما ذكر قيام الرجال على النسا والانفاق عليهن استطرد
الى الاحسان للوالدين ومن ذكر معهما حثا على الاحسان واستطراد المكارم
الاخلاق وافتتح التوصل الى ذلك بالامر بافراد الله بالعبادة اذ هي مبدا
الجزا الذي تترتب الاعمال الصالحة عليه ونظيره واذ اخذنا ميثاق بني
اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وبالوالدين احسانا
فيه احسان على الابتدا والخبر بذي القربى اعاد الباهنا دون اية البقرة
لان هذه في حق هذه الامة وتلك في حق بني اسرائيل فزيدت هنا تاكيدا
ومبالغة لان الاعتنا بهذه الامة اكثر من الاعتنا بغيرها والجار ذي
القربى قري ذا القربى بالنصب على الاختصاص تنبيها على عظم حقه
لادلائه بحقي الجوار والقربى والجار الجنب اي البعيد وقري بفتح الجيم
وسكون النون معناه وفيه طباق ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا
ابو حيان نفى تعالى محبته عمن اتصف بهاتين الصفتين الاختيال
وهو التكبر والفخر وهو عد المناقب على سبيل التطاول بها والتعاظم على
الناس لان من اتصف بهاتين الصفتين حملتاه على الاخلال
بمن ذكر في الاية ممن يكون لهم حاجة اليه وقال ابو حيان لا تجده
في الملكة الا وجدته مختالا فخورا ولا عاقا الا وجدته جبارا شقيا وقال
الزمخشري المختال التياه الجهول الذي يتكبر عن اكرام اقاربه واصحابه
ومماليكه وقال غيره ذكر تعالى الاختيال لان المختال يانف
من ذوي قرابته اذا كانوا فقرا ومن جيرانه اذا كانوا ضعفا ومن الايتام
لاستضعافهم ومن المساكين لافتقارهم ومن ابن السبيل لبعده عن اهله
وماله ومن مماليكه لاسرهم في يده قال ابو حيان تظافرت النقول على ان ذكر

هاتين الصفتين في اخر الاية انما جا تنبيها على من اتصف بالخيلا والفخر يانف
من الاحسان للاصناف المذكورين وان الحامل له على ذلك اتصافه بهما والذي
يظهر لي ان تسلط هما غير هذا المساق الذي ذكروه وذلك انه تعالى لما امر بالاحسان
للاصناف المذكورة وكانت في العادة ان من اتصف بمكارم الاخلاق تجد في
نفسه خيلا وافتخارا بما صدر منه من الاحسان وكثيرا ما افتخرت بذلك
وتعاظمت به في نثرها ونظمها اراد الله تعالى ان ينبه على التحلي بصفة التواضع
وان لا يرى في نفسه شفوفا على من احسن اليه وان لا يفخر عليه الراغب
الخيلا التكبر عن تخيل فضيلة تراات للانسان من نفسه والفخر المباهاة
في الاشيا الخارجة عن الانسان كالجاه والمال الذين يبخلون
قيل لما امر تعالى بالاحسان الى من ذكر على سبيل اتباع امر الله بين ان من لا
يفعل ذلك قسمان احدهما البخيل الذي لا يقدم على انفاق المال
البتة حتى افرط في ذلك وامر بالبخل والثاني الذين ينفقون اموالهم
رئا الناس لا لغرض امر الله وطاعته وذم القسمين فاعقب الاول
بقوله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا واعقب الثاني بقوله ومن يكن
الشيطان له قرينا الراغب لم يرد البخل بالمال فقط بل بجميع ما فيه نفع
للغير والقراة البخل بضم البا وسكون الخا لغة الحجاز وبفتحها لغة اسد
وقري بفتح البا وسكون الخا لغة تميم والذين بدل من من وقيل من مختالا
وقيل صفة لمن وقيل خبرهم مقدر اي واعتدنا فيه التفات واصله اعد
قلبت الدال تا ومن يكن الشيطان ابو حيان لما ذكر تعالى من اتصف
بهذه الاوصاف الذميمة ذكر انها من نتايج مقارنة الشيطان ومخالطته
وملازمته للمتصف بذلك وقال الزمخشري يجوز ان يكون
وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم في النار ووقع الترقي في ذكر هذه
الاوصاف من الشديد للاشد وكان الله بهم عليما الطوفي مناسب لقوله
وماذا عليهم لو امنوا بالله الى اخره ولمناسبته توجيهان احدهما انهم لو امنوا
وانفقوا لما ضيعت لهم ذلك لاني اعلم بحالهم فاجازيهم عليه الثاني انهم
انما لم يؤمنوا وينفقوا لتعلق علم الله بانهم اشقيا لا يؤمنون وخلاف
معلوم الله محال ان الله لا يظلم مثقال ذرة ابو حيان مناسبتها
لما قبلها واضحة لانه تعالى لما امر بالاحسان ثم اعقب بذم البخل بين
ذكر في هذه عدله وجزاه على الحسنات والسيات وضرب مثلا لاخف الاشيا
وزن ذرة وذلك مبالغة عظيمة في التنزيه عن الظلم وقد قيل ان الذرة
لا وزن لها وانه امتحن ذلك فلم يكن لها وزن وقرا ابن مسعود مثقال
نملة الراغب المثقال ما يوزن به وان تك حسنة بالرفع والنصب
يضاعفها وفي قراة يضعفها قال ابو عبيدة ضاعف يقتضي مرارا كثيرة وضعف
يقتضي مرتين وقيل عكسه وقري نضاعفها بالنون على الالتفات
فكيف خبر محذوف اي حالهم اذا جينا فيه التفات من كل امة بشهيد فيه

حذف اى على امته يومئذ يود الاية تفسير للحال المذكور وعصوا الرسول
فيه التفات من الخطاب فى تك تسوى بهم الارض الكرمانى من باب القلب
لانهم ودوا ان يصيروا مثل الارض لان تصير الارض مثلهم والقراة تسوى
بالبنا للمفعول وتسوى بالبنا للفاعل بخفف السين ومشددها ولا يكتمون
الله حديثا قال الكرمانى متصل بالتمنى اى بعد ما نطقت جوارحهم وقيل
استيناف وفيه التفات يايها الذين امنوا ابو حيان مناسبة الاية لما قبلها
انه تعالى لما امر بعبادته والاخلاص فيها وبر الوالدين ومكارم الاخلاق
وذم البخل واستطرد منه الى شى من احوال القيامة وكان قد وقع من بعض
المسلمين تخلط فى الصلاة التى راس العبادة بسبب شرب الخمر ناسب
ان تخلص الصلاة من شوايب الكدر التى توقعها على غير وجهها فامر تعالى
باتيانها على وجهها دون ما يفسدها ليجمع بين اصلاح عبادة الحق ومكارم
الاخلاق التى بينهم وبين الخلق لا تقربوا الصلاة تطلق حقيقة على العبادة
المعروفة ومجازا على مواضعها وهى المساجد ومنه لهدمت صوامع وبيع
وصلوات فاطلقت هنا مرادا بها المعنيين على سبيل الاستخدام
فيخدم المعنى الاول وانتم سكارى ويخدم الثاني ولا جنبا
ولهذا عدل عن لا تصلوا مع اختصاره لان القربان هو المناسب
للمعنى الثانى مع ما يفيده من الابلغية بالنسبة الى المعنى الاول وقرى
سكارى بفتح السين وسكرى بالفتح والضم جموع الراغب السكر حالة
تعرض بين المرء وعقله واكثر ما يستعمل ذلك فى الشراب وقد يعترى من
الشراب والعشق ابو حيان السكر انسداد طريق التمييز وقد قيل ان المراد
هنا السكر من النوم وقيل من البول وهما بعيدان وجنب اسم جرى مجرى
المصدر يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث الراغب
سميت جنابة لكونها سببا لتجنب الصلاة فى حكم الشرع عابرى سبيل
الراغب اصل العبر تجاوز من حال الى حال فاما العبور فيختص بتجاوز الما
اما بسباحة او سفينة او على بعير او قنطرة من الغايط قرا ابن مسعود من
الغيط على انه مصدر اذ قالوا غاط يغيط او على ان اصله فيعل ثم حذف
كميت او لامستم القراة بالف ودونها فالاولى للجماع والثانية لما دونه
ابو حيان لما كان المرض والسفر ولمس النسا لا يختص الخطاب بها جاء على
سبيل الخطاب ولما كان قضا الحاجة يختص الخطاب به نزع به الى لفظ
الغايب بقوله او جاء احد مع الكناية عن الحاجة بالغايط وهذا من احسن
الملاحظات واجمل المخاطبات الزمخشرى فان قلت
كيف نظم فى سلك واحد بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين والجنبين
والمرض والسفر سببان من اسباب الرخصة والحدث سبب لوجوب
الوضوء والجنابة سبب لوجوب الغسل قلت اراد سبحانه ان يرخص
للذين وجب عليهم التطهر وهم عادمون للما فى التيمم بالتراب فخص اولا من

بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون فى استحقاق بيان الرخصة لهم
لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على ساير الاسباب الموجبة للرخصة ثم عمم
كل من وجب عليه التطهر واعوزه الما لخوف عدو او سبع او عدم الة
استقا وارهاق فى مكان لاما فيه او غير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض والسفر
ابو حيان هذا من باب الترقى من الاقل الى الاكثر لان حالة المرض
اقل من حالة السفر وحالة السفر اقل من حالة قضا الحاجة وحالة
قضا الحاجة اقل من حالة لمس المراة صعيدا الراغب الصعيد يقال
لوجه الارض وقيل يقال للغبار الذى يصعد من الصعود فامسحوا
بوجوهكم وايديكم قيل المراد الى المناكب لانه يدلولها لغة وقيل الى المرفقين
كما فى الوضوء وقيل الى الكوعين كما فى السرقة الكرمانى زاد فى المايدة
منه وتركها هنا لان هذه الاية مبنية على الاختصار فحسن الحذف
واية المايدة استوعبت جميع اقسام الطهارة فحسن الاثبات
لما فيها من افادة شرط فى التيمم وهو اتصال بعض التراب بالبدن وعبر
عن هذا بعضهم بان اية المايدة سيقت لبيان احكام الطهارة بطريق القصد
وهذه سيقت للنهى عن قربان الصلاة وذكر الطهارة فيها على وجه
التبع ان الله كان عفوا رحيما قال الزمخشرى كناية عن الترخيص
والتيسير لان من كانت عادته ان يعفوا عن الخاطيين ويغفر لهم
اثران يكون ميسرا غير معسر الطوفى هو مناسب لازالة المشقة باباحة
التيمم عن فقد الما الم تر الى الذين اوتوا ابو حيان هو عود الى قصة
الكفار التى كان الكلام فيها قبل الاستطراد نصيبا الراغب النصيب
الحظ المنصوب المعين يشترون الضلالة فيه استعارة ويريدون
ان تضلوا السبيل قرى تريدون بالفوقية خطابا للمومنين اى يريدون
ان تدعوا الصواب فى اجتنابهم وتحسبونهم غير اعدا وقرى تضلوا
بضم اوله من اضل وبالتخفيف مع فتح الضاد وكسرها وكفى بالله وليا
وكفى بالله نصيرا الطوفى مناسب لقوله والله اعلم باعدايكم اى فهو
يتولاكم وينصركم عليهم وفى هذه الجملة الانسجام حتى جات موزونة
ابن عيسى دخل البا فى كفى بالله وهو فاعل لانه كان يتصل اتصال الفاعل
وبدخولها اتصل اتصال المضاف واتصال الفاعل لان الكفاية منه
ليست من غير تضعيف لفظها المضاعفة معناها من الذين هادوا
قيل هو خبر حذف مبتداه الموصوف اى قوم يحرفون وقيل ان التقدير هم
من الذين عودا الى الذين اوتوا وقيل متعلق بنصيرا كقوله ونصرناه
من القوم وقيل باعدايكم وما بينهما اعتراض وقيل بيان للذين اوتوا وما
بينهما اعتراض الكلم قرى بكسر الكاف وسكون اللام وقرى الكلام
عن مواضعه فى المايدة من بعد مواضعه قال الزمخشرى اما عن مواضعه
فعلى معنى ازالته عن مواضعه التى اوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت

شهوانيتهم من ابدال غيره مكانه واما من بعد مواضعه فالمعنى انه كانت
له مواضع فهو قمن بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع
له بعد مواضعه ومقاره قال والمعنيان متقاربان وقال ابو حيان
الذي يظهر انهما سيقتان لمحيث وصفوا بشدة التمرد والطغيان واظهار
العداوة واشترايهم الضلالة ونقض الميثاق جا يحرفون الكلم عن مواضعه
الا ترى الى قوله ويقولون سمعنا وعصينا وقوله فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم
وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه فكانهم لم يتركوا الكلم
من التحريف عما يراد بها ولم تستقر في مواضعها فيكون التحريف بعد استقرار
بل بادروا الى تحريفها باول وهلة وحيث وصفوا ببعض لين وترديد
وتحكيم للرسول في بعض الامر جا من بعد مواضعه الا ترى الى قوله يقولون
ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا وقوله فان جاؤك
فاحكم بينهم او اعرض عنهم وكانهم لم يبادروا بالتحريف بل عرض لهم التحريف
بعد استقرار الكلم في مواضعها قال وقد يقال انهما شيئان لكنه حذف
هنا وفي اول المائدة من بعد مواضعه لان قوله عن مواضعه يدل
على انه تحريف عن مواضعه والاصل يحرفون الكلم من بعد مواضعه عنها
فحذف هنا البعدية وهناك عنها توسعا في العبارة وكانت البداءة بعن
لانه اخصر وفيه تنصيص باللفظ على عن وعلى المواضع واشارة الى البعدية
الكرماني انه عن اريد بها التحريف الاول قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم
وانه من بعد اريد بها تحريفهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وتعبيرهم
عن المنقول لهم بالتوراة بغير معين كانه قال من بعد ما عملوا به واعتقدوه
وتدينوا به كاية الرجم ونحوها فعن لما قرب من الامر وبعد لما بعد وقال
صاحب المناجاة فعل التحريف يعدى بعن وبمن واذا عدي بعن لا يراد
بعده بعد في كلام الفصيح واذا عدي بمن جاز بعده لفظ بعد فتقفى
في الكلام على الوجهين في الموضعين الراغب تحريف الشيء امالته
وتحريف الكلام ان تجعله على حرف من الاحتمال يمكن حمله على الوجهين
قلت ولهذا اردفه بقوله **ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع**
لان الجملة من كل محتملة للمحبوب والمكروه وكذا قوله **وراعنا** ولذا قال
ليا وهو القول باللسان خلاف ما في القلب **فلا يؤمنون الا قليلا** عبر
بالقلة عن العدم على حد قولهم ارض قل ما تنبت كذا وهي لا تنبته جملة
قاله ابن عطية وغيره **يا ايها الذين اوتوا الكتاب** ابو حيان لما رجاهم بقوله
ولو انهم قالوا خاطب من يرجى ايمانه منهم بالامر بالايمان وقرن الوعيد
البالغ ليكون ادعى لهم اليه ثم ازال خوفهم من سوء الكبائر السابقة بقوله
ان الله لا يغفر ان يشرك به الاية واعلمهم ان تزكيتهم انفسهم مما لم يزكهم الله به
لا ينفع الكرماني في غير هذه الاية وبالغ ثم ختم بالطمس ورد الوجوه على الادبار
واللعن فانها كلها واقعة بهم وقال صاحب المناجاة لما كان في الاية السابقة

نظر
على تزكيه

خطاب

خطاب المومنين بيا ايها الذين امنوا ناسب عقبه خطاب اهل الكتاب بيا ايها
الذين اوتوا الكتاب تتميما للمقابلة وجلبا لخواطرهم للاسلام وفي غيرها
لما لم يكن الامر كذلك خاطبهم بيا اهل الكتاب **بما نزلنا** فيه التفات
نطمس قرئ بضم الميم لغة ويستعمل متعديا ولازما الراغب الطمس ازالة
الاثر بالمحو والوجوه على حقيقتها او اريد بها العيون او الاعيان والرؤساء **او نلعنهم**
فيه التفات عن الخطاب قال ابو حيان ونكتته انه لما ناداهم كان ذلك
تشريفا لهم فالتفى اليهم الامر بالايمان بالخطاب ثم لما ذكر الوعيد اتى بوجوه
دون الخطاب والمعنى وجوههم ثم عطف عليه او نلعنهم فعدل الى الغيبة
لئلا يقابلنا بخبر ولا يشاب الخطاب بما يوحش فيكون ادعى الى القبول
وهذا من جليل المخاطبة وبديع المحاورة **وكان امر الله** فيه التفات
ولا يظلمون قرئ بالخطاب **فتيلا** الراغب الفتيل الخيط المفتول وسمي
ما يكون في شق النواة لكونه على هيئته وقيل هو ما تفتله بين اصابعك
من خيط او وسخ ويضرب به المثل في الشيء الحقير **انظر كيف يفترون** جيء
بالمضارع لدوام افترائهم واستمرارهم وجعل الزمخشري الافتراء مخصوصا
بالتزكية **وكفى به اثما مبينا** ابن عطية خبر في ضمنه تعجب ولو اذ علمت
البنا لتدل على معنى الامر بالتعجب ان يكتفي لهم بهذا الكذب اثما ولا يطلب
لهم غيره اذ هو موبق ومهلك **ويقولون للذين كفروا** اللام للتبليغ **فاذا
لا يؤتون الناس نقيرا** قرئ لا يؤتوا نقيرا قال الازهري الفتيل والنقير
والقطمير يضرب مثلا للشيء التافه الحقير قال ابو حيان وختمت تلك
الاية بفتيلا وهذه بنقيرا لوفاق النظير من الفواصل **ام يحسدون**
ابو حيان ذمهم بالحسد بعد البخل لما في كل من منع وصول الخير الى الغير ولما
كان الحسد شر الخصلتين ترقى اليه بعد البخل **الناس** هو من العام المراد به
الخصوص والمراد به هنا رسول الله صلى الله عليه وسلم **فقد اتينا** فيه التفات
فمنهم قيل الضمير لال ابراهيم وضمير به وعنه لابراهيم وقيل هم اليهود وبه
وعنه للنبي صلى الله عليه وسلم وفي الجملة احتمالات اي امن به فاتبعه وكذب
به وصد عنه وقرئ صد بالبناء للمفعول مضموم الصاد ومكسورها
نصليهم قرئ بفتح النون **بدلناهم** للتبديل تارة يكون في الذوات
وتارة في الصفات مع بقاء العين **ليذوقوا العذاب** عبر بالذوق المشعر
بالاحساس لانه ابلغ **ان الله** فيه التفات **كان عزيزا حكيما** الطوفي مناسب
لما في الاية اذ لا يقدر على تعذيب الخلق الا عزيز حكيم لان هذا العذاب تضمن
حكمة وهو تجديد جلودهم كلما نضجت ليذوقوا العذاب دائما **والذين امنوا**
ابو حيان لما ذكر وعيد الكفار اعقبه بوعيد المومنين واكد جملة الكفار
بان لتحقيق الوعيد ولم يحتج الى ذلك في جملة المومنين قلت
لانها معطوفة عليها فشاركتها في ذلك فكان حرف العطف مغنيا عن التصريح بمن
سندخلهم فيه التفات وقرئ بالتحتية في الفعلين ابو حيان عبر فيها بالسين

حاكم

الشعر، بتصرمدة التنفيس وفي تلك تسوف على سبيل تقريب الجزم المومنين
وتبشيره به **ظلا ظليلا** الراغب هو كناية عن غضارة العيش قال والظل ضد
الضح وهو اعم من الفي فانه يقال ظل الليل وظل الجنة ولكل موضع لم تصل اليه
الشمس ولا يقال الفي الا لما زال عنه الشمس ويعبر به عن المناعة والعزة
والرفاهة نحو انا في ظل فلان ومنه المتقين في ظلال هم وازواجهم في ظلال
ابومسلم الظليل القوي المتمكن قال ونعت الشي بمثل ما اشتق من لفظه يكون
مبالغة لقولهم ليل اليل وداهية دهيا ابن عطية اكد بقوله ظليلا اما لا متداد
او لكونه لا ينتقل بخلاف ظل الدنيا الامام انما قال ظلا ظليلا لان بلاد العرب
في غاية الحرارة فكان الظل عندهم من اعظم اسباب الراحة ولهذا المعنى جعل كناية
عن الراحة ووصف بالظليل مبالغة في الراحة الزمخشري ظليل صفة مشتقة
من لفظ الظل لتاكيد معناه كما يقال ليل اليل ويوم ايوم وهو ما كان لا جوب
فيه ودايما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة
وفي الاية عشر مقابلات كما يظهر بالتامل **ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى**
اهلها السبكي هي مناسبة لقوله الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
يومنون بالجبت والطاغوت الى اخره النازل في كعب ابن الاشرف ونحوه من
علما اليهود لما سالهم كفار مكة من اهدي سبيلا محمد واصحابه ام نحن فقالوا
انتم مع علمهم بما في كتابهم من نعت النبي صلى الله عليه وسلم المنطبق عليه واخذ
المواثيق ان لا يكتموا فكان ذلك امانة لازمة لهم ولا يودوها حيث قالوا للكفار
انتم اهدى سبيلا حسدا للنبي صلى الله عليه وسلم فناسب الامر بعده باداء
الامانات الى اهلها وان كانت الاية نازلة في شان مفتاح الكعبة لما تقرر
من ان مناسبة الترتيب يعتبر فيها الالفاظ ومعانيها لا سبب النزول وقري الامانة
بالافراد **واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا** قيل ان تحكموا معطوف على ان تودوا
فصل بينه وبين الواو العاطفة باذا ومدخوله **ان الله كان سميعا بصيرا**
الطوفي مناسب لاداء الامانة وحكم الحاكم وقصده قال ابوحيان سميعا لاقوالكم
الصادرة منكم في الاحكام بصيرا برد الامانات الى اهلها **يايها الذين امنوا**
الاية ابوحيان لما امر الولاة ان يحكموا بالعدل امر الرعية بطاعتهم **فان**
تنازعتم ابوحيان اصل المنازعة الجذب باليد ثم استعير للتنازع في الكلام
الم تر الى الذين يزعمون الاية ابوحيان لما امر المومنين بطاعة الله ورسوله
واولي الامر ورد الامر عند التنازع الى الله والرسول تعجب بعد ذلك
من حال من يدعي الايمان ويريد ان يتحاكم الى الطاغوت ويترك الرسول
الراغب الزعم حكاية قول يكون مظنة الكذب ولهذا جاء في القران
في كل موضع ذم القايلون وقال ابن دريد اكثر ما يقع على الباطل وذكر صاحب
العين ان الاحسن ان يوقع على ان وقري انزل بالبنا للفاعل في الموضعين
ان يكفروا به قري بها لان الطاغوت يذكر ويونث كما قال اجتنبوا الطاغوت
ان يعبدوها ويقع على المفرد والجمع كما قال اوليا وهم الطاغوت يخرجونهم **تعالوا**

قري

قري بضم اللام على حذف لام الكلمة وضم عينها لوقوع واو الجمع بعدها **رايت**
المنافقين عدل الى الظاهر لبيان حالهم **فكيف** خبر محذوف اي حالهم **وما**
ارسلنا فيه التفات ومناسبة الاية لما قبلها ظاهرة **باذن الله** فيه التفات
واستغفر لهم الرسول فيه التفات من الخطاب في جاوك تفخيما لشانه
الرسول وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان استغفاره من اسمه الرسول
من الله بمكان وعلى ان هذا الوصف الشريف وهو ارسال الله اياه موجب
لطاعته وعلى انه مندرج في عموم قوله وما ارسلنا من رسول الا ليطاع
الامام فايدة ضم استغفار الرسول الى استغفارهم انهم بتحاكمهم الى الطا غوت
خالفوا حكم الله واساوا الى الرسول فوجب عليهم ان يعتذروا ويطلبوا
من الرسول الاستغفار ولما لم يرضوا بحكم الرسول ظهر منهم التمرد
فاذا تابوا وجب ان يظهر منهم ما يزيل التمرد بان يذهبوا الى الرسول
ويطلبوا منه الاستغفار **لوجدوا الله توابا رحيما** الطوفي مناسب لما في
الاية لان المستغفر يحسن ظنه بالله فيجده عند ظنه به **فلا وربك**
فيه التفات الى الخطاب واضيف الرب الى النبي صلى الله عليه وسلم
تعظيما له ولا قيل رد لما تقدم اي ليس الامر كما تزعمون ثم استانف القسم
وقيل نافية قدمت على القسم اهتماما بالنفي ثم كررت توكيدا له وقيل
زايدة وقيل الثانية هي المزيدة والقسم مقرون بهن حرف النفي
والمنفي شم الاية قال مجاهد وغيره نزلت فيمن اراد التحاكم الى الطا
ورجحه الطبري لانه اشبه بنسق الايات وقد ورد في الصحيح انها
نزلت في قصة اخرى وذلك غير قادح في التناسق لان المناسبة يعتبر
فيها الالفاظ ومعانيها دون اسباب النزول كما تقدم تقريره **شجر** قري
بسكون الجيم ابوحيان استعير ما اشتبك وتضايق من الشجر للمنازعة
التي يدخل فيها بعض الكلام في بعض استعارة المحسوس للمعقول
حرجا اطلق اسم الحرج الذي هو من وصف الشجر اذا تضايق على الامر
الذي يشق على النفس للمناسبة التي بينهما وهو الضيق **ويسلموا تسليما**
ابوحيان اكد الفعل بالمصدر على سبيل صدور التسليم حقيقة وحسنه
كونه فاصلة **ولو انا كتبنا** فيه التفات **ان** يحتمل التفسيرية والمصدرية
الا قليل في قراءة بالنصب على اصل الاستثنا **واذن** الزمخشري هي جواب
عن سوال مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم ايضا بعد التثبيت فقيل
واذا لو ثبتوا لاتيناهم ابن عطية جاء ترتيب الاية هكذا ومعلوم
ان الهداية قبل اعطا الاجر لان القصد انما هو تعديد ما كان الله ينعم به عليهم
دون ترتيب **ومن يطع الله والرسول** فيه التفاتان في المعطوف
والمعطوف عليه ومدة الاية ايضا رعي فيها المناسبة في الترتيب باعتبار
الالفاظ ومعانيها وان كان لنزولها سبب اخر غير السبب السابق **من**
النبيين الى اخره فيه الابتدا بالاشرف فالاشرف وهكذا التفصيل مفسر لاجمال

قوله تعالى في الفاتحة صراط الذين انعمت عليهم وبه يعرف مناسبة ذكره هنا بعد
قوله ولهديناهم صراطا مستقيما وكانه قيل هذا الصراط المستقيم الذي
وعدنا بالهداية اليه هو طريق الذين انعم الله عليهم الى اخره **رفيقا** اي رفقا
وجاء مفردا اما لانه فعيل فيكون للمفرد والمثنى والمجموع بلفظ واحد مثل الخليط
والصديق واما الاطلاق المفرد في باب التمييز فارادة الجمع اكتفا وحسن
ذلك هنا كونه فاصلة **ذلك الفضل من الله** على تقدير سؤال
كانه قيل ما الموجب لكونهم معهم مع وضوح الفرق بينهم فاجيب بان ذلك
فضل من الله ونعمته **وكفى بالله عليما** اي بالفضل من يستحقه قاله الطوفي
قال ابن عطية فيه معنى ان تقول فسلموا فضله وتفضله من الاعراض
عليه واكتفوا بعلمه في ذلك وغيره ولذا دخلت الباء **يا ايها الذين امنوا**
الاية ابو حيان مناسبتها لما قبلها انه لما ذكر طاعته وطاعة رسوله
وكان من اهم الطاعات احياء دينه امر بالقيام به بالجهاد **خذوا حذركم**
الراغب اي ما فيه الحذر من السلاح وغيره والحذر احترازا من مخيف
ابو حيان الحذر والحذر بمعنى واحد ولم يسمع في هذا التركيب الاخذ حذرك
لا اخذ حذرك ويقال اخذ حذره اذا احترز من المحذر كانه قال
الحذر الته التي يتقي بها ويعتصم **فانفروا** قرئ بضم الفا في الموضعين
ابو حيان نفر الرجل خرج مجدا واصله الفزع **ثبات** جمع ثبة وهي الجماعة
المنفردة قاله الراغب وقيل الاثنان والثلاثة وقيل ما فوق العشرة
ليبطئن الراغب البطؤ تاخر الانبعاث عن السير يقال بطؤ وتباطأ
واستبطأ وابطأ فبطؤ اذا تخصص بالبطؤ وتباطأ تكلفه واستبطأ
طلبه وابطأ صار ذا بطاءة ويقال بطاه وابطاه وقوله ليبطئن اي
يثبط غيره وقيل يكثر هو التثبط في نفسه والقصد بذلك ان مثله من تاخر
ويوخر غيره وقرئ ليبطين بالتخفيف اما من اللازم او من المتعدي
فضل من الله ليقولن قرئ بضم اللام على معنى الجمع **كان لم يكن بينكم وبينه**
مودة معترض بين القول ومقوله وقال الماتريدي على التقديم
والتاخير وهو متصل بقوله قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا
وكذا قال الزملكاني هو منظوم به لانه موضع الشماتة الامام هو اعتراض
في غاية الحسن لان من احب انسانا فرح عند فرحه وحزن عند حزنه فاذا
قلب القضية فذلك اظهار للعداوة فحكى تعالى عن المنافقين سروره
وقت نكبة المسلمين ثم لما حكى حزنه عند دولة المسلمين التي قبل تمام
الكلام هذه الجملة للتعجب وزاد في حسنه كون ما بعده فاصلة
فافوز قرئ بالرفع عطفا على كنت او استئنافا **فليقاتل** لما امر باخذ الحذر
والنفر واستطرد الى حال من يبطئ عاد مصرحا بالامر بالقتال ثم وعد عليه
بالاجر العظيم واكتفى عن حالتي المقاتل بالغاية لان غاية المغلوب
ان يقتل وغاية الذي يقتل ان يغلب وبدا بالاولى لانها اشرف وقرئ

ليقاتل

ليقاتل بكسر اللام وبسكونها ويقتل بالبنا للفاعل ويونيه بالتحتية وفيه على القراة المشهورة
التفات **وما لكم لا تقاتلون** استفهام وحث وتحريض **في سبيل الله** فيه التفات
والمستضعفين عطف على الجلالة اي وسبيل المستضعفين وقيل على سبيل
اي وفي المستضعفين اي وفي خلاصهم وقرئ بحذف الواو اما على اضمارها
او على البدل من سبيل الله **الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا**
يقاتلون في سبيل الطاغوت فيه طباق والقصد بهذه الجملة تشجيع
المؤمنين وتحريضهم لان من قاتل في سبيل الله حري ان يغلب ولذا قال
فقاتلوا اولياء الشيطان وفيه حذف اي فانكم تغلبونهم لقوتكم بالله ثم
علل هذا المحذوف بقوله **ان كيد الشيطان كان ضعيفا** ودخلت كان تاكيدا
بان هذا الوصف سابق لكيد الشيطان وانه لم يزل ضعيفا **الم تر الاية**
لما امر بالقتال ذكر من جبن عنه **او اشد خشية** فيه ما تقدم
في قوله او اشد ذكرا **لولا اخرتنا الى اجل قريب** زاد ابن مسعود في قراءته
فنموت حتف انفنا ولا نقتل فيسر بذلك الاعداء **ولا تظلمون** بالتحتية
وبالفوقية وفيه التفات **يدرككم** قرئ بالرفع قال ابن جني على حذف
الفا الجواب **بروج** هي هنا القصور والحصون وفي سائر القران بروج
السماء الراغب يحتمل هنا ان يراد بروج الارض وان يراد بروج النجوم ويكون
استعمال لفظ المشيدة فيها على سبيل الاستعارة والمشيدة قيل المطولة
وقيل المبنية بالمشيد وهو الجص وقرئ بكسرها وصفا لها بفعل فاعلها
مجازا كما قالوا قصيدة شاعرة وانما الشاعر ناظمها **وان تصبهم** ان كان الضمير
الى من الكلام فيهم ففيه التفات ان لم تكن جمل الخطاب من مقول القول
وان كان لغيرهم وهو الاشبه ففيه الانتقال من حديث
المؤمنين الى حديث المنافقين ويؤيده سبب النزول **فمال هؤلاء**
استفهام تعجب وبالغ تعالى في قلة فهمهم حتى نفى عنهم مقاربة الفقه
التي نفيها ابلغ من نفي الفعل **ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك**
من سيئة فمن نفسك الكرماني ان قيل كيف صح هذا التقسيم وقد سبق
قل كل من عند الله قيل الحسنة والسيئة في هذه هي الحسنة والسيئة
في الاولى الراغب طعن بعض الملحدة في هذه الاية وقال ان فيها تناقضا
وهو ظاهر الوهي لان الحسنة والسيئة من الالفاظ المشتركة وقد اريد بهما
في الاولى غير ما اريد في الثانية وقيل القول مقدر اي يقولون
ما اصابك وقيل همزة الاستفهام مقدرة في الثانية على وجه الانكار
اي او ما اصابك من سيئة فمن نفسك على حذو ذلك نعمة هذا ربي وفي
مصحف ابن مسعود وانا قضيتها عليك وقرا ابي وانا قدرتها عليك وقراءة
ابن عباس وانا كتبتها وقال بعضهم لا فرق بين من عند الله ومن الله
انما من عند الله ام يقال فيما يرضاه ويسخطه وفيما يحصل وقد امر به ونهى
عنه ولا يقال هو من عند الله الا فيما يرضاه ويامر به والخطاب قيل عام

لكل مخاطب وقيل للرسول والمراد غيره وقيل للفريق في قوله اذا فريق منهم
وفي كتاب جزء الغلاصم لشبيب ابن حديرة ان قوله ما اصابك دون ما اصبت
للاشعار بان الله هو الفاعل للسيئة والحسنة جميعا وقري فمن نفسك بفتح الميم
وزعم السين استفهام انكار اي فمن نفسك حتى تنسب اليها فعل المعنى ما للنفس
في السيئة فعل **وارسلناك** فيه التفات **وكفى بالله شهيدا** فيه التفات
اخر الطوفي هو مناسب لقوله وارسلناك للناس رسولا لان الكفار انكروا
كونه رسولا وطالبوه بمن يشهد له **من يطع الرسول** فيه التفات من الخطاب
فما ارسلناك فيه التفاتان في نا والكاف **ويقولون طاعة** اي امرنا **بيت**
طايفة قري بيت مبيت الاصمعي كل امر قضي بليل فقيل بيت وقال عبيدة
التبييت التبديل بلغة طي **تقول** قيل الضمير لطايفة وقيل للرسول وقري
بالتحتية اما للطايفة على معنى الفريق واما للرسول التفاتا **والله يكتب**
فيه التفات من التكلم في ارسلناك **وكفى بالله وكيلا** الطوفي مناسب
لما في الاية من حكاية كيدهم **افلا يتدبرون** قري يدبرون ابو حيان
التدبر تامل الامر والنظر في ادباره وما يؤول اليه عاقبته ثم استعمل
في كل تامل الكرماني التدبر تصرف القلب بالنظر في العواقب
والتفكر تصرف القلب بالنظر في الدلايل **ولو كان من عند غير الله لوجدوا**
فيه اختلافا كثيرا فيه النوع المسمى بالمذهب الكلامي والاحتجاج النظري
والمراد اختلاف التناقض والتباين لا اختلاف التلاوم **واذا جاءهم امر من**
الامن او الخوف فيه جناس وطباق **اذاعوا** الاذاعة اظهار الشي وافشاؤه
يقال ذاع يذيع واذاع يتعدى بنفسه وبالبا **ولو ردوه الى الرسول**
فيه التفات **يستنبطونه** الراغب هو استعارة من انبط الما اخرجه
من الارض ابن النقيب لاح في ان في الاية حذفا وتقديما وتاخيرا وان هذا
الكلام متعلق بالذي قبله مردود اليه والتقدير افلا يتدبرون
القران ولو تدبروه لعلموا انه من كلام الله ولا اشكل عليهم من متشابهه
لو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه
منهم يعني لعلم معنى ذلك المتشابه الذي يستنبطونه منهم من اهل العلم
بالكتاب الا قليلا وهو ما استاثر الله به من علم كتابه ومكنون خطابه ثم قال
فاذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به والذي حسن لهم ذلك وزينه
الشيطان ثم التفت الى المؤمنين فقال ولولا فضل الله عليكم ورحمته
لاتبعتم الشيطان الا قليلا وقد اشار الى شي من هذا ابو طالب المكي
في كتابه قوت القلوب فقال ان قوله الا قليلا متصل بقوله لعلمه الذين
يستنبطونه منهم وقيل بقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته على تاويل
ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما اتبعوا الشيطان لا تبعتم الشيطان
الكرماني الا قليلا قيل متصل باتبعتم وقيل باذاعوا به وقيل بعلمه الذين
يستنبطونه ويمكن حمله على كل ضمير جمع سبق في الاية انتهى والخطاب في

قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته للمومنين باتفاق قاله ابن عطية ففيه تلوين
الخطاب **فقاتل** خاطب الرسول بعد خطاب المومنين عودا الى الامر بالقتال
بعد الاستطراد **لا تكلف** قري بالجزم على جواب الامر وقري بالنون على الالتفات
وحرض الراغب التحريض الحث على الشي بتزيينه وتسهيل الخطب فيه كانه في
الاصل ازالة الحرض وهو الفساد نحو قذيته ومرضته اي ازلت عنه المرض
والقذى واحرضته افسدته كاقذيته جعلت فيه الاذى **تنكيلا** ابو حيان
التنكيل الاخذ بانواع العذاب وترديده على المعذب **من يشفع الاية** قال
قوم من يكن شفعا لوتر اصحابك في الجهاد يكن له نصيب من الجهاد او من يشفع
وتر الاسلام بالمعونة للمسلمين قال ابو حيان والجاهم الى هذا التاويل
ما بعده من ذكر القتال والامر به قال والكفل النصيب والتصيب في الخير
اكثر استعمالا والكفل في الشر الزمه في الخير ولذا عبر بالنصيب
في الحسنة وبالكفل في السيئة وهو مستعار من كفل البعير وهو كساء يدار
على سنمه ليركب عليه وسمي كفلا لانه لم يعم الظهر الراغب
الكفل الحظ الذي فيه الكفاية وهو في الاية مستعار من الكفل وهو الشي
الردي واشتقاقه من الكفل لانه لما مركبا يعسر ارتكابه صار مستعارا
في كل شدة ومعنى الاية من ينضم الى غيره معينا له في فعله حسنة يكن له
منها نصيب ومن ينضم الى غيره معينا له في سيئة ينال منها شدة وقيل
الكفل المكفل به ان من تحرى شرا فله من فعله كفيل يسلمه كما يقال
من ظلم فقد اقام كفيلا بظلمه تنبيها على انه لا يمكنه التخلص من عقوبته
انتهى **وكان الله على كل شي مقيتا** الطوفي مناسب لما في الاية لان المقيت الشاهد
الحفيظ او المقتدر وكل مناسب لانه سبحانه يشهد الشفاعة
ويحفظها ويقدر على اجزائها **بتحية** الازهري التحية بمعنى الملك وبمعنى
البقا ثم صار بمعنى السلام الراغب التحية ان يقال حياك الله اي جعل لك
حياة وذلك اخبار ثم يجعل دعا ويقال حي فلان فلانا تحية اذا قال له ذلك
واصل التحية من الحياة ثم جعل كل دعا تحية لكونه جميعه غير خارج
عن حصول الحياة او سبب حياة اما الدنيا او الاخرة **ان الله كان على كل شي**
حسيبا الطوفي مناسب لما في الاية لان الحسيب المحاسب المجازي فهو سبحانه
يجازي الاتي بالتحية والراد والتارك لها لكن بحسبه **الله لا اله الا هو**
ابو حيان لما ذكر انه على كل شي حسيب تلاه بالاعلام بوحدانية الله والحشر
والبعث من القبور للحساب **الى يوم القيامة** ابو حيان القيامة والقيام
واحد ودخلت الها للمبالغة لشدة ما يقع فيه من الهول **ومن اصدق**
من الله حديثا تذييل الطوفي مناسب لما اخبر به من الجمع **اركسهم** الراغب
الركس قلب الشي على راسه ورد اوله الى اخره وعبارة ابي حيان رد
اخره على اوله وقري ركسهم مخففا ومشددا ثلاث لغات الراغب
الركس والنكس الرد والركس ابلغ من النكس لان النكس ما جعل اسفله اعلاه

واركس اصله مارجع رجيعا بعد ان كان طعاما فهو كالرجس وصف اعمالهم به كما قال
انما المشركون نجس واركسه ابلغ من ركسه كما ان اسقاه ابلغ من سقاه ف
تكونون الا ملكا في ليس جوابا للتمني ولذا رفع بل هو منسوق على تنا ويل ودوا
لو تكفرون ودوا لو انكم تكونون سوا او نظيره ود الذين كفروا الى قوله فيميلون الا
الذين يصلون استثنا من قوله فخذوهم حصرت صدورهم حال باضمار قد وقيل
صفة اي قوم حصرت وقيل دعا عليهم ويويد الاول ما قري حصرة وحصرات
وحاصرات وقري حصرة بالرفع خبر صدورهم قدم وفي مصحف ابي اسقاط ف
او جاوكم بيان ليصلون او بدلا او استيناف او صفة بعد صفة لقوم فلقاتلوكم
قيل جواب ثان للو وقري فلقتلوكم مخففا ومشددا السلم قري بسكون اللام
مع فتح السين وكسرها ستجدون اخرين لما ذكر صفة المحقين في المتاركة
المجدين في القاء السلم نبه على طايفة اخرى مخادعة يريدون الاقامة
في مواضعهم مع اهليهم ابن عطية تامل فصاحة هذا الكلام حيث ساقه في الاية
المتقدمة سياق ايجاب الاعتزال وايجاب القا السلم ونفي المقاتلة اذ كانوا
محقين في ذلك معتقدين له وساقه في هذه الاية سياق نفي الاعتزال
ونفي القا السلم اذ كانوا مبطلين فيه مخادعين والحكم سوا على السياقين
لان الذين لم يجعل عليهم سبيلا لو لم يعتزلوا لكان حكمهم حكم الذين جعل عليهم
السلطان المبين وكذلك الذين جعل عليهم السلطان اذا لم يعتزلوا لو اعتزلوا لكان
حكمهم حكم الذين لا سبيل عليهم ابوحيان لما كان امر الفرقة الاولى اخف
رتب تعالى انتفاجعل السبيل عليهم على تقدير سببين وجود الاعتزال
والقا السلم ولما كان امر هذه الفرقة المخادعة اشد رتب اخذهم وقتلهم
على ثلاثة اشيا نفي الاعتزال ونفي القا السلم ونفي كف الايدي كل ذلك على
سبيل التاكيد في حقهم والتشديد وقري ردوا بكسر الرا وركسوا مخففا
ومشددا وما كان لمومن ابوحيان لما رغب في مقاتلة الكفار ذكر بعد ذلك
ما يتعلق بالمحاربة ومنه ان يظن شخصا حربيا وهو مسلم فيقتله الا خطا
استثنا منقطع وقري بالمد بوزن سما وبالقصر بوزن عصا رقبة الراغب
هي اسم للعضو المعروف ثم يعبر به عن الجملة وجعل في التعارف
اسما للمماليك كما عبر بالراس عن السادة وبالظهر عن المركوب الا ان يصدقوا
قري بالفوقية على الخطاب التفاتا وبها مخففا على حذف احدى التايين
وتصدقوا بالتحتية وجا بلفظ التصدق تنبيها على فضيلة العفو وحضا
عليه انه جار مجرى الصدقة في استحقاق الثواب من قوم عدو لكم اي في
قوم بدليل قوله وهو مومن ووقع في الاية تقديم الاشرف فالاشرف
وهو المومن المهاجر ثم المومن الذي لم يهاجر ثم الذمي وكان الله عليما حكيما
مناسب لما في الاية من احكام قتل الخطا والتكفير بالعتق والصوم لان ذلك
التفصيل يستدعي علما وحكمة منفذا كما سبق في فاصلة اية الوصية ومن يقتل
مومنا الاية لما ذكر قتل الخطا ذكر مقابله وهو قتل العمد يا ايها الذين امنوا اذا

لما ذكر من قتل مومنا متعمدا وما رتب عليه من الوعيد امر المومنين بالتثبت
والتبين وان لا يقدم الانسان على قتل من اظهر الايمان بتا وبل صعيف ولما
كان خفا ذلك منوطا بالغزوات رتبه عليه فتبينوا القراة من التثبت
ومن التبين قيل والتاني ابلغ من الاولى لان المتثبت قد لا يتبين وقل
ما يكون التبين الا بعد تثبت الفارسي المراد بالتثبت التاني وهو اشد اختصاصا
بهذا الموضع السلام بالف ودونها وقري بسكون اللام مع كسر السين وفتحها
فتبينوا كرر للتاكيد اهتماما بهذا الامر وتعظيما لحرمة القتل ان الله قري
بفتح ان معمولة لتبينوا كان بما تعملون خبيرا مناسب لما في الاية اعلمهم انه خبير
بعملهم وقصدهم وهل جهادهم في سبيله او طلب عرض الدنيا وفيه الاشارة
الى المجازاة لا يستوي القاعدون الاية عود الى قصة الجهاد بعد الاستطراد
وفي التعيين بنفي الاستوا ايهام على السامع وهو ابلغ من تحري المنزلة
التي بين القاعد والمجاهد لان المتامل يستعمل فكره ولا يزال يتخيل الدرجات
بينهما غير اولي الضرر بالنصب استثنا والرفع صفة القاعدون وقري
بالجر صفة المومنين فضل الله المجاهدين تفسير لنفي الاستوا درجة الكرماني
قال هنا درجة وفي الاية الثانية درجات لان الاولى في الدنيا هي الغنيمة
والثانية في الجنة وقيل الاولى بالمنزلة والثانية بالمنزل وهو الجنة ودرجاتها
وقيل الاولى على القاعدين بعذر والثانية على القاعدين بغير عذر الزمخشري
فان قلت ـــــــ قد ذكر الله مفضلين درجة ومفضلين درجات
قلت الاولون الذين فضلوا على القاعدين الاضرا والاخرون الذين فضلوا على
القاعدين الذين اذن لهم في التخلف اكتفا بغيرهم لان الغزو فرض كفاية الطاربي
ليس مدلول درجة مخالفا لمدلول درجات بل هما سوا في المعنى قال تعالى وللرجال
عليهن درجة لم يرد بها شي واحد بل اشيا وكررا للتفضيل للتاكيد والترغيب
في الجهاد وكلا قري بالرفع على الابتدا اي كلهم درجات بدل من اجرا وكان الله غفورا
رحيما الطوفي تقرير للوعد بالمغفرة الجزية بالاتصاف بالمغفرة الكلية ان
الذين توفاهم الملايكة الاية هي في الهجرة ولها اعتلاق بالجهاد ابوحيان لما ذكر
ثواب من اقدم على الجهاد واتبعه بعقاب من قعد عن الجهاد وسكن في بلاد
الكفر وقري توفاهم بضم التا مضارع وفيت الا المستضعفين الاية فيه
الترقي من الضعيف الى الاضعف لا يستطيعون بيان للاستضعاف
حيلة وكان الله غفورا رحيما د
من باب تقرير الجزي بالكلي كما تقدم مراغما الراغب رغم انف فلان وقع
في الرغام وهو التراب وارغمه غيره ويعبر بذلك عن السخط وارغمه ساخطه
ثم تستعار المراغمة للمنازعة ومراغما كثيرا اي مذهبا يذهب اليه اذا راي
منكرا يلزمه ان يغضب منه ابوحيان المراغمة مكان المراغمة وهو ان يرغم
كل من المتنازعين لحصوله في منعه انف صاحبه بان يغلبه على مراده يقال
راغمت فلانا اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه وقري مرغما على

الزوايد وقدم مراغمة الاعدا على سعة العيش لان الابتهاج برغم انوف الاعدا اسوء
معاملتهم اشد من الابتهاج بالسعة **ثم يدركه** قرئ بالرفع على اضمار المبتدا وبالنصب
على اضمار ان **وكان الله غفورا رحيما** اي لما اكتسب قبل من وجه مهاجرا بتقاعده
عن الهجرة وغيره **واذا ضربتم في الارض** فيه استعارة الضرب للسير ووجه ربط
الاية انه لما امر بالجهاد والهجرة وكان ذلك يلزم عنه السفر والخوف ذكر ما يتعلق
بهما من تخفيف امر الصلاة من القصر والرخصة في كيفية صلاة الخوف والامر
بحمل السلاح فيها **فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين
كفروا** ظاهره ان الخوف شرط في اباحة القصر وليس مرادا كما دل عليه حديث
الصحاح قيل وهو احد المواضع التي وقع فيها صيغة الشرط ولا مفهوم له لموافقته
الواقع اذ ذاك لقوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغا ان اردن تحصنا وبعولتهن احق
بردهن في ذلك ان ارادوا اصلاحا قيل هذا من الموصول المفصول وان الكلام
تم عند من الصلاة وقوله ان خفتم ابتدا حكم صلاة الخوف ويويد ذلك ما ورد
في سبب النزول فاخرج ابو جرير من حديث علي قال سال قوم من بني النجار
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله انا نضرب في الارض فكيف نصلي
فانزل الله واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ثم
انقطع الوحي فلما كان بعد ذلك بحول غزا النبي صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر
فقال المشركون لقد امكنكم محمد واصحابه من ظهورهم هلا شددتم عليهم فقال
قايل منهم ان لهم اخرى مثلها في اثرها فانزل الله بين الصلاتين ان خفتم ان يفتنكم
الذين كفروا الى قوله عذابا مهينا فنزلت صلاة الخوف فتبين بهذا الحديث
ان قوله ان خفتم شرط فيما بعده وهو صلاة الخوف لا في صلاة القصر وقد
قال ابن جرير هذا تاويل حسن لو لم يكن في الاية اذا قال ابن الفرس ويصح مع
اذا على جعل الواو زايدة قلت يعني ويكون من اعتراض الشرط على الشرط
واحسن منه ان تجعل اذا زايدة بنا على قول من يجيز ذلك وقال ابن الزملكاني
في اسرار التنزيل مما نصه قيل تمت القصة عند قوله من الصلاة ثم افتتح ذكر
قصة صلاة الخوف بلا واو عطف ومن هذا النوع وربك يخلق ما يشا ويختار
وتمت ثم قال ما كان لهم الخيرة ولو اتى بالواو لاتضح الانفصال ومنه قالت
امراة العزيز الان حصحص الحق الى قوله من الصادقين ثم قولها وقوله ذلك ليعلم
الى اخره من كلام يوسف **فان قلت** لم ختمت الاية بقوله ان الكافرين كانوا لكم
عدوا مبينا قلت من عادتهم ان يفتتحوا الخبر باسم شي ثم يعرض وصفه
ثم اذا فرغ من الوصف رجع الى جواب ما ابتداوا به لقوله ووصينا الانسان
بوالديه حسنا ثم اخذ في وصف الانسان فقال حملته امه وهنا على وهن
ثم نظر به فصلا اخر فقال وفصاله في عامين وانما ذكر ذلك ليبين وجوب
حق الوالدة ثم لما فرغ من ذلك رجع الى مبتدا الخبر فقال ان اشكر لي ولوالديك
وقوله واذا كنت فيهم شرط اخر جي بذكر قبل مجي جواب الشرط الاول في الفصل
المتقدم ونظيره فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فالقصة الاولى

في قصر الصلاة الى المنتهى الذي يليته ويعضد ذلك قوله بعدما انقضا قصة
القصر فاذا اطماننتم ضد السفر والحركة على حد الا بذكر الله تطمين القلوب
اي تسكن لانه شرع القصر بعلة السفر والاتمام عند زواله ولو شرعه بالسفر
والخوف لقال فاذا اطماننتم وامنتم فاقيموا الصلاة لان ضد الخوف الامنه
وضد السفر الطمانينة وليس ضد الخوف الطمانينة لانه قال الذين اذا ذكر
الله وجلت قلوبهم فكيف يمدحهم على ذهاب خوفه مع انه مدح الطمانينة
فقال الا بذكر الله تطمين القلوب فكيف يتبع المدح والذم معا على الخوف وذهابه
انتهى ومن في من الصلاة تبعيضية وقيل زايدة وقرى تقصروا رباعيا وقرى
مشددا وقرا ابي وابن مسعود من الصلاة ان يفتنكم باسقاط ان خفتم
فلتقم قرى بالتحتية وفيه مع فاقمت جناس **طايفة منهم معك** فيه اكتفا
اي وطايفة وجاه العدو **وليأخذوا** ضميره لطايفة وقيل للجميع ويوافق
ضميريهم ولهم وما بعده **فاذا سجدوا** ضميره للطايفة **فليكونوا من وراكم**
ضميره قيل للطايفة الاخرى التي دل عليها السياق وقيل للطايفة الساجدة
على معنى اذا فرغوا من السجود وانتقلوا الى الحراسة فكانوا من وراكم **وليأخذوا
حذرهم واسلحتهم** ابو حيان جمع بينهما في الاخذ كانه جعل الحذر آلة يتحرز
بها كما يتحرز بالاسلحة لقوله تبوءوا الدار والايمان جعل الايمان مستقرا لتمكنهم
فيه **واسلحتكم** قرئ وامتعاتكم **فيميلون** استعارة للحمل في الحرب
وخذوا حذركم اي في الحالة التي رخص فيها في وضع السلاح **ان الله اعد للكافرين
عذابا مهينا** قال الزمخشري الامر بالحذر من العدو يوهم توقع غلبته واعتزازه
فنفى عنهم ذلك الايهام باخبارهم ان الله يهين عدوهم ويخذلهم وينصرهم
عليه لتتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحذر ليس كذلك وانما هو تعبد
من الله كما قال ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة **فاذا قضيتم الصلاة**
اي فرغتم من ادايها **فاذكروا الله** قال ابو حيان هو نظير ما امروا به
من الذكر عند قضا المناسك بالتهليل والتسبيح والدعا في قوله فاذا
قضيتم مناسككم فاذكروا الله **فاذا اطماننتم فاقيموا الصلاة** اي ادوها
تامة بحدودها **كتابا موقوتا** المرتبط موقوته مراعاة للكتاب
فانه مذ ذكر الامام اجمل فيها ذكر الاوقات وفرقها في ايات خمسا وتوفيتها باوقات
خمسة في اية الحس نظرا الى المعقولات لان الحواس لها مراتب خمس مرتبة
الحدوث ومرتبة الوقوف ومرتبة الكهولة وفيها نقصان خفي ومرتبة
الشيخوخة والخامسة ان تنقى اثاره بعد فوته مدة ثم يمحي وهذه المراتب
حصلت للشمس بحسب طلوعها وغروبها فاوجب الله عند كل مرتبة من احوالها
الخمس صلاة **ولا تهنوا** الاية نزلت في انصراف الصحابة من احد فهو متصل
بقوله فما لكم في المنافقين فئتين مع ما قبله بعد الاستطراد والمراد
بابتغا القوم طلبهم الذي توجه اليه الرسول بعد وقعة احد وقد وقع ذكره
في اخر قصة احد من ال عمران وبذلك يعرف اعتلاق هذه السورة بما قبلها

وان وضعه بعدها انسب من وضعه قبلها لان قصة احد هناك مستوفاة من اولها
الى اخرها والمذكور منها في هذه السورة ذيلها ولواحقها فهو بالمتاجر اليق وقيل
انها في الجهاد مطلقا فهي متصلة بقوله المر تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم
الى قوله فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس الايات النازلة
في الحض على القتال الى قوله وحرض المومنين ومن هنا وقع الاستطراد وهذا عود
اليه وقرئ تهنوا بفتح الهاء لغة وقرئ تواني الاهانة نهوا عن ان يقع منهم جبن
فيترتب عليه اهانة ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون
من الله ما لا يرجون نوع من الاحتجاج النظري للزمهم الحجة بان ما فيهم من الالم
مشترك ويزيدون على الكفار برجا الثواب والنصر من الله وهم لا يرجونه
ومع ذلك لا يجبنون ولا يهنون عن قتالكم فانتم اولى ان لا تجبنوا ولا تهنوا وفي
تالمون ترديد والرجا هنا على بابه وقيل بمعنى الخوف وقرئ ان تكونوا بفتح
ان تعليلية ونهاهي فان فيه التصريح بعلة الوهن واول الاحتجاج للنهي عنه
فانهم وقرئ يتالمون بكسر تاء المضارعة وهي لغة وكان الله عليما حكيما
الطو في مناسب لما قبله لان تفصيل صلاة الخوف يستدعي العلم والحكمة
وايضا فانه نبههم على علته من محاسن الحكمة وهو ان الالم مشترك بينهم وبين
عدوهم وفضلوا بانهم في الجنة وعدوهم في النار انا انزلنا فيه التفات
الكرماني اجمع المفسرون على ان هذه الاية نزلت في ابن ابيرق لما سرق
درع قتادة ابن النعمان الا ابن الجوزي فانه قال نزلت في المنافقين وهي متصلة
بقوله فما لكم في المنافقين فئتين انتهى وقال ابو حيان مناسبة الاية لما قبلها
انه تعالى لما صرح باحوال المنافقين واتصل بذلك امر المحاربة وما يتعلق
به من الاحكام الشرعية رجع الى احوال المنافقين وانهم خانوا الرسول
على ما لا ينبغي فاطلعه الله على ذلك قلت وقصة نزول الاية اخرجها الترمذي
والحاكم وغيرهما وفيها ان الذي سرق الدرع بشير ابن ابيرق من المنافقين و
فصح قول من قال انها نزلت في المنافقين اي في طايفة منهم وصح ايضا لها
بقصة المنافقين اراك الله فيه التفات للخائنين اي لاجلهم خصيما اي محاجا
مجلببا بمعنى مجالس واستغفر الله اي من لومك لقتادة في تهمة الذي
سرق بغير بينة وهو صادق فيما اتهم كذا ثبت مفسرا في الحديث
وهو بطوله في اسباب النزول وفي التفسير المسند والا فصلة مناسبة
للامر بالاستغفار ولا تجادل عن الذين يختانون عام يندرج فيه اصحاب
النازلة ويتقرر به توبيخهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما قال ابو حيان
اتى بصيغة المبالغة فيها ليخرج من وقع منه ذلك المرة ومن صدر منه
على سبيل الغفلة وعدم القصد وقدم صفة الخيانة لمناسبة اول الاية
ولانها سبب الاثم خان فاثم ولتوافق الفواصل يستخفون الاية فيها طباق
الايجاب والسلب وهو معهم فيه مع المجاز التتميم ونكتة المبالغة في
تقطيع ما فعلوه لان حيا الانسان ممن يصحبه اكثر من حيائه وحده محيطا مناسب

لاستخفايهم

لاستخفايهم ها انتم خطاب للفية التي جادلت من السارق وبرأته عند النبي صلى الله
عليه وسلم حتى لام قتادة ففيه انتقال من خطاب النبي الى خطاب الامة عنهم قراءة
ابن مسعود عنه اي عن السارق فمن استفهام بمعنى النفي ومن يعمل سوءا او يظلم
نفسه ظاهر العطف التغاير فقيل الاول الصغيرة والثاني الكبيرة وقيل الاول
المتعدي الى الغير والثاني القاصر على النفس اخذا بظاهر الاية قال الامام وخص
السوء بالمتعدي الى الغير لما فيه من الضرر والضرر سوء حاضر بخلاف ظلم
النفس فانه ليس ضررا حاضرا وقال ابن عطية هما بمعنى من عطف المرادف
كرر مبالغة ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما في لفظة يجد لطيفة كان
الغفران والرحمة معدان لطالبهما مهيان له متى طلبهما وجدهما ومن يكسب
اثما هو جامع للسوء وظلم النفس السابقين والاية اشارة الى الجزا اللاحق
له في الاخرة وختمها بصفة العلم لانه يعلم ما تكسب كل نفس ثم بصفة الحكمة
لانه واضع الاشيا موضعها فيجازي على ذلك الاثم ما تقتضيه حكمته فالصفتان ن
اشارة الى علمه بذلك الاثم والى ما يستحق فاعله وفي على دلالة على استعلا
الاثم عليه واستيلايه وقهره ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريا
مناسب للقصة لان بشيرا السارق رمى بها لبيد بن سهل وهو بري منها
كما في حديث نزولها والخطيئة للصغيرة والاثم للكبيرة او للقاصر والمتعدي
وقال ابن جرير الخطيئة تكون عن عمد وعن غير والاثم لا يكون الا عن عمد
وقيل هما بمعنى من عطف المرادف كرر مبالغة وضميره الى الاثم
لان العطف باو وهو يفرد فيه الضمير تارة يعود الى المعطوف
كما هنا وتارة الى المعطوف عليه كما في تجارة او لهوا انفضوا اليها وقيل هو
عايد الى الكسب المفهوم من يكسب وقيل على المجموع تنزيلا له منزلة ذ
الاشارة وقرئ يكسب بالتشديد والاصل يكتسب احتمل ابلغ من حمل كاقتدر
ابلغ من قدر اشير به الى ثقل الوزر الذي حمله ثم فيه استعارة ما للاجرام
للمعاني بهتانا واثما فيه لف ونشر غير مرتب فان البهتان راجع الى رميه والاثم
راجع الى كسبه والمعنى انه يستحق عقابين عقاب الكسب وعقاب البهت
همت فيه حذف اي هما يوثر عندك والا فقد هموا حقيقة وفي يضلون ويضرون
جناس وانزل الله عليك الكتاب والحكمة ختم القصة بمثل ما ابتداها
به من انزال الكتاب والاراة التي هي بمعنى الحكمة وهي مفسرة بالسنة وان
اريد بها ما تضمنه الكتاب ففيه تجريد على حد مررت بالرجل الكريم والنسمة
المباركة جرد منه وصف وعطف عليه كانه غيره لا خير في كثير من نجواهم
قال ابن عطية الضمير عايد الى الناس اجمع وجاءت هذه الايات
عامة عقيب قصة اصحاب النازلة فاندرجوا فيها قال وهذا من باب الايجاز
والفصاحة لكون الماضي والغابر يشملهما عبارة واحدة انتهى والنجوى المسار
والواحدي ولا تكون الا بين اثنين وقال الزجاج النجوى ما تفرد به
الجماعة او الاثنان سرا كان او ظاهرا وتطلق النجوى على القوم المتناجين من باب

الوصف بالمصدر وقال الكرماني جمعا لنجي والامران محتملان هنا فعلي الثاني لا
عتاج الاستثنا الي تقدير وعلي الاول تقدير الانجوي من امر والمعروف
اما عام في كل بر فيند رج فيه الصدقة والاصلاح وافردا بالذكر اهتماما بهما
او خاص وعلي كل جمعت الثلاثة جميع وجوه الخير اللسانية من نشر العلم وفصل
الحكم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والدلالة علي سبيل الخيرات
والذكر والدعا واغاثة الملهوف ونصر المظلوم الي غير ذلك نوتيه بالنون
ففيه التفات وبالياء فلا التفات في قوله ومن يشاقق الرسول الاية هي ايضا
نازلة في السارق لما ارتد ولحق بمكة واوردت مورد العموم كالاية التي قبلها
وفيها مع ذلك ملاحظة الاسلوب القراني من الجمع بين ذكر الثواب
والعقاب والنعيم والعذاب وما للطايعين وما للعاصين وجا يشاقق بالفك
هنا وفي الانفال وبالادغام في الحشر استعمالا للغتين وجات اللغة الفصحي
متقدمة في سورتين وفي الادغام في الحشر مناسبة للماضي المبدو به الاية
فانه مدغم لا محالة ويتبع غير سبيل المومنين هي تاكيد للجملة قبلها للتلازم مشاقة
الرسول واتباع غير سبيل المومنين نوله ما تولي قال ابن عطية وعيد
بان يترك مع فاسد اختياره وقري بالياء فيه وفي نصله وقري نصله بفتح
النون من صلاه ان الله فيه التفات لا يغفر ان يشرك به الاية ختمت
بقوله فقد ضل ضلالا بعيدا لانها نازلة في الذي ارتد وختمت السابقة
اول السورة بقوله فقد افتري اثما عظيما لانها في اهل الكتاب الذين بدلوا وحرفوا
وافتروا علي الله ما لم ينزله اوهذه في المشركين مطلقا ويندرج فيها المذكور
علي احد الايات قبلها ولذا قال بعدها ان يدعون من دونه الا اناثا وهي
الاصنام والجمادات المسماة باسما مونثة كاللات والعزي ومناة وقري الا
اوثانا جمع وثن وقري الا وثنا بالافراد والا اثنا كذلك بابدال الواو همزة
والا وثنا بضمتين جمع كسقف وقري الا انثا بتقديم النون جمع اناث
كثمار وثمر وقيل جمع انيث وقيل المراد بالاناث ضعاف عاجزون لا قدرة لهم
يقال انت في امرك لان والانيث من الرجال الضعيف وسيف انيث غير قاطع
وقري تدعون بالخطاب علي الالتفات وان يدعون الا شيطانا لا تعارض
في الحصرين لان دعا الاصنام ناشي عن دعايهم الشيطان والمراد بالدعا الاول
العبادة وبالثاني الطواعية ففيه جناس تام وقال الرماني هو مثل وما
رميت اذ رميت فنسبة دعايهم الاصنام علي سبيل المجاز واما في الحقيقة فهم
يدعون الشيطان مريدا من مرد عتا وعلا في الحداقة وتجرد للغواية
وقال الرماني اصله التملس ومنه شجرة مردا اي ملسا نتاثر
ورقها وغلام امرد والمارد الذي لا يعلق بشي من الفضايل لعنه الله يحتمل
الخبر والدعا ولما ذكر الشيطان استطرد الي حال تتعلق به فحكي طايفة من اقواله
بقوله وقال لاتخذن من عبادك الي قوله خلق الله وصف متبعيه
وهم العباد الذين اتخذهم نصيبه بالخسران بقوله ومن يتخذ الشيطان الاية

واخر

يعدهم

واخبر عن صنعه باتباعه بيانا لخسرانهم بقوله ومن يتخذ الشيطان الاية واخبر ان
وعده غرور وباطل ثم توعد متبعيه بقوله اولئك ماواهم جهنم الاية
ثم لما وصف حال متبعي الشيطان وما لهم الي العذاب ذكر حال من خالفه واتبع الله
ورسوله وما لهم الي الجنة وذكر ان ذلك وعد من الله حق صادق في مقابلة
وعد ابليس لاوليايه بالغرور والباطل فقال والذين امنوا الاية فانظر الي تلاحم
ختم هذه الايات وتناسقها ومناسبة ارتباطها وجملها والفاظها والنكت الشوارد
والقطع وبتد للتكثير والتغيير اعم من التبديل ولا يعارض ما هنا قوله لا تبديل
لخلق الله لان ذاك خبر بمعني النهي وشمل التغيير المثلة والوشم والوصل والنماص
والخصا وساير وجوه التغيير وقري ابي واضلهم وامنيهم وامرهم ابو حيان
قال ومن يتخذ الشيطان وليا في مقابلة لاتخذن من عبادك لانه
لما استطفاهم لنفسه فكانهم قبلوا ذلك الاتخاذ وانفعلوا له فاتخذوه وليا
وفي سندخلهم التفات وقري بالياء وفي وعد الله التفات علي القراة المشهورة
ومن اصدق استفهام بمعني النفي والجملة اريد بها تاكيد حقيقة الوعد من الله
في مقابلة مواعيد الشيطان المختلفة واما نيه الكاذبة وهي المسماة في البديع
بالتذييل ليس باما نيكم ولا اماني اهل الكتاب مناسب لذكر تمنية الشيطان
لاوليايه لان امانيهم ناشية عن تمنيته الزمخشري اسم ليس ضمير وعد الله
ينال بالاماني والخطاب للمسلمين وقيل للمشركين وقال غيره الضمير عايد علي الايمان
المفهوم من امنوا كما ورد ليس الايمان بالتمني وقال ابو البقا الضمير عايد الي غير
مذكور وانما دل عليه سبب نزول الاية وهو ما اخرجه

ولا يجد قري بالرفع علي القطع ومن يعمل الاية من الاولي
للتبعيض والثانية للتبيين يدخلون بالبنا للفاعل وللمفعول
ولا يظلمون الضمير عايد الي اقرب مذكور وهو المومنون وقيل الي الفريقين
ومن احسن دينا الاية

ولله ما في السموات الاية لما تقدم ذكر عامل السو وعامل الصالحات اخبر بعظيم
ملكه واحاطته بجميع خلقه ومجازاة الاعمال شرها وخيرها الطوفي قوله وكان الله
بكل شي محيطا مناسب لاول الاية لان من ملك شيا فلا بد وان يحيط به علما
وقدرة ليصح تصرفه فيه وقصد الي التصرف فيه ويستفتونك في النسا قال
ابو حيان مناسبة الاية لما قبلها علي منهيع العرب من كلامها انها تكون في امرهم
ثم تخرج منه من شي الي شي ثم تعود الي ما كانت فيه اولا وهكذا القران يبين فيه
احكاما تكليفية ثم يعقب بالوعد والوعيد والترغيب والترهيب ثم يعقب
ذلك بذكر المخالفين المعاندين الذين لا يتبعون تلك الاحكام ثم بما يدل
علي كبريا الله وجلاله ثم يعاد لتبيين ما تعلق بتلك الاحكام السابقة وقد عرض
هنا في هذه السورة ان بدا باحوال النسا والمواريث وذكر اليتامي ثم ثني بذكر

بذكر شي من ذلك في هذه الاية ثم ختم اخر السورة بذكر شي من المواريث ايضا ولما
كانت النسا مطرحا امرهن عند العرب في الميراث وغيره وكذلك اليتامى اكد الحديث
فيهن مرارا ليرجعوا عن احكام الجاهلية انتهى الراغب الفتيا والفتوى الجواب عما يشكل
من الاحكام ابو حيان معنى الافتا اظهار المشكل على السايل واصله من الفتى وهو
الشاب الذي قوي وكمل كان المفتي بدبيانه ما اشكل يثبت ويقوي وما يحتمل الرفع
عطفا على اسم الله او الضمير المستتر في يفتيكم على انه ايضا يفتيهم والمراد بالكتاب
على هذا القران وبما يتلى فيه الايات التي من صدر السورة فالمضارع في الجملتين
بمعنى الماضي او مبتدا خبره في الكتاب والمراد به اللوح المحفوظ لقوله وانه في ام
الكتاب فالجملة معترضة والنصب باضمار فعل اي ويبين لكم ما يتلى لدلالة يفتيكم
عليه والجر على ان الواو للقسم او عطفا على ضمير فيهن المجرور من غير اعادة الجار
واختاره ابو حيان وقال التقدير يفتيكم في متلوهن وفي متلو اليتامى كانه
قال يفتيكم فيما سالتم عنه من امر النسا وفيما لم تسالوا عنه من امر اليتامى
يتامى النسا قري بيامى النسا بيايين على ان الاصل ايامى جمع ايم وهي من لا زوج
لها ابدل من الهمزة يا ما كتب قري كتب الله وترغبون ان تنكحوهن يحتمل تقدير
في وعن فالاية مجملة والقولان في التفسير والمستضعفين عطف على يتامى
النسا وان تقوموا محله جر عطفا على مجرور او نصب على تقدير ويامركم او رفع
على الابتدا والخبر محذوف اي خير لكم وما تفعلوا الاية ابو حيان لما امر بالعدل
والانصاف والقيام بالقسط في امر النسا واليتامى عقبه بعام وهو ان من فعل
خيرا ما جوزي عليه الطوفي فان الله كان به عليما مناسب لقوله وما تفعلوا من
خير اي فانه يعلمه فيجازيكم عليه وان امراة خافت الاية لما امر بالعدل في النسا
ومن جملة العدل في القسم رخص في تركه اذا اتصلا لحا عليه والخوف هنا على بابه
او بمعنى العلم او الظن والاعراض اخف من النشوز والقراة يصالحا بالتشديد
والاصل يتصالحا ويصلحا بالتخفيف من اصلح بوزن اكرم وقري يصلحا بالتخفيف
من صالح ويصلحا بالتشديد والاصل يصطلحا وقرا ابن مسعود ان اصالحا ما بينهما
والاصل تصالحا والصلح ليس مصدرا للشي من هذه الافعال فاما ان يكون
مصدرا بحذوف الزوايد او اسما لما يصلح به كالعطا والكرامة مع اعطيت
واكرمت فنصبه باسقاط الجار اي بشي يصلحان عليه والصلح خير
جملة عامة في كل صلح او خاصة بالمذكور فاللام للعهد وخير قيل للتفضيل اي من
الفرقة وقيل هو الاسم لا تفضيل فيه واحضرت الانفس الشح هذا من باب المبالغة
جعل الشي كانه شي معد في مكان واحضرته الانفس وسيقت اليه ولم يات
واحضر الانفس الشح فيكون مسوقا الى الانفس بل الانفس سيقت اليه لكون
الشح مجبولا عليه الانسان ومركوزا في طبيعته ابن فارس الشح بخل مع حرص
وكذا قال الراغب وقال ابن عطية الشح الضبط على المعتقدات والارادة
وفي الهم والاقوال ونحو ذلك مما افرط فيه ففيه بعض المذمة وما
صار الى حيز الحقوق الشرعية وما تقتضيه المروة فهو البخل وهو رذيلة لكنها

قد تكون في المومن واما الشح ففي كل احد ويدل عليه واحضرت الانفس الشح ومن
يوق شح نفسه اثبت لكل نفس شحا وفي الحديث ان تصدق وانت صحيح شحيح ولم يرد
به واحد بعينه وليس يحسن ان يقال فيه وانت صحيح بخيل ابو حيان اصل الوضع
ان الشح للمنع والحرص للطلب واطلق كل على الاخر لانه سببه الزمخشري جملة والصلح
خير اعتراضية وكذا واحضرت الانفس الشح ومعنى احضار الانفس الشح ان الشح
جعل حاضرا لها لا يغيب عنها ابدا ولا ينفك عنه يعني انها مطبوعة عليه والغرض
ان المراة لا تكاد تسمح بقسمها والرجل لا يكاد يسمح بان يقسم لها اذا رغب عنها
واحب غيرها قال ابو حيان فجعل الامرين من باب القلب وقري الشح بكسر الشين
لغة وان تحسنوا ندب تعالى الى الاحسان في عشرة النسا والتقوى في حالهن
لان الرجل قد تحمله بغض الزوجة على اذايتها والاساة في حقها لا سيما وقد ظهرت منه
امارات النشوز والاعراض وختم الاية بصفة الخبر وهي علم ما يلطف ادراكه
ويدق لانه قد يكون بين الزوجين من خفايا الامور ما لا يطلع عليه الا الله
ولا يظهر عليه احد من بني ادم ولن تستطيعوا الاية لما امر تعالى بالاحسان
في عشرة النسا والتقوى فيها خصص ذلك بما يقدر الانسان عليه من القسم
والانفاق ونحو ذلك وميز ذوه فيما لا يملكه من المحبة والميل وارشده الى انه
مع ذلك لا يجوز عليها في شي مما يقدر عليه بل يقسم لها او يتبع لها ما تراضيا
عليه من ترك القسم لكن بحيث لا يعطلها و يميل عليها في ترك القسم جملة كل الميل
فتصير كالمعلقة التي هي لا ذات بعل ولا مطلقة وضمير فتذروها راجع الى
المميل عنها المفهومة من فلا تميلوا وهو منصوب او مجرور وقرا ابن مسعود كانها
معلقة وقرا ابي كالمسجونة وان تصلحوا اي بترك كل الميل الذي لم يلزم منه
الافساد فان الله كان غفورا رحيما لما لا تملكونه من المحبة ولا تستطيعونه
من العدل فيها وقال ابو حيان ختمت تلك بالاحسان وهذه بالاصلاح لان
الاولى في مندوب اليه اذ له ان لا يحسن وان يشح ويصالح وهذه في لازم اذ ليس
له ان لا يصلح بل يلزمه العدل وان يتفرقا اي الزوجان المذكوران
في قوله وان امراة خافت من بعلها اي وان شح كل منهما ولم يصطلحا وتفرقا بطلاق
وقري يتفارقا اي يفارق كل صاحبه وكان الله واسعا حكيما الواسع غاية في
الغنى والقدرة والعلم وساير الكمالات والختم به مناسب لقوله من سعته
وضم اليه وصف الحكيم لان السعة ما لم تكن معها الحكمة كانت الى العبث اقرب
منها للاصلاح قاله الراغب وقال الطوفي الميل اثر العشرة اذا وقع بين الزوجين
ترجح جانب الفرقة فكانت الفرقة هي المصلحة بمقتضى الحكمة وخوف الغاية
والحاجة عليها لا تعارض المصلحة لان الرزق على الله فهو ياتيهما مجتمعين و متفرقين
ولله ما في السموات وما في الارض لما ذكر تعالى سعة رزقه وحكمته ذكر ان له ملك
ما في السموات وما في الارض فلا يتعاصى عليه غنى احد ولا التوسعة عليه لان من
له ذلك هو الغني المطلق ولقد وصينا الى اخره يعني ان الوصية بالتقوى هي سنة الله
في الامم الماضية فلستم مخصوصين بهذه الوصية وراعى في التقدم سبق الزمان

ان تحتمل المصدرية والتفسيرية **وان تكفروا** اما خاص بهذه الامة او عام لهم ولمن
قبلهم وغلب المخاطب اي على تقدير وقلنا لكم ولهم ان تكفروا **فان لله ما في السموات**
وما في الارض اي فهو غني عن عبادتكم ولا يضره كفركم ولذا ختم بقوله **وكان الله غنيا**
اي عن عبادة العابدين وغيرهم فهو نظير قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين
وضم اليه **حميدا** اي مستحقا لان يحمد لكثرة نعمه وان كفرتموه انتم **ولله ما في السموات**
وما في الارض وكفى بالله وكيلا ابن عطية تكرر قوله ولله ما في السموات وما في الارض
ثلاث مرات بحسب السياق فالاول تنبيه على موضع الرجا لهذين المفترقين والثاني
تنبيه عن استغنائه عن العباد والثالث مقدمة للوعيد وقال الراغب
الاول للتسلية عما فات والثاني ان وصيته لرحمته لا لحاجته وانهم ان كفروا
لا يضروه شيا والثالث دلالة على كونه غنيا وقال الرازي الاول
تقرير كونه واسع الجود والثاني للتنزيه عن طاعة المطيعين والثالث لتقرير قدرته
على الافنا والايجاد والغرض منه تقرير كونه قادرا على مدلولات كثيرة فيحسن
ان يذكر ذلك الدليل على كل واحد من مدلولاته وهذه الاعادة احسن واولى
من الاكتفا بذكر الدليل مرة واحدة لانه عند اعادة ذكر الدليل يحضر في الذهن
ما يوجب العلم بالمدلول وكان العلم الحاصل بذلك المدلول اقوى واجل
فظهر ان هذا التكرير في غاية الكمال وقال مكي نبهنا اولا على ملكه وسعته
وثانيا على حاجتنا اليه وغناه وثالثا على حفظه لنا وعلمه بتدبيرنا وقال
ابن جرير فان قيل ما وجه تكرار قوله ولله ما في السموات وما في الارض في ايتين
احداهما في اثر الاخرى قلنا لاختلاف معنى الخبرين عما في السموات والارض وذلك
ان الخبر عنه في احدى الايتين ذكر حاجته الى باريه وغنى باريه عنه وفي الاخرى
حفظ باريه اياه وعلمه به وتدبيره قال فان قيل افلا قيل وكان الله غنيا حميدا
وكفى بالله وكيلا قيل ليس في الاية الاولى ما يصلح ان يختم بوصفه معه
بالحفظ والتدبير وقال الطوفي قوله وكفى بالله وكيلا مناسب لاول الاية
لان من ملك السموات والارض فهو قيم بما وكل اليه ورعاية ما وكل اليه **ان يشا**
يذهبكم ايها الناس قال ابو حيان الظاهر ان الخطاب به لمن تقدم له الخطاب
قبل وقيل للكفار وهو تهديد لهم اي ان يشا يهلككم كما اهلك من كفر قبلكم
وقال ابن جرير الخطاب للذين شفعوا في امر طعمة ابن ابيرق وسرقته
الدرع **ويات باخرين** اي بدلكم من جنسكم وقال ابن عطية او من غيركم كالملايكة
فيكون وعيدا لجميع بني ادم ورده ابو حيان بان مدلول اخر في اللغة هو
مدلول غير خاصا بجنس من تقدمه نحو مررت بزيد واخر معه او بامراة
واخرى معها واشتريت فرسا واخر فلا يجوز ان يكون اخر في الامثلة من جنس
ما تقدم قال وهذا هو الفرق بين غير وبين اخر لان غيرا يقع على المغاير مطلقا
في جنس او صفة نحو اشتريت فرسا وغيره يجوز ان يكون الغير فرسا وان يكون
غير فرس كثوب وحمار قال وقل من يفرق هذا الفرق **وكان الله على ذلك قديرا**
مناسب لاول الاية لان اهلاك الخلق وانشا بدلهم لا بد فيه من قدرة قاله الطوفي

ج

من كان يريد ثواب الدنيا وذلك من جملة اسباب الكفر الذي تقدم في قوله
وان تكفروا فعرف وجه الارتباط ولذلك جعل جواب هذا الشرط قريبا من جواب
ذلك الشرط حيث قال **فعند الله ثواب الدنيا والاخرة** اي فهو المالك لثواب
الدارين كما هو المالك لما في السموات والارض فهو الغني عن عبادة خلقه وهم
الفقرا اليه من اراد منهم ثواب الدنيا ومن اراد منهم ثواب الاخرة قال الراغب
هذا تبكيت لمن اقتصر على احدى الثوابين مع كون من بيده الامر مالكا لهما وحث
على ان يطلب منه تعالى كل شي خصوصا الافضل والاسنى وقال ابو حيان الذي
يظهر ان جواب الشرط محذوف اي فلا يقتصر عليه وليطلب الثوابين فعند الله
الى اخره **وكان الله سميعا بصيرا** الطوفي الختم بهما مناسب لما في الاية لان ارادة
الثواب تتضمن قولا وهو طلبه وسواله وذلك يناسبه السمع وقصدا
ونية وذلك يناسبه البصر ان جعل بمعنى العلم وهيئة وحالا عند السوال
ويناسبه صفة البصر بمعنى الابصار **يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط**
شهدا لله قال ابن جرير هو بسبب واقعة ابن ابيرق وقيام من
قام في امره بغير القسط فعرف بذلك وجه المناسبة وقال ابو حيان مناسبتها
لما قبلها انه تعالى لما ذكر النسا والنشوز والمصالحة اعقبه بالقيام
لادا حقوق الله وفي الشهادة حقوق الله او انه لما ذكر طالب الدنيا وان
عنده ثواب الدنيا والاخرة بين ان كمال السعادة ان يكون قول الانسان
وفعاله لله او انه لما ذكر في صدر السورة وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى
والاشهاد عند دفع اموال اليتامى اليهم وامر ببذل النفس والمال في سبيل الله
وذكر قصة ابن ابيرق واجتماع قومه على الكذب والشهادة بالباطل وندب
الزوجين الى المصالحة اعقب ذلك بان امر عباده المومنين بالقيام بالعدل
والشهادة لوجه الله واتى بصيغة المبالغة في قوامين حتى لا يكون منهم جور
ما ومعنى شهدا لله اي لوجه الله لا يراعى في الشهادة في الحقوق غيره قال
ابو حيان وقدمت صيغة قوامين بالقسط على شهدا لله لان القيام بالقسط
اعم والشهادة اخص الكرماني علق هنا بالقسط بقوامين ولله بشهدا وعكس
في المايدة قوامين لله شهدا بالقسط لان الخطاب هناك للولاة فامرهم
بالقيام لله بدليل قوله ولا يجرمنكم شنان قوم وهنا للشاهدين فامرهم
باداء الشهادة لله بدليل ولو على انفسكم او الوالدين ولو تشهدون عليهم ابن جماعة
لما تقدم هنا الامر بالقيام لليتامى بالقسط والعدل بين النسا ناسب
تقديم القسط وهو العدل اي كونوا قوامين بالعدل بين الازواج وغيرهم
واشهدوا لله لا للمراعاة نفس او قرابة واية المايدة جاءت بعد احكام تتعلق
بالدين والوفا بالعهود والمواثيق واوامر ونواه فناسب تقديم لله لنا
اي كونوا قوامين بما امرتم او نهيتم لله واذا شهدتم فاشهدوا بالعدل
لا بالهوى ولو هنا لاستقصا احوال الشهادة وتقدم الاعم فالاعم وكنى بالشهادة
على النفس عن الاقرار لانه في معناها **ان يكن غنيا او فقيرا** جواب الشرط محذوف

اي فليشهد عليه وثني الضمير في بهما وان كان المعروف في العطف باو الافراد
على ارادة جنس الغني والفقير اي بالاغنياء والفقراء ويؤيده قراءة ابي وقراءة
ابن مسعود غني او فقير بالرفع على ان يكن تامة فلا تتبعوا الهوى لما امر تعالى بالقيام
بالعدل وبالشهادة نهى عن اتباع الهوى وحظوظ النفس ان تعدلوا على تقدير
كراهة او لئلا لان كان من العدل بالحق او ارادة ان كان من العدول
عنه قولان وان تلووا بواوين من لي اللسان بالشهادة وهو تحريفها وبواو
واحدة على حذف الاخرى بعد نقل حركتها تخفيفا او من الولاية اي ان وليتم
اقامة الشهادة او اعرضتم عنها فان الله كان بما تعملون خبيرا اي بعملكم عدلا وجورا
فيجازيكم عليه بحسبه ولما كان تحريف الشهادة والاعراض النفسية من الامور
الباطنة ناسبه صفة الخبير الذي هو ادراك ما خفي ودق يا ايها الذين امنوا الاية
ابو حيان مناسبتها لما قبلها انه تعالى لما امر المؤمنين بالقيام بالقسط والشهادة
لله بين انه لا يتصف بذلك الا من كان راسخ القدم في الايمان بالاشياء المذكورة
في الاية امنوا اي دوموا على الايمان فهو امر بالاستمرار في المستقبل والكتاب
الذي انزل من قبل بمعنى الكتب والقراءة نزل وانزل بالبنا للفاعل والمفعول
قال الزمخشري وانما قال نزل على رسوله وانزل من قبل
لان القران نزل مفرقا بخلاف الكتب قبله وكتبه قرئ وكتابه ان الذين امنوا
الاية لما امر بالايمان بما تقدم وذكر ان من كفر بها او ببعض منها فقد ضل
عقب ذلك بفساد طريقة من كفر بعد الايمان ووعيده قال ابو حيان والظاهر
انها في المنافقين اذ هم المتلاعبون بالدين بحيث لقوا المؤمنين قالوا امنا
وحيث لقوا اصحابهم قالوا انا معكم ولذلك قال بعده بشر المنافقين الايات
وكذا قال القفال ليس المراد بيان هذا العدد بل المراد ترددهم بين الكفر
والايمان كما قال مذبذبين بين ذلك ويدل عليه قوله بشر المنافقين وفائدة
المجيء بلام الجحود في لم يكن الله ليغفر لهم الدلالة على انهم محتوم عليهم بانتفاء
المغفرة وهداية السبيل وانهم يقرر عليهم ذلك في الدنيا وهم احياء كما ان الفرق
بين قولك لم يكن زيد يقوم ولم يكن ليقوم ان الاول ليس فيه الا انتفاء
القيام والثاني فيه انتفاء الارادة الاتيان للقيام ويلزم من انتفاء ارادة
القيام نفي القيام وفي بشر استعارة تهكمية الذين نعت او منصوب
على الذم او رفع خبرهم مقدرا فان العزة دخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط
اي ابتغوا وقد نزل عليكم الخطاب لمن اظهر الايمان من مخلص ومنافق وقيل
للمنافقين الذين تقدم ذكرهم على النفاق والقراءة بالتشديد مبنيا للفاعل
وللمفعول وقرئ بالتخفيف مبنيا للفاعل وقرئ انزل مبنيا للمفعول
والاشارة بذلك الى قوله في سورة الانعام واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا
الاية وذلك يسمى في البديع معهم اي مع الكافرين والمستهزئين الدال
عليه الفعل حتى يخوضوا في حديث غيره هذه الجملة موزونة على افاعيل بحر والضمير
عائد لما دل عليه المعنى اي غير حديثهم الذي هو كفر واستهزاء او غير الكفر والاستهزاء

وافرد

وافرد الضمير اجري له مجرى الاشارة انكم اذا مثلهم زاد هذه الجملة على اية الانعام
النازلة بمكة لعجز المسلمين اذ ذاك عن الانكار وضعفهم فلم يبالغ في وعيدهم ومجيء
الجملة على اية الانعام النازلة بمكة لعجز المسلمين اذ ذاك عن الانكار وضعفهم
فلم يبالغ في وعيدهم وهذه مدنية نزلت والمسلمون قادرون على الانكار فسوى بين
السامع والقائل في الافراد والمطابقة في مثل جائزان لغة وما هنا من الاول
وكذا انؤمن لبشرين مثلنا ومن الثاني ثم لا يكونوا امثالكم وحور عين كامثال اللؤلؤ
وقرئ مثلهم بفتح اللام على البناء لاضافته الى مبني كقوله انه لحق مثل ما انكم تنطقون
ان الله الاية وعيد حذر به من مجالستهم وموالاتهم الذين بدل من الذين يتخذون
فان كان الخ سمى سبحانه ظفر المسلمين فتحا تعظيما لهم وجعله منه مبالغة
في تعظيمه وظفر الكافرين نصيبا ولم ينسبه اليه تحقيرا وتخسيسا لما نالوه من
المؤمنين لانه حظ دنيوي يصيبونه مرة ثم تكون الدائرة عليهم نستحوذ
هو من الافعال التي جاءت مصححة على خلاف القاعدة ونمنعكم قرئ بالنصب
على اضمار ان بعد واو الجمع وقرا ابي ومنعناكم فالله يحكم بينكم فيه حذف
اي وبينهم او تغليب للمخاطبين والمقصود بهذه الجملة تسلية المؤمنين وتانيسهم
كسالى قرئ بفتح الكاف لغة تميم وكسلى كسكرى يراءون قرئ يرءون بهمزة
مضمومة مشددة بوزن يدعون قال ابن عطية وهو اقوى في المعنى من يراءون
لان معناها يحملون الناس على ان يروهم ويتظاهرون لهم بالصلاة وهم
يبطنون النفاق مذبذبين حال من فاعل يراءون الراغب المذبذب حكاية
صوت الحركة للشيء المعلق ثم استعير لكل اضطراب وحركة اي مضطربين
مائلين تارة الى المؤمنين وتارة الى الكافرين فحقيقة الذبذبة الاضطراب
بحيث لا يبقى على حال والتردد بين الامرين وقرئ بكسر الذال
الثانية اسم فاعل وقرئ بفتح الميم والذالين على اتباع الميم للذال وقرئ متذبذبين
وقرئ مدبدبين بالدال المهملة من الدبة وهي الطريقة بين فيه مع ما قبله
الجناس المتوح ذلك اشارة الى حالتي الكفر والايمان كما قال عوان بين
ذلك قال ابن عطية واشار اليه وان لم يتقدم له ذكر لتضمن الكلام له كقوله
حتى توارت بالحجاب كل من عليها فان لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء جملة حالية
او مفسرة لمذبذبين والجار متعلق بمنسوبين مقدرا واحدى الاشارتين
للمؤمنين والاخرى للكافرين يا ايها الذين امنوا لما كان هذا الوصف من اوصاف
المنافقين وتقدم ذمهم بذلك نهى الله المؤمنين عنه لان الانصار كان لهم
في اليهود رضاع وحلف ومودة وقال القفال هذا نهي للمؤمنين عن موالاة
المنافقين يقول قد بينت لكم اخلاق هؤلاء المنافقين فلا تتخذوا منهم اولياء وقال
ابن عطية خطاب للمؤمنين يدخل فيه بحكم الظاهر المنافقون المظهرون للايمان
ففي اللفظ رفق بهم وهم المراد بقوله اتريدون لانه يشعر بالالمام بالفعل والمؤمنون
حقا لم يلموا به ويقويه قوله من دون المؤمنين سلطانا مبينا السلطان يذكر
بمعنى البرهان قال ابن عطية وهو اشهر وبه جاء القران ويؤنث بمعنى الحجة

بدل المومنين

قال القفال وهو اكثر عند الفصحا وانما اختير تذكيره في الوصف لانه فاصلة له
الدرك الراغب الدرك كالدرج لكن الدرج يقال اعتبارا بالصعود والدرك
اعتبارا بالحدور ولهذا قيل درجات الجنة ودركات النار ولتصور الحدور في النار
سميت هاوية والقراءة بفتح الراء وسكونها لغتان في المفرد وقيل الساكن مفرد والمفتوح
جمع دركة كبقرة وبقر وذكر وصفه لان اسم الجنس الجمعي يجوز تذكيره وتانيثه الا الذين
تابوا الاية شرط في توبتهم تقابض اوصافهم الذميمة السابقة فالاصلاح في مقابلة
فساد الاعمال كالتكاسل في الصلاة وقلة ذكر الله والاعتصام بالله في مقابلة اتخاذهم
الكافرين اوليا لابتغائهم العزة عندهم والاخلاص في مقابلة ريا الناس وحكم لهم بعد
تحصيل هذه الاوصاف جميعها بانهم مع المومنين ولم يحكم عليهم بانهم المومنون او من عليهم
المومنين وان كانوا قد صاروا مومنين تنفيرا لما كانوا عليه من كفر النفاق وتغليظا
لحال المومنين الخلص لما تعطيه مع من دخولها على المتبوع ثم بين اجر المومنين بقوله
وسوف يوت الله المومنين اجرا عظيما فعلم من ذلك ما لمن تاب واحسن المناب
من المنافقين وهو المشاركة في هذا الاجر ما يفعل الله استفهام معنى النفي بعذابكم قيل
الخطاب للمومنين وقيل للمنافقين قال ابو حيان وهو الذي تقتضيه سياق الكلام
ففيه التفات ان شكرتم وامنتم قيل هو على التقديم والتاخير لان الايمان سابق على
الشكر وقال ابن عطية الشكر على الحقيقة لا يكون الا مقترنا بالايمان لكنه ذكر الايما ل
تاكيدا وتنبيها على جلالة موقعه وقال الزمخشري العاقل ينظر الى ما عليه
من النعمة العظيمة في خلقته فيشكر شكرا مبهما فاذا انتهى به النظر الى معرفة المنعم
امن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما على الايمان فكانه اصل التكليف ومداره
وكان الله شاكرا عليما الطوفي هو مناسب لاول الاية اي فهو يقابل شكركم اياه بالطاعة
فيشكر اياكم بالثواب والثنا قلت ولما قال ان شكرتم وامنتم ناسب شكرتم شاكرا
وامنتم عليما لان الايمان امر قلبي والخطاب للمنافقين الذين امنوا بالسنتهم دون
قلوبهم فناسب صفة العلم ابو حيان لم يات في صفة الشكر بصيغة المبالغة ليدل
على انه يشكر ولو اقل شي من العمل لا يحب الاية ابو حيان مناسبتها لما قبلها انه تعالى لما
ذكر من احوال المنافقين وذمهم وبين ظلمهم وهضمهم جانب المومنين سوغ هنا للمومنين
ان يذكروهم بما فيهم من الاوصاف الذميمة الا من ظلم الاستثنا منقطع لكن من ظلم له
ان يجهر بظلامته لينتصف من ظالمه وقيل متصل على تقدير الا جهر من ظلم وقرى ان جهر
وقرى ظلم بالبنا للفاعل فهو منقطع قطعا اي لكن من ظلم فاجهروا له بالسو كالمنافق
وغيره وكان الله سميعا عليما الطوفي هو مناسب لما في الاية لانه سبحانه يسمع
قول الجاهر بالسو ويعلم الظالم من المظلوم فكانه يقول لا تطمعوا حيث اجزت
للمظلوم ان يجهر بالسو مقاصة فيذهب كل منكم يجهر بالسو ويقول انا مظلوم فاني
اعلم المظلوم من غيره ان تبدوا خيرا او تخفوه حث على الخير وترك السو ذكره تمهيدا للعفو
او تعفوا عن سو المناسب لما في الاية قبلها لانه تعالى لما اباح للمظلوم الجهر بالسو د
اراد ان يبين ان العفو مع ذلك احسن كقوله فمن عفى واصلح فاجره على الله وفي الاية
طباقان بين ان تبدوا وتخفوا وخيرا وسو وجناس مضارع بين تخفوا وتعفوا

وختم

وختم بقوله فان الله كان عفوا قديرا للاشارة الى انه سبحانه كثير العفو مع قدرته على الانتقام
فينبغي للعبد ان يكون كذلك وقال الطوفي كانه سبحانه يعفو العافي
عن خلقه بعفوه عنه وصفة القدرة راجعة الى قوله ان تبدوا خيرا او تخفوه
اي فان الله قدير على مكافاتكم والاول اقعد الكرماني قال هنا ان تبدوا خيرا
وفي الاحزاب ان تبدوا شيا لان هذه السورة وقع الخير فيها في مقابلة الجهر
بالسو فاقتضت المقابلة ان يكون بازا السو الخير واية الاحزاب
لمن اضمر في قلبه نكاح ازواج النبي صلى الله عليه وسلم من بعده وصرح به د
ولهذا ناسب ختمها بقوله فان الله كان بكل شي عليما مع تقدم قوله والله يعلم
ما في قلوبكم وهو عام وشي اعم العام ان الذين يكفرون الاية ابو حيان لما فرغ
من بيان احوال المنافقين شرع في بيان احوال اليهود والنصارى بين
ذلك اي بين الكفر والايمان اولئك هم الكافرون حقا اكد ليلا يتوهم
ان ايمانهم ببعض الرسل يعد ايمانا واعتدنا للكافرين وعيد وفيه
التفات اقامة الظاهر مقام المضمر والذين امنوا الاية هي في مومني د
اهل الكتاب صرح بوعدهم بعد وعيد كفارهم نوتيهم بالنون وبالياء
ففيه التفات عن التكلم الى الغيبة وكان الله فيه التفات غفورا رحيما
قال ابو حيان لما وعدهم بالثواب زادهم تبشيرا بالتجاوز عن السيات ورحمته
اياهم الطوفي صفة الرحمة مناسبة للاجور لانها فضل ورحمة منه لا د
باستحقاق ووجوب للاعمال فان قلت فما وجه مناسبة صفة المغفرة
قلت وجهه ان غفران الذنوب قد يكون من جملة الاجور بدليل
فالذين هاجروا الى قوله لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجعل في
مقابلة الهجرة وما ضم اليها تكفير السيات ودخول الجنات انتهى فقد سالوا
جواب شرط مقدر اي ان استكبرت ما سالوك فقد اكبر قرى بالمثلثة
الصاعقة قرى الصعقة ثم اتخذوا العجل هي للترتيب في الاخبار لا في
نفس الامر لان الاتخاذ كان قبل السوال المذكور فعفونا فيه التفات
لا تعدوا من قراه بفتح العين وتشديد الدال واصله تعتدوا وقرى
بالاصل فبما نقضهم متعلق بمحذوف اي فعلنا بهم ما فعلنا من اللعن د
والاذلال وغيره لك قال ابن عطية وحذف هذا المتعلق بليغ د
متروك مع ذهن السامع وقد صرح به في قوله فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم
وجعلنا قلوبهم قاسية وقيل متعلق بقوله حرمنا عليهم طيبات على ان قوله
فبظلم بدل منه الكشاف فان قلت هلا كان المتعلق ما دل عليه قوله
طبع الله عليها قلت لا يصح لانه رد وانكار لقولهم قلوبنا غلف
فكان متعلقا به قال ابو حيان وهو جواب حسن بايات الله فيه التفات
وبكفرهم تكرر نسبة الكفر اليهم بحسب متعلقاته اذ كفروا بموسى ثم عيسى
ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم رسول الله هو من جملة قولهم على سبيل الاستهزا د
كقول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون او من كلامه تعالى رفعا لعيسى

عليه السلام وحكلها وتشنيعا على اليهود **اختلفوا فيه** اي في قتله **الا اتباع الظن**
استثنا منقطع **يقينا** حال او مصدر موكدة لانتفا القتل وقد اجتمع في الاية
الفاظ متناسبة وهي التخييل والشك والعلم والظن واليقين **وكان الله عزيزا**
حكيما قال الامام المراد من العزة كمال القدرة ومن الحكمة كمال العلم فنبه
بهذا على ان رفع عيسى من الدنيا الى السما وان كان كالمتعذر على البشر لكنه
لا تعذر فيه بالنسبة الى قدرته وحكمته وقال غيره عزيزا قويا في نقمته
من اليهود حكيما فيما دبر لعيسى وقال ابو حيان عزيزا لا يغالب
لان اليهود جادلت بعيسى امرا واراد الله خلافه حكيما واضع الاشيا مواضعها
ومن حكمته تخليصه من اليهود ورفعه الى السما لما يريد **وان من اهل الكتاب**
ان هنا نافية والمخبر عنه محذوف قامت صفته مقامه اي وما احد
من اهل الكتاب ومثله وان منكم الا واردها وما منا الا له مقام معلوم
قال الزجاج وحذف احد لانه مطلوب في كل نفي يدخله
الاستثنا نحو ما قام الا زيد اي احد وضميره وموته لعيسى وقيل ضمير
موته لليهود ويويد قراة ابي ليومنن بضم النون الاولى به قبل موتهم ذكره
الكشاف **فان قلت** ما فايدة الاخبار بايمانهم يعني قبل موتهم
قلت فايدته الوعيد وليكون علمهم بانهم لا بد لهم من
الايمان به عن قريب عند الاحتضار وان ذلك لا ينفعهم بعثا لهم وحثا
على معاجلة الايمان به في اوان الانتفاع به وليكون الزاما للحجة لهم **فبظلم**
فيه حذف الصفة يفهم المعنى اي عظيم وقدم السبب على المسبب
تنبيها على فحش الظلم وتقبيحا له وتحذيرا منه **حرمنا** فيه التفات وقراة
ابن عباس طيبات كانت احلت **سبيل الله** فيه التفات **كثيرا** اي صدا
كثيرا او ناسا كثيرا **وقد نهوا عنه** جملة حالية تفيد تاكيد قبح فعلهم وسوء
صنيعهم واعيدت البا في بصدهم لبعده عن المعطوف عليه بالفصل
بما ليس معمولا له بخلاف البواقي وهذه الاية اجمل فيها المحرم وفصل
السبب واية الانعام فصل فيها المحرم واجمل السبب بقوله ذلك
جزيناهم ببغيهم ولما ذكر في الاية ما عوقبوا به في الدنيا من تحريم الطيبات
ختمها بما اعد لهم في الاخرة عقوبة وفي قوله واعتدنا التفات
والمقيمين الصلاة نصب على المدح ابانة باختصاصه بالقطع فضل
الصلاة وقرئ والمقيمون نسقا على ما قبله **سنوتيهم** بالنون وبالياء ففيه
التفات **انا اوحينا الاية** فيه التفات على قراة اليا والاية متعلقة
بقوله يسالك اهل الكتاب الاية قال الزمخشري هي جواب لاهل الكتاب
عن سوالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء
واحتجاج عليهم بان شانه في الوحي اليه كشان سائر الانبيا الذين سلفوا
وقال ابو حيان خص الانبيا المذكورين بالذكر تشريفا وتعظيما لهم
وبدا بنوح لانه الاب الثاني واول الرسل ثم بابراهيم لانه الاب

الثالث

الثالث ثم باولاده وقدم عيسى على من بعده تحقيقا لنبوته وقطعا لمماراة
اليهود فيه وقدم سليمان على داود لتوفر علمه كما قال ففهمناها سليمان
ثم جبر ما فات داود من التقديم اللفظي بابرازه في جملة مستقلة بالذكر
ونسبة كتاب اليه لتحصل له التشريف المعنوي وكذا جبر ما فات موسى من التقدم
بذلك ونسبة الكلام اليه موكدا بالمصدر الواقع لتوهم المجاز وقال
ابن جماعة رتبهم هنا على غير ترتيب اية الانعام لان هذه الاية نزلت
ردا لسوال اليهود ان تنزل عليهم كتابا فبين فيها انه ليس كل الانبيا انزل
عليهم كتابا بل بعضهم بوحي وبعضهم بكتب وبعضهم بصحف فقدم نوحا
لعدم كتاب عليه ثم ابراهيم لان له صحفا وتلاه بمن لا كتاب له ثم قدم
عيسى لان له الانجيل وتلاه بمن لا كتاب له ثم ختم بداود ولزبوره
شهرا جل الرسل وختمهم بموسى ليبان ان تشريفه للانبيا ليس بالكتب
ولا بد بل خص بعضهم بما شا من انواع الكرامات اما بتكليم او اسرا او انزال
كتب او صحف او وحي على ما يشا فناسب بهذا الترتيب ما تقدم واما
ايات الانعام فسياقها في بيان نعمه على ابراهيم ومن ذكره فقرن بين
كل اثنين منهم بما اتفق لهما من وصف خاص بهما فداود وسليمان بالملك
والنبوة وايوب ويوسف بالنجاة من الابتلا وموسى وهارون
بالاخوة والنبوة وزكريا ويحيى بالشهادة وعيسى والياس بالسياحة
واسماعيل واليسع بصدق الوعد ويونس ولوط بخروج كل منهما
من قريته من بعث اليه ونجاة يونس من الحوت ولوط من هلاك قومه
وقرئ يونس بكسر النون وفتحها لغتان وفي قراة زبورا بضم الزاي
اما مصدر كالقعود سمي به الكتاب المنزل عليه او جمع زبور على حذف
الزايد وهو الواو كما قالوا ظريف وظروف **ورسلا** نصب على الاشتغال
او بارسلنا مقدرا وقرا ابي ورسل على الابتدا **وكلم الله** فيه التفات
وقرئ بنصب الجلالة **ورسلا** بدل **وكان الله عزيزا حكيما** الطوفي
هو مناسب لما في الاية لان ارسال الرسل وتاييدهم بالمعجزات
واقامة الحجة البالغة لهم على الخلق لا يتاتى الا من عزيز غالب حكيم
قادر على خرق العادات بالمعجزات عالم بمواقع الحجج والبينات
لكن الله يشهد ابو حيان الاستدراك بلكن يقتضي تقدم جملة محذوفة
لان لكن لا يبتدا بها فالتقدير ما ورد في سبب النزول وقرئ
بتشديد لكن ونصب الجلالة وقرئ انزل بالبنا للمفعول
وقرئ نزله مشددا **وكفى بالله شهيدا** قال الطوفي مناسب لقوله
والملايكة يشهدون **وصدوا** قرئ بضم الصاد **وكان الله عليما حكيما**
قال الطوفي هو مناسب لقوله قد جاكم الرسول بالحق من ربكم
لان الحق مستلزم للحكمة والارسال بالحق يستدعي العلم به ولقوله وان
تكفروا اي فانه عليم بكفركم حكيم في تقدير ما تستحقونه من الجزا عليه جاكم

بانباد ذلك **يا اهل الكتاب** نزلت في النصارى وعقب بها بعد الفراغ من قصة
اليهود ابو حيان لما انتهى من امر اليهود الذين طعنوا في المسيح اخذ في امر
النصارى الذين افرطوا فيه **المسيح** وهي بوزن الصديق **وروح منه** من لابتدا
الغاية كهي في قوله وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه وقد رد
بها علي ابن الحسين بن واقد المروزي على نصراني استدل بالاية على ان عيسى
جز من البارى تعالى عن ذلك فقال ان كان يجب بهذه ان يكون عيسى جزا
منه وجب ان يكون السموات والارض وما فيها جزا منه فانقطع النصراني
واسلم **ثلاثة** خبر الا لمة مقدرا **انتهوا خيرا لكم** اي وانتوا هو لارما لاضماره
ان يكون قرى بكسران نافية ورفع الفعل **وكفى بالله وكيلا** الطوفي هو مناسب
لما قبله والمعنى ان الله سبحانه هو الذي يعين الخلق على امورهم حتى ان من توكل
على الله اكتفى به عن غيره فكيف يحتاج في امره الخاص به الى مساعد من ولد او
شريك ولا شك ان الولد انما يراد في العرف للكثرة من قلة او العز من ذلة
او القوة من ضعف او القدرة من عجز ونحو ذلك من النقايص والله
سبحانه منزه عن ذلك **لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله** هو متصل
بما قبله من الرد على النصارى الزاعمين بنوة المسيح او الهيته وعطف
عليه **ولا الملائكة المقربون** من باب الاستطراد للرد على العرب
القايلين ان الملائكة بنات الله كما هو عادة القران من الاستطراد من ذكر
الشي الى نظيره ومن الرد على فرقة الى الرد على اخرى نحوها وظن الزمخشري
ان الاية من باب الترقي فاستدل بها على افضلية الملائكة على الانبيا
وهو غلط منه قال ــــــــ الكرماني ويحتمل ان يكون المراد ولا الملايكة
بكثرتهم فتكون لهم المزية عليه بالكثرة لا بالفضل **فسيحشرهم** الضمير عام عايد
الى الخلق لدلالة المعنى عليه لا خاص بمن يستنكف لما بعده من التفصيل
وقرى بالنون ففيه التفات **فاما الذين امنوا** قدم ثواب المومن لانه
مما يغم المستنكف ويزيده نكالا **يا ايها الذين امنوا الاية** لما فرغ من قصة اليهود
ثم من قصة النصارى عقب بذكر المومنين ونبيهم محمد صلى الله عليه وسلم
وذكر ما انزل اليهم في مقابلة تسمية الفريقين باهل الكتاب وذكر وعدهم
في مقابلة وعد اليهود بقوله لكن الراسخون الاية ومومني النصارى
بقوله فاما الذين امنوا الاية ولم يذكر معهم فريق كفار ووعيدهم
وان كان التقسيم بقوله فاما الذين امنوا الاية واعتصموا به يقتضيه
لان الخطاب في صدر الاية بيا ايها الذين امنوا فشرفوا عن ذكر فريق الكفار
تحقيرا لهم ان يذكر معهم فحذف اكتفا وفي انزلنا التفات الى التكلم ثم في بالله
التفات عنه **يستفتونك الاية** ابو حيان ختمت السورة بهذه الاية
كما بدئت اولا بالاحكام ارثا لتشاكل المبدا والمقطع وكثيرا ما وقع ذلك
في السورة قال ــــــــ صاحب المناجاة ولبنايها على الايجاز حذف متعلق الفعل
الاول طردا ذلك في حذف العاطف ايضا بخلاف ويستفتونك في النسا

فانها

فانها بنبيت على الاطناب بذكره فاثبت العاطف الزمخشري الكلالة
انتفا الولد والوالد فاقتصر على نفي الولد وكل حكم انتفا الوالد الى بيان
السنة وقال ــــــــ الزملكاني المراد بالولد كلا الطرفين الولد
والوالد معا لانهما مشتقان من معنى الولادة فالولد يجمع معنيين على
التضاد كما في المولى والقصد القنص للصيد والصايد والضمير
للجمع والحتن ونظيره قوله كما فعل باشياعهم من قبل والاشياع الاتباع
فجعل هنا للقدوة لانه من شاع يشيع اذا اشتهر وكلا الفريقين حامل
له الشهرة اما الطايفة الاولى فبكونها قدوة واما الثانية فبكونها
مقتدية انتهى **وهو يرثها** الضمير ان لما تقدم لفظا لا معنى من باب
عندي درهم ونصفه لان الهالك لا يرث والحية لا تورث ونظيره
وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره **فان كانتا** الضمير للاختين الدال
عليهما وله اخت وقيل هو على لغة اكلوني البراغيث وضمير كانوا للوارثين
الدال ــــــــ عليه السياق وقرى فان للذكر مثل بالنصب **ان تضلوا** اي
كراهة ان او لئلا **والله بكل شي عليم** الامام في هذه السورة لطيفة عجيبة
وهي ان اولها مشتمل على كمال تنزيه الله وسعته قدرته واخرها
مشتمل على كمال العلم وهذان الوصفان بهما تثبت الربوبية والالهية
والجلال ــــــــ والعزة وبهما يجب ان يكون العبد منقادا للتكاليف
الطوفي الختم به مناسب لما في الاية لانها تضمنت تفاصيل احكام
الفرايض وهذا التفصيل في الهداية من الضلال ــــــــ يستدعي
علم الفاعل لذلك **سورة المايدة** تقدمت الاشارة الى مناسبة
وضعها هنا واقول ــــــــ هذه السورة ايضا شارحة لبقية مجملات
سورة البقرة فان اية الاطعمة والذبايح فيها ابسط منها في البقرة وكذا اما
حرمه الكفار تبعا لابايهم في البقرة موجز وفي هذه السورة مطنب
ابلغ اطناب وفي البقرة ذكر القصاص في القتلى وهنا ذكر اول
من سن القتل والسبب الذي لاجله وقع وقال من اجل ذلك كتبنا
على بني اسرايل الى اخره وهو ابسط من قوله ولكم في القصاص حياة وفي
البقرة واذ قلنا ادخلوا هذه القرية وذكرت قصتها هنا مطولة وذكر
في البقرة من ارتد مقتصرا عليه وقال هنا فسوف ياتي الله بقوم يحبهم
ويحبونه وفي البقرة قصة الايمان موجزة وزاد ها هنا بسطها بذكر
الكفارة وفي البقرة قال في الخمر والميسر فيهما اثم كبير ومنافع للناس
واثمهما اكبر من نفعهما وزاد في هذه السورة في ذمهما وصرح بتحريمهما
ومن الاعتلاق بسورة الفاتحة بيان المغضوب عليهم والضالين في قوله
هل انبيكم بشر من ذلك من لعنه الله وغضب عليه الاية وقوله قد ضلوا
من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سوا السبيل واما اعتلاقها بسورة النسا
فقد ظهر لي فيه وجه بديع جدا وذلك ان سورة النسا اشتملت على عدة

سورة المايدة

عقود صريحا وضمنا فالصريح عقود الانكحة وعقد الصداق وعقد الحلف
في قوله والذين عاقدت ايمانكم وعقد الايمان في هذه الاية وعقد
المعاهد والامان في قوله الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق
وقوله وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية والضمني عقد الوصية والوديعة
والوكالة والعارية والاجارة وغير ذلك الداخل في عموم قوله ان الله
يامركم ان تودوا الامانات الى اهلها فناسب ان يعقب بسورة مفتتحة
بالامر بالعقود وكانه قيل يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود التي فرغ من
ذكرها في السورة التي تمت فكان ذلك غاية التلاحم والتناسق والارتباط
ووجه اخر في تقديم سورة النساء وتاخير سورة المايدة وهو ان تلك اولها
يا ايها الناس وفيها الخطاب بذلك في مواضع وهو اشبه بخطاب الكفار وتنزيل
المكي وهذه اولها يا ايها الذين امنوا وفيها الخطاب بذلك في مواضع وهو اشبه
بخطاب المدني وتقديم العام وشبه المكي انسب ثم ان هاتين السورتين في
التلازم والاتحاد نظير البقرة وال عمران فتلك اتحدا في تقرير الاصول
من الوحدانية والكتاب والنبوة وهاتين في تقرير الفروع الحكمية وقد
ختمت المايدة بصفة القدرة كما افتتحت النساء بذلك وافتتحت النساء
ببدء الخلق وختمت المايدة بالمنتهى من البعث والجزاء فكانهما سورة واحدة
اشتملت على الاحكام من المبتدا الى المنتهى ولما وقع بالمنتهى من البعث
والجزاء في سورة النساء انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس الايات
وكانت نازلة في قصة سارق سرق درعا فصل في سورة المايدة
احكام السارقين والخاينين ولما ذكر انه انزل اليه الكتاب ليحكم بين
الناس ذكر في سورة المايدة ايات في الحكم بما انزل الله حتى بين الكفار
وكرر ذكر من لم يحكم بما انزل الله فانظر الى هذه السور الاربع المدنيات
وحسن ترتيبها وتلاحمها وتناسقها وتلازمها وقد افتتحت بالبقرة التي هي
اول ما نزل بالمدينة وختمت بالمايدة التي هي اخر ما نزل بها كما في حديث
الترمذي ووجه التسمية بسورة المايدة ما تضمنته قصتها من الغرابة
والابتداع وكونها معجزة لمن انزل عليه **يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود** ه
الزملكاني هذه الاية متضمنة ضرب من انواع النظم من الفصل وهو ان يبتدا
بكلام ولا يذكر جوابه حتى يوتى بمبتدا ثان وجوابه ثم يوتى بجواب
الاول فيا ايها الذين امنوا نداء لجميع المومنين ثم قال اوفوا
بالعقود وهي العهود ولم يبينها سبحانه ثم استانف كلاما اخر
فقال احلت لكم بهيمة الانعام وجواب اوفوا بالعقود في مفهوم يا ايها
الذين امنوا لا تحلوا شعاير الله وانما اعاد يا ايها الذين امنوا وان كان قد
تقدم لانه وقع فصل بينهما فاعاده ليعلم انه متصل به كما قال
ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم عاد فقال ان ربك من بعدها
لغفور رحيم وقوله الا ما يتلى عليكم قد بين ما اجله هنا في حرمت عليكم و

الميتة الاية قال ويحتمل ان يكون كل فصل بعد قوله اوفوا بالعقود متصلا بما قبله
ومفسرا للفصل الذي يليه وغير محلي الصيد على هذا متصل باحلت لكم بهيمة الانعام
ويكون بهيمة الانعام تعم الانسي والوحشي ويكون غير محلي الصيد حالا
منفية بغير كالتقدير اذا احلت لكم بهيمة الانعام في حال امتناعكم من الصيد
وانتم في حال الاحرام ويكون قوله الا ما يتلى عليكم مرموزا به الى قوله وحرم
عليكم صيد البر ما دمتم حرما وفايدة ذكر الحل هنا البعث على الامتناع عن
قتل الصيد في حال الاحرام فان الحرج قد رفع بالحل والا ما يتلى عليكم في تقدير
الا محرم يتلى عليكم او الا ما يتلى عليكم اي في اخر هذا الفصل وهو الميتة
والدم وما اتصل بهما على التاويل الاول التقريب بانه يحرم في كل
الاحوال ابو حيان مناسبة افتتاحها لاخر النساء انه تعالى لما ذكر
انه يبين لهم كراهة الضلال بين في هذه السورة احكاما كثيرة
وهي تفصيل لذلك المجمل وقد ذكر وان الكندي قال له اصحابه
اعمل لنا مثل هذا القران فقال نعم ما حتجب ايام ثم خرج فقال والله
ما اقدر ولا يطيق هذا احد اني فتحت المصحف فخرجت سورة المايدة
فنظرت فاذا هو قد نطق بالوفا ونهى عن النكث وحلل تحليلا عاما ثم
استثنى استثنا بعد استثنا ثم اخبر عن قدرته وحكمته في سطرين
ولا يقدر احد ان ياتي بهذا الا في اجلاد الزجاج العقود اوكد من العهود
واصله في الاجرام ثم توسع فيه فاطلق في المعاني الزمخشري العقد
هو العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه الراغب العقد الجمع بين اطراف
الشي ويستعمل في الاجسام الصلبة ثم يستعار للمعاني وقد فسرها ابن
عباس هنا بكل ما اخذه الله على عباده فيما احل وحرم لهو من الايجاز
الجامع **بهيمة الانعام** من اضافة الشي الى جنسه لان البهيمة اعم
فاضيفت الى اخص الزمخشري البهيمة كل ذات اربع في البر والبحر ابن
عطية البهيمة ما ابهم من جهة نقص النطق والفهم الراغب البهيمة ما لا
نطق له لما في صوته من الابهام لكن خص في التعارف بما عدا السباع والطير
غير استثنى لا كراهة تكرير الا وقرئ بالرفع قال ابو حيان واحسن
ما يخرج عليه ان يكون صفة لبهيمة ولا يلزم من الوصف بغير ان يكون
ما بعدها مماثلا للموصوف في الجنسية **محلي الصيد وانتم حرم** فيه النوع
المسمى بتوهم الطباق وحرم جمع حرام يقال لمن دخل في الاحرام وفي الحرم
ان الله يحكم ما يريد الطوفي مناسب لقوله احلت الى اخره لانه حكم ابو
حيان هذه الجملة جاءت مقوية لهذه الاحكام الشرعية المخالفة لمعهود
احكام العرب من الامر بايفاء العقود وما بعدها فوجب الحكم والتكليف
هو ارادته لا اعتراض عليه **ولا القلايد** المراد بها الهدي المقلد وعطف
على الهدي عطف خاص على عام تاكيدا ومبالغة في التنبيه على الحرمة في المقلد
وقيل ارباب القلايد نفسها نهي عن التعرض لها مبالغة في النهي عن التعرض ه

لما بالغة في النهي من التعرض للهدي اي لا تحلوا قلايده فضلا عنه كما قال
ولا يبدين زينتهن فنهى عن ابدا الزينة مبالغة في النهي عن ابدا مواقعها د
ولا امين قري بحذف النون والاضافة **يبتغون** قري بالفوقية خطابا
للمومنين **واذا حللتم فاصطادوا** راجع الى قوله غير محلي الصيد وانتم حرم
ولا يجرمنكم راجع الى قوله لا تحلوا شعاير الله الى اخره الكسا‌ي جرمه على كذا
حمله الراجرمه كسبه والجرم اكسب غيره الراغب اصل الجرم قطع الثمره
عن الشجر والجرم كالثمر واللبن فاستعير ذلك لكل اكتساب مكروه ولا يكاد
يقال للكسب المحمود وقري بضم اوله من اجرم بمعنى كسب
وقري يجرمنكم بسكون النون **شنان** بفتح النون وسكونها والاظهر في د
المفتوح المصدر وفي الساكن الوصف الراغب من سكن اراد بغيض قوم
ومن فتح جعله مصدرا ابو حيان الشنان البغض وهو احد مصادر شني
وله ستة عشر مصدرا وهو اكثر ما حفظ للفعل **ان صدوكم** بالكسر على د
الشرط وبالفتح على التعليل وقري ان يصدوكم **وتعاونوا على البر والتقوى**
ولا تعاونوا على الاثم والعدوان فيه اربع متقابلات قيل والبر والتقوى
تختص بالواجب وقال ابن عباس البر ما امرت به والتقوى
ما نهيت عنه وقد ورد في الحديث البر ما اطمان اليه القلب والاثم
ما حاك في صدرك فقابل البر بالاثم والعدوان تجاوز الحد المشروع
فهو مقابل للتقوى الراغب البر خلاف البحر وتصور منه التوسع فاشتق
منه البر اي التوسع في فعل الخير وينسب ذلك الى الله تارة نحو انه هو
البر والى العبد تارة فمن الله الثواب ومن العبد الطاعة وذلك
يشمل الاعتقاد والاعمال الواجبة والمندوبة وعلى هذا ما روي
انه صلى الله عليه وسلم سيل عن البر فتلا ليس البر الاية لانها متضمنة للثلا ثة
وبر الوالدين التوسع في الاحسان اليهما وضده العقوق ويستعمل البر
في الصدق لكونه بعض الخير المتوسع فيه نحو بر في قوله وفي يمينه **واتقوا**
الله الطوفي مناسب لقوله وتعاونوا الى اخره لان الاول امر والثاني
نهي وتقوى الله هي امتثال المامور واجتناب المحظور **ان الله شديد**
العقاب مناسب لقوله واتقوا الله لان الاخبار بشدة العقاب
يحث على التقوى **حرمت عليكم الميتة** شروع في بيان ما استثناه د
في قوله الا ما يتلى عليكم **والموقوذة** ابو حيان ضرا لوقذ ضرب الشي
حتى يسترخي ويشرف على الموت **والنطيحة** قري والمنطوحة **وما اكل**
السبع قري بسكون البا وقري واكيل السبع واكلة السبع **ذكيتم**
الراغب حقيقة التذكية اخراج الحرارة الغريزية لكن خص في الشرع د
بابطال الحياة على وجه دون وجه **النصب** حجارة تنصب الواحد
نصب بفتح النون وسكون الصاد وقري به وقري بفتحتين وبضم النون
وسكون الصاد وبجمع ايضا على انصاب **تستقسموا** تطلبوا القسم **بالازلام**

بى

هي القداح واحدها زلم بضم الزاي وفتحها **اليوم يئس الذين كفروا من دينكم**
قال الزمخشري يئسوا منه ان تبطلوه وان ترجعوا محللين لهذه الخبايث
بعد ما حرمت عليكم فعرف بذلك وجه الاتصال الراغب الياس
انتفا الطمع **اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم ورضيت لكم الاسلام دينا**
قال بعضهم لما تقدم النهي عن ما نهي عنه حرصهم على التمسك بما حد لهم
باكمل ما يكون فاتى بهذه الجمل كانه قال انتم الان بحيث لا يطمع
اعداوكم في توهين دينكم فتشددوا فيه وتاييدوا واني فقد بينت لكم
من امور دينكم ما لم تحتاجوا الى زيادة عليه ثم عاد الى تمام ما تقدم ذكره
في المطاعم التي حرمها بقوله **فمن اضطر الى اخره** ابو حيان فمن اضطر متصل بذكر
المحرمات وذلكم فسق الى اخره اكد به معنى التحريم لان تحريم هذه الخبايث
من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المنعوت بالرضى دون
غيره من الملل والمخمصة المجاعة لانها تورث خمص البطن اي ضموره **متجانف**
قري بلا الف قال ابن عطية وهي ابلغ في المعنى لان تشديد العين د
يقتضي مبالغة وتوغلا في المعنى وثبوتا بالحكمة وتفاعل انما هو محاكاة
الشي والتقرب منه الراغب متجانف لاثم مايل اليه **فان الله غفور رحيم**
مناسب لما قبله كما تقدم في البقرة **يسالونك ماذا احل لهم** وجه اتصاله
بما قبله ظاهر **وما علمتم** اي وصيد ما علمتم **الجوارح** جمع جارحة وهي الكواسب
من سباع البهايم والطير سميت بذلك اما لانها تجرح واما لانها تكسب والجرح د
الكسب ومنه ويعلم ما جرحتم بالنهار **مكلبين** اي معلمين حال موكدة لقوله
علمتم ابو حيان فايدتها ان يكون المعلم ماهرا بالتعليم حاذقا فيه قال واشتقت
هذه الحال من الكلب وان كانت عامة في الجوارح على سبيل التغليب
لان الغالب في صيد هولاء يكون بالكلاب وقري بسكون الكاف من الكلب
تعلمونهن حال ثانية او استيناف **عليه** الضمير قيل للاكل وقيل للارسال
واتقوا الله ابو حيان لما تقدم ذكر ما حرم واحل من المطاعم امر بالتقوى
التي بها يمسك الانسان عن الحرام وعلل الامر بالتقوى بقوله **ان الله سريع**
الحساب لانه كناية عن المجازاة التي تبعث على التقوى **اليوم احل لكم**
الطيبات ابو حيان فايدة اعادة ذكر احلال الطيبات التنبيه
باتمام النعمة فيما يتعلق بالدنيا ومنها احلال الطيبات
كما نبه بقوله اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي على اتمام النعمة
فيما يتعلق بالدين **وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم**
فيه النوع البديعي المسمى بالعكس **والمحصنات** فيه حذف اي حل لكم د
والمراد بالاحصان هنا قيل الحرية وقيل العفة **ومن يكفر بالايمان الى اخره**
ابو حيان لما ذكر فرايض واحكاما يلزم القيام بها ازال ما يقتضي الوعيد
على مخالفتها ليحصل تاكيد الزجر عن تضييعها وقال القفال لما حصلت لهم د
في الدنيا فضيلة مناكحة نسايهم واكل ذبايحهم بين الفرق في الاخرة وقال

ابن الجوزي سمعت الحسن ابن ابي بكر النيسابوري يقول انما اباح الله الكتابيات
لان بعض المسلمين قد يعجبه حسنهن فحذرنا الكهن من الميل الى دينهم بقوله
ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله **يا ايها الذين امنوا** ابو حيان لما افتتح بالامر
بايفا العقود وذكر تحليلا وتحريما في المطعم والمنكح استطرد الى العبادات
المحضة **اذا قمتم** اي اردتم القيام اقيم السبب مقام المسبب قال ابو حيان لما
كانت محاولة الصلاة له في الاغلب انما هي بقيام جاءت العبارة اذا قمتم وفيه حذف
اي وانتم محدثون دل عليه مقابلته بقوله وان كنتم جنبا وقيل التقدير اذا قمتم
من النوم وان قوله او جاء احد منكم من الغائط عطف عليه وقيل المعنى اذا قمتم
الى الطهارة فسماها صلاة لانها لها ثم **فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق**
وامسحوا برؤسكم وارجلكم فصل بين المغسولات بالراس الممسوح وترتب
الاعضاء على الترتيب الواقع للاشارة للترتيب والقراءة وارجلكم بالنصب
عطفا على المغسول وبالجر عطفا على الممسوح للاشارة الى مسح الخف وقري بالرفع
مبتدا حذف خبره اي اغسلوها او امسحوها من الافعال التي تتعدى بنفسها
وبالبا يقال مسح راسه وبراسه وهريه وجز الحطام وبالحطام ومده ومد به
والتي يده والتي بيده **وان كنتم جنبا** لما ذكر تعالى الطهارة الصغرى ذكر
الطهارة الكبرى **فاطهروا** قرى بوزن اكرموا من اطهر رباعيا اي فاطهروا ابدانكم
والهمزة للتعدية **كنتم مرضى الى اخره** اخر قصة التيمم لانه فرع ويشمل الحدث
والجنابة معا وفيه المزاوجة على حد قوله **اذا ما نهى الناهي الخ بي الهوا هه**
صاحت الى الواشي فلج بها الهجر **هه** فقوله فلم تجدوا مزاوجة الشرط وفامسحوا
مزاوجة الجواب **ما يريد الله الى اخره** مناسب للتكليف بالطهارة ببيان
العلة في مشروعيتها والترخيص في التيمم وقرى ليطهركم بوزن يكرمكم **وليتم**
نعمته عليكم اي بالتطهير والرخصة وناسب ذكره هنا في نعمة الدين ما تقدم
من ذكره في نعمة الدنيا من المطاعم والمناكح **ولعلكم تشكرون** مناسب
لقوله وليتم نعمته لان النعمة سبب الشكر ومقتضيه قاله الطوفي **واذكروا**
نعمة الله لا يخفى وجه اعتلاقه بقوله وليتم نعمته عليكم ولعلكم تشكرون
واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور الطوفي مناسب لما في الاية لان خيانة
العهد ونقض الميثاق امر باطن يحصل بالنية والعزم وان اثاره الدالة
عليه تظهر بالفعل فاخبرهم من علمه بذات الصدور بما يوجب لهم المراقبة
وحفظ الميثاق بحيث لا ينقضونه بالعزم ولا بالفعل وايضا فان من شكر
النعمة ما محله القلب فاخبرهم انه عالم بمن يشكر بقلبه وبمن لا يشكره **يا ايها**
الذين امنوا كونوا قوامين لله شهدا بالقسط ابو حيان بدي بالقسط في
اية النسا واخرهنا تفننا في الفصاحة ولما جاءت اية النسا في معرض ذكر
الاعتراف على نفسه وعلى الوالدين والاقربين بدي فيها بالقسط الذي هو
العدل والسوا من غير محاباة نفس ولا والد ولا قرابة وهنا جاءت
في معرض ترك العداوات والاحن فبدي فيها بالقيام لله اذ كان الامر

بالقيام

بالقيام اولا ادرع للمومنين ثم اردف بالشهادة بالعدل والتي في معرض المحبة
والمحاباة بدي فيها بما هو اكد وهو القسط والتي في معرض العداوة والشنان
بدي فيها بالقيام لله وايضا فهناك تقدم حديث النشوز والاعراض والعدل
بين النسا فناسب تقديم ذكر القسط وهناك تاخر ذكر العداوة فناسب
ان يجاورها ذكر القسط **هو** اي العدل ——— **واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون**
الطوفي مناسب لما في الاية لان القيام بالقسط والعدل والعداوة امور
باطنة لها تعلق بالباطن ويظهر اثارها بالعمل الظاهر والعمل يشمل الامرين
فاخبرهم انه عالم بجميع عملهم الخفي والظاهر ليعتمد والمراقبة ابو حيان لما كان
الشنان محله القلب وهو الحامل على ترك العدل امر بالتقوى واتى بصفة
خبير ومعناه عليم ولكنها تختص بما لطف ادراكه فناسب هذه الصفة
ان ينبه بها على الصفة القلبية الكرماني ختم الاية السابقة بقوله
واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور وهذه بقوله واتقوا الله ان الله خبير
بما تعملون لان الاول ——— وقع على النية والثاني على العمل **وعد الله الذين**
امنوا الاية ابو حيان لما ذكر جميع اوامر ونواهي اعقبها بالوعد والوعيد
وجاءت جملة المومنين فعلية ماضية لتحقيق وقوعه وجملة الكافرين اسمية
دالة على ثبوت هذا الحكم لهم وقال ——— هنا ما ذكر وفي الفتح وعد الله الذين
امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما قال ——— ابن جماعة لان
ما هنا عام لم يرد به قوم باعيانهم وما في الفتح خاص بالصحابة وكان فيمن
اظهر صحبته منافقون فقال منهم تمييزا وتفضيلا لهم ونصا عليهم بعد ما ذكر
من جميل صفاتهم الكرماني لما بالغ في وصفهم هناك كل المبالغة صرح بالموعود
فقال ——— مغفرة بالنصب وهنا لما لم تكن تلك المبالغة كني بالموعود زاد
في البرهان ورفع ما في هذه السورة ونصب ما هناك مراعاة لفواصل
الاي في كل منهما وقال صاحب المناجاة لما كان الوعد هنا مسبوقا بقوله
يا ايها الذين امنوا وفيه الامر للحكام بالعدل ——— ناسب الترغيب بترك المفعول
حتى يذهب الى كل ما يومل مع ثبوت المغفرة والاجر العظيم وصرح منه لفظة
منكم حتى لا يتوهم التبعيض واما سورة الفتح فالكلام فيها للصحابة فكان محل
التحذير وامن الغفلة عن المداومة على ما هم عليه تصويرا التبعيض فيهم
تخويفا لهم واعتنا بهم **يبسطوا** الراغب بسط اليد مدها ومنه باسط ذراعيه
وبسط الكف يستعمل تارة للطلب نحو كباسط كفيه الى الماء وتارة للاخذ نحو
والملائكة باسطوا ايديهم وتارة للبذل والاعطا نحو بل يداه مبسوطتان
وتارة للصولة والضرب نحو يبسطوا اليكم ايديهم **فكف ايديهم عنكم** فيه مع
ما قبله ثلاث مقابلات **واتقوا الله الى اخره** ابو حيان جا الامر بالتقوى
امر مواجهة مناسبة لقوله اذكروا وجا الامر بالتوكل امر غايب ———
لاجل الفاصلة واشعارا بالعلية وافادة لعموم وصف الايمان اي لاجل تصديقه
بالله ورسوله يومر بالتوكل كل مومن ولا تبدا الاية بمومنين على جهة الاختصاص

وختمها بوصفين على جهة العموم الطوفي الحنبلي بالتوكل مناسب لما في الاية كان د
مضمونها امورا بعث النفوس المؤمنة على التوكل والتسليم الى الله بقلب
سليم والعلة انه الاجرا لا بنعمة الله ولا شرا الا بقدر الله **ولقد اخذ الله** ابو د
حيان مناسبة هذه الاية لما قبلها انه تعالى لما امر بذكر الميثاق الذي اخذه
على المؤمنين في قوله وميثاقه الذي واثقكم به ثم ذكر وعده اياهم
ثم امره بذكر نعمته عليهم اذ كف ايدي الكفار عنهم ذكرهم بقصة بني اسرائيل
في اخذ الميثاق عليهم ووعده لهم بتكفير السيئات وادخالهم الجنة فنقضوا الميثاق
وهموا بقتل الرسول وحذرهم بهذه القصة ان يسلكوا سبيلهم في نقض
الميثاق **وبعثنا** فيه التفات **نقيبا** الراغب النقيب الباحث عن القوم وعن
احوالهم الاصم هو المنظور اليه المسند اليه الامر والتدبير **وقال الله اني
معكم** فيه التفات والخطاب قيل لبني اسرائيل جميعا وقيل للنقباء والمعية مجاز
الزملكاني قوله لئن اقمتم الصلاة متصل بقوله ميثاق بني اسرائيل لانه ترجمة
لاخذ الميثاق وقوله وقال الله اني معكم متصل بقوله وبعثنا منهم اثني
عشر نقيبا وهما معترضان لان النقباء لم ينقضوا الميثاق ولم يدخلوا في المعية
لان من كان الله معه لم يدخل في نقض الميثاق وتمام القصة ونسوا حظا مما د
ذكروا به وقوله ولا تزال مستأنفة لقصة اخرى **وامنتم برسلي** د
الامام كان اليهود مقرين بحصول الايمان مع اقامة الصلاة وايتاء الزكاة
وكانوا مكذبين ببعض الرسل فذكر بعدها الايمان بجميع الرسل وانه لا تحصل
نجاة الا بالايمان بجميعهم **وعزرتموهم** الراغب التعزير والنصر مع التعظيم
وقال يونس عزرته اثنيت عليه بخير وقال ابو عبيدة عظمه وقال الفراء
رده عن الظلم ويطلق على الردع والتنكيل والقمع عن معاودة الفساد د
فجعله الزمخشري من باب المتواطئ وابو حيان من باب المشترك وقرئ
بتخفيف الزاي **واقرضتم الله** فيه التفات **قرضا** اقامه مقام اقراض كقوله
فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا **لعناهم** فيه التفات
قاسية في قراءة قسية فعيل للمبالغة وقيل ليست هذه من معنى القسوة
وانما هي كالقسية من الدراهم وهي التي خالطها غش وتدليس قال وحس و
مجمع منها قسي وزائف وكذلك هذه القلوب لم يتصف للايمان بل خالطها ك
الكفر والفساد وقال الفارسي هذه اللفظة معربة وليست باصل في د
كلام العرب وقال الزمخشري قسية اي ردية مغشوشة من قولهم د
درهم قسي وهو من القسوة لان الذهب والفضة الخالصين فيهما لين
والمغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية بضم القاف وتشديد الياء
كجني وقرئ بكسر القاف اتباعا **يحرفون الكلم** قرئ بكسر الكاف
وسكون اللام وقرئ الكلام **على خائنة** هي مصدر كالعافية بدليل انه و
قرئ خيانة وقيل وصف والهاء للمبالغة كراوية اي خائن وقيل صفة مؤنث
اي فرقة خائنة **ان الله** فيه التفات **يحب المحسنين** مناسب للعفو والصفح د

ومن الذين قالوا متعلق بقوله اخذنا ميثاقهم الزمخشري فان قلت
فهلا قيل ومن النصارى قلت لانهم انما سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة د
الله وفي اخذنا التفات **فنسوا حظا مما ذكروا به** الكرماني كرر لان الاول
في اليهود والثاني في النصارى قال صاحب المناجاة وعطفت
هذه بالفاء وتلك بالواو لانه في اليهود اعتبر تحريفهم ذنبا ونسيانهم د
ذنبا اخر فعطف بالواو واما النصارى فانه لما اخذ منهم الميثاق ومن جملته
تنزيهه عن الولد والصاحبة تسوا ذلك وكان اول نسيانهم ذنوبهم الاعتقادية
فعطف بالفاء حيث لم يكن منهم بعد اخذ الميثاق ذنبا اعظم منه واشارة د
الى ان مبدأ ضلال النصارى هو النسيان ومناسبة لقوله بعده فاغرينا
الامام تنكير الخطاب في الموضعين يدل على ان المراد به حظ واحد وهو
الايمان بالرسول لانه مكتوب على اليهود في التوراة وعلى النصارى في الانجيل
وخص هذا الواحد بالذكر مع انهم تركوا اكثر ما امرهم الله به لان هذا د
هو المعظم والمهم **فاغرينا** الراغب غري بكذا اي لهج به ولصق واصله من الغراء
الذي يلصق به واغريت فلانا بكذا الهجته **ينبئهم الله** فيه التفات
الطوفي الفاصلة مناسبة لما في الاية لانه ذنب فيصح السؤال
عنه والمقابلة عليه وكذلك كل موضع وقع فيه هذه الصيغة او معناها
نحو فينبئكم بما كنتم تعملون ثم ينبئهم بما كانوا يعملون ولتسألن عما كنتم تعملون
فانه لا بد وان يكون في سياق ذنب وجريمة يصح السؤال عنها **يا اهل الكتاب**
هو خطاب للفريقين معا بعد ذكر حال كل منهما **رسولنا** فيه التفات د
واضافة تشريف **ويعفو عن كثير** فيه مع يبين لكم كثيرا ثلاث متقابلات
وفي يعفو ويخفوا جناس **من الله** فيه التفات **سبل السلام** قرئ بسكون الباء
ويهديهم الى صراط مستقيم الطوفي مناسب لقوله يهدي به الله من اتبع
رضوانه سبل السلام وسبل السلام والصراط المستقيم واحد ليس
بينهما هنا الا الجمع والافراد وانما هو من التغاير اللفظي ابو حيان الظاهر
ان هذه الجمل كلها متغايرة المعنى وكررت للتاكيد **قل فمن يملك من الله شيئا**
في الفتح فمن يملك لكم قال ابن جماعة لان هذه الاية عامة في
المسيح وامه ومن في الارض جميعا فليس هنا مخاطب خاص واية الفتح
في قوم مخصوصين وهم الاعراب الذين تخلفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم
فناسب زيادة لكم والفاء عاطفة على جملة محذوفة تضمنت كذبهم في مقالتهم
اي قل كذبوا او ليس كما قالوا **ولله ملك السموات والارض وما بينهما** د
جملة مؤكدة لقوله ان اراد ان يهلك المسيح الى اخره لان من له الملك يفعل
في ملكه ما يشاء **يخلق ما يشاء** اي ليس خلقه مقصورا على نوع واحد بل ما تعلقت
مشيئته بايجاده اوجده واخترعه فقد يوجد شيئا من ذكر ولا انثى كادم او
من انثى لا ذكر معها كالمسيح ففي الجملة اشارة الى ان المسيح وامه مخلوقان
والله على كل شيء قدير الطوفي مناسب لما في الاية لان الاهلاك والخلق والملك

التام لايتاتي بدون القدرة ابو حيان كثيرا ما تذكر القدرة عقب الاختراع وذكر
الاشيا الغريبة قل فلم يعذبكم مرتبطة بمقدر اي ان كنتم كما زعمتم بل انتم
بشر ممن خلق انتقال من استدلال الي اخر تضمن وصفهم بوصفين البشرية
والمخلوقية وهما ينفيان النبوة فان القديم لا يلد بشرا والاب لا يخلق ابنه كما امتنع
بالاستدلال الاول وهو تعذيبهم ان يكونوا احبا الله فبطل الوصفان
اللذان ادعوهما ولله ملك السموات والارض ابن جماعة كرر لبعد تقدمه في
الاية قبله لان لكل فايدة اما الاول فرد علي قولهم في المسيح انه الاله
فبين ان الالوهية لمن له ملك السموات والارض وليس للمسيح ذلك فكيف
يكون الها والله هو خالقه والقادر علي اهلاكه ولذلك قال يخلق ما يشاء
اشارة الي خلق المسيح وقال والله علي كل شي قدير اشارة الي قدرته
علي اهلاكه وامه واما الثاني فرد علي قولهم نحن ابنا الله واحباوه فهو توكيد
لقوله يغفر لمن يشا ويعذب من يشا لانهم خلقته وملكه ولذلك قال واليه المصير
فيجازي كلا علي عمله اما بمغفرة ورحمة او بعذاب ولو كنتم كما تقولون ما عذبكم
لان المحب لا يعذب محبوبه الكرماني الاولي خاصة بالنصاري حيث قالوا
ان الله هو المسيح فقال ولله ملك السموات والارض وما بينهما ليس معه
شريك ولو كان عيسي الها لكان معه شريك وهو وجميع من في الارض مخلوقون
له وقدرته شاملة لهم والثانية في اليهود والنصاري معا حتي قالوا
نحن ابنا الله واحباوه والاب والحبيب لا يعذب ابنه ولا حبيبه وانتم
مصيركم اليه فيعذب من يشا منكم ويغفر لمن يشا الطوفي الختم باليه
المصير وعيد لهم علي افترايهم عليه ومعناه ان كنتم ابناه واحباه فلم يعذبكم
اذا صرتم اليه يا اهل الكتاب الكرماني كرره بحسب تكرير الاخبار عن حال اهل
الكتاب وافترايهم وقال صاحب المناجاة الاول للمنة عليهم بدليل
ويعفوا عن كثير والثاني للحجة عليهم بدليل ان تقولوا الي اخره رسولنا
فيه التفات يبين لكم فيه حذف المفعول اما اختصارا اي ما كنتم تخفون
او اقتصارا اي يكون منه التبيين والايضاح علي فترة متعلق بجاكم الراغب
الفترة والفتور سكون بعد حركة ابو حيان الفترة السكون بعد الحدة
في الاجرام ويستعار للمعاني ان تقولوا اي لئلا تقولوا او كراهة ان تقولوا
والله علي كل شي قدير فيه التفات الطوفي الختم به مناسب لما في الاية
اي قدير علي ان يبين احكامه لاهل الكتاب علي لسان رجل امي او تكون
مناسبة القدرة راجعة الي قوله فقد جاكم بشير ونذير اي فمن امن فله
البشري ومن كفر فله العذاب والله قادر علي كل شي من اثابته وعقوبته
وغيرهما واذ قال موسي ابو حيان مناسبة هذه لما قبلها انه تعالي بين تمرد
اسلاف اليهود علي موسي وعصيانهم اياه مع تذكيره اياهم نعم الله تسلية
للرسول صلي الله عليه وسلم عن ما يقاسيه من تمردهم واتاكم
ما لم يوت احدا من العالمين هو من تتمة خطاب موسي لليهود والمراد

عالمي

ما اوتي زمانهم وقيل هو خطاب لهذه الامة انتهي الكلام عند قوله وجعلكم ملوكا
لما ذكر موسي قومه بنعم الله ذكر الله محمدا صلي الله عليه وسلم بهذه النعمة العظيمة
تجرا لقلوبهم قال ابن عطية وهذا ضعيف لان الكلام في نسق واحد من خطاب
موسي لقومه ورده ابو حيان بان القران جار علي قانون كلام العرب
من الالتفات والخروج من خطاب الي خطاب لاسيما اذا كان ظاهر الخطاب
لا يناسب من خوطب اولا يا قوم قري بضم الميم حيث وقع الكرماني صرح هنا
بالمنادي وفي سورة ابراهيم اذكروا وابدوه لان التصريح به للتشريف
والاعتنا وهذه السورة ذكروا فيها بنعم جسام فناسب مزيد الاعتنا والتشريف
بخلاف ما في سورة ابراهيم كتب الله لكم اي اوجب عليكم وقوله فلا ياتي
قوله بعد انها محرمة عليهم ان فيها قوما جبارين قري فيها قوم جبارون
لن ندخلها اتي بلن تاكيدا للنفي من الذين يخافون اي يخافون الله وقيل
التقدير من الذين يخافونهم اي يخافهم بنو اسرايل ويويده انه قري بضم اليا
انعم الله عليهما وصف او جملة معترضة انا لن ندخلها ابدا زادوا ابدا
في التاكيد ظرف التابيد فافرق قري بكسر الرا وقري ففرق اربعين سنة
متعلق بما قبله او بما بعده فلا تاس خطاب لموسي وقيل لمحمد صلي الله عليه وسلم
الراغب الاسي الحزن وحقيقته اتباع الفايت بالغم واتل عليهم ابو حيان
مناسبة هذه لما قبلها انه تعالي لما ذكر تمرد بني اسرايل وعصيانهم امر الله
ذكر قصة ابني ادم وعصيان قابيل امر الله ولها اعتلاق بقوله اذ هم قوم
ان يبسطوا اليكم ايديهم لما فيها من بسط اليد وبقوله قد جاكم رسولنا يبين
لكم لما فيها من الاخبار بالمغيب وقد قيل ان الابنين كانا في بني اسرايل
وعليه الحسن وذلك اوضح في الاتصال وضمير عليهم قال ابو حيان
الظاهر انه لبني اسرايل اذ هم المتحدث معهم اولا والمقام عليهم الحجج والمنبو لهم
بما في غامض كتبهم التي لا تعلق للرسول بها الا من جهة الوحي لتقوم الحجة
بذلك عليهم اذ هو من دلايل النبوة واتل وجه ايراد هذه
القصة هنا ان هذه الايات لما كانت متعلقة باليهود وقد اخبر انه
كتب عليهم في كتابهم ان النفس بالنفس في الاية الاتية ناسب ان يذكر
في خلال ذلك مبدا القتل واول من سنه ولهذا عقب القصة بقوله
من اجل ذلك كتبنا علي بني اسرايل انه من قتل الي اخره وهذا غاية الملايمة
والارتباط قال لاقتلنك قري بالنون الخفيفة قال انما يتقبل الله
من المتقين فيه جمل محذوفة التقدير قال لم تقتلني قال لتقبل قربانه
دوني لين بسطت الاية الزمخشري فان قلت لم جا الشرط بلفظ الفعل
والجزا بلفظ اسم الفاعل قلت ليفيد انه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف
الشنيع ولذلك اكده بالبا الموكدة للنفي اني اخاف تعليل اني اريد قري
اني بفتح الهمزة والنون استفهام انكار واستبعاد اي كيف اريد وقيل ان همزة
الاستفهام مقدرة في القراة المشهورة وقيل لا مقدرة قبل نبوا علي حد ان تضلوا

وذلك جزاء الظالمين قيل من كلام هابيل وقيل من كلام الله تعالى فطوعت
قال الراغب هو ابلغ من اطاعت اي سمحت له وانقادت وسولت الزمخشري
وسعته له ويسرته ابو حيان هو فعل من الطوع وهو الانقياد كان القتل كان
ممتنعا عليه متعاصيا واصله طاع له قتل اخيه اي انقاد له وسهل على النفوس
فرد ته هذه النفس الامارة بالسوء طايعا منقادا وقرئ فطاوعت بمعنى طوعت
او على معنى ان قتل اخيه كانه دعى نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع
ذكر لزيادة الربط فاصبح اي صار قال ابن عطية اقيم بعض الزمان
مقام كله وخص الصباح بذلك لانه بدا النهار والانبعاث الى الامور ومظنة
النشاط يا ويلتى قرئ بكسر التاء المعجزت قرئ بكسر الجيم لغة فاواري
قرئ بسكون اليا مرفوعا على الاستيناف اي فانا اواري سوءة قرئ بلا همز بحذف
الواو ومشددها من اجل ذلك متعلق بكتبنا وقيل بالنادمين وقرئ اجل
بكسر الهمزة قال اي من جنايته ذلك قال والاجل بالكسر الجناية
التي تخاف منها اجلا فكل اجل جناية وليس كل جناية اجلا كتبنا فيه التفات
فساد قرئ بالنصب على تقدير او ان فسد او ومن احياها الضمير عايد الى نفس
الاولى مرادا به غيرها على طريق الاستخدام انما جزا الاية ابو حيان مناسبتها
لما قبلها ظاهر لما ذكر تغليظ الاثم في قتل النفس بغير نفس ولا فساد في الارض
اتبعه ببيان الفساد الذي يوجب القتل يحاربون الله فيه التفات
وذكر الله تعظيم لجانب الرسول او محاربته تعالى غير ممكنة او على حذف
المضاف ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايد قرئ بالتخفيف في الثلاثة
فاعلموا ان الله غفور رحيم قال الطوفي مناسب للتوبة يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله ابو حيان لما ذكر جزا من حارب الله ورسوله وسعى
في الارض فسادا من العقوبات والعذاب العظيم امر المومنين بتقوى الله
وابتغا القربات اليه فان ذلك هو المنجي من المحاربة والعقاب المعد
للمحاربين الوسيلة الراغب هي التوصل الى الشي برغبة قال وحقيقة الوسيلة
الى الله مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة وهي كالقربة
وجاهدوا في سبيله ابو حيان صرح به وان كان مندرجا تحت ابتغا الوسيلة
لان به صلاح الارض ودفع المحاربين ان الذين كفروا الاية لما ارشد
المومنين الى معاقد الخير ومفاتيح السعادة وذكر فلاحهم شرح حال الكفار
وعاقبة كفرهم ووحد ضميره مع تقدم معطوف ومعطوف عليه اما لتلازمهما
فاجريا مجرى الواحد او اجرا الضمير مجرى الاشارة وقرئ تقبل مبنيا
للفاعل والضمير لله يريدون قيل يرجون وقيل يتمنون وقيل يكادون
ان يخرجوا قرئ بالبنا للمفعول ولهم عذاب مقيم مناسب
لقوله وما هم بخارجين منها لان ذلك هو حقيقة الاقامة في العذاب والسارق
والسارقة لما ذكر جزا المحاربين بالعقوبات التي منها قطع الايدي والارجل
من خلاف ذكر جزا السارقين بذلك والسرقة ايضا نوع من الحرابة والفساد

الا انها على سبيل الخفية وتلك على سبيل الشوكة والظهور وقرئ بالنصب
مفعول اقطعوا وقرئ والسارقون والسارقات والسرق والسرقة الكرماني
قدم السارق على السارقة لان السرقة في الرجال اكثر وجراتهم فيها واقدامهم
اشد وقدمت الزانية على الزاني في اية النور لان اثر المراة في الزنا ابلغ
لتزيينها وتمكينها فاقطعوا ايديهما قرئ ايمانهما والجمع فيه على حد صغت قلوبكما
وحلت ظهورهما من الاكتفا بتثنية المضاف اليه عن تثنية المضاف
والله عزيز حكيم الطوفي مناسب لما في الاية لان التنكيل بالقطع يفتقر الى عزة
وحكم وحفظا للاموال بالقطع من محاسن الحكمة قال واعلم انه حيث اقترنت
هاتان الصفتان وفي السياق ما يستدعي الحكم والحكمة وجب حمل حكيم على انه
مشتق منهما على جهة استخدام اللفظ في معنيين وان استدعى احدهما جعل
مشتقا منه فان المعاني مستفادة من الكلام وسياقه وروي ان بعض
الاعراب سمع قاريا يقرا هذه الاية ويختمها بقوله والله غفور رحيم
فقال ما هذا كلام فصيح فقيل له ليس التلاوة هكذا انما هي عزيز حكيم فقال
بخ بخ عز فحكم فقطع الم تعلم الاية لما ذكر تصرفه في المحاربين والسراق
بالعقوبات نبه على ان ذلك تصرف في ملكه وملكه فيعذب من يشا وهم
المخالفون لامره ويغفر لمن يشا وهم التايبون ولذلك قدم جملة العذاب
واخر جملة المغفرة ليكون كاللف والنشر المرتب وختم بوصف القدرة المناسبة
للملك التام والتصرف التام يا ايها الرسول ابو حيان مناسبة هذه
الاية لما قبلها انه تعالى لما ذكر الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض
فسادا امر رسوله ان لا يحزن ولا يهتم بامر المنافقين واليهود
الذين يحدث منهم ذلك وفي ندايه بذلك وبيا ايها النبي تشريف وتعظيم
وتفخيم لقدره حيث لم يناده باسمه كما نادى غيره من الانبيا يسارعون
قرئ يسرعون ومن الذين هادوا معطوف على من الذين قبلها وسماعون
خبر مبتدا او يويده انه قرئ سماعين نصبا على الذم للكذب قرئ بكسر
الكاف وسكون الذال وبضمهما جمع كذوب كصبور وصبر الكلم قرئ بكسر
الكاف وسكون اللام من بعد مواضعه قال الزجاج من بعد ان وضعه
الله مواضعه فاحل حلاله وحرم حرامه ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه
فاحذروا فيه ثلاث مقابلات السحت بضم الحا وسكونها مع ضم السين وهو
الحرام لانه يسحت البركة اي يذهبها من سحته الله واسحته اهلكه ومنه
فيسحتكم بعذاب اي يستاصلكم ويهلككم الراغب السحت القشر
الذي يستاصل وتناول للمحذور الذي صاحبه العار كانه يسحت دينه ومروته
وقرئ بفتح السين والحا وسكون الحا مع فتح السين وكسرها قال ابو حيان
فبالفتح والكسر والفتحتين اسم للمسحوت كالدهن والرعي والنقض وبالفتح
والسكون مصدر اريد به المفعول كالصيد بمعنى المصيد او من
سحتت الحاطب بمعنى ان الله يحب المقسطين مناسب لقوله وان حكمت

فاحكم بينهم بالقسط وكيف يحكمونك استفهام تعجب وعندهم التوراة جملة حالية
من مبتدا وخبر فيها حكم الله حال من التوراة ثم يتولون قال ابو حيان مستانفة
وقال الزمخشري معطوفة على يحكمونك داخلة في الاستفهام التعجبي
وما اولئك بالمؤمنين قال الطوفي مناسب لقوله ثم يتولون من بعد ذلك لان
التولي عن حكم الله كفر انا انزلنا التوراة مرتبط بقوله وعندهم التوراة
فيها حكم الله وفيه التفات فيها هدى ونور قيل هما بمعنى والتكرير للتاكيد
وقيل الهدى بيان الاحكام والنور بيان التوحيد والنبوة والمعاد وقال
ابن عطية الهدى الارشاد في المعتقد والشرايع والنور مما يستضاء به من
اوامرها ونواهيها يحكم بها النبيون الذين اسلموا فايدة وصفهم بالاسلام الذي
هو معلوم اظهار شرف الاسلام والتعريض باليهود والنصارى في دعواهم
ان الانبيا كانوا يهودا ونصارى وللاشارة الى ان اليهود والنصارى
بعدا من هذا الوصف الذي هو الاسلام وان كان دين الانبيا كلهم
قديما وحديثا وقيل المراد بالنبيين محمد صلى الله عليه وسلم خاصة من العام
المراد به الخصوص لقوله ام يحسدون الناس بما الباسبية استحفظوا
في بنايه للمفعول وصيغة الطلب ما يدل على انه تعالى لم يتكفل بحفظ التوراة
بل طلب منهم حفظها وكلفهم ذلك فغيروا وبدلوا بخلاف كتابنا فان الله قد تكفل
بحفظه حيث قال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فلا يمكن ان يقع فيه
تبديل ولا تغيير من كتاب الله فيه التفات وكانوا الضمير للكتاب وقيل للحكم
وقيل للرسول فلا تخشوا الناس واخشون فيه طباق والتفاتان
في الخطاب والتكلم وقيل الخطاب لهذه الامة فلا التفات فيه ومن لم
يحكم بما انزل الله فيه التفات فاولئك هم الكافرون ختم الاية الثانية
بقوله فاولئك هم الظالمون والثالثة بقوله فاولئك هم الفاسقون
فقيل الاولى في اهل الاسلام والثانية في اليهود والثالثة في النصارى
تخصيصا لكل بما يليه وقيل الثلاثة في اليهود وصفهم بثلاثة اوصاف
وقيل الثلاثة بمعنى الكفر عبر عنه بالفاظ مختلفة اجتنابا بالصورة
التكرار ولزيادة الفايدة وقيل الاولى في المنكر والثانية في العالم
والثالثة في الجاهل وقال صاحب المناجاة لما كانت الاية الاولى
متعلقة بمخالفة الاحكام الاعتقادية ختمت بوصف الكفر ولما كانت
الايتان متعلقتين بتغيير الاحكام الشرعية ختمتا بوصفي الظلم والفسق
وكتبنا فيه التفات عليهم فيه التفات من الخطاب في ولا تخشوا ولا تشتروا
ان النفس الى اخره القراة في المعطوفات بالرفع والنصب وقرى بتخفيف
ان ورفع النفس وما بعدها والقراة الاذن بضم الذال وسكونها لغتان
به الضمير للقصاص الشامل للنفس والاعضا والجروح وهو نوع غريب
اذ كان الضمير عاما ومرجعه خاص فهو الضمير للتصدق بما انزل الله فيه التفات
وقفينا فيه التفات على اثارهم اي النبيين فيه هدى ونور جملة حالية

اي كتابنا ولذا عطف عليه ومصدقا وهدى وموعظة حالان وقرى برفعهما على تقدير
وهو ابو حيان جعله اولا فيه هدى ونور وجعله ثانيا هدى وموعظة فهو في نفسه
هدى وهو مشتمل على الهدى وليحكم القراة بلام الامر وبلام كي على معنى اتيناه
الانجيل ليحكم فالعطف على هدى وموعظة على ان نصبهما على المفعول له بما انزل الله
فيه التفات وانزلنا فيه التفات ومهيمنا اسم فاعل من هيمن ولم يجي على هذا
الوزن الا هو وسيطر وبيطر وخيمن وبيقر ومعناه الشاهد او الرقيب
او المؤتمن او المصدق او الامين قال ابن عطية ولفظ المهيمن على الشي
هو المعني بامره الشاهد على حقايقه الحافظ لاصله وقرى بفتح الميم الثانية
اسم مفعول وقال عليه ابيه او الحفاظ في كل بلد اي انه محفوظ من التبديل
والتغيير وعلى كل هو حال من الكتاب وقيل حال من الكاف في اليك على سبيل
الالتفات وقيل التقدير وجعلناك يا محمد مهيمنا عليه بما انزل الله فيه
التفات ولا تتبع اهواءهم عما اي عادلا عن ما وقيل ضمن تتبع معنى تتحرف
او تنصرف فعدى بعن جعلنا فيه التفات شرعة ومنهاجا قيل هما بمعنى وهو
الطريق الواضح وقال المبرد الشرعة ابتدا الطريق والمنهاج الطريق المستمر
وقال ابن الانباري الشرعة الطريق واضحا كان او غير واضح والمنهاج
لا يكون الا واضحا وقيل الشرعة الدين والمنهاج الدليل وقيل الشرعة النبي والمنهاج
الكتاب وقال ابن عطية المنهاج بنا مبالغة من النهج ويحتمل ان يريد بالشرعة
الاحكام وبالمنهاج المعتقد الراغب النهج الطريق الواضح والشرع نهج الطريق
الواضح واصله مصدر ثم جعل اسما للطريق فقيل له شرع وشرعة وشريعة واستعير
ذلك للطريقة الالهية من الدين وعن ابن عباس الشرعة ما ورد به القران
والمنهاج ما وردت به السنة وقرى شرعا بفتح الشين ولو شا الله فيه التفات
ولكن فيه متعلق راي ليريبكم ذلك وان احكم الزمخشري معطوف على قوله
وانزلنا اليك الكتاب بالحق اي وانزلنا اليك ان احكم او على قوله فاحكم
بينهم واعترض بما بينهما قال القاضي ابو يعلى وليست هذه الاية
تكرارا لما تقدم وانما نزلتا في شيئين مختلفين احدهما شان الرجم والاخر التسوية
والقراة بضم نون وان اتباعا لحركة الكاف وكسرها على اصل التقاء الساكنين
افحكم قرى بالرفع على الابتدا والخبر يبغون وقرى بفتح الحاء والكاف
والميم بمعنى الحكام يبغون بالغيبة والخطاب خفية فيه التفات اولياء
فلا يتخذ له اربابا لا يهدي القوم الظالمين اي بوضع الولاية في غير موضعها
فترى بالفوقية خطابا عاما او للرسول وقرى بالتحتية عود الله وللراي
يسارعون قرى يسرعون دايرة الراغب الدايرة عبارة عن الخط المحيط
ثم عبر بها عن الحادثة قال والدايرة تقال في المكروه والدولة في المحبوب
فيصبحوا قرا ابن الزبير فيصبح الفساق ويقول بالنصب عطفا على فيصبحوا
والرفع وفي قراة بغير واو جواب فماذا يقول المؤمنون حبطت اعمالهم
اما من تتمة قول المؤمنين او من قول الله وعلى كل اما خبر او اما دعا من يرتد

بالادغام وَالفك **اذلة على المومنين اعزة على الكافرين** فيه طباق وَعدي اذلة
بعلى وَالاصل تعديته باللام على تضمين معنى الحنو والعطف كانه قيل عاطفين على
المومنين على وجه التذلل وَالتواضع وجات هاتان الصفتان بالاسم والصفتان
قبل بالفعل في قوله يحبهم ويحبونه لان المحبة منهم عبارة عن افعال الطاعة ومنه تعالى
عبارة عن الانعام وَكلاهما متجدد بخلاف صفتي التذلل والعزة وقد مر الوصف
المتعلق بالله لشرفه وقرى بنصب اعزة واذلة حالا **وَالله واسع عليم** مناسب
للفضل ولمن يوتاه **انما وليكم** لما نهاهم عن اتخاذ اليهود وَالنصارى اوليا بين هنا من هو
وَليهم الشيخ سعد الدين هو متصل به وَما بينهما لتاكيد النهي وعبر بالافراد دون
الجمع اشارة الى التلازم وقرى مولاكم **وَيوتون الزكاة وهم راكعون** نزلت
في علي حين تصدق بخاتمه وهو راكع في الصلاة تعرف مناسبة الختم بها **ومن يتول**
الله ورسوله جواب الشرط محذوف اي يغلب دل عليه **فان حزب الله هم الغالبون**
الراغب الحزب جماعة فيها غلظ ابوحيان اصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم له
وَالكفار بالجر عطفا على الذين اوتوا وبالنصب عطفا على الذين اتخذوا وقرا ابي
ومن الكفار وقرا ابن مسعود ومن الذين اشركوا **وَاذا ناديتم** عطف على اتخذوا و
عطف على الخاص على العام له لشرف الصلاة **اتخذوا** اي الصلاة او المناداة **هل**
تنقمون منا الا ان امنا من تاكيد المدح بما يشبه الذم وهل بمعنى ما النافية وقرى
تنقمون بفتح القاف لغة وقرى انزل بالبنا للمفعول في الموضعين وقرى وان
اكثركم بكسر الهمزة الزملكاني وان اكثركم معطوف على قوله بالله لانهم ما نواحيث
نسبوا الى الفسق في مواضع من السورة كقوله فلا تاس على القوم الفاسقين وان
كثيرا من الناس لفاسقون ابوحيان موضع ان يحتمل الرفع على الابتدا والخبر محذوف
متاخرا اي وفسق اكثركم ثابت معلوم عندكم او مقدما اي ومعلوم فسق اكثركم
وَالنصب عطفا على ان امنا او مفعول وَلا تنقمون مقدرا او مفعولا معه
وَالجر عطفا على ما او على علة محذوفة اي لقلة انصافكم **من ذلك** على لغة من
يفرد كاف الاشارة بكل حال **مثوبة** بوزن معونة وقرى بوزن مقتلة
ووضعت هنا موضع العقوبة على حد فبشرهم بعذاب اليم **وَعبد الطاغوت**
بصيغة الماضي وقرى وعبد واعبد بسكون البا مخففا من مفتوحها ونصب
الطاغوت وَبضم البا ورفع الطاغوت كشرف الرجل اي صار له ان عبد
وَعبد الطاغوت وعبدت بالبنا للمفعول فيهما وقرى ومن عبدوا وعباد
بكسر العين مخففا وبضمها مشددا جمع عابد وعبد بضمتين جمع عبد كرهن
وَرهن وعبد بالضم وتشديد البا المفتوحة جمع عابد وعبيد واعبد
وَعبد الطاغوت بالاضافة وفتح العين والبا اي وعبدة وعبدنا الطاغوت
وَعابدي وعابد واو عابد وعبد بوزن كلب وبوزن حطم وبوزن يقظ
بضم القاف وعابد الشيطان والطواغيت **شر مكانا** الكرماني هو مبالغة
من غير اشتراك على حد العسل احلى من الخل **وَقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به**
ابوحيان خالف بين الجملتين اتساعا في الكلام ابن عطية قوله وهم تخليص

من

من احتمال العبارة ان يدخل قوم بالكفر ثم يومنوا ويخرج قوم كفرة لو قيل وقد خرجوا
به فازال الاحتمال بقوله وهم اي هم باعيانهم **وَالعدوان** قرى بكسر العين **الربانيون** قرى
الربيون **لبيس** قرى بحذف اللام **يصنعون** الزمخشري كل عامل لا يسمى صانعا
وَلا كل عمل صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب اليه وكان المعنى في ذلك ان
مواقع المعصية معه الشهوة التي تدعوه اليها وَتحمله على ارتكابها واما الذي نهاه
فلا شهوة معه في فعل غيره فاذا فرط في الانكار كان اشد حالا من المواقع وَظهر
بذلك الفرق بين ذم متعاطي الذنب وبين تاركي النهي عنه حيث جعل ذاك
عملا وَهذا صناعة وَختم تلك الاية بيعملون وهذه بيصنعون **لعنوا بما قالوا**
وقرى بسكون العين **يداه مبسوطتان** استعارة لسعة جوده وانعامه
واضافه الى اليدين جريا على طريقة العرب في قولهم فلان ينفق بكلتا
يديه الزمخشري فان قلت لم ثنيت اليد هنا وهي مفردة في قوله
قلت ليكون رد قولهم وانكاره ابلغ وادل على اثبات غاية السخا
ونفي البخل عنه وَذلك ان غاية ما يبذله السخي ان يعطي بيديه جميعا فبنى
المجاز على ذلك وقرى بسطتان وبسطان بضمتين يقال يده بسطة وبسط
بالمعروف اي مطلقة **ينفق كيف يشا** جملة مستانفة موكدة للوصف
بالسخا وانه لا ينفق الا على ما تقتضيه مشيئته **والقينا** فيه التفات
بينهم قيل الضمير لليهود خاصة وقيل لهم وَللنصارى لتقدم ذكرهم في الايات
السابقة **العداوة وَالبغضا** ابوحيان العداوة اخص من البغضا لان كل عدو
مبغض وقد يبغض من ليس بعدو ابن عطية كان العداوة شي يشهد يكون
عنه عمل وحرب وَالبغضا لا تتجاوز النفوس **كلما اوقدوا نارا للحرب**
اطفاها الله هو استعارة فايقاد النار عبارة عن اظهار الحقد وَالكيد
وَالمكر بالمومنين وَالاغتيال والقتال وَاطفاوها صرف الله عنهم
ذلك وتفرق ارايهم وحل عزايمهم وتفريق كلمتهم والقا الرعب في قلوبهم
فهم لا يريدون محاربة احد الا غلبوا وقهروا وفي اطفاها الله التفات
لكفرنا فيه التفات **اقاموا التوراة** اي اظهروا ما انطوت عليه من الاحكام
تشبيها بالقايم من الناس اذ هي اظهر هياته **من ربهم** فيه التفات
لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم استعارة لسبوغ النعم وتوسعة الرزق
عليهم كما يقال قد عمه الرزق من فرقه الى قدمه ولا فوت ولا عت
مقتصدة الراغب القصد استقامة الطريق ومنه الاقتصاد وهو على ضربين
احدهما محمود على الاطلاق وذلك فيما له طرفا افراط وتفريط كالجود
فانه بين الاسراف والبخل وكالشجاعة فانها بين التهور والجبن وعلى هذا
وَاقصد في مشيك وَالثاني يكنى به عما يتردد بين المحمود والمذموم كالواقع
بين العدل وَالجور والقريب والبعيد وعلى ذلك قوله فمنهم ظالم لنفسه
ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات وقوله لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا
اي متوسطا غير متناهي البعد **وكثير منهم سا ما يعملون** ابوحيان هذا تنويع في

التفصيل فالجملة الاولى جاخبرها مجرور واستد ما والمجرور وصف والثانية جا
خبرها جملة موجزة ومقتصدة وصف وبين التركيبين تنافر وتدغرب من حيث المعنى
وذلك ان الاقتصاد جعل وصفا والوصف الزم للموصوف من الخبر فاتي في الطائفة
الممدوحة بالوصف اللازم واخبر عنها بقوله منهم والخبر ليس من شانه اللزوم
لاسيما هنا فاخبر عنهم بانهم من اهل الكتاب في الاصل ثم قد تزول هذه
النسبة بالاسلام فيكون التعبير عنهم والاخبار بانهم منهم باعتبار الحالة الماضية
واما في الجملة الثانية فانهم منهم حقيقة لانهم كفار فجا الوصف بالالزم
ولم يجعل خبرا وجعل الخبر الجملة التي هي ساء ما يعملون لان الخبر ليس من شانه اللزوم
فهم بصدد ان يسلم ناس منهم فيزول عنهم الاخبار بمضمون هذه الجملة يا ايها الرسول
ابوحيان فناسب ذكرها خلال قصة اليهود والنصارى انه تعالى امنه من مكرهم
وامره بالتبليغ من غير مبالاة باحد قال لان الكلام قبل هذه الاية وبعدها
معهم فيبعد ان تكون هذه الاية اجنبية عما قبلها وما بعدها وان لم تفعل فما
بلغت رسالته ظاهر هذا الجواب لايناسب الشرط اذ المعنى وان لم تفعل
لم تفعل والجواب لابد ان يغاير الشرط حتى يترتب عليه فقال الزمخشري
فيه وجهان احدهما انه اذا لم يمتثل امر الله في تبليغ الرسالات وكتمها كانه لم
يبعث رسولا كان امرا شنيعا فقيل انه لم يبلغ منها ادنى شي وان كلمة واحدة
فانت كمن ركب الامر الشنيع الذي هو كتمان كلها كما عظم قتل النفس بقوله فكانما
قتل الناس جميعا والثاني ان يراد ان لم تفعل فلك ما يوجبه كتمان الوحي
من العقاب فوضع السبب موضع المسبب وقال ابن عطية اي ان تركت شيا
فكانك قد تركت الكل فصار ما بلغت غير معتد به فمعنى وان لم تفعل وان لم تستوف
وقال الزملكاني اي وان لم تفعل هذا الخاص فما بلغت مطلق رسالته
ويدل على ان الاول خاص قوله والله يعصمك من الناس دل على انه تخوف
في رسالة مخصوصة وقال الامام الاصح ان هذا خرج مخرج قوله انا ابو النجم
وشعري شعري ومعناه ان شعري قد بلغ في الكمال والفصاحة الى حيث
متى قيل فيه انه شعري فقد انتهى مدحه الى الغاية التي لا يمكن ان يزاد عليها وهذا
الكلام يفيد المبالغة التامة من هذا الوجه فكذا هنا قال فان لم تبلغ رسالته
فما بلغت رسالته يعني انه لا يمكن ان يوصف ترك التبليغ بتهديد اعظم من انه
ترك التبليغ فكان ذلك تنبيها على غاية التهديد والوعيد وقرئ رسالته
بالجمع حتى تقيموا اجمع في الضمير والمقصود التفصيل اي حتى يقيم اهل التوراة
واهل الانجيل الانجيل ان الذين امنوا قرا ابن مسعود يا ايها الذين امنوا والصابئون
مبتدا منوي به التاخير وقرئ بالياء على العطف لقد اخذنا فيه التفات
كلما جاءهم رسول العائد محذوف اي منهم وكذا جواب الشرط اي ناصبوه لان
الرسول الواحد لا يكون فريقين وقوله فريقا كذبوا جواب سوال
كانه قيل كيف فعلوا برسلهم فقيل فريقا كذبوا وفريقا يقتلون قال الزمخشري
والزملكاني ان لا تكون بالنصب ناصبة والرفع مخففة فعموا وصموا كناية

عن العصيان وبدى بالعمى لانه اول ما يعرض للمعرض عن الشرايع ان لا يبصر من اتاه
من عند الله ثم يعرض له الصمم من سماع كلامه وقرئ بضم العين والصاد وتخفيف
الميم من باب زكم الرجل وهي افعال جات مبنية للمفعول وهي متعدية ثلاثية
فاذا بنيت للفاعل صارت قاصرة فاذا اردت بناها للفاعل متعدية ادخلت
همزة النقل وهو نوع غريب في الافعال ثم تاب الله فيه التفات واسند
التوبة اليه دون العما والصمم حيث لم يات فاعماهم الله واصمهم اسنادا للفعل
الشريف اليه وافادة الفا تعقيب العما والصمم للحسبان وثم لتراخي التوبة
فما دبهم في الضلال زمانا ثم عموا وصموا كثير قيل هو على لغة اكلوني البراغيث
وقرئ كثيرا بالنصب والله بصير بما يعملون ابوحيان ناسب ختم الاية بهذه الجملة
المشتملة على صفة بصير اذ تقدم قبله فعموا انه من يشرك بالله قيل هو من تتمة
كلام المسيح وقيل مستانف من كتاب الله وما من اله الا اله واحد اكد بزيادة
من الاستغراقية ليمسن الذين كفروا اقام الظاهر مقام المضمر اذ لم يات ليمسنهم
لتكرار الشهادة عليهم بالكفر والاعلام بانهم كانوا بمكان من الكفر اذ جعل الفعل في
صلة الذين وهي تقتضي كونها معلومة للسامع مفروغا من ثبوتها واستقرارها ولانه
قد تاب منهم طايفة افلا يتوبون لطف بهم واستدعا الى التنصل من تلك المقالة
الشنيعة وقدره الزمخشري ايثبتون على الكفر فلا يتوبون وجعله استفهام تعجب
وقال القرافي هو استفهام معناه الامر كقوله فهل انتم منتهون قد خلت
من قبله الرسل قرئ رسل كانا ياكلان الطعام قيل انه كناية عن قضا الحاجة
تبين فيه التفات ثم انظر كرره لاختلاف المتعلق لان الاول امر بالنظر في كونه
تعالى بين لهم الايات ووضحها بحيث لا يكون يقع معها لبس والثاني امر بالنظر
في كونهم يصرفون عن استماع الحق وتامله او في كونهم يقلبون ما بين لهم الى الضد
منه وهذان امران عجيبان ودخلت ثم لتراخي ما بين العجيبين وكانه يقضي العجب
من توضيح الايات وتبيينها ثم ينظر في حال من بينت له فيرى اعراضهم عن
الايات اعجب من توضيحها لانه يلزم من تبيينها تبينها لهم والرجوع اليهم فكونهم
افكوا عنها اعجب ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا ابن جاعة في مواضع قدم الضر
وفي مواضع النفع فالاول حيث تقدم سياق الملك والقدرة والثاني حيث
كان السياق في الدعا والعبادة والسوال والله هو السميع العليم
فيه التفات ولما كانت العبادة تتضمن قولا واعتقادا ختمها بهاتين الصفتين
قاله ابوحيان والطوفي غير الحق صفة مصدر اي غلوا وضلوا عن سوا السبيل
قيل تاكيد لضلوا الاول وقيل لا والمعنى ضلوا الان بعد وضوح الحق
على لسان داود وعيسى افرد ولم يقل لساني او السنة لان الافصح انه اذا فرق
متضمنا الجزئين اختير لفظ الافراد على لفظ التثنية والجمع ذلك بما عصوا تاكيد
والافقد فهم سبب اللعنة من اسناده الى الذين كفروا وكانوا يعتدون
يحتمل العطف والاستيناف كانوا لا يتناهون تفسير لما قبله ترى كثيرا منهم الضمير
للنبي او لبني اسرايل مرادا به من في زمن الرسول والاية وما بعدها اعلاني

بالاية السابقة في النهي عن اتخاذ الكفار اوليا والنبي فيه التفات من الخطاب في ترى
ولكن كثيرا منهم من اقامة الظاهر مقام المضمر لتقدمه في ترى كثيرا منهم لطول الكلام
لتجدن اشد الناس عداوة مناسبا لما في الاية قبله من اتخاذ اليهود الكفار اولياء
وفي الخطاب التفات من النبي وفي الاية طباقات بين اشد واقرب
وعداوة ومودة وامنوا واشركوا واليهود والنصارى ابو حيان وصفا لعداوة
بالاشد والمودة بالاقرب لتفاوت الجنسين بالنسبة الى المومنين فتلك العداوة
اشد العداوات واظهرها وتلك المودة اقرب واسهل قسيسين قيل اعجمي معرب
وقيل القسيس بمعنى الصديق وقرى بدله صديقين واذا سمعوا قال ابن عطية
هو خاص في من امن من القادمين من ارض الحبشة وما قبله عام الى الرسول
فيه التفات ترى فيه التفات اخر اعينهم تفيض ابو حيان اسند الفيض الى الاعين
وان كان حقيقة للدموع كما قال ففاضت دموع العين مني صبابة ٭
اما اقامة للمسبب مقام السبب لان الفيض مسبب عن الامتلا والاصل ترى اعينهم
تمتلي من الدموع حتى تفيض لان الفيض على جوانب الانا ناشي عن امتلايه واما على
سبيل المبالغة في البكا لما كانت تفاض يجعلت الفايضة بانفسها الراغب
فاض الما اذا سال منصبا وقرى بنا ترى للمفعول من الدمع مما عرفوا من الحق
من الاولى ابتدايية والثانية سببية والثالثة تبيينية ونطمع ابو حيان الطمع
قريب من الرجا الراغب الطمع نزوع النفس الى الشي شهوة له فاثابهم قرى فاتاهم
يا ايها فيه التفات يا ايها الذين امنوا ابو حيان مناسبتها لما قبلها انه تعالى
لما مدح النصارى بان منهم قسيسين ورهبانا وعادتهم الاحتراز عن طيبات
الدنيا ومستلذاتها والنكاح او هو ذلك المدح ترغيب المسلمين في مثل ذلك التقشف
والتبتل فبين تعالى ان الاسلام لا رهبانية فيه احل الله فيه التفات لا يواخذكم الله
وجه اتصالها بما قبلها ان الاية التي قبلها نزلت فيمن حلف لا ياكل اللحم ولا يتزوج
النسا ولا ينام ولا يفطر فلما كان رد عليهم بمضمونها عقبت بكفارة الايمان التي حلفوها
عقدتم بالتخفيف والتشديد وفي قراءة عاقدتم وقرى عقدتم الايمان وفي الاية
طباقان بين السلب والايجاب واللغو وعقدتم اهليكم قرى اهاليكم بسكون اليا
او كسوتهم قرى بضم الكاف وقرى او كاسوتهم قال الزمخشري ومعناه او مثل
ما تطعمون اهليكم اسرافا كان او تقتيرا لا تنقصونهم عنهم ولكن تواسون بينهم
وبينهم قال ومحل الكاف رفع والتقدير او طعامهم كاسوتهم بمعنى
كمثل طعامهم ان لم تطعموهم الاوسط او تحرير الراغب التحرير جعل الانسان
حرا اذا حلفتم اي وحنثتم يا ايها الذين امنوا ابو حيان مناسبة الاية لما قبلها انه
تعالى لما امرهم باكل ما رزقهم حلالا طيبا وكان من المستطاب المستلذ ٥
عندهم الخمر والميسر بين تحريمهما لان اللذة فيهما يعارضها مفاسد عظيمة
وقرن بهما ذكر الانصاب والازلام وسوى بين الاربعة في الاخبار عنها
بالرجس مبالغة في ذم الخمر والميسر والتنفير منها رجس الاكثر ان الرجس
والنجس بمعنى الا ان النجس يقال في المستقذر طبعا والرجس اكثر ما يقال

في

في المستقذر عقلا فاجتنبوه الضمير راجع للرجس المخبر به من الاربعة انما يريد الاية
بين تعالى فيها مفسدتين في الخمر والميسر احداهما دنيوية والاخرى دينية
واقتصر على ذكر الخمر والميسر لانهما المقصودان بالسياق فهل انتم منتهون
استفهام بمعنى الامر ولذا عطف عليه واطيعوا الله الى اخره وكرر واطيعوا تاكيدا
رسولنا فيه التفات ليس على الذين امنوا فيه التفات عن الخطاب
اذا ما اتقوا الى اخره قيل التكرار للتاكيد ولا ينافيه العطف بثم كما في قوله
كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وقيل لاختلاف المتعلق فالاول
للماضي والثاني للحال والثالث للاستقبال وقيل الاول للشرك والثاني
للكباير والثالث للصغاير ولذا قرن به واحسنوا والله يحب المحسنين ٥
فيه التفات يا ايها الذين امنوا فيه التفات ابو حيان مناسبة هذه الايات
انه تعالى لما امرهم ان لا يحرموا الطيبات واخرج من ذلك الخمر والميسر وهما
حرامان ابدا اخرج بعده من الطيبات ما حرم في حال دون حال وهو الصيد
تناله ايديكم ورماحكم الاول للصغار والثاني للكبار ابن عطية خصت
الايدي بالذكر لانها اعظم تصرفا في الاصطياد وفيها تدخل الحبالات والشباك
المعمولة باليد والرماح لانها اعظم ما يجرح به الصيد وفيها يدخل السهم ونحوه
وقرى يناله بالتحتية ليعلم قرى بوزن يكرم وانتم حرم قال ابو حيان
يشمل المحرم والكاين بالحرم بناء على استعمال اللفظ في معنييه فجزاء مثل بالاضافة
جزا بالنية وتنوينه ومثل مرفوع صفة وقرى بنصبه مع رفع جزاء ونصبه
وقرى فجزاوه مثل من النعم قرى بسكون العين لغة ذوا عدل قرى
ذو بالافراد هديا قرى بكسر الدال وتشديد اليا او كفارة طعام بالتنوين
والاضافة مساكين قرى بالافراد على انه اسم جنس او عدل قرى بكسر العين
ليذوق وبال امره في الذوق استعارة الراغب الوبال المطر الثقيل وقيل
للامر الذي يخاف ضرره وبال لمراعاة الثقل ابو حيان الوبال
سو العاقبة وطعامه من عطف الخاص على العام وقرى وطعمه متاعا مصدر
او مفعول له وحرم قرى بالبنا للفاعل دمتم قرى بكسر الدال حرما قرى
قرى بفتحتين جعل الله الكعبة ابو حيان لما ذكر تعالى تعظيم الاحرام بالنهي
عن قتل الصيد وتعظيم الكعبة بقوله هديا بالغ الكعبة ذكر في هذه الاية
تعظيم الكعبة والشهر الحرام والهدي والقلايد قلت وبهذه الاية
ظهر توافق اول السورة واخرها قياما في قراءة قيما بحذف الالف وقرى قيما
بوزن سيد ذلك اشارة للجعل المذكور ووجه الترتيب ما فيه من مراعاة
المصالح وقيل الاشارة الى ما انبا به في هذه السورة من المغيبات
مثل قوله سماعون للكذب وان الله بكل شي عليم مناسب لما قبله ولما تضمنه
الاية من مراعاة المصالح اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم
فيه مقابلة الترتيب بالترهيب كخاتمة الانعام ونحوها البلاغ هو مصدر
بلغ اقيم مقام مصدر بلغ قل لا يستوي الخبيث والطيب له اتفاق بتحريم الخمر

والحزن **يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشيا** الامام مناسبة الاية لما قبلها انه تعالي
لما قال ما علي الرسول الا البلاغ صار كانه قال ما بلغه الرسول
فخذوه ولونوا منقادين له وما لم يبلغه فلا تسالوا عنه ولا تخوضوا فيه
فربما جاكم بسبب الخوض الفاسد تكاليف تشق عليكم **ان تبد** قري بالبنا
للفاعل وبالفوقية والتحتية **تسوكم** قري بالتحتية **والله غفور حليم** قال
الطوفي مناسب لقوله عفا الله عنها **قد سالها** فيه استخدام لان الاشيا التي سالت
عنها الصحابة غير التي سالها من قبلهم **ما جعل الله من بحيرة** ابو حيان لما نهي تعالي
عن سوال ما لم ياذن فيه منع من التزام امور لم يشرعها وهو من باب
العود بعد الاستطراد الي الكلام في المحللات والمحرمات ولذا اتصل بقوله
لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ابن عطية جعل في هذه الاية لا يتجه ان يكون
بمعني خلق لان الله خلق هذه الاشيا ولا بمعني صير لعدم المفعول
الثاني وانما هي بمعني ما سن ولا شرع قال ابو حيان ولم يذكر النحويون
في معاني شرع جعل بل هي بمعني صير والمفعول الثاني محذوف اي ما صيرها
الله مشروعة الزملكاني اعلم ان فعل يعم في العبارة لمعان خمسة مثل وفعلت
فعلتك التي فعلت ولو انهم فعلوا ما يوعظون به وما تفعلوا من خير يعلمه
الله ثم بعدها عمل لانها لا تعم معني النية والهم وانما تقع علي عمل البدن ونحوه
قال تعالي وقدمنا الي ما عملوا من عمل اي من صدقة وجهاد وغير ذلك
فلا يدخل فيه العزم فانهم لم يجزوا علي شي من ذلك وانما جعل بمعني صير
كثيرا وقيل بمعني اوجب ايضا فقوله ما جعل الله من بحيرة ولا اي ما اوجبها
ولا امر بها انتهي **يا ايها الذين امنوا الاية** قال ابن زيد المعني في يا ايها الذين امنوا
من الذين بحروا البحيرة وسيبوا السوايب عليكم انفسكم في الاستقامة
علي الدين لا يضركم ضلال الاسلاف اذا اهتديتم قال وكان الرجل اذا اسلم
قال له الكفار سفهت اباك وضللتهم فنزلت الاية بسبب
ذلك وهذا وجه حسن في الربط ثم للاية مناسبة بقوله ما علي الرسول
الا البلاغ وعليكم اسم فعل بمعني الزموا انفسكم مفعول به وقري انفسكم بالرفع
علي الابتدا والخبر مع مراعاة معني الاغرا وقيل انه تاكيد للضمير المستكن في عليكم
لا يضركم قري بالفك مجزوما جواب الامر وقري بالجزم ايضا والتخفيف
مع ضم الضاد وكسرها من ضاره يضوره وضاره يضيره **يا ايها الذين امنوا** قال
ابو نصر القشيري لما نزلت السورة للوفا بالعقود وذكر الجنايات اخر الكلام
الي هذا الكرماني ذكر المفسرون ان هذه الاية من اشكل اية في القران حكما
ومعني واعرابا **شهادة بينكم** الزملكاني اي عدد شهادة بينكم الذي ينفذ به
الحكم اذا كان تنازع ويدل عليه قوله اثنان ونظيره الحج اشهر اي مدة اشهر
والشهادة مصدر وضع هنا بمعني الشهود وقوله بينكم هو التنازع الواقع
بينهم والاضافة تقع بمعني اي بادني ملابسة كقوله ولمن خاف مقام ربه
وقيل علي حذف الموصول اي شهادة ما بينكم ونظيره واذا رايت

ثم اي ما ثم فراق يعني هذا بينك اي ما بيني لقد تقطع بينكم اي ما بينكم وقري
بتنوين شهادة مرفوعا ومنصوبا علي تقدير ليشهد وبينكم فيهما منصوب علي
الظرف **ان انتم ضربتم** قال ابو حيان هذا التفات ولو جري علي لفظ اذا حضر
احدكم لقيل ان هو ضرب وانما جا الالتفات جمعا لان معني احدكم كل واحد منكم
تحبسونهما ابو حيان الخطاب للمومنين لا لما دل عليه الخطاب في قوله ان انتم
ضربتم في الارض فاصابتكم لان من ضرب في الارض واصابه الموت ليس هو الحابس
الراغب الحبس المنع من الانبعاث الزملكاني اي تقيمونهما للحلف وقيل تصبرونهما
علي اليمين ومعني الصبر ان يحلف الرجل غير متبرع بها **ان ارتبتم** اعتراض بين القسم وجوابه
لا نشتري به الضمير للقسم وقيل لله وقيل لتحريف الشهادة قال الزملكاني
وهو مقتضب من قوله الذين يشترون بعهد الله الاية والشرا كناية عن الاخذ
ولو كان اي المقسم له وهو اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه قاله الزملكاني
ومقتضب من قوله ولو علي انفسكم الاية قاله الزملكاني **ولا نكتم شهادة الله**
اضيفت اليه تعالي لانه الامر بها فانما الناهي عن كتمانها قال الزملكاني
والجملة مقتضبة من قوله واقيموا الشهادة لله وقري نكتم بالنون ودخول
الناهية علي فعل المتكلم قليل وقري بتنوين شهادة ونصب الجلالة مفعول
نكتم وجرها علي القسم بمد الف وردة **انا اذا لمن الاثمين** قال الزملكاني مقتضب
من قوله ومن يكتمها فانه اثم قلبه **فان عثر** الراغب عثر الرجل سقط علي شي ويتجوز
به فيمن يطلع علي امر من غير طلبه كقوله فان عثر الاية ولذلك اعثرنا عليهم
اي وقفناهم علي شي من غير ان طلبوا **استحقا اثما** قال الزملكاني كناية
عن الخيانة وقال الكرماني اي جزا اثم بحذف المضاف
استحق عليهم القراة بالبنا للفاعل والمفعول والاوليان مرفوع تثنية
الاولي وبالبنا للمفعول والاولين جمع اول وقري بالبنا للفاعل والاولان
مرفوع تثنية اول والاوليين منصوب تثنية اولي قال الزملكاني من قراة
الاوليان اراد الاقربان الي الميت وهو بدل وهو بدل من اخران او من ضمير يقومان
او خبر مبتدا كانه قيل من هما قيل هما الاوليان بالميت ومن قرا الاولين فهو
نعت لجميع الورثة ومن قرا الاولان فمعناه المتقدمان بالدعوي من الاول
والاخر وقال غيره معني القراة الاولي من الذين استحق عليهم الاثم
اي جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته ومعني الثانية من الورثة الذين
استحق عليهم اوليان بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ومعني الثالثة
كالاولي ومعني الرابعة من الذين استحق عليهم الاولان رد اليمين والنص
في الخامسة علي القطع **لشهادتنا احق من شهادتهما** سمي القسم هنا شهادة لتشبهه
في ايجاب الحق **انا اذا لمن الظالمين** مناسب لقوله وما اعتدينا كما ناسب
انا اذا لمن الاثمين كتم الشهادة **ذلك ادني ان ياتوا الي اخره** ابو حيان جمع الضمير
في ياتوا وما بعده وان كان السابق مثني باعتبار الصنف والنوع **يوم يجمع الله
الرسل** ابو حيان مناسبة الاية لما قبلها انه تعالي لما اخبر بالحكم في شاهدي الوصية

وامر بتقوى الله والسمع والطاعة ذكر بقوله اليوم المهول المخوف وهو يوم
القيامة تجمع بذلك بين فضيحة الدنيا وعقوبة الاخرة لمن حرف الشهادة
ولمن لم يتق الله ولم يسمع وقد قيل ان يوم منصوب باسمعوا او باتقوا او بلا
يهدي او باضمار واحذروا او على البدل ـــــــ من منصوب واتقوا وكل ذلك
ظاهر الاعلاق **ماذا اجبتم** قرئ بالبنا للفاعل **قالوا لا علم لنا** اي بالبواطن
قال ـــــــ المرسي اي انك تعلم ما اظهروا وما اضمروا ونحن لا نعلم الا ما اظهروا
فعلمك فيهم انفذ من علمنا فبهذا المعنى نفوا العلم عن انفسهم لا ان علمهم مع علم الله
كلا علم **علام الغيوب** قرئ بنصب علام على الاختصاص او النداء وانت خبر ان
او هو محذوف لفهم المعنى اي انك الموصوف باوصافك الموصوفة من العلم وغيره
وفي قراءة الغيوب بكسر الغين حيث وقع لاستثقال توالي ضمتين مع اليا **اذ**
قيل يحتمل ان يكون بدلا ـــــــ من يوم يجمع **ايدتك** قرئ بالمد **تكلم الناس**
في المهد وكهلا قال ابن ملكاني اي في المهد كلام اخبار وفي الكهولة كلام انذار وذلك
وجه الانعام **فتنفخ فيها** قرئ فتنفخها **فتكون** قرئ بالتحتية **واذ تخرج الموتى**
كناية عن الاحيا او يقدر احيا **باذني** كرر اربع مرات وفي ال عمران مرتين
لان هذا موضع ذكر النعمة والامتنان بها فناسب الاسهاب وهناك موضع
اخبار لبني اسرائيل فناسب الايجاز **سحر** في قراءة ساحر فالاشارة الى عيسى
وعلى الاول ـــــــ الى ما جا به **اذ قال الحواريون** قال ابن عطية هو
اعتراض لما وصف حال قول الله لعيسى يوم القيامة ومن جملته واذ اوحيت
الى الحواريين اعترض بقصتهم في طلب المائدة ولهذا قطعت عن العاطف

وقال ابو حيان مناسبة افتتاح هذه السورة لآخر المائدة انه تعالى لما ذكر ما قالته النصارى في عيسى وامه من كونهما الهين وجرت تلك المحاورة ذكر انه له ملك السموات والارض وما فيهن وانه قادر على كل شيء عقبه بان له الحمد المستوفي جميع المحامد والثناء الصادقين واعقب ذلك بما دل على العلة المقتضية لجميع المحامد والمقتضية لكون ملك السموات والارض وما فيهن له فلا يمكن ان يثبت من ذكر في الالهية فيجد ثم نبه على الاستيلاء والسلطنة عليه وانه تقدم قولهم في عيسى وكونهم يذكرون ذكر الجمهور بوصف خلق السموات والارض لان الموجد للشيء المنفرد باختراعه وخلق السموات والارض بعد الظلمات والنور فكان ذلك مناسبا للكافرين والصادقين وفرائهم اعقب خلق السموات والارض والصادقين

سورة الانعام

واقول فيما ظهر لي بفضل الله لما ذكر في اخر المائدة ان له ملك السموات والارض على سبيل الاجمال ــــــ افتتح هذه السورة بشرح ذلك وتفصيله فبدا بذكر انه خلق السموات والارض وضم اليه انه جعل الظلمات والنور وهو بعض ما تضمنه ما فيهن وبدا بهما قبل سائر المخلوقات لاعما لكونهما ظرفي الزمان وذانك ظرفا المكان كانا كالمقابلين لهما فكان ذكر قسما براسه وضمن قوله الحمد لله ان له ملك جميع المحامد وهو من بسط لله ملك السموات والارض وما فيهن ثم ذكر انه خلق النوع الانساني وقضى له اجلا وانه منشا القرون قرنا بعد قرن ثم اتى بقوله قل لمن ما في السموات والارض قل لله فاثبت له ملك جميع المظروفات لظرفي المكان ثم قال وله ما سكن في الليل والنهار فاثبت له ملك جميع المظروفات لظرفي الزمان فكانت هاتان الايتان مطابقتين من حيث الترتيب للاية المتقدم ذكرها فالاية الاولى لاثبات ملك الظروف والاخريان لملك المظروفات وذلك تفصيل لله ملك السموات والارض وما فيهن ثم ذكر خلق سائر الحيوان من الدواب والطير ثم خلق النوم واليقظة ثم اكثر في اثناء السورة من ذكر الخلق والانشاء لما فيهن من النيرين والنجوم وفلق الاصباح وفلق الحب والنوى وانزال الماء واخراج النبات والثمار بانواعها وانشاء جنات معروشات وغير معروشات والانعام حمولة وفرشا وكل ذلك تفصيل لملكه ما فيهن وهذه مناسبة جليلة ثم انه تعالى لما ذكر في صدر السورة انه مهلك القرون ومنشئ قرون اخرين خلفاء عنهم ذكر في خاتمة السورة نحوا من ذلك فقال وهو الذي جعلكم خلائف في الارض وهذه مناسبة لطيفة بين اول السورة واخرها وقد قررنا في الاتقان من لطيف المناسبات مناسبة مطلع السورة لخاتمتها وكذلك لما افتتح السورة ببدء الخلق ختمها بذكر اشراط الساعة ثم البعث في قوله يوم ياتي بعض ايات ربك الاية وقوله ثم الى ربكم مرجعكم الاية وكذلك قال ــــــ في اولها قل اي شيء اكبر شهادة قل الله وقال في اخرها قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا وقال في اولها ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقال في اخرها وهم بربهم يعدلون فهذه عدة مناسبات ووجه اخر وهو انه لما كان من مقاصد السورة الرد على الكفار حيث حرموا ما اباح الله من الانعام والحرث واباحوا ما حرم من الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله ولذلك سميت السورة باسم الانعام نظرا الى المقصد الاهم ناسب الافتتاح بذكر الخلق والملك لان الخالق المالك هو الذي له التصرف في ملكه ومخلوقاته اباحة ومنعا وتحريما وتحليلا فيجب ان لا يتعدى عليه بالتصرف في ملكه ولا يعدل به غيره ولا يسوى ولذلك اكثر في السورة من ذكر الخلق والانشاء خصوصا في الماكولات ونوع ذلك وبسطه ابلغ بسط وفصله ابين تفصيل وكرره اعظم وقال قد فصلنا الايات وكانت تلك الايات كبراعة التخلص الى المقصود ولهذه النكتة ايضا قال ــــــ عند ذكر التفرد بالربوبية وهو يطعم ولا يطعم فخص

تكرير ٥

وصف الاطعام للاشارة الى انه المطعم لا سواه فيجب ان يقتصر على ما اذن في اكله او منع ولا يتبع غيره في اذن من ذلك او منع وضم اليه ولا يطعم تعريضا بالاصنام التي جعلوا لها حصة في الطعام حيث قالوا هذا لشركائنا فهذا ما ظهر لي من اللطائف والمناسبات فسبحان من انزل كتابا لا تحصى عجائبه ولا تستقصى بدائعه ثم ظهر لي وجه اخر وهو انه لما كان المقصود من هذه السورة بيان الخلق والملك اقتصر فيها على ما يتعلق بذلك فافتتح بذكر بدء الخلق وبدئ بالسموات والارض لتقدم خلقهما على الليل والنهار ثم بهذين لتقدم خلقهما على خلق نوع الانسان ثم بعد التقدم خلقه على خلق سائر الحيوان كما ورد بكل ذلك الاثار ثم ذكر من وسط السورة الوفاة التي هي وسط بين خلق الارض والبعث وذكرها اليوم الذي هو شبيه به وقدمها لتقدمه عليها في الوجود وذكر قصة ابراهيم في محاجته قومه للاشارة الى فائدة النظر في المخلوقات الاستدلال ــــــ بالخلق على الخالق ولم يقع ذلك مبسوطا في سورة غيرها ثم ذكر الانبياء الذين هم رؤوس النوع الانساني وهم في الوجود متاخرون كما سبق ذكره ثم ذكر خلق النبات والانعام الذين بهما قوام بدن العالم وفصل ما اباح اكله مما حرمه ثم ذكر وصايا اكثرها او كلها متعلقة بقوام المعايش كالنهي عن القتل الذي هو اتلاف الموجود وقتل الاولاد مخافة الفقر والفواحش كالزنا المؤدي الى فساد الانسان وهي من اركان الوجود المهمة وعدم قرب مال اليتيم والوفاء بالكيل والوزن وبالعهود والعدل في الاقوال وكل ذلك من المصالح الدنيوية التي تتقوم بها المعايش واشار الى النوع الملكي والنوع الشيطاني في ايات ثم اشار الى اشراط الساعة ثم البعث فقد جمعت هذه السورة جميع المخلوقات باسرها وما تعلق بها وسائر جميع اليها الذي هو تفصيل لله ملك السموات والارض وما فيهن وظهر بذلك مناسبة افتتاح السور المكية بها وتقديمها على ما تقدم نزوله فيها وضمن فيه جميع العلوم والمصالح الدنيوية نظير سورة البقرة في جمعها العلوم والمصالح الدينية وما ذكر فيها من العبادات المحضة فعلى وجه الاختصار والايماء كنظير ما وقع في البقرة من علوم بدء الخلق ونحوه فانه فيها على وجه الايجاز والاشارة فلله الحمد **فان قلت** ــــــ فلم لا افتتح القران بهذه السورة مقدمة على سورة البقرة لان بدء الخلق سابق على الاحكام والتعبدات قلت ــــــ للاشارة الى ان مصالح الدين والاخرة مقدمة على مصالح المعايش والدنيا ولان المقصود من الخلق انما هو العبادة فقدم ما هو الاهم في نظر الشرع ولان علم بدء الخلق كالفضلة وعلم الاحكام والتكاليف متعين على كل احد فلذلك لا ينبغي النظر في علم بدء الخلق وما جرى مجراه من التواريخ الا بعد النظر في علم الاحكام واتقانه ثم ظهر لي وجه اخر وهو انه لما كانت هذه السورة تفصيل قوله تعالى لله ملك السموات الاية اي بها بقوله وله الملك يوم ينفخ في الصور فنبه على الملك الاعظم الذي لا معارض فيه لمن الملك اليوم واكثر بها من لفظ الرب الذي هو بمعنى المالك فقال ــــــ وهو رب كل شيء اي مالك كل شيء والله ربنا فزاد بعد القسم بانه ذكر الرب تنبيها على انهم اعترفوا له بالملك بوصفه وكذا ولا نكذب

الحمد على ما صحح

بايات ربنا ونكرر ذكر الرب في هذه السوره في اكثر من موضعا كعتولهم
بربهم يعدلون بايات ربهم اني اخاف ان عصيت ربي اذ و قفوا على ربهم لولا
انزل عليه اية من ربه ثم الي ربهم يحشرون والحمد لله رب العالمين كتب
ربكم على نفسه الرحمة قل اني على بينة من ربي وامرنا لنسلم لرب العالمين هذا ربي
الا ان يشاء ربي شيا وسع ربي كل شي علما ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شي قد
جاكم بصاير من ربكم اتبع ما يوحي اليك من ربك ولو شا ربك ما فعلوه وانه منزل
من ربك بالحق وتمت كلمات ربك ان ربك هو اعلم وهذا صراط ربك لهم دار السلام
عند ربهم ذلك ان لم يكن ربك وما ربك بغافل وربك الغني ذو الرحمة فقل ربكم ذو
رحمة واسعة وهم بربهم يعدلون ما حرم ربكم عليكم الى ربهم يوقنون فقد جاكم
بينة من ربكم او ياتي ربك او ياتي بعض ايات ربك قل انني هداني ربي لله رب
العالمين قل اغير الله ابغي ربا ثم الى ربكم مرجعكم ان ربك سريع العقاب
فهذه وكانه والله اعلم لذلك قال في اية الاضطرار فان ربك غفور
رحيم وقال في ساير السور فان الله تخص هذه السورة بذكر الرب
لما تكرر فيها من لفظة المناسب لقصة تفصيل الملك واختار في هذه المواقع كلا لفظ
الرب على المالك لما في الرب زيادة على معنى المالك من معنى التربية والاصلاح المناسب
كل ذلك لبدء الخلق والانشا ثم ظهر لي وجه اخر وهو انه لما ذكر في سورة المايدة
يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا الي اخره ثم ذكر بعده
ما جعل الله من بحيرة الى اخره فاخبر عن الكفار انهم حرموا اشيا مما رزقهم الله افترا على
الله وكان القصد بذلك تحذير المومنين ان يحرموا شيا مما احل الله فيشابهوا بذلك
الكفار في صنعهم وكان ذكر ذلك على سبيل الاشارة ساق هذه السورة لبيان ما حرمه
الكفار فاتي به على الوجه الابين والنمط الاكمل ثم جادلهم فيه واقام الدليل على بطلانه
وعارضهم وناقضهم الي غير ذلك مما اشتملت عليه القصة فكانت هذه السورة
شرحا لما تضمنته القطعة المايدة من ذلك على سبيل الاشارة والاجمال
وتفصيلا وبسطا واتماما واطنابا وهذا شان سور القران يكون لكل سورة منها
موقعها مبسوط ومجمل فهو شي يبسط في السورة التي تليها فيكون كل سورة تفصيلا
لما اجمل في السورة التي قبلها وقال بعضهم افتتاح هذه السورة بالحمد
مناسب لذكره في اخر المايدة فصل القضا كما قال وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله
رب العالمين **سورة الانعام** قال ابو حيان مناسبة هذه الاية
افتتاح هذه السورة لاخر المايدة انه تعالى لما ذكر ما قالته النصارى في عيسى وامه
من كونهما الهين وجرت تلك المحاورة وذكر ثواب الصادقين واعقب ذلك
بان له ملك السموات والارض وما فيهن وانه قادر على كل شي عقبه بان له الحمد
المستغرق جميع المحامد لا يمكن ان يثبت معه شريك في الالهية فيحمد ثم نبه
على العلة المقتضية لجميع المحامد والمقتضية لكون ملك السموات والارض وما
فيهن له بوصف خلق السموات والارض وما فيهن له ~~خلق السموات والارض~~ لان
الموجد للشي المنفرد باختراعه له الاستيلا والسلطنة عليه ولما تقدم قولهم
في

في عيسى وكفرهم بذلك وذكر الصادقين وجزاهم اعقب خلق السموات والارض بجعل
الظلمات والنور فكان ذلك مناسبا للكافر والصادق **خلق السموات والارض وجعل
الظلمات والنور** اتي في الاول بخلق وفي الثاني بجعل قال الكشاف الفرق بين
الخلق والجعل ان الخلق فيه معنى التقدير وفي الجعل معنى التصيير كانشا شي من شي او تصيير
شي من شي او نقله من مكان الي مكان ومن ذلك وجعل منها زوجها وجعل الظلمات
والنور لان الظلمات من الاجرام المتكاثفة والنور من النار وجعلناكم ازواجا
اجعل الالهة الها واحدا وناسب عطف الصلاة الثانية بمتعلقها من جمع الظلمات وافراد
النور على الصلاة الاولى بمتعلقها من جمع السموات وافراد الارض وتقدم في البقرة
الكلام على جمع الاولين وتقديمهما وافراد الاخرين وتاخيرهما والمراد بالظلمات
والنور هنا المعنى الحقيقي ردا على الدهرية النافين للفاعل المختار وعلى الزنادقة
النافين لخلق الله الظلمة وكل شي قبيح وقيل المجازي اي الكفر والايمان ويحتمل ارادتهما
معا **ثم الذين كفروا** ابن عطية ثم دالة على قبح فعل الذين كفروا لان المعنى ان خلقه
لما ذكر قد تقرر وآياته قد سطعت وانعامه بذلك قد تبين ثم بعد هذا كله
عدلوا بربهم فهذا كما تقول يا فلان اكرمتك واحسنت اليك ثم تشتمني اي بعد
وضع هذا كله ولو وقع العطف في هذا ونحوه بالواو ولم يلزم التوبيخ كلزومه
بثم ونظيره ثم انتم هاولا الاية الكشاف فان قلت فما معنى ثم قلت
استبعاد ان يعدلوا به بعد وضوح ايات قدرته ولذلك ثم انتم تمترون استبعاد
لان يمتروا فيه بعد ما ثبت انه محييهم ومميتهم وباعثهم قال ثم جملة ثم الذين
كفروا معطوفة اما على الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلق مما لا يقدر عليه
احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شي منه **بربهم** فيه اقامة الظاهر
مقام المضمر اذ الاصل به تنبيها على توضيحهم حيث عدلوا بربهم الذي هو مالكهم ومربيهم
ومصلحهم ومسدي كل نعمة اليهم ثم هو من معنى الظاهر السابق لا لفظه للاشارة
المذكورة ولانه احسن في العربية من اعادته بلفظه يعدلون اي يسوون به
غيره في الالهية والخلق والايجاد **خلقكم من طين** اي اصلكم ادم ومن فرق الطين
ثم قضى هي للترتيب الذكري لا القضا في الازل او يفسر بمعنى اظهر **اجلا
واجل مسمى عنده** اعاد الثاني نكرة فهو غير الاول وقدمه على الظرف وان كان
السابق عكسه نحو عندي ثوب تغطيها لشان الساعة قاله في الكشاف ابو حيان
في خلقكم التفات من الغيبة في الذين كفروا وان كان الخلق عاما لهم وللمومنين
لانه قصد به تنبيه الكافر على اصل خلقته لقوله بعد ثم انتم تمترون فلا يندرج
فيه من اصطفاه الله تعالى بالنبوة والايمان الشيخ سعد الدين او ترك خلقكم
ضمير الخطاب لان الدليل الانفسي اقرب الى الاذهان من دليل الايات الافاقية المذكورة
بقوله خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور والشكر عليه اوجب
وقد اشير في كل من الدليلين الى المبدا والمنتهى وما بينهما فليتدبر **وهو الله
الاية** قال ابو حيان لما ذكر ما يدل على القدرة التامة والاختيار
ذكر ما يدل على العلم التام قلت فقدم دليل القدرة ليكون اولا السورة مرتبطا

بقوله في اخر التي قبلها وهو على كل شيء قدير والضمير عائد لما عاد عليه الضماير السابقة
وقيل هو ضمير الشأن هذرا من اتحاد المبتدأ والخبر لفظا ومعنى او يصير التقدير والله
في السموات متعلق بيعلم وقال الزجاج ما نقصه اسم الله من المعاني لقولك
امير المؤمنين الخليفة في المشرق والمغرب قال ابن عطية وهذا عندي افضل الاقوال
واكثرها احراز الفصاحة اللفظ وجزالة المعنى وايضاحه انه تعالى اراد ان يدل
على خلقه وآثار قدرته واحاطته واستيلائه ونحو هذه الصفات فجميع هذه كلها
في قوله وهو الله اي الذي له هذه كلها في السموات وفي الارض كانه قال وهو الخالق
والرازق والمحيي والمحيط في السموات وفي الارض كما تقول زيد السلطان في الشام
والعراق فلو قصدت ذات زيد لقلت محالا فاذا كان مقصد قولك زيد السلطان
مقام هذه كان فصيحا صحيحا فكذلك في الآية اقام لفظة مقام تلك الصفات
المذكورة انتهى **يعلم سركم وجهركم** خبر في ضمنه تهديد الامام المراد بالسر صفات القلوب
وهي الدواعي والصوارف وبالجهر اعمال الجوارح وقدم السر لان داعية القلب
علة لفعل الجارحة والعلة سابقة على المعلول بالذات فقدمت في اللفظ التبريزي
معناه يعلم ما تخفون من نياتكم وما علكم وما تظهرون من اعمالكم وما تكسبون
جميع جميع الاعتقادات والاقوال والافعال وكسب كل انسان عمله المفضي
الى اجتلاب نفع او دفع ضر ولهذا لا يوصف به الله تعالى الكشاف فان قلت
كيف موقع قوله يعلم الى اخره قلت ان اراد المتوحد بالالهية كان تقريرا له لان الذي
استوى علمه في السر والعلانية هو الله وحده والا فهو مستانف **وما تاتيهم** ه
فيه التفات عن الخطاب الى الغيبة ونكتته فيما ظهر لي انه لما حكى تعالى عنهم ه
في هذه الآية وصف الاعراض اعرض عن خطابهم تحقيرا لهم ابو حيان لما تقدم الكلام
اولا في التوحيد وثانيا في المعاد وثالثا في تقرير هذين المطلوبين ذكر بعد ذلك
ما يتعلق بتقرير النبوة وتاتيهم ماضي المعنى وكانوا مستقبل المعنى ومن الاولى
زائدة لتاكيد الاستغراق والثانية للتبعيض وتقديم عنها للفاصلة **فقد كذبوا**
بالحق اي بالآية التي تاتيهم من اقامة الكلام مقاما لضمير تقرير الوصف الآية بالحق ه
وقال الزمخشري هو مردود على كلام محذوف اي ان كانوا معرضين
عن الآيات فقد كذبوا بما هو اعظم واكبر وهو الحق يعني القرآن الذي تحدوا به
فعجزوا عنه **فسوف** معطوف على محذوف دل عليه اخر الآية اي واستهزؤوا به قاله
ابو حيان **قلت** فعلى هذا يكون في الآية احتباك ويكون حذف من الثانية
جملة التكذيب ابو حيان هذه رتب ثلاث صدرت منهم اولا الكفار الاعراض عن
تامل الدلائل ثم التكذيب وهو ازيد من الاعراض اذ المعرض قد يكون غافلا عن
الشيء ثم الاستهزاء وهو ازيد من التكذيب اذ المكذب قد لا يبلغ الى حد الاستهزاء
انباء فيه حذف اي تضمن انباء والنبأ الخبر الذي يعظم وقعه **ما كانوا به يستهزؤون**
علق التهديد بالاستهزاء دون الاعراض والتكذيب لتضمنه اياهما اذ هو الغاية
القصوى في انكار الحق وجاء بتقييد الكذب بالحق والتنفيس بسوف
وفي الشعراء فقد كذبوا فسياتيهم لان الانعام متقدمة في النزول عليها فاستوفي فيها

اللفظ وحذف من الشعراء وهو مراد احالة على الاولى وناسب الحذف الاختصار في حرف
التنفيس فجاء بالسين قاله الكرماني وقال ابن جماعة هنا ابهم الحق ولم يصرح بالقرآن
وصرح به في الشعراء في قوله وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث فناسب ابهامه تعظيما
لشأن القرآن لان السين اقرب من سوف وقال صاحب المناجاة يمكن حمل الموعود به
هنا على عذاب الآخرة وهو بعيد وفي الشعراء على عذاب الدنيا من القتل وغيره وهو
قريب فناسب كل موضع حرفه **الم يروا** لما هددهم واوعدهم على اعراضهم وتكذيبهم
واستهزائهم اتبع ذلك بما يجري مجرى الموعظة والنصيحة وحض على الاعتبار بمن
قبلهم ممن فعل كفعلهم فاهلك مع كونهم اشد منهم قوة وتمكينا ومن الاولى ابتدائية
والثانية تبعيضية الكرماني قال هنا الم يروا وفي الشعراء اولم يروا ان بالواو
واو وفي سبأ افلم يروا بالفاء والضابط انه حيث كان الثاني يقتضي النظر والاستد
جاء بغير واو كما هنا وحيث كان يقتضي الاعتبار بالخاطر والمشاهدة جاء بالواو او ه
لعطف الجملة على الجملة قبلها وكذلك الفاء فيما هو اشد اتصالا بما قبلها قال فلا ينتقض هذا
الاصل بقوله الم يروا الى الطير مسخرات حيث جاء بلا واو وهو مشاهد لانه متصل
بقوله والله اخرجكم من بطون امهاتكم وسبيله الاعتبار والاستدلال
فبني عليه الم يروا الى الطير وذكر الامام مثله وقال انه لا ينتقض بقوله
اولم يروا ان الله يبسط الرزق الآية قال لان بسط الرزق والغفران ه
لم يشاهد فلما امارة تري وتشاهد من لوازم الفقر والغنى **مكناهم** جواب
سؤال مقدر كانه قيل ما كان من حالهم **نمكن لكم** فيه التفات عن الغيبة الى الخطاب
زيادة في تقريعهم قلت وظهر لي نكتة اخرى وهي الفرار من تخالف
مرجع الضماير لو قيل لهم بين مكناهم وعليهم وما بعده فانها للقرون ولهم لو قيل
للكفار مكة فكانت الضماير تختلف فعدل الى الخطاب لتجري ضماير الغيبة على
نسق واحد في المرجع بخلاف الضمير اول الآية لانها جاء قبل ذكر القرون واستعمل
مكن في الارض فعدي بنفسه وفي الثاني باللام تفننا وكلاهما فصيح **وارسلنا**
السماء قيل هو المطر وقيل الظلمة على حذف مضاف اي مطر السماء مدرارا يوصف
به المذكر والمؤنث للمبالغة في اتصال المطر ودوامه وقت الحاجة **وجعلنا**
الانهار تجري من تحتهم اعرب من فسر الانهار هنا وفي قوله وهذه الانهار تجري
من تحتي بالخيل وان كان الفرس الواسع الخطوة يسمى بحرا ونهرا **وانشانا من بعدهم**
قرنا اخرين فائدة ذكر اظهار القدرة التامة على افناء ناس وانشاء
وانه تعالى لا يتعاظمه ان يهلك قرنا ويخرب بلاده وينشي مكانه
اخر وفيه تعريض للمخاطبين باهلاكهم اذا عصوا وانشاء اخرين مكانهم
ووصف قرنا باخرين وهو جمع حملا على المعنى مراعاة للفاصلة **ولو نزلنا**
الآية نزلت فيمن قال ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه
ومناسبة ذكرها بعد ما تقدم انه تعالى لما ذكر تكذيبهم بالحق واعراضهم
واستهزاءهم كان مظنة ان يتوهم انه لو جيء بالآية التي اقترحوها لم يعرضوا
ويصدقوا ولم يستهزئوا فاخبر بانه لو نزل عليهم كتاب في قرطاس ولمسوه بايديهم

لم يزدهم ذلك الا تكذيبا وادعوا ان ذلك من باب السحر لا من باب المعجز عنادا وتعنتا
وان كان من لواد في مسكة من عقل لا ينازع فيما ادركه بالبصر فضلا عما لمسه باليد
فذكر اللمس لانه ابلغ ولان الرؤية يقولون فيها سكرت ابصارنا ولانه طريق يحصل به العلم
للاضرا والبصرا ولانه ابعد عن السحر وعن التزوير وقيده باليد مبالغة في التاكيد
ولانها اقوى في اللمس من ساير الاعضا ولانه قد يطلق ويراد به الفحص عن الشي والكشف
عنه كما في قوله وانا لمسنا السما فذكر اليد لازالة توهم ارادته لقال الذين كفروا واد
فيه عدول عن الظاهر عن الضمير تنبيها على علة القول وهي الكفر وقالوا واد
استيناف او عطف على جواب لو عليه فيه التفات عن ضمير الخطاب في عليك ولو انزلنا
ملكا اي وكذبوه وللبسنا قري بالتشديد وقري بلام واحدة مخففا ولقد
استهزا هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عن استهزايهم وتعريض بكفايته شرهم ٥
من قبلك فيه التفات سيروا في الارض ثم انظروا في ساير المواضع فانظروا قال
الزمخشري في الفرق جعل النظر مسببا عن السير في قوله فانظروا فكانه قيل سيروا لاجل
النظر ولا تسيروا سير الغافلين واما سيروا ثم انظروا فمعناه اباحة السير في الارض
للتجارة وغيرها من المنافع وايجاب النظر في اثار الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد
ما بين الواجب والمباح انتهى وقال الكرماني والامام لما ذكر
هنا اهلاك القرون وانشا قرن بعد قرن ناسب ثم التي للتراخي لان استقرا الدنيا
وتامل الاثار الكثيرة فيها يحتاج الى زمان طويل ولم يتقدم في ساير المواضع مثله
فجي بالفا الدالة على التعقيب قال ابن جماعة ولما تقدم هنا ذكر التكذيب
ناسب الختم بالمكذبين ولما تقدم في غيرها خبر بغيره فجي في النمل بالمجرمين وفي العنكبوت
بقوله كيف بدا الله الخلق الاية وفي الروم بقوله كيف كان عاقبة الذين من قبل
كان اكثرهم مشركين فختم كلا بما يناسب ما قبله قل لمن ما في السموات
ابو حيان لما ذكر تعالى تصريفه فيمن اهلكهم بذنوبهم امر نبيه عليه السلام ٥
بسوالهم ذلك فانهم لا يمكنهم ان يقولوا الا ان ذلك لله فيلزمهم بذلك انه تعالى
المالك المهلك لهم وهذا السوال سوال تبكيت وتقرير ثم امره تعالى
بنسبة ذلك لله ليكون اول من بادر الى الاعتراف بذلك وقيل في الكلام حذف
تقديره فان لم يجيبوا قل لله قلت وقد قدمت اول السورة ان المقصود
اثبات ملك السموات والارض وما بينهن لله وان عادة القران الاستطراد
من المقصود الى غيره بادني ملايمة ثم العود الى المقصود وكذا هذه السورة لا يزال
يستطرد فيها من ذكر الخلق والملك والانسان الى غيره ثم يعود اليه وهكذا من اول
السورة الى اخرها كتب على نفسه الرحمة ابو حيان لما ذكر تعالى انه موجد العالم
المتصرف فيه بما يريد دل ذلك على نفاد قدرته اردفه بذكر رحمته واحسانه
الى الخلق واقول لما ذكر تعالى ان له ما في السموات والارض وذلك ٥
تصريح بالوحدانية ومن شان الواحد في ملكه القهر والسطوة والجبروت
وذلك مما يكاد ينصدع له قلوب المومنين الخاشعين ويستشعر منه الوجل ٥
والفزع اردفه بذكر الرحمة تسكينا لروعهم وتطمينا لقلوبهم واوردها بلفظ كتب

وعلى المستعملين في اللزوم والوجوب تاكيدا لثبوتها لان وعده تعالى لا يخلف وقد ورد
في الحديث الصحيح لما فرغ الله تعالى الخلق وقضى القضية كتب كتابا عنده فوق العرش
ان رحمتي تغلب غضبي وفي رواية سبقت غضبي وبهذا عرفت مناسبة ذكر هذه الجملة
في هذه السورة لانها كما دل عليه الحديث من جملة بدا الخلق الذي السورة شرح
له كما بينته فيما تقدم ولهذا اعادها مرة ثانية في قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة
تاكيدا لثبوتها وزاد هنا ربكم لان ما هنا خطاب للكفار فلم يذكر فيه لفظ الرب
ابعادا لهم عنه وما هناك خطاب للمومنين حيث قال واذا جاك الذين يومنون بايا
تنا
قل الى اخره فذكر فيه لفظ الرب مضافا اليهم تشريفا لهم واشعارا بمراعاته
لمصالحهم وتربيتهم وتانيسا لهم في الخطاب وقدم عليه هناك قوله سلام عليكم الذي
هو تحية المسلمين والسلام قبل الكلام ولما كان الخطاب هنا للكفار لم يذكر السلام
اذ لا سلام على كافر هذا ما ظهر لي والله اعلم ليجمعنكم الى يوم القيامة لما ذكر رحمته
لعباده ذكر يوم الجزا الذي يظهر فيه انواع رحمته الكثيرة وقد ورد في الحديث
ان الله خلق مائة رحمة فانزل في الارض منها رحمة واحدة وامسك عنده
تسعة وتسعين يرحم بها عباده يوم القيامة والى قيل بمعنى اللام وقيل بمعنى في
وقيل زايدة والصحيح على بابها من الغاية لا ريب فيه اي في يوم القيامة وقيل في
الجمع المذكور من الفعل الذين قال الاخفش هو بدل من ضمير الخطاب
في ليجمعنكم فصح الربط وان كان الضمير عاما لانه بدل بعض من كل وفايدته
تخصيص المنكرين بالوعيد ويصح كون الضمير خاصا بالمنكرين فيكون بدل
كل من كل واعربه الزجاج مبتدا والخبر فهم لا يومنون فيكون جملة استينافية
لبيان ان المنكرين لجمع الحشر تابين في يوم القيامة خاسرون وله ما سكن في
الليل والنهار لما ذكر تعالى ان له ملك ما حوى المكان في السموات والارض ذكر ان له
هـ
ملك ما حوى الزمان من الليل والنهار وان كان كل من المكان والزمان يستلزم
الاخر لكن النص عليهما ابلغ في التاكيد قال ابو حيان وقدم المكان لانه اقرب
الى العقول والافكار من الزمان قلت ولانه اسبق خلقا كما تقدم وفيه
هنا المطابقة للاية المصدر بها السورة كما اشرت اليه قيل وهنا محذوف
اي وما تحرك فحذف اكتفا واقتصر على الساكن لان كل متحرك قد يسكن وليس
كل ساكن يتحرك وقيل لان السكون اكثر وجودا من الحركة وهو السميع العليم
صفة السمع مناسبة لما تقدم من المحاورات مع الكفار المكذبين وصفة
العلم مناسبة بمعنى الجزا الذي في يوم الجمع قل اغير الله اتخذ وليا لما تقدم
انه تعالى اخترع الموجودات وانه مالك لما تضمنه المكان والزمان امر نبيه
ان يقول لهم على سبيل التوبيخ اي من هذه صفاته هو الذي يتخذ وليا وناصرا
ومعينا لا الالهة التي هي لكم اذ هي لا تخلق ولا تضر ولا تنفع ولا تطعم ودخلت
الهمزة على الاسم دون الفعل لان الانكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي
وقال الطبري الاية جاءت جوابا للكفرة الذين دعوه الى عبادة
اوثانهم فاطر بالجر نعت لله او بدل وقري بالرفع باضمار هو وبالنصب بالمدح وقيل

صنه لغيراي اجعل فاطر السموات والارض غير الله وقري فطر فا فعلا فاعلا مما مضيا لك
وهو يُطعم ولا يُطعم اي يرزق ولا يرزق ابو حيان وخص الاطعام من انواع الانتفاعا
لمس الحاجة اليه وقد تقدم في كلامي ما هو اظهر في المناسبة وقري ولا تطعمه
بفتح اليا اي انه تعالى منزه عن ان ياكل وقري ولا يطعم بضم اليا وكسر العين مثل الاول
فالاول عايد الى الله والثاني عايد الى الولي في سبيل اللف والنشر وهو من
ان جعل الولي لغير وقيل بما لله اي يطعم تارة ولا يطعم اخرى على حسب المصالح كقولك
هو يعطي ويمنع وقيل الثاني بمعنى ولا يستطعم يقال اطعمت واستطعمت
بمعنى وقري وهو يطعم بالبنا للمفعول ولا يطعم بالبنا للفاعل عكس القراة
المذكورة المشهورة فالضمير لغير الله وقري وهو يطعم ولا يطعم قل اني امرت
ان اكون اول من اسلم هو تحريض للامة على الاسلام كامر الملك رعيته بامر ثم
يقول انا اول من يفعل ذلك ليحملهم على فعل ذلك ولا تكونن من المشركين
على تقدير وقيل لي ليصح العطف على امرت واندراجه تحت قل وقيل هو معطوف
على معمول قل حملا على المعنى اي قل اني قيل لي كن اول من اسلم ولا تكونن ثم الخطاب له
لفظا والمراد منه كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك قل اني اخاف ان عصيت ربي الاية
هو من التعليق على المستحيل وهو المعصية من المعصوم فالخوف والعذاب
منتف من يصرف بالبنا للمفعول فضميره للعذاب وضمير عنه لمن ورحمه
للرب وللفاعل فضميره للرب وعايد من محذوف اي من يصرفه وعنه للعذاب ورجح
ابن جرير القراة الاولى لانها اقل اضمارا وابو عبيد وغيره الثانية لمناسبة فقد رحمه
والمرايات فقد رحم ولان في قراة ابي وابن مسعود من يصرف الله وذلك اشارة
الى الصرف المفهوم من يصرف وان يمسسك الاية ابو حيان الذي يقابل الخير هو الشر
وعدل عنه الى لفظ الضر لان الشر اعم منه فاتي بالضر الذي هو اخص وبلفظ
الخير الذي هو عام تغليبا لجهة الرحمة ابن عطية ناب الضر هنا مناب الشر الذي هو
مقابل الخير وهذا باب من الفصاحة يسمى توضيع الكلام وهو ان يكون الشي مقترنا
بما يجتمع معه في قدر مشترك ونظيره ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظما فيها
ولا تضحى فجا بالجوع مع العري وبابه ان يكون مع الظما لكن الجامع اشتراك الجوع والعري
في الخلو فالاول خلو الباطن والثاني خلو الظاهر والظما والضحي مشتركان
في الاحراق فالاول احراق الباطن والثاني احراق الظاهر وقدم مس الضر لان
على من الخير لاتصاله بما قبله من الترهيب عليه قل اني اخاف وجا جواب الاول
بالحصر مبالغة في الاستقلال بكشفه وجواب الثاني بقوله فهو على كل شي قدير
دلالة على قدرته على كل شي فيندرج فيه المس بخير وغيره قال ابو حيان والاحسن
تقدير الجواب محذوف اي فلا موصل له عليك اليك الا هو ولا راد له
للتصريح به في اية اخرى ثم اتى بعد بما هو شامل للخير والشر وهو قدرته على كل شي
ابن جماعة قال هنا ما ذكر وفي يونس وان يردك بخير فلا راد لفضله تنبيها على
في الخير وسوى في الضر لان الضر اذا وقع لا يكشفه الا الله فاستوى فيه الموضعان
فاما الخير فقد يراد قبل نيله بان من لم يلنيله بعد ذلك فما حالتان حال ارادته

قبل نيله وحال نيله فذكر الحالتين في السورتين فاية الانعام حالة نيله فعبر عنه
بالمس المشعر بوجوده ثم قال فهو على كل شي قدير اي على ذلك وعلى خيرات بعده وفيه
بشارة بنيل امثاله واية يونس حالة ارادة الخير قبل نيله فقال يردك ثم قال
فلا راد لفضله اي اذا اراده قبل نيله ولذلك قال يصيب به من يشا من عباده فجعله
في ارادة الخير واية الانعام في نيله اياه وهو القاهر لما ذكر انفراده تعالى بتصرفه
بما يريد من ضر وخير وقدرته على كل شي ذكر قهره وغلبته وان العالم مقهورون ممنوعون
من بلوغ مرادهم بل يقهرهم ويجبرهم على ما يريده هو تعالى والقهر الغلبة والحمل
على الشي من غير اختيار المحمول فوق عباده هي فوقية القهر والغلبة والعلو والقدرة
وقد قال فرعون وانا فوقهم قاهرون ولم يرد الفوقية المكانية ابو حيان
العرب تستعمل فوق اشارة الى علو المنزلة وشفوفها على غيرها من الرتب اسعد
من فوقية المكان ومنه يد الله فوق ايديهم وفوق كل ذي علم عليم وقال
النابغة بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا يريد علو
الرتبة والمنزلة الامام صفات الكمال محصورة في العلم والقدرة فقوله
وهو القاهر فوق عباده اشارة الى كمال القدرة وهو الحكيم الخبير اشارة الى
كمال العلم قل اي شي عدل عن اي شهيد وهو المراد مبالغة في التعميم قل الله
اي لم يقولوه وهو مبتدا خبره محذوف اي اكبر شهادة وخبر هو محذوف او شهيد
خبرهو مقدرا والله مبتدا وشهيد خبره واوحي قري بالبنا للفاعل ونصب القران
لانذركم به اي ولابشركم فحذف اكتفا واقتصر على الانذار لانه في مقام تخويف
هاولاء المكذبين ومن بلغ اي بلغه القران الى يوم القيامة وقيل بلغ الحلم
اينكم قري انكم بلفظ الخبر فيحتمله ويحتمل الاستفهام بتقديرادانه قل لا اشهد الاية
ترتيب بديع حيث امر اولا بان يخبرهم بانه لا يوافقهم في الشهادة ثم بافراد الله
بالالوهية لان الاول لا يدل عليه بالمنطوق ثم بالتبري من اشراكهم وهو كالتوكيد
لما قبله اخرج ابن جرير عن ابن عباس ان الاية نزلت في نفر من اليهود وهذا السبب
يرشد الى وجه ربط الاية بما بعدها وهو قوله الذين اتيناهم الكتاب الاية
وعرف منه ان قوله هنا الذين خسروا انفسهم فهم لا يومنون ضمن كذب من اهل
الكتاب وفي تقدم في كفار مكة فليس تكرارا وقد جزم به الكرماني وغيره والذين
هنا مبتدا على تقدير منهم ومن اظلم الاية بدا بالاظلم وختم بانه لا يفلح الظالمون
ليعم الظالم غير الاظلم ويلزم منه عدم فلاح الاظلم من باب اولى الكرماني
قال هنا الظالمون وفي يونس المجرمون لان الايات المتقدمة
هنا كلها معطوفة بالواو وفي يونس كلها معطوفة بالفا وفي ذلك في الموضعين
وختم هنا بالظالمون لمناسبة اول الاية ومن اظلم وهنا بالمجرمون لمناسبة
قوله قبل وكذلك نجزي المجرمين ووافقه الامام في الختم ووجه الفا
في يونس بان التقضايا هناك كالنتيجة رتبت بالفا وليست هنا كذلك
فعطفت بالواو ويوم نصب باذكر مقدرا وقيل على تقدير لا يفلح الظالمون
اليوم في الدنيا ويوم نحشرهم ففيه حذف المعطوف عليه وهو اقوى في الربط

نحشرهم بالنون ففيه التفات الي التكلم وقري باليا ولا التفات وقري بكسر الشين ثم نقول
للذين اشركوا في اقامة الظاهر مقام لهم تنبيها علي الوصف المترتب عليه توبيخهم ان كان
ضمير نحشرهم خاصا بمن افتري او كذب وان كان عاما اي جميع الخلق فلا وعطف بثم للتراخي
الحاصل بين مواقف يوم القيامة لطوله شركاؤكم سوال توبيخ وتقريع تزعمون حذف منه
المفعولان اي تزعمونهم شركا ثم لم تكن فتنتهم اي حجتهم ومعذرتهم وقيل كفرهم علي حذف
مضاف اي لم تكن عاقبة كفرهم الا انكاره وتكن قري في السبع بالتا بدلا او نعت وقري ربنا
بالنصب علي المدح او النداء وقري برفع الاسمين مبتدا وخبر وفيه تقديم وتاخير اي قالوا
ماكنا مشركين والله ربنا قاله ابن عطية قلت فهي جملة معترضة بين القول ومقوله
كيف كذبوا فيه وقوع الماضي موضع المستقبل لتحقق وقوعه وكذا قوله وضل ثم يحتمل
العطف علي كذبوا ليدخل في حيز النظر والاستيناف فلا يدخل ومنهم من يستمع افرد ضميره مراعاة
للفظ من وجمعه فيما بعد مراعاة لمعناها الكرماني قال في يونس من يستمعون لان ايه
يونس نزلت في جمع اكثر من النازل في ايه الانعام وجعلنا قيل حالية وقيل عطف
علي الجملة الاسمية ان يفقهوه اي كراهة ان وقرا قري بكسر الواو واعلم ان هذه الايه
علي حد قوله ختم الله علي قلوبهم الايه معني واستعارة او ترتيبا فانها ايضا بدي فيها
بالقلوب ثم بالاذان ثم بالابصار وهذه ابسط من تلك بالتصريح بالمقصود من عدم الفقه
وعدم الايمان بما يروا من الايات وضمير يفقهوه للقران لدلالة الحال عليه اوله في
قوله واوحي الي هذا القران اساطير قيل جمع اسطارة وقيل اسطور وقيل اسطورة
وقيل اسطير وقيل اسطرة وقيل جمع لا واحد وقيل جمع الجمع وهو اسطار جمع سطر وقيل
جمع جمع الجمع وهو اساطر جمع اسطر جمع سطر وهم ينهون عنه وينأون عنه فيه الجناس
للرسول ويويده سبب النزول فعلي الثاني
فعلي الثاني فيه التفات عن الخطاب في جاوك وضمير عنه قيل للقران وقيل لجدالهم ولو
ولو تري اذ وقفوا لما ذكر تعالي حديث البعث في قوله ويوم نحشرهم الايات
واستطرد من ذلك الي شي من اوصافهم الذميمة في الدنيا عاد الي الاول كما هو شان
الاستطراد ان يعاد فيه الي ما استطرد منه والخطاب عام لكل من يتاتي منه الروية
وقيل للرسول ففيه التفات عن الغيبة في عنه وجواب لو محذوف اي لرايت
امرا فظيعا وقري وقفوا ابنا للفاعل ثلاثي لازمه والمشهورة متعدية كالشهري [?]
صاحب المناجاة قدم الوقوف علي النار وان كان متاخرا عن الوقوف علي الرب لان الغاية
متقدمة في التصور وان تاخرت في الوجود قال او يقال المراد بالوقوف علي النار العبور
علي الصراط وعلي الرب الفنا والحساب في المحشر وذلك بعد الصراط قلت هذا خاص بالمسلمين
اما الكفار فلا يجوز منهم الصراط ابدا كما وردت به الاحاديث والاصوب ان يقال ان المراد احدهم
بالوقوف علي الرب حين ينادون في النار ويستغيثون تلك الاستغاثات فيقال لهم
الكم ماكثون ويقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون ولا نكذب بايات ربنا ونكون في قراة بنصب
الفعلين في جواب التمني وفي ثالثة برفع نكذب ونصب نكون وقرا ابن مسعود
فلا نكذب بالفا وقرا ابي فلا نكذب بايات ربنا ابدا ونحن نكون بل للانتقال من غرض الي
اخر من غير ابطال وقالوا عطف علي لعادوا اي ولو ردوا الكفروا ولقالوا ماكانوا

يقولونه

يقولونه قبل معاينة القيمة ان هي الا حياتنا الدنيا زاد في غير هذا الموضع نموت
ونحيي لان ما هنا حكاية ما يقولونه لو ردوا بعد معاينة القيمة وما في غيره حكاية قولهم
في الدنيا فاختلفت القصتان اليس هذا الاشارة الي البعث وقيل العذاب فذوقوا
العذاب فيه استعارة بليغة اي باشروه مباشرة الذايق اذ هي من اشد المباشرات
قد خسر هذا استيناف اخبار من الله تعالي عن احوال منكري البعث وخسرانهم انهم
استعاضوا الكفر عن الايمان فاشبهوا البايع الذي اخذ واعطي وكان ما اخذ سببا للهلاك
وما اعطي سببا للنجاة ففقد مع الربح وراس المال حتي غاية للتكذيب اما الخسران
فلا غاية له الساعة اصلها لوقت لطيف مقدر ثم سمي به يوم القيامة لسرعة انقضاء
الحساب فيه ثم غلبت عليه فلزمته الالف واللام التي للغلبة فيها الضمير عايد
علي الساعة اي في التقدمة لها او الصفقة التي تضمنها ذكر الخسارة او الحياة الدنيا وان
لم يجر لها ذكر لكونها معلومة لدلالة العقل عليها محل التقصير اقوال وهم يحملون
جملة حالية صدرت بالضمير لانه ابلغ في النسبة اذ صار ذو الحال مذكورا مرتين من حيث
المعني علي ظهورهم خصه اشارة الي المبالغة في ثقل المحمول اذ الظهر يطيق من الحمل
الثقيل ما لا يطيقه الراس والكاهل وما الحياة الدنيا لما ذكر قولهم وقالوا ان هي
الا حياتنا الدنيا ذكر مصيرها وان منتهاها انها فانية منقضية عن قريب
فصارت شبيهة باللهو واللعب اذ هما لا يدوم ولا طايل تحتهما ثم قيل هما
بمعني وكرر تاكيدا لذم الدنيا وقال الرماني اللعب عمل يشغل عما ينتفع
به واللهو صرف النفس عن الجد الي الهزل الامام اللعب فعل لا في طاعة يحصل ويعجل
به مسرة واللهو ما يشغل الانسان من هوي وطرب وللدار الاخرة في قراة ولدار الاخرة
بالاضافة علي حد مسجد الجامع فقيل بتقديره ولدار الحياة الاخرة بقرينة وما الحياة
الدنيا خير قيل هي افعل تفضيل حذف متعلقه وقيل لا اذ لا اشتراك بين الدارين في الخيرية
حتي يقع التفضيل افلا يعقلون بالتحتية علي نسق ما تقدم وبالفوقية التفاتا الي الخطاب
الكرماني قدم اللعب علي اللهو في هذه السورة في موضعين وفي القتال والحديد
وقدم اللهو علي اللعب في الاعراف والعنكبوت وذلك لان اللعب زمانه الصبي
واللهو زمانه الشباب والصبي متقدم علي الشباب فقدم في اكثر المواضع ولهذا قدم
في قوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين لو اردنا ان نتخذ لهوا وقدم
اللهو في الاعراف لان ذلك من القيمة فذكر علي ترتيب ما انقضي وبدي بما انتهي
اليه الانسان من الحالتين لانه اقرب الي اليوم واما في العنكبوت فالمراد ذكر زمان
الدنيا وانه سريع الانقضا قليل البقا وان الدار الاخرة لهي الحيوان التي لا امد
لها ولا نهاية لا بد ها فبدي باللهو لانه في زمن الشباب وهو اكثر من زمان اللعب
وهو زمان الصبي ابن جماعة اللهو الشي تركه واهاله والاعراض عنه ونسيانه
واللعب فعل مقصود لنا علي عليه فلما جا في الاعراف بعد وما كنتم تستكبرون وهو ذم
لهم بالاعراض عن اتباع الحق واعراضه ولذلك قال بعده كما نسوا لقاء يومهم هذا
ناسب تقديم اللهو وكذا ايه العنكبوت جاءت بعد قوله ولين سالتهم من خلق السموات
الايتين الدالة علي اعراضهم عن الحق واتباعه مع علمهم به وبقية المواضع جاءت

في سياق ذم الدنيا والاشتغال عن الله بلعبها ولهوها وزينتها لا يكذبونك بالتشديد
والتخفيف فقيل هما بمعنى وقيل بينهما فرق قال الكسائي العرب تقول كذبت الرجل
اذا نسبت الكذب اليه واكذبته اذا نسبت الكذب الى ما جاء به دون ان ينسبه
اليه وتقول العرب ايضا اكذبت الرجل اذا وجدته كذابا كاحمدته اذا وجدته محمودا
وقد ورد في الحديث ان الاية نزلت في قولهم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت
به ولهذا قال ـــــ ولكن الظالمين بايات الله يجحدون وبالغ في ذمهم
فسماهم ظالمين وجاحدين والجحد اقبح وجوه الانكار واقام الظاهر مقام ولكنهم تنبيها
على ان عليه الجحود الظلم ومجاوزة الحد في الاعتدا وتقدم قبل فانهم فلا تحزن ثم عزى
نبيه وسلاه بما وقع للرسل قبله فقال ـــــ ولقد كذبت رسل من قبلك الاية
اي فتاس بهم واصبر حتى ياتيك النصر وفي نصرنا التفات عن الغيبة ونكتته
تعظيم النصر باضافته الى نون العظمة وقرى واوذوا بلا واو من اذيت فلانا بالقصر
ولا مبدل لكلمات الله اي لا خلف لمواعيده بالنصر وغيره وفيه التفات
عن التكلم ولقد جاك من نبا المرسلين تاكيد لما امر به من الصبر والتاسي ومن هنا
قيل زايدة وقيل تبعيضية لان منهم من لم يقصص عليه وهي على هذا اسم فاعل والفاعل
مضمر اي نبا بدلالة ما بعده او جا بدلالة جاك وان كان كبر الاية حث على الصبر
والتسليم لامر الله نفقا ترى نافقا وجواب ان محذوف اي فافعل انما يستجيب
الذين يسمعون ابن عطية هذا من النمط المتقدم في التسلية اي لا تحفل بمن اعرض
فانما يستجيب لداعي الايمان الذين يفهمون الايات ويتلقون البراهين بالقبول
فعبر عن ذلك كله يسمعون اذ هو طريق العلم بالنبوة والايات المعجزة ولذلك
ترى اذا بعثت لموعظة من احد مبلغا شيا فيقولون استمع الرماني الفرق بين
اجاب واستجاب ان استجاب فيه قبول لما دعي قال فاستجاب لهم ربهم فاستجبنا
له ونجيناه من الغم ولا كذلك اجاب لانه قد يجيب بالمخالفة الزمخشري يعني
ان الذين تحرص على ان يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون وانما يستجيب
من يسمع كقوله انك لا تسمع الموتى والموتى يبعثهم الله قال ابو حيان الظاهر ان هذه
جملة مستقلة من مبتدا وخبر وان الموت والبعث على حقيقته وانه تعالى اخبر ان
الموتى على العموم من يستجيب وغيره يبعثهم فيجازيهم ورد بانه حينئذ ليس فيه
كبير مناسبة وقيل بما مجازان عن الكفر والايمان اي ان الكفار يرشدهم الله و
للايمان فحينئذ يومنون قال ابو حيان وقد تظاهرت اقوال المفسرين على ان
الموتى مراد به الكفار سموا بالموتى كما سموا بالصم والبكم والعمي قلت
والارجح قول ثالث حمل الموتى على المجاز اي الكفار والبعث على الحقيقة والمعنى
ان الكفار الذين هم كالموتى لا يسمعون فلا يستجيبون يبعثهم الله يوم القيامة فيجازيهم
على كفرهم اي ان امرهم الى الله لا اليك يا محمد فلا يحزنك شانهم ففي هذه الاية المبلغة
مناسبة واذوقها حيث ذكر الكفار بلفظ الموتى لمناسبة البعث وهو نوع من التورية
لطيف نظيره قوله والنجم والشجر يسجدان بعد قوله الشمس والقمر بحسبان فانه
يوهم ان النجم الكوكب بقرينة ذكر الشمس والقمر وانما المراد ما لا ساق له من النبات

وكذا هنا لفظ الموتى يوهم ارادة الاموات حقيقة بقرينة ذكر البعث وانما المراد
الكفار مجازا لا ان الفرق بين الايتين ان المعنى الثاني هنا مجازي والثاني
هناك حقيقي وكلاهما في باب التورية سوا وهناك قرينة اخرى للمعنى الثاني
وهو السجود وهنا لا قرينة له ويحتمل ان يكون قرينته ما تقدم من احوال
الكفار وتكذيبهم وعدم استجابتهم فعلى هذا تكون التورية مرشحة من وجهين
وعلى الاول مرشحة من واحد فلله المنة على ما الهمنا من اسرار كتابه ولكن اكثرهم
لا يعلمون ان المصلحة في صرفها لانها لو نزلت ولم يومنوا لعوجلوا بالعذاب
وما من دابة في الارض الاية قال ـــــ ابن الانباري موضع الاحتجاج بهذه
الاية ان الله ركب في المشركين عقولا وجعل لهم افهاما الزمهم بها ان يتدبروا امر
الرسول كما جعل للدواب والطير افهاما يعرف بها بعضها اشارة بعض وهدى
الذكر منها لاتيان الانثى وفي ذلك دليل على نفاذ قدرة المركب ذلك وقال
ابن عطية المعنى في هذه الاية التنبيه على اثار الله الموجودة
في اثار مخلوقاته وقال الزمخشري الغرض في ذكر ذلك الدلالة على عظم قدرته
ولطف علمه وسعة سلطانه وتدبيره تلك الخلايق المتفاوتة الاجناس المتكاثرة
الاصناف وهو حافظ لما لها وما عليها مهيمن على احوالها لا يشغله شان عن شان
وان المكلفين ليسوا مخصوصين بذلك دون من عداهم من ساير الحيوان وقال
ابو حيان الذي يظهر انه تعالى لما حكى عنهم انهم طلبوا نزول اية من ربه ولم
يعتبروا ما نزل من الايات واجيبوا بان القدرة صالحة لانزال ما اقترحوه
ونبهوا عن جهلهم حيث فرقوا بين اية واية اخبروا انهم وجميع الحيوان متساوون
في تعلق القدرة الالهية بالجميع فلا فرق بين خلق من كلف ومن لم يكلف
في تعلق القدرة بهما وابرازهما من صرف العدم الى صرف الوجود فكانه قيل
القدرة تعلقت بالايات كلها مقترحها وغير مقترحها كما تعلقت بخلقكم وخلق ساير
الحيوان ولذلك قال الا امم امثالكم يعني في تعلق القدرة بايجادها ولذلك
الايات واقول ـــــ قد تقدمت الاشارة الى وجه اخر
من المناسبة وهو ان المقصود من السورة ذكر انه تعالى خالق جميع المخلوقات
على اختلاف اصنافها فبدا بنوع الافلاك والزمان ثم بنوع الانسان واستطرد
منه الى صفات نوع الكافر منه وبعض من احواله ثم عاد الى ما الكلام فيه
من ذكر الخلق فذكر خلق ساير النوع الحيواني ثم استطرد منه الى ما ذكره الى ان
عاد بعد طول الاستطراد الى ذكر الخلق فذكر خلق النجوم وانواع النبات
الى غير ذلك في الارض شامل للبر والبحر ولا طاير قال ابو حيان هو من عطف
الخاص على العام لدخوله في دابة وافرده بالذكر لانه ادل على عظم القدرة
من الماشي على الارض وقري برفعه عطفا على موضع دابة وقري ولا طير يطير
فايدته نفي توهم ارادة غير الطاير المعروف اذ استعير الطاير لغيره كقوله
طايره في عنقه قالوا طايركم معكم وقولهم طار لفلان طاير في القسمة وفيه تنبيه
على تصور هيئة حالة الطيران واستحضار لمشاهدة هذا الفعل الغريب

وما الوصف بلفظ يطير وقلما يسكن **بجناحيه** تاكيد لرفع توهم ان يراد بالطيران
الشي السريع **الا امم** جمع الخبر حملا على المعنى لان المفرد في دابة وطير للاستغراق
امثالكم فيه التفات عن الغيبة و المثلية قيل في الخلق والرزق والاجل والحياة
والموت والحشر والقصاص يوم القيامة وقيل من حيث انها تعرف الله وتسبحه
وقيل في الحاجة الى مدبر يدبرهم فيما يحتاجون اليه من قوت ولباس وكن قال
بعضهم ابهمت عقول البهايم من كل شي الا عن اربعة اشيا الا له سبحانه وطلب
الرزق ومعرفة الذكر الانثى وتهيؤ كل منهما لصاحبه وعن سفيان بن
عيينة في هذه الاية قال ما في الارض ادمي الا وفيه شبه من بعض البهايم
فمنهم من يقدم اقدام الاسد ومنهم من يعدو عدو الذيب ومنهم من ينبح نباح
الكلب ومنهم من يتطوس كفعل الطاوس ومنهم من يشبه الخنزير اذا القي اليه
الطعام الطيب تركه واذا قام الرجل من رجيعه ولغ فيه ولذلك تجدمن الادميين
من لو سمع خمسين حكمة لم يحفظ منها واحدة فان سمع من احد كلمة واحدة خطا
حفظها ولم يجلس مجلسا الا رواها عنه **ما فرطنا** بالتشديد وقري بالتخفيف
وهما بمعنى وقال النقاش المخفف بمعنى اخرنا يقال فرط الله عنك
المرض اي ازاله وفيه التفات عن الغيبة **ثم الى ربهم** فيه التفات عن التكلم
يحشرون اي الدواب والطير وقيل هو عايد الى الكفار وما تقدم اعتراض
قال ابو حيان ويويده الاتيان بضمير العقلا فعليه على هذا
التفات من الخطاب في امثالكم **والذين كذبوا** قال ابو حيان مناسبة هذه الاية
لما قبلها انه لما تقدم قوله انما يستجيب الذين يسمعون اخبر ان المكذبين بالايات
صم لا يسمعون من يتبعهم فلا يستجيب احد منهم ولما كان قوله وما من دابة
الاية منبها على عظم قدرة الله ولطيف صنعه وبديع خلقه ذكر ان المكذب
باياته هو اصم عن سماع الحق ابكم **واقول** لما قال تعالى ما فرطنا في الكتاب
من شي ودل على انه ما من شي نافع للعباد في امر دينهم ودنياهم
ومعاشهم ومعادهم الا وقد تضمنه القران الكريم فمن القى اليه السمع وتامله
اهتدى به ومن اعرض عنه ضل ذكر عقبه ان المكذبين به صم لا يستجيبون
له ولا يلقون السمع لما فيه فلا يحصل لهم العلم بما حواه من الخيرات فعبر بالصمم
لان السمع طريق لحصول العلم وبقوله في الظلمات لانهم منغمرون في ظلمات
الجهل والضلال فلم يستضيئوا بشي من نوره لعدم سلوكهم في سبله الواضحة
اللاحبة فهم عمي البصيرة كعمي البصر فالاية نظير صم بكم عمي الا ان قوله في الظلمات
ابلغ من قوله عمي كما قال ابو حيان اذ جعل الظلمات ظرفا لهم ولما فيه
من الكناية عن مصيرهم يوم القيامة في ظلمات والمومنون يسعى نورهم
بين ايديهم وبايمانهم ثم ختم به ذا الامر الى المشية وان الله تعالى شا اضلالهم
ومن شا اضلاله فهو حايد عن الصراط القويم بما ذاد عن سبيل الكتاب المنير
ومن شا هدايته اهتدى فسلك الصراط المستقيم وهو اتباع القران
والاهتدا الى ما فيه من المنافع والمصالح وفي باياتنا التفات عن الغيبة

من ربهم وفي من يشا الله التفات عن التكلم وفي يضلله ويجعله على صراط مستقيم
طباق وكذا بين قوله في الظلمات وعلى صراط طباق فان بين في الدالة على الانغماس
والانغمار وعلى الدالة على الاستعلا وبين الظلمات والصراط لان من كان على
صراط مستقيم فهو في نور ووضوح ولان الظلمات استعارة للكفر والصراط
المستقيم استعارة للاسلام **قل ارايتكم** ابو حيان هذا ابتدا احتجاج على الكفار الذين
يجعلون لله شركا الكرماني ارايتكم كلمة استفهام وتعجب ليس لها نظير في العربية
لما فيها من الجمع بين علامتي خطاب وهي التا والكاف وقال هنا وفي الاية
الثالثة ارايتكم وفي الاية الثانية ارايتم على العادة بطرح الكاف
لان المتوعد به في الايتين عذاب الله وهو اشد من اخذ السمع والابصار
فجمع فيه بين الحرفين مبالغة في تاكيد التنبيه الزملكاني لا يكاد يوجد
للعرب مثل هذا النظم ارايت وارايتك وارايتكم وكانه يدل
عليه ارايت ان كان على الهدى ارايت ان كذب وتولى ولا يحتمل ان يكون ارايت
واقعا على ما بعده ولذا ارايت اذ اوينا الى الصخرة كانه قيل اسمع وتدبر
فاني نسيت الحوت وقيل انه استفهام عن الراي الذي تاوله العلم ومنه ما اريكم
الا ما ارى اي لا اعلمكم الا ما اعلم وقيل تاويله ما ترى وما تقول
ابو حيان ارايت بمعنى اخبرني نص على سيبويه والجمهور وهو تفسير معنى لا
تفسير اعراب الفرا للعرب في ارايت لغتان ومعنيان احدهما ان يسال
الرجل ارايت زيدا بعينك فهذه مضمومة والثاني ان يقول ارايت
وانت تقول اخبرني فهاهنا تترك الهمزة ان شيت وهو اكثر كلام العرب
تومي الى ترك الهمزة للفرق بين المعنيين والقراة بالوجهين ابو حيان الذي
نختاره ان ارايت باقية على حكمها من التعدي لاثنين فالاول منصوب والثاني
لم نجده بالاستقرا الا جملة استفهامية او قسمية وهنا المفعول الاول
محذوف والمسالة من باب التنازع تنازع ارايتكم واتاكم في عذاب الله
فاعمل الثاني وحذف معمول الاول لانه مفعول وجملة اغير الله المفعول
الثاني وجواب الشرط محذوف دل عليه ارايتكم اي ان اتاكم عذاب الله
فاخبروني عنه اغير الله تدعون لكشفه الزمخشري بكتهم بقوله اغير الله تدعو
بمعنى اتخصون الهتكم بالدعوة ام تدعون الله دونها قال ابو حيان وهذا على
رايه ان تقدم المعمول يوذن بالحصر وقال السبكي لا معنى للحصر
هنا لانه ليس المستفهم عنه دعا الاصنام بقيد نفيه عن الله بل مجرد دعايهم
اياها وانما اراد الزمخشري الاختصاص وهو معنى غير الحصر فان الحصر فيه
نفي غير المذكور واثبات المذكور والاختصاص قصد الخاص من جهة خصوصه
من غير تعرض فلا قصد لغيره باثبات ولا نفي مثال ذلك اذا قلت ضربت
زيدا فان فيه ثلاثة اشيا الضرب وكونه واقعا منك وكونه واقعا على زيد
فتارة يكون قصد المتكلم لها ثلاثتها على السوا وتارة يترجح قصده لبعضها
على بعض ويعرف ذلك بما ابتدا به كلامه فان الابتدا بالشي يدل على الاهتمام به

وانه هو الارجح في غرض المتكلم كما قال سيبويه وهم يقدمون ما هو عندهم اهم وهم
به اعني فاذا قلت زيدا ضربت علم ان خصوص الضرب على زيد هو المقصود وانه
هو الاهم عند المتكلم وانه الذي قصدا فادته السامع من غير تعرض ولا قصد
لغيره باثبات ولا نفي وعلى ذلك تخرج هذه الاية وما شاكلها مما لا يصلح فيه
معنى الحصر كقوله قل اغير الله تامروني اعبد افغير دين الله تبغون كلا هدينا
ونوحا هدينا من قبل اغير الله اتخذ وليا لان معنى الحصر في هذه الايات
فاسد انتهى وهو من التحقيق بمكان ابو حيان هذه الاية عند علما البيان د
من باب استدراج المخاطب وهو ان يلين الخطاب ويمزجه بنوع من التلطف
والتعطف حتى يوقع المخاطب في امر يعترف به فتقوم الحجة عليه والله تعالى
خاطبها ولا الكفار بلين من القول وذكرهم امرا لا ينازعون فيه وهو انهم كانوا
اذا مسهم الضر يدعون الله لا غيره وجواب ان كنتم صادقين محذوف
اي ان كنتم صادقين في دعواكم ان غير الله اله فهل تدعونه لكشف ما حل بكم
من العذاب وفي اول الاية التفات **بل** للانتقال من غير ابطال
اياه تدعون اي تخصونه بالدعا **ما تدعون** اي الذين تدعون واعرب من جعلها
مصدرية ظرفية اي مدة دعائكم اليه ضمير عايد الى ما او الى الله **ولقد ارسلنا**
الاية فيه تسلية للرسول ومناسبة لما تقدم من اتيان العذاب المكذبين
وتضرعهم الى الله وفيه التفات عن الغيبة **فاخذناهم** الاخذ الامساك بقوة
وبطش وقهر وهو هنا مجاز عن منا بعة العقوبة والملازمة **يتضرعون**
الكرماني اتى هنا بالفك وفي الاعراف بالادغام فقال يضرعون لموافقة
ما بعده من قوله تضرعوا لانه ماضيه وماضي المدغم اضرع وقال
صاحب المناجاة لما وقع في الاعراف ذكر النبي مدغما والمدغم اخف ناسبه د
بادغام يضرعون او يقال لما كان الادغام متقدما على الاعراف اتى فيه بالاصل
المقدم وهو عدم الادغام وفي الاعراف المؤخر بالفرع المؤخر وهو الادغام
او يقال الخطاب هنا فيه لين وتلطف فاتى بالفك لما فيه من الهون وايه
الاعراف في ذكر النقم فاتى فيه بالادغام المشتمل على التشديد مناسبا به الشدة
واقول الاحسن في هذا الموضع وامثاله انه من باب
التفنن والفصاحة واستعمال كل من اللغتين الجائزتين في موضع وذلك احد
وجوه الفصاحة وافانين البلاغة **فلولا اذ جاءهم** اي فهلا كان فيه طرف من الحجة
ولذلك اجيب بلكن كانه قيل لم يتضرعون ولكن قست فالجواب معطوف على الناو بل
دون اللفظ وقال ابو حيان وقعت لكن بين ضدين القسوة والضراعة
لانها عن اللين **وزين** يحتمل العطف والاستيناف **فتحنا عليهم ابواب كل شي**
استعارة للابواب عن الاسباب التي هياها الله لهم المقتضية لبسط الرزق
عليهم لانها مداخل لها فهي مكنية وذكر لازم الابواب وهو فتحنا تخييلية
والقراة بتخفيفه وتشديده مبالغة **حتى اذا الاية** اذا الاولى ظرفية والثانية
فجائية واصل الابلاس الاطراق لحلول نقمة او زوال نعمة **فقطع دابر القوم الذين**

ظلموا

ظلموا كناية عن استيصالهم اذ الدابر اخر القوم الذين يدبرهم وفيه اقامة الظاهر
مقام ضميرهم وقري فقطع بالبنا للفاعل ودابر بالنصب والفاعل ضمير الله ففيه د
التفات عن التكلم **والحمد لله** فيه التفات على القراة الاولى واقامة الظاهر
مقام المضمر على الثانية وناسب الختم بالحمد لما فيه من انجاز وعد الله للرسل
بالنصر وهلاك مكذبيهم **قل ارايتم** الاية عود الى الاحتجاج المتضمن للتهديد
بعده استطرد منه الى قصة من تقدم الى هذه الاية **ياتيكم به** افرد الضمير والمتقدم
جمع اجراه مجرى اسم الاشارة اي بذلك او على تاويل بما اخذ او بالماخوذ د
انظر خطاب عام او للرسول **كيف نصرف** فيه التفات وقري بالتخفيف
من صرف الثلاثي **ثم هم يصدفون** ختم به وفيما سبق بقوله لعلهم يفقهون
قال صاحب المناجاة فالاولى لمن علم عدم ايمانه كابي جهل وابي لهب
فعبر عنه بالاعراض والثانية فيمن علم ايمانه فيرجى فقهه ورجا الله تحقيق د
قال او الاولى في الكفار والثانية في المسلمين بدليل انه صلى الله عليه وسلم
لما نزلت سال ان لا يذيق بعض امته باس بعض فلم يعط ذلك **قل ارايتكم الاية**
تهديد ثالث قلت وفي التهديدات الثلاث تدريج فان الاولى فيه من
التلطف ما ليس في الثاني حيث استثنى فيه الكشف ان شا وليس في الثاني
اثبات الاتيان بما اخذ بل الاشارة اليه بنفي اله غير الله ياتي به واما د
الثالث فليس فيه اثبات كشف لا صريحا ولا اشارة بل صرح بالهلاك
في قوله هل يهلك ومع ذلك لم يخله من التلطف حيث قال الا القوم الظالمون
فالتفت عن الخطاب الى الغيبة وعن الاضمار الى الاظهار لان في المخاطبة
بالهلاك من المخاشنة ما ليس في الغيبة والاسم الظاهر وصح مقابلة د
البغتة بالجهرة لتضمنها معنى الخفية وبدا بها لانها اردع من الجهرة وهل بمعنى
النفي وقري يهلك بالبنا للفاعل وفي ذكر الظلم تنبيه على علة الهلاك
وما نرسل فيه التفات **يمسهم** قري بنون مضمومة من امس **قل لا اقول لكم الاية**
استدل المعتزلة بقوله ولا اقول لكم اني ملك على افضلية الملك على النبي
وهو غلط منهم لان الاية نزلت جوابا بالاقوال صدرت من كفار مكة
فالجملة الاولى جواب قولهم لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا
وحتى تزيل جبال مكة وتوسعها في اشيا من ذلك والثانية جواب كلهم ان د
يخبرهم بالمغيبات ولهذا امره ان يقول لهم ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت
من الخير الاية والثالثة جواب قولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي د
في الاسواق وقولهم لا همة له الا النكاح فنزلت هذه مع قوله ولقد ارسلنا
رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية مخبرة بان هذا شان البشر وانما
ينبغي الاكل والنكاح عن الملك وهو لم يدع انه ملك حتى يورد واعليه
ذلك نقضا فاي دلالة في الاية على التفضيل بعد هذا التفصيل قال
الزمخشري ويحل اعلم الغيب نصب عطفا على محل عندي خزاين الله على انه د
ايضا من جملة مقول القول وقال ابو حيان الظاهر انه عطف على لا اقول

لا معول له فهو داخل تحت قل وغاير في متعلق النفي حيث لم يقل منه ولا اقول
اني اعلم الغيب لان كونه ليس عنده خزاين الله من ارزاق العباد معلوم لكل احد
وكذا كونه ليس ملكا فنفى ادعا ذلك ولم ينفهما من اصلهما لان انتفا ذلك
من اصلهما معول معلوم فنفي ان يكابرهم في ادعا شي يعلمون خلافه
قطعا ولما كان علم الغيب امرا يمكن ان يظهر على لسان البشر بل قد يدعيه كثير
كالكهان والمنجمين وكان صلى الله عليه وسلم قد اخبر باشيا من المغيبات
وطابقت ما اخبر به نفي علم الغيب من اصله تنصيصا على محض العبودية ولا افتقا
وان ما صدر عنه من اخبار بغيب انما هو من الوحي الوارد عليه لا من ذات
نفسه فقال ان اتبع الا ما يوحى الي وجا هذا النفي على سبيل الترقي فنفى ما يتعلق
بالعامة من الارزاق ثم بالخاصة من العلوم بما يعم من الكوان ثم بما هو اخص
وهو عدم الاكل المخصوص بالملايكة المباين لضعف البشرية انتهى وعكس
صاحب المناجاة فقال لما كان علم الغيب من الخمس التي استاثر الله بها لم يمكن
ادعاوه بخلاف عندي خزاين الله واني ملك فانهما يمكن ادعاوهما الا ترى
الى قول يوسف اجعلني على خزاين الارض وخزاين الارض هي خزاين الله وقول
النسوة ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم فلما كان هذان الوصفان ما قد
يدعيهما المجنون في النبي صلى الله عليه وسلم قرن بهما لا اقول بخلاف علم الغيب
فانه لا يمكن احدا ان يدعيه له ولا ان يقول هو ايضا به لنفسه الكن ما في
قال في هود ولا اقول اني ملك بحذف لكم لتقدمها اربع مرات
لحذفها تخفيفا ولم تتقدم هنا سوى مرة وقال صاحب المناجاة
لما بني الامر في هذه السورة على الاطناب حيث قال قل لا اقول لكم وفي هود
على الايجاز حيث قال ولا اقول اعطى كلا ما يناسبه او يقال
ما هنا امر به صلى الله عليه وسلم فليس من محل تصرفه وما في هود هو اتفاق بل له
فهو من محل تصرفه **قل هل يستوي الاعمى والبصير** مثل للكفار الذين كذبوا
واوردوا اقوالا لا تصلح حجة ولا متمسكا وللمومنين الذين ادركوا ما خفي
على اوليك **وانذر به** اي بما اوحي اليك **الذين يخافون** خصهم لانهم المنتفعون
قال ابن جرير ويخافون بمعنى يعلمون وقال غيره انه على حقيقته
وهو الصواب لان الخوف انما هو فيما يترتب على الحشر من المواخذة والعقاب
ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع قيل حال وقيل اعتراض اخبار من الله عن صفة
الحال يوميذ **ولا تطرد الاية** نزلت لما طلب كفار مكة ان يطرد منه
فقرا اصحابه ليجالسوه ويومنوا به ومناسبتها لما قبل انه لما حكى اعراض المكذبين
وامر نبيه بالاعراض عنهم وصف اقبال المصدقين وامره بالاقبال
عليهم وعدم الاعراض عنهم **يدعون ربهم** اتى بالمضارع لافادة الاستمرار
اي ان ذلك ديدنهم وشانهم **بالغداة والعشي** كناية عن الزمان الدايم
ولم يرد بهما خصوص زمانهما كقولك الحمد لله بكرة واصيلا اي في كل حال فالغداة
كناية عن النهار والعشي كناية عن الليل قاله ابو حيان **قلت** وينبغي ان يخرج على

هذا قوله في صفة الجنة ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اي على الدوام كما قال
اكلها دايم وفي قراة بالغدوة على لغة من ينكرها فيقول رايت غدوة بالتنوين
حكاه الخليل وسيبويه وقرئ بالغدوات والعشيات **ما عليك من حسابهم**
الاية فيه النوع المسمى في البديع بالعكس وهو رد العجز على الصدر والضماير
للمومنين وقيل في فتطردهم فقط وفي حسابهم وعليهم للكفار وبدي في الجملتين
بخطابه صلى الله عليه وسلم تشريفا له وتعظيما **وكذلك** اشارة الى الفتون السابق
فتنا فيه التفات عن الغيبة الى التكلم اي تاويله فضلنا بعضهم على بعض في امر بق
الدين والدنيا فصار ذلك فتنة لهم حسدا وبغيا فاللام في ليقولوا لام العا
والصيرورة **اهاولا** الاشارة للتحقير **اليس الله** فيه التفات عن التكلم
بالشاكرين الختم به في غاية الحسن لتقدم قراة من الله عليهم فناسب ذكر لفظ
الشكر **واذا جاءك** عود الى ما كان الكلام فيه بعدا لاستطراد **الذين يومنون**
فيه اقامة الظاهر مقام الحاوي وحسنه ما وقع من الفصل واظهار صفة
تشريفية لهم **باياتنا** فيه التفات **فقل سلام عليكم** قيل امر بتبليغ السلام
من الله اليهم وقيل السلام من عنده لهم **كتب** الى اخره تقدم ما فيه **انه** بالكسر
استيناف تفسير للرحمة وبالفتح بدل من الرحمة **فانه** بالوجهين والفتح
في الخبراي فامره انه وقرات فرقة بفتح الاول وكسر الثانية واخرى
بعكسه **وكذلك** اشارة الى التفصيل الواقع في الايات السابقة
نفصل عطف على علة مقدرة اي لنبين لكم او متعلق بمعلول موخر اي
فصلناها واستبان يكون لازما ومتعديا ولهذا وردت القراة برفع سبيل
ونصبه والسبيل يونث في لغة الحجاز ويذكر في لغة تميم فوردت القراة
بالنا **سبيل المجرمين** اي والمومنين فحذف اكتفا واثر ذكرهم لانهم الذين
اثاروا ما تقدم من الاقوال فكانوا اهم في هذا الموضع **قل اني نهيت**
لما ذكر تعالى تفصيل الايات لتستبين سبيل المبطل من المحق نهاه عن
سلوك سبيلهم ولفظ نهيت ابلغ من النفي بلا اعبد اذ فيه ورود تكليف
وعبر بالذين لكون الكفار نزلوها منزلة العاقل **لا اتبع اهواكم**
جمعه ليعم عبادة الاصنام وما امروا به من طرد ضعفا المومنين وغيره
ذلك مما لبس بحق **قد ضللت اذن** قرئ بكسر اللام وقرئ بالصاد
المهملة **وما انا من المهتدين** تاكيد لجملة ضللت وعدل عن وما اهتديت
لان المذكور ابلغ من جهة الاسمية والتعيين بمن قوم كذا ومراعاة للفاصلة
قل اني على بينة لما نفى ان يكون متبعا للهوى نبه على ما يجب اتباعه
وهو الامر الواضح من الله **وكذبتم به** قيل الضمير لله وقيل للبينة لانها في
معنى امر بين وقيل للقراة المفهوم منها **يقص الحق** اي القضا الحق وقيل الاصل
بالحق وقرئ به وفي قراة يقص بضم القاف وصاد مهملة من القصص **وهو**
خير الفاصلين قرا ابن مسعود اسرع الفاصلين وهي مناسبة للحكم والقضا
كما هو ظاهر وللقصص اي ان القاص بمعنى المبين **بالظالمين** الاصل لكم **وعنده**

مفاتح الغيب مناسب لقوله قل لا اقول لكم عندي خزاين الله ولا اعلم الغيب
ولقوله ما عندي ما تستعجلون به الى اخره واستعيرت المفاتح للقدرة لانها
سبب الوصول الى الشي وقرى مفاتيح بالياء ومفتاح بالافراد وتقديم عنده لافا ده
التخصيص ويعلم ما في البر والبحر فيه طباق وقدم البر لانه اكثر مشاهدة
او للترقي لان مخلوقات البحر اكثر واغرب وما تسقط من ورقة الا يعلمها د
قيل التقدير يعلمها الورقة قبل السقوط وبعده ومعه كقولك ما يجيئك احد
الا وانا اعرفه فانه ليس معناه في حال مجيه فقط قاله الزجاج قلت
قد ورد تفسير الورقة بالساقطة من سدرة المنتهى وان فيها ورقا بعدد
الخلايق مكتوب على كل ورقة اسم انسان فاذا دنت وفاته سقطت اخرجه
ابو الشيخ في تفسيره عن محمد بن جحادة وبذلك يعرف وجه التعبير بالسقوط
ولو كان المراد ورق اشجار الدنيا لكان الاحرى ان يقال وما تنبت وايضا
فقد فات ولا حبة في ظلمات الارض لحصلت مطابقة في غاية الحسن د
بين ما في اعلا السما وما في اسفل الارض وقد قيل ان المراد الارض السابعة
وقيل تحت الصخرة وقيل بل الارض الاولى والحبة التي تخفيها الزراع تحتها
وان التقدير ولا تنبت حبة فتكون الجملة الاولى اشارة الى الاجال
والثانية الى الارزاق ويكون تمت طباقا فانه تسقط وحبة مع ورقة
وفي مع من ولا مع ما وما فوق السما انوار تقابل ظلمات فهذه ست مقابلات
قدر فيها اثنان في الجملة الاولى وواحد في الثانية وتفرع عن ذلك نوع اخر
وهو الاحتباك فانه حذف من الجملة الاولى ما اثبت نظيره في الثاني وهو
مقابل في ظلمات الارض ومن الثاني ما اثبت نظيره في الاول وهو تنبت
نظير تسقط فلله المنة على ما فتح علينا من ادراك اسرار كتابه ولا رطب
ولا يابس عطف على ما قبله منسحب عليه الاستثنا الاول وقوله الا في
كتاب تاكيد له اعيد لطول الكلام وحسنه كونه فاصلة وقريا بالرفع
على الاستيناف والا في كتاب خبره وفيه الطباق وهو الذي يتوفاكم بالليل
لما ذكر تعالى استيثاره بالعلم التام ذكر استيثاره بالقدرة التامة
لان القدرة قرينة العلم في اختصاص الالهية بهما وذكر ابلغ قدرة في اظهر
شي للانام وهو النوم واليقظة فانهما ليس للانسان فيهما قدرة البتة
بل امران يوقعهما الله به بغير صنع ولا اختيار ابو حيان لما كان توفي النوم
من الملاذ واسباب الراحة والمحبوبات اسنده تعالى اليه ولما كان توفي
الموت مولما ومكروها للنفوس لم يسنده اليه بل الى الملائكة فقال توفته
رسلنا يتوفاهم ملك الموت توفاهم الملايكة قلت وانما قال في اية الزمر
الله يتوفى الانفس ليعلم انه الفاعل الحقيقي للموت لا كما تقوله الدهرية
ومن جرى مجراهم ليقضى قرى بالبنا للفاعل ونصب اجل ثم ينبئكم بما كنتم
تعملون مناسب لقوله ويعلم ما جرحتم وتعريض للعلم وهو القاهر لما ذكر قصة توفي
النوم اتبعه بذكر توفي الموت لما بينهما من المواخاة وناسب افتتاح قصة الموت

بوصف

بوصف القاهر كما لا يخفى فوق عباده فيه التفات والاصل فوقكم ويرسل قيل من
عطف الفعلية على الاسمية وقيل عطف على جمل الافعال السابقة والجملة الاسمية
اعتراض ويويده مناسبة عليكم لما تقدم في الخطاب وقيل عطف على وصف
القاهر لانه في معنى الفعل وقيل بتقدير وهو يرسل عليكم فيه التفات من عباده
حفظة الكشاف فان قلت الله غني بعلمه عن كتبة الحفظة فما
فايدتها قلت لطف بالعباد لانهم اذا علموا ان الله رقيب عليهم والملائكة
موكلون بهم يحفظون عليهم اعمالهم ويكتبونها في صحايف تعرض عليهم على رؤس
الاشهاد في مواقف القيمة كان ذلك ازجر لهم من القبيح وابعد من السو توفته
في قراة توفاه وقرى يتوفاه مضارع بتحتية رسلنا فيه التفات وفي اية السجدة
قل يتوفاكم ملك الموت والرسل هنا اعوانه يجذبونها من البدن فاذا حصلت
الى موضع الخروج تناولها هو قابضا وهم معالجون فصح نسبة التوفي اليه واليهم
وهم لا يفرطون قرى بالتخفيف فالاول من التفريط وهو التواني والتاخر
والثانية من الافراط وهو مجاوزة من الحد اي لا ينقصون مما امروا به ولا
يزيدون فيه قاله ابن جني وذلك راجع الى انهم لا يقدمون احدا قبل حضور
اجله ولا يوخرونه اذا حضر ثم ردوا فيه التفات عن الخطاب الى الله د
فيه التفات عن التكلم والاصل رددتم الينا مولاهم فيه اشعار برحمته
لهم مسكن لبعض ما في قلوب العباد من فزع الموت لان من كان مرده الى مو
انس بكل خير واستدل بقوله ردوا على ان الروح كانت قبل البدن
لان الرد يشعر بسبق نفيه امر حتى يرد اليه الحق قال الزمخشري معنا
العدل الذي لا يحكم الا بالحق وفيه ايضا تانيس للعباد وقال الامام
فيه اشارة الى ان من اتبع هواه تخلص بالموت من الموالي الباطلة وانتقل
الى المولى الحق وقرى بنصبه على المدح الا له الحكم اي لا لغيره وهو اسرع الحاسبين
مناسب لامر الموت المفضي الى البعث وان كان المراد بالرد البعث
فاوضح قل من ينجيكم عود الى الاحتجاج على المشركين مع تلطف وتذكر انعام د
فهو متصل بقوله قل ارايتم السابق بعدما استطرد منه الى غيره كما هو عادة
القران وخفية بضم الخا وكسرها وقرى وخيفة من الخوف لين اي قايلين
انجيتنا في قراة انجانا قل الله الاية امر نبيه صلى الله عليه وسلم بالمسابقة
الى الجواب ليكون هو السابق الى الخير والى الاعتراف بالحق ثم انتم تشركون
استبعاد على حد ما تقدم اول السورة قل هو القادر الاية قالت طايفة هو
خطاب للكفار جريا على نسق الايات السابقة وقال اخرون بل للمومنين
ويويده الحديث وختمه بقوله لعلهم يفقهون كما تقدمت الاشارة اليه
ويويده ايضا قوله بعدها وكذب به قومك فغير الاسلوب واتى بالاسم
الظاهر او يلبسكم شيعا قال اي يخلطكم فرقا مختلفين على اهوا شتى وقرى
بضم اليا من الالبس استعارة من اللباس وتقديره يلبسكم الفتنة شيعا ويذيق
كثر استعمال الاذاقة في القران وكلام العرب للاصابة لانها من اقوى حواس

الاختيار وقرئ بالنون ففيه التفات انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون
تنبيه على فائدة التكرار الواقع في القرآن واختلاف الآيات والحجج وضرب الأمثال
لان في ذلك ما يقتضي الفهم لا محالة لانه ان غربت آية لم تغرب اخرى وكذب به
قيل الضمير للعذاب او الوعيد وقيل للقرآن الذي جاء فيه تصريف الآيات
وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عطية وهو بعيد لقرب خطابه بعده بالكاف
وقرئ كذبت كما قالت كذبت قوم نوح وهو الحق استئناف لكل نبإ مستقر
وسوف تعلمون تهديد بليغ ووعيد عظيم واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا
كناية عن الاستهزاء بها والطعن فيها فاعرض عنهم من الاعراض بالذات لا بالقلب
حتى يخوضوا في حديث غيره قال الحوفي الضمير عائد الى الخوض على حد اذا نهي
السفيه جرى اليه اي الى السفه وقال ابو البقاء الى معنى الآيات لانها حديث
وقرآن واما ينسينك تأكيد الشرط بان لانه غير محقق الوقوع بخلاف
اذا في اول الآية لان خوضهم محقق وفي قراءة بالتشديد من نسى مع القوم الظالمين
وضع الظاهر موضع مضمرهم تنبيها على علة الخوض وهو ظلمهم ومجاوزتهم الحد ولما نزلت
قال المؤمنون لا يمكننا طواف ولا عبادة في الحرم فنزلت وما على الذين يتقون الآية
وبذلك عرف وجه الانتقال من خطاب الرسول الى خطاب المتقين
لعلهم يتقون هو المسمى في البديع ويتقون اول الآية بمعنى يتقون
المعاصي وآخرها بمعنى يتقون الخوض فالمصدرية اعم وذر الذين اتخذوا دينهم
لعبا ولهوا مناسب لقصة الخوض والاستهزاء وقد وقع في هذه السورة تفنن كثير
وتنويع في التعبير عن الكفار فتارة بالذين كفروا وتارة بالذين يمترون وتارة
بالمعرضين وتارة بالمكذبين وتارة بالمستهزئين وتارة بالخاسرين وتارة بالمشركين
وتارة بالمفترين وتارة بالظالمين وتارة بالجاحدين وتارة بالموتى وتارة
بالجاهلين وبالذين لا يعلمون وتارة بالضالين وتارة بالذين يصدفون
وتارة بالمجرمين وتارة بالخائضين وتارة بالمتخذين دينهم لعبا ولهوا ذلك
مع مناسبة كل لفظ للآية التي هو فيها وهذه غاية الفصاحة ونهاية البراعة
قال ابن عطية واضافة الدين اليهم على معنى انهم جعلوا اللعب
واللهو دينا او المراد دينهم الذي كان ينبغي لهم وذكر به اي بالقرآن
او بالدين ان تبسل مفعول من اجله اي كراهة ان وجوز ابو حيان كونه
بدلا من ضمير به على حد اللهم صل عليه الرؤوف الرحيم لا يؤخذ اي المعدول به المفهوم
من عدل قال اولئك فقيل اشارة الى الذين اتخذوا وقيل الى الجنس المدلول
عليه بقوله ان تبسل نفس شراب من حميم وعذاب اليم فيه ترصيع ونرد
على اعقابنا قال ابن جرير وغيره الرد على العقب يستعمل فيمن امل امرا فخاب
كالذي حال من ضمير نرد اي كائنين استهوته الشياطين قرئ استهواه الشيطان
وقرئ الشياطون حيران حال من مفعول استهوته له راجع الى الذي اصحابا
حال ايضا يدعونه الى الهدى اي الطريق فاطلق عليه الهدى كما اطلق على
الهدى الطريق في قوله من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم

والجملة

والجملة صفة اصحاب والى متعلقة بيدعونه ائتنا بتقدير قائلين وقرئ
أتينا فعلا ماضيا فالى الهدى متعلق به الزمخشري هذه الآية وردت على ما كانت
العرب تزعمه وتعتقده من ان الجن تستهوي الانسان والغيلان تستولي عليه
كقوله كالذي يتخبطه الشيطان فشبه به الضال عن طريق الاسلام التابع
لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت اليهم واستهوته قيل من الهوي
اي اماتته وقيل من الهوى اي ألقته في هوة الامام هذا المثل في غاية الحسن
وذلك ان الذي يهوي من عال الى وهدة عميقة يهوي اليها مع الاستدارة
وذلك يوجب كمال التردد والتحير فعند نزوله لا يعرف انه يسقط على موضع
يزداد بلاؤه بسبب سقوطه عليه او يقل ولا تجد للحائر الخائف اكمل ولا احسن
من هذا المثل ابن جماعة قدم في هذه الآية وفي الانبياء النفع على الضر وفي
سائر المواضع قدم الضر على النفع لان دفعه اهم من جلب النفع ولما ذكر هنا
وفي الانبياء الدعاء والعبادة والمقصود منها غالبا طلب النفع وجلبه كان تقديمه
اهم وكذلك قال في الحج يدعو لمن ضره اقرب من نفعه اي المقصود بالدعاء
وامرنا لنسلم اي بان نسلم قال الفراء وغيره تفيد اللام بمعنى ان بعد فعل الامر او
ارادة وقيل علة لمفعول محذوف اي بالاخلاص لكي نسلم وننقاد لرب العالمين
اقامه مقام له تنبيها على استحقاقه للانقياد له لكونه مالك العوالم كلها من
الاصنام وغيرها وان اقيموا قيل عطف على لنسلم اي امرنا لان نسلم وان اقيموا
قاله الزجاج ففيه انتقال من التكلم الى الخطاب وهو من انواع الالتفات
التي عز وقوعها فلا تكاد توجد قال ابن عطية وتقديره على هذا وللتقيم
يخرج بلفظ الامر لما في ذلك من جزالة الالفاظ اللفظ مجازا لعطف الحكم اللفظ
وتعويلا على المعنى انتهى وقال ابو حيان لما ذكر ان اقيموا في تأويل
المصدر زال منه معنى الامر وصح عطفه على ما هو في تأويله والتقدير
امرنا بالاسلام واقامة الصلاة انتهى وقيل هو منتظم مع قوله ان هدى الله
وقل اقيموا وهو الذي اليه تحشرون جملة خبرية تتضمن التنبيه والتخويف
لمن ترك امتثال ما امر به من الاسلام والصلاة والتقوى لانه انما تظهر
ثمرات هذه الافعال وحسرات تركها يوم الحشر قلت وقد جمعت
الآية جميع الاوامر والنواهي فبدأ بالامر بالاسلام لانه الاصل ثم بالصلاة
لانها اهم العبادات وآكدها بعد الاسلام ثم بالتقوى الذي هو شامل لبقية
الاوامر وجميع المناهي وهو عطف عام على خاص وهو الذي خلق السموات
ذكر ابتداء الخلق عقب ذكر الحشر دليلا على صحته لان البداءة دليل على الاعادة
خصوصا من خلق هذين الخلقين العجيبين الذين هما اكبر من خلق الناس
كما قال عند الاستدلال على ذلك اوليس الذي خلق السموات والارض
قادر على ان يخلق مثلهم اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي
بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى ثم عاد الى تتمة الكلام في الحشر فقال
ويوم يقول كن فيكون ونصب يوم قيل بتقدير واذكر الاعادة وقيل عطف

على الجاني اتقوه اي واتقوا يوم اي عقابه وشدايده وقيل على السموات اي وخلق يوم
وقيل هو خبر مبتدا مقدر وقوله مبتدا او خبر والحق صفته وجزم به الزمخشري ورجحه
ابو حيان قلت ـــــــ وكان نكتته الاخبار بكونه قايما بالحق في الدارين لقوله
في جملة البدا بالحق والاشارة الى ان خلقه في البدا والاعادة بحكمة وصواب
لا عبثا ولا الاعاريب الاول قيل قوله الحق مبتدا وخبر وقيل قوله فاعل فيكون وهي
تامة والتمام عند كن **وله الملك يوم ينفخ في الصور** الظرف متعلق بالملك اخبار
بانفراده به يومئذ على احد مالك يوم الدين لمن الملك اليوم لله وقيل بدل
من يوم قبله وقري ننفخ بالنون وفيه التفات وقري الصور بفتح الواو جمع صورة
عالم خبر مبتدا او قري بالجر بدل من ضمير له **الغيب والشهادة** قدم الغيب
لان علمه اشرف ـــــــ
وهو الحكيم الخبير الوصف الاول مناسب للخلق والاعادة الكاينين على وجه الحكمة
كما تقدمت الاشارة اليه والثاني مناسب لعلم الغيب والشهادة لان الخبير صفة
تدل على علم ما لطف ادراكه من الاشيا **واذ قال ابراهيم لابيه** لما تقدم قل اندعوا
من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا الاية ناسب ذكر هذه الاية هنا المشتملة
على التذكار بقصة ابراهيم مع ابيه وقومه لرجوع العرب اليه واقتدايهم بكثير
من اثاره لانه جدهم وبه شرفهم وباني البيت الذي هو مفخرهم فكانه قيل
انكار هذا النبي عليكم عبادة الاصنام مثل انكار جدكم ابراهيم على ابيه وقومه
عبادتها **ازر** بالفتح بجر ورا بيان او بدل ـــــــ من ابيه على انه اسم ابيه
وقيل هو اسم الصنم فيكون منصوبا على التحذير او بتقدير اتترك او ذر وقري بالضم
على النداء وقيل معناه يا مخطي او يا اعوج بلغتهم وقري ا ازر متخذ بهمزة استفهام
ثم همزة مفتوحة وزاي ساكنة وتنوين اكرا وتتخذ بلا همزاي عضدا او قوة ومظاهرا
على الله تتخذ قاله ابن عطية وقال ـــــــ الزمخشري هو اسم صنم ومعناها ه
اتعبد ازرا ثم قال تتخذ اصناما الهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل في حد الانكار
وقري ازرا مثلا لكن بكسر الهمزة الثانية بدلا من الواو اي اوزرا ومأثما ونصبه
بمضمر وفي مصحف ابي يا ازر اتخذت **اني اراك وقومك** بدا بابيه لان النصح وساير
الفعل الجميل يبدا فيه بالاقرب فالاقرب كما قال تعالى وانذر عشيرتك الاقربين
في ضلال ـــــــ هو ابلغ من ضالين حيث جعل الضلال ظرفا لهم **وكذلك** ه
اي كما اريناه ضلال ابيه وقومه **نري** بمعنى اريناه وهي بصرية كما ثبت الاترى انه
كشف له فراى ذلك ببصره **ملكوت** بنا مبالغة من الملك كرغبوت ورهبوت
ورحموت وجبروت وقري بسكون اللام وملكوتا بالمثلثه وقري تري بالفوقيه
وملكوت بالرفع اي تبصره دلايل الربوبية **وليكون من الموقنين** اي اريناه
او معطوف على محذوف اي ليقيم الحجة على قومه او ليستدل به على الصانع ه
وهذه عادة جارية في كل ما ورد في القران من ذلك **فلما جن** معطوف على جملة ه
واذ قال ـــــــ وجملة وكذلك اعتراض قاله الزمخشري وقال غيره انه تفصيل
لجملة وكذلك الي اخره فليست معترضة **هذا ربي** اي اهذا على طريق الانكار ه

قوله عز وجل واذ قال
ابراهيم لابيه آزر الآية

بح

157

على قول ابن عطية قال ذلك على سبيل التنزل مع الخصم وتقريرا لما يبني عليه من استحالة
ان يكون الرب بصفات الحدوث من قبول التغيرات ويويد القولين قوله اخر القصة
فلما افلت قال يا قوم اني بري مما تشركون فعلم انه قال ذلك في مجادلته لقومه وقوله
وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه الزمخشري هذا ربي قول من ينصف خصمه
مع علمه انه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لان ذلك ادعى الى الحق
وانجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة زاد ابو حيان فيكون
هذا القول ـــــــ منه استدراجا لاظهار الحجة وتوسلا اليها كما توسل الى كسر الا صنام
بقوله فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فوافقهم ظاهرا على النظر في النجوم
واوهمهم ان قوله اني سقيم ناشي عن نظره فيما قلت ويويد هذا التقرير
ما في الحديث عند تردد الناس اليه في الشفاعة من قوله اني كذبت ثلاث
كذبات ان اجادل بهن الا عن دين الله فذكر قوله اني سقيم وقوله هذا ربي
فدل على انه اطلق هذين اللفظين بغير اداة الانكار في مجادلته لقومه
استدراجا الى اظهار الحق موريا ومعرضا وذلك اصل من اصول علم الجدل
الذي كان عليه السلام امة فيه بما اتاه الله من علمه كما تقدم في مجادلته
لنمرود وتبين بذلك بطلان قول من ظن انه قال ذلك في ابتدا امره وعند
نظره لنفسه **لا احب الافلين** احتج بالافول دون الطلوع لانه اظهر لانه
انتقال مع خفا واحتجاب وجا بلفظ الافلين ليدل ـــــــ على ان ثم افلين كثيرة
ساووا هم هذا الكوكب في الافول فلا مزية له عليهم في ان يعبد لاشتراك
في الصفة الدالة على الحدوث **فلما راى القمر بازغا** البزوغ اول الطلوع
وذلك انما يظهر في القمر والشمس لسعة جرمهما بخلاف الكوكب
فانه يبدو دفعة واحدة ويظهر بمجرد اظلام الليل لسبق طلوعه فلذلك
لم يقل كوكبا بازغا **لاكونن من القوم الضالين** تعريض بقومه وتنبيه لهم
على ان من اتخذ القمر بازغا الها وهو نظير الكوكب في الافول فهو ضال
وان الهداية الى الحق بتوفيق الله ولطفه قاله الزمخشري **الشمس** تذكر ه
في لغة وتونث في الاشهر فقال ـــــــ بازغة على المشهور وهذا على اللغة ه
الاخري وقيل ذكر هذا اشارة الى الطالع او الكوكب او المري او النير او الضيا
وقال ـــــــ الزمخشري جعل المبتدا مثل الخبر لكونهما عبارة عن شي
واحد كقولهم ما جاءت حاجتك وما كانت امك ولم تكن فتنتهم الا ان قالوا ه
وكان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن شبهة التانيث
وقال ابو حيان يمكن ان يقال ان اكثر لغة الاعاجم لا يفرقون في الضماير
ولا في الاشارة بين المذكر والمونث بل هما سوا عندهم في العبارة فلما حكى
كلام ابراهيم اشار الى المونث كما يشار به الى المذكر وحين اخبر تعالى عنها
بقوله بازغة وافلت انث على مقتضى العربية اذ ليس ذلك بحكاية **اني
بري** لما ظهرت الحجة اظهر البراة من ما سوى الله ثم اثبت التوحيد لله تعالى
اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وخصهما لانهما ابلغ المخلوقات

صنام

المشاهدة ولانها محل الكواكب والاصنام التي عبدوها ثم نفى عن نفسه ان يكون
من المشركين مبالغة في التبري منهم فاول براءة من الشركا والثاني من المشركين وحاجه
قومه تنازعوه وتحاجوني في قوله في الله على حذف يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة
الا ان يشا استثنا منقطع شيا مصدر او مفعول به افلا تتذكرون تنبيه على غفلتهم من
حيث عبدوا ما لا يضر ولا ينفع وحاجوه في الله الخالق الفاطر الضار النافع وكيف
اخاف الاية من انفع الحجج واعظم الزامات الجدل واختلف متعلق الخوف فبالنسبة
اليه علقه باصنامهم وبالنسبة اليهم علقه باشراكهم بالله تركا للمقابلة ولئلا يكون
الله عديل اصنامهم لو كان التركيب ولا تخافون الله واتى بها في الاصنام لانها لا تعقل
وقرئ سلطانا بضم اللام اتباعا فاي الفريقين عدل عن اينا احترازا عن تجريبه نفسه
فيكون ذلك تزكية لها الذين امنوا الاية قيل هو من كلام ابراهيم جواب سوال
لما لم يجيبوه وقيل من كلام الله تعالى على جهة فصل القضا بين ابراهيم ومحاجيه
ولم يلبسوا ايمانهم اي يخلطوه بان يومنوا ظاهرا ويشركوا باطنا فيكون قيدا احترازا
عن المنافقين وقرئ بضم اليا بظلم فسر في حديث الصحيحين بالشرك وتلك ه
اشارة الى ما تقدم من احتجاج ابراهيم بالكوكب ومابعده حجتنا اضيفت
اليه تعالى على سبيل التشريف على قومه اشارة لعلو الحجة وقهرها نرفع درجات
من نشا قال زيد بن اسلم بالعلم وهو مناسب لاتيان الحجة ودرجات بالاضافة
والتنوين ان ربك التفات حكيم عليم مناسب للحجة اذ هي علم دقيق يحتاج الى
احكام واتقان ووهبنا فيه التفات من الغيبة وتخلص من قصة ابراهيم الى ذكر
سائر الانبيا فورد ذلك مورد الامتنان على ابراهيم بجعل الانبيا من ذريته
لما مر على مراغمة قومه اسحاق ويعقوب لم يذكر معهما اسمعيل قيل لان المقصود
هنا بالذكر انبياء بني اسرائيل وهم باسرهم اولاد اسحاق ويعقوب ولم يخرج من صلب
اسماعيل نبي الا النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكره في هذا المقام لانه امره عليه
السلام ان يحتج على العرب في نفي الشرك بالله بان جدهم كان موحدا لله متبريا من
الشرك رزقه الله اولادا انبيا وملوكا قلت ــــ قد ذكره في الاية الثالثة
بقوله واسمعيل واليسع الى اخره وظهر لي ان نكتة ذكره هناك افراده بالذكر
استقلالا خصوصا اذا جعلنا ضمير ذريته لنوح تعظيما له حيث كان النبي عليه
السلام من ذريته بخلاف اسحاق ويعقوب فذكرا على سبيل التبع لابيهما
وذكر اسماعيل كانه اصل بنفسه والله اعلم ونوحا هدينا من قبل لما ذكرنا ابراهيم
ذكر شرف ابائه فذكر نوحا الذي هو ادم الثاني فقال من قبل تنبيها على قدمه
وفي ذكره لطيفة وهو ان نوحا عبدت الاصنام في زمانه فوحد الله وجادل
قومه في عبادتها وابراهيم كذلك فذكر الله انه هدى نوحا كما هدى ابراهيم
ومن ذريته قيل الضمير لنوح لانه اقرب مذكور وقيل لابراهيم لانه المقصود بالذكر
داوود بالنصب بتقدير هدينا او وهبنا وقرن سليمان وداود لانه ابنه وقد
اشتركا في الملك وقدم الاب وايوب ويوسف لانهما اشتركا في المحنة والبلا
وحصول سلامة العاقبة وقدم ايوب لانه اشد بلاء وموسى وهارون لاشتراكهما

في الاخوة وقدم موسى لانه افضل وزكريا ويحيى لانه ابنه وعيسى والياس لاشتراكهما
في انهما لم يموتا الى الان وقدم عيسى لانه افضل وصاحب كتاب وجمع اسماعيل
والثلاثة بعده في انه لانهم لم يبق لهم من الخلق اتباع وقال بعضهم ذكر الانبيا
على مراتب مرتبة الملك ومرتبة البلا ومرتبة القوة والصولة والبراهين والمعجزات
لموسى واخيه ومرتبة الزهد لزكريا والثلاثة بعده ومرتبة عدم الاتباع ه
للاربعة الباقين وذكر لوط من ذرية ابراهيم وهو ابن اخيه لان العرب
تسمي العم ابا وقرئ بفتح نون يونس وسين يوسف وفي قراءة اليسع بلام مشددة
بوزن الضيغم لغة قال ـــ ابو حيان قد يسمي المسلمون باسماء الانبيا
ونجا فواعل اسم لوط وقيل من تسمى به منهم ومن ابائهم موضع نصب فقيل عطف على
كلا او فضلنا وقيل بتقدير هدينا وذكر الاصول والفروع والحواشي وهديناهم
الهداية تعجيبا لشانها وتاكيدا للامر بالتوحيد ولذا قال ـــ ذلك ه
هدى الله الاية تعرض بقوله ولو اشركوا للمشركين وفي هدى الله التفات
اوليك الاية لما ذكر انه فضلهم واجتباهم وهداهم ذكر ما فضلوا به وبدا بالكتاب
لانه رتبة العلم ثم بالحكم وهو الفصل بين الناس او الحكمة وتلك رتبة اعلى من
العلم ثم بالنبوة وهي مرتبة اشرف منهما ففيه ترق وفي اتيناهم التفات
فان يكفر بها اي بالثلاثة وقيل بالنبوة لانها اقرب هولاء الاشارة به للتحقير
فقد وكلنا بها قوما استعير التوكيل للتوفيق للايمان بها والقيام بحقوقها كما ان
يوكل الرجل بالشي ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه هدى الله فيه التفات
فبهداهم اقتده اي في التوحيد وقيل في مكارم الاخلاق التي كانوا متصفين بها
لشكر نوح ومحاجة ابراهيم وصدق وعد اسماعيل وحلم اسحاق واستسلامه
وحسن ظن يعقوب واحتمال يوسف وعفوه وصبر ايوب وانابة داود وتواضع
سليمان واخلاص موسى وافصاح هارون وهجرة لوط وعبادة زكريا وعصمة
يحيى وزهد عيسى وقد اجتمعت كلها في النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال
له تعالى وانك لعلى خلق عظيم والها في اقتده للسكت اجرا للوصل مجرى الوقف تم
لا اسالكم عليه اي الدعا الى الهدى الا ذكرى في يوسف ذكر ما ل الكرماني
وغيره لانه تقدم قوله ولكن ذكرى فناسبه وكذا فلا تقعد بعد الذكرى وما
قدروا الله الاية نزلت في بعض اليهود قال له النبي صلى الله عليه وسلم ه
اليس تجد فيما انزل الله على موسى ان الله يبغض الحبر السمين فقال والله ما انزل
الله على بشر من شي وهي مناسبة لما تقدم من ذكر الانبيا واتيانهم الكتاب
وكفر قوم بذلك وقيل انها في مشركي العرب ومناسبتها على هذا انه لما فرغ
من قصة ابراهيم واتباعه اخذ في تقرير النبوة والرد على منكري الوحي
وقرئ قدروا بتشديد الدال ــــ وقدره بفتحها قل من انزل الكتاب
هذا دليل على ان الاية نزلت في اليهود لان في كفار مكة والا لم يتم الاحتجاج
لان كفار مكة يكذبون بذلك ايضا فلا تتم الدليل عليهم وكذا تخصيص كتاب
موسى بالذكر دون كتاب عيسى وغيره من الكتب لانه كتاب بني اليهود وانما

يكون الاستدلال على الخصم بما يوافق هو عليه قال الغزالي وجه الاحتجاج بالاية يرجع
حاصله الى ان موسى انزل عليه شي وهو واحد من البشر فبطل قولهم ما انزل
انزل الله على بشر من شي ففي الاية من انواع البديع المذهب الكلامي تجعلونه
قرا الجمهور بتا الخطاب في الافعال الثلاثة وهو يويد كون الاية في اليهود ايضا وليس
التفاتا عن الغيبة في قدروا وقالوا لانه حينيذ يكون من تتمة قول النبي صلى الله
عليه وسلم لهم المامور به وشرط الالتفات ان تكون الجملتان من كلام واحد قال
ابو حيان ادرج سبحانه تحت الالزام توبيخهم والنعي عليهم بما صنعوه قال ومن جعل
الاية في كفار مكة جعل الخطاب لبني اسرايل اعتراضا خلال السوال والجواب
واستبعد بان فيه تفكيكا لنظم الاية حيث جعل اول الكلام خطابا مع المشركين
واخره مع اليهود واجيب بان الجميع لما اشتركوا في انكار نبوة الرسول
جا بعض الكلام خطابا للعرب وبعضه خطابا لبني اسرايل اما على قراة الغيبة فلا
تفكيك لانه ذكر على سبيل الاستطراد عايدا على اليهود المفهومين من انزل الكتاب
ويجي موسى لكان التقدير يجعله المنزل عليهم او الذي جا به موسى اليهم واوضح
منه عوده الى الناس لان المراد بهم اليهود فان التوراة هدي ونور لهم وعندي
ان الاية نزلت مرتين مرة بمكة على قراة الغيبة ومرة بالمدينة لما وقع من اليهود ما
وقع فنزلت بحرف الخطاب وقد قررت في الاتقان قاعدة في ذلك وعلمتم
الى اخره ان كانت الاية في العرب فواضح وكذا ان كانت في اليهود فيكون امتنانا
عليهم بانزال التوراة حتى علموا منها ما لم يكونوا يعلمونه لولاها وهو التفات
على قراة الغيبة لانها وصلة تجعلونه من قايل واحد قل الله امره بالمبادرة الى الجواب
وهذا كتاب انزلناه مبارك لما كرر بطلان قولهم ما انزل الله على بشر من شي
واثبت انزاله بانزال كتاب موسى المتفق عليه عند الخصم عطف عليه انزال
هذا القران لانه يلزم من تسليم انزال التوراة انزال القران بجامع ان الله
قادر على الانزال واستظهر عليه بقوله مصدق الذي بين
يديه لان الموافقة في الكتب وتصديق بعضها بعضا اعظم شاهد على ان المتكلم
بها واحد كما قال النجاشي كما قال حين سمع القران اشهد ان هذا والذي انزل
على عيسى بن مريم يخرجان من مشكاة واحدة ولتنذر عطف على ما قبله لانه
في معنى العلة اي للبركة وللتصديق او لنصدق وقري بتا الغيبة فالضمير
للقران ام القرى اي اهلها ومن حولها عام في جميع الارض يومنون به
اي بالقران وقيل بالرسول فيكون التفاتا عن الخطاب في لتنذر وهم على صلاتهم
خصها لانها عماد الدين واشرف العبادات وقرينة الايمان وموافقة لما تقدم
من قوله وامرنا لنسلم وان اقيموا الصلاة وقري صلواتهم بالجمع ومن اظلم
الاية لما ذكر قصة من انكر انزال الله على بشر من شي ذكر قصة من ادعى ان الله
انزل اليه ما لم ينزل واوحي اليه ما لم يوح لانه مبالغة في الكذب فبدا بالعا
وهو مطلق الافترا ليعم افترا الوحي وغيره ثم بافترا الوحي وهو اخص ثم بالاخص
منه وهو افترا انزال الكتاب ليعم الوعيد كل مفتر على الله بوجه من هذه الوجوه

ولو ترى اذ الظالمون عمم ليدخل فيه المذكورون وغيرهم وجواب لو محذوف
اي لرايت امرا فظيعا باسطوا ايديهم كناية عن الضرب اخرجوا بتقدير قايلين
عذاب الهون قري الهوان واضاف العذاب اليه لانه قد يكون على سبيل الزجر
والتاديب والتطهير ولا هوان فيه كعذاب عصاة المسلمين ولقد جيتمونا
معطوف على مقول القول المقول المقدر فرادى قري منونا وقري فردى
كسكرى كما خلقناكم اول مرة اي حفاة عراة غرلا بهم اي في خلقكم او في عبودتكم
او عندكم تقطع بينكم بالرفع فاعل على الاتساع في الظرف فاستعمل اسما او على جعل
البين بمعنى الوصل او بمعنى الافتراق مجازا عن الامر البعيد والمعنى لقد
تقطعت المسافة بينكم لطولها فعبر عن ذلك بالبين وفي قراة بالنصب
على الظرفية ففاعل تقطع ضمير التقطع او ضمير الوصل الدال عليه السياق او هو
الفاعل وبني لاضافته الى مبني كقوله ومنا دون ذلك واختار ابو
حيان انه ظرف وان تقطع وضل تنازعا في ما فاعمل الثاني واضمر في الاول
ضميره ما كنا به عن الاصنام قال وهذا اعراب سهل لم يتنبه له احد
وقرا ابن مسعود ما بينكم ان الله فالق الحب والنوى عود الى مقصد السورة
وما افتتح به من ذكر الخلق والانشا بعد ذلك الاستطراد قال الماتريدي
وخص الحب والنوى بالذكر لان جميع ما في الدنيا من النبات منهما فاضاف
ذلك الى نفسه كما اضاف جميع البشر الى نفس واحدة لانهم منها قلت
وفيه الاشارة الى مادة النبات كما اشار الى مادة البشر اول السورة بقوله
خلقكم من طين ودل على قدرته الباهرة والبعث بعد الموت بشقه النواة
مع صلابتها واخراجه منها نبتا اخضر لينا الى ما يدنشا عنها بعد ذلك ولذا قال بعده
يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي دليلا على البعث ايضا لانه اذا اخرج
من الميت الذي هو البيضة حيوانا حيا لم يتقدم له قبل ذلك حياة فلان يعيد
جسم الميت الذي تقدمت له الحياة حيا اولى وقرا ابن مسعود فلق الحب
بصيغة الماضي وقوله ومخرج قيل انه معطوف على فالق لانه وصف
مثله ولم يعطفه على يخرج لان النبات عن فلق الحب والنوى من جنس اخراج
الحي من الميت من قوله فالق الحب والنوى موقع الجملة المبينة فلذلك عطف
على الوصف على لا الفعل ولما كان هذا مفقودا في ال عمران وتقدم قبل ذلك
جملتان فعليتان تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل كان العطف
بالفعل ورجح هشام وغيره عطف مخرج على يخرج لان الوصف شبيه بالفعل
وفي ذلك تناسب الجملتين وموافقة المواضع التي عطف فيها بالفعل وما
تقدم في توجيه الاول ذكره جماعة منهم ابو حيان وابن جماعة وقال
الامام الجلال محلا اسما الفاعلين لقوله فالق الحب فالق الاصباح وجاعل الليل وعدل
الى الفعل في يخرج الحي لكراهة اجتماع ثلاثة من حروف العلة الواو والياء من النوى
واو العطف لو قال في الاول ومخرج وضعفه صاحب المناجاة بوقوع مثله
في قوله الذي خلق فسوى والذي وبانه كان يمكن وقوع اسم فاعل بلا عطف

على وجه البدلية والبيان قال فالصواب ان يخرج الحي وقع بيانا لفالق الحب كان قايلا
يقول كيف يفلق الحب والنوى فقال يخرج الحي وهو الاخضر النامي من الميت
وهو الحب او النوى اللذين هما كالجامد وجري في ويخرج على عطفها اسما الفاعلين بعضها
على بعض انتهى وفي قوله ان الله التفات من ضمير التكلم في الاية التي قبله فالق الاصباح
قيل التقدير فالق ظلمة الاصباح وهي الغبش الذي يعقبه الصبح وقيل ساق عمود الصبح
عن الظلمة وكاشفه وقري فلق فعلا ماضيا وفالق الاصباح بنصب الاصباح وفالق
بلا تنوين لالتقا الساكنين على حد ولا ذاكر الله الا قليلا وقري بفتح الهمزة جمع صبح
ابو حيان لما استدل على قدرته الباهرة بدلالة احوال النبات والحيوان
وذلك من الاحوال الارضية استدل على ذلك ايضا بالاحوال الفلكية فان فلق الصبح
اعظم من فلق الحب والنوى لان الاحوال الفلكية اعظم وقعا في النفوس من الاحوال
الارضية قلت ولما كان خلق الليل والنهار والشمس والقمر قد تقدم اول السورة
ضمن قوله وجعل الظلمات والنور لم يذكر الاربعة هنا على وجه الخلق المجرد بل
ذكرت على وجه اخر ليكون ابلغ في التفنن وتنويع الالفاظ فذكر النهار على وجه الفلق
المشابه لفلق الحب عن النبات وبدوه شيا فشيا في اصله المنشق عنه كما يبدو النبات
من الحب والنوى على سبيل التدريج وذكرت الثلاثة مقترنة بفايدة خلقها وهو
السكن في الليل والحساب في الاخرين فافاد الخلق وبيان العلة والامتنان فسبحانه
وتعالى وفي قراءة وجعل الليل فعلا ماضيا وفي اخرى ساكنا وقري والشمس والقمر
بالجر عطفا على لفظ الليل وقراءة النصب عطف على محله او بتقدير وجعل وقري بالرفع
على الابتدا والخبر محذوف اي مجعولان او محسوبان ذلك اشارة الى جميع ما تقدم
تقدير العزيز العليم مناسب لما تقدم لان تقدير هذه الامور البديعة ناشي
عن كمال العلم والقدرة معا والعزيز الغالب الذي كل شي في تسخيره وتيسره
وهو الذي جعل لكم النجوم ذكرها بعد الشمس والقمر للمناسبة وقرنها بفايدة خلقها
وهو الاهتدا وفيه تعريض بما يدعي الكواكب والمنجمين انهم اخطاوا الموضوع لانها
انما جعلت ليهتدي بها وتحسب لا لتعبد واضافة ظلمات الى ما بعده للملابسة
قد فصلنا الايات فيه التفات لقوم يعلمون الكرماني ختم هذه بيعلمون
والثانية بيفقهون والثالثة بيومنون لان من احاط علما بما في الاية الاولى
صار عالما بوحدانية الله وهو اشرف العلوم فختم بيعلمون والثانية مشتملة على ما
فيه تدبر وتامل والفقه علم يحصل بالفكر والتدبر فختم بيفقهون ومن اقر بما في
الثالثة صار مومنا فختم بيومنون وقال ابن جماعة لما كان حساب
الشمس والقمر والنجوم والاهتدا بها خاصا بالعلما بذلك ناسب ختمه بيعلمون
وانشا الخلايق من نفس واحدة نقلهم من صلب الى رحم الى الدنيا الى البرزخ الى الاخرة
والنظر في ذلك والفكر فيه ادق ناسب ختمه بيفقهون ولما ذكر ما انعم به على عباده
من سعة الارزاق والاقوات والثمار وانواع ذلك ناسب ختمه بالايمان الداعي الى شكره
تعالى على نعمه وقال ابو حيان الاهتدا بالنجوم واضح يحصل لمن له ادنى
ادراك بالنظر في النجوم فناسب ختمه بالعلم والانشا من نفس واحدة يحتاج الى فكر

وتدقيق

وتدقيق فالاستدلال به على البعث فناسب ختمه بالفقه ولما كان ظهور الايات
لا ينفع الا من قدر له تعالى الايمان ختم اخر الايات بقوله يومنون تنبيها على هذا المعنى
وهو الذي فيه التفات انشاكم في غيره خلقكم قال الكرماني مناسبة قوله في هذه
السورة وانشانا من بعدهم قرنا اخرين وفي ما سيأتي في وقال
في المناجاة لما اشتملت سورة الانعام على خلق الانسان وخلق ما خلق لاجله
من انواع الانعام والنبات خص الانسان بلفظ الانشا لانه المقصود الاول
بالذات وباقي المخلوقات بالخلق تمييزا بينهما وبينه فمستقر بفتح القاف
مكان او مصدر وبكسرها اسم فاعل ومستودع بفتح الدال في السبعة وقري بكسرها
قال ابو حيان الاستقرار والاستيداع حالان يعتوران على الانسان من
الظهر الى الرحم الى الدنيا الى القبر الى المحشر الى الجنة او النار ففي كل رتبة يحصل
له استقرار واستيداع استقرار بالاضافة الى ما قبلها واستيداع بالاضافة
الى ما بعدها ولفظ الوديعة يقتضي الانتقال انتهى وهذا تقرير
حسن يحصل به الجمع بين اختلاف الاقوال في ذلك قد فصلنا فيه التفات
انزل من السماء ماء الاية وقع ترتيب الايات الثلاث على الواقع وهو نظير
ما وقع اول السورة فبدأ بخلق الاجرام الفلكية ثم بخلق الانسان وبيان اجليه
ثم بما يقوم به اود الانسان في حياته فاخرجنا فيه التفات به اي بالماء
فاخرجنا منه اي من النبات خضرا فيه تجريد قال الليث الخضر في كتاب
الله الزرع وقال غيره الخضرة بمعنى النضارة ولا مدخل للون فيه نخرج
منه اي من الخضر والجملة صفة له او استيناف وقري يخرج بالياء وحب
متراكب بالرفع فاعله ومن النخل خبر مقدم من طلعها بدل منه قنوان مبتدا
وهو بكسر القاف لغة الحجاز وقري بضمها لغة قيس وبفتحها اسم جمع على فعلان
دانية قيل المعنى ومخوق فحذف اكتفا واقتصر على الدانية لان النعمة فيها اظهر
وجنات بالكسر نصبا عطفا على نبات وهو من النخل عطف الخاص على العام لشرفه
وقري بالرفع على تقديره ومن الكرم لقوله ومن النخل قاله ابو البقا وهو طريف
جدا من باب علفتها تبنا وماء باردا وقد زال بذلك استشكال ابي عبيد
وغيره هذه القراءة قايلين بان الجنات من الاعناب لا تكون من النخل وغفلوا
عن انه في مثل ذلك يقدر من المعنى لا من لفظ ما قبله كما قدروا في تبووا الدار
والايمان والعوا والزيتون والرمان بالنصب اجماعا عطفا على نبات
وقال الزمخشري على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلاة لفضل
هذين الصنفين ووجه صاحب المناجاة فضلهما بان الزيتون وفضله وفضل
دهنه شرعا في الاية والحديث بدليل من شجرة مباركة زيتونة والرمان
اشتمل على التساوي في الصورة والاسم والاختلاف في الطعم حلاوة وحموضة
ولا نظير له في ذلك في الفواكه وقال الزجاج قرن الزيتون بالرمان لانهما
شجرتان تعرف العرب ان ورقهما يشتمل على الغصن من اوله الى اخره قال
الشاعر بورك الميت الغريب كما بورك نضح الرمان والزيتون مشتبها

وفي الاية الاتية متشابها لانه اشتبه وتشابه بمعنى واحد كاختصم وتخاصم واشترك
وتشارك فاستعمل كل لفظ في موضع تفننا وتنويعا وجمعا بين اللفظين الجايزين كما هو
عادة القران وقري هنا شاذا متشابها **انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه**
نبه على حال الابتدا والانتها لانهما اغرب في الوقوع واظهر في الاستدلال والقراء
بفتح الثا والميم وبضمهما وقري بضم الثا وسكون الميم وقري وينعه بضم اليا
وقري ويانعه اسم فاعل من ينع ابو حيان انظر الى حسن سياق هذا الترتيب
لما تقدم ان الله فالق الحب والنوى جا الترتيب في هذه الاية تابعا له
فبدا بالخضر والحب المتراكب كما ابتدا به في قوله فالق الحب ثم ثنى بما له نوى
وهو النخل وما بعده وبدا بالزرع على الشجر لانه غذا والثمر فاكهة والغذا مقدم
على الفاكهة وقدم النخل على سائر الفواكه لانه يجري مجرى الغذا بالنسبة الى
العرب وقدم العنب لانه يجري مجرى النخل في الانتفاع به في جميع اطواره
يوكل خيوطا وحصرما وعنبا وزبيبا وعصيرا كما يوكل النخل طلعا وجمارا وبسرا
ورطبا وتمرا وعصيرا ولذلك شاركه في جميع الاحكام الشرعية التي انفرد
بها عن سائر الفواكه من وجوب الزكاة والخرص واباحة العرايا وقدم الزيتون
لانه اكثر منفعة من الرمان وبدهنه اكلا ووقودا وغيرهما وذكر الرمان
لعجب حاله وغرابته فانه مركب من قشر وعجم وحب وما فالثلاثة باردة يابسة
كثيفة قابضة عفصة وماوه بالضد الذ الاشربة والطفها واقربها الى الاعتدال
وفيه تقوية للمزاج الضعيف غذا من وجه ودوا من وجه فجمع تعالى فيه بين
المتضادين فاظهر قدرته واعجب صنعته **وجعلوا لله شركا الجن** لما ذكر تعالى
ما ذكر من دلايل قدرته ومتين صنعته وعظيم منته على عالم الانسان بما اوجد
له مما يحتاج اليه في قوام حياته ذكر ما عاملوه به من سوء صنيعهم حيث اشركوا
به اخس العوالم الثلاثة وهم الجن ونسبوا اليه ما هو محال عليه من البنين والبنات
وقد ورد في الحديث ما احد اصبر على اذى يسمعه من الله يدعون له ندا وولدا
وهو يرزقهم ويعافيهم وفي جعلوا التفات من ضماير الخطاب وفي لله التفات
عن ضماير التكلم والجن بالنصب قال الزمخشري مفعول اول والثاني
شركا قدم وجعل بمعنى صير قال فان قلت ما فايدة التقديم قلت
استعظام ان يتخذ لله شريك من كان ملكا او جنيا او انسيا ولذلك قدم
اسم الله على الشركا وعكس الحوفي وقال ابو جعفر ابن الزبير هو باضمار فعل جواب
سوال مقدر كانه قيل من جعلوا قال الجن اي جعلوا الجن واستحسنه ابو حيان
وايده بانه قري بالرفع على تقدير هم الجن جوابا لمن قال من الذي جعلوه ويكون
ذلك على سبيل الاستعظام لما فعلوه والانتقاص لمن جعلوه وقري بالجر على الاضافة
البيانية **وخلقهم** حال اي اشركوا به وهو قد خلقهم من لم يخلقهم وهذه غاية
الجهالة وقري بسكون اللام مصدر عطف على الجن اي وجعلوا خلقهم الذي
ينحتونه اصناما شركا او اخلاقهم للافك اي تنسبوا قبايحهم لله حيث قالوا والله
امرنا بها **وخرقوا** بالتخفيف والتشديد اي اختلقوا وافتروا وقري بالحاء المهملة

والنا مشددا ايضا ومخففا بمعنى زوروا **سبحانه وتعالى عما يصفون** نزه نفسه
جل وعلا والتعالي هنا الارتفاع المجازي قيل وبين سبحانه وتعالى فرق من جهة
ان سبحان مضاف اليه فهو من حيث المعنى منزه وتعالى فيه اسناد التعالي اليه
على جهة الفاعلية فهو راجع الى صفات الذات سوا سبحه احد ام لم يسبحه **بديع**
خبر هو وقري بالنصب على المدح وبالجر ردا على قوله لله او ضمير سبحانه قيل قرر
سبحانه بهذه الاية نفي الولد عنه من جهتين احدهما انتفا الصاحبة لان الولد
لا يكون الا بين زوجين وبذلك رد عليهم بقياس الغايب على الشاهد والثانية
كونه مبدع الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسما والولادة من صفات الاجسام
والثالثة انه ما من شي الا وهو خالقه والعالم به ومن كان بهذه الصفة
كان غنيا عن كل شي والولد انما يطلبه المحتاج وقري ولم يكن بالتحتية للفصل
ذلكم فيه التفات عن الغيبة **لا اله الا هو خالق كل شي** في غافر بتقديم خالق
كل شي لانه هنا تقدم وجعلوا لله شركا فناسب تقديم كلمة التوحيد النافية
للشرك ردا عليهم وهناك تقدم كونه خالقا بقوله لخلق السموات والارض اكبر
من خلق الناس فناسب تقديم ذكر الخلق ثم كلمة التوحيد قاله الكرماني والامام
وغيرهما وقال صاحب المناجاة ذكر سبحانه كلمة التوحيد
في القران على ثلاثة انحا مقدمة على الصفات كما في الله لا اله الا هو الحي القيوم
وموسطة بينها كما هنا وموخرة كما في غافر للاشعار بانه ينبغي للانسان ان يجعل
كلمة التوحيد مبدا حاله ووسطه وختامه ابو حيان بدا بالاسم العلم ثم قال
ربكم اي مالككم والناظر في مصالحكم ثم حصر الالهية فيه ثم كرر وصف خلقه
كل شي ثم امر بعبادته لان من استجمعت فيه هذه الصفات كان جديرا بالعبادة
وان يفرد بها ثم اخبر انه مع تلك الصفات مالك كل شي من الارزاق والاجال
رقيب على الاعمال **لا تدركه الابصار** الاية فيه لف ونشر لان اللطيف
راجع لكونه لا يدركه بصر والخبير راجع لكونه يدرك ما لا يدركه احد حتى ان البصر
لا يدرك نفسه قال الزجاج في الاية دليل على ان الخلق لا يدركون الابصار
اي لا يعرفون كيفية حقيقة البصر الذي صار به الانسان مبصرا من عينيه
قد جاكم بصاير هذا وارد على لسان الرسول لقوله اخره وما انا عليكم بحفيظ قلت
ويعقد لهذا نوع في علوم القران ونظيره ما ورد على لسان جبريل كقوله وما
نتنزل الا بامر ربك وقوله وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون
وانا لنحن المسبحون وسالحقه في الاتقان في موضع يناسبه ان شا الله تعالى
والبصيرة نور القلب الذي يستبصر به كما ان البصر نور العين الذي يبصر
به وقال ابن عطية البصيرة للقلب مستعارة من ابصار العين
وهي ما يتعقد من تحصيل العقل للاشيا المنظور فيها بالاعتبار الامام البصيرة
اسم للادراك التام الحاصل في القلب والايات ليست في انفسها بصاير الا انها
لقوتها وجلايها توجب البصاير لمن عرفها فلما كانت اسبابا لحصول البصاير سميت
بصاير ابو حيان اسناد المجي الى البصاير مجاز لتفخيم شانها اذ كانت بمنزلة الغايب

المتوقع حضوره كما تقول جاءت العافية **فمن ابصر فلنفسه** اي ابصاره اي نفعه وثمرته
ومن عمي فعليها اي عماه اي عاقبته بالابصار والعمي كنا يتان عن الهدى والضلال
ابو حيان لما ذكر البصائر اعقبها بالابصار والعمي وهذه مطابقة **وكذلك** اشارة
الى تبيين الايات السابقة **نصرف** فيه التفات يردد الايات على وجوه كثيرة
وليقولوا يخرج على القاعدة التي قررناها من عطفه على مقدر او تعلقه بموخره
اي نصرفها واللام للصيرورة وقرئ بسكونها على انها لام الامر وقال ابو حيان
بل هي لام الامر مطلقا على قراءة كسرها وهو امر تهديد وتوبيخ وعدم اكتراث
اي نصرف الايات وليقولوا هم ما يقولون فانا لا نحفل بهم ولا نلتفت الي قولهم
دارست اي قارات وناظرت غيرك حتى اخذتها عنه وفي قراءة درست ماض مبني
مبني للفاعل بتا الخطاب اي في الكتب القديمة حتى اتيت بها وفي قراءة درست
بتا التانيث اي الايات اي ترددت على اسماعنا على ثبت وقدمت في نفوسنا
وامحت وقرئ درست بالتشديد والخطاب ودرست كذلك مبنيا للمفعول
ودورست بالبنا ~~للفاعل~~ للمفعول من دارست ودارست بتا التانيث
اي دارستك الجماعة وجاز الاضمار لان الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم
ودرست بضم الرا وتا التانيث ودرست بالبنا للمفعول وتا التانيث
ودرس اي محمد ودرس بنون الاناث اي الايات ودرس بتشديد الرا كذلك
ودارسات اي هي قديمات فهذه ثلاث عشرة قراءة **ولنبينه** ان كانت اللام في
ليقولوا لام الصيرورة فالعطف عليه السلام واللام هنا على بابها او للامر
فالوجه انه من العطف على مقدر او تتعلق بموخر والها للقران الدال عليه الايات
او للايات بمعناه او للمقدر المفهوم من نصرف او من نبينه او من دارست
لا اله الا هو اعتراض بين الامرين اكد به وجوب اتباع الوحي **وما جعلناك**
الاية تعليل للامر بالاعراض ولا تشتبوا لم يتيل ولا تشتت كما قال واعرض تعظيما له
صلى الله عليه وسلم ان يواجه بالنهي عن ماليس من خلقته اذ لم يكن سبابا ولا فحاشا
ولا عيابا فكذلكما انتقل من خطابه الى خطاب المومنين عدوا مصدر بمعنى
الاعتدا وقرئ بضمتين وتشديد الواو مصدر بمعناه وقرئ بفتح العين وضم الدال
مشددا اي اعدا وهو حال موكدة على الثلاثة **واقسموا** سمي الحلق قسما لانه يكون
عند انقسام الناس الى التصديق والتكذيب فكانه يقوي القسم الذي يختاره **ليومنن**
قرئ بالبنا للمفعول والنون الخفيفة **وما يشعركم** قيل الخطاب للكفار وقيل
للمومنين **انها اذا جاءت لا يومنون** فيه اربع قراءات في السبعة كسر الهمزة مع يا
الغيبة استئناف اخبار منه تعالى انهم لا يومنون اذا جاءت ومفعول
يشعركم محذوف اي ما يكون عند مجيها وكسرها مع تا الخطاب لذلك وجعل ابو
حيان في القراءة الاولى التفاتا وهذا انما يتاتى اذا جعلنا الخطاب في يشعركم
للكفار وفتح الهمزة مع يا الغيبة فالخطاب في يشعركم للمومنين وان معموله
ولا قبل زائدة وعليه الكسائي وقيل ان هنا بمعنى لعل وعليه سيبويه ويويده
قراءة ابي وما ادراكم لعلها اذا جاءت لا يومنون وقيل التقدير لا يومنون او يومنون

اي

162

اي ما يدريكم انتفا الايمان او وقوعه ذكره النحاس وغيره ففيه اكتفا وفتحها
مع تا الخطاب فيشعركم خطاب للكفار ويجري الاقوال في زيادة لا او كون ان
بمعنى لعل او معادل لا يومنون محذوف والحاصل ان جعل الخطاب في يشعركم
للكفار متعين على قراءة وللمومنين متعين على قراءة والامران محتملان في قراءتين
ولعل اختلاف السلف في ذلك ليس باختلاف انما كل فسر على قراءة **ونقلب**
فيه التفات ثم هو معطوف على لا يومنون على تسليما فيها او مستانف على فتحها
او معطوف عليه ايضا داخل في حيز وما يشعركم واستعير تقليب الابصار والافئدة
للتحير والتردد وصرف الشي عن وجهه وبدي بالقلوب لانها الاصل في ذلك
وقرئ يقلب بالتحتية فلا التفات وقرئ ببنائه للمفعول ورفع افئدتهم
وابصارهم وفي افئدتهم التفات على قراءة لا يومنون بالخطاب كالتسبية او
تعليل لعلي الاول ـــــ قيل فيه حذف اي فلا يومنون به ثاني مرة كما
والاوجه عدمه وتعلقه بقوله لا يومنون **به** عايد الى القران او الى الله او الى
الرسول **ونذرهم** بالنون وقرئ بالتحتية وقرئ بسكون الرا **ولو اننا نزلنا اليهم**
الملايكة الاية اي كما اقترحوا حيث قالوا او تاتي بالله والملايكة قبيلا لولا
انزل عليه ملك احي لنا قصيا وفلانا فيكلمونا انك نبي **قبلا** بضمتين جمع قبيل
لرغيف ورغف اي جماعة واصنافا او بكسر القاف وفتح البا بمعنى مقابلة اي عيانا
ومشاهدة وقرئ بضم القاف وسكون البا تخفيفا وقرئ بفتح القاف وسكون
البا وقرئ قبيلا على الافراد **الا ان يشا الله** فيه التفات وكذلك اي كما جعلنا
هاولا عدوا لك وفيه تانيس بقراءة فيسبوا الله عدوا بضم الدال
والتشديد جعلنا فيه التفات **لكل نبي عدوا** تسلية له صلى الله عليه وسلم
عن عداوة من عاداه فان هذه سنة الله في الانبيا قبله وفي الانجيل لا يفتقد
النبي حرمته الا في بلده وفي الحديث ازهد الناس في العالم اهله وجيرانه
شياطين احد المفعولين او بدل ـــــ **غرورا** مفعول له او حال اي غارين
ولو شا ربك فيه التفات الكرماني قال هنا ذلك وفيما سياتي ولو شا الله
ما فعلوه لان ما هنا وقع بعد ايات فيها ذكر الرب وما هنا بعد وجعلوا لله
فناسب كل ما تقدمه وقال ابن جماعة لما تقدم هنا جعلنا لكل نبي عدوا
تسلية له ناسب ذلك ولو شا ربك الحافظ لك وهناك وجعلوا لله مناسبة
ولو شا الله الذي جعلوا له ذلك **ما فعلوه** اي الوحي والغرور **فذرهم وما يفترون** و ن
بتضمين الوعيد والتهديد وما مصدرية او موصولة **ولتصغي** عطف على
غرورا لانه بمعنى ليغروا ابو حيان ابن تيمير وهذه التعاليل في غاية الفصاحة حة
لانه اولا يكون الخداع وهو الغرور فيكون الميل وهو الصغو فيكون الرضى
فيكون الاقتراف فكل واحد مسبب لما قبله وقرئ بسكون اللام في الثلاثة
وخرجه ابن جني على انها كالمكسورة لام كي سكنت شذوذا وسكون لام كي
في نحو هذا شاذ في السماع قوي في القياس وقال غيره هي لام الامر وهو امر
تهديد لقوله اعملوا ما شيتم واثبات حرف العلة في لتصغي على لغة من قرا انه

من نفي وتبصير وقيل هي لام كي سكنت شذوذا وفي الاخرين لام الامر وقري
ولتصغي رباعيا بكسر الغين وفي قوله ما هم مقترفون ايهام يفيد التعظيم
والتشنيع لما يعملون كقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم **افغير الله ابتغي حكما** هذا وارد
على لسان الرسول ـــ جوابا لمن طلب من الكفار ان يحكم بينه وبينه احبار
اليهود قال ابو حيان ووجه نظمها بما قبلها انه لما حكى حلف الكفار واجاب بانه لا
فايدة في اظهار الايات المقترحة لهم بين الدليل على نبوته بانزال القران عليه
وقد عجز الخلق عن معارضته وحكم فيه بنبوته وباشتمال التوراة والانجيل
على انه رسول حق وان القران كتاب حق من عند الله قال ووجه اخر وهو انه لما
ذكر العـــداوة وتمردهم قالوا ما ذكر في سبب النزول وكان من عادتهم
اذا التبس عليهم امر واختلفوا فيه جعلوا بينهم كاهنا حكما فامر ان يقول لهم ذلك
اقول وعندي ان هذه مبدا قصة تحريم الميتة التي جادل فيها الكفار النبي والمومنين
حيث قالوا تاكلوا ما ذبحتم بسكين ولا تاكلوا بما ذبح الله بسمسار من ذهب
فامر الله نبيه ان يقول للمومنين ذلك تهييجا والهابا لينتزعوا عما عساه وقر في
صدورهم من الشبهة التي اوردها الكفار ولذا قال **وهو الذي انزل**
اليكم الكتاب مفصلا فهو خطاب للمومنين ايضا ثم بعد الاستدلال
لتسليتهم له وقوله **والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق**
زيادة تهييج للمومنين ليبالغوا في الامتثال والتصديق اذا القي اليهم هذا الكلام
الذي انما يلقى لمن عنده شك او تردد حتى يحتاج الى اقامة البينة ولما فيه
من التعريض بانهم ان لم يصدقوا بذلك صرف عنهم الى غيرهم فيكون لذلك الغير
المزية عليهم ثم قال ـــ **فلا تكونن من الممترين** على وجه التعريض ايضا
بالمومنين قال النبي صلى الله عليه وسلم لا نقصد بهذا الخطاب وناسب ذكر هذه الاية
بعد قوله يوحي بعضهم الى بعض الى اخره فان هذه الشبهة في امر الميتة اوحاها
كفار فارس الى كفار مكة ولذا قال بعد ذلك في ختام القصة وان الشياطين
ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم فختم بما بدا به فتامل والحكم ابلغ من الحاكم
اذ هي صفة للعدل من الحكام والحاكم جار على الفعل وقد يقال للجاير
قاله ابن عطية والكرماني وغيرهما ونصبه على الحال وقيل مفعول
او عكسه وتقديم فغير الله للاختصاص لا الحصر على ما تقدم تقريره في اغير الله
تدعون ومنزل بالتخفيف والتشديد **وتمت كلمات ربك** قال ابو حيان لما
تقدم من اول السورة الى هنا دلايل التوحيد والنبوة والطعن على مخالفي ذلك
وكان من هنا الى اخر السورة احكام وقصص ناسب ذكر هذه الاية هنا والمراد
كانت كاملة في نفسها لا نقص فيها عبر بتمت دون كملت على ما تقدم تقريره في تلك
عشرة كاملة وفي قراءة كلمة بالافراد **صدقا** مناسب لقوله مفصلا وبالحق **وعدلا**
مناسب لقوله حكما **لا مبدل لكلماته** قرا ابي لكلمات الله **وهو السميع العليم وان**
تطع اكثر من في الارض تخلص الى قصة تحريم الميتة فهو ملايم لما قبله وما بعده
معا اذ يصلح ان يكون نهيا عن طاعتهم في ابتغا الحكم وان يكون متصلا بما تقدم

من قوله اتبع ما يوحي اليك من ربك وان يكون نهيا عن طاعتهم في اباحة الميتة
وهذه غاية الملايمة في الربط قال ابو حيان كثيرا ما ذم الله الاكثر في كتابه
قلت ـــ لان الصالح في كل عصر قليل بالنسبة الى الطالح كما قال وقليل ما هم
وفي تاريخ البخاري وطبقات ابن سعد عن جبير ابن نفير قال لقد استقبلت
الاسلام من اوله فلم ازل ـــ ارى في الناس صالحا وطالحا واخرج البيهقي في الدلايل
ان عقدا لاخت ابي بكر الصديق يتضاع يوم فتح مكة فقال ابو بكر انشد الله والاسلام
من وجد عقدا حتى فلم يجبه احد فبكت فقال اسكتي يا بنية فان الامانة في الناس
قليل **وان هم الا يخرصون** تاكيد لما قبله **ان ربك هو اعلم من يضل الى اخره** مناسب
لقوله يضلوك عن سبيل الله واورد موردا لوعيد والتهديد وفي ساير المواضع
بمن بالباء وهو الاصل وما هنا اما على تقديرها او تقدير فعل من اعلم قال
الكرماني وخص ما هنا بحذفها موافقة لقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته
وقال الامام لانه في المعنى على تاويل اعلم من من يضل عن سبيله وفي ساير المواضع
معناه اعلم باحوال ـــ من ضل من احوال غيره وقال صاحب المناجاة يحتمل
ان يقال التقدير الله اعلم بالضال عن سبيله فحذف لدلالة وهو اعلم بالمهتدين
وقوله من يضل عن سبيله جملة معترضة ذكرت للتعجب ممن يقع في هذا الامر
المحذور كانه قيل من الاحمق الذي يقع في هذا الامر وقال ـــ ابن جماعة
قال هنا يضل وفي ساير المواضع ضل لان هنا وان تطع اكثر من في الارض يضلوك
وان كثيرا ليضلون وذلك مستقبل وبقية الايات اخبار عمن سلف منه الضلال
فناسب الماضي وقري يضل بضم اليا اي من يضل الناس وهو مناسب لقوله يضلوك
فكلوا قال ـــ الزمخشري مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين حرموا
ما اباح الله واباحوا ما حرم والخطاب به للمومنين لقوله ان كنتم باياته مومنين
وهو يويد ما قدمته في قوله وهو الذي انزل ـــ اليكم الكتاب مفصلا
انه خطاب للمومنين ولهذا قال **وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل**
لكم ما حرم عليكم فعلم ان المخاطب بذلك المفصل المومنون والفعلان في السبعة
بالبنا للفاعل وللمفعول وللفاعل في فصل دون حرم ثلاث قراات وقري بتخفيف
فصل وان على تقدير في **ليضلون** بفتح اليا وضمها **ان ربك الى اخره** يتضمن الوعيد
والتهديد **وذروا ظاهر الاثم وباطنه** قال ـــ الماتريدي الاليق ان يحمل
ظاهر الاثم على اكل الميتة وباطنه على ما لم يذكر اسم الله عليه قلت ـــ
وهذا تاويل مليح جدا مناسب للربط مع ارادة جميع الاثام الظاهرة والباطنة
فلا تنافي فان عادة القران ان ياتي بالفاظ يراد بها العموم مع ان في افراد
عمومها ما يليق بالقصة التي يلي الكلام فيها كقوله في البقرة وانفقوا في سبيل الله
عقب الامر بالقتال ـــ فانه عام في جميع الانفاق في وجوه الخير والبر
وان كان المناسب للمقام الانفاق في الجهاد لانه احد افراده فعبر بما يشمله وغيره
ارادة العموم وذلك احد وجوه الايجاز التي بني عليه القران والا احتاج
الى ذكر الخاص ثم ذكر العام فيطول وكذا قوله بعد واحسنوا فانه عام وان كان

اللايق بالمقام واحسنوا بالنفقة فحذف المتعلق ليعم النفقة وغيرها ايجازا وكذا
قوله واياك نستعين بعد اياك نعبد حذف متعلقه ليعم الاستعانة على العبادة
وغيرها وقس على ذلك وانه لفسق جملة في موضع التعليل للنهي عن الاكل منه والضمير
للاكل اولما او للذكر وان الشياطين ليوحون الاية صريح في ان الخطاب
في القصة المتقدمة للمومنين وكذا ما اتصل بها على ما قررته ولما ختم الاية
السابقة بقوله ان كنتم باياته مومنين وهو شرط جي به للتهييج والالهاب
لكونه بصورة عدم الجزم بايمانهم ختم هذه وهي اخر القصة بما هو ابلغ من ذلك
واكد فقال وان اطعتموهم انكم لمشركون فان اصعب ما على المومن
ان يتشبه بالمشرك فضلا عن ان يحكم عليه بالشرك اومن كان ميتا فاحييناه
اي ضالا فهديناه فاستعير الموت للكفر والحياة للايمان قال ابو حيان لما تقدم
ذكر المومنين والكافرين ضرب للفريقين مثلا فشبه المومن بعد ان كان
كافرا بالحي المجعول له نورا يتصرف به كيف سلك والكافر بالمختبط في الظلمات
المستقر فيها دايما ليظهر الفرق بين الفريقين وفي فاحييناه التفات ابو حيان
لما ذكر صفة الاحسان الى عبده المومن نسب ذلك اليه بنون العظمة في فاحييناه
وجعلنا ولم ينسبه الى نفسه في كان ميتا وفي كمن مثله في الظلمات ولما ذكر
جعل النور للميت قال يمشي به في الناس اي يصحبه كيف تقلب وقال في الناس
اشارة الى تنويره على نفسه وعلى غيره من الناس فنفعته ليست قاصرة على نفسه
وقابل تصرفه بالنور وملازمة النور له باستقراره في الظلمات
وكونه لا يفارقها واكد ذلك بدخول البا في خبر ليس انتهى وفي الاية طباق
بين الموت والحياة والنور والظلمة والمشي والاستقرار ولم يقل في الكافر
كمن هو ميت في الظلمات وهو مقتضى المقابلة فرارا من التكرار لتقدم لفظ
الميت اول الاية وقرئ اثنين بالفا كذلك اشارة الى احياء المومن وكون الكافر
في الظلمات زين للكافرين في يونس زين للمسرفين وكذلك اما عطف على
لذلك او على وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا ولعل ارض تنبيه له وهو عندي اوضح
واوجه ولا يضر طول الفصل في كل قرية اعربه ابو حيان مفعولا ثانيا واكابر
مجرميها المفعول الاول وضعف قول بعضهم ان اكابر اولا والثاني
محذوف اي فساقا ليمكروا وهذا الذي ضعفه اوجه عندي لان محط الفائدة
على جعلهم ماكرين فيها لكن لا يتعين تقدير فساقا بل يجوز جعل جملة ليمكروا الخ
مفعولا ثانيا واللام لام كي او لام الصيرورة وقرئ اكبر بالافراد حتى نوتى
مثل ما اوتي رسل الله اي من الرسالة والنبوة بدليل ما بعده الله اعلم
استيناف لانكار عليهم وفيه التفات عن التكلم ولعيين في رسل الله التفات
لانه من قابل اخر حيث يجعل اما على تجريد حيث عن الظرفية ونصبها نصب المفعول
به او على السعة او هي باقية على الظرفية المجازية على تضمين اعلم معنى ما يتعدى
الى الظرف اي انفذ علما حيث يجعل اي هو نافذ العلم في هذا الموضع وقرئ
بكسر حيث بناء او اعرابا في لغة فقعس رسالاته بالجمع والافراد سيصيب

الذين اجرموا علقه بالذين اجرموا ليعم الاكابر وغيرهم صغار وفيه مقابلة للاكبرية
وقدم على العذاب لانه في الدنيا بالقتل والاسر والعذاب في الاخرة او الانزال في
الاخرة والذل والاهانة تحصل لهم في الموقف اولا ثم يعقبه العذاب
عند الله اي في عرصة قضا الاخرة او في حكمه وقال اسماعيل الضرير في الكلام تقديم
وتاخير اي صغار وعذاب شديد عند الله فمن يرد الله الاية مناسب لقوله
اومن كان ميتا فاحييناه الاية كانه شرح لكيفية الاحيا والاماتة الواقعين
فيها او عايد الى قوله ونقلب افيدتهم الاية ابو حيان شرح الصدر كناية
عن جعله قابلا للاسلام متسعا لقبول تكاليفه ونسبته الى الصدر مجاز من
الذات ولذلك قالوا فلان واسع الصدر اذا كان محتملا ما يرد عليه من المشاق
والتكاليف قلت الاولى ان يجعل مجازا عن القلب لانه محل القبول
وعدمه والاتساع والضيق وعبر بالصدر لانه محل القلب والضيق والحرج
كنايتان عن ضد الشرح واستعارة لعدم قبوله الايمان والحرج الضيق الشديد
والقراءة ضيقا بالتشديد والتخفيف فقيل هما بمعنى والثاني مخفف من المشدد
وقيل المشدد في الاجرام والمخفف في المعاني وحرجا بكسر الرا صفة وبفتحها
مصدر اي ذا حرج روي ان عمر قال ابغوا الي رجلا من كنانة راعيا
وليكن من بني مدلج فلما جاه قال يا فتى ما الحرجة عندكم قال الشجرة تكون بين
الاشجار لا يصل اليها راعية ولا وحشية فقال عمر كذلك قلب المنافق
لا يصل اليه شي من الخير كانما يصعد بالتخفيف والتشديد من تصعد وقرئ به
وفي قراءة يصاعد شبه بذلك لان صعود السما يضرب مثلا لما يبعد ويمتنع
من الاستطاعة وتضيق عنه المقدرة ولذلك قالوا في تعليق الامال وترقى
السما وهذا اشارة الى القران او الشرع الذي جا به الرسول او الصنع الذي
هو الهدى والضلال صراط ربك اضيف اليه على جهة انه من عنده وبامره
قد فصلنا فيه التفات لهم راجع الى قوم دار السلام هو من اسما الله والاضافة
للتشريف او مصدر بمعنى السلامة او التحية لاتمامها عند ربهم اي في نزله
وضيافته اشارة الى المكانة والزلفى والاكرام وفيه التفات ويوم نحشرهم
الضمير عام للثقلين ولهذا اكده بقوله جميعا وفي النون التفات وفيه قراءة
بالتحتية ونصب يوم بنقول مقدرا قبل النداء اجلنا بالافراد والجمع
قال فيه التفات على قراءة النون الا ما شا الله قيل الاستثنا العصاة
المومنين ويويده عموم الخطاب وان الجن تغوي المسلم في تزيين المعاصي
وهو اوضح الاقوال فيه ويليه في الوضوح قول ابن عطية انه مخاطبة
للنبي صلى الله عليه وسلم وامته وليس مما يقال يوم القيامة والمستثنى من
كان يومئذ من الكفرة وعلم الله انه يومن فكانه لما اخبرهم انه يقال
للكفار النار مثواكم استثنى لهم من علم ايمانه ويويده قوله ان ربك حكيم عليم
اي بمن يمكن ان يومن منهم انتهى قال ابو حيان وهذا تاويل حسن وهو معنى
قول ابن عباس هذه الاية توجب الوقف في جميع الكفار اي فيمن لم يمت

منهم اذ قد يسلم لا كافه بعضهم على غير وجهه ان ربك حكيم عليم قال ابن عطية ومنتنا
مناسبتان لهذه الاية لان تخليدها ولا في النار صادر عن حكمة وقال التبريزي حكيم
في تدبير المبدا والمعاد عليم بما يوول اليه امر العباد وقال اسماعيل الضرير
حكيم عليم بالمخلود عليهم بهم وبعقوبتهم **وكذلك نولي** ابو حيان لما ذكر انه تعالى
ولي المومنين ذكر ان الكافرين اولياء بعضهم في الظلم والخزية قلت بل هو متعلق
بقولهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اخبر تعالى ان ذلك بتخليته وتقديره جزاء
بما كسبوا من الاثم ولذلك عاد الى بقية الاخبار عن حالهم في الحشر فجملة ولذلك
اعتراض وفي قول التفات **يا معشر الجن الاية** متصل بالندا الاول
الم ياتكم استفهام توبيخ وتقريع وقرئ بالفوقية **رسل منكم** قيل من الجن ايضا رسل
وقيل لا والتقدير من احدكم اي الانس كقوله يخرج منهما اللولو اي من احدهما وهو
الملح وجعل القمر فيهن نورا اي في احدهن وهي سما الدنيا وخص خطاب الانس
لشرفهم **شهدنا على انفسنا** هذه الجملة نابت مناب بلى **وشهدوا على انفسهم**
كررت لاختلاف المخبر فان الاولى اخبارهم عن انفسهم والثانية اخباره تعالى
عنهم انهم شهدوا على انفسهم قلت الاولى انشا والثانية اخبار والافعال
الخاصة بمعنى الاستقبال **ذلك** اشارة الى اقرب مذكور دل عليه الكلام
وهو اتيان الرسل وقيل الى قول الم ياتكم اي لبيان ان لم يكن ربك فيه التفات
واهلها غافلون وهود مصلحون قال ابن جماعة لانه تقدم هنا وينذرونكم والانذار
الاتعاظ من الغفلات فناسب الختم بغافلون وفي هود تقدم فلولا كان
من القرون من قبلكم اولو بقية ينهون عن الفساد في الارض فناسب الختم
بقوله مصلحون لان ذلك ضد الفساد المقابل له **ولكل** من المومنين والكافرين
درجات فيه تغليب للاشرف اذ النار يقال فيها دركات والدرجات خاصة
بالجنة العالية وقال الماتريدي ولكل من الكفار خاصة لانه جا
عقب خطابهم فيكون راجعا اليهم **يعملون** بالياء والتاء ففيه التفات عن الغيبة
وربك الغني ذو الرحمة لما ذكر من اطاع ومن عصى والثواب والعقاب
ذكر انه هو الغني من جميع الجهات لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية ومعه
كونه غنيا عن خلقه فهو ذو الرحمة اي التفضل التام بهم ومن رحمته تاخير الانتقام
من العصاة **ان يشا يذهبكم فيه الالتفات** من خطاب النبي الى خطاب
قومه ثم عاد الى خطابه في قوله **قل يا قوم اعملوا** امر تهديد **على مكانتكم**
بالافراد والجمع **فسوف تعلمون** في هود سوف قال ابن جماعة لان اية الانعام
والزمر بامر الله له بقل فناسب التاكيد في الوعيد بفا السببية واية هود
من قول شعيب فلم يوكد ذلك **من تكون له عاقبة الدار** الزمخشري
هذا طريق من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف في المقال وادب حسن
مع تضمن شدة الوعيد والوثوق بان المنذر محق وان المنذر مبطل ومن في
الانصاف نظر قوله اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا وقول
حسان فشركما لخيركما الفداء وفي شاتمهم في مثل ذلك ابراز الكلام في صورة

الترديد بالظاهر صورة الانصاف وربما بالكلام على جهة الاشتراك اتكالا على فهم
وفي قراة يكون بالتحتية **انه لا يفلح الظالمون** الظاهر انه من كلامه تعالى غير
داخل في القول قصد به اثبات العاقبة للمتقين ونفيها من الظالمين فهو تعريض
بهم وتقوية لنفوس المومنين **وجعلوا** التفات عن الخطاب في قوله وما انتم وما
قبله لا عنه في قوله اعملوا الى اخره لاختلاف القايل وهذا عود الى صفاتهم الذمية
من التحكم على الله في الاباحة والتحريم فهو منتظم مع قصة الميتة ابو حيان لما ذكر
تعالى قبح طريقة مشركي العرب في انكارهم البعث ذكر انواعا من جهالاتهم
تنبيها على ضعف عقولهم وفي قوله مما ذرا انه تعالى كان اولى ان يجعل له الاحسن
والاجود وان يكون جانبه هو الارجح وفي الاية حذف دل عليه التقسيم اي ونصيبا
لشركايهم ولهذا قال **فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركاينا** وفي قوله
فقالوا تاكيد للفعل الذي هو الجعل بالقول ليتطابق ويتظافر القول بالفعل
ثم انهم اختلقوا ذلك واعترض اثنا الكلام قوله بزعمهم للاخبار بكذبهم
حيث اختلقوا ولم ينقل ذلك اثر وهذا لشركاينا للتحقيق انهم لم يختلقوا فيه
وفي قراة بفتح الزاي لغة اسدية وقرئ بفتحتين **فلا يصل الى الله** اي لا يقع
موقع ما يصرف في وجوه البر من الصدقة على المساكين وزوار بيت الله
ونحو ذلك **فهو يصل الى شركايهم** بالمدح عليها والانفاق على سدنتها وكذلك
اي ومثل تزيين قسمة القربان بين الله واصنامهم وقال ابن الانباري
يجوز ان يكون ولذلك مستانفا غير مشار به الى ما قبله فيكون المعنى وهكذا
زين قلت هذا الذي قاله ابن الانباري كان يختلج في ضميري كذلك كثيرا
في الايات الذي من هذا النمط كقوله وكذلك جعلنا في كل قرية كذلك نفصل
الايات واشباه ذلك فان كثيرا ما يتكلف فيه في صحة الاشارة الى شي سابق
وعندي ان الاشارة ليست لشي سابق بل مضمون الجملة التي دخلت عليها
وهذا تخريج مطرد بلا تكلف ولم اكن اجسر لا صرح به حتى رجعت في فهم
هذا السلف العظيم وهذا نظير احد التخريجين في مثل ولنبينه لقوم يعلمون
دهم من تعلقه بموخر معلول **زين** بالبنا للفاعل ونصب قتل مضافا الى اولا
ورفع شركاوهم فاعلا وقرئ بالبنا للمفعول ورفع قتل مضافا ورفع شركاوهم
باضمار فعل اي زينه على حد يسبح له فيها رجال بالبنا للمفعول وقرئ كذلك
لكن بجر شركايهم بدلا من اولادهم او نعتا لانهم شركا في النسب والميراث
وقرا ابن عامر كذلك بنصب اولادهم وجر شركايهم فصل بين المصدر المضاف
الى الفاعل بالمفعول وهذا وان كان قليل الورود عن العرب فانه وارد
فصيح وجواب قلة الورود ما قاله ابو عمرو بن العلا ما انتهى اليكم مما
قالت العرب الا اقله ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير وقال ابن جني
اذا ورد عن العربي الفصيح ما لا يقبله القياس فالاولى ان يحسن به الظن
لانه يمكن ان يكون ذلك وقع اليه من لغة قديمة قد طال عهدها وعفا رسمها
فلا يقطع عليه اذا سمع منه ما يخالف الجمهور بالخطا وما ورد عن العرب

من الفصل بين المتضايفين بغير الظرف قوله فزججتها بمزجة زج القلوص ابي مزاده
وقوله فسقناهم سوق البغاة الاجادل وقوله بوادنيه
من قرع القسي الكنائن وقوله بالنباع نرك القطن المحالج وقوله
فداسهم دوس الحصاد الدائس وقوله فان نكاحها مطر حرام
وقوله وسواك مانع فضله المحتاج وقوله تسقي سنياحا
ندي المسواك ريقتها وقوله ولا عدمنا قهر وجد صب وقوله
ولا زعوي عن نقض اهوا ونا العزم وقري بكسر الزاي وسكون الياء الباقي
كابن عامر وقري ليلبسوا بضم اليا قال ابن جني استعاره من اللباس عبارة عن شدة
المخالطة واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللصيرورة ان كان في
السدنة قاله الزمخشري ما فعلوه اي القتل والواو لكثير وقيل التزيين والواو
للشركا وقيل لمجموع اجرا الضمير مجرى الاشارة وهو الانسب بايجاز القران وعموم
الفاظه فذرهم وما يفترون تهديد ووعيد انعام قري نعم بالافراد
وحجر بمعنى محجور كذبح وطحن يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث
وقري بضم الحا وقري بفتحها وقري بضمتين وقرا ابي وابن عباس وابن مسعود
وابن الزبير حرج بكسر الحا وسكون الرا مقدمة على الجيم على القلب
من حجر خالصة قري بالنصب حال من ضمير الصلة وقري خالصا وخالص بغير
تا وقري خالصه بالاضافة الى ضمير ما وهو بدل من ما او مبتدا خبره لذكورنا
والجملة خبر ما وعلى القراة المشهورة انث خالصة على معنى ما وذكر ومحرم
وما بعده على لفظها وهو خلاف الجادة في القران فان القاعدة فيه البدء
بالحمل على اللفظ ثم الحمل على المعني ووقع عكس ذلك في ايات يسيرة هذه منها
قاله مكي وغيره على ازواجنا اي نسا بنا المعدة لان تكون ازواجا وان يكن
بالتحتية ونصب ميتة وبالفوقيه والرفع على انها تامة وبالتحتية
والرفع وبالفوقية والنصب اربع قرات في السبعة وقري بالتشديد
ميتة تم فيه لتغليب الذكور شركا قرا ابن مسعود بدله سوا سيجزيهم وصفهم
اي جزا وصفهم على الله في التحليل والتحريم من قوله ولا تقولوا لما تصف السنتكم
الكذب هذا حلال وهذا حرام قد خسر الاية هذا وعيد ما تقدم في الايات
السابقة من قتل الاولاد وتحريم الانعام والحرث وما في بطون الانعام ورد
وجا على الترتيب من البدء بقتل الاولاد ثم تحريم الرزق والقراة في قتلوا
بالتخفيف والتشديد وقري سفها بالجمع وهو الذي انشا ابو حيان لما
اخبر تعالى عنهم انهم حرموا اشيا مما رزقهم الله اخذ يذكر ما امتن به عليهم
من الرزق الذي تصرفوا فيه بغير اذنه افترا منهم عليه واختلا فا فذكر
نوعي الرزق النباتي والحيواني فبدا بالنباتي كما بدا به في الاية المشبهة
لهذا واستطرد منه الى الحيواني اذ كانوا قد حرموا اشيا من النوعين ولما كانت
هذه الاية واردة في معنى ذكر المنة والاحسان قدم ما حاجة العرب
اليه اشد وما هو اكثر قوتهم وهو النخل على الزرع ولما كانت الاية السابقة

966

واردة عقب انكار الكفار التوحيد وجعلهم معه الهة واستطرد من ذلك الى المعاد
الاخروي واستدل عليه بقوله وهو الذي انزل من السما ما فاخرجنا به نبات
كل شي كان الابتدا في التقسيم بالزرع لصغرجبه ثم وادل على التوحيد والقدرة
التامة وابلغ في الاعتبار والجنات ان اريد بها العموم فافراد النخل وما بعده
من عطف الخاص على العام تفخيما لمنفعته والامتنان به او الكروم المرتفعة
والمنبسطة على الارض فالاية نظير تلك الاية سوا في اشتمالها على الزرع والنخل
والعنب والزيتون والرمان وان كانت عكسها في الترتيب حيث ابتدي
هنا بالعنب ثم النخل ثم الزرع وهذا الثاني اعني اختصاص الجنات بالكروم
هو المنقول عن ابن عباس اخرجه وهو الموافق لقوله هناك وجنات من اعناب
مختلفا حال مقدرة لانه ليس وقت الانشا مختلفا اكله الضمير قيل للزرع
وحده وقيل للثلاثة اجري له مجري الاشارة الى المجموع وقيل لها على تقدير
مضاف اي ثمر كلوا فيه التفات من ثمره اذا اثمر لما كانت تلك الاية واردة
في معرض الاستدلال بها على الصانع وقدرته والحشر والاعادة
بعد العدم قال انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه اشارة الى الايجاد اولا
والى غايته ولما كانت هذه في معرض الامتنان واظهار الاحسان بما خلق
للانام قال كلوا ونبه بقوله اذا اثمر على انه لا ينتظر بالاكل الحصاد الذي يوجه
اليه ايتا الزكاة ولا تسرفوا نهي عن الاسراف في الاكل والصدقة معا فلا
يسرف في الاكل حتى لا يبقي للصدقة شي ولا في الصدقة حتى لا يبقي للاكل
شي ومن الانعام عطف على جنات اي وانشا من الانعام حمولة الابل والبقر
وفرشا الضان والمعز فهما في مقابلة قوله تعالى معروشات وغير معروشات
وقدم الاعظم في الموضعين ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحريم والتحليل
من عند انفسكم ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا وقيل بتقدير انشا
ومن الضان وما بعده معها لف ونشر غير مرتب وفي الاية من انواع
الجدل السبر والتقسيم لانهم لما حرموا ذكور الانعام تارة واناثها
اخرى قال تعالى في الرد عليهم ان الخلق لله خلق كل زوج مما ذكر ذكرا وانثى
فمم جا تحريم ما ذكرتم اي ما علته لا يخلوا اما ان يكون من جهة الذكورة
او الانوثة او اشتمال الرحم الشامل لهما او لا يدري له علة وهو التعبد
بان اخذ ذلك عن الله والاخذ عن الله اما بوحي وارسال رسول
او سماع كلامه ومشاهدة تلقي ذلك عنه وهو معنى قوله ام كنتم شهدا
اذ وصاكم الله بهذا فهذه وجوه التحريم لا يخرج عن واحد منها الاول
يلزم عليه ان يكون جميع الذكور حراما والثاني يلزم عليه ان يكون جميع الاناث
حراما والثالث يلزم عليه تحريم الصنفين معا فبطل ما فعلوه من
من تحريم بعض في حالة وبعض في حالة لان العلة على ما ذكر تقتضي اطلاق
التحريم والاخذ عن الله بلا واسطة باطل ولم يدعوه وبواسطة رسول كذلك
لانه لم ياتهم رسول قبل النبي صلى الله عليه وسلم واذا بطل جميع ذلك

من صح

ثبت المدعى وهوان ما قالوه افترا على الله وضلال وقرئ الضان بفتح الهمزة
وقرئ المعزى وقرئ اثنان بالرفع مبتدا والخبر متقدم وقرئ اثنين اثنين
بالتكرير وجملة نبوني الى اخره معترضة بين المتعاطفين للتقريع والتوبيخ ولما
ثبت المدعى من بطلان قولهم وحكم عليهم بالافترا والظلمية وعدم الهداية
قال على وجه المعارضة لهم بتحريم ما اباحوه **قل لا اجد فيما اوحي الي محرما** الاية فالحصر
فيه مجازي لا حقيقي لثبوت تحريم زيادة على المذكورات قطعا قال
الشافعي رضي الله عنه ما معناه ان الكفار لما حرموا ما احل الله واحلوا ما حرم الله
وكانوا على المضادة والمحادة جاءت الاية مناقضة لغرضهم فكانه قال لا حلال
الا ما حرمتموه ولا حرام الا ما احللتموه نازلا منزلة من يقول لا تاكل اليوم حلاوة
فيقول لا اكل اليوم الا الحلاوة والغرض المضادة لا النفي والاثبات على الحقيقة
فكانه تعالى قال لا حرام الا ما احللتموه من الميتة والدم ولحم الخنزير
وما اهل لغير الله به ولم يقصد حل ما ورا اذ القصد اثبات التحريم لا اثبات
الحل قال امام الحرمين وهذا في غاية الحسن ولولا سبق الشافعي الى ذلك
لما كنا نستجيز مخالفة مالك في حصر المحرمات فيما ذكرته الاية قلت
ما قاله الشافعي تقرير بالغ في الحسن عرف به وجه الربط ومناسبة الاية لما قبلها
وموقعها باداة الحصر حقيقي لم يضرنا ذلك لان الاية مكية وتحريم كل ذي
ناب من السباع ومخلب من الطير متاخر فان اكثر الشريعة انما تقرر بعد
الهجرة بالمدينة وقد صح في الحديث انه صلى الله عليه وسلم حرم لحوم الحمر الاهلية
يوم خيبر فالاية واردة على ما كان اذ ذاك ولا ينافيها ما صدر من التحريم
بعد ابو حيان جاءت هذه المحرمات هنا منكرة وفي ايتي البقرة والمائدة
معرفة لان هذه مكية سابقة وتانك مدنيتان نجاتا معرفتين بلام
العهد احالة على ما سبق تنزيله في هذه وقرئ اوحي بالبنا للفاعل ويطعمه
بتشديد الطا وكسر العين من باب الافتعال وقرئ طعمه فعلا ماضيا والا
ان يكون استثنا منقطع لانه كون وما قبله عين وانقطاع تكون بالتانيث
ونصب ميتة ورفعها وبالتذكير والنصب وقوله او دما عطف على ميتة
على قراءة النصب وعلى موضع ان يكون على الرفع وقوله فانه رجس عائد
الى لحم لانه المحدث عنه وقيل الى خنزير لانه اقرب مذكور وخصه بهذه
الجملة لان الرجسية في الميتة والدم ظاهرة طبعا فلم يحتج الى التنصيص
عليها وسمي ما اهل فسقا لتوغله في باب الفسق ولما كان صدر الاية مفتتحا
مخاطبا به صلى الله عليه وسلم بقوله قل ختم الاية بالخطاب بقوله فان ربك
اعتنا به وتشريفا له افتتاحا واختتاما **وعلى الذين هادوا** قال ابو حيان
مناسبة هذه الاية لما قبلها انه تعالى لما بين ان التحريم انما يستند للوحي
الالهي اخبر انه حرم على بعض الامم السابقة اشيا كما حرم على اهل هذه الملة
اشيا فالتحريم انما هو راجع الى الله في الامم جميعا **حرمنا** فيه التفات عن قوله
فان ربك **ظفر** قرئ بسكون الفا مع ضم الظا وكسرها **او الحوايا** عطف على ظهورهما

او

او ما اختلط عطف على ما حملت واو بمعنى الواو **ذلك** قيل خبر مبتدا مقدر اي الامر ذلك
وعليه الحوفي وقيل منعول ثان لجزيناهم قدم وعليه ابو البقا وقيل اشارة
الى الجزا وعليه الزمخشري **وانا لصادقون** قال ابن عطية اخبار يتضمن التعريض
بكذبهم في قولهم ما حرم الله علينا وانا حرمنا على انفسنا من قبل تحريم اسرائيل على نفسه
فان كذبوك قيل الواو لليهود لانهم اقرب مذكور وقيل للمشركين **فقل ربكم ذو
رحمة واسعة** حيث لم يعاجلكم بالعقوبة وهو مع ذلك ذو باس شديد واذا جا
باسه لا يرد نجي بوصف الرحمة جملة اسمية لانها ابلغ بخلاف وصف الباس
حيث لم يقل وذو باس فرارا من تعادل الاخبار عن الوصفين اذ باب الرحمة
اوسع فلا تعادل لان **عن القوم الظالمين المجرمين** فيه اقامة الظاهر مقام المضمر
سيقول الذين اشركوا الاية هذا اخبار بمستقبل غيب وقد وقع كما اخبر به
فكان معجزة وقد تمسك المعتزلة بمضمون هذه الاية على نفي القدر والمشيئة
لانه تعالى كذبهم في قولهم لو شا الله ما اشركنا الى اخره وذلك يقتضي نفي مشيئته
تعالى للشرك والمعاصي وللناس في ذلك اجوبة فقال قوم انما رد عليهم الاحتجاج
بالقدر والقدر لا يحتج به شرعا وقال الماتريدي يحتمل ان يكونوا
قالوا ذلك استهزا وسخرية لا اعتقادا صحيحا ويحتمل ان يكون المشيئة بمعنى
الرضى او بمعنى الامر وهذا الاحتمال الاخير جنح اليه الزملكاني في اسرار
التنزيل وقرره احسن تقرير فقال عادة العرب اذا امرت بامر فنتم عليه
الامر بذلك ان يقول الفاعل لو شيت انت لم افعله اي انت الذي امرت به
وكذلك ايضا اذا فعل فعلا يتمكن غيره من نهيه ومنعه يقول لو شيت
انت لم افعله اي لو نهيتني عنه تركته فالوجه ان يحمل هذا الفصل على الاباحة
لان ما تقدم يدل على انه امر فيه قوله ثمانية ازواج اي قل الذكرين حرم
ام الانثيين فلم يكن قابلا لهم هذا القول الا بعد ان كان قولهم ان الله حرم هذا
او امر بتحريمه فكيف يجوز ان يكون مرادهم اضافة شركهم وافترائهم اليه ولو اراد
ذلك لقال قل لهم تحريم الذكرين شا لكم ام تحريم الانثيين ليكون الخطاب
طبقا للسوال ثم قال نبيوني بعلم ان كنتم صادقين فاعلم بهذا القول انهم كاذبون
فلو كان ذلك على المشيئة لما جاز عند من يومن بالقدر ان يكذبهم الله فيه
اذ المشيئات كلها مضافة اليه من كفر وايمان ثم اتبع ذلك بقوله ام كنتم
شهدا اذ وصاكم الله بهذا ولا تكون الوصية الا امرا ظاهرا لا مشيئة باطنة
وانما تقع الشهادة على امر ظاهر وهو امره ثم قال تعالى فمن اظلم ممن افترى
على الله كذبا فجعل مقالتهم كذبا ثم قال قل هلم شهداكم الذين
يشهدون ان الله حرم هذا وذلك راجع الى امره ونهيه لا الى المشيئة الخفية
عليهم وهو ايضا دال على انهم قالوا ان الله حرمه وامر بتحريمه فقد صرح
سبحانه بهذا في موضع اخر وهو واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها
اباءنا والله امرنا بها ومن هذا النظم قوله فخلف من بعدهم خلف ورثوا
الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا فلكنهم بذلك على قوله

المر يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق وهو راجع الى قوله
سيغفر لنا لان الكذب تخصه وما اخذهم عرض الادنى تخطيه وفي قوله سيغفر
لنا ايما الى ان الله تعالى وعدهم ذلك انتهى كلامه وهو من الحسن بمكان ومن لم يعرف
اساليب العرب في خطاباتها ومحاوراتها لم يحل له ان يتكلم في القران ولا يستنبط
منه ولا يستدل به ولهذه النكتة وامثالها يعرف علم شرف البلاغة
والاعتنا باسرار التنزيل ومعرفة اساليبه رزقنا الله ذلك من فضله
وقال هنا ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شي وفي النحل ماعبدنا من دونه من
شي نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شي بزيادة من دونه ونحن لان لفظ
اشركنا يؤذن بالشريك فلم يحتج الى ان يقال من دونه من شي ليصح التركيب
حتى لو قيل في غير القران ما اشركنا من دونه لم يصح معناه ولو قيل ماعبدنا بدون
من دونه فكان ظاهره انكار العبادة من حيث هي الصادقة بعبادة الله وليس
مرادا انما المستنكر عبادة شي من دون الله واما من دونه الثانية فالاشراك
يدل على تحريم اشيا وتحليل اشيا فلم يحتج الى لفظ من دونه ولفظ العبادة لا يدل
على تحريم شي كما دل عليه لفظ اشركنا فقيد بقوله من دونه ولما حذف من دونه
هنا ناسب ان تحذف نحن ليطرد التركيب في التخفيف ذكر ذلك الكرماني وابو
حيان وغيرهما وقال صاحب المناجاة لما كان ماهنا من كلامه تعالى
حكاية ما سيقولونه ذكر على وجه الايجاز والاختصار كما هو طريقة الاكابر
في خطاباتهم وحكاياتهم فترك من دونه في الموضعين ولفظ نحن لانه لا يستحقه
هو لذاته دون غيره لعظمته الذاتية ولما كان في النحل حكاية ما قالوا ارايهم
على طريق الاطناب والادا بما قالوه بالالفاظ التامة من غير طرح شي قال
واما وجه تخصيص ذكر اشركنا هنا وعبدنا في النحل فلان هنا تقدم لفظ الا
شراك وتاخر في عدة الايات وفي النحل وقع بعد هذه الاية بعثنا في كل امة
رسولا ان اعبدوا الله فمناسبة ذلك اختير لفظ عبدنا هناك واشركنا هنا
وقال ابن جماعة لما حال في النحل بين ضمير عبدنا وما عطف
عليه حايل وهو من دونه من شي اكد بقوله نحن ولما لم يحل هنا شي استغني عنه
كذلك كذب الذين من قبلهم وفي النحل كذلك فعل لانه تقدم هنا فان كذبوك
فناسبه كذب وهناك ماعبدنا ولا حرمنا فناسبه ذكر فعل انتهى ابن جماعة وقري
كذب بالتخفيف حتى ذاقوا باسنا مناسب لقوله ولا يرد باسه هل عندكم
من علم استفهام تهكم ان تتبعون قرئ بالتحتية ففيه التفات عن الخطاب
ثم فيما بعده التفات عن الغيبة اليه قل فلله الحجة جواب شرط محذوف
دل عليه ما قبله اي ان لم تخرجوا علما يقتضي صدقكم فيما قلتم قل هلم
شهداءكم ابو حيان بين تعالى كذبهم وافتراهم على الله في تحريم ما حرموه منسوبا
اليه تعالى فقال نبوني بعلم وقال ام كنتم شهدا ولما انتفى هذان
الوجهان انتقل الى وجه ثالث وهو ان يستدعي منهم من يشهد لهم بتحريم ما حرموا
والامر هنا للتعجيز اذ لا يوجد من يشهد بذلك شهادة حق الا دعوى كاذبة ولهذا

قال

168

فان شهدوا فلا تشهد معهم اي لا تصدقهم ولا تسلم لهم لان من سلم لهم فكانه شهد معهم
قاله الزمخشري والقشيري فهو من باب المشاكلة وقيل كناية وقيل استعارة
تبعية وقيل مجازية من ذكر اللازم وارادة الملزوم لان الشهادة من لوازم
التسليم حكاها الشيخ سعد الدين في الحاشية ولا تتبع اهوا الذين كذبوا
باياتنا من اقامة الظاهر مقام المضمر والذين لا يومنون
بالاخرة من تغاير الصفات والموصوف واحد مبالغة في ذمهم والندا
على ضلالهم ولما ذكر من حرموا افترا على الله وتبرا منه ذكر لهم ما حرمه
عليهم وانهم ان كانوا يزعمون اتباع تحريم الله فهذا ما حرمه عليهم فليتبعوه
فقال قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم وقوله عليكم اما
متصل به واول الكلام ان لا تشركوا او متصل بما بعده والتمام عند ربكم
فيكون اغرا وعلى الاول اما متعلق بحرم او باتل ان تفسيرية الزمخشري
فان قلت منهيا عنه محرما كله كالشرك وما بعده مما دخل عليه حرف النهي
فما تصنع بالاوامر قلت لما وردت هذه الاوامر مع النواهي وتقدمهن جميعا
فعل التحريم واشتركن في الدخول تحت حكمه علم ان التحريم راجع الى اضدادها
وهي الاساة الى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل
في القول ونكث عهد الله وبالوالدين احسانا على تقدير واحسنوا ولما
امر بالاحسان الى الوالدين نهى عن الاساة الى الاولاد فقال ولا تقتلوا اولا دكم
من املاق تنبيها على ان الولد له على الوالد حق كما ان للوالد عليه حق والاملاق
الجوع بلغة لخم نحن نرزقكم واياهم في الاسرا نحن نرزقهم واياكم فقيل هو
من التفنن وقيل قال هنا من املاق خطابا للمقلين الفقرا اي لا تقتلوهم
من فقر بكم نحن نرزقكم ما يزول به املاقكم ثم قال واياهم
اي نرزقكم جميعا وقال هنا خشية فقر يحصل بسببهم نحن نرزقهم
واياكم فكان كل من الايتين مفيدا معنى مستقلا قاله الكرماني وابو حيان
وابن جماعة وغيرهم وهذه الجملة اما معترضة من كلامه تعالى بين المامور
بقوله اولا وهي على تقدير قال لا ذلكم وصاكم به في هذا الوصف من اللطف
والرافة وجعلهم اوصيا له تعالى ما لا يخفى من الاحسان وكرر الوصية
في الايات الثلاث على سبيل التوكيد وختم الاولى بقوله لعلكم تعقلون
والثانية بقوله لعلكم تذكرون والثالثة بقوله لعلكم تتقون لان
ما في الاولى تكاليف ظاهرة ومناطها العقل قاله ابو حيان واشاعطام
جسام والوصية بها من ابلغ الوصايا فختم بما في الانسان من اشرف السجايا
وهو العقل الذي امتاز به عن ساير الحيوان قاله الكرماني وامور لا يحمل على
تركها الا العقل الغالب على الهوى اذ الاشراك بالله لعدم استعمال العقل الدال
على توحيده وعظمة نعمه على عبيده وكذلك عقوق الوالدين لا يقتضيه
العقل لسبق احسانهما الى الولد بكل طريق وكذلك قتل الاولاد من الاملاق
مع وجود الرازق الكريم وكذلك اتيان الفواحش لا يقتضيه عقل وكذا قتل

النفس لغيظ او غضب في القاتل تحسن بعده يتعقلون قاله ابن جماعة وأما الوصايا
التي في الاية الثانية فخفية غامضة لابد من الاجتهاد والذكر الكثير فختمت بتذكرون
قاله ابو حيان وقال الكرماني انها جارية مجرى الزجر والوعظ فحسن لعلكم تذكرون
اي تتعظون بمواعظ الله وقال ابن جماعة انها متعلقة بالحقوق المالية والقولية
اي لعلكم تذكرون في انفسكم اذ لو كان لكم الايتام او اولادكم وكنتم انتم الغائبين لانفسكم
ما يكال او يوزن او المشهود عليه او المعزول او الموعود لكنتم ترضونه لانفسكم فكما
لا ترضونه لانفسكم لا ترضونه لغيركم واما الاية الثالثة فمشتملة على ذكر الصراط
المستقيم الجامع للتكاليف والتحريض على اتباعه وتركه مؤد الى غضب الله والى
عقابه فختم بالتقوى التي هي اتقاء النار وغضب الجبار قاله الثلاثة
وقال ابن عطية لما كانت المحرمات الاول لا تقع فيها عاقل ختمت
بالعقل والمحرمات الاخر شهوات وقد يقع فيها من العقلاء من لم يتذكر ختمت بالتذكر
وركوب الجادة الكاملة يتضمن فعل الفضائل وتلك درجة التقوى فختمت
بتتقون وقال صاحب المناجاة يمكن ان يكون في الايات الثلاث الاشارة
الى احوال المكلف من اول عمره الى اخره فان الانسان اول ما يتلقاه بعد الصبى وحصول
البلوغ درجة العقل والتكليف فاذا صار الى الكهولة صار في مرتبة التذكر لما غلبه
ولم يجر على مقتضى علمه فاذا صار الى الشيخوخة فهو زمان العكوف على الاعمال الصالحة
والتحرز عن الشبهات والتوقي عن المكروهات وتلك مرتبة التقوى **ولا تقربوا**
نهى عن جميع وجوه الاستيلاء بلفظ ابلغ اي لا تحوموا حوله فضلا عن ان تتناولوه
وقد قدم من غير مرة ان النهي عن القرب ابلغ من النهي عن الاتيان **مال اليتيم**
خصه بالذكر وان كانت اموال الناس كلها ممنوعا منها لان الطمع فيه اكثر لضعفه
وقلة مراعاته **الا بالتي** اي بالخصلة التي **هي احسن** لم يقل هي حسنة اعتبارا للابلغ
في حق اليتيم وانه لا يكتفى في قربان ماله الخالة الحسنة بل الحسنى التي هي احسن اي افضل
من غيرها **حتى يبلغ اشده** غاية من حيث المعنى لا من حيث التركيب اللفظي والمعنى
احفظوا على اليتيم ماله الى بلوغ اشده فادفعوه اليه **لا نكلف نفسا الا وسعها**
لما كانت مراعاة الحد من القسط التي لا زيادة فيه ولا نقصان يجري فيها الحرج
ذكر هذه الجملة لبيان ان ما وراء الوسع معفو عنه وان الواجب في ايفاء الكيل
والتوزن القدر الممكن دون التحقيق ثم هي اما معترضة او على تقدير القول
كما تقدم في نحن نرزقكم **واذا قلتم** شامل للشهادة والاخبار والحكم والامر والتوسط
بين الناس وساير وجوه القول **ولو كان** اي المقول له او عليه **وبعهد الله**
من اضافة المصدر للفاعل او للمفعول او المراد مطلق العهود بين الناس
واضافته الى الله من حيث انه امر بحفظه والوفاء به وتقديمه على الفاعل للاهتمام
به **يذكرون** بالتشديد والتخفيف **وان** بالكسر مشددا استئنافا والفتح
مشددا عطفا على مفعول اتل او حرم ومخففا عطفا على ان السابقة وقري وهذا
بدون **وان هذا** اشارة الى الاسلام او القران عمم في هذه الاية بعد ما فصل
في الايتين ليدخل فيه جميع ما تقدم وجميع شريعته **صراطي** قيل هو من كلامه تعالى

وقيل

وقيل من كلام الرسول **ولا تتبعوا السبل** اي الطرق المختلفة شامل لطرق
الكفر وطرق البدع والاهو وطرق التحريم والتحليل الذي فعلوه عن غير ما شرع الله
ثم اتينا او ثم اني اخبركم انا اتينا وقال الحوفي اثبت ثم التلاوة اي تلونا
عليكم قصة محمد ثم نتلو عليكم قصة موسى وقال ابن عطية مهلتها في ترتيب
القول الذي امر به محمد كانه قال ثم فاوصينا انا اتينا وقال الزمخشري عطف
على وصاكم فان قلت كيف صح عطفه عليه بثم والايتاء قبل التوصية بدهر طويل
قلت هذه التوصية قديمة ثم نزل توصاها كل امة على لسان نبيها كما قال
ابن عباس محكمات لم ينسخهن شي من جميع الكتب فكانه قيل ذلكم وصاكم به يا بني ادم
قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا اتينا موسى الكتاب وانزلنا هذا الكتاب
المبارك وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله ووهبنا
له اسحاق ويعقوب **تماما** مفعول له او مصدر لا تمام اتمام **على الذي احسن**
اي من احسن منه وقرا ابن مسعود على الذين احسنوا وقري اي تماما للمحسنين وقري
احسن برفع النون فقيل هو على حذف الواو من احسنوا وابقاء الضمة دالة عليها
كقول الشاعر فلو ان الاطبا كان حولي اي كانوا وقيل
خبر هو اي على الوجه الذي هو احسن والطريق الذي هو اتم واحسن واكمل
بلقاء ربهم فيه التفات **وهذا** اشارة الى القران **كتاب انزلناه مبارك**
في الانبياء وهذا ذكر مبارك انزلناه بتاخير الاقوال لان ما هنا رد لقول
فنحاص ما انزل الله على بشر من شي عدا بالانزال اهتماما به واية الانبياء في الذكر
فجاءت على الاصل من تقديم الوصف بالمفرد على الجملة قاله ابن جماعة قلت
وقال هناك ذكر لمناسبة قوله لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وقال
ابو حيان لما كان الوصف بالانزال اكد من الوصف بالبركة قدم لان الكلام
مع منكري الرسالة وانزال الكتب الالهية وكونه مباركا عليهم هو وصف
حاصل لهم منه متراخ عن الانزال فلذلك تاخر وقال انزلناه دون منزل
لما فيه من الاضافة الى نون العظمة المؤذنة بالتعظيم والتشريف وفي انزلنا
التفات عن الغيبة في ربهم **فاتبعوه** اي اوامره واتقوا اي نواهيه وقيل اتبعوا
عام واتقوا مخالفته وقال التبريزي اتقوا غيره فانه منسوخ
قال وفي وصف التوراة بالتمام اشارة الى ذلك لان التمام يؤذن بالانصرام
ان تقولوا مفعول من اجله لانزلناه اي كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا
وقري بالغيبة **دراستهم** اعاد الضمير جمعا لان كل طائفة جمع ونظيره
وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا **او تقولوا** انتقال من الاخبار بحصر انزال
الكتاب على غيرهم وانه لم ينزل عليهم الى الاخبار بحكم على تقدير **فقد جاءكم**
قال الزمخشري جواب شرط محذوف اي ان صدقتم فيما كنتم
تعدون من انفسكم فقد فحذف الشرط وهو من احاسن الحذوف
فمن اظلم قيل جواب الشرط ايضا اي فان كذبتم بعد مجي البينة والهدى الواضح
النير الذي لا شبهة فيه **كذب** قري بالتخفيف **وصدف** اي اعرض واخر لان الاعم

ناش عن التكذيب ولذا علق الجزاء عليه وقرئ يصدفون بضم الدال **هل ينظرون**
الضمير عائد الى الذين **ان تاتيهم** بالتاء والياء **الملائكة** اي لقبض ارواحهم اشارة
الى الموت وهي القيامة الصغرى **او ياتي ربك** اي امره يوم البعث اشارة الى القيامة
الكبرى **او ياتي بعض ايات ربك** اشارة الى اشراط الساعة **يوم ياتي بعض ايات**
ربك اي طلوع الشمس من مغربها كما في الحديث زاد في حديث احمد والغمر **لا ينفع نفسا**
ايمانها فاعل اخر لاتصاله بضمير المفعول وقوله **لم تكن امنت من قبل** صفة نفسا
او كسبت في ايمانها خيرا جعله الزمخشري عطفا على امنت واستدل به على ان الايمان
لا ينفع نفسا لم تكن كسبت في ايمانها طاعة كما هو مذهبه وهذا فيه خلط وذهول
من اساليب البلاغة بل الاية من باب علفتها تبنا وماء باردا اي على تقدير فعل مناسب
للمعطوف دعى الى حذفه الايجاز والتقدير ولا ينفع نفسا توبتها لم تكن كسبت في ايمانها
خيرا من قبل فافادت الجملة الاولى ان الايمان حينئذ لا يقبل من الكافر وافادت الثانية
ان التوبة حينئذ لا تقبل من العاصي والاحاديث مبينة لذلك اخرج الشيخان عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع
الشمس من مغربها فاذا راها الناس امن من عليها فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها
لم تكن امنت من قبل واخرج الترمذي والنسائي عن صفوان بن عسال عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان الله جعل بالمغرب بابا عرضه سبعون عاما للتوبة لا يغلق ما لم
تطلع الشمس من قبله فذلك قوله يوم ياتي بعض ايات ربك الاية واخرج
عن ابي هريرة مرفوعا من تاب قبل ان تطلع الشمس من مغربها قبل منه واخرج احمد
من حديث ابن عمرو مرفوعا لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب
فاذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفي الناس العمل وقرئ يوم تاتي بعض بالفوقية
على تانيث بعض لاضافته الى المونث كما قرئ تلتقطه بعض السيارة وقرئ لا تنفع
نفسا بالاضافة الفاعل الى ضمير المونث قاله الزمخشري وقال النحاس لما كان الايمان
والنفس كل منهما مشتمل على الاخر انث الايمان اذ هو من النفس وبها وقال ابو حيان
انث الايمان على معنى المعرفة والعقيدة فمثل جاءته كتابي فاحتقرها على معنى
الصحيفة وقرئ يوم بالرفع على الابتداء والخبر لا ينفع والعائد محذوف اي فيه
ان الذين فرقوا لما ذكر تعالى ان صراطه مستقيم ونهى عن اتباع السبل واستطرد منه
الى ذكر موسى وما انزل عليه ثم ذكر القران وما اتصل به عاد الى وعيد من اتبع السبل
المختلفة وحاد عن سبيل الله الواحد الحق تحذيرا لاهل القران ان يتفرقوا كما افترقت
الطائفتان اهل الكتابين قبلهم وفي قراءة فارقوا وقرئ فرقوا بتخفيف الراء
لست منهم في شيء مبالغة في التبري والمباعدة والمباينة التامة **ثم ينبئهم**
بما كانوا يفعلون كناية عن المجازاة ثم بين كيفية المجازاة على الاطلاق فقال
من جاء بالحسنة فله عشر امثالها قال الماتريدي ليس على التحديد حتى لا يزاد ولا ينقص
بل على التعظيم اذ هذا العدد له خطر عند الناس وعلى التمثيل لقوله كعرض السماء
والارض وقال من جاء دون من عمل ليعلم ان النظر الى ما ختم به وقبض عليه
دون ما وجد منه من العمل فكانه قال من ختم له بالحسنة وكذلك السيئة انتهى

وما قاله اول كلامه مردود بل العدد مراد ثبت بذلك الاحاديث الكثيرة
الصحيحة ابن جماعة وعد هنا بعشر وفي البقرة بسبعمائة لان هذه في مطلق الحسنات
وتلك خاصة في النفقة في سبيل الله وقال ابن عطية هذه في الاعراب
الذين امنوا بعد الهجرة وتلك في المهاجرين روي ذلك عن ابن عمر وابي سعيد
الخدري ويحتاج الى اسناد قلت الاسناد موجود فقد اخرجه عنهما ابن جرير
واخرجه ابو الشيخ عن ابن عباس ايضا واخرجه ابن ابي حاتم عن ابي هريرة ايضا
وقد سقطت اسانيدهم في ترجمان القران وانث عشر وان كان مثل مذكرا
لانه في تقدير عشر حسنات امثالها وقال الفارسي لاضافته الى
ضمير المونث وقرئ عشر بالتنوين امثالها بالرفع **قل انني هداني ربي** الاية لما تقدم
ذكر الفرق امره تعالى بالاعلان بالشريعة ونبذ ما سواها وان يخبر انه ليس من
تلك الفرق بل هو على السبيل الحق واسند الهداية الى ربه ليدل على اختصاصه
بعبادته اياه كانه قيل هداني معبودي لا معبودكم **دينا** نصب باضمار دل عليه
هداني وباضمار اتبعوا والزموا ومصدر هداني على المعنى او بدل من الصراط
ولانه يلي تعطيمه جميع اهل الاديان **وما كان من المشركين** رد لزعم الكفار
انهم على دينه **قل ان صلاتي ونسكي** اقتصر عليهما لانه لم يكن اذ ذاك شرع من
العبادات سوى الصلاة والنسك عبادة قديمة اذ اريد به الحج وقيل
المراد به الذبح كما قال فصل لربك وانحر وايد ارادة الذبح
هنا بانه قد تقدم في السورة المجادلة في امر الذبيحة فامر ان يخبر ان صلاته
لله لا لغيره وذبحه على اسم الله لا الاصنام مخالفة للمشركين في الامرين **ومحياي**
قرئ ومحيي على لغة هذيل **وانا اول المسلمين** اي من هذه الامة
وكذا قول السحرة ان كنا اول المؤمنين اي من قوم فرعون **قل اغير الله ابغي**
ربا تقدم وجه التقديم في اغير الله تدعون ثم رايت في حواشي الكشاف
للشيخ سعد الدين ما نصه فان قلت لو كان التقديم في قل اغير الله تامروني
اعبد اغير الله ابغي ربا للاختصاص لكان مدلول الكلام انكار اختصاص الغير
بالعبادة والربوبية وهو لا يفيد انكار الشركة على ربما يفيد جوازها بناء على
ما تقرر عندهم من ان النفي اذا دخل في كلام فيه قيد توجه الى القيد خاصة
وافاد ثبوت اصل الحكم قلت ذاك انما يكون اذا اعتبر القيد اولا ثم نفي
واما اذا اعتبر النفي اولا ثم قيد فلا والتعويل على القرائن فههنا اعتبر النفي اي الانكار
ثم الاختصاص فكان لاختصاص الغير بالانكار بمعنى ان المنكر هو الامر بعبادة
الغير الا ترى ان قولنا ما زيدا ضربت وما انا قلت هذا معناه
ولكن ضربت غيره وقاله غيري فلو كان النفي للاختصاص لكان المعنى ولكن
ضربته وغيره وقلته انا وغيري فان قوله وما هم بمؤمنين فتاكيد النفي لا لنفي
التاكيد انتهى **ولا تكسب كل نفس الا عليها** جواب لقولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل
خطاياكم **ولا تزر وازرة وزر اخرى** تاكيد للجملة قبلها **ثم الى ربكم** الى اخره
خبر اريد به الوعيد والتهديد ثم ذكرهم بنعمه عليهم فقال **وهو الذي جعلكم**

خلايف الارض الاية ابن جماعة قال في فاطر خلايف في الارض لان ما هنا تقدمه
امتنانات كثيرة فناسب الخطاب لهم بلفظ التعريف الدال على انهم خلفاوها الا الكون
لما فيه من التفخيم ما ليس في اية فاطر حيث نكر فقال خلايف في الارض ملبس فيه
من التمكن فيها والتصرف ما في قوله خلايف الارض واقول في هذه الاية
من براعة الختام ما لم يتقدم على مثله بشر فانها جمعت الاحوال الثلاث المبدا
بقوله جعلكم خلايف الارض وضمن الاشارة الى الفراغ والانقضا بلفظ خلايف
لما فيه من الاشعار بذلك ثم المعاش الدنيوي بقوله ورفع بعضكم فوق بعض
درجات واشتملت هذه الجملة على جميع المراتب بانواعها مالا ورزقا وصحة وجاها وقوة وجناء
وشرفا وعلما واضدادها وذكر العلة في ذلك بقوله ليبلوكم فيما اتاكم وهو اشارة
الى العبادات كما قال ليبلوكم ايكم احسن عملا فتضمنت الجملة الوسطى حال الانسان
في الحياة دينا ودنيا ثم ختم بذكر البعث الذي يظهر فيه اثر الابتلا بالعقاب
والثواب فقال ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم
فلما كانت السورة جامعة للامور الثلاثة على هذا الترتيب جات اية ختامها
وجدها جامعة لها على ترتيبها فسبحان من انزله معجزا باهرا لا تنقضي عجايبه
ونوع الخطاب فانتقل من خطاب الامة الى خطاب النبي صلى الله عليه وسلم
وبدا بوصف العقاب لمناسبة الايات السابقة فان غالبها تقدم بدايته صلة
ولان حصول المغفرة متاخر عنه لمن عوقب من عصاة المسلمين ولمراعاة الفا
ولم يقل معاقب ليتعادل الوصفان في بنا المبالغة واكد وصف المغفرة
بلام التاكيد دون وصف العقاب لان جانب الرحمة ارجى كما قال
كتب على نفسه الرحمة كتب ربكم على نفسه الرحمة سبقت رحمتي غضبي الكرماني
لم يوكد هنا وصف العقاب واكده في سورة الاعراف لانه تقدم هنا ما يودن
بالكرم والاحسان وهو من جا بالحسنة فله عشر امثالها الايات فناسب
ترك التاكيد في جانب العقاب وفي الاعراف تقدم ما يودن بالغضب
والعذاب من قوله واخذنا الذين ظلموا بعذاب بيس الايات فناسب توكيد
جانب العقاب واكد معه جانب الرحمة ايضا رحمة للعباد ولئلا يترجح جانب
الخوف على الرجا وقال غيره لما كانت هذه الاية في هذه الامة
لم يوكد جانب العقاب لفضلها وشرف نبيها المبعوث بالرحمة وتلك في بني اسرايل
فاكدها لمناسبة استقصايهم وعتوهم وقال صاحب المناجاة
نبه بحذف اللام هنا على ان الشرعية المشار اليها بحيث لا تحتمل دخولا للام
وانه لا واسطة بين الارادة والوقوع وادخلها في الاعراف لتتم المقابلة
قال وانما لم يقل وسريع الغفران لتتم المقابلة لانه كان يحوج الى ان يقال
وسريع الرحمة فيطول الكلام وتفوت مراعاة الفواصل وايضا فقد ورد سبقت
رحمتي غضبي فلما قال سريع العقاب استلزم ذلك ان يكون اسرع في الغفران
فلو قيل سريع الغفران في مقابلة سريع العقاب لاوهم التماثل وبينهما بون فافاد
بالاداة المذكورة كونه اسرع في الغفران وانه ارحم الراحمين

سورة الاعراف

سورة الاعراف اقول مناسبة وضع هذه السورة عقب سورة
الانعام فيما الهمني الله سبحانه ان سورة الانعام لما كانت لبيان الخلق وقال
فيها هو الذي خلقكم من طين وقال في بيان القرون كم اهلكنا من قبلهم
من قرن واشير فيها الى ذكر المرسلين وتعداد كثير منهم وكانت الامور الثلاثة
على وجه الاجمال لا التفصيل ذكرت هذه السورة عقبها لانها مشتملة
على شرح الامور الثلاثة وتفصيلها فبسط فيها قصة خلق ادم ابلغ بسط بحيث
لم يبسط في سورة ما بسطت فيها وذلك تفصيل اجمال هو الذي خلقكم من طين
ثم فصلت قصص المرسلين واممهم وكيفية هلاكهم تفصيلا تاما شافيا كافيا
مستوعبا لم يقع نظيره في سورة غيرها وذلك بسط حال القرون المهلكة ورسلهم
فكانت هذه السورة شرحا لتلك الايات الثلاث كما كانت سورة الانعام
تفصيل قوله لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شي قدير
وايضا فذلك تفصيل قوله وهو الذي جعلكم خلايف الارض ولهذا صدر السورة
بخلق ادم الذي جعله في الارض خليفة وقال في قصة عاد جعلكم خلفا من بعد
قوم نوح وفي قصة ثمود جعلكم خلفا من بعد عاد واما وجه ارتباط اول
هذه السورة باخر ما قبلها فهو انه قد تقدم وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه
وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه وافتتح هذه السورة ايضا بالامر
باتباع الكتاب في قوله كتاب انزلناه اليك الى قوله اتبعوا ما انزل اليكم
من ربكم وايضا فلما تقدم ثم ينبيهم بما كانوا يفعلون ثم الى ربكم مرجعكم فينبيكم
بما كنتم فيه تختلفون قال في مفتتح هذه فلنسالن الذين ارسل
اليهم ولنسالن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وذلك شرح التنبية المذكورة
وايضا فلما قال من جا بالحسنة فله عشر امثالها الاية وذلك لا يظهر الا في الميزان
افتتح هذه بذكر الوزن فقال والوزن يوميذ الحق ثم ذكر من ثقلت موازينه
وهو من زادت حسناته على سياته ثم من خفت وهو من زادت حسناته
ثم ذكر بعد ذلك اصحاب الاعراف وهم قوم استوت حسناتهم وسياتهم واما
المناسبة بين مطلع السورة وختامها فانه ذكر في اولها كتاب
انزل اليك وقال في اخرها ان وليي الله الذي نزل الكتاب وقال فلا يكن في صدرك
حرج منه وقابله بقوله واعرض عن الجاهلين واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله فارشده الى ما يصنع اذا حصل في صدره نوع من الحرج
وقال وذكرى للمومنين وللكفار قليلا ما تذكرون وقابله
في اخر السورة بقوله ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا
هم مبصرون واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون فذكر تذكر المومنين
وعدم تذكر الكافرين وقال اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه
اوليا وقابله في اخرها بقوله واذا لم تاتهم باية قالوا لولا اجتبيتها قل انما اتبع
ما يوحى الي من ربي فانظر الى هذا التوافق بين اول السورة واخرها وقال
في اوايلها ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقال في اخرها واذكر ربك في نفسك تضرعا

سورة الاعراف

وخفته ودون الجرمنا لغول ولما افتتح صدر السورة بانه خلقهم ثم صورهم
ثم امر الملايكة فسجدوا الادم ذكر في خاتمتها انه خلقهم من نفس واحدة وجعل منها زوجها
وذكر تغشيه لها وحملها منه وذكر قبل ذلك استخراجهم من ظهر ابيهم ادم واخذ الميثاق
عليهم وذلك قبل تغشيه لحوا وحملها بالاولاد على ترتيب ذكر خلقهم وتصويرهم
قبل سجود الملايكة لادم اشارة الى خلق الارواح قبل الاجساد ولما ذكر اول
السورة استكبار ابليس عن السجود ختم السورة بان الذين عند ربك لا يستكبرون
عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون فطابق اخر السورة اولها والتام مقطعها
مع مطلعها فالحمد لله على تمام لهم **المص** قيل معناه الم نشرح لك صدرك بدليل
فلا يكن في صدرك حرج والحرج قيل هو الشك فالخطاب له والمقصود
امته اي فلا تشكوا فيه وقيل الضيق واسند النهي اليه وان كان معناه نهي المخاطب
عن التعرض للحرج لانه ابلغ لما فيه من ان الحرج لو كان فيما ينهى لنهيناه عنك
فانته انت عنه بعدم التعرض له ولان فيه تنزيها له صلى الله عليه وسلم عن
ان يواجه بالنهي لان ما انزل اليه يناسب ان يسر به وينشرح له صدره لما
فيه من تخصيصه بذلك وتشريفه حيث انزل على كتابه وجعله سفيرا بينه
وبين خلقه **منه** قال ابن عطية هو عام في جميع الجهات
التي هي من سبب الكتاب ولاجله وذلك يستغرق التبليغ والانذار وتعرض
المشركين وتكذيب المكذبين وغير ذلك **لتنذر** متعلق بانزل وجملة فلا يكن
الى اخره معترضة وقيل متعلق بيكن فلا اعتراض **وذكرى** مجرور عطف على لتنذر
او منصوب حملا على المحل او بتذكر مقدرا او مرفوع عطفا على كتاب
للمومنين حذف من لتنذر به مقابلة اي الكافرين ولما خاطب الرسول
بانزال الكتاب اليه لتنذر به ويذكر امر الامة باتباعه فقال
اتبعوا ما انزل اليكم وقري ابتغوا ولا تبتغوا من الابتغا وقال ابن جرير انه
على تقدير قل لحذف لدلالة لتنذر عليه **تذكرون** بالخطاب والتشديد وبه
والسكون وتتذكرون بتاين ويتذكرون بياتين تاو وقري يذكرون بيا وتشديد
وفيه على الاخيرتين التفات **وكم من قرية** الاية فيه حذف مضاف لقوله
او هم قايلون اي اهل قرية او تقديره بعده اي اهلكنا اهلها او جا اهلها وقري
اهلكناهم فجاهم فالتقدير قيل قرية لا غير وفي اهلكناها التفات ان لم يكن
اتبعوا على تقدير قل وفيه تجوز اي اردنا اهلاكها ليصح تعقيب فجاها بالفا
او التجوز على ان الفا تفسيرية او بمجي الباس هواه هلاك واو للتنويع وخص هذين
الوقتين لانهما وقتان للسكون والدعة واستراحة فجي العذاب
فيهما افظع واشق ويكون بغتة **دعواهم** استغاثتهم **فلنسالن الى اخره** ورد
الاثر اول من يحاسب جبريل لانه كان امين الله الى رسله ولما ذكر السوال
والحساب الذي هو الغرض المعبر عنه بقوله **فلنقصن** الى اخره وهو ان يقال
للرجل فعلت كذا في يوم كذا قلت كذا في يوم كذا حتى ياتي الى اخر ما فعله وقاله
في دنياه عقبه بالوزن لانه يعقبه في الموقف فقال **والوزن يوميذ الحق** ثم قسم

الناس الى من تثقل موازينه وحكم لهم بالفلاح ومن تخف وحكم لهم بالخسران وسكت
عمن استوت هنا وذكره بعد صدر السورة وانهم موقوفون على الطمع وجمع
الموازين والميزان واحد على انه جمع موزونات وهي الحسنات لا ميزان وبما
يظلمون معنى يكذبون او يجحدون فعداه بالبا ان كانت الاية في الكفار
وان كانت في عصاة المومنين وهو الارجح فالظلم على بابه والبا للتقوية
لتقديم المفعول على العامل مثل ان كنتم للرويا تعبرون اما الكفار فلا
ينصب لهم ميزان **ولقد مكناكم** عود الى المخاطبين باتبعوا تذكيرا لهم بالنعم
وما يليها اورد مورد الاعتبار والاتعاظ بذكر ما الانبيا امرهم في الدنيا وما
يوول اليه في الاخرة ثم ذكرهم بنعمة الايجاد فقال
ولقد خلقناكم ثم صورناكم فالخلق الاخراج من العدم الى الوجود والتصوير الابراز
في هذه الصورة البديعة ثم قيل الخطاب بالجملتين لبني ادم وثم في الثالثة
لترتيب الاخبار والخلق في الاصلاب والتصوير في الارحام او الخلق للارواح
والتصوير للاجساد وقيل الخطاب بهما لادم لان العرب تخاطب الواحد العظيم
بخطاب الجمع فثم على بابها وقيل الخطاب في الاول لادم وفي الثانية لذريته
وثم الثالثة لترتيب الاخبار وقيل على بابها على ان التصوير في صلبه يوم اخذ
الميثاق وقيل هو من تلوين الخطاب يخاطب الغير ويراد به فيكون الخطاب
لبني ادم والمراد ادم لقوله واذ انجيناكم من ال فرعون فاخذتكم الصاعقة واذ
قتلتم نفسا خوطب به من كان بحضرة الرسول من بني اسرايل والمراد اسلافهم **لم
يكن من الساجدين** جملة موكدة لمعنى ما اخرجه الاستثنا من نفي سجوده
ابن جماعة فان قيل ما سبب اختلاف الالفاظ وزيادة المعاني ونقصها
في بعض قصص ادم دون بعض وكذلك سائر القصص كقصة نوح وهود
وموسى وغيرهم قلنا اما اختلاف الالفاظ فلان المقصود المعاني لان الالفاظ
الدالة عليها اولا لم تكن باللسان العربي بل بالسنة المخاطبين حالة وقوع
تلك المعاني فلما اديت تلك المعاني الى هذه الامة اديت بالفاظ عربية
تدل على معانيها مع اختلاف الالفاظ واتحاد المعنى فلا فرق بين ابى
ان يكون مع الساجدين وبين لم يكن من الساجدين في دلالتها على معنى واحد
وهو عدم السجود ولذلك لا فرق في المعنى بين ما لك ان لا تسجد وما منعك
ان تسجد لان لا جملة زايدة واما زيادة المعاني ونقصها في بعض دون بعض
فلان المعاني الواقعة في القصص فرقت في ايرادها فذكر بعضها في مكان وبعضها
في مكان اخر ولذلك عدة فوايد انتهى وقد ذكرت فوايد تكرير القصص في نوع
الاطناب من كتاب الاتقان فلينظر منه ونقل الكرماني الجواب المذكور
في نكتة الاختلاف عن بعضهم ثم قال وهذا جواب حسن لو رضيت به لفنيت
مونة السهر الى السحر وقال صاحب المناجاة لا شبهة ان اختلاف
المقامات في ايراد القصص تقتضي اختلاف الالفاظ والمعاني في ادايها
وان كانت قصة واحدة قال فيه التفات عن التكلم **ما منعك** زاد في ص والحجر

يا ابليس قال الكرماني لان خطابه هنا قريب من ذكره فحسن حذف الندا والمنادى
وفيها بعد بزيادة لفظ استكبر ولفظ ابى وقال صاحب المناجاة لما صرح هنا بدعوى
الخيرية ترك نداوه تحقيرا لقدره وكذلك لما صرح بذكر الاستكبار هنا وفي ص
شدد عليه في الانكار بقوله ما منعك فيهما لانه على الاستشعار بفعل ما ارتكبه وفي الحجر
لما لم يصرح به قال مالك فانه لا يستدعي الاستشعار بفعل ما ارتكبه لامكان ادعا
النسيان وجوازه ونحوه منه **الا تسجد** فقيل لا هنا زائدة للتوكيد والتحقيق وقيل غير
زائدة على تضمين ما منعك معنى ما دعاك او ما الجاك او من امرك او على تقدير محذوف
اي فاخرجك الكرماني لما حذف هنا يا ابليس واقتصر على الخطاب جمع بين لفظ المنع
ولفظ لا زيادة في النفي واعلاما بان المخاطب به ابليس قال ـــــــ وان ثبت
قلت جمع في هذه السورة بين ما في ص وما في الحجر فقال ما منعك ان تسجد مالك الا
تسجد فحذف ان تسجد من الاول ومالك من الثاني لدلالة الحال ودلالة السورتين
فبقي ما منعك ان لا تسجد وهي لطيفة فاحفظها قلت ـــــــ ففيه على هذا
احتباك وقال صاحب المناجاة استعمل مع ما منعك ما يستعمل مع مالك ليدل
على ان التنويع في المقامين على وتيرة واحدة او يقال في ان لا تسجد سورة تخصيص
على السجود كقولهم هلا تنزل والا تنزل وخص بهذه الزيادة سورة الاعراف
لكونها اطول من السورتين **قال انا خير** الى اخره كذا في ص وفي الحجر لم اكن لاسجد
فزاد لفظ الكون لزيادته في قوله مالك ان لا تكون قاله الكرماني وقال
صاحب المناجاة المنكر عليه في الحجر امران تخلفه عن الساجدين وترك السجود
فاجاب بما يطابق الامرين والمنكر هنا ترك السجود وحده فاجاب بجواب يطابقه
وزاد في الحجر لفظة لبشر ايما الى انه ملك وان الملك اعلى درجة ومقاما فقال تعالى
في الكهف الا ابليس كان من الجن ردا لدعواه الملكية **قال فاهبط** ابو حيان لما
كان امتناعه من السجود بسبب ظهور شغوفه على ادم عند نفسه قابله الله بالهبوط
المشعر بالنزول من علو الى سفل **منها** لم يتقدم مرجع الضمير فقيل من الجنة وقيل
من السما **فما يكون لك ان تتكبر فيها** قيل التقدير ولا في غيرها فحذف اكتفا لان التكبر
منهي عنه في كل مكان **فاخرج** تاكيد بتكرار المراد في **قال انظرني** في الحجر وص
رب فانظرني فزاد رب والفا قال الكرماني لانه لما اقتصر هنا في السوال
على الخطاب وحذف الندا اقتصر في الجواب على ذلك ايضا وداعية الفا ما تضمنه
الندا من دعوا نادي نحو ربنا فاغفر لنا ان ندعوك فاغفر وكذلك داعيه الواو
نحو ربنا واتنا فالتنبيه مع الندا وتركها مع تركه وناسب قوله انك من المنظرين
تركها وفانك هناك اثباتها وقال ـــــــ الامام وغيره انظرهنا وقع مستانفا
غير مقصود به التسبب عما قبله فلا وجه للفا وكذا انك من المنظرين خبر
مستانف لاجواب مسبب عن السوال وحيث جا بالفا فهو سبب عما قبله اي اذ اخر
جتني فانظرني ولما جا بالفا ناسب فانك من المنظرين عطف كلام على كلام لا عطف
جواب على سوال ـــــــ **الى يوم يبعثون** اي الخلق راجع الى غير مذكور لدلالة ادم
عليه **قال فانك من المنظرين** اي سبق من علمنا انك من هذه الطايفة تحقيرا له

عن

عن ان يجاب سواله بنعم او فقد انظرتك او انك منظر لما فيه من الاشعار بالاجابة
والاكرام فاخبر بما يدل على انه لم يقع له ذلك اجابته وانما ذلك حكم حكم له
به في الازل ـــــــ في جملة من حكم له بذلك **فبما اغويتني** الباقسمية لتلقيها
باللام وقيل سببية وما مصدرية عليهما وقيل استفهامية على الثاني الكرماني قال
في الحجر رب بما اغويتني مطابقة لما قبله في الندا وحذفه هنا مطابقة لما قبله
في حذفه وزاد هنا مطابقة لما قبله في حذفه وزاد هنا الفا العاطفة لكون
الثاني مربوطا بالاول ولم يدخل في الحجر اكتفا بمطابقة الندا قال وقوله في ص
فبعزتك يدل ان البا هنا قسمية ومعنى فبما اغويتني يوول الى معنى فبعزتك
صراطك نصب اما بنزع ما على الجار قسمية او بتضمين لاقعدن معنى لالزمن
ثم لاتينهم الاية ابو حيان اتيانه من هذه الجهات الاربع كناية عن وسوسته
واغوايه والجد في اضلاله من كل وجه يمكن ولما كانت هذه الجهات الاربع
ياتي منها العدو غالبا ذكرها وقال ابن عباس لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل
من فوقهم اخرجه ابن جرير وقال ابو حيان ولا من تحتهم لان فيه موحشا الزمخشري
فان قلت كيف قيل من بين ايديهم ومن خلفهم بحرف الابتدا وعن ايمانهم وعن
شمايلهم بحرف المجاوزة قلت ـــــــ المفعول فيه عدى اليه الفعل تعديته
الى المفعول به فكما اختلفت حروف التعدية في ذلك اختلفت في هذا وكانت
لغة توخذ ولا تقاس وانما يفتش عن صحة موقعها فقط فلما سمعناهم يقولون عن
يمينه وعلى يمينه وعن شماله وعلى شماله قلنا يعني على يمينه انه يمكن من جهة اليمين
تمكن المستعلي من المستعلى عليه ومعنى عن يمينه انه جلس متجافيا عن صاحب
اليمين منحرفا عنه غير ملاصق ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره وقالوا جلس
بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه
لان الفعل يقع في بعض الجهتين كما تقول ـــــــ جيته من الليل تريد بعض الليل
وقال ـــــــ ابو حيان انما خص بين الايدي والخلف بحرف الابتدا
الذي هو اصل في الاتيان لانهما اغلب ما يجي العدو ومنهما فينال فرصته
وقدم الايدي لانها الجهة التي تدل ـــــــ على اقدام العدو وبسالته
في مواجهة قرنه غير خايف منه والخلف جهة غدر ومخاتلة وخص الايمان
والشمايل بحرف المجاوزة لانهما ليسا باغلب ما ياتي منهما العدو وانما يتجاوز
اتيانه الى الجهة التي هي اغلب في ذلك وقدمت الايمان لانها الجهة القوية
في ملاقاة العدو وبالايمان البطش والدفع فالاتي من جهتها اشجع وابسل
قال ـــــــ اخرج منها مذءوما مدحورا قال الكرماني لا نظير له في القران
لانه سبحانه لما بالغ في الحكاية عنه في قوله لاقعدن لهم الى اخره بالغ في ذمه
بذلك اذ الذام اشد الذم ابو حيان امره بالهبوط اولا ثم بالخروج مقيدا بانه
ذو اصغار ثم به مقيدا بالذام والطرد وقرى مذوما بلا همز مسهلا من المهموز
لمن لام ابتدا ومن موصولة وقرى بكسر اللام على معنى لمن تبعك منهم وعيد
فحذف المبتدا بدلالة لاملان الى اخره عليه وقيل متعلقة بمذءوما مدحورا ٥

اي لاجل اتباعك **منكم** اي منك وممن تبعك تغلب الخطاب على الغيبة **ويا ادم اسكن**
فيه طباق مع ما قبله **فوسوس لهما** قال ابو حيان اي فعل الوسوسة لاجلهما واما ذ
وسوس اليه فمعناه القى الوسوسة اليه **ووري** قرئ او روي بابدال الواو همزة
وقرئ وري بوزن كسي **سواتهما** قرئ بالافراد **وقال** بيان للوسوسة
الا ان تكونا اي كراهة ان **ملكين** قرئ بكسر اللام ويؤيده هل ادلك على شجرة
الخلد وملك لا يبلى واستدل الزمخشري بالقراءة المشهورة على
تفضيل الملك على البشر فقال فيه دليل على ان الملائكة بالمنظر الاعلى وان البشر
تلمح مرتبتها وقال ابن فورك لا حجة فيها لاحتمال ان يريد ملكين في انتفا شهوة
الطعام **واقول** لا ازال اتعجب ممن اخذ يستدل
بهذه الاية والكلام الذي فيها حكاه الله عن قول ابليس في معرض المنادي عليه
بالكذب والغرور والزور والتدليس وانما يستدل من كلامه تعالى او كلام
حكاه عن بعض انبيائه او ان لم يكن كذلك فكلام حكاه راضيا به مقرا له **وقاسمهما**
اي اقسم لهما فالفاعل ليس على بابه من المشاركة وعبر به لانه اجتهد في قسمه اجتهاد
المقاسم وقيل على بابه على جعل قبول المحلوف له كالقسم وقرئ وقاسمهما بالله **فدلاهما**
بغرور استعارة جعل من يغتر بالكلام حتى يصدق فيقع في مصيبة كالذي
يدلى من علو الى اسفل بحبل ضعيف فينقطع به فيهلك قال الازهري لهذه
الكلمة اصلان احدهما ان الرجل يدلي دلوه في البير لياخذ الما فلا يجد فيها
ما فوضعت التدلية موضع الطمع فيما لا فايدة فيه فيقال دلاه اي اطمعه
الثاني جراهما على اكل الشجرة والاصل فيه دللهما من الدال والدالة وهي الجراة
فابدلت من المضاعف الاخير حرف علة **وطفقا** قرئ بفتح الفا **يخصفان** ه
قرئ بضم اوله من احصف بمعنى خصف وقرئ بفتح اوله وكسر الخا وتشديد
الصاد وقرئ لذلك بفتح الخا وقرئ بضم اليا وفتح الخا وتشديد الصاد
من خصف وقرئ كذلك بضم الخا ايضا **عليهما** قال ابو حيان ان جعل الضمير لادم
وحوا لزم منه تعدي يخصف اليه محالا وقد رفع الضمير المتصل وهو الالف
الواقع على ادم وحوا وفي ذلك جعل الفاعل والمفعولين ضميرين لمسمى واحد
وذلك لا يجوز الا في باب ظن وفقد ووجد وعدم فاما ان يقدر مضاف
اي على بدنيهما او يعود الضمير على عورتيهما لدلالة سواتهما **وناداهما ربهما**
الم انهكما ابو حيان لما كان وقت المناصحة باسمه تشريفا فقال ويا ادم
اسكن وحين كان وقت الاغرا اخبر انه ناداه ولم يصرح باسمه والنداء
للشخص باسمه العلم او نوعه او وصفه والم انهكما على تقدير قاتلا وهو
استفهام عتاب وتنبيه على موضع الغفلة **عن تلكما الشجرة** ابو حيان لما كانا
في حال القرب قال لهما ولا تقربا هذه الشجرة فاشير الى الشجرة باللفظ
الدال على القرب ولما واقعا الخطيئة قال تلكما الشجرة فاشير اليها باللفظ
الدال على البعد لبعده عن مكان الشجرة وهو الجنة انذارا له بالخروج منها ه
وقرئ اي الم تنهيا عن تلكما الشجرة وقيل لكما **قالا ربنا** الاية قال الزمخشري

سيا ذنبهما وان كان صغيرا مغفورا ظلما وقالا لنكونن من الخاسرين على عادة الاوليا
والصالحين في استعظامهم الصغير من السيات وقال ابن عطية اعترفا وطلبا التوبة
والستر والمغفرة والرحمة وطلب ابليس النظرة ولم يطلب التوبة فوكل الى رايه
وقال غيره سعد ادم بخمسة اشيا اعترف بالمخالفة وندم عليها
ولام نفسه وسارع الى التوبة ولم يقنط من الرحمة وشقي ابليس بخمسة لم يقر
لذنب ولم يندم ولم يلم نفسه بل اضاف الغواية الى ربه وقنط من الرحمة ولم يطلب
التوبة **قال فيها تحيون** الاية كالتفسير لقوله ولكم في الارض مستقر ومتاع ه
الى حين ولذلك جا قال بغير واو لان الا لثر في كلام العرب اذا لم تكن الجملة
تفسيرية او كالتفسيرية ان تعطف على الجملة قبلها وتم هنا المقصود بالتنبيه
على البعث والنشور وذلك غاية في براعة ختام قصة ادم ولما كان مصدرها
مفتتحا بالتنبيه على نعمة الايجاد بعد ذكر نعمة التمكين في الارض وجعل المعايش
عاد الى التذكير بنعمة اخرى فقال **يا بني ادم قد انزلنا عليكم**
لباسا اقول هذه السورة نظير سورة البقرة من وجه وذلك ان كلا منهما افتتح
بذكر الكتاب ولما كانت تلك مدنية والمومنون بها اكثر وصف فيها بانه هدى
للمتقين ولما كانت هذه مكية والكفار بها اكثر وصف فيها بقوله لتنذر به
والانذار يليق بالكافرين ثم فيها انتقل الى ذكر نعمة الايجاد والمعايش واستطرد
الى قصة خلق ادم ثم اقبل بعد فراغها على الكفار خاطبهم ولما كانت تلك مدنية
وكفارها يهود قال يا بني اسرائيل وهذه مكية وكفارها المشركون فقال يا بني
ادم فشرف اولئك بذكر ابيهم اسرائيل لانهم اهل كتاب ونسبهم الى الجد الاعلى
وهو ادم الذي يشترك في النسبة اليه الناس كلهم لشركهم وعادة العرب
اذا عظمت نسبت الى الجد الاقرب والاشهر واذا لم تعظم نسبت الى الجد
الابعد والاخفا ثم ظهر لي ان هذه السورة كالمتممة لسورة الانعام فهي منها
بمنزلة سورة ال عمران من البقرة ولما كانت العرب تحرم نوعا من الماكل ونوعا
من الملبس وهو اللباس حالة الطواف ذكر في سورة الانعام الرد عليهم في د
تحريم الماكل باطنب عبارة وقد مر هنا ما به وذكر في هذه ه
السورة الرد عليهم في تحريم الملبس لانه كالفضلة بالنسبة الى الماكل ه
الذي به قوام الحياة فلذا كان اخر وتخلص اليه من قصة نزع لباس ادم ه
وهو الذي هو من وسوسة الشيطان اشارة الى ان تحريمهم من اللباس ه
مما لم يحرمه الله من وساوس الشيطان ولذلك قال بعد لا يفتننكم الشيطان
كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما الى اخره وقال انه
يراكم هو وقبيله الى اخره للاشارة الى ان له غرضا فيما وسوس اليهم من التعري
حال الطواف ليرى هو وقبيله سواتهم ويسخر منهم وافتتح هذه الاية
بانزلنا عليكم لباسا للاشارة الى انه منزل اللباس وخالقه فلا يرجع في التحريم
والتحليل الا اليه لانه الخالق المالك فلا تصرف لغيره فيما خلقه باذن ولا منع
كما افتتح قصة تحريم الانعام والحرث بانه الخالق لذلك ان مكاني انزلنا ه

لباسا من باب التدريج لانه انما انزل المطر والنبات عنه ثم اللباس وهذا يسمى مجاز
المجاز وقيل انزلنا خلقنا كقوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وانزلنا الحديد
لان خلق الله وفعله عال في القدر والمنزلة **وريشا** قال الزمخشري هو لباس الزينة
استعير من ريش الطائر لانه لباسه وزينته اي انزلنا عليكم لباسين لباسا يواري
سواتكم وريشا يزينكم لان الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها
جمال ــــــ قلت ويويده حديث الحمد لله الذي كساني من الرياش ما اتجمل
به في الناس وقيل هو ما يستر من لباس ومعيشة فيكون مناسبا لقوله ولقد
مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش وقري ورياشا وفسر ابن عباس بالمال
ولباس التقوى بالنصب عطفا والرفع مبتدا خبره ما بعده ثم قيل المراد بالتقوى
اتقا الحرب ولباسه الدرع والمغفر ونحو ذلك فتكون الاية جامعة لانواع اللباس
الثلاث وذكرت على سبيل الترقي ونظيره سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم باسكم
وقيل التقوى على ظاهرها من تقوى الله ولباسها قيل ما خشن من اللباس وقيل ساتر
العورة وفيها تكرار وقيل ما ادخر في الاخرة وقيل العفة والعمل الصالح وقيل
ما يحدث عنها من حسن السمت والسكينة والخشوع وهو الانسب فتكون هذه
الاية في جمعها اللباسين نظير اية وتزودوا فان خير الزاد التقوى والتقوى
في جمع الزادين وقري ولبوس التقوى وقري ولباس التقوى خيرا باسقاط ذلك
والاشارة به للقريب تعظيما له على قراة الرفع وبتلك الثانية للجموع على بابها
وفي **لعلهم يتذكرون** التفات من الخطاب **يا بني ادم** فيه التفات من الغيبة
لا يفتننكم الشيطان صورته نهي الشيطان والمقصود نهيهم انفسهم عن الاصغا
اليه والطواعية لامره على حد قول العرب لا اربنك هنا صورته نهي المتكلم نفسه
عن الروية ومعناه نهي المخاطب عن الاقامة بحيث يراه ويقرب منه فلا
تموتن الا وانتم مسلمون وقري بضم اليا من افتن وقري لا يفتنكم بغير نون
تاكيد **كما** في محل نصب اي فتنة مثل فتنة اخراج ابويكم **ينزع** حكاية لحال ماضية
وفيه الاسناد الى السبب **انه** تعليل للنهي وتحذير من فتنته وضمير للشيطان
وقال ــــــ الزمخشري للشان **وقبيله** عطف على الضمير المستتر في يراكم
وقري بالنصب عطفا على اسم ان وقيل مفعول معه **لا ترونهم** قري لا ترونه
اعادة له على الشيطان وحده لانه راسهم وهم تبع له او عليه وعليهم اجرا للضمير
مجرى اسم الاشارة واذا فعلوا فاحشة كطوافهم عراة لان الاية نزلت في ذلك وهو
المقصد الذي سيق له الكلام وتكريره في سياق الشرط لبعم لان ذلك كان شانهم
في كل فاحشة كالشرك وتحريم البحائر والسوائب وما شابه ذلك وفي فعلوا
التفات عن الخطاب وقال ابن عطية واذا فعلوا وما بعده داخل في صلة الذين
لا يومنون وهو مصدر وجه حسن في الربط **قل ان الله** الى اخره رد عليهم
نسبتهم ذلك الى الله دون تقليد ابايهم لظهور بطلانه لكل احد **قل امر ربي
بالقسط** هذا يعارضه قولهم والله امرنا بها **واقيموا** عطف على ما قبله لانه في تقدير
قل اقسطوا وقيل على مقدر اي فاقبلوا واقيموا الوجه عند كل مسجد كناية عن الاخلا ص

لله عند كل صلاة مثل وجهت وجهي واطلاق المسجد على الصلاة مجاز من اطلاق المحل
على الحال **كما بداكم تعودون** اعلام بالبعث الزمخشري احتج عليهم في انكارهم الاعادة
بابتدا الخلق والمعنى يعيدكم فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة **فريقا هدى وفريقا
حق عليهم الضلالة** تفصيل للخلق في الابتدا والاعادة واعلم بان من كتبت له السعادة
والايمان او الشقا والكفر في الدنيا هم اهل ذلك في الاخرة لا يتبدل شي مما احكمه
ففريقا حال وهدى صفته ويويد ذلك قراة ابي تعودون فريقين فريقا هدى
الى اخره وبذلك يعرف وجه تقديم فريقا ويسقط سوال ان تقديم المفعول
يوذن بالاختصاص لا نتفا كونه مفعولا وجا اسناد الهدى الى الله ولم يجي مقابله
وفريقا اضل لان المساق مساق من نهي عن ان يفتنه الشيطان واخبار ان الشيا طين
اوليا الذين لا يومنون وان الله لا يامر بالفحشا فناسب هذا المساق ان لا
يسند اليه تعالى الضلال صريحا مع انه اشير اليه بلفظ حق عليهم الزركشي
في البرهان قال هنا حق عليهم الضلالة وفي النحل ومنهم من حقت عليه الضلالة
بالتانيث لوجهين لفظي وهو كثرة حروف الفاصل في اية الاعراف والحذف
مع كثرة الحواجز اكثر ومعنوي وهو ان من في قوله من حقت راجعة الى الجماعة
وهي مونثة لفظا بدليل ولقد بعثنا في كل امة رسولا ثم قال ــــــ
ومنهم من حقت اي من تلك الامم ولو قال ضلت لتعينت التا والكلامان
واحد واذا كان معناهما واحد كان اثبات التا احسن من تركها لانها ثابتة فيما
هو من معناهما واما فريقا هدى الاية فالفريق مذكر ولو قال فريق
ضلوا فكان بغير تا وهذا اسلوب لطيف من اساليب العرب ان يدعوا حكم
اللفظ الواجب في قياس لغتهم اذا كان في مرتبة كلمة لا يجب لها ذلك الحكم
انتهى **انهم** تعليل لكون الضلالة حقت عليهم وقري بفتح الهمزة وهو اصرح
في التعليل **يا بني ادم خذوا** فيه التفات عن الغيبة وبدي باللباس
قبل الاكل والشرب لانه سياق الكلام فيه فحواهم وهذه الاية من اعظم
اي القران ايجازا قال بعضهم جمع الله الحكمة في شطر اية وكلوا واشربوا ولا تسرفوا
وفي العجايب للكرماني قال ــــــ طبيب نصراني لعلي ابن الحسين
ليس في كتابكم من علم الطب شي والعلم علمان علم الاديان وعلم الابدان فقال
له علي جمع الله الطب في نصف اية من كتابه وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال
الطبيب ما ترك كتابكم لجالينوس طبا وقال بعض العلما جمعت هذه الاية
احوال الاحكام الامر بقوله خذوا زينتكم عند كل مسجد والاباحة بقوله وكلوا
واشربوا والنهي بقوله ولا تسرفوا والخبر بقوله انه لا يحب المسرفين **قل من حرم**
استفهام انكار وتوبيخ للمحرمين وقدم انكار تحريم الزينة على تحريم الماكل لانه
مقصد السورة قال ــــــ ابو حيان واذا كان الاستفهام متضمنا
للانكار فلا جواب له وقري قل هي للذين امنوا **في الحياة** قيل متعلق بامنوا فيكون
مقصد الاية الاخبار بانها في الاخرة لمن امن في الدنيا وقيل خبر هي فيكون
كاينة لهم في الدنيا مشوبة بالنقص وبالمشاركة وخالصة لهم في الاخرة

طين

لمن امن في الدنيا وقيل خبر هي فيكون كاينة لهم في الدنيا مشوبة بالنقص او بالمشار
وخالصة لهم في الآخرة وخالصة لهم بالرفع وبالنصب حال وعلي الناول الثاني
قال الكرماني التقدير هي للمومنين والكافرين في الدنيا خالصة للمومنين يوم القيامة
لا يشاركون فيها قال الزمخشري التقدير هي غير خالصة
للذين امنوا في الدنيا خالصة لهم يوم القيامة قال التبريزي وانما ترك ذكر الكافرين
اشارة الي انها في الدنيا بطريق الاصالة والاستحقاق للمومنين وان الكفار
فيها بطريق التبع لهم قل انما حرم ربي لما ابطل ما ادعوه من التحريم ونسبوه
الي الله اخذ يبين ما حرمه الله معارضة فهو في مقابلة ما تقدم نظير قل تعالوا
اتل ما حرم وهي في مقابلة ما تقدمه من تحريم الانعام والحرث ما ظهر منها
وما بطن قال التبريزي هو طوافهم عراة بالنهار وبالليل وهو وان كان مناسبا
للمقام لكن مع ارادة العموم الشامل لذلك وغيره علي حد ما تقدم في قوله وذروا
ظاهر الاثم وباطنه والاثم تام في الاقوال والافعال والاقوال
التي يترتب عليها الاثم والبغي شامل للظلم والكبر وافراده بالذكر اهتماما
لشانه بغير الحق بيان للواقع اذ ما كان بحق لا يسمي بغيا وان تشركوا بالله ما لم
ينزل به سلطانا قال الزمخشري فيه تهكم لانه لا يجوز
ان ينزل برهانا بان يشرك به غيره وان تقولوا علي الله ما لا تعلمون شامل
لتحريم ما لم يحرم وغيره ولكل امة اجل هذا وعيد لاهل مكة بحلول العذاب
في اجل معلوم عند الله كما نزل بالامم قبلهم فاذا جا اجلهم قري اجالهم الكرماني
دخلت الفا في فاذا لانها جملة عطفت علي جملة بينهما اتصال وتعقيب
وحذفت في يونس لان التقدير فيها لكل امة اجل فلا يستاخرون اذا جا اجلهم
وقال صاحب المناجاة اقيم هنا لكل امة اجل مقام الشرط وفاذا جا مقام الجزا
وهناك اذا جا شرط وفلا يستاخرون جزاوه قال او نقول جعل فاذا جا هنا
كالنتيجة لما قبله مقرونا بالفا قلت هو معني ما قاله الكرماني هنا
وفي يونس من جعل ما هناك علي التقديم والتاخير وان فلا يستاخرون جينيذ
هو النتيجة لا يستاخرون ساعة خصها لانها اقل الاوقات ولا يستقدمون
قيل لا يتصور التقديم ثم بعد مجي الاجل واجيب بتاويل جا بمعني
قرب مجيه وقال ابو حيان هو منقطع من الجواب علي سبيل الاستيناف
اي وهم لا يستقدمون الاجل قبل مجيه وبهذا يسقط سوال صاحب المناجاة
ولم قدم الاستيخار مع ان الاستقدام متقدم وتحيله في توجيهه يا بني
ادم اما ياتينكم رسل قيل هذا الخطاب في الازل وقيل مراعي به وقت الانزال
وجا بصورة الاستقبال لتقوية الاشارة الي صحة نبوة محمد صلي الله عليه
وسلم وعندي انه الذي خوطب به ادم في قوله قلنا اهبطوا منها جميعا فاما
ياتينكم مني هدي الاثنين وهي خالصة وسطي في الانزال ولا وقت
الانزال ويقويه ذكره عقب قصة ادم واما يوافق الموضعين اولي
وانما خلل بينه وبين اهبطوا هنا القصة اللباس التي هي من مقاصد السورة

وحسن التخلص اليها من نزع لباس ادم وحوا ولذلك اعاده في اثنا القصة فان قلت
فما وجه النظم حينيذ قلت هو علي تقدير وقال معني عطفا علي قال اهبطوا قال فيها تحيون
وترك لطول الفصل ولمناسبته الندا في الايات السابقة وفي الاثنين احتباك علي حد
ما تقدم في سورة البقرة وقابل التقوي بالتكذيب والاصلاح بالاستكبار وقري
تاتينكم بالتانيث لجماعة وحمل يقصون علي المعني وفي اياتنا بعدها ياتي شبه التفات
ولما ذكر المكذبين باياته عقب بعض افتري عليه كذبا ليشمل من نسب اليه تحريم ما لم
يحرم فناسب اتصاله بما تقدم فقال فمن اظلم ممن افتري علي الله منه
التفات عن التكلم رسلنا فيه التفات عن الغيبة اينما كنتم تدعون سالوهم تبكيتا لهم
فاجابوا بالفعل جيث قالوا ضلوا عنا وهو مطابق من جهة المعني لا اللفظ لانه في
تقدير ما فعل معبودكم قال فيه التفات عن التكلم وفيه ايقاع الماضي موقع المستقبل
لتحقق وقوعه من الجن قدمهم علي الانس لانهم الاصل في الاغوا والاضلال
وفي الاولي للمصاحبة والثانية للظرفية اداركوا الصلة تداركوا وقري به
وقري ادركوا والاصل ادتركوا بوزن افتعلوا وقري ادركوا بوزن اكرموا
اي ادرك بعضهم بعضا وقري ادركوا بضم اوله وكسر الرا اي ادخلوا في ادراكها
قالت اخراهم لاولاهم جي لام التبليغ اي قالوا لامامهم وفي شانهم لان خطابهم
مع الله لا معهم ولكن لا تعلمون بالفوقية خطاب للسايلين او لاهل الدنيا والتحتية
اخبارا عن الامة فما كان قال الزمخشري عطفوا هذا الكلام علي قول الله للسفلة
لكل ضعف فذوقوا العذاب قيل من تتمة كلامهم وقيل خطاب
من الله بتحميم ان الذين كذبوا باياتنا لما تقدم ذكر من كذب واستكبر مقرونا
بالوعيد للكفار اعيد ذكره مفردا بالوعيد مبالغة وعقب مفارقة الروح
للجسد وضم اليه ما يلقاه في الاخرة مبالغة في التاكيد وزيادة في التحذير
وفي باياتنا التفات لا تفتح بالتخفيف والتشديد وقري بفتح اوله والتشديد
ولا يدخلون الجنة حتي يلج الجمل في سم الخياط هذا نفي معلق بمستحيل ويسمي في البديع
المناقضة والمعني لا يدخلون الجنة ابدا ونظيره قول الشاعر
اذا ما شبت او شاب الغراب • وذكر الجمل لانه اعظم الحيوان
جثة بالنسبة الي ما تعرفه العرب وسم الخياط لانه يضرب به المثل في ضيق المسلك
وقري الجمل بضم الجيم وتشديد الميم المفتوحة وهو الحبل الغليظ وقري بضم الجيم
وتخفيف الميم وبضمها وسكون الميم وبفتحها وسكون الميم وكلها بمعني الحبل الغليظ
والقناة ثم بفتح السين وقري بكسرها وضمها وقري المخيط بكسر الميم وسكون الخا
وفتح اليا وقري كذلك بفتح الميم وكذلك نجزي المجرمين قال الزمخشري فيه
ايذان بان الاجرام هو السبب للعقاب ثم قال وكذلك نجزي الظالمين
لان كل مجرم ظالم لنفسه لهم من جهنم مهاد اي فراش ومن فوقهم غواش اي لحاف
قيل هو استعارة لاحاطة النار بهم من كل جانب ويجوز حمله علي الحقيقة كقوله
قطعت لهم ثياب من نار وعلي الاول فيه تجريد علي حد لي من فلان صديق حميم
وقري غواشي بالرفع ولما اخر توعد الكفار عقب بوعد المومنين كما هو عادة القران

فقال ــــــــ والذين امنوا وعملوا الصالحات وهو مبتدا خبره اولئك وجملة
لا نكلف الى اخره معترضة وفايدتها انه لما ذكر وعملوا الصالحات نبه على انهم لا يكلفون
من العمل ما هو خارج عن وسعهم وطاقتهم رفقا بالمومنين واعلاما للكافرين ان الجنة مع
عظم ما ينال بالعمل السهل بلا مشقة وقري لا تكلف نفس وما كنا قرا ابن عامر باسقاط الواو
على انها جملة موضحة للاولى تلكم الجنة اشير اليها دون هذه مع قربها للتعظيم ما وعدنا
صرح هنا بذكر المفعول لان اهل الجنة يستبشرون بذكر موعودهم فذكروه مضافا
اليهم ولم يصرح به في قوله ما وعد ربكم بان يقال وعدكم ليشمل كل موعود من عذاب
اهل النار ونعيم اهل الجنة وتكون اجابتهم بنعم تصديقا لما وعد الله به الصنفين نعم
بفتح العين وكسرها ان لعنة الله بتخفيف ان وتشديدها وقري بكسرها مشدده الذين
يصدون قال ابن الزملكاني هو مستانف لبيان وصفهم لا جار على الظالمين لانهم لم يكن ليقال
لهم في الاخرة وهم بالاخرة كافرون الكرماني ما هنا على القياس وتقديره وهم كافرون
وقدم لمراعاة الفاصلة وفي هود لما تقدم ذكرها ولا الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله
على الظالمين ولم يقل عليهم التبس بهم او غيرهم فقال وهم بالاخرة هم كافرون ليعلم انهم
هم المذكورون لا غيرهم وليس هم فيه تاكيد كما زعم بعضهم انتهى وبينهما قيل من الفريقين
ففيه تغيير الاسلوب من قوله بينهم وقيل بين الجنة والنار وهم يطمعون قري وهم
طامعون وقري وهم ساخطون واذا صرفت ابصارهم فيه دليل على ان اكثر احوالهم
النظر الى اهل الجنة وان نظرهم الى اهل النار انما يكون بان تصرف ابصارهم نحوهم
واذا قلبت ربنا دعوا به لانه لا يناسب الرحمة والاستعطاف ما اغنى استفهام توبيخ وقري صح
وتقريع وقيل ما نافية تستكبرون قري بالمثلثة من الكثرة اهولا من جملة قولهم
والاشارة لاهل الجنة قاله الزمخشري وادخلوا على قراءة الماضي المبني للمفعول
واضحة وكذا ما قري دخلوا ولا خوف عليهم بتقدير مقولا لهم وعلى قراءة الامر بتقدير
قيل لهم وكذا ما قري ادخلوا بوزن اكرموا اي انفسكم وقال ــــــ ابن الزملكاني
تم نداء اصحاب الاعراف عند قوله يستكبرون ثم ابتدا اخبارا عن نفسه فقال يخاطب اهل
النار اهولا الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة يعني اصحاب الاعراف ثم عطف منهم في
الخطاب الى اصحاب الاعراف فقال ادخلوا الجنة لا خوف عليكم وهذا من باب العطف والرجوع
انتهى افيضوا الكرم اسقونا لانها للنضح للتوسعة كما يقال افاض الله عليه نعمه اي وسعها
واولى بابها من كونهم سالوا احد الامرين وقيل لمعنى الواو ولقوله ان الله حرمهما
وتعدي الاضافة الى الرزق وهي خاصة بالما على تقدير فعل يليق به
اي القوا من علينا بها ومما بالرزق ذكره الزمخشري وابو حيان وهو دليل
على ان ذلك لا يختص بالواو كما قيل وقوله على الكافرين وبين كلامهم تمام
كلام اهل الجنة وقوله الذين اتخذوا الى اخره استيناف
من كلام الله تعالى ولذلك قال ننساهم بالتكلم وليس فيه التفات غير قوله
ان الله لانها ليست من متكلم واحد وفيه مع ننسوا مشاكلة لقوله الله يستهزي
بهم تسمية للعقوبة باسم الذنب والكاف تعليله وما الثانية عطف على الاولى
ولقد جيناهم قال يحيى بن سلام الضمير لمكذبي محمد صلى الله عليه وسلم وهو اشد كلام

وتم الكلام عند قوله يجحدون فصلناه اي بيناه ونوعناه بالاحكام والمواعظ
والقصص والحجج وقري بالضاد المعجمة اي على جميع الكتب قال صاحب التحرير
فضل القران على ساير الكتب المنزلة بثلاثين خصلة لم تكن في غيره على علم اي
عالمين بكيفية تفصيله او انه اهل للتفصيل فيكون حالا من الفاعل او مشتملا على
علم فيكون حالا من المفعول ــــــ هدى ورحمة حالا او مفعول له وقري
بالرفع خبر هو وبالجر بدلا او نعت للكتاب قد جات رسل ربنا بالحق قال
ابو حيان فيه حذف اي ولم يصدقهم اولم يتبعهم او نرد بالرفع من عطف الفعلية
على الاسمية فنعمل بالنصب جواب الاستفهام اي او هل نرد وقري بنصب الاول
عطفا على الجواب ورفع الثاني على الاستيناف وبرفعهما ونصبهما عطفا للثاني
على الاول ــــــ فيهما ان ربكم الله فيه التفات عن التكلم ابو حيان لما ذكر
بدء خلق الانسان وانه بعثه وانقسامهم الى مومن وكافر ذكر معادهم وحشرهم
الى جنة ونار ذكر مبدا العالم واختراعه والتنبيه على الدلايل الداله على التوحيد
وكمال القدرة والعلم والقضا ثم بعد ذلك عاد الى النبوة والرسالة اذ مدار القران
على تقرير المسايل الاربع التوحيد والقدرة والمعاد والنبوة ــــــ واقول
تقدمت ان هذه السورة نظير سورة البقرة لما قال اعبدوا ربكم الذي خلقكم
ذكر بعد خلقهم خلق الارض والسما ثم بعد ايات ذكر خلق السما والارض وتسويتها
سبع سموات ثم ذكر قصة خلق ادم فكان بين خلق السما والارض وخلق البشر
ارتباط في الدلالة على القدرة والنصب ولذلك قال اولم يروا ان الله الذي
خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى لخلق السموات والارض
اكبر من خلق الناس كذلك هنا لما ذكر خلق البشر اعقبه بخلق السموات والارض
وايضا فان هذه السورة مفصله لما اكمل من سورة الانعام وقد اجمل في اولها
خلق السموات والارض والظلمات والنور ففصله في هذه الاية بان بين ان
خلقهما في ستة ايام وانه استوى بعد خلقهما على العرش وانه سخر في السموات
الشمس والقمر والنجوم وذكر يغشيه الليل النهار يطلبه له حثيثا وذكر بسط لما
اوجز من مفتتح سورة الانعام وقرئ بنصب الجلالة عطف بيان ثم استوى على العرش
بنيه تورية تحرله قال الزمخشري لا ترى بابا في البيان ادق ولا الطف من
التورية ولا انفع ولا اعون على تعاطي تاويل المتشابهات في القران والحديث
قال ــــــ فالاستوا له معنيان الاستقرار في المكان وهو معنى قريب
موري به غير مقصود لتنزيهه تعالى عنه والاستعلا والملك وهو معنى بعيد
وهو المقصود الذي وري عنه بالقريب المذكور ولم يذكر شي من لوازم المورى
به ولا المورى عنه فهي مجردة ابو حيان العرش لفظ مشترك بين الملك والسلطان
وبين سرير الملك ومنه ورفع ابويه على العرش نكروا لها عرشها وبين ما اظل وعلا
ومنه معروشات وغير معروشات والسقف وما كانوا يعرشون واستوى
يكون بمعنى استقر وبمعنى علا وبمعنى قصد ومنه ثم استوى الى السما وبمعنى
استولى وقيل ضمير استوى عايدا الى المصدر المفهوم من خلق اي استوى خلقه

على العرش وكذا الرحمن على العرش استوى لا يتقدم معمول خبره على الرحمن اذ يحتمل ان الرحمن خبر
محذوف والضمير عايد الى الخالق المفهوم من قوله تنزيلا ممن خلق الارض اي هو الرحمن
استوى خلقه على العرش لانه تعالى لما ذكر خلق السموات والارض ذكر ما هو اكبر
واعظم واوسع منهما وهو العرش **يغشي** بالتخفيف والتشديد والفاعل ضمير لله والليل
مفعول اول والنهار ثان وقرئ بفتح اوله والسين ورفع الليل **يطلبه**
حال من الليل ونسبة الطلب اليه مجازية كني به عن معاقبة اللازم له فلا
طالب له لا يدركه بل هو في اثره بحيث يكاد يدركه الايام وصف هذه الحركة
بالسرعة والشدة لان تعاقب الليل والنهار يحصل بحركة الفلك الاعظم وتلك
الحركة اشد الحركات سرعة واكملها شدة حتى ان اباحثين عن احوال الموجودات
قالوا الانسان اذا كان في العدو والشديد الكامل قبل ان يرفع رجله و يضعها يتحرك
الفلك الاعظم ثلاثة الاف ميل ولذلك قال يطلبه حثيثا ونظيره لا الشمس ينبغي
لها الاية شبه ذلك السير وتلك الحركة بالسباحة في الما والمقصود التنبيه على
السرعة والسهولة وكان الانصاف ـــــ انتهى حثيثا صفة مصدر محذوف
اي طلبا او حال اي حاثا او محثوثا **والشمس** بالنصب تقدير خلق ومسخرات حال
وبرفع الاربعة على الابتدا والجر وقرئ برفع والنجوم مسخرات فقط ولما تقدم ذكر
خلق السموات والارض وقوله بامره قال **الا له الخلق والامر** اي لا فادة ان كل خلق وكل
امر متولد لا لغيره ولما صدر الاية بان ربكم الله جا اخرها **تبارك الله رب العالمين**
وهو ابلغ من ان ربكم لانه ذكر في الاية عوالم كثيرة ادعوا ربكم من ذكر الرب عند الدعا
المناسبة التي قدمناها غير مرة **تضرعا** اي ذوي تضرع اي تذلل واستكانة **وخفية**
في مناسبة هذه الاية لما قبلها انه تعالى لما ذكر استواءه على العرش المشعر بانه في
العلو نهى في هذه الاية عن رفع الصوت بالدعا وامر باخفايه للاشارة الى انه
استوى على العرش لا يخفى عليه الخفي لقربه من عباده بالعلم ولهذا ورد في الحديث
لانكم لا تدعون اصم ولا غايبا انما تدعون سميعا قريبا وقرئ وخيفة من الخوف
انه قرئ ان الله بالاظهار مقام الاضمار **لا يحب المعتدين** شامل لجميع وجوه الاعتدا
في الدعا وغيره وهي كثيرة جدا وعطف عليه ما يناسبه من بعض افراده استطرادا
فقال ـــــ **ولا تفسدوا في الارض** وهو شامل لجميع انواع الفساد
على كثرتها في الانفس والاموال والانساب والعقول والاديان والمناسبة
بين الاعتدا والفساد ظاهرة ثم عاد لهذا الاستطراد الى ما كان فيه الكلام فقال
وادعوه خوفا وطمعا فامر بالدعا اولا مقترنا بوصفين من اوصاف اللسان
وثانيا معنويا بوصفين من اوصاف القلب وفيه ترق من الادنى الى الاعلى
في الجمع بين الخوف والطمع طمانينة **ان رحمة الله قريب** ذكره والرحمة مونثة
قيل لانها بمعنى الرحم والترحم او بمعنى الغفران او الثواب وقيل على معنى النسب
اي ذات قرب وقيل على تقدير موصوف فذكر اي شي قريب وقيل اجراه مجرى
فعيل الذي لا يونث كجريح وقتيل وقيل هو من المصادر التي جات على فعيل بمعنى المصدر
لا يونث وقيل لان تانيث الرحمة غير حقيقي وقيل قريب وبعيد اذا استعملا في النسب

والقرابة انثا او من المسافة والرتب وجازت المناسب وعدمه كقوله عشيه لا عفرا
منك قريبة • فبدلوا ولا عفرا منك بعيد ﴿ ومنه وما يدريك لعل الساعة قريب
وقيل لما اضيفت رحمة الى الله اكتسب التذكير وهذه عشرة اجوبة
قال ابن حريان رحمة الله قريب من المحسنين لانه وقت مفارقة الارواح الاجساد تنالهم الرحمة وهو الذي يرسل لما ذكر تعالى الدلايل على كمال الهية
وقدرته وعلمه من العالم العلوي اتبعها بالدلايل من احوال العالم السفلي فذكر
الرياح والسحاب والمطر والنبات المخرج به والجرح ذلك الدلالة على صحة الحشر
والنشر والبعث والقيمة فتضمنت هذه الايات امر المبدا والمعاد وجعل الخبر
موصولا من ان ربكم الله الذي في وهو الذي دلالة على كون ذلك شهودا عند
السامع مقرر عاين محقق النسبة به والعلم به فلذا لم يات التركيب ان ربكم
خلق ولا وهو يرسل الكرماني قال ـــــ هنا يرسل ولذا في الروم وفي الفرقان
وفاطر ارسل بلفظ الماضي لانه هنا ذكر بعد الخوف والطمع وهما يكونان في المستقبل
انسب زاد ابن جماعة ولما تقدم معنى بلفظ المضارع ناسبه يرسل كذلك وكذا
تقدم ادعوا ربكم والدعا انما يكون لما ياتي وكذا في الروم لما تقدم ومن اياته
ان يرسل الرياح الاية ناسب بعده الله الذي يرسل الرياح بالمضارع واما
في الفرقان فيتقدمه افعال ـــــ ماضية لقوله مد الظل وجعله ثم قبضناه
وجعل لكم الليل وجعل النهار ومرج وخلق فناسب ذلك ارسل بلفظ الماضي وفي فاطر
تقدم اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السما وهو المطر وانما يذكر
لشكر النعم الماضية على زمن الشكر فناسب ارسل ماضيا وكذا قوله فاطر السموات
جاعل الملايكة بمعنى الماضي فبني قوله ارسل عليه للمناسبة **الرياح** الى اخره والافراد
نشرا بضمتين جمع ناشر على النسب اي ذات نشر خلاف الطي وبسكون الشين تخفيفا
وللعتحتين شدود اسم جمع ناشر وبسكون السين مصدر نشر خلاف طوى ومعنى
حيي ومن قرا بموحدة مضمونة وسكون السين تخفيفا من ضمها الذي قرئ به جمع
بشير كنذير ونذر وقرئ نشرا بفتح الموحدة والسكون مصدر نشرا لمخفف وقرئ
بشرى بمصدر مقصور كرجعى **بين يدي رحمته** استعارة لان بين يدي حاصره
بالاجرام والمراد امام المطر **سقناه** قبله التفات لما فيه من عظم المنة وجليل
النعمة **لبلد** قال ـــــ الزمخشري اللام للعلة وقال ابو حيان
للتبليغ **ميت** وصف البلد به استعارة لجدبه وعدم نباته فكانه لعدم الانتفاع
به كالجسد الذي لا روح فيه ابو حيان لما كان ذلك موضع قرب رحمه الله واطراد
احسانه ذكرا خص من الارض وهو البلد حيث يجمع الناس ومكان استقرارهم
ولما كان المقصود وذي اظهار الايات الموطية الدالة على البعث جا التركيب
باللفظ العام وهو انه لما الارض الميتة احييناها قلت وظهر من هنا وجه
اخر في ارتباط هذه الاية بما قبلها وهو انه تعالى لما امر بالدعا ووعد بقرب رحمته
عقب بذكر ارسال الرياح بين يدي المطر وذكره باسم الرحمة لمناسبة ارتباطه
بذكر الرحمة وقربها من اخر الاية قبلها فاذا لنا به الباطرفية والما للبلد وسببية

واما للا فعنه عدول عن كناية الى كناية من غير فاصل كقوله الشيطان سول لهم واملي
لهم فان فاعل املي هو الله تعالى كذلك الاخراج نخرج الموتى اما تشبيه لمطلق الاخراج
او له بقيد المطر لعلكم تذكرون ختم به لما ذكر الاستدلال به على البعث وذلك يحتاج
الى تذكر والالفاظ وختم الاية بعده بيشكرون لمناسبة النعم المذكورة والبلد
الطيب الاية ضرب فيها مثل قلب المومن وانتفاعه بما سمعه من القران المنزل
اليه والحكمة وسرعة قبوله لذلك ومثل قلب الكافر في كوله بضد ذلك وباسبق
المثل بذلك لمكان سياق الايات في اثبات الارض بالما المنزل اليها قال ابو حيان
لما قال فاخرجنا به من كل الثمرات ثم هذا المعنى بكيفية ما يخرج من
النبات من الارض الطيبة والارض السبخة وفي الكلام حذف اي يخرج نباته
وافيا حسنا لذكره في مقابلة الانكدا وخص خروج نبات الطيب باذن ربه على سبيل المدح
له والتشريف ونسبة الاسناد الى البقعة الطيبة اليه قلت وعلى هذا ففي الاية احتباك
فانه حذف من الجملة الاولى مقابل الانكدا ومن الثانية مقابل باذن ربه
وفي باذن ربه التفات عن التكلم ثم قال ابو حيان وغاير بين الموصوفين
فصاحة وتفننا ففي الاولى قال الطيب وفي الثانية قال الذي خبث ولانه لما قال
والبلد ناسب الطيب للاختصار ولما حذفوا البلد من الثانية قال الذي خبث
ليتعادل الجملتان في اللفظ فيكون في كل كلمتان وقيل هو تمثيل لروح المومن في عوده
الى جسده سهلا طيبا كما خرج اذ مات ولروح الكافر لا ترجع الا بالنكد كما خرج اذ مات
فيكون راجعا من حيث المعنى الى قوله كذلك نخرج الموتى اي على هذين الوصفين قلت
ويحتمل ان يكون بخروج روح المومن للسهولة وروح الكافر للشدة وصوانسب
لضرب المثل بخروج النبات من كونه تمثيلا للرجوع وقرى يخرج بالبنا للمفعول
وقرى نكدا بفتح الكاف وبسكونها مصدرين وصفا بهما للمبالغة نصرف
فيه التفات وقرى بالياء فلا التفات لقد ارسلنا نوحا فيه التفات على قراءة الضبط
في نصرف ابو حيان لما ذكر في هذه الا السورة مبدا الخلق الانساني وهو ادم وقص
من اخباره ما قص واستطرد من ذلك الى المعاد ويصير اهل السعادة الى الجنة واهل
الشقاوة الى النار وذم الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وجحدوا الايات وكذبوا
الرسل وذكر هذه الامة المنزل عليها القران وتكذيبها نبيها قص تعالى
احوال الرسل رسولا فرسولا وتكذيب اممهم اياهم وما قاسوهم منهم تسلية له صلى الله
عليه وسلم فبدا بنوح لانه اول الرسل وهو ادم الاصغر والاول
قد قدمت ان هذه السورة شرح لما اجمل من سورة الانعام ومن ذلك ما اجمل فيها
من ذكر المرسلين ومن قوله ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا الاية فافتتح هذه
السورة بقوله فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين ثم شرح قصة ادم واستطرد
منها الى ما استطرد ثم عقب باول الرسل ولسوالها فيمن عليه الكرماني لما لم يتقدم
في هذه السورة ذكر رسول ذكر لقد ارسلنا استينافا بغير حرف عطف ولما تقدم
ذكر الرسل مرات وفي المومنين ذكر نوح ضمنا في قوله وعلى الفلك فقيل ولقد ارسلنا
في السورتين بواو العطف الا انه لما لم يتقدم هنا ذكر عوني بنوه ورد قوم ذلك لم يعطف

لانه كلام مبتدا وفي هود تقدم ما يشعر بذلك وهو قوله ومن قبله كتاب موسى الاية
فحسن العطف عليه بالواو واما المومنون فتقدم فيها قوله ولقد خلقنا الانسان
ولقد خلقنا فوقكم سبع طرايق فناسب العطف عليه بالواو واما المومنون بقوله ولقد
ارسلنا نوحا وقال صاحب المناجاة لما كانت قصص الانبيا مذكورة
على التوالي حسب ظهورهم والاعراف اول السورة ذكروا فيه على هذا الوجه
ذكرت قصة نوح بغير عاطف لانها اول قصص الانبيا مطلقا واول قصة ذكرت
في القران واول قصة ذكرت في السورة فلم يكن للعطف محل والكلام جواب قسم
مقدر ركذا ذكر تعالى هذا الاخبار بالقسم الزمخشري فان قلت
ما لهم لا يكادون ينطقون باللام الا مع قد قلت لانها الجملة القسمية لا تساق الا تاكيدا
للجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنه لمعنى التوقع الذي هو معنى قد
عند استماع المخاطب كلمة القسم فقال كذا هنا وفي المومنين وفي قصة عاد وصالح
وشعيب هنا قال بغير فا والاصل الفا وحذفت ما حذفت فيه توسعا واكتفا بالربط
المعنوي وفي قصة في هود اني لكم على اضمار القول اي فقال اني لكم
باني وغيره يا قوم في ندايهم تنبيها لهم لما يلقيه اليهم واستعطاف وتذكير
بانهم قومه فالمناسب ان لا يخالفوه وقال صاحب المناجاة لم ينسب الى نوح الاخوة
لقومه كما في الى ساير الانبيا المذكورين اما لانه لم يكن مرفوع قومه او لم يخالطهم
مخالطة باقي الانبيا او لانه لما كان الاب الثاني بعد ادم عظمه بذلك او لانهم
كانوا يروونه في مقام الاب لطول عمره ثم قال فان قلت قد نسب اليه الاخوة
في سورة الشعرا قلت الاخوة والابوة اذا لم يكونا حقيقيين جازتا وتمتا
واعتبارهما مرة والاخرى اخرى غاية ما في الباب انه اعتبر في هذه السورة
هذا الوجه وفي الاخرى الاخر ما لكم من اله لم يعطف هذه الجملة لانها بيان وتفسير
لقلة اختصاصه تعالى بان يعبد غيره على محل اله وبالجر على لفظه وقرى
بالنصب استثنا اني اخاف فيه اظهار الشفقة والحنو عليهم ليكون داعية
الى قبولهم قوله قال الملا هو مختص بالاشراف وانما لم يجبه غيرهم لانهم الذين
يتعامون على الرسل لانها رغبوا بالدنيا وطلب الرياسة والعلو فيها الكرماني
هنا وفي عاد قال بغير واو وفي المومنين وهود فقال
لان ما في هاتين القصتين لا يليق بالجواب وهو انا لنراك في ضلال انا لنراك في سفاهة
بخلاف ما في السورتين فانهم اجابوا عما استصوبوه جوابا ابن جماعة وابو
حيان زاد في قصة عاد الذين كفروا من قومه لان نوحا لم يومن احد من اشراف
قومه بدليل واتبعك الارذلون وهود امن بعض اشراف قومه انا لنراك في ضلال
مبين والجواب بان واللام وبذكر الضلال الذي هو اشد الغواية و
وبادخال في مكان الضلال صار ظرفا وهو فهو ابلغ من ضالا او ذا ضلال
قال يا قوم ليس بي ضلالة لم يرد النفي منه على لفظ ما قالوه فلم يات لست في ضلال
مبين لما في غاية الحسن من نفي ان يلتبس به ويختلط ضلالة ما واحدة وفي ندايه
لهم ثانيا والاعراض عن جفاهم غاية التلطف ولما نفى عن التباس الضلالة به دل على انه

بل الصراط المستقيم نصح ان يستدرك لان لكن انما تقع بين نقيضين والرسالة للنص الدلالة
لانهما لا تجامعا فقال **ولكني رسول** وقال **من رب العالمين** تنبيها على انه ربهم لا نعم من
جملة العالمين اي من ربكم المالك لاموركم الناظر لكم بالمصلحة حيث وجه اليكم رسولا
يدعوكم اليه **ابلغكم** بالتخفيف والتشديد على سبيل البيان لكونه رسولا ووعى الخبر نقل
بلغكم فهو كقوله فاني قريب احسب وجا بلفظ المستقبل هنا وفي قصة هود وبلفظ الماضي
في قصة صالح وشعيب لعدا ابلغتكم لان ما هنا ذكر في اول الرسالة وما هناك في اخرها
دنو العذاب كما يفهم من سياق الايات قاله الكرماني **رسالات ربي** بالجمع هنا وفي قصة هود
وصالح بالافراد لانه تعالى حكى عنهم اشياء عدة امروا بها الا قوم صالح وهود فليس فيها
الا الامر بالايمان فصار كانها رسالة واحدة قاله الكرماني زاد ابن جماعة وقصة نوح وان لم يذكر
جماعة من التبليغات فهو معروف لطول مدته وقال صاحب المناجاة ما حاصله الى اخره والمفرد
كلاهما للعموم عند الاضافة وعبر بهذا مرة وبهذا اخرى تفننا ابو حيان جمع الرسالات باعتبار
ما اوحي اليه في الازمان المتطاولة وباعتبار المعاني المختلفة من الامر والنهي والزجر والوعظ
والتبشير والانذار **وانصح لكم** في قصة هود وانا لكم ناصح قال الامام لانه ذكرهنا الضلال
اهو فعل متجدد بترك الصواب الى ضده ويمكن زواله في الحال فقابله ما بالفعل المناسبة
له في التجدد وذكرت السفاهة وهي صفة لازمة لصاحبها فقابلها بالجملة الاسمية الدالة على
اللزوم والثبوت الزمخشري من زيادة اللام مبالغة ودالة على امحاض النصيحة وانها وقعت
للمنصوح له مقصودا به جانبه لا غير **واعلم من الله ما لا تعلمون** فيه ايهام للتعظيم والتهديد
وما احسن سياق هذه الافعال حيث بدا بالابلاغ لانه اول الامر بنعمته النصح
ثم علمه من الله ما لا تعلمون من بطشه لهم وهو مال امرهم اذا كذبوه فنبهه على مبدا امره
ومنتهاه معهم **او عجبتم** قال الزمخشري عطف على جملة مقدرة اي اكذبتم وعجبتم ان اي من
ان **على رجل** اي على لسان رجل **لينذركم الى اخره** قال ابو حيان على مرتبة لجي الذكر للانذار
والانذار للتقوى والتعدي للرحمة **فانجيناه والذين معه** في يونس فنجيناه ومن
معه قال الكرماني بالتشديد للمبالغة والكثرة ومن يقع على اكثر ما يقع عليه الذي
لان من تصلح للواحد والتثنية والجمع والمذكر والمونث بخلاف الذي فانه يجمع المذكر
فحسب وقال السيد بدمع من الى زاد صاحب المناجاة وخص سورة الاعراف بانجينا والذين
لكونها الحول وسورة يونس اخص فناسبها نجينا ومن وقال الامام انجينا هو الاصل
والاكثر استعمالا وكذلك النهي فاتى به في اول موضع ثم اتى في الموضع الثاني بالاستعمال
الاخر **عمين** جمع عم وهو خاص بعمى البصيرة واما عمى البصر فيقال فيه عام واعمى نص عليه
الليث وغيره **قال يا قوم** ابو حيان لم يات بالفا لانه جواب سوال مقدر اي فما
قال لهم وكذا قال الملا **افلا تتقون** استعطاف وتخصص ابو حيان
لما كان ما هدد به قوم نوح من الغرق واقعة لم يظهر في العالم مثلها قال اني اخاف
عليكم عذاب يوم عظيم وواقعة هود كانت مسبوقة بواقعة نوح فقال
افلا تتقون اشارة الى التخويف بان يقع بهم مثل تلك الواقعة المشهورة **انا لنراك
في سفاهة** المبالغة السابقة قال صاحب المناجاة السفاهة اخف من الضلال
لانه اشد انواع الغواية انما كانوا مسبوقين بقوم نوح مشهورا معروفا فيما بينهم نسبوا

نبيهم

نبيهم الى السفاهة التي هي اخف من الضلال ولما كان نوح اول الرسل وكانه اتى بامر
مستنكر لم يعهد ولم يسمع قومه قط باهلاك قوم كذبوا رسولا نسبوه الى الضلال المبين
الذي هو ابلغ في النقص وقال ابو حيان لما كان كلام نوح لقومه اشد من كلام هود
حيث قال اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم كان جوابهم له اغلظ ولما كان كلام هود
الطف حيث قال افلا تتقون كان جوابهم له اخف وقال الكرماني لما خوف نوح الكفار بالغرق
وشرع في عمل قالوا انا لنراك في ضلال حيث تتعب نفسك في سفينة في مفازة ليس
فيها ما وهو ورد عباده الاوثان ونسب قومه الى السفاهة فقابلوه بمثل ذلك **ناصح**
في مقابلة من سفاهة **امين** في مقابلة لنظنك من الكاذبين وبهذا عرف نكتة ذكره
في جواب هود وجواب نوح القشيري شتان بين من دفع عنه ربه بقوله ما ضل صاحبكم
وما غوى وما صاحبكم بمجنون ومن دفع عن نفسه بقوله ليس بي ضلالة ليس بي سفاهة
فاذكروا الاء الله تذكرا ثانيا بالنعم مطلقا بعد تذكره بنعمتين خاصتين **اجئتنا**
لم يرد حقيقة المجي ولكن التعرض والقصد كما يقال ذهب يشتمني من غير ارادة حقيقة
الذهاب **ما نزل الله** في غيره ما انزل قال الكرماني لان نزل للتكثير
مذكر في الموضع الاول بلفظ المبالغة ليجري مجرى الجملة والتفصيل وذكر الجنس والنوع
والنكتة ان الكلام اذا كرره البليغ ينبغي ان لا يخلي كل تكرار عن فايدة زايدة فيكون
الاول كامر ومابعده كالنوع وقال صاحب المناجاة الاولى يوجب نحو هذا وامثاله
بالحمل على النقص فانه وجه جامع لجميع الاحتمالات الواقعة في القصص المتكررة
وقطعنا دابر الذين كذبوا كناية عن الاستيصال اشارة الى قطع
الدابر **وما كانوا مومنين** جملة موكدة والى ثمود بمنع الصرف لانه اسم القبيلة
وقرئ بصرفه اسما للحي **بينة** قال ابو حيان كثر استعمال هذه الصيغة في القران
استعمال الاسما فوليت العوامل فاشبه الابطح والابرق اذ لا يكاد يصرح بالموصوف
معها **هذه ناقة الله** جواب كانه قيل ما البينة فهو استيناف بياني والاضافة للتشريف
ولانه خلقها بغير واسطة ذكر وانثى **اية** حال عاملها الاشارة **تاكل** قرئ بالرفع حالا
ولا تمسوها بسوء كناية وتنبيه بالادنى عن الاعلى لانه اذا نهى عن المس فعن
العقر اولى **فياخذكم عذاب اليم** استعارة في سورة هود عذاب قريب
وفي الشعرا عذاب يوم عظيم قال الكرماني لانه هنا بالغ في الوعظ فبالغ في الوعيد
وفي هود لما اتصل بقوله تمتعوا في داركم ثلاثة ايام وهذه بالقرب
وفي الشعرا زاد ذكر اليوم لان قبله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم والتقدير لها
شرب يوم معلوم فختم الاية باليوم وقال صاحب المناجاة العذاب
اذا اجتمع في هذه الاوصاف الثلاثة كان اشد ففرق الاوصاف الثلاثة
في الايات الثلاثة دلالة على اشديته من غير احتياج الى ذكرها في اية واحدة
قال وانما يجعل عذاب عظيم ان العذاب اذا كان عذاب يوم عظيم
كان عظيما في نفسه فجعل مدحا في تعظيم اليوم وافاد عظم اليوم والعذاب
معا قال والفرق بين العظيم والاليم ان الاليم ما قارنه وجع سواكان له عاملة
اولا والعظيم ما له عاملة سواكان معه الم ام لا فبينهما عموم وخصوص من وجه

او يقال كل عظيم اليم ولا عكس ويقال انهما سواء والتكرير للتاكيد انتهى **يجحدون** تفسير لـ
فبوا كرو **وتنحتون** قرا النخعي الحا وقري بالياء التحتية مع كسر الحاء وفتحها قال ابو حيان ففيه
التفات ويحتمل ان يكون من كلامه تعالى معترضا اثناء الكلام صالح **الجبال** و
نصب باسقاط من وصرح به في اية اخرى وتنحتون وقال صاحب المناجاة كانوا
فريقين فريق اتخذ الجبال بيوتا ونحو عليها القلاع ونحتها الى ان صارت مستوية الاطراف
تمكن عليها من وضع البيوت وفريق اتخذ منها البيوت كالكهوف فحيث حذف من اراد الاول
وحيث ذكرها اراد بالثاني **بيوتا** حال مقدره او مفعول على تضمين تنحتون معنى تتخذون
تعثوا قري بكسر اوله لغة **قال الملا** قال ابي عامر وقال بواو عاطفة **لمن امن**
بدل من اعادة الجار فان كان ضمير منهم لقومه فبدل كل او للذين فبدل بعض الشيخ
سعد الدين فيه مناقشة مشهورة وهي انه لا يجوز ان يكون الجار والمجرور بدلا من
الجار والمجرور فان وقع بان الابدال في المفرد اكثر اجيب بان التفرع بتكرير العامل
اقل قليل بل ربما لا يوجد بغير منازع **اتعلمون** استفهام سخرية واستهزا **من ربه** لم يقولوا
من ربنا ولا من ربكم كانهم تبروا من الله سبحانه وخصوا صالحا به **انا بما ارسل به مؤمنون**
جواب في غاية الحسن عد لوا عن قولهم نعم او هو مرسل اشارة الى امر رسالته معلوم
واضح مسلم لا يدخله ريب فلا يحتاج ان يسال عنه ولا ان يستفهم عن العلم به فاخبروا بانهم
يؤمنون بما ارسل به وذلك يتضمن العلم بانه مرسل من الله **انا بالذي امنتم به**
هو في معنى بما ارسل به وعدلوا عنه فرارا من الاقرار له بالرسالة **فعقروا الناقة**
نسب العقر اليهم وان كان العاقر واحد لكونه عن مالي منهم ورضاهم به
وعتوا ضمنه معنى استكبروا فعداه بعن **فاخذتهم الرجفة** قيل الصيحة وقيل الزلزلة
الشديدة فعلى الاول لا منافاة بينه وبين قوله في هود فاخذتهم الصيحة وعلى الثاني
لذلك لان الرجفة ناشئة عن الصيحة صيح بهم فرجفوا فناسب ان يسند الاخذ لكل منهما
زاد ابن جماعة والمراد الفظة لا يخلوا غالبا عن صيحة وكذا قوله فاهلكوا بالطاغية
للتجاوز كل من الرجفة والصيحة الحد فسميت طاغية او المعنى بسبب الفعل الطاغية
الكرماني حيث جعل الرجفة وهي الزلزلة قال في دارهم بالافراد وحيث ذكر الصيحة
قال في ديارهم بالجمع لان الصيحة كانت من السما فبلغوها اكثر وابلغ
من الزلزلة فاتصل كل واحد بالاهو اليق به وقال ابن جماعة الزلزلة يناسب الرجفة
لان المراد بها البلد المزلزل والصيحة يناسب الديار لان المراد
بها المنازل وذكر صاحب المناجاة مثله وقال الامام حيث ذكر اجتماعهم مع نبيهم
قال الدار وحيث ذكر افتراقهم منه وخروجه عنهم قال الديار **ولوطا**
قيل عطف على الانبيا قبله بتقدير وارسلنا واذ معمولة له وقيل نصب باذكر مضمره
فيكون المغايرة تفننا **اتاتون** استفهام انكار وتوبيخ **الفاحشة** عرفه بلام الجنس
على سبيل المبالغة كانه لشدة قبحه جعل جميع الفواحش لتوابلغ من الزنا حيث
قال فيه انه كان فاحشة فاتى به منكرا اي فاحشة من الفواحش **من احد** زيدت
من للمبالغة **انكم لتاتون الرجال** بيان لقوله اتاتون الفاحشة
ومن قراه انكم بالاستفهام الكرماني اتى في الجملة الثانية بالاستفهام مع ان واقتصر في

الاولى على الاستفهام لان التوبيخ والتقريع في الثانية اكثر وكذا في النمل وفي العنكبوت
ايتكم اتاتون الفاحشة ايتكم لتاتون الرجال فاتى بالجملتين بان لموافقه اخر
القصة انا منجوك انا منزلون **شهوة** مصدر في موضع الحال وقال الزمخشري مفعول
له اي لا حامل لكم على ذلك الا مجرد الشهوة ولا ذم اعظم منه لانه وصف لهم بالبهيمة
وانه لا داعي لهم من جهة العقل كالنسل ونحوه **بل** للانتقال وقيل اضراب
عن توبيخهم او الاخبار عن حالهم الى الحال التي يبتنا عنها القبايح وبدعوا
الى اتباع الشهوات وهي الاسراف وهي الزيادة المفسدة لما كانت عادتهم الاسراف
اسرفوا حتى في باب قضا الشهوة فجاوزوا الحد المعتاد الى غيره وقيل اضراب
عن محذوف اي ما عذر لهم بل انتم وقال الكرماني بل رد لجواب زعموا ان
يكون لهم عذرا اي لا عذر لكم ولا حجة بل انتم وجا هنا مسرفون باسم الفاعل
ليدل على الثبوت ولموافقته ما سبق من رؤس الاي في ختمها بالاسما وجا هنا وفي النمل
تجهلون بالمضارع لتجدد الجهل المركب الزايد على جهل اصل الخلقة البسيط ولموافقة
ما سبق من رؤوس الاى في ختمها بالافعال واما التعبير هنا بوصف
الاسراف وهناك بوصف الجهل فيعنن **وما كان** في النمل فما قال الكرماني لان ما قبله
هنا اسم وهناك فعل والفا للتعقيب والتعقيب في الافعال فاتى بعد تجهلون
بالفا وكذا في العنكبوت لانه بعد وياتون في ناديكم المنكر وبعد مسرفون الاسم
بالواو ولذا قال الامام **جواب** قري بالرفع **اخرجوهم** في النمل اخرجوا ال
لوط قال الكرماني وغيره لان هذه السورة متاخرة النزول عن سورة النمل
فاظهر فيها ما اضمره هناك ابن عطية الضمير عايد على ال لوط وان لم يجر لهم ذكر لان المعنى
تقتضيه ان جماعة قال هنا وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم وفي العنكبوت
الا ان قالوا ايتنا بعذاب الله ولا تحصر فلعل ذلك في مجالس او الجواب من طايفتين
كل احاديث بما ذكر عنها **انهم اناس يتطهرون** قال ابو حيان فيه التعريض بما يوهم
الذم وهو مدح على حد ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم عن فلول من قراع الكتايب
وقال الزمخشري هو سخرية بهم وتهكم **كانت من الغابرين** تفسير وتوكيد لما تضمنه
الاستثنا من كونها لم ينجها الله وقال ابو عبيدة الا امراته النفي به في امر لم تنج
ثم ابتدا واخبرها بعد ذلك بصفة لا تتعلق بها النجاة ولا الهلكة وهي انها كانت غابرة
اي متقدمة في السن كما قال الا عجوزا في الغابرين فهي في الغابرين تغليب
الذكور والاصل من الغابرات الكرماني هنا كانت وفي غيره قدرناها كان المعنى
كانت في علم الله فهي بمعنى قدرنا وقال غيره كانت بمعنى صارت وهي متاخرة في
التقدير اي قدرناها من الغابرين فصارت منهم قال صاحب المناجاة وفيه الاشارة
الى اثبات الخلق والكسب معا **وامطرنا عليهم مطرا** حيث ذكر المطر في القران
فالمراد به العذاب وقال الحافظ في البيان قد يستعمل الناس الفاظا وغيرها
اولى بذلك بالموضع منها الا ترى ان الله تعالى لم يذكر لفظ المطر الا في موضع الانتقام
وذكر في غيره الغيث ولم يذكر الجوع الا في موضع العقاب او الفقر الموقع والعجز
الظاهر وذكر في غيره السغب ولم يذكر النكاح الا في موضع التزويج وذكر في غير المباشرة

ونحوها ولذلك لم يجمع في القران السمع على اسماع ولا الارض على ارضين والعامة لا تفرق
بين المطر والغيث ويذكر الجوع في حال القدرة والسلامة انتهى فانظر خطاب للرسول
اولكل سامع وعظا وزجرا ان تسلك هذه الامة هذا المسلك كيف كان عاقبة
المجرمين قال ابو حيان عام في قوم نوح وهود وصالح ولوط الكرماني
ختم به هنا وفي غيره فساء مطر المنذرين موافقة لما بعده من قوله فانظر كيف كان
عاقبة المفسدين واقول على نقلناه عن ابي حيان تمييز القصة عند قوله مطرا
ومابعده عايد الى جميع القصص والى مدين اخاهم شعيبا وصفه هنا بالاخوة
ولم يصفه هنا في الشعرا في قوله وقال لهم شعيب مع قوله في ساير الرسل فيها اذ قال
لهم اخوهم لان شعيبا ارسل مرتين وقيل ثلاث مرات الى قومين او ثلاثة مدين
قومه واصحاب الايكة للسواقومه فوصفه بالاخوة لمدين دون اصحاب الايكة
جاتكم بينة قد الحسن اية فاوفوا الكيل والميزان اما ان يجعل الكيل مصدرا
لي به عن المكيال الالة والميزان مصدرا كالميعاد بمعنى الوزن لا الالة
لتحصل المطابقة ولا تبخسوا الناس اشياءهم من عطف العام على الخاص ولا تفسدوا
في الارض ترى اي اعم مما قبله ولا تقعدوا بكل صراط توعدون ان فسر بقطع الطريق
او باخذ المكس ناسب مما قبله او بصرف الناس عن الدين واتباع شعيب ناسب
ما بعده والصراط عليهما الطريق حقيقة وسهل الله طريق دينه مجازا وجملة توعدون
وتصدون وتبغونها احوال ولم يذكر مفعول توعدون لتصب النفس على مذهب
من السوال اوعد لا يكون الا في الشر والصدا ماحقيقته في عدم تمكين الناس من
الذهاب الى الرسول او مجاز عن الابعاد والصرف ونفى من امن خاص واعادة
الضمير في به مذكرا وفي تبغونها مونثا لان السبيل يذكر ويونث وقيل ضمير به
لله وقيل توعدون وتصدون تنازعا من امن فاعمل الاول ولم يرد في اعمال
القران اعمال الاول في التنازع سوي هذا الموضع على هذا القول
وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين تهديد وتذكير بعاقبة من افسد قبلهم وان كان
طايفة الاية هذا من احسن ما يتلطف به في المحاورة اذا برز المتحقق في صورة
المشكوك فيه لم يومنوا اي به فاصبروا خطاب للفريقين وعدا للمومنين
بالنصر ووعيد للكافرين بالعقوبة وقيل للكفار خاصة لان في اصبروا قوة
التهديد وقيل للمومنين خاصة وعلى معنى الوعد لهم بالظفر والحث على الصبر
واحتمال الاذى او لتعودن فيه تغليب لان شعيبا لم يكن في ملتهم قط
حتى تعود اليها وانما ذلك خاص لمن امن معه وقيل ان عاد ياتي بمعنى صار ثم في العود
ثم في العود مع الاخراج طباق معنوي اولو اي اتبع منكم احد هذين الامرين
على كل حال حتى في حال كراهتنا لذلك قاله ابو حيان وقدره الزمخشري اتعيدوننا
في ملتكم في حال كراهتنا ولو هنا مثلها ردوا السايل ولو بظلف كونه
زيدا ولو انسا قد افترينا قيل هذه الجملة اخبار مستانف قاله الزمخشري وفيه
معنى التعجب فانه قال ما اكذبنا على الله ان عدنا في الكفر بعد الاسلام لان المرتد
ابلغ في الافترا من الكافر الاصلي من حيث انه يزيد عليه بزعمه انه قد بين له

ماخفي

ماخفي على الاصلي من التمييز بين الحق والباطل حتى ارتد وقيل قسم بتقدير اللام
اي والله لقد الا ان يشا الله قال ابن عطية قيل هو استثنا اريد به الاستبعاد
كقوله حتى يلج الجمل في سم الخياط وقولهم لا افعل ذلك حتى يشيب الغراب وقد علم
استحالة ذلك فهو احالة على مستحيل قال وهذا تاويل للمعتزلة القايلين ان الكفر
بغير المشية لحكاه المفسرون ولم يشعروا بما فيه انتهى واهل السنة هو استثنا
تسليم وتادب افتح الفتح القضا لغة ضميروقيل لغة مراد اذا هي اذا الشرطية
حذفت جملتها وعوض منها التنوين كما في ذلك على ما فيه مما عليه فيه قليله واخرناه
وحررناه في الاتقان فاخذتهم الرجفة في هود فاخذتهم الصيحة وتقدم نظيره
في قصة صالح وفي الشعرا فاخذهم عذاب يوم الظلة لانها قصة اخرى لقوم اخرين
كما تقدم بيانه وعلى تقدير انها قصة واحدة جمع لهم بين الحر والصيحة والرجفة
الذين كذبوا شعيبا مبتدا خبره كان لم يغنوا فيها اي لم يقيموا ناعمي البال
رخي العيش في دارهم وفيها قوة الاخبار عن هلاكهم وحلول المكروه بهم والتنبيه على
الاعتبار بهم قال الزمخشري وفي هذا الابتدا معنى الاختصاص كانه قيل الذين كذبوا
شعيبا قد انجاهم الله ابن عطية غنيت في المكان انما يقال في الاقامة التي هي مقترنة
بتنعم وعيش رخي هذا الذي استقريت من الاشعار التي ذكرت العرب فيها هذه
اللفظة الذين كذبوا شعيبا مبتدا خبره كانوا هم الخاسرين قال الزمخشري
فيه معنى الاختصاص اي هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه فانهم هم
الرابحون وفي هذا الاستيناف للابتدا وهذا التكرير مبالغة في رد مقالة
الملا لاشياعهم وتسفيه لرايهم واستهزا بنصحهم لقومهم واستعظام لما جري عليهم
وقال غيره هاتان الجملتان مبينتان عما فعل الله بهم في مقابلة قولهم
قالوا لنخرجنك فجا الاخبار باخراجهم بالهلاك واي اخراج هو وقولهم انكم اذا لخاسرون
فحكم تعالى عليهم بالخسران ثم الجملتان معترضتان لعطف فتولي وما بعده على فاخذتهم
الرجفة فاصبحوا فكيف اسي على قوم كافرين كان وجد في نفسه رقة عليهم فسري
ذلك على نفسه باستحضار سبب التسلي عنهم والقسوة عليهم فذكر الكفر الذي هو
اشنع اوصافهم وقري ايسي بالكسر لغة وما ارسلنا الاية لما ذكر تعالى ما حل بالامم
السالفة من باسه وسطوته ذكر تعالى ان هذه عادته في اتباع الانبيا اذا اصروا واداموا
على التكذيب وانه لا يعجل بالاهلاك والتدمير بل يتقدم لهم المقدمات المنذرة بالهلاك
بغتة وكل هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتحذير لقومه وقد اخذوا بالجوع ثم كشف
عنهم ولم يومنوا كما قال ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم
وما يتضرعون وقال فارتقب يوم تاتي السما بدخان مبين اي قوله انا كاشفوا العذاب
قليلا انكم عايدون يوم نبطش البطشة الكبري انا منتقمون مكان السيية اي الحالة
السيية من الباسا والضرا الحالة الحسنة من السرا والنعمة لفتحنا استعارة للتيسير
كما تيسر على الابواب المغلقة وقري بالتشديد بركات تنكير للتكثير والتعظيم افامن
استفهام توبيخ الزمخشري فان قلت ما المعطوف عليه ولم عطفت الاولي بالفا والثانية
بالواو قلت المعطوف عليه قوله فاخذناهم بغتة وقوله ولو ان اهل القري

الاية وتم اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه وانما عطفت بالفا لان المعنى فعلوا ما صنعوا
فاخذناهم بغتة بعد ذلك امن اهل القرى او يانيهم باسنا بياتا او امنوا ان ياتيهم
باسنا ضحى انتهى وفي قراءة او من بسكون الواو فاو عاطفة للتنويع واعيد اهل القرى ظاهرا
لما فيه من قصد التفخيم والتهويل والتعظيم وقد كل طرف بما يناسبه من النوم للبيات
واللعب للضحى وحالا نايمون باسم الفاعل لانها حالة ثبوت واستقرار للنايمين ويلعبون
بالمضارع لانهم يشتغلون بافعال متجددة شيا فشيا في ذلك الوقت افامنوا مكر الله عطفت
هذه الجملة بالفا لانها تكرير لقوله افامن اهل القرى اوامن وتاكيد لمضمون ذلك فناسب
اعادتها مصحوبة بالفا وفي مكر الله استعارة والتفات وفي اعادته فلا يامن مكر الله ظاهرا
مضافا الى اسمه تحقيق لوقوع المكر بهم اولم يهد اي يبين وفاعله قيل ضمير الله لانه قرئ نهد
بالنون وقيل ضمير ما جرى للامم السالفة المفهوم من السياق وان عليها مفعوله وقيل المصدر المنسبك
من ان لو نشا اي امتنا وقد رانا على اصابتنا اياهم وان مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان
وفي قراءة نهد بالنون التفاتا وعلى قراءة اليا لا التفات في نشا ونطبع جملة مستانفة
تلك القرى اشارة الى بلاد قوم نوح ومن بعد نقص عبر بالمضارع مع مضي القصص لارادة
الاستمرار بما كذبوا زاد في يونس به قال الكرماني لتقدم قوله هنا امنوا ولكن كذبوا من
غير لحاق به فناسب تركها وفي يونس فكذبوه فنجيناه ثم كذبوا باياتنا فناسب لحاق به
كما لحق الضمير بما قبله كذلك يطبع الله فيه التفات وفي يونس نطبع قال الكرماني
لانه تقدم هنا ذكر الله بالتصريح وفي يونس بني على ما قبله من قوله فنجيناه وجعلناهم
ثم بعثنا بنون العظمة فناسب نطبع بالنون وقال ابن جماعة الكد اول الاية هنا بالقسم ناسب
ذلك تعظيم الطبع بنسبته الى اسم الله وناسب الختم بوصف الكافرين الذي معناه ابلغ من وصف
المعتدين فناسب كل اية ما ختمت به وما وجدنا فيه التفات من عهد اي ابقا عهد
او التزام عهد ثم بعثنا من بعدهم موسى ابو حيان لما قص الله على نبيه اخبار نوح وهود وصالح
ولوط وبني اسرائيل اذ كانت معجزاته اعظم المعجزات وامته من اكثر الامم تكذيبا وتعنتا
واقتراحا وجهلا وكان قد بقي من اتباعه عالم وهم اليهود فقص سبحانه قصصهم علينا
لنعتبر ونتعظ وننزجر عن التشبه بهم ومناسبة هذه الاية لما قبلها اذ بين موسى وشعيب
مصاهرة كما حكى الله في كتابه ونسب لكونهما من نسل ابراهيم ولما افتتح قصة نوح بارسلنا
بنون العظمة اتبع ذلك قصة موسى فقال ثم بعثنا واقول ذكر الله المرسلين ولم
ينص على معجزاتهم سوى موسى وعيسى لبقا اتباعهم فكان في ذكرها استلزام تصديقهم القران
والانبا لما يقتضيها لما عندهم ولما لم يكن بقي من اتباع تلك الرسل احد لم ينص على معجزاتها لعدم
لعدم الفايدة المذكورة فان قلت قد ذكر معجزة صالح وهي الناقة ولم يبق من اتباعه
احد قلت ظهر لك في هذه نكتتان الاولى ان امر الناقة وعقرها كان مشهورا بين العرب
في الجاهلية وذكروه كثيرا في اشعارهم لان صالحا كان من العرب ومات بمكة او بحضرموت
قال بعض العرب ۞ فاتاها احيمر كاخي السهم ۞ بعضب فقال كوني عقيرا ۞ وقال اخر
۞ فتنتج لكم غلمان اشام كلهم ۞ كاحمر عاد ثم ترضع فتفطم ۞ اراد كاحمر ثمود فكان في ذكر الناقة
ما يقتضي تصديق العرب بالقران وباخباره وباخباراته وقد ورد ان الدابة التي تخرج
قرب الساعة ناقة صالح فكان في ذكرها تمهيد لذكرها في الاشراط وقال موسى يا فرعون

اي

اني رسول من رب العالمين فاتحه بذلك لانه ادعى الربوبية لينبهه على انه في الوصف
الذي ادعاه مبطل لا محق حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق لما كان تعدد دعوته
اردفها بما يدل على صحتها فقال قد جئتكم ببينة من ربكم ولما قرر الرسالة فرع عليها
تبليغ الحكم فقال فارسل معي بني اسرائيل وقرا السبعة على حرف جر على تضمين حقيق
معنى حريص او على معنى البا وتوبده قراءة ابي بان وقرا ابي مسعود حقيق ان باسقاط
الجار فيحتمل اضمار على والبا وقرا نافع علي بتشديد اليا فحقيق مبتدا وعلي خبره
وان لا اقول فاعل بحقيق لانه في معنى يحق علي وقيل ان لا اقول مبتدا وحقيق خبره
وقيل تم الكلام عند حقيق وعلي ان لا اقول مبتدا وخبر وفي الخطاب تنويع فانه
انتقل من خطاب فرعون الى خطاب قومه وقال من ربكم تنبيها لهم ان فرعون ليس
ربا لهم ثم انتقل ثانيا من خطابهم الى خطابه وقال هنا معي لانه لم يذكر سوى رسالة
موسى وفي طه فارسل معنا لانه خطاب لموسى وهارون قاله ابن جماعة قال ان كنت
جئت باية الى باز لانه في مقام الشك ولهذا كرر قوله ان كنت من الصادقين ثعبان مبين
اي ظاهر لا يخيل فيه بل هو ثعبان حقيقة للناظرين من ذكره تنبيها على عظم بياضها
لان النضارة انما يعرض لها اذا كان بياضها عجيبا خارجا عن العادة فتجتمع اليه الناس كما
يجتمع النظار للعجايب قاله ابو حيان قال الملا من قوم فرعون في الشعرا قال
للملا حوله والجمع ان فرعون وهم كلهم قالوا ذلك فحكى هنا قولهم وهناك قوله او قاله
ابتدا فتلقاه منه الملا وقالوه لاتباعهم او قالوه عنه الناس على طريق التبليغ قال ابن جماعة
وحسن في الشعرا حكاية قوله لتقدم مخاطبته لموسى بقوله الم نربك الى اخره فناسب
ذلك حكاية قوله ان هذا قال ابو حيان اكثر استعمال لفظ هذا اذا كان من كلام الكفار
في التنقص والاستغراب نحو هذا الذي يذكر الهتكم اهذا الذي بعث الله رسولا ان
ان هذا الا اساطير الاولين ما هذا الا بشر مثلكم ان كان هذا هو الحق من عندك يعدلون
عن اسم النبي الى الاشارة تحقيرا يريد ان يخرجكم استشعرت نفوسهم ما صار اليه امرهم
من اخراجهم وخلو بواطنهم وخراب بيوتهم فبادروا الى الاخبار بذلك من ارضكم زاد في
الشعرا بسحره قال ابن جماعة لان اية الشعرا من كلام فرعون ولما كان هو اشد همة
في رد امر موسى والتنفير عنه صرح بانه سحر ولذا قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك
يا موسى قاصدا بذلك تنفير الناس عن اتباعه وذكر مثله صاحب المناجاة وزاد انه لم
ينقل من ارضي وارض فرعون اعزالهم عليه وتحريضا على بغضه وذمه بنسبة الارض اليهم
وتالفا لهم بتوهيم انه لعدله في ملكه كانه ليس له ارض وانما الارض لهم ولغلظة كفره هذا
قال فماذا تامرون وهو كسفل منه لهم او الامر من العالي للسافل وهو من قول فرعون
لا من قول الملا فاما ان يكون على تقدير قال قبله وتم كلام الملا عند من ارضكم او على ان
المراد قال الملا من قوم فرعون وفرعون معهم كما قرره الكرماني على حد واغرقنا ال فرعون
اي وفرعون معهم ارجه بالهمز اي اخره وبدونه اي اطمعه وارسل في الشعرا وابعث
قال الكرماني والامام وغيرهما لان ارسل اكثر تفخيما من ابعث واعلا رتبة لاشعاره بالفوقية
فلما حكى هنا قول الملا لفرعون ناسب خطابهم له بما هو اعلى تفخيما له وفي الشعرا صدر الكلام بانه
هو القايل لهم فناسب تنازله معهم ومشاورته لهم بكل ساحر وفي قراءة سحار وكذا في يونس

القراة بالوحي ولم يتران الشعرا الاسحار لمناسبة زيادة لسحره قاله ابن جاعة وجا السحرة
فرعون قالوا في الشعرا فلما جا السحرة قالوا لفرعون قال الكرماني لان القياس هنا وجا
السحرة فرعون وقالوا او فقالوا لكن حذف الواو والفا ليكون جواب سوال مقدر وتقدير
فلما جاوا قالوا واما تقديم فرعون وتاخره فان التقدير فيهما فلما جا السحرة فرعون قالوا لفرعون
فاظهر الاول في هذه لانها الاولى واظهر الثاني في الشعرا لانها الثانية وقال الامام لما كانت
قصة موسي وفرعون في الشعرا مستوفاة الذكر من اولها الى اخرها وقع فيها زوايد لم
تقع في هذه ولا في طه لقوله الم نربك فينا وليدا وما بعده وقوله ثم اغرقنا الاخرين
بني فيها على الاطناب ولما كان المذكور في هذه بعض الاحوال بني الامر على الايجاز ولهذا حذف
بسحره هنا ان لنا القراة بلفظ الاستفهام والخبر لاجرا اي عظيما قال الزمخشري التنكير
هنا للتعظيم كقولهم ان له لابلا وان له لغنما يقصدون الكثرة قال ابو حيان في خطاب السحرة
فرعون بذلك دليل على استطالتهم عليه لاحتياجه اليهم ولما لم يحصل للعالم بالشي من الترفع
على من يحتاج اليه وانكم لمن المقربين اي لا اقتصر بكم على الاجر والجعل بل ازيدكم التقريب
ورفعة المنزلة والجاه وزاد في الشعرا اذن قال الكرماني وهي مقدرة هنا وخصت
هذه السورة بالاختصار لانها محل الاختصار قالوا يا موسي اما ان تلقي واما ان نكون نحن
الملقين قال الزمخشري تخييرهم اياه حسن ادب راعوه معه قال القرطبي تادبوا مع موسي
فكان ذلك سبب ايمانهم وقال ابو حيان ليس ذلك من باب الادب بل من باب الثقة بانفسهم
وايهام الغلبة وعدم الاكتراث بامر موسي وقال الزمخشري وفي قولهم ما يدل على رغبتهم
في ان يلقوا قبله من تاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر واقحام الفصل واذا اما في
محل نصب على ان المعنى اختر او رفع على معنى اما الالقا ولك مبتدا به وحذف مفعول
تلقي والملقين للعلم به او تنزيلا منزلة اللازم اي توجد الالقا الكرماني راعى هنا وفي طه
فواصل الاي حيث قال الملقين وساجدين ورب موسي وهارون وادرج الوعيد في اية اخرى هي
اشد عذابا وابقى قال القوا امر احتقار وتوسل به الى اظهار الحق واسترهبوهم بمعنى ارهبوهم
الزمخشري اي ارهبوهم ارهابا شديدا كانهم استدعوا رهبتهم واخرت عن هذه الجملة
لان الرهبة ناشية عن روية العين واوحينا الي موسي ان الق عصاك قيل هو وحي اعلام
وفايدته تجريده تثبيت الجاش والبشارة بالنصر وقيل وحي الهام الى ذلك في روعه
تلقف بفتح اللام وتشديد القاف اي تتلقف وفي قراة بسكون اللام واللقف والتلقف
الابتلاع بسرعة وقري تلقم بالميم اي تبلع كاللقمة فوقع الحق اي ظهر واستبان قال
ارباب المعاني الوقوع ظهور الشي بوجوده نازلا الى مستقره وقال القاضي فوقع الحق يفيد
قوة الظهور والثبوت بحيث لا يقع فيه البطلان كما لا يصح في الواقع ان يصير لا واقعا
ومع ثبوت الحق بطلت وزالت تلك الاعيان التي افكوها وفي الاية طباق لطيف قال
بطل بمعنى زال في مقابله فوقع بمعنى ثبت وظهر وما كانوا يعملون اي افكهم في مقابلة الحق
فغلبوا هنالك وانقلبوا في الفعلين موازنة وقوع من الجانبين ولما كان الضمير فيهما شاملا
للسحرة وغيرهم جرد المومنون بعد ذلك وافردوا بالذكر فقال والقي السحرة ساجدين
اي خروا سجدا كانما القاهم ملق لشدة خرورهم وعدم تمالكهم مما راوا قالوا في موضع الحال
اي قايلين امنا برب العالمين قالوا ذلك موافقة لقول موسي اني رسول من رب العالمين

فلما

فلما كان هذا اللفظ قد يوهم غير الله لقول فرعون انا ربكم الاعلى زادوا رب موسي وهارون
نصا بالبدل على الاله الحق ودفعا بذلك التوهم قال صاحب المناجاة فهو من باب التكميل
او الاحتراس قال فرعون صرح به وفي الشعرا وطه قال امنتم قال الكرماني لان هذه السورة
مقدمة عليهما فصرح فيها وكني فيما بعدها وقال الامام هنا بعد ذكر فرعون وطال الفصل
بايات كثيرة لحسن التصريح به وهناك قرب من ذكره فكني عنه امنتم به اي برب العالمين
في طه والشعرا له اي لموسي لانه لكبيركم قال صاحب المناجاة لما اشتمل كلامهم على الايمان
برب العالمين رب موسي وهارون وزع الضمير في الموضعين فذكره بالنسبة الى صدور
توحيدهم وهو برب العالمين وله بالنسبة الى معجزه وهو رب موسي والتقدير امنا برب
العالمين واخلصنا لرب موسي وهارون وقيل امنت به وامنت له واحد وارد في كل
موضع احدا لاستعمالين فسوف في الشعرا فلسوف لان هذه السورة مبنية على الايجاز
وتلك على الاطناب كما تقدم تعلمون حذف المفعول للابهام المقصود به التهويل
اي ما يحل لكم لم يبينه فقال لاقطعن الاية قري لاقطعن ولاصلبنكم مضارع وطع وصلب
الثلاثي بضم اللام وكسرها وعطف هنا الصلب بثم وفي طه والشعرا بالواو لان هذه
اول سورة فبين فيها التعديه واحال فيما بعدها على ما علم هنا فاتي بالواو التي لا تنافي
الترتيب بل يكون له في احد استعماليها تفننا واختصارا في اية طه لكثرة جملها التي تمت
معها اثنين وثلاث ولموافقة ما عطف عليها من قوله ولتعلمن قالوا انا زاد في الشعرا
لا ضير قال الكرماني لبنائها على الاطناب وبنا هذه على الايجاز وما تنقم منا الا ان امنا
هذا من باب تاكيد المدح بما يشبه الذم لان الايمان ليس مما تنقم قال ابو حيان هذا الفعل
من لسان العرب تقديره يعلى فقال نقمت عليه كذا وعدي في القران بمن تضمينها له ما تنقم
فان امنا مفعول له قلت الاولى ان يقال تضمينا له معنى تكسر وقري بفتح القاف لغة
اتذر استفهام انكار ليفسدوا في الارض ويذرك فيه لف ونشر غير مرتب
فان ضمير يذرك لموسي ويفسدوا لقومه وقري ويذرك بسكون الراء عطف توهم
يشبه ليفسدوا بالجزم او على حد فاصدق واكن وتخفيف وقري بالنون والرفع على
اما نوعد منهم او اخبار بما يؤول اليه الامر وقرا ابي وابن مسعود وقد تركوك ان يعبدوك
والهتك وقرا الاعمش وقد تركك والهتك وقري والهتك بالافراد اي عبادتك فهو
مصدر وقيل المراد بها الشمس لانها من اعلام الالهة وكان فرعون يدعي بعبادة
الشمس استجابت وملكته عليهم وانا فوقهم اراد فوقيه العلو والرفعة والقهر
لا المكانية قال موسي الزمخشري فان قلت لم اخليت هذه الجملة غير الواو وادخلت
على التي قبلها قلت هي جملة مبتداه مستانفة واما وقال الملاء فمعطوفة على ما سبقها
من قوله وقال الملاء من قوم فرعون يورثها قري بفتح الراء وقري بالتشديد للمبالغة
والعاقبة قري بالنصب عطفا على الارض عسي ربكم ان يهلك عدوكم اي بصيغة
الترجي تادبا مع الله فينظر كيف تعملون جملة تجري مجري الحث والتحريض على طاعة
الله اخذنا اصله التناول باليد واستعير هنا للابتلا بالسنين اصل السنة الحول
ثم استعيرت للجدب ومتاع حتى صار من الاعلام الغالبة فاذا جاتهم الحسنة قالوا
لنا هذه اي نحن مستحقون لها لم يعدوها فضلا من الله بل استحقاقا لهم وان تصبهم

سيئة يطيروا بموسى فلا بعد وهما مستحقة لهم لما هم عليه من الكفر والمعاصي وجاء
باذا في جانب الحسنة للاشارة انها غالبة ومستحقة لان احسان الله هو المعهود الى
خلقه حتى في حال الابتلاء في جانب السيئة لانها نادرة وقليلة ولهذا عرف الحسنة
ونكر السيئة وقرئ تطيروا بالفوقية وتخفيف الطا ماضيا وقرئ تشاموا الا انما طائرهم
للحلق على القدرة وكانوا من باب المشاكلة والاثم والماخوذ من زجر الطير وقرئ طيرهم
عند الله فيه التفات فارسلنا فيه التفات الطوفان قال ابن عطية هو عام في كل شئ
يطوف الا ان استعمال العرب له اكثر في الما والمطر الشديد وقيل هو هنا الطاعون بلغة
اليمن وقيل الجدري والقمل قرئ بفتح القاف وسكون الميم ايات مفصلات
اي مفرقات بين الاية والاية فصل من الزمان والفصل من الاجرام التفريق وفي
المعاني التفريق المعنوي نستبين ونمتاز بعضها من بعض فلا تشكل كشفنا عنهم الرجز
من اقامة الظاهر مقام المضمر لكونه من جملة اخرى الى اجل هم بالغوه لم يتعلق بالفعل لا في
الوصف بالجملة بحامة لتسبب في الوصف بالمفرد لتكون الضمير اذا هم ينكثون اي فاجاوا
بالنكث وبادروه ولم يوخروه فاغرقناهم تفسيرية لان الاغراق تفسير للانتقام
اليم البحر قيل بالسريانية وقيل بالعبرانية كلمة ربك فيه التفات وقرئ كلمات
بالجمع ودمرنا فيه التفات يعرشون بكسر الرا وضمها وقرئ بضم اليا وفتح العين
وقرئ بغين معجمة وسين مهملة من غرس الاشجار قال الزمخشري وما احسبه الا تصحيفا
وهذا اخر ما اقتص الله من نبا فرعون والقبط وانظر الى هذه البراعة في الختام كيف
ختم بما اذن بلا منها من الاهلاك والاغراق والتدمير والميراث وتمام الكلمة وكل
لفظة من هذه كافية في حسن براعة الختام ثم اتبع ذلك اقتصاص نبا بني اسرائيل وما
احدثوه بعد انقاذهم من فرعون واستعباده اياهم ومعاينتهم الايات العظام
ومجاوزتهم البحر من طلب الهة يعبدونها غير الله تعريضا باليهود المعاصرين للنبي صلى الله
عليه وسلم وتسلية له واشارة الى ان هذا شان اسلافهم من قبلهم الاستعصا على الانبيا
والاعتدا بعد الاكرام ورؤية الايات فقال وجاوزنا الاية وجاوز هنا لا مشاركة
فيه وقرئ وجوزنا يعكفون بضم الكاف وكسرها انكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق
واكده بان لان مثل هذا الكلام الشنيع لا يصدر الا عمن بلغ غاية الجهل واتى بتجهلون
دون جهلتم اشعارا بان ذلك فيهم كالطبع والغريزة لا ينتقل في ماض الا مستقبل
ولما نادى بنسبتهم الى الجهل ثنى بالاخبار بان عباد الاصنام ليسوا على شئ بل مآل امرهم
الى الهلاك وبطلان العمل ثم ثلث بالانكار والتعجب من ان يبغي هو في طلب اله لهم
غير الله وهو الذي شرفهم وخصهم بالنعم التي لم يعطها من سلف من الامم واذ
انجيناكم الخطاب لمن كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم تذكيرا لهم بالنعمة على حد المذكور
في البقرة وقرئ انجينا ويقتلون مشددا او مخففا وواعدنا اجمل في البقرة المواعدة
باربعين وفصلها هنا وفائدة التفصيل وهي فتم ميقات ربه اربعين ليلة دفع توهم
كون العشرة بغير مواعدة او كونها من الثلاثين او كونها عشر ساعات مثلا وفي ربه
الميقات وذكر التمام دون الكمال لان الكمال يختص بما نقصت اجزاوه والتمام بما زاد
على كامل الاجزا والثلاثين لم تكن ناقصة الاجزا فتمت بالعشر وقرئ وتممناها بعشر

مشددا

مشددا فيكل والفرق بين الميقات والوقت ما قدره فيه عمل من الاعمال والوقت وقت
الشي ولم يعتبر تمييز لنسبة الى التمام هارون قرئ بالضم على النداء لميقاتنا فيه التفات
وكلمه ربه فيه التفات ايضا ارني اي ذاتك لن تراني اكد في النفي من لا وطريق
به ارني دون انظر اذا لم يقل لم تنظر الي وطريق في انظر الى الجبل انظر دون ارني دكا
اي مدكوكا وفي قراة بالمد بوزن حمراء اي ارضا دكا وقرئ بضم الدال جمع دكا كغز جمع
غزا ياموسى اني اصطفيتك الاية لما طلب الروية ومنعها عدد عليه تعالى وجوه نعمه
العظيمة عليه وامره ان يشتغل بشكرها تسلية منه تعالى له والقراة برسالتي وبرسالة
وقرئ مشددا وبكلمي وتكلمي ومن وكن من الشاكرين مبالغة تقدم تقريرها
في البقرة وكتبنا فيه التفات فخذها اي فقلنا خذها عطفا على كتبنا ويجوز كونه
بدلا من فخذ ما اتيتك وامر قومك ياخذوا باحسنها امر موسى باشد واكثر مما امر
به قومه وهكذا الانبيا عليهم الصلاة والسلام لهم خصايص في التكاليف لم يكلف بها
قومهم زيادة في الزلفى ساوريكم فيه شبه الالتفات وهو الانتقال من نون العظمة
الى ضمير الافراد والانتقال من خطاب الواحد الى خطاب الجمع وقرئ باشباع
الضمة واوا على الرسم وقيل الا لغة ناشية بالحجاز يقال اوري ووري وقرئ ساوريكم
بمثلثة قال الزمخشري وهي قراة حسنة يصححها قوله واورثنا القوم سأصرف
قال ابو حيان لما ذكر الفاسقين ذكر ما يفعل بهم ثم قيل هو من تتمة خطاب موسى
وقيل مقطوع عنه يتكبرون في الارض بغير الحق قيده لان التكبر قد يكون بالحق
كتكبر المحق على المبطل فلا يكون مذموما لقوله اعزة على الكافرين وان يروا قرئ بضم
اليا الرشد بفتحتين وبضم الرا وسكون الشين وقرئ بضمتين اتباعا وقرئ الرشاد
قال ابو عمرو الرشد بالضم الصلاح والمطر وبفتحتين الدين لا يتخذوه قرئ يتخذوها
عودا على السبيل وذكر السبيل استعارة وفي الرشد والغي طباق وكذا في لا يتخذوه
ويتخذوه طباق السلب والايجاب وقدم وان يروا سبيل الرشد لموافقته وان يروا
كل اية لا يومنوا بها قابلا وابها النسب كذبوا باياتنا فيه شبه التفات وكانوا عنها
غافلين الختم به مناسب لابتدا الاية بالصرف عن الايات ولما ذكر عاقبة المكذبين
في الدنيا وهو الصرف عن الايات ذكر عاقبتهم في الاخرة فقال والذين كذبوا واه
الاية والاستفهام في هل يجزون بمعنى التقرير والنفي ولما كان الكلام في مناجاة
موسى استطرد عاد الى بقية تعلقاتها فقال واتخذ قوم موسى اي بعد مجيئه
الى الميقات من حليهم بضم وكسر اتباعا وبفتح الحا وسكون اللام عجلا جسدا قال ابن
الانباري ذكر الجسد دلالة على عدم الروح فيه قال ابو حيان ويؤيده ما روي
ان موسى برده بالمبارد والقاه في اليم لا يبرد وكان الخوار من تصويت الريح في تجاويفه
وقرئ جوار بجيم وهمزة وهو الصياح لشدة صوت الم يروا استفهام توبيخ وتعجيب
انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا وقد ركز في العقول ان من كان بهذه المثابة
استحال ان يكون الها وهذا نوع من نوع البلاغة يسمى الاحتجاج النظري وبعضهم
يسميه المذهب الكلامي واقتصر على هذين الوصفين لان انتفا التكلم يستلزم انتفا
القدرة وانتفاء العلم والقدرة يستلزمان انتفا باقي الاوصاف اتخذوه وكانوا

ظالمين اي اقد موا عليه من هذا الامر الشنيع وكان الظلم شانهم وديدنهم فليس ذلك باول ما احدثوا من المناكير ولما سقط في ايديهم هذه كلمة تستعمل في الندم من غير ارادة السقوط كما تستعمل ضربنا على اذانهم في النوم من غير ارادة ضرب وسقط في يده فعل لا ينصرف الى مضارع ولا غيره قال ابو عبيدة يقال لمن ندم على امر وعجز عنه سقط في يده وقال الزجاج معناه سقط الندم في انفسهم كما يقال حصل في ايديهم مكروه ومحال ان يكون في اليد تشبيها لما يحصل في القلب والنفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين وقال ابن عطية العرب تقول ان كان ساعيا لوجه او طالبا غاية فعرض له ما صده عن وجهه ووقفه موقف العجز وتيقن انه عاجز سقط في يد فلان وقد يعرض له الندم وقد لا يعرض قال والوجه الذي يصل من هذه الالفاظ ويبين المعنى المذكور وان السعي او الصرف او الدفاع سقط في يد المشار اليه وصار في يده لا يجاوزها ولا يكون له في الخارج اثر وقال الزمخشري هذه كناية لما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لان من اشتد ندمه وحسرته يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه قد وقع فيها وسقط مسند الى ما في ايديهم وهو من باب الكناية وقيل هو ماخوذ من السقوط وهو ما يغشى الارض بالغدوات شبه الثلج ومعنى سقط في يده وقع في يده السقيط يذوب بادنى حرارة ولا يبقى ومن وقع في يده السقيط لم يحصل منه على شيء فصار هذا مثلا لكل من خسر في عاقبته ولم يحصل من سعيه على طائل وكانت الندامة اخر مرة وقيل من عادة النادم ان يطاطي راسه ويضع ذقنه على يده معتمدا عليها ويصير على هيئة لو نزعت يده لسقط على وجهه وكان اليد مسقوطا فيها ومعنى في على يده وقرئ سقط بالبنا للفاعل اي الندم او الخسران واسقط رباعيا مبنيا للمفعول لئن لم يرحمنا ربنا في قصة ادم وان لم تغفر لنا وترحمنا بتقديم المغفرة لان هذه قصة ايجاد اله غير الله فبدا بالرحمة التي وسعت كل شيء ومن المغفرة وتلك مجاورة جرت بين ادم وبين ربه في عتاب صدر اليه فبادر الى طلب غفران ما وقع عليه العتاب والقراءة بالغيبة ورفع ربنا وبالخطاب في الفعلين ونصب ربنا ندا وقالوا اي قالوا ربنا ليس بتقديم المنادى قال ابو حيان يحتمل ان يكون القولان صدرا منهم على التعاقب وان يكون كل من طايفة فمن غلب عليه الخوف وقوي عليه المواجهة خاطب ومن غلب عليه الحيا اخرج كلامه مخرج المستحي من الخطاب فاسند الفعل الى الغايب غضبان اسفا اي حزينا وهو ابلغ من حزن اسف قال الواحدي اذا اتاك ما تكره ممن دونك غضبت وممن فوقك حزنت فاغضبه عبادتهم العجل واحزنه فتنة الله اياهم اعجلتم استفهام انكار وعجل يتعدى بعن وضمير ضمنا معنى سبق فتعدى تعديته وقيل العجلة التقدم بالشيء في غير وقته وهي مذمومة والسرعة المبادرة بالشيء في وقته وهي محمودة والقى الالواح فتكسرت ورفع الرها الذي فيه تفصيل كل شيء وبقي الذي في نسخته الهدى والرحمة وهو الذي اخذ بعد ذلك قال ابن ام ناداه نداء استعطاف وترفق وكان شقيقه والعادة في التلطف والتحنن ذكر الام كقوله يا ابن امي ويا شقيق نفسي والقراءة ابن ام بفتح الميم دلالة على الالف المحذوفة المنقلبة عن الاضافة وبالكسر دلالة على اليا المحذوفة وقرئ امي باثبات اليا وقرئ يا ابن امي باثبات حرف الندا

والياء وقرئ ابن ام بكسر الهمزة والميم استضعفوني وجدوني ضعيفا فلا تشمت قرئ بفتح اوله مع كسر الميم وفتحها ونصب الاعداء ونشمت متعدية كاشمت وقرئ بالوجهين رفع الاعداء نهي لازمة ونهي الاعداء على الشماتة من باب لا اريتك هنا ان تحمل شيئا يلومونا فيشمتوا بي قال رب اغفر لي ولاخي اشركه في الدعاء ترضيا له وجبرا لما جرى وكلامه ان الذين اتخذوا استيناف اخبار من الله وقيل من تتمة كلام موسى اي قوله الدنيا وصدقه الله بقوله وكذلك نجزي المفترين وعلى الاول في ربهم التفات من قوله بايات تم في نجزي التفات عنه ثم ان ربك التفات عنه وقوله بالسامي بعدها تكرير للاول تاكيدا فالضمير ان للسيات وقيل الثاني للتوبة فلا تكرار ان المغفرة بالرحمة ليعلم ان الذنوب وان عظمت فان رحمته اعظم واجل سكت عن موسى الغضب استعارة شبه خمود الغضب بانقطاع كلام المتكلم وهو سكوته وقال يونس العرب تقول سال الوادي يومين ثم سكت وقيل هو ضمير قال الزجاج مصدر سكنت الغضب سكت ومصدر سكت الرجل سكوت وقيل هو من باب القلب اي سكت موسى عن الغضب وقال الزمخشري هذا تمثيل كان الغضب يغريه على ما فعل ويقول له قل كذا والق الالواح وجر براس اخيك فترك النطق بذلك وترك بالاغراء ولم يستحسن هذه اللفظة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح الا لذلك والاية من قبيل شعب البلاغة والا فالقراءة معونة ابن قرة ولما سكن ولما تجد النفس عندها شيئا من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة وقرئ اسكت رباعيا مبنيا للمفعول اي اسكته الله وقرا ابن مسعود ولما صبر وقرا ابي ولما اشتق واختار موسى قومه سبعين رجلا هذا احد الافعال التي تتعدى الى اثنين بانه مما عرفنا لحريم يحذف الحرف ويتعدى بنفسه وهي مقصورة على السماع لميقاتنا فيه التفات وهو ميقات وقت لم ليخرجوا فيه فيعتذرون ويرون من عبادة العجل فخرجوا وسمعوا كلام الله فقالوا لن نومن لك حتى نرى الله جهرة فاخذ الرجفة فاتوا فحذف هذا كله ايجازا والرجفة هنا هي الصاعقة المذكورة في البقرة وهو من ترادف الرجفة والصيحة واياي عطف على الضمير المنصوب في اهلكتهم وبدا بضميرهم لانهم الذين اخذتهم الرجفة فكانوا هم في الذكر واشرك نفسه في ذلك مبالغة في التسليم والمشية اتهلكنا استفهام استعطاف ان هي الا فتنتك اي عذابك تصيب به من تشاء وتصرفه عمن تشاء قاله ابن عباس فلا اشكال في الاية البتة واطلاق الفتنة بمعنى العذاب مشهور منه يوم هم على النار يفتنون اي يعذبون وضمير هي للفتنة او للفتنة المفسرة له فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين اكد المغفرة هنا لان السوال لقومه المذنبين ولم يوكدها في قوله اغفر لي ولاخي بل اكد الرحمة بقوله وانت ارحم الراحمين لان السوال هناك للمعصومين لم يذنبا فتنة على سعة رحمته من غير تاكيد للمغفرة هدنا قرئ بكسر الهاء قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل شيء مطابق لقول موسى السابق وتفسير له وفي الجملتين طباق في اربعة مواضع كما يعرف بالتامل وقرئ اساء من الاساءة وانكرها ابو عمرو الداني وقال انها من وضع المعتزلة وقراها سفيان ابن عيينة مرة فقام اليه بعض اهلها وصاح به فقال سفيان لم ادر ولم افطن لما يقوله اهل البدع فساكتبها اي الحسنة سالها موسى لقومه فجعلها سبحانه

وتعالى لأمة محمد وقيل الضمير للرحمة لانها اقرب مذكور قال لما سمع ابليس ورحمتي وسعت
كل شي تطاول لها فلما فساكتبها للذين يتقون ويوتون الزكاة فيئس ابليس وتطاول
لها اليهود والنصارى فلما عادت الصفة تبين ان المراد امة محمد صلى الله عليه وسلم فيئسوا
واقتصر على التقوى فانها جامعة لكل خير يفعل وشر يترك وعطف الزكاة من عطف
الخاص على العام اهتماما بها الذين يتبعون الرسول هذا من جنس التخلص فان الكلام كان
في قصد موسى وقومه فتخلص الى وصف النبي صلى الله عليه وسلم ومتبعيه وقيل هو من
الاستطراد منه وهنا قد عاد في قوله ومن قوم موسى امة الى اخر الايات
قال ابو حيان هذا من بقية خطابه تعالى لموسى اخبره بانه سيبعث رسولا من صفاته كذا
وكذا ولما كان الرسول قد يكون ملكا اردفه بالنبي الامي قرئ بفتح الهمزة على انه من
تغيرات النسبة او نسبه الى الام بمعنى القصد اي انه المقصود للناس يأمرهم
الى اخره فيه ست طباقات وهي جمل من جوامع الكلم تجمع جميع ما تضمنته الشريعة
ويضع قرئ ويذهب اصرهم في قراءة آصارهم بالجمع وقرئ اصرهم بفتح الهمزة
والاغلال استعارة عن التكاليف الشاقة لانها كالطوق في
العنق وعزروه قال يونس ابن حبيب التعزير المدح والثنا وقرئ بالتخفيف
وقرئ بزاء من العز النور القران وقال ابن عطية هو كناية عن جملة الشرع
انزل معه اي عليه ازمن نبوته لان استنباه كان مصحوبا بالقران مشفوعا به
قل يا ايها الناس ابو حيان لما ذكر تعالى لموسى صفة محمد واخبار من ادركه وآمن به افلح
امر تعالى نبيه باشهار دعوته ورسالته الى الناس كافة والدعا الى الايمان بالله
ورسوله وكلماته واتباعه الذي في موضع نصب على المدح او رفع وجوز الزمخشري
اتباعه لله ولم ينل بالفصل وذكر هذه الصفات لانها تقتضي الاذعان والانقياد
لمرسله والاحسن كونها جملا مستقلة من حيث الاعراب وان كانت متعلقة بعضها
من حيث المعنى فآمنوا بالله ورسوله هو من تتمة كلام النبي المقول فهي ورسوله
التفات والاصل بي وعدل عنه لتكتبين احد بماد [illegible] التهمة من نفسه بالعصبية
لها والاخرى تلبسهم على استحقاقه الاتباع بما اتصف به من الصفات المذكورة
والخصايص المتلوه وكلماته قيل المراد كتبه القران وغيره وقيل كل المعجزات
وقرئ وكلمته على ارادة الجمع وقيل على ارادة عيسى لانه كلمته من الله وقرئ
بدله واياته ومن قوم موسى امة الاية قال هذه صفة المرضية لموسى يعني
انه تعالى لما اجاب سوال موسى كانت الحسنة لقومه بكتابتها لقوم محمد واثنى عليهم
جبر ما فاته من الجواب المرضي له بالثنا على قومه بان منهم هداة بالحق وعدولا
وبذلك عرف وجه مناسبة الاية لما قبلها وقطعناهم قرئ بالتخفيف اثنتي عشرة
بسكون الشين لغة الحجاز وقرئ بكسرها لغة تميم وبفتحها لغة اسباطا بدل لا تمييز
لانه لا يكون هنا جمعا اما بدل ثان او نعت اسباطا فانبجست قال ابو عمرو ابن
العلا انبجست عرقت وانفجرت سالت رزقناكم قرئ ورزقتكم بالتا حطة
قرئ بالنصب على المصدر نغفر بالنون وبالتا مبنيا للمفعول وقرئ بالياء كذلك
وقرئ بتا فوقية مفتوحة على ان الحطة تغفر لانها سبب الغفران خطاياكم

وفي قراءة خطيئاتكم بالجمع والافراد قال ابن عطية بدل غير اللفظ دون ان يذهب
بجميعه وابدل اذا ذهب به وجا بلفظ اخر واسألهم الضمير لقوم موسى من ادركه
من كان منهم في عصر الرسول لامر اريد بقوله واذ قيل لهم وسائر الضماير السابقة فهو استخدام
عن القرية اريد اهلها للضماير الاتية يعدون من العدو بمعنى الاعتدا وقرئ بضم
اوله وكسر العين وتشديد الدال واصله يعتدون سبتهم اضيف اليهم
لانهم مخصوصون باحكام فيه وقرئ اسباتهم بالكسر مصدر اسبت اذا دخل في السبت
يسبتون قرئ بضم اوله من اسبت وقرئ للبنا للمفعول اي لا يدار عليهم السبت
ولا يومرون بان يسبتوا معذرة اي موعظتنا وقرئ بالنصب اي وعظناهم
نسوا اي تركوا مبالغة عن السوء عدل اليه عن الضمير لقصد العموم وانزلنا الذين
ظلموا عدل اليه عن الضمير تنبيها على علية تنبيها الاخذ وهو الظلم بئيس بوزن كريم
مبالغة من باس وفي قراة بوزن خيه وفي اخرى بهمز بوزن [illegible] ووجهها بانه وصف
على وزن فعل او فعل الذم سمى به على حد نهى عن قيل وقال وقرئ بيس بالفتح بلا تنوين
فعلا بهمز ودونه اي بيس العذاب وقرئ فعلا بوزن شهد وبوزن فرح مشدد الهمزة
وبوزن ميت مشدد اليا وبوزنه مشدد الهمزة وبوزن حذلم وبيس كالاولى بكسر البا لغة
تميم وبأس فهذه اثنتان وعشرون قراءة فلما عتوا قيل هو تكرير فلما نسوا وبقية الاية
بيان للعذاب بئيس تأذن تفعل من الايذان وهو الاعلام اجري مجرى فعل القسم
كعلم الله وشهد الله فاجيب بما يجاب به القسم ربك فيه التفات عليهم اي اليهود فهو
غير مراد به ما اريد بالضماير قبله من الممسوخين وقطعناهم فيه التفات
دون ذلك اي دون اهل الصلاح اقام ذلك مقام اوليك وبلوناهم خلف بسكون اللام
في الذم واما بفتحها ففي المدح ورثوا قرئ بضم الواو وتشديد الرا عرض هذا الادنى
فيه تخسيس له وتحقير والادنى من دنو الحال وسقوطه وقلته الم يوخذ توبيخ ثم
وتقريع وتقرير ان لا يقولوا عطف بيان او بدل من ميثاق الكتاب ويجوز كون ان تفسيرية
فتقرى بيا الخطاب على الحكاية لا لالتفات على الله فيه التفات ودرسوا عطف
على الم يوخذ لانه في معنى الاثبات كقوله الم نشرح ووضعنا وقرا ادارسوا اصله
تدارسوا افلا تعقلون في قراءة بالخطاب التفاتا او خطابا لهذه الاية والذين
يمسكون بالكتاب اي يمن ورثه ففيه التفات على قراءة الخطاب وقرئ بالتخفيف
من امسك وقرئ تمسكوا واستمسكوا واقاموا الصلاة افردت بالذكر تعظيما
لشانها انا فيه التفات اجر المصلحين من اقامة الظاهر مقام المضمر نتقنا
النتق الجذب بشدة ظلة سحابة خذوا على تقدير قلنا واذكروا قرئ اذكروا
بالادغام وتذكروا وهذا اخر ما سبق في هذه السورة من قصة بني اسرائيل
مع نبيهم واذ اخذ ربك الاية اقول مناسبتها لما قبلها كون كل فيه اخذ الميثاق
وفي ربك التفات من ظهورهم بدل اشتمال من بني ادم ذرياتهم بالجمع والافراد
مفعول اخذ وهو بمعنى اخرج قال الزمخشري الدليل على ان هذه الاية معطوفة
عن قصة اليهود مسبوقة لاجل المشركين قوله او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل ويحتمل
انها سيقت لليهود لعطفها على قصصهم وكونها على نمطها واسلوبها ولقوله بعد واتل عليهم نبا

الذي اخذناه ابانيا شهدنا هو من قول الله وتمام قولهم بلى ففيه التفات
او من قول الملائكة فيقف زمالت الملايكة او هو من تمام قولهم ان يقولوا ن
بالغيبة والخطاب ففيه التفات نفصل بالنون ففيه التفات ان لم يكن شهد
من قوله تعالى وقري باليا ففيه التفات ان كان شهدنا من قوله واتل عليهم د
اي اليهود ابو حيان لما ذكر اخذ الميثاق على توحيده وربوبيته وان من كفر بعد
ذلك كان كافرا بعد اقراره بالربوبية ذكر حال من امن به ثم كفر بعده تعريضا
باليهود الذين كانوا مقرين منتظرين بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم فلما
بعث كفر واءبه فانسلخ الانسلاخ التعري من الشي حتى لا يعلق به شي ومن
ومن اطلاقه هنا استعارة اجري للمعاني مجرى الاجرام وقيل انه من باب
القلب اي انسلخت الايات منه ومن الاية من انواع البديع المزاوجة وفي فاتبعه
مشددا قال صاحب اللوامح بين تبعه واتبعه بالقطع ادركه ولحقه فمثله د
الى اخره قيل وجه التشبيه في تركه الحكمة حملها او لم يحملها وقيل مالكه على الرشا
وقلقه واضطرابه على تحصيلها فهو لا يزال تعبا فلقا في تحصيلها كما ان الكلب
لا يزال لاهثا وقيل لا يثبت الى الحق دعي او لم يدع اعطي او لم يعط قيل وشبه
بالكلب لانه لا شي في الحيوان اخس منه ابو حيان لما ذكر الاحسان باتيانه الايات ن اسنده
اتبعه اليه وفي الكلام حذف اي ولكنه اخلد فحططناه في مقابلة رفعناه
وجملة ان تحمل وما بعدها في موضع الحال وهو عزيز الوقوع ساء مثلا القوم وقري
ساء مثلا القوم من يهد الله فيه التفات فهو المهتدي روعي فيه لفظ من
ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون روعي فيه معناها وحسنه كونه فاصله
وفي الاية احتباك لان مقتضى التركيب فاولئك هم الضالون كما قال فهو المهتدي
لانه حذف اكتفا بذكر نظيره في الجملة الاولى وحذف من الاولى فهو الخاسر
اكتفا بذكر نظيره في الثانية ولقد ذرانا فيه التفات ابو حيان مناسبة
هذه الاية لما قبلها انه ذكر ما تقدم وعيد الكفار قيل وفي الاية قلب
اي ذرانا جهنم لكثير اولئك كالانعام اي في عدم الفقه في العواقب والنظر
للاعتبار والسماع للتفكر بل هم اضل لانهم يعصون ولا ينقادون لربهم والانعام
لا تعصي تنقاد لاربابها والانعام تعرف ربها وتسبح له وهم لا يعرفونه ولا
يسبحونه ولذلك قال اولئك هم الغافلون قيل للانتقال لا للابطال
ولله الاسما فيه التفات ابو حيان مناسبتها لما تقدم بانه لما ذكر انه ذرا لجهنم
كثيرا ذكر نوعا منهم وهم الذين يلحدون في اسمايه وهم اشد الكفار عتوا وايضا
فلما نبه على ان من اسباب دخول جهنم الغفلة عن ذكر الله امر هنا بذكره باسمايه
الحسنى وصفاته العليا وذر يستعمل كثيرا في الوعيد كقوله ذرني ومن خلقت
وحيدا والقراة يلحدون من الحد ولحد فقيل هما بمعنى وهو العدول عن الحق
والادخال فيه ما ليس فيه والرباعي اشهر استعمالا من الثلاثي وقيل الحد
مال والحوف ولحد ركن وانضوى سيجزون السين تحقق الوعيد ما كانوا يعملون
عام في الالحاد وغيره ولما ذكر انه ذرا للنار كثيرا فلذا اتى بمن التبعيضية والمراد

بهم

بهم من هذه الامة قاله ابن عباس واكثر المفسرين فهي في مقابلة قوله ومن قوم
موسى الاية وانظر الى ما تضمنه الفرق بين العبارتين من التشريف والتخصيص
والتكرير لهذه الامة حيث اضافهم الى ذاته الشريفة وانه خلقهم واضاف
اولئك الى صاحب دعوتهم وقيل في الاية حذف اي وممن خلقنا للجنة
لاثبات مقابلة في ذرانا لجهنم وفي خلقنا التفات والذين كذبوا باياتنا
عود الى ما كان الكلام فيه بعد الاستطراد سنستدرجهم قال ابو عبيدة
الاستدراج ان يدرج الى الشي في خفية قليلا قليلا ولا يهجم عليه واصله
من الدرجة وذلك ان الراقي والنازل يرقى مرقا وينزل مرقاة مرقاة ومنه درج
الكتاب طواه اليه شيا بعد شي ودرج القوم مات بعضهم في اثر بعض
ودرج الصبي قارب بين خطاه وقري باليا ففيه التفات وما بعده التفات
عنه واملي فيه انتقال من ضمير العظمة الى ضمير الافراد اي اوخرهم د
ملاوة من الدهور زمانا طويلا والمجرور ملياءان بالكسر والفتح كيدي متين
سمي فعله بهم كيدا لانه شبيه به من حيث انه في الظاهر احسان وفي الباطن
خذلان اولم يتفكروا قال الزملكاني تم الكلام هنا وما بصاحبهم نفي
مستانف والاستفهام هنا قيل توبيخ وقيل تحريض وقيل التقدير فيعلموا اما
بصاحبهم ولما حضهم على التفكر في امر الرسول والاستدلال على صدقه عقبه
بالحض على التفكر في امر الرسول والاستدلال على وحدانيته فقال
اولم ينظروا الاية فبدا بملكوت السموات والارض لعظمهما ثم بين ان في كل شي
من مخلوقاته انه على وحدانيته ثم نبههم على تفكر خاص بانفسهم وهو النظر
في اقتراب اجالهم ومبادرة الموت لهم على حال الغفلة ومن يضلل الله التفات
ويذرهم باليا والنون فيه التفات وبالرفع استينافا والجزم عطفا على محل
الجزا يسالونك اي اليهود كما دل عليه سبب النزول فهو عود بعد الاستطراد د
ومناسبة هذه الاية لما قبلها انه تقدم ذكر التوحيد والنبوة والقدر د
فاتبع بذكر المعاد اذ الاربعة مرتبطة بعضها في القران وايضا فلما تقدم
وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم المتضمن لان الاجل مكتوم عن الخلق وان
الموت انما يجي بغتة وفي ذلك حث على المبادرة الى التوبة والاسراع
الى الخير عقبه بامر الساعة وانه ايضا مكتوم عن الخلق ولا ياتي الا بغتة
حثا وتحذيرا الساعة من الاعلام الغالبة ايان قري بكسر الهمزة لغة
سليم استفهام من الزمان واغرب من قال اصله اي اوان حذفت الهمزة
لكثرة دوره وقلبت الواو يا فالتقى ثلاث يا آت تحذف احدها مرساها
مصدر اي ارساها اي قرارها والرسو ثبات الشي الثقيل ثقلت
استعارة للشدة والصعوبة واصله ان تعدى بعلى تضمن معنى ما يتعدى
معنا وضمنت في معنى على كانك حفي اي مبالغ في الاعتنا بها مستقصي متتبع د
مشتغل به جملة معترضة بين يسالونك وعنها لان حفيا يتعدى بالبا وقيل عدي
هنا بعن لتضمنه يعني كاشف او على بمعنى الباء وقرا ابن مسعود كانك حفي عنها

قال انما علمها عند الله كرر الجواب كما كرر السوال توكيدا قل لا املك لنفسي
الاية نزلت لما قال اهل مكة الا تخبرنا بالسعر الرخيص قبل ان يغلوا فنشتري ونربح
قال ابو حيان ومناسبتها لما قبلها ظاهرة جدا يعني انه احدا لامور التي لا يعلمها الا الله كعلم
الساعة وهذه الاية كالشارحة لاجمال اية الانعام قل لا اقول لكم عندي خزاين
الله ولا اعلم الغيب الكرماني قدم هنا النفع على الضر لمناسبة ما قبله وما بعده
ومن تقديم الهداية على الاضلال في قوله من يهدي الله الاية والخير على السوء
قوله لاستكثرت من الخير وما مسني السوء وقدم في يونس الضر على النفع لانه
الاصل اذ العبادة لله تكون اولا خوفا من عقابه ثم طمعا في ثوابه ولذلك قال
يدعون ربهم خوفا وطمعا فكذا اكثر ما ورد في القران بتقديم الضر على النفع
وما قدم فيه النفع فلسابقة لفظ يتضمنه وذلك ثمانية مواضع هذا احدها
وفي الانعام لتقدم ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل وفي يونس لتقدم ثم
ننجي رسلنا ولا تدع وفي الانبيا لتقدم لقد علمت ما هاولا ينطقون وفي الفرقان
لتقدم نعم كثيرة وفي الرعد لتقدم طوعا او كرها بتقديم الطوع وفي سبا
لتقديم يبسط الرزق بتقديم البسط وفي الشعرا لتقديم هل يسمعونكم اذ تدعون
وهذا من لطايف القران وساطع براهينه لاستكثرت من الخير وما مسني
السوء فيه لف ونشر مرتب وقيل تم الكلام عند قوله من الخير وما مسني استيناف
اي لم يمسني السوء وهو الجنون الذي رموني به قال مورج السوء الجنون
بلغة هذيل نذير قيل فيه حذف فاكتفا به اي للكفار لدلالة ما بعده
عليه قلت ولما كانت هذه السورة مكية قدم النذارة ولما كانت
سورة البقرة ملية مدنية قدم البشارة في قوله انا ارسلناك بالحق بشيرا
ونذيرا هو الذي خلقكم قال ابو حيان مناسبة هذه الاية لما قبلها انه لما
ذكر الساعة والكفار لا يؤمنون بها ذكر بدا الخلق دليلا على الاعادة وقيل
وجه المناسبة انه لما ذكر الملحدين في اسمايه الذي اشتقوا منها اسما اصنامهم
فاخذوا اللات والعزى من العزيز وامرهم بالنظر والاستدلال
على الوحدانية من هنا ان اصل الشرك من ابليس حيث ادخله على ادم وحوا بقوله لهما
سميا الولد عبد الحرث وفي ذلك ايما الى الاتحاد في الاسما منها اعيد الضمير
فيه الى النفس مونثا باعتبار اللفظ وفي ليسكن مذكرا باعتبار المعنى
وحسنه كون الذكر هو الذي يسكن الى الانثى ويغشاها كناية عن الجماع والحمل
بالفتح ما كان في البطن او على راس شجرة وبالكسر ما كان على ظهر او راس غير شجرة
وقري بالكسر فمرت به قال الحسن اي استمرت به وقيل هو على القلب
فمرت اي استمر بها وقري بتخفيف الراء من المرية اي سكت فما اصابها او حمل
اومرض وقري فمارت مخففا اي جات وذهبت الريح اورابت ماري ه
وقرا ابن مسعود فاستمرت كلاها وقرا سعد ابن ابي وقاص فاستمرت به وقري
اي فاستمارت به من المرية اثقلت دخلت في الثقل كاصبح وامسى اوصارت
ذا ثقل كاتمر الرجل والبقل وقري بالبنا للمفعول شركا بالجمع وفي قراة بكسر

السين

السين وسكون الرا مصدر بمعني الشريك اعلم ان الحديث ورد ان الاية في قصة ادم
وحوا اخرجه احمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه من حديث سمرة مرفوعا
وله شاهد عن ابن عباس بسند صحيح اخرجه ابن ابي حاتم وسياق الاية يرشد الى
ذلك وقد توقف جماعة في ذلك لقوله في اخر الاية فتعالى الله عما يشركون والانبيا
معصومون من الشرك قبل النبوة وبعدها اجماعا فالجاهر ذلك الى حمل الاية على بعض
مشركي العرب وزوجه والى القدح في الحديث وهذا كله تصور منهم فان
حمل الاية على غير ادم وحوا مناف لها ولها كل المنافاة والقدح في الاحاديث
الصحيحة لا يليق باهل المعرفة والذي تخلص من الاشكال ان قصة ادم وحوا
تمت عند قوله فما اتاهما وان قوله فتعالى الله تخلص الى قصة مشركي العرب
ولذلك انتقل الى يشركون ما لا يخلق الى اخره وقد وجدت السلف يفطنوا الذلك
فاخرج عبد الرزاق عن السدي قال هذا من الموصول المفصول واخرج ه
ابن ابي حاتم عنه في قوله فتعالى الله عما يشركون قال هذه فصل من ادم
خاصة في الهة العرب واخرج من طريق السدي عن ابي مالك قال هذه مفصولة
اطاعاه في الولد فتعالى الله عما يشركون هذه لقوم محمد وبهذا التقرير انحلت
هذه العقدة وانحلت هذه المعضلة ويوضح ذلك تغيير الضمير الى الجمع بعد التثنية
ولو كانت القصة واحدة لقال عما يشركان كقوله دعوا الله ربهما لئن اتيتنا
صالحا جعلا له شركا فيما اتاهما فغاير الاسلوب في الضمير لا لنكتة وهي اختلاف
المخبر عنه ولذلك وردت الضماير في الايات المنفصلة بها بصيغة الجمع ه
واكد ذلك ايضا بالعدول من الغيبة الى الخطاب في قراة تشركون
بالفوقية فانه خطاب للعرب المخاطبون بقوله اول الاية خلقكم من نفس واحدة
وهذا النوع بديع من فنون القران وهو الموصول لفظا المفصول معنى وقد
عقدت له بابا في الاتقان اوردت فيه عدة امثلة وذكرنا في هذا الكتاب
في محلها ايشركون قرابتنا الخطاب ما لا يخلق فيه تغليب غير العاقل لكثرته وهم
يخلقون فيه تغليب العاقل وحسنه مراعاة الفاصلة وان تدعوهم
فيه التفات على قراة ايشركون بالغيبة وضميرهم للشركا الاصنام وقيل
الخطاب للرسول والمومنين وضميرهم للكفار لا يتبعوكم مشدد ومخفف
ام انتم صامتون صح عطفها على الفعلية لانها في معنى ام صمتم وحسنه مراعاة الفا صلة
وان الصمت امر لازم والدعا يحدث ويتجدد وناسب الاول الاسم والثاني
الفعل ان الذين الاية جملة موكدة لما قبلها وقري بتخفيف ان نافية ونصب
عبادا اخرها اي ليسوا امثالكم بل انتم اشرف منهم لما لكم من الارجل والايدي
والاعين والاذان فكيف تعبدون من هو دونكم ومعنى القراة المشهورة
انهم مثلهم في كونهم مخلوقين مملوكين فلا منافاة بين القراتين وخرج ابو حيان
الشاذة على انها ان المخففة اعملت على لغة من ينصب بان الجزين وفي ذلك
شذوذان والاول اسهل منه وامثالكم على هذه القراة بالنصب تابع وقري
بالرفع خبران مخففة وعبادا حال من عايد الصلة فليستجيبوا امر تعجيز الهم

الاية استفهام انكار وتعجب وفي الاية الترقي من الادني الى الاعلى لان الايدي اشرف
من الارجل والاعين اشرف منها والسمع اشرف من البصر والقراة يبطشون بالضم والكسر
والبطش الاخذ بقوة ان ولي الله اعلام بانه لا يضرهم كيدهم شيا وقري بيا واحدة
على حذف احدي الاليات اوعلى تقدير ان اوليا الله تحذف التنوين للساكن على حد
ولا ذاكر الله الا قليلا وقري ولي الله تيا واحدة والاضافة الى الله والمراد به جبريل
والتقدير ان ولي الله من هو صالح تحذف لدلالة وهو يتولى الصالحين والذين تدعون
من دونه لا يستطيعون الاية هذا معني ما تقدم في قوله ولا يستطيعون لهم نصرا الاية
قال الواحدي واعيد لان الاول مذكور على جهة التقريع وهذا مذكور على جهة الفرق
بين من يجوز له العبادة ومن لا يجوز كانه قيل الا لان المعبود يجب ان يكون يتولي الصالحين
وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تكون صالحة للالهية وتراهم الاية اثبت النظر
مجازا يعني المقابلة ونفاه حقيقة اقول وغاير بين اللفظين في الاثبات
والنفي حيث عبر في الثاني بالبصر لئلا يكون الكلام كالمتناقض والخطاب في تراهم والكك
للرسول او لكل مخاطب وافرد بعد جمع تدعوهم لانه اقتطع من جملة الشرط واستونف
للاخبار عن حالهم وقيل الاية في الكفار لا في الاصنام والنظر المثبت الحقيقي والمنفي المجازي
ويناسبه قوله في الاية بعده واعرض عن الجاهلين خذ العفو هذه الاية جامعة
لمكارم الاخلاق فقد وردا انه وردت بها قال جعفر الصادق ليس في القران انه
اجمع لمكارم الاخلاق منها ومن استعمال هذه اللفظة في كلام العرب قول حاتم
خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين اغضب
وقري بالعرف بضمتين واما ينزغنك اي يحملك توسوسة على ما لا يليق والنزغ ادني
حركة ومن الشيطان ادني وسوسة قاله الزجاج وقال ابن عطية حركة فيها فساد
وقيل ما يستعمل الا في فعل الشيطان لان حركاته مسرعة مفسدة قال وينزغنك عام
في الغضب وتحسين المعاصي واكتساب الغوايل وغير ذلك وفاعل ينزغنك نزغ من الاسناد
الى المصدر على جد جد جده انه سميع عليم ختم بهما لان الاستعاذة يكون باللسان ولا
تجدي الا باستحضار معناها بالقلب فسميع راجع الى القول اللساني وعليم الى الاستحضار
القلبي وفي حم السجدة انه هو السميع العليم بالتعريف لان هذه نزلت
اولا وثانيا تحسن التعريف اى هو السميع العليم الذي تقدم ذكره عند نزغ الشيطا ن
ابو حيان مناسبة الاية لما قبلها ظاهرة جدا ولما ذكر نزغ الشيطان للرسول
اعقبه بمس طايفة للمومنين فقال ان الذين اتقوا الاية قال ابو حيان والنزغ
اخف من مس طايف لان النزغ ادني حركة والمس الاصابة والطايف يشعر بالطواف ن
والدوران حول المنزو لا محالة فكان للمتقين مزيد في ذلك على الرسول وانظر حسن
هذا البيان حيث جا الكلام في الرسول بلفظ ان المحتملة للوقوع وعدمه المقتضية
لندرته على تقدير وقوعه وفي المتقين باذا الموضوعة للتحقق والكثرة فالمس بـ
لهم واقع لا محالة وغالب والنزغ له قد تقع وقد لا تقع واذا وقعت فهي نادرة
وفي مس طايف استعارة بالقراة طايف اسم فاعل وطيف مصدر او مخفف
من طيف المشدد وقري به قال ابو عمرو هما بمعني الوسوسة وقال الكسائي الطيف اللمم

والطايف

الطايف ماطاف حول الانسان وقال الفارسي الطيف كالخطرة والطايف
كالخاطر وعن اطلاقهما لوسوسة ويختص الخيال بالطيف فلا يقال فيه طايف
لانه اسم فاعل لاحقيقه ونحو فطاف عليها طايف من ربك بالطايف فلا يقال فيه
طيف لانه اسم فاعل حقيقة قاله السهيلي تذكروا على حصول نسيان لهم
وقرا ابن الزبير تاملوا وقرا اذا طاف من الشيطان طايف تاملوا وفي نفيه
الاية مفاجاة الابصار عقب التذكر واخوانهم الضمير للشياطين الذي دل
عليه الشيطان والواو في يمدونهم لهم ابصارهم فيه للاخوان وهم الكفار
ويجوز عود ضمير واخوانهم الى المتقين واريد باخوانهم الكفار من باب اخوة
التقابل كما يقال الليل والنهار اخوان وقيل ضمير اخوانهم للجاهلين مرادا بهم
من يغويهم من شياطين الانس والجن والاول قول الجمهور ورجحه ابن جرير
وقال الزمخشري انه اوجه لانه في مقابلة الذين اتقوا والقراة يمدونهم
من مد وامد وقري يمادونهم وفي مبصرون ومقصرون لزومها لا يلزم وقري
يقصرون من قصر وادعى الزجاج ان اخوانهم الاية متصل بقوله ولا يستطيعون
لهم نصرا الاية اجتبيتها قال الفرا العرب تقول اجتبيت الكلام
وارتجلته واختلقته اذا افتعلته من قبل نفسك قال ابو حيان وهذا القول
منهم من سابع الامداد في الغي هذا بصاير اخبر عن المفرد بالجمع لان المشار اليه
القران وهو يشتمل على سور وايات وبينات وحجج وهدي ورحمة لقوم يومنون
الامام الناس في الاستدلال بالقران على التوحيد والنبوة والمعاد ثلاثة
اقسام احدها الذين بالغوا في هذه المعارف الى حيث صاروا كالمشاهد
لها وهم اصحاب عين اليقين فالقران في حقهم بصاير والثاني الذين وصلوا
الى درجات المستدلين وهم اصحاب علم اليقين فهو في حقهم هدي والثالث
من اعتقد ذلك الاعتقاد الجازم وان لم يبلغ درجة المستدلين وهم عامة
المومنين فهو لهم رحمة وهم الذين قال ورحمة لقوم يومنون ولما ذكر
انه بصاير وهدي ورحمة امر بالانصات اليه عند قراته لان ما اشتمل على
هذه الاوصاف حذير بالاصغا اليه ليحصل للمنصت منه هذه النتايج العظيمة
فقال واذا قري الاية قال الفرا الانصات السكوت للاستماع
ونصت وانصت واحد وقال الزجاج المراد باستمعوا له وانصتوا
اعملوا بما فيه ولا تجاوزوه نحو سمع الله لمن حمده اي اجابه وقبله ولما امرهم
بالاستماع لقراة القران انتقل الى امر رسوله فذكر ربه فقال واذكر ربك الاية
فذكر نوعي الذكر الفاضلين اذا صار الذكر الخفي وافضل النوعين ذكر القلب
الذي لا يسمعه الحفظة كما في الحديث فذا ابه وضرورة القلب بما فيه تعالى
تضرعا لطلب الثواب وخيفة من ترك العقاب ولما قال في نفسك ودون
الجهر اعني عن او يقول خفية ولما لم يذكر في الاية السابقة ما يدل على ذلك
قال ادعوا ربكم تضرعا وخفية وفي ربك تشريف واشعار بالاحسان والتربية
فاختير على لفظ الله ولمطابقته لتضرعا وخيفة لانه تصريح بمقام العبودية

سورة الانفال

بالغدو قيل هو جمع غدوة فلذا قابله بالجمع وقرئ الايصال مصدر اصلت دخلت في وقت الاصيل فيكون الغدو ومثله ولا تكون من الغافلين مناسب للابتدا بالذكر ففيه مبالغة تقدمت مرارا ثم النهي له والمراد منه تعريضا ولما ذكر بالذكر اخبر عن الملايكة انهم يذكرونه حثا للمومنين على التشبه بهم والمناظرة لهم فقال ان الذين عند ربك وفيه اقامة الظاهر مقام المضمر ومعنى العندية الزلفى والقرب وله يسجدون قدم المجرور للاختصاص والفاصلة والتعريض بالكفار الذين يسجدون اخره سورة الانفال

وضع هذه السورة وبراة هنا ليس بتوقيف من الرسول للصحابة كما هو المجمع عليه في الايات والمرجح هو في ساير السور بل من اجتهاد من عثمان رضي الله عنه كما دل عليه الحديث الاتي وقد كان يظهر في بادي الراي ان المناسب ايلا الاعراف بيونس وهود لاشتراك كل في اشتمالها على قصص الانبيا وانها مكية النزول خصوصا ان الحديث ورد في فصل السبع الطول وعد وانه يونس في فصلها من الاعراف في بسورتين فصل للنظر من ساير نظايره هذا مع قصر سورة الانفال بالنسبة الى الاعراف وبراة وقد استشكل ذلك قديما حبر الامة وترجمان القران ابن عباس فاخرج احمد وابو داود والترمذي والنساي وابو حبان والحاكم عن ابن عباس قال قلت لعثمان ما حملكم على ان عمدتم الى الانفال وهي من المثاني والى براة وهي من المبين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطول فقال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عليه السورة ذات العدد فكان اذا انزل عليه الشي دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هاولا الايات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الانفال من اوايل ما انزل بالمدينة وكانت براة من اخر القران نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت انها منها فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها فمن اجل ذلك قرنت بينهما ولم اكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطول فانظر الى ابن عثمان رضي الله عنه كيف استشكل على عثمان امرين وضع الانفال وهي قصيرة مع السور الطويلة ووضعها هي وبراة في اثنا السبع الطول مفصولا بهما بين الست والسابعة وانظر عثمان رضي الله عنه كيف اجابه اولا بانه لم يكن عنده في ذلك توقيف وانه استند الى الاجتهاد وانه قرن بين الانفال وبراة لكونها مشبهة لقصتها في اشتمال كل على الامر بالقتال ونبذ العهود وهذا وجه من المناسبة جلي فرضي الله عن الصحابة ما ادق افهامهم واجزل ارايهم واعظم احلامهم واقول تتم بيان مقصد عثمان رضي الله عنه في ذلك بامور الاول انه جعل الانفال قبل براة وبراة سورة واحدة لا سورتان الثاني انه وضع براة هنا لمناسبة الطول فانه ليس في القران بعد الست السابقة سورة اطول منها وذلك كاف في المناسبة الثالث انه خلل بالسورتين اثنا السبع الطول المعلوم ترتيبها

في

في العصر الاول للاشارة اي ان ذلك امر صادر لا عن توقيف والى ان الرسول صلى الله عليه وسلم قبض ان يبين محلها فوضعتا هنا بالموضع المستغار بخلاف ما لو وضعا بعد السبع الطول فانه كان يوهم ان ذلك محلها بتوقيف وترتيب السبع الطول يرشد الى دفع هذا الوهم فانظر الى هذه الدقيقة التي فتح الله بها وهي يغوص عليها الا غواص الرابع انه لو اخرهما وقدم يونس ثم اتى بهود كما في مصحف ابي لمراعاة مناسبة السبع الطول وايلا بعضها بعضا لفاته مع ما قدمنا امر اخر اكد في المناسبة فان الاولى بسورة يونس ان تولى بالسور الاربعة التي بعدها لما اشتركت فيه من تناسبها في المقدار ومن اشتمال هود على قصص الانبيا ويوسف على قصة نبي وكذا ابراهيم ومن كون الجميع مكيات ومسبحة بالحروف المقطعة ومسماه باسم نبي والرعد اسم ملك وهو مناسب لاسما الانبيا فهذه خمسة اوجه في مناسبة الاتصال بين يونس وما بعدها وهي اكد من ذلك بالوجه الواحد في تقديم يونس بعد الاعراف ولبعض هذه الامور قدمت سورة الحجر على النحل ووضعت بعد سورة ابراهيم ولو اخرت براة بعد هذه الخمسة او الستة لبعدت المناسبة جدا لطولها بعد عدة سور اقصر منها بخلاف سورة النحل بعد الحجر التي اقصر منها فانها ليست كبراة في الطول ويشهد لمراعاة الفواتح في مناسبة الوضع ما ذكرناه من تقديم الحجر على النحل لمناسبة الراها قبلها وما تقدم من تقديم ال عمران على النسا وان كانت اقصر لمناسبة البقرة وايلا الطواسين والحواميم بعضها بعضا وتولي العنكبوت والروم ولقمان والسجدة لافتتاح كل بالم ولهذا قدمت على الاحزاب الذي هي اطول منها هذا ما فتح الله به في هذا المحل وان فتح بزيادة الحقتها واما ابن مسعود فقدم في مصحفه البقرة والنسا وال عمران والاعراف والانعام والمايدة ويونس فراعى السبع الطول وقدم الاطول منها فالاطول ثم ثنى بالمبين فقدم براة ثم النحل ثم هود ثم يوسف ثم الكهف وهكذا الاطول فالاطول وذكر الانفال بعد النور ووجه مناسبتها لها ان كلا مدنية ومشتملة على احكام وان في النور وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم الاية وفي الانفال واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون الاية ولا يخفى ما بين الايتين من المناسبة فان الاولى مشتملة على الوعد بما تضمنته الثانية فتامل يسالونك عن الانفال ابن الزملكاني هو مطلق قيده قوله قل الانفال لله والرسول اذ دل على ان السوال كان عن الانفال لمن هي وليس في قوله قل الانفال لله بيان للعلة في ذلك كما قال فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم دل على ان العلة فيه لهم في الانفال وانتفل القسمة لا لانفصل من الله على هذه الامة اذ لم تحل لاحد قبلها انتهى واقول قد تظافرت الاحاديث على ان سبب نزول هذه وما اتصل بها بنازع الصحابة في غنايم بدر ويستنتج من هذا امور منها وجه تسمية السورة بالانفال لانه المقصود الاعظم منها

ومنها ان المقصد من السورة بيان قسمة الغنائم ولمن هي وقد قدمنا غير مرة ان السورة
القران فلتستفتح بما يشير الى المقصود ثم يستطرد منه الى غيره بادنى ملابسة ثم يعاد
الى تقرير المقصود باوضح مما ذكر في المفتتح ثم يستطرد منه من شي الى شي ثم يشار في
اخر السورة الى مثل ما افتتح به وهنا قد افتتحت السورة بحكاية السوال والجواب
اجمالا ثم استطرد منه الى شرح قصة بدر التي وقع السوال عن غنائمها ثم الى اشيا ملايمة
ثم عاد الى تقرير المقصود بقوله واعلموا انما غنمتم من شي الاية ثم استطرد منه
الى عدة اشيا ثم ختم بذكر الغنائم في قوله ما كان للنبي ان تكون له اسرى الايات
فانظر الى هذه البراعة العظيمة في تخصيص كل من المواضع الثلاثة بما ذكر فيها
وتامل بذوقك ترى العجب العجاب فانه لو ابتدا بذكر القسمة اولا لم يومن
عدم طانينة بعض القلوب بذلك حيث اخرج بعض الغنيمة عن الغانمين وهم
ذووا القربي واليتامي والمساكين وابن السبيل وهو السهم الذي جعل الله
فبدي اولا بالاخبار بان الغنائم ملك لله ورسوله يجعلونها حيث شا ليستقر
ذلك في القلوب وتسكن النفوس وتستوطن على اخراجها كلها عنهم وانها ملك لهما
لا شبهة في ملكهما وقوي ذلك بما اتصل به بان الله هو الناصر والوالي والممد
الى غير ذلك فلا ريب اذا كانت الانفال بملكه وملك رسوله فلما توطنت
على ذلك جا بيان القسمة المذكورة باثبات الاخماس الاربعة لهم واخراج
الخمس عنهم لمن سماه فسهل قبول ذلك والاذعان له ولو قدم الغنب على اخذ الفدى
من الاسري اول السورة لكادت قلوب الخلص تنفر من بيان الغنائم
ولكن اخرها الى اخر السورة بعد تقرر قسمة الغنائم واطابتها للنفوس فسبحان
الحكيم المنزل لهذا الكتاب الباهر على ترتيب الحكمة الباهرة وقرا سعد بن ابي
وقاص وابن مسعود يسالونك الانفال بحذف عن فقيل هي مقدرة وقيل
ان لكل قراة معنى قال العلما السوال اذا كان لاقتضا معنى في نفس المسئول
عنه تعدى بعن نحو يسالونك عن الساعة يسالونك عن الشهر الحرام
ومنه يسالونك عن الانفال اي عن حكمها وقال السائل سلني ان جهلت
الناس عنا وعنهم وتقول سالت زيدا عن مسئلة كذا واذا كان لاقتضا مال
او نحوه تعدى للمفعول الثاني بنفسه نحو واذا سالتموهن متاعا وتقول
سالت زيدا مالا ومنه يسالونك الانفال اي يطلبونها منك او تعطيها
لهم وكل صحيح فان الصحابة من سال حكمها ومنهم من سال ان يعطيه منها شيا
منهم سعد صاحب القراة ساله منها سيفا فنزلت كما اخرجه احمد وغيره
وقرى يسلونك الانفال بنقل حركة الهمزة بعد حذفها الى لام التعريف
وادغام النون فيها ذات بينكم ابن الملكاني اي خصومة بينكم وقال
ابو حيان البين هنا الفراق والتباعد ذات نعت لمحذوف اي احوالا ذات
افتراقكم لما كانت الاحوال ملابسة للبين اضيف صفتها اليه كما تقول
استقني ذا انائك اي صاحب انائك اي ما فيه من الما وقيل البين بمعنى الوصل
وعليه الزجاج وقال ابن عطية ذات هنا يراد بها نفس الشي وحقيقته

والذي ينهم من بينكم هو معنى يعم جميع الوصل والتحامات والمودات
وذات ذاتك هو المامور باصلاحها اي نفسه وعينه فحض الله على اصلاح تلك
الاجزا فاذا اصلحت صلح ما يعمها وهو البين الذي لهم وقد تستعمل لفظة الذات
على انها الدسمة ما يضاف اليه وان لم يكن نفسه وعينه وذلك في قوله بذات
الصدور وذات الشوكة ويحتمل ذات البين ان يكون بعد. انتهى ابو حيان
امرهم اولا بالتقوى لانها اصل الطاعات ثم باصلاح ذات البين لان ذلك
الهم نتايج التقوى في ذلك الوقت الذي تشاجروا فيه ثم امر بطاعته
وطاعة رسوله فيما امرهم به من التقوى والاصلاح وغير ذلك وعلقه بقوله
ان كنتم مومنين على وجه التهييج والالهاب كما يقول الاب لابنه ان كنت ابني
فاطعني وعلى معنى ان كنتم كاملي الايمان وكذا قال عقبه انما المومنون اي الكاملون
الايمان به اخبر عنهم بوصول وصل بثلاث مقامات عظيمة مقام الخوف
ومقام زيادة الايمان ومقام التوكل ولما كانت هذه جامعة الافعال
القلوب عقبها بانه مشتمله على افعال الجوارح والمال فذكر اقامة الصلاة
والصدقة لانهما عمود الافعال والجوارح والمال ثم اكد الحصر السابق
بقوله اولئك هم المومنون والمضمون هذه الجملة بقوله حقا فانه مصدر
موكد واقع لتوهم المجاز في الاسناد الخبري ثم اخبر ما ادخر لهم عنده فذكر ثلاثة
امور الدرجات وهي في مقابلة الاعمال القلبية والمغفرة وهي في مقابلة
البدنية لان الصلاة تكفر السيات والرزق الكريم وهو في مقابلة المالية
قال ابو حيان وهذا النوع من المقابلة من بديع علم البديع وقيل ان حقا متصل
بقوله لهم درجات وكذا في اخر السورة وقرى وجلت بفتح الجيم وقرا ابن مسعود
وفرقت وابي فزعت ابن جماعة قال هنا اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وفي الرعد
الا بذكر الله تطمئن القلوب لان المراد هنا ذكر عظمة الله وجلاله وشدة
انتقامه ممن عصى امره لان الاية نزلت عند تنازعهم في غنائم بدر فناسب
ذكر التخويف واية الرعد نزلت فيمن هداه واناب اليه فالمراد بذلك الذكر
ذكر رافته ورحمته وعفوه ولطفه لمن اطاعه واناب اليه وجمع بينهما في اية
الزمر فقال تقشعر جلود الذين يخشون ربهم اي عند ذكر عظمته
وجلاله وعقابه ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اي عند ذكر رحمته
وعفوه وكرمه كما اخرجك ربك من بيتك بالحق قال ابو حيان ليس في القران
اشكل من هذه الجملة وقد اضطرب المفسرون فيها على اربعة عشر قولا احدها
ان الكاف بمعنى واو القسم وما بمعنى الذي واقعة على الله وجواب القسم يجادلونك
اي والله الذي اخرجك من بيتك بالحق يجادلونك قاله ابو عبيدة
ان الكاف بمعنى اذ وما زايدة اي اذ اخرجك الثالث الكاف بمعنى الذي
اي امض على الذي اخرجك وردت الثلاثة بمعنى ثبوت المعاني المذكورة في لسان
العرب وخلو الموصول على الاخير عن عايد الرابع قال عكرمة التقدير واطيعوا الله
ورسوله فالطاعة خير لكم كما كان اخراجك خيرا لهم الخامس قال الكسائي المعنى كما اخر

علي كراهة فريق منه كذلك يجادلونك في قتل كفار مكة لكراهتهم ذلك ويودون ان
غير ذات الشوكة من بعد ما تبين لهم انك تفعل ما امرت به لا ما يريدون فالتشبيه
واقع في الكراهتين كما حققه ابن عطية السادس قال الفرا التقدير امض لامرك
في الغنايم ونفل من شئت وان كرهوا كما اخرجك ربك وهم كارهون قال ابن عطية
وتحريره ان يقال هذه القصة من اخراج الله الانفال عنهم وجعلها لله ولرسوله
كقصة اخراجه من بيته فانهم كرهوها وكانت خيرا لهم فهذه خير لهم وان كرهوه
فالخيرة فيما صنع الله وكذا قال ______ الزمخشري الكاف خبر مبتدا محذوف
اي هذه الحال في كراهتهم لها مثل حالهم في كراهة خروجهم للحرب السابع قال
الاخفش الكاف نعت لحقا التاسع انها في موضع رفع اي كما اخرجك فاتقوا الله كانه
ابتدا وخبر التاسع انها في موضع نصب صفة مصدر اي الانفال ثابتة لله
ثباتا كما اخرجك اي مثل ثبات اخراج ربك اياك العاشر انها رفع اي هذا وعد
حق كما والاشارة الي بهم درجات الي اخره الحادي عشر ان المعنى واصلحوا ذات
بينكم خيرا لكم كما فالكاف نعت لخبر ابتدا محذوف الثاني عشر المعنى يسمك الغنايم
حق كما كان خروجك حقا الثالث عشر ان التشبيه وقع بين اخراجين
اي اخراج ربك اياك من ملتك وهو مكة وانت كاره لخروجك وكانت عاقبة
ذلك الخير والنصر والظفر كاخراج ربك اياك من المدينة وبعض المومنين
كاره ويكون وراءه الظفر والنصر الرابع عشر المكان يتعلق بقوله فاضربوا
فوق الاعناق وهي للتشبيه مجازا كقول القايل لعبده كما وجهتك الي اعدايي
فاستضعفوك وسالت مددا فامددتك وقويتك وازحت عللك فخذهم
الآن فعاقبهم وكما كسوتك واجريت عليك الرزق فاعمل كذا كما اخرجك
ربك من بيتك بالحق وغشاكم النعاس امنة منه يعني اياه ومن منه وانزل
عليكم من السما ما ليطهركم به وانزل عليكم من السما ملايكة مردفين فاضربوا
فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان كانه يقول قد ازحت عليكم وامددتكم
بالملايكة فاقتلوا الكفار وكل هذه الاقوال وغالبها متكلف ولبعض فيها
سي يستعس كما قال ابو حيان قلت ______ والانسب عندي السادس
ثم قال ابو حيان ظهر لي في المنام انها متعلقة بمحذوف تقديره نصرك
وان الكاف للتعليل او لاجل ان خرجت لاظهار دين الله واقرار شريعته
وقد كرهوا خروجك تهيبا للقتال وخوفا من الموت وجادلوك في الحق
بعد وضوحه نصرك الله وامدك بملايكته وفي اسرار التنزيل لابن الزملكاني
قيل كما متصل بيجادلونك وغيران مجادلتهم في الحق مذمومة عنده تعالى
وفعله سبحانه لا يقع فيه ذم فالتشبيه محمول عن موضعه وكذا لو جعل متصلا
بكارهون لان وافق على كراهتهم ايضا فالتقدير كما كانت كراهتهم لاخراج الله
اياك بالحق يجادلونك في الحق بعد ما تبين وهو شبيه بقوله افان مت
فهم الخالدون او فان مات او قتل انقلبتم وقوله كانما يساقون الي الموت
متصلا بقوله وان فريقا من المومنين لكارهون وهذا قد يوول الي القول السادس

ويه

وفيه مزيد تدقيق وقري بعد ما تبين **وهم ينظرون** اي يعلمون انه واقع بهم
او ينظرون اسبابه **واذ يعدكم** هذا مبدا تعداد النعم علي المومنين في وقعة
بدر وبذكرهم انه ليدعو الامره تعالى في الانفال ولكونه سبقت للتعديد
جات بغير عاطف اذ تستغيثون اذ يغشاكم اذ يوحي فكلها منصوبة باذكروا مقدرا
وقري بعد ما تبين وقري يعدكم بسكون الدال وقري الله احدي باسقاط الهمزة
علي غير قياس وقري احد بالتذكير ان تانيث الطايفة مجاز وقري بكلمته
علي ارادة الجمع او ارادة كلمة تكوين الاشيا وهي كن فيكون والمراد بكلماته
ما وعد نبيه بقوله يوم نبطش البطشة الكبري الاية في ايات اخر من هذا النمط
ليحق الحق متعلق بمقدر اي فعل ذلك قال ابو حيان وتقديره متاخرا احسن وقال
الزمخشري يجب ان يقدر متاخرا حتى يفيد مع الاختصاص وينطبق عليه المعنى
وقيل متعلق بيقطع ابن جماعة ان قيل ليحق الحق ظاهره انه من تحصيل الحاصل فالجواب
ان معناه ليثبت عند المسلمين الحق عنده ابن الزملكاني ويريد الله ان يحق الحق
بكلماته اي ينصر دينه ويويده دل عليه قوله ويقطع دابر الكافرين وقوله
ليحق الحق اي يظهر ولفظ الفصلان بمعنى واحد او يصير علي حد اريد ان اعطيك
اعطيك وقوله ويبطل الباطل اي يعني الكفر ولو كره المجرمون انتهى قال
ابو حيان وتوهنا مثلها في ردوا السايل ولو بظلف اكرم زيدا ولو اساء الاتية
لاستقصا ما يظن انه ما يندرج في عمومها قبلها للمنافاة بينها قيل هاتان الايتان
متقدمتان في النزول علي كما اخرجك ربك وفي التلاوة بعدها لمقابل الحق
بالخوف والكراهة بالكراهة **اذ تستغيثون** قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
فقط لانه الذي استغاث يوم بدر كما في حديث الترمذي وغيره فهو من خطاب
الواحد بخطاب الجمع تعظيما والاستغاثة طلب الغوث والنصر وقيل طلب
سد الخلة عند الحاجة **اني** بالفتح وبالكسر علي الحكاية باستجاب لانه في معنى
القول ______ **بالف** قري بالمد بوزن افلس علي الجمع وقري بالاف
فالافراد لمن قابل والروس **مردفين** بفتح الدال وكسرها اي جلب كل ملك ملكا
وراه وقري بفتح الرا وكسر الدال المشددة والاصل مرتدفين وقري
بضم الرا اتباعا للميم وبكسرها اتباعا للدال **وما جعله** اي الامداد الابشري
زاد في ال عمران لكم لان القصة فيها مطنبة وهنا موجزة وقدم به هنا
واخره هناك تفننا وجاهنا ان الله عزيز حكيم لانه منقطع عما بعده وهناك
من عند الله العزيز الحكيم لتعلق لينظم بعده بما قبله ابن الزملكاني ولتطمين
معطوف علي بشري لانه في معنى لتبشركم وقيل تقديره ولتطمين فعل ذلك
كقوله ولكن الله ولي وليبلي **اذ** من لطيف ما قيل فيه انه متعلق بحكيم لك
لان التقا النعاس عليهم امنة حكمة من الله تعالى **يغشاكم النعاس** في قراة
يغشيكم من غشي واغشي ونصب النعاس والفاعل ضمير الله ويناسبه وينزل
رفعا ويناسب الاولى يغشى طايفة منكم وفيه استعارة جعل ما غلب عليهم من
النعاس غشا لهم **امنة منه** فيه نوع من الجناس وقري بسكون الميم وهو مفعول

كما اهدت
بطلت محق

له تما قري بالقصر لغة ليطهركم قري بسكون الطا ويذهب قري بالجزم رجز الشيطان
قيل الوسوسة وقيل الجنابة الحاصلة من الاحتلام وقري بضم الراو وقري رجس وليربط
على قلوبكم اصل الربط الشد وهو حقيقة في الاجسام فاستعير هنا لما حصل في القلب
من الشدة فالطانينة على لقا العدو وبعد التزلزل ويثبت به الاقدام وهو
حقيقة فالضمير للما لانه لبد الرمل الغواص وقيل مجاز عن عدم الفرار فالضمير لمصدر
يربط ابو حيان ترتيب هذه التعليلات احسن ترتيب مبدا بالتطهر من الجنابة
لانه الاكد ثم للازمة وهو التطهر المعنوي وهو اذهاب رجز الشيطان ثم بفعل
القلب ثم بلازمه وحيث ذكر التعليل اظهر حرفه وحيث ذكر لازمه لم يظهره
الما كانت هذه الجمل من واذ يعدكم الى هنا لا يناسب مضت الرسالة خوطب
به المومنون ولما كان الوحي الى الملايك من المناسب له خوطب به الرسول
وحده فقال اذ يوحي ربك نبي ذلك تشريفا له اني معكم
قري بكسر الهمزة على اضمار القول او اجرا يوحي مجراه فثبتوا الذين امنوا قال الزجاج
وابن عطية وغيرهما بالتشبيه بالقوة في قلوبهم ولهذا طابقه بقوله سالقي في قلوب
الذين كفروا الرعب بسكون العين وضمها فاضربوا من تتمة خطاب الملايكة
وقيل انتقال الى خطاب المومنين تشجيعا لهم وحضا على نصرة الدين وقيل لقطة
امر والمراد به الخبر عن صورة الحال كما تقول اذا وصف لمن تخاطبه لقيناه
القوم وهزمناهم فاضرب بسيفك حيث شيت واقتل وخذ اسيرك اي هذه كانت
صفة الحال وقال الزمخشري يجوز ان يكون فثبتوا تفسيرا لقوله
اني معكم وفاضربوا تفسيرا لقوله سالقي اذ لا معونة اعظم من التثبيت
والرعب اعظم من ضرب الاعناق فوق قال الاخفش وغيره انها زايدة وقيل
بمعنى على والمفعول محذوف اي فاضربوهم على الاعناق وقيل هو بمعنى
دون وقيل هي على بابها والمضروب الرؤس فقال ابن عطية اراد وصف
ابلغ ضربات العنق واحكمها وهي الضربة التي تكون فوق عظم العنق ودون
عظمة الراس من المفصل ولهذا قال دريد بن الصمة لابن الدغنة
خذ سيفي وارفع عن العظم واخفض عن الدماغ هكذا كنت اضرب اعناق
الابطال فكان قوله فوق الاعناق متمكنا على هذا بنان اسم جنس جمعي واحده
بنانه وهي الاصابع وقيل المفاصل حيث كانت من الاعضاء ومن شعر عنتره
ويضرب نجد الكرب كل بنان ذلك خطاب للرسول شاقوا الله قيل التقدير
شاقوا اولياء الله بالمفاعلة على بابها وقيل لا تقدير ولانه تعالى لما شرع شرعا
وامر وامر وكذبوا وصدوا كان كل في سن ذلكم فذوقوه خطاب للرسول
شاقوا اوليا للكفار ففيه التفات ولما ذكر عذاب الدنيا ضم اليه عذاب الاخرة
فقال وان للكافرين عذاب النار وفيه ايضا التفات ونكتته التعميم
ولما كان عذاب الدنيا بالنسبة الى عذاب الاخرة يسيرا سمي ما اصابهم منه
ذوقا لان الذوق يعرف الطعم وهو يسير الزمخشري وان عطف على ذلكم او
نصب على ان الواو بمعنى مع وقري ان بالكسر استينافا يا ايها الذين امنوا الاية

لما اخبر تعالى انه سيلقي الرعب في قلوب الكفار وامر من امر بضرب اعناقهم وبنانهم
حرض المومنين على الصبر عند مكافحة العدو ونهاهم عن الانهزام زحفا حال من المفعول
وقيل من الفاعل وقيل منهما قال الليث الزحف الجماعة يمشون الى
عدوهم وقال الفرا الزحف الدنو قليلا قليلا سمي به الجيش العرمرم لانهم لكثرتهم
كانهم يزحفون اي يدبون دبيبا فلا تولوهم الادبار عدل اليه عن لفظ الظهور تقبيحا
لهذا الفعل وتشنيعا له وتخسيسا لقوله من تولي يوميذ اي يوم اللقا وقيل يوم بدر
دبره قري بكسر البا الا استثنا من حال محذوف اي ومن يولهم ملتبسا بانه حال
الا في حال كذا با مناسب للتولية فلم تقتلوهم قال الزمخشري جواب شرط محذوف خوطب
به الصحابة لما افتخروا بقتلهم اي افتخرتم بقتلهم فلم ذلك قطع لتنازعهم في الانفال
وما رميت اذ رميت النفي للخلق والاثبات للكسب وصرح به هنا دون الاول فلم يقل
فلم تقتلوهم اذ قتلتموهم لان الرمي كان امرا خارقا للعادة معجزا انه من ايات الله فبولغ
فيه وليبلي متعلق بمقدر كما سبق والبلا هنا الخير والنعمة المومنين فيه التفات
سميع اي لاقوال من افتخر عليم اي بنيات من قال ذلكم فيه التفات ان الزمخشري اي
الامر ذلكم ونحوه ذلك ومن يعظم حرمات الله ومن عاقب وقالوا الذلك بعض لاد
لا لنفي ما بعدها وكذلك شيت له ونحوه كلا انتهي موهن مشدد ومخفف من وهن
واوهن والوهن ابلغ من الضعف وفي قراة بالاضافة الى كيد ان تستفتحوا خطاب
للكفار كما دل عليه سبب النزول ففيه التفات عن قوله كيد الكافرين ولن تغني
قري بالتذكير للفصل وان الله بالفتح عطفا على ان الله المقدم وبالكسر استينافا وقراة
ابن مسعود والله يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله عود على حثه على الطاعة في امر
الانفال المفتتح به السورة في قوله واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مومنين مع تضمن معنى
العموم في حالكه من عدم التولي وغيره ولا تولوا عنه افرد الضمير اما لتلازم الطاعتين
كما في والله ورسوله احق ان يرضوه او عود الرسول خاصة لان التولي حقيقة انما يصح
عنه او عود اللامر المفهوم من اطيعوا او للطوع المفهوم منه الكرماني لما لم يطلق لفظا
التثنية على الله وحده لم يجمع بينه وبين غيره في ضمير ولهذا نظاير في القران انتهي وهو
نفيس جدا قالوا سمعنا وهم لا يسمعون جات المنفية مضارعة على نمط المثبتة لان لفظ
المعنى لا يدل على استمرار الحال ودعوادقه بخلاف المضارع فانه يدل على ذلك اثباتا
ونفيا وجا حرف النفي لا لانها اوسع في نفي المضارع من ما وادل على انتفا السماع في المستقبل
اي هم مما لا يقبل ان يسمع ان شر الدواب جمع بين هاولا وبين غيرهم من الحيوان والى بلفظ
الدواب الذي يطلق على البهايم لمناسبتهم في عدم السماع والعقل الصم البكم
فيه استعارة على حد صم بكم عمي ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ابن عطية اخبر تعالى بان عدم
سمعهم وهدايتهم انما هو لما علمه الله منهم من الشر وسبق في قضايه عليهم فخرج ذلك في
عبارة بليغة وقال الامام عبر عن عدمه في نفسه بتقدم علم الله بوجوده وتقدير الكلام
لو حصل فيهم خير لاسمعهم الحجج والمواعظ سماع فهم ولو اسمعهم اذ علم ان لا خير فيهم لم ينتفعوا
قال ومعلومات الله اربعة اقسام علمه بجملة الموجودات وعلمه جملة المعدومات
وعلمه ان كل واحد من الموجودات لو كان معدوما كيف يكون حاله وعلمه ان كل واحد من

المعلومات لو كان موجودا كيف يكون حاله قالاول علم بالواقع والاخر ان علم بالمقدر الذي هو غير واقع بقوله ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم من الثاني وهو العلم بالمقدرات لا الواقعات ومنه وان نصروهم ليولن الادبار ولو ردوا لعادوا والاخبر عن المعدوم لو كان موجودا كيف يكون حاله انتهى يا ايها الذين امنوا الاية لما ذم من لا يسمع امر المومنين بالاستجابة التي هي ثمرة السماع والمراد بها الامتثال وبالدعا الحث والتحريض وافرد ضمير دعاكم لما دعا تقدم والحياة ههنا مجاز عن الاتصاف بالعلم والدين وتطرق اطلاق الموت على الجهل في قوله لا تحسبن الجهول حيا فذاك ونوبته كفر واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه حض على المراقبة وتخويف من عدم الاستجابة لئلا يكون والعياذ بالله سببا للانقلاب ولذا ختم بالحشر وهو غاية لما يذكر في بعض التخويف والتهديد والاية فيها تلميح الى قصة التنازع في الانفال وكذا الايات التي تليها ولذا قال لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة لان التنازع لم يقع من جميع الصحابة لان من المعلوم مثل ابي بكر الصديق ومن جرى مجراهما لا ينظرون الى عرض الحياة الدنيا ولا يتنازعون فيه واكد المضارع ذا النفي بلا بالنون وهو قليل في الاستعمال ولم يقع منه في القران غير هذا الموضع لان القران يجمعه كل شي جمع جميع اصناف اللغات والاستعمالات العربية مشهورها ونادرها وغالبها وشاذها بحيث لم يعنه من استعمالها تحاشي اصلا حتى ان النادر والشاذ يأتي منه في القران الكلمة والكلمتان اشارة لاجل ذلك الاستعمال كما تقدم في قراءة قتل اولادهم شركائهم غير الشركا ونظيره استجوذ في ما صححه من المعتل ومن تامل القران وجده نحوا لا ساحل له في انواع العلوم والمعارف والبلاغة والاساليب وقري لتصيبن بلام القسم واعلموا ان الله شديد العقاب مناسب لعموم اصابة الفتنة الظالم وغيره واذكروا ذكرهم بالنعمة حثا لهم على ترك التنازع ايضا يا ايها الذين امنوا الاية نزلت في ابي لبابة حين استشاره بنو قريظة فنصحهم ومناسبة ذكرها بعدما تقدم من الامر بطاعة الرسول والاستجابة له وعدم التولي عنه والنهي عن التشبيه بمن قالوا سمعنا وهم لا يسمعون واضحة وقد وقع ايضا في اواخر السورة ذكر قصة بني قريظة وتخونوا يحتمل النصب والجزم والاول ارجح وقري امانتكم بالافراد واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة ذكرها لان السبب الحامل لابي لبابة عن النصح لهم ما كان له منهم من المال والولد وناسب ذلك قوله قبل واتقوا فتنة فكان احسن تمهيد وان الله عنده اجر عظيم اي فارغبة فيما عنده لطاعته اولى من الرغبة في المال والولد يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله الاية هي نازلة في توبته فناسب ذكرها بعد قصة خيانته واذ يمكر لما ذكر قوله فاواكم والمراد الايواء الى المدينة ذكر مبدا الهجرة بان هذه القصة في المكر وهي المشاورة في دار الندوة على الامور الثلاثة وقعت ليلة الهجرة وكانت سبب الاشرة وقري ليثبتوك مشددا واذا تتلى الاية لما ذكر مكر الكفار بالنبي ذكر مكرهم بالقران وفي اياتنا التفات قد سمعنا اي ولا نطيع لو نشاء لقلنا مثل هذا هذا منهم على سبيل التهجي والمصادمة والا فقد عجزوا بسورة مثله فعجزوا ان كان هذا اي القران او ما جاء به من الرسول التوحيد وغيره هو الحق بالنصب لانه فعل وقري بالرفع وهي لغة تميم رفع ما بعد الفعل حجارة من السما الكشاف

فان

195

فان قلت ما فايدة قوله من السما والامطار لا يكون الا منها قلت كانه اراد ان يقال فامطر علينا السجيل وهي الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة من السما موضع السجيل كما يقال صب عليه مسرودة من حديد ذرعا وما كان الله فيه التفات ليعذبهم قيل نزلت هذه الجملة بمكة عندما قالوا للاخبار بانهم مستحقوا العذاب لكنه لا يعذبهم وهو فيهم اكراما له وجريا على عادته تعالى مكذبي انبيايه لانه لا يعذبهم عذابا يستاصلهم ما دام انبياهم مقيمون فيهم ولما كان الامطار والحجارة مندرجا تحت العذاب سلط النفي على العذاب الذي امطار الحجارة نوع منه وقري بضم اللام لغة ابو حيان اكد نفي العذاب في حال كونه فيهم باللام التي هي للتوكيد عند الكوفيين وعلى تقدير الارادة عند البصريين تدل على انتفا ارادة العذاب وهو ابلغ من انتفاء العذاب ولم يوكده في جملة استغفارهم وهو قولهم غفرانك للاشارة الى ان كينونته فيهم انفع لهم من الاستغفار رفيشان ما بينهما وقيل ضمير وهم يستغفرون للمومنين الباقين بين اظهرهم وقيل الجملة حال اريد بها نفي استغفارهم اي لو كانوا ممن يومن ويستغفر لما عذبهم لقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون اي لو كانوا ممن يصلح وما لهم اي لا مانع من تعذيبهم وما كان صلاتهم لما نفي عنهم ان يكونوا ولاة البيت ذكر من فعلهم القبيح ما يوكد ذلك وان من كانت صلاته ما ذكر فغير اهل لان يكون وليا له والمعنى وضعوا مكان الصلاة الذي يليق بولاية البيت التصفير والتصفيق اي اقاموهما مقامها على وجه قول الشاعر

وما كنت اخشى ان يكون عطاوه ۞ اداهم سودا او محرجة سمرا

اقام مقام العطا القيود والسياط ومنه قلت ظهوا لي صبة وقيصا والمكا فعال لانه باب مصادر الاصوات كالصراخ والخوار قال ابن عطية وكانت العرب تفعل ذلك على جهة التقرب والتشرع وقري بنصب صلاتهم ورفع مكاء وتصدية وقري مكا بالقصر منونا فذوقوا فيه التفات بما كنتم تكفرون وفي الاعراب تكسبون لانها فيمن ضل واضل وفي الاضلال زيادة كسب على الاضلال ان الذين كفروا فيه التفات ابو حيان مناسبتها لما قبلها انه لما شرح حالهم في الطاعات البدنية وهي صلاتهم بالمكا والتصدية شرح حالهم في الطاعات المالية وهي انفاقهم في الصد عن سبيل الله على خلاف المشروع قلت كان ذلك في مقابلة قوله في اول السورة الله وصف المومنين الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون فانظر الى هذا الارتباط العجيب الانيق بين ايات القران ومبادي السور والمنفقون اسلم منهم جماعة الخبيث من الطيب وصفان يصلحان للادميين وللمال وقد تقدما في الاية قيل بالعود الى الاول فاللام متعلق بيحشرون وقال ابن العربي المعنى اخر عذاب الكفار الى يوم القيامة ليستخرج المومنين من اصلابهم وقيل بالعود الى الثاني فاللام متعلق بيغلبون او يلون ولما كان بعلب الانسان في ماله بوجوه التصرف لرجاء حصول الربح اخبر بان هولاء على الضد من ذلك بقوله اولئك هم الخاسرون ولما اخبر بحشر الكفار الى جهنم دعا المتقين الى الاسلام وتلطف بهم تعالى قل للذين كفروا الاية وقرا ابن مسعود ان ينتهوا يغفر لهم وقري يغفر بالبنا للفاعل وان يعودوا الجواب محذوف دل عليه تمام الاية اي ينتقم منهم ويهلكهم وقاتلوهم

امر المومنين ويكون قرئ بالرفع بما يعملون بالياء والتاء واعلموا انما غنمتم عود الى ما
سبقت السورة له من قسمة الانفال ووقع هنا اعظم موقع عتب وقاتلوهم حتى لا تكون
فتنة فان القتال يستلزم الغنيمة مع ما يتضمنه من تبشير المومنين بغلبة الكفار
وغنم اموالهم فان لله خمسه استفتاح كلام اريد به التبرك وتفخيم الامر والتحذير
من التهاون في عدم صرفه لاربابه وكان من قصر في ذلك فقد قصر فيما هو لله ومن
استبد بشيء منه فقد غصب الله ما له فاشبه الكفار ولذلك قال ان كنتم امنتم
بالله وما انزلنا على عبدنا وفي ذلك تنكيل عظيم بولاة السوء الذين استاثروا بالخمس
وصرفوه في ملاذهم وملاذ من احبوا وحلبوا الفاضل وتركوا من ملكه الله ذلك
من فوق سبع سمواته لا يصل منه الى نقير ولا قطمير فقرا عالة يتكففون الناس
فترى من اقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم واولاده الشرفاء والحنفاء من لا يجد ما يكفيه
فضلا عن ان يغنيه وقد قال جدهم المصطفى ان لكم في خمس الخمس ما يكفيكم او يغنيكم في
ولو رايتهم وهم يتسألون على الابواب ويبيت احدهم طاويا او عاريا لمكبت من رؤية
ذلك وما ولقد رايت منهم من هو في اغلال الحديد يدار به في الاسواق يسال ثم يعاد
ليلا الى السجن بدعوى بعض رقابهم المتغلبين انه فلاحه يطالبه بالخراج فانا لله وانا
اليه راجعون وقد آن ان يتلى عليهم قوله صلى الله عليه وسلم رب متخوض من
مال الله له النار يوم القيامة وقرئ خمسه بسكون الميم وقرئ بكسر الخاء اتباعا لحركة
الهاء ان كنتم امنتم جوابه محذوف لدلالة ما قبله اي فاصرفوا الخمس لاربابه
وما انزلنا فيه التفات عطف على بالله على عبدنا صيغة تشريف وقرئ بضمتين
جمع عبد اريد الرسول ومن معه من المومنين يوم الفرقان يوم بدر ظرف لانزلنا
وقيل لغنمتم قاله الزجاج واستحسنه ابن عطية وفيه ما قدمته من ان هذه الاية
لقسمة الانفال للتنازع فيها والله فيه التفات بالعدوة بضم العين وكسرها
شط الوادي وقرئ بفتح العين لغة ثالثة القصوى بالتصحيح لغة الحجاز وقرئ
القصيا بالاعلال لغة تميم وهي العباس وقرا ابن مسعود انتم بالعدوة العليا وهم
بالعدوة السفلى والركب اي عير ابي سفيان اسفل قرئ بالرفع اتساعا في الظرف
الزمخشري فان قلت ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وان العير كانت
اسفل منهم قلت فائدة الاخبار عن الحال الدالة على قوة شان العدو وشوكته
وتكامل عدته وضعف شان المسلمين وان غلبتهم في مثل هذا الحال ليست الا صنعا
من الله بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك ان العدوة القصوى التي اناخ بها المشركون
كان فيها الماء والدنيا الا ما بها وهي رمل تسوخ بها الارجل ولا تمشي الا بمشقة وتعب
وان العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فالحامية لها تامر لهم ويقويه قلوبهم
ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولم يتفق لكم التلاقي لتثبط بعضكم بعضا لكثرتهم
وقلتكم ولكن تلاقيتم على غير ميعاد ليقضي الله امرا ليهلك بدل او عطف بيان ليقضي
والهلاك قيل من قتل من الكفار والحياة حياة من عاش منهم وقيل المراد الكفر والايمان
اي انه جعل بدر قصة اية ليومن من يومن ويكفر من يكفر عن وضع وبيان فهو متعلق
على المفعول او قيل الاصل وليهلك لحذف العاطف وفي قراءة بفتح اللام كغة لسميع عليم مناسب

للايمان والكفر لاشتمالها على نطق اللسان واعتقاد القلب ولو اراكهم كثيرا لفشلتم اسند
الاراءة الى الرسول وحوله في الفشل الى الامة تنزيها لمنصبه الشريف اذ يسند اليه
الفشل الذي ليس من خلقه وهذا من محاسن الخطاب تنويع انه عليم بذات الصدور
مناسب للفشل لانه والجبن والجزع والجراة والصبر من صفات القلوب
واذ يريكموهم هذه اراءة حقيقة بخلاف الاولى وهي خاصة بالامة ولما ذكر الفشل
ناسب التعقيب بالامر بالثبات فقال يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة
اي كافرة واللقاء اسم للقتال غالبا ولما كان القتال حالة يذهل من كل شيء امر وادى
بالذكر خوف الغفلة منه اهتماما به فقال واذكروا الله كثيرا فهو من هذه الجهة
نظير حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى اثناء قصة الازواج والمطلقات
ومن جهة اخرى نظير الامر بالذكر اثناء قصة الحج وقوله فاذا قضيتم مناسككم
فاذكروا الله كذكركم اباءكم فانهم كانوا في الحج يتفعول فيذكرون ماثر اباءهم ومفاخرهم
وكانوا في الحروب يذكرون محبوباتهم ووقع ذلك في اشعارهم كثيرا قال بعضهم

ذكرت سليمى وحر الوغى ... كقلبي ساعة فارقتها
وابصرت بين القنا قدها ... وقد مال نحوي فعانقتها

فكانه قال واذكروا الله كذكركم محبوباتكم ولم يصرح به لقوله كذكركم اباءكم
تنزيها عن ذكر النساء ولا مخاصمة سنته بخلاف ذكر الاباء ويذكر المحبوبات السعف
بهن فكان طلب ذكر الله هي حالة الحرب اهم من طلبه في حالة الحج فلذلك قال
كثيرا لعلكم تفلحون اي تفوزون والفلاح كلمة جامعة للخير فتعم الظفر والنصر
في الدنيا والثواب في الاخرة ثم امرهم بطاعته وطاعة رسوله وترك التنازع و
نبههم على انه سبب الفشل وعدم النصر وذهاب القوة لتجاذب الاراء قال
واطيعوا الاية فتفشلوا قرئ بكسر الشين لغة وتذهب ريحكم عطف على جواب
النهي وقرئ بالجزم والياء والريح استعارة للقوة والنصر وقيل للدولة شبهت
لنفوذ امرها بالريح وهبوبها يقال هبت رياح فلان اذا دالت له ونفذ امره
قال الشاعر اذا هبت رياحك فاغتنمها ... فان لكل خافقة سكونا
وقيل المراد ريح الصبا التي كانت تبعث لنصرهم قلت والاولى ان يكون استعارة
مكنية للنصر وذكر الريح التي هي الصبا وهي من لوازم نصرهم تخييل وذلك جمع بين
القولين بطرا قال المروي وهو الطغيان عند النعمة وقال ابن الاعرابي سوء احتمال
الغنى وقال الاصمعي الحيرة عند الحق فلا تراه حقا وقال الزجاج التكبر على الحق فلا
يقبله ورئاء الناس ابن الزملكاني وجه رده الى النظم ان يجعل في تقدير المصدر
ان يجعل بطرا حالا اي يبطرون نكص رجع القهقرى هاربا اي اخاف الله قيل معناه
كاذبة وقيل خاف ان يكون حضر ادمه الذي انظر اليه والله شديد العقاب
يحتمل ان يكون من تتمة كلام الشيطان وان يكون من كلامه تعالى استئنافا
على سبيل التهديد ومن تابعه اذ يقول المنافقون كلام بعد اذ يعم من قوله واذ
يعدكم الله الى هنا وما تخللها استطرادات كعادة القران ولذلك ترك العاطف
في الجميع الا ما لم يكن مرادا بها التعديد نعمه كقوله واذ قالوا اللهم الاية ولذا واذ يمكر

الاية لانها خاصة به صلى الله عليه وسلم فلم يندرج فما سبق لتعداد النعم على المؤمنين المتنازعين
في الانفال والذين في قلوبهم مرض من عطف الصفات وهي لموصوف واحد وصفوا
بالنفاق وبالمرض وقيل المراد بهم قوم اسلموا بمكة ومنعوا من الهجرة واخرجوا كرها
فلما نظروا الى قلة المسلمين او بالواو قالوا ذلك والاشارة بعادة للتحقير فقال تعالى
ردا عليهم ومن يتوكل على الله جواب الشرط محذوف يدل عليه تمام الاية اي يحفظه
وينصره ولو ترى الاية نزلت فيمن قتل ببدر من الكفار فمناسبتها لما قبلها واضحة
والادبار كناية عن الاستاه وجواب لو محذوف اي لرايت امرا فظيعا وذوقوا
على اضمار القول من الملائكة ويقولون ذوقوا ذلك من تتمة كلام الملائكة
وقيل يستانف من كلام الله بمعنى قدمت ايديكم التفات كداب ال فرعون ذكر
مرتين فكان تشبيه بالصنع الذي يليه قال ابن عطية الاول داب في ان هلكوا لما
كفروا والثاني داب في انهم لم يغير نعمتهم حتى غيروا ما بانفسهم وقال غيره
كرر لوجوه منها ان الثاني جرى مجرى التفصيل للاول لان في الاول ذكر اجرامهم
وفي الثاني ذكر اغراقهم واريد بالاول ما نزل بهم في العقوبة حال الموت
وبالثاني ما نزل بهم من العذاب في الاخرة وفي الاول بايات الله اشارة الى انكار
دلايل الهيبة وفي الثاني دلايل بايات ربهم اشارة الى انكار نعم من رباهم ودلايل
تربيته واحسانه على كثرة تفاوتها فقال في الاول اللازم منه الاخذ وفي الثاني اللازم
منه الهلاك والاغراق الزمخشري وفي قوله بايات ربهم زيادة دلالة على كفران
النعم وجحود الحق ومن ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب فاهلكناهم فيه التفات
وضمير راجع الى الذين من قبلهم واغرقنا ال فرعون خصهم بالذكر لعتوهم بادعاء
الربوبية ففيه لف ونشر غير مرتب كانوا ظالمين ومراعاة معنى كل للفاصلة
ان شر الدواب نزلت في بني قريظة قيل شر الناس الكفار وشرهم المصرون وهو
معنى فهم لا يؤمنون اي لا يتوقع منهم ايمان وشر المصرين الناكثون للعهد فاخبر تعالى
انهم جامعون لانواع الشر عند الله فيه التفات الذين بدل من الذين قبله ينقضون
عبر بالمضارع لافادة الاستمرار فشرد بهم من خلفهم ابو حيان كنى به عن قتل من
ظفر به وتنكيله وكان المعنى من ظفرت بهم فاقتلهم قتلا ذريعا حتى يفر عنك من
خلفهم ويتفرقوا لما كان التشريد وهو التطريد والابعاد ناشيا عن قتل من ظفر به
في الحرب من المعاهدين المنافقين جعل جوابا للشرط اذ هو متسبب عن الجواب الكرماني
التشريد التخويف الذي لا ينبغي معه قرار وقرئ بذال معجمة فقيل هي بدل
من المهملة وقيل بمعنى فرق قال الزمخشري وكانه مقلوب من شذر من قولهم
ذهبوا شذر مذر وقال قطرب هو بالمهملة التفريق وبالمعجمة التنكيل وقرئ
من خلفهم جار ومجرور فالمفعول محذوف اي ناسا لعلهم ضمير لمن الاما عادت
عليه الضماير السالفة واما تخافن من قوم عدل عن الضمير للفصل بضمير غيرهم
في لفظهم مع رعاية العموم فانبذ اليهم اي عهدهم على سواء اي على مستواي فقصد كناية
عن المجازاة وتعسيه وبهذه الاية اشد شي اعلاقا بقوله براءة من الله ورسوله
الى الذين عاهدتم من المشركين وكانها القصة الحاملة لعثمان رضي الله عنه على وضع

براءة

براءة عنها وهذا تحقق ما قلته لكان السورة تكون شارحة لقصة اجملت في سورة قبلها
فان مبدا براءة كله تفصيل لهذه الاية ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا الاية
نزلت فيمن افلت من الكفار يوم بدر فموعود الى ما كان الكلام فيه بعد الاستطراد
والقراءة بالخطاب للرسول او كل سامع وبالغيبة فاعل الرسول التفاتا او ضمير حاسب
الذي دل عليه الفعل على حد ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن او الذين والمفعول
الاول محذوف اي انفسهم او على تقدير ان قبل سبقوا ويؤيده قراءة ابن مسعود
انهم سبقوا وقرئ لا يحسبن الذين بالتحتية وفتح اخره على حذف النون الخفيفة
بملاقات الساكن كقوله لا تهين الفقير البيت انهم بالكسر استئنافا والفتح تعليلا
لا يعجزون قرئ يعجزون بتخفيف النون وتشديدها وبتشديد الجيم من عجزه
نسبه الى العجز واعدوا انتقال من خطاب الرسول الى خطاب الامة رباط مصدر
او جمع ربط او ربيط بضمتين وبضمة وسكون جمع جمع قال ابو زيد الرباط من الخيل
الخمس فما فوقها ترهبون مخفف ومشدد وقرئ بدله تخزون عدو الله قرئ بالتنوين
ولام الجر وفي ذكره تعظيم ما هم عليه من الكفر وتقوية لذمهم وعدوكم في ذكره
تحريض على قتالهم اذ في الطبع ان يعادي الانسان من عاداه ويعمل له الغوايل
ولما حث على اعداد القوة ورباط الخيل حض على النفقة في سبيل الله بقوله وما تنفقوا
الاية واخرجه مخرج العموم الشامل لما تقدم وغيره في الجهاد وغيره جنحوا ما لو تعدى
بالى واللام وضمير قيل لبني قريظة الذين نبذ اليهم العهد وقيل للمشركين
في ولا تحسبن الذين كفروا السلم بالكسر والفتح يذكر ويؤنث حملا على معنى المسالمة
وقيل على نقيضه وهو الحرب فاجنح قرئ بضم النون لغة قيس ولما كان جنوحهم
مشتملا على عهد مولي واضمار غدر او قال وقبول الرسول له مشتملا على قبول لفي
واضمار توكل ناسب الختم بالسميع العليم يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من
المؤمنين هذه الاية مكية سابقة النزول على ما قبلها بل وعلى سائر السورة لانها نزلت
لما اسلم عمر كما صح به الاحاديث ولما كانت شديدة المناسبة لقوله فان حسبك
الله الى اخر الاية وضعت عقبها ومن عطف على الله او الكاف قولان وقرئ اتبعك
بوزن اكرمك حرض قرئ بالصاد المهملة ان يكن الى اخره كل شرطية في معنى الامر
ابو حيان قيدت الجملة الاولى بقوله صابرة وحذف من الثانية اكتفاء به وقيدت
الثانية بقوله من الذين كفروا وحذف من الاولى فانظر الى فصاحة هذا الكلام
حيث حذف من كل جملة ما اثبت نظيره في الاخرى ولما كان الصبر شديد المطلوبية
اعيد في اولى جملتي التخفيف دون قيد الكفر اكتفاء بما تقدم وقرا ابن عمرو يكن منكم
الاولى بالتذكير لاحظ يغلبوا والثانية بالتانيث لاحظ صابرة وفي قراءة بالتذكير
فيهما واخرى بالتانيث فيهما وقرا الاعرج في التانيث فيما عدا الاخيرة وقرئ وعلم بالبناء
للمفعول وضعفا بالضم لغة الحجاز وبالفتح لغة تميم وقرئ بضمتين وقرا بالمد جمع
ضعيف كظرفا وظريف والله مع الصابرين ترغيب في الثبات للقاء العدو
ما كان لنبي الايات نزلت في اسرى بدر فموعود بعد الاستطراد وقرئ للنبي معرفا
قال ابو حيان وقراءة التنكير اولى لانه لم يتوجه بها العتب عليه معينا ولما كان معصوما

حول الخطاب عنه الى الامة في قوله تريدون وما بعده لانه صلى الله عليه وسلم
لم يرد ذلك وانما هم الذين ارادوه واشاروا به فوافقهم ويتلون بالتاء والياء واسرى واسارى
قراتان فقيل هما جمع اسير وقيل اسارى جمع اسرى وقيل الاسرى غير الموثقين عند ما يوخذون
والاسارى الموثقون ربطا قال ابو عمرو بن العلاء وابو حاتم وانكره الاخفش ويثخن بتخفيف ومشدد
والاثخان المبالغة في القتل والجراحات واثخنه الجرح اثقله حتى يثقل عليه الحركة واثخنه المرض
اثقله من الثخانة وهي الغلظ والكثافة وقرئ يريدون بالتحتية ففيه التفات
ثم في لمسكم التفات عنه **عرض الدنيا** سمي عرضا لانه حدث قليل اللبث **والله يريد الاخرة**
قرئ بالجر على تقدير عرض الاخرة لحذف المضاف وابقي المضاف اليه بحاله وسمي ثواب الاخرة
عرضا من باب المشاكلة وقيل تقديره باقي الاخرة **لولا كتاب من الله سبق** قيل المراد ما كتبه
في اللوح المحفوظ من اباحة الغنايم لهم وقيل عفوه من هذا الذنب المعرمنهم وقيل عفوه
عن اهل بدر وان لا يعذبهم بشي اصلا وقيل المراد ما ذكر في القران من انه لا يعذبهم
والرسول فيهم او ان الصغاير تغفر لمن اجتنب الكباير وعليه ابن النحاس والماوردي **واتقوا
الله** قال ابن عطية هو اعتراض لان قوله ان الله غفور رحيم متصل بقوله فكلوا مما غنمتم
حلالا طيبا **يايها النبي قل لمن في ايديكم** شبيه بقوله يايها النبي اذا طلقتم من ابتدايه
بخطاب النبي ثم خطاب الامة او هو المخاطب وحده بصيغة الجمع تعظيما **من الاسارى**
في قوله الاسرى وقرئ من اسرى منكرا **يوتكم** قرئ يثيبكم من الثواب **اخذ** قرئ بالبناء
للفاعل **وان يريدوا** جواب الشرط محذوف دل عليه المذكور اي فليتوقعوا مثل ذلك
ان الذين امنوا الايات هذه غاية البراعة في ختام هذه السورة وظهر لي في وجه
الختم بها ما لم اقف عليه لاحد وذلك ان السورة لما نزلت في تنازعهم في الانفال وحثهم
على اصلاح ذات البين وذكرهم بنعمه وحذرهم من التنازع غاية التحذير الى اخر ما تقدم
ختمها بذكر ان المومنين بعضهم اوليا بعض فلا ينبغي تنازعهم بل اللايق بهم التوادد والتحابب
والتناصر والتوافق وان لا يكون عرض الدنيا الفاني الزايل قاطعا بينهم ولذا اورد
فما تقدم ذم من يريد عرض الدنيا وقليل الدنيا وحقرها فسماها عرضا واورد هذه الايات
هنا مشتملة على غاية البلاغة واستيفا الاقسام فذكر ان المهاجرين والانصار بعضهم اوليا
بعض ووقف ولاية من امن ولم يهاجر على الهجرة وبين ان هذه الولاية الموقوفة هي ولاية
الخصوص واما ولاية العموم وهي النصرة في الدين فباقية ثم بين ان الكفار بعضهم اوليا
بعض وهو تحذير من موالاة احد منهم بقرينة ما عقبه من التهديد لقوله الا تفعلوه
الى اخره ثم استطرد الى ذكر ولاية اخرى اخص مما تقدم وهي ولاية التوارث فذكر انها
خاصة بذوي الارحام بخلاف غير القرابة وان لهم مطلق الولاية في التناصر والتواد
فانظر الى عظم وضع هذه الجملة هنا ولم يكن ليقع موقعا احسن من هذا الموقع وختم
ايضا هذه الولايات بالثنا على اصناف المومنين والوعد الحسن لهم ابو حيان بدا بالمهاجرين
لشرفهم ولانهم اول من استجاب لله ثم بالانصار ثم بمن امن ولم يهاجر ولم ينصر لتاخرهم
عن هاتين الفضيلتين الكرماني قدم هنا باموالهم وانفسهم على في سبيل الله واخره
من سورة براءة لمناسبة تقديم ذكر الاموال هنا في الفدا وعرض الدنيا والغنيمة
وفي براءة تقديم ذكر الجهاد في ولما يعلم الله الذين جاهدوا فمن امن بالله واليوم الاخر

وجاهد في سبيل الله فناسب كلا ما ورد فيه ولما كرره في الاية الثانية حذف باموالهم وانفسهم
اكتفا بذكره في الاولى وزاد في الثالثة حذف في سبيل الله اكتفا بما في الايتين وقال
صاحب المناجاة لما كان في الصحابة الغني والفقير اراد الله الثنا على الطايفتين **ولايتهم**
بالفتح بمعنى النصرة والكسر بمعنى الامارة وتولي الميراث **يعملون** قرئ بالياء **اوليا بعض**
قرئ اولى ببعض قال ابن عطية وهذا يجمع الموارثة والمعاونة والنصرة **الا تفعلوه**
اي ما ذكرت لكم من موالاة المسلمين وقطع الكفار قاله الزمخشري **تكن فتنة الى اخره**
هو نظير قوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وقرئ كثير بالمثلثة **والذين امنوا
الايات** قال ابو حيان ليست تكرارا لان تلك لسوقه لولاية بعضهم بعضا وهذه للثنا والتشريف
والوعد الحسن **اوليك هم المومنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم** اقول هذه مناسبة اخر السورة
لاولها وخاتمتها لفاتحتها لتتقدم نظير ذلك اول السورة ولما تقدم هناك ومنهم ما عال
القلوب من الخوف وزيادة الايمان والتوكل زاد في الوعد درجات ولما لم يكن هنا
سوى الافعال البدنية والمالية اقتصر على المغفرة والرزق الكريم المذكور من اول السورة
في منقاها ثم ذكر من تاخر ايمانه وتاخرت هجرته وهم اهل الهجرة الثانية فقال
والذين امنوا من بعد الاية فالحقهم بهم بصيغة من التبعيضية على حد ان اخت القوم ومولى
القوم منهم وسادها بين المرتبتين قال ابن جرير كان المهاجرون بين المهاجرين نزول الاية **ان
الله بكل شي عليم** قال ابو حيان الختم به في غاية البراعة اذ قد تضمن احكاما كثيرة في مهمات
الدين وقوامه وتفصيل الاحوال تضمنه العلم بجميع ذلك كله وتحيط عبارته وغاياته

سورة براءة

تقدم مناسبة وضعها هنا واما وجه سقوط البسملة منها على خلاف
ما عليه ساير السور من الافتتاح بها فاخرج الحاكم في المستدرك بسند ضعيف
عن ابن عباس قال سالت عليا لم يكن في براءة بسم الله الرحمن الرحيم قال لانها امان وبراءة
انزلت بالسيف ليس فيها امان وكفى بهذا الحمل الكلام من هذا الامام وهذا والحديث
السابق في اول الانفال اصل اصيل في تتبع اسرار القران ومناسباتها ترتيبا وتقديما وتاخيرا
واثباتا وحذفا وقد صح في احاديث ان براءة نسخ منها الجم الغفير انها كانت طويلة
جدا وفي المستدرك عن حذيفة قال ما تقرون ربعها وهذا اصرح في انه نسخ منها اكثر
من ثلاثة ارباعها ولها بضعة عشر اسما بينتها في الاتقان **براءة من الله ورسوله
الى الذين عاهدتم من المشركين** انظر الى هذا المطلع الذي تكاد ترتاع منه تسحر القلوب
وتبهر العقول اما اولا فلمناسبته لمقاصد السورة فانها سيقت لنبذ العهود وقتل الكفار
حيث وجدوا وطردهم من جزيرة العرب وكشف اسرار المنافقين وما والى ذلك فلا يكن
مطلع لذلك انسب ولا ابلغ من هذا المطلع المفتتح بالبراءة ثم اضافة هذه البراءة
الى الله ورسوله وفيها من التفخيم والتعظيم ما لا يخفى وبراءة خبر مبتدا اي هذه وقرئ
بالنصب قال ابن عطية اي الزموا وقال الزمخشري اي اسمعوا ثم قال فان قلت
لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين قلت قد اذن الله في معاهدة المشركين
اولا فاتفق المسلمون مع رسول الله وعاهدوهم فلما نقضوا العهد اوجب الله النبذ اليهم
فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا ان الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم
به المشركين وقال ابن عطية لما كان عهد الرسول لازما لجميع امته حسن ان يقول

عاهدتم فسيحوا امر اباحة وفي ضمنه تهديد وفيه التفات من غيبة الى خطاب واعلموا انكم غير معجزي
الله اعيد مرة ثانية قال الكرماني وليس بتكرار لان الاول للمكان والثاني للزمان وقد ذكرا
في قوله في الارض اربعة اشهر وان الله مخزي الكافرين يحتمل ان يكون التفاتا واذان فيه
ما في براءة من الفخامة وهو بمعنى الايذان كالعطا بمعنى الاعطا وقرئ واذن ان الله قرئ
بالكسر على تقدير القول او لان الاذان في معناه ورسوله بالرفع مبتدا اي بريء ايضا منهم
وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان وقيل مفعول معه وقرئ بالجر على الجوار وقيل القسم
ابو حيان جملة براءة الى اخرها اخبار بوجوب الاعلام ما ثبت فلا تكرار وعلقت البراءة بالمعاهدين
لانها مختصة بهم والاذان والناس ليحيطوا به علما من برئ منه وغيره والتعدية بالى
لافادة معنى الوصول والانتها ومن في بريء من المشركين هي المعدية لفعل البراءة في نحو
برئت منك ومن الذين وفي براءة من الله غيرها بل هو في موضع الصفة متعلقة بكاينة
فان توليتم فيه التفات وبشر استعارة تهكمية في مقام الانذار وفيه انتقال من خطاب
الكفار الى خطاب النبي الا الذين عاهدتم فيه انتقال من خطاب الى خطاب المومنين وهو
استثنا متصل بقوله الى الذين عاهدتم ينقصوكم قرئ بالضاد المعجمة وهي مناسبة العهد
ففيها طباق معه وفي المشهورة طباق مع قوله فاتموا لان التمام ضد النقص قال الكرماني
ان الله يحب المتقين حث على الوفا بالعهد لانه من التقوى فاذا انسلخ الاشهر الحرم
فيه استعارة شبه فراغ الشهر بانسلاخ الثوب قال ابو الهيثم يقال اهللنا هلال شهر
كذا اي دخلنا فيه ولبسناه فنحن نزداد كل ليلة الى مضي نصفه لباسا منه ثم نسلخ عن
انفسنا بعد تكامل النصف منه جزا فجزا حتى نسلخه عن انفسنا كله فينسلخ وانشد

اذا ما سلخت الشهر اهللت مثله ٭ كفى قاتلا سلخ الشهور واهلالك ٭

وعرفت الاشهر بعد تنكيرها لانها عينها حيث وجدتموهم عام في الاماكن من حل وحرم
واحصروهم قرئ وحاصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ليس المراد حقيقة القعود بل
المعنى ارصدوهم في كل مكان يرصد فيه فلذا جاز حذف في منه كقوله وقد قعدوا
انفاقها كل مقعد فان تابوا اي عن الكفر فهو يتضمن الايمان واقاموا الصلاة واتوا
الزكاة ذكر اعظم شعاير الدين فخلوا سبيلهم كناية عن الكف عنهم وفيه مطابقة
لقوله وخذوهم واحصروهم معا ان الله غفور رحيم مناسب للتوبة وما ذكر معنا الكرماني
اعاد هذه الجمل بعد ذلك الا على وجه التكرار بل هذه في المشركين وهذه في اليهود
لقوله اشتروا بايات الله ثمنا قليلا وهذه صفة لليهود وان كانت في المشركين
ايضا فذلك من النوع المسمى بالترديد وهو تعلق كل شي غير الاخر فهذه علق بها تخلية
السبيل وتلك علق بها اثبات الاخوة لهم وان احد الاية لما امر تعالى بقتل المشركين
حيث وجدوا واخذهم وحصرهم وطلب عرهم ذكر لهم حالة لا تتعرض لهم فيها وهي
ما اذا جا احدهم مسترشدا طالبا للحجة والدلالة على ما يدعى اليه من امر الدين والسماع
للقران لان ذلك ادعى الى دخول الناس في الاسلام ولما كان القران اعظم المعجزات
المعجزات علق السماع به لانه الطريق الى الفهم وكلام الله من اضافة الصفة الى الموصوف
مامنه مكان امنه ذلك الامر بالاجارة وابلاغ المامن بسبب انهم جهلة لا يعلمون
ما الاسلام وما حقيقته ما يدعى اليه فلا بد من اعطايهم الامان حتى يسمعوا ويفهموا الحق

يكون

كيف استفهام تعجب وانكار واستبعاد وفي الاية اضمار اي كيف يكون لهم وهم غادرون
بالنكث بدليل تمام الاية ولما كان استفهام الانكار بمعنى النفي صلح مجي الاستثنا الكرماني
قيل هو تكرار للتاكيد والنفي بدليل كيف من الجملة بعده لدلالة الاولى عليه وقيل التقدير
كيف لا تقتلونهم فلا يكون من التكرار في شي يظهروا قرئ بالبنا للمفعول الا عهدا او قرابة
او حلفا او سيادة او جوارا اي رفع صوت بالتصريح اقوالهم اسم الله بالسريانية وقرئ
بفتح الهمزة وهو مصدر من فعل الاول وهو العهد وقرئ ايلا وهو اسم الله ولا ذمة
قيل هو من عطف المترادف بناء على ان الال بمعنى العهد وقرئ ايلا وهو اسم وقال الاصمعي
الذمة كل ما يجب ان يحفظ ويحمى يرضونكم استيناف استراوفيه استعارة لا يرقبون في
مومن الا ولا ذمة قال ابو حيان لما كان في الاول فيكم وكانت قد توهم التخصيص بالمخاطبين
نبه على تعميمه في كل مومن وقال الكرماني بناء على ما تقدم هذه في اليهود والاولى في المشركين
وقيل الاول ذكر جزا للشرط ثم اعيد تقبيحا لهم لا نصاله بقوله سا ما كانوا يعملون واما صاحب
المناجاة فذكر كقول ابن حيان ثم قال فان قلت لم لم يقل في مومن من اول الامر
وما فايدة التعميم بعد التخصيص قلت لان في هذا النوع من التعريض ما ليس في الاقتصار
على الثاني كما في قولك هذا لا ينفعك ولا احدا من الناس لانك نفيت عنه مرتين فاخوانكم
الغالب اطلاق الاخوان على اخوة الصداقة والاخوة على اخوة النسب وقد ياتي بخلافه
نحو انما المومنون اخوة او بيوت اخوانكم ونفصل فيه التفات واعتراض بين الشرطين فان
تابوا وان نكثوا وفايدته التحريض على تامل ما فصله تعالى من الاحكام وان نكثوا ايمانهم
من بعد عهدهم فيه طباق وطعنوا مجاز عن العيب وحقيقة الاصابة بالرمح والعود
ونحوه فقاتلوا ايمة الكفر فيه اقامة الظاهر مقام المضمر لا ايمان لهم بفتح الهمزة
اي معتقد بها وفيه رد العجز على الصدر وفي قراءة بكسر الهمزة ففيه جناس محرف
مع ايمانهم ثم قيل المراد به الاسلام ففيه طباق مع الكفر وقيل المراد به الامان يقال
امنه ايمانا كاذنه اذانا ففيه مناسبة للعهد وايهام الطباق مع الكفر وتورية
لاحتمال اللفظ معنيين وارادة البعيد وهي مرشحة من وجهين لان الكفر يلايم
المورى به والعهد يلايم المورى عنه فانظر ما حوته هذه القراءة من انواع البديع
الا تقاتلون حض وحث على المقاتلة بذكر قبايحهم اتخشونهم توبيخ فالله فيه التفات
ونشف قرئ بالنون على الالتفات ثم فيما بعده التفات عنها صدور قوم مومنين
ليس من وضع الظاهر موضع المضمر لان المراد بهم غير المخاطبين وهم خزاعة الذين نقض
فيهم العهد وقاتلهم الحرب واستنصروا بالنبي صلى الله عليه وسلم فنبذ عهد المشركين
من اجلهم ويذهب غيظ قلوبهم تاكيد للجملة قبلها لان شفا الصدور من الم الغيظ هو اذهاب
الغيظ فهي من نوع التتميم وقرئ ويذهب بفتح اوله لا ماوز في غيظ وقرئ كذلك مرفوعا
استينافا ويتوب الله بالرفع استينافا وقرئ بالنصب جوابا للامر وليجة
بطانة يطلق على الواحد والجمع تعملون بالتا تناسب لحسبتم ومنكم وبالياء مناسب
للذين جاهدوا ولم يتخذوا ما كان للمشركين الاية اقول هو مناسب للامر بقتالهم المقتضي
لاخراجهم الذي هو صد اقامتهم المعبر عنها بالاعمار المنفي كونه لايق بهم اي فاذا لم تكن اقامتهم
به لايقة بهم فقاتلوهم واقتلوهم واخرجوهم وهو ايضا تمهيد للامر باخراجهم من المسجد الحرام

بعد عامهم هذا فانظر الى نظم القران وعجايبه **يعمروا** قري بضم اوله وكسر الميم اي يعينوا على عمارته **مسجد الله** بالافراد والجمع اما اطلاقه على المسجد الحرام الاتي في انه انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد
للتعظيم او العموم **شاهدين** حال وقري بالرفع وهم **على انفسهم** قري بفتح الفاء اي اجلهم قدرا واشرفهم
وهو الرسول **وفي النار هم خالدون** قري خالدين حال كقوله في الدار زيد قاعدا **مساجد
الله من امن بالله** سبق للرد على المشركين وتضمين الحث للمومنين على عمارتها **ولم يخش الا الله** ذكر
تعريضا له بالمومنين وحثا لهم على ان لا يخشوا سواه فهو مناسب لقوله اتخشونهم فالله احق ان
تخشوه فانظر الى ارتباط الاي واعتلاقها بالمقصد **فعسى اوليك ان يكونوا من المهتدين** ذكر
بصيغة الرجا ومن التبعيضية لان المقام يناسب ذلك لانه للرد على من ادعى الفخر بعمارة
المسجد وهو كافر فقيل له ان من عمر المسجد وهو بهذه الصفات الجليلة فصارى امره ان
يرجى له اللحوق بالمهتدين فاظنك بمن ليس فيه صفة منها فلذا لم يقل ان يكونوا مهتدين لانه
لا ابلغ في التعظيم من قوله من المهتدين **اجعلتم الاية** انكار عليهم ايضا وفيه التفات
من الغيبة الى الخطاب ومن الكلام حذف اي اهل سقاية ليصح مقابلته بالذات في قوله
كمن امن وقري سقاة الحاج وعمارة المسجد جمع ساق وعامر فلا حذف وقري كذلك بنصب
المسجد على ارادة التنوين في عمره **والله لا يهدي القوم الظالمين** هو في مقابلة قوله
في المومنين فعسى اوليك ان يكونوا من المهتدين ابن جماعة ختم به وفي الاية فتربصوا حتى
ياتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين وبعده ذين لهم سوء اعمالهم والله لا يهدي
القوم الكافرين لان هذه الاية نزلت فيمن فضل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام
على الايمان والجهاد فوضعوا الافضل في غير موضعه وهو معنى الظلم او نقصوا الايمان
ترجيح ذلك عليه والظلم النقص ايضا كقوله ولم تظلم منه شيا والثانية في المسلمين
الذين اتخذوا اقاربهم الكفار اوليا وهو وصف فسق لانه ينافي الايمان والثالثة في الكفار
الذين نسوا او النسي ولذلك قال زيادة في الكفر ولما نفي استوا المومنين ومن ذكر زاده
بيان حالهم وضوحا وانهم اعظم درجة فقال ـــــــ **الذين امنوا الاية** ولما قال
اوليك هم الفايزون بين الفوز بقوله **يبشرهم الاية** واسند التبشير الى ربهم
لافادة معنى الاحسان والتربية والاصلاح وبكر رحمه وما بعده للتعظيم اي رحمة
لا يبلغها وصف واصف ولما تحلوا باوصاف ثلاثة الايمان والهجرة والجهاد وبشرهم بثلاثة
الرحمة والرضوان والجنات وبدا بالرحمة لانها الوصف الاعم ثم ارتقى الى الرضوان
لانه اكبر وهو غاية الاحسان من الرب الى عبده ولما كانت الهجرة فيها ترك وطن كانوا
فيه متنعمين ناسب ان يذكر لهم فيها نعيم مقيم وقري يبشرهم بفتح اوله وضم الشين ورضوان
بضم اوله وتضمين **يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الاية** اقول هو شرح لما تضمنه اخر
الانفال ـــــــ من قوله اوليك بعضهم اوليا بعض وقوله والذين كفروا بعضهم
اوليا بعض ومتعلق بما تقدم من قوله ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المومنين
وليجة فهو على عادة القران من العود الى ما تقدم من الاشارة اليه او وقع ضمنا
بالتفصيل والتبيين وقري ان استحبوا بالفتح تعليلية واستحبوا بمعنى احبوا
وضمن معنى اختاروا واثروا وعدي بعلى **قل ان كان اباوكم الاية** قال ابو حيان هي
في الحصر على الهجرة السابقة في وصف المومنين لقوله ومساكن طيبة ترضونها قلت

يشبه ان تكون الاية هي التي قبلها لذلك وان اتخاذ الابا والاخوان الكفار هو الحامل على
الاقامة بينهم في دار الكفر ولو انفصل عن موالاتهم انفصل عن دارهم وطرقها وجه اخر
وهو انها في الحض على الجهاد لقوله وجهاد في سبيله ولم يقل وهجرة فتكون متصلة بالايات
السابقة في الحث على القتال ـــــــ الا تقاتلون قوما اتخشونهم قاتلوهم ولما يعلم الله
الذين جاهدوا منكم وهو المعنى الذي جمعت عليه اولا فيكون عودا بعد الاستطراد فان قلت
فما بال ذكر المساكن قلت الجهاد يحتاج الى مفارقة المسكن بالسفر ولهذا تخلفوا عن غزوة
تبوك ركونا الى الظلال والثمار وقالوا لا تنفروا في الحر فلا ان هذه الاية تمهيد الايات
الاتية في قصة تبوك ابو حيان ذكر في الاية السابقة الابا والاخوان لانهم اهل الراي
والمشورة ولم يذكر الابنا لانهم في الغالب تبع لابايهم وذكرهم في الاية الثانية لانها سيقت
للمحبة وهم بالنفس اعلق ولذا قدمهم على الاخوان وقدم الابا لما عرف من وجوب برهم واكرامهم
واخر العشيرة لانها ابعد في القرابة وفي قراة عشيراتكم بالجمع وهو جمع قليل قال الاخفش العرب
تجمع عشيرة على عشاير ولا تكاد تقول عشيرات وقرا الحجاج احب بالرفع فانكره عليه يحيى بن يعمر
لمخالفته اجماع القرا النقلة فنفاه عن البصرة **فتربصوا** فيه تهديد ووعيد **لقد نصركم الله**
قال ابو حيان لما تقدم قوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم واستطرد به
بعد ذلك لما استطرد ذكرهم تعالى بنصره اياهم في مواطن وهي مقامات الحرب جمع موطن
بكسر الطا الموقف والمقام **ويوم حنين** من عطف الزمان على المكان وقدره الزمخشري
وموطن يوم حنين **اذ** بدل من يوم **اعجبتكم** اضيف بالاعجاب اليهم وان كان صادرا عن
بعضهم مجازا **وضاقت عليكم الارض بما رحبت** اي مع رحبها اي سعتها لصعوبة الحال
وكانهم لا يجدون مكانا يسكنونه للحرب والنجاة لفرط ما لحقهم من الرعب فالبا للمصاحبة
وما مصدرية وقد ختمت السورة بنظير هذه الجملة في قصة الثلاثة الذين خلفوا فهي من
مناسبة اول السورة لاخرها وقد ورد في اثر ان هذه الاية اول ما نزل من سورة براة
خرجته في الاتقان وقري بسكون الحا لغة تميم **سكينته** طمانينته الذي تسكن اليه
النفوس وقيل رحمته التي سكنوا بها وقيل الوقار والثبات بعد الاضطراب والقلق
وقري بكسر السين وتشديد الكاف مبالغة في السكينة نحو شريب وصديق **على رسوله**
ذكر تعطفا للمومنين والا فالسكينة لم تزل عليه صلى الله عليه وسلم وما زال ثابت الجاش
ساكنه ولم يول مع من ولى كما صرح في الحديث **نجس** بفتحتين مصدر وصف به للمبالغة
وقري بكسر النون وسكون الجيم صفة مشبهة وقري انجاس **فلا يقربوا** نهي من حيث اللفظ
للمشركين ومن حيث المعنى للمسلمين اي لا تتركوهم يقربونه **عيلة** الفقر وقري عايلة مصدر
كالعاقبة فسوف يغنيكم قيده بالمشية لانه لا يعم في حق بعض دون بعض وفي وقت دون وقت بحسب ما تقتضيه الحكمة
قاتلوا الذين الاية هذه الاية في قتال اهل الكتاب نزلت بعد ما تقدم الامر بقتال
المشركين وهي مبدا الامر بغزوة تبوك لانها غزوة للروم وهم اهل كتاب **يدينون** من دان
فلان بدين كذا اي اتخذه دينا واعتقده **دين الحق** قيل تقديره الدين الحق من اضافة الموصوف
للصفة وقيل الحق هو من جرى يجري اذا كان لا انا جرام مسحوه من الامن لانهم يجرون ونهاية
يتفوهونها او لانها تجري من القتل **عن يد** قيل المعنى عن الاعتراف منهم وطاعة وعدم امتناع

لانه اي لم تعط يده بخلاف المطيع المنقاد ولذا قالوا اعطى بيده اذا انقاد ونزع يده من
الطاعة ومنه ولا تلقوا بايديكم الي التهلكة وقيل عن قوة منكم وقهر واستعلا عليهم وقيل
عن انعام عليهم بذلك لان قبولها عوضا عن ازواجهم نعمة عظيمة وقيل عن غنى منهم وقدرة فلا
يوجد من الفقير وقيل النقدير من يد الى يد **وقالت اليهود** لما بين سبحانه الحاق اليهود والنصارى
باهل الشرك في القتال عقبه بما هو كالسبب له وكالشرح لقوله لا يومنون بالله وهو مضاهاتهم تمم
للمشركين في دعوى الولد **عزير** قرئ بالتنوين على انه عربي وبتركه على انه عجمي وليس مصغرا
بل على هيئته كسليمان **ذلك قولهم بافواههم** فهو كاللفظ المهمل الذي يصدر عن القدرة لا بوثر
في القلب لا بعني له قيل ولم يذكر الله قولا مقرونا بالافواه والالسن الا وهو زور **يضاهون**
بالهمز فيتركه **قاتلهم الله** دعا عليهم عام لانواع الشر وقيل اصله الدعا ثم كثر استعماله على جهة
التعجب في الخير والشر من غير ارادة الدعا وهو من باب عاقبت اللص لا مفاعلة فيه **اتخذوا**
فيه لغا بمحال لان الاحبار علما اليهود والرهبان عباد النصارى جمعوا على حد وقالوا كونوا هودا
او نصارى **والمسيح** عطف على رهبانهم **يريدون الاية** ابوحيان مثلهم ومثل حالهم في طلبهم
ان يبطلوا امر محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يريد ان ينفخ في نور عظيم منبث في الافاق
بفيه ليطفيه فنور الله هذا الصادر عن القران والشرع لمن حيث سماه نورا سمي محاولة افساده
اطفا وناسب ذكر الاطفا الافواه ابن جماعة هنا يريدون ان يطفيوا فان معموله متعدي
يريدون وفي الصف يريدون ليطفيوا على حذف المفعول اي يريدون الافترا لاجل ان يطفيوا
قال وبو بدما قلناه من اظهار المفعول هنا وحذفه هناك ما ختم به الايتان ويظهر ذلك
بالتدبر انتهى **ويابى الله** وهو فعل موجب والموجب لا يدخل معه الا لا تقل كرهت الا زيدا
فتقال ــــــــــ الزجاج هو على حذف المستثنى منه اي ويابى الله كل شي الا ان يتم وقال
الاخفش الصغير والفرا دخلت الا لان الكلام في معنى الجحد لان يابى منع او امتناع فضارع
النفي وقال الكرماني معناه لا يرضى الا ان يتم وقال الزمخشري اجري يابى مجرى لم يرد او لا
يريد ولهذا قوبل به يريدون ان يطفيوا نور الله فهو واقع موقع ولا يريد الله الا ان يتم
ليظهره الضمير راجع الى الرسول وقيل الى الدين **يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان**
ابوحيان لما ذكر انهم اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ذكر ما عليه كثير منهم
تنقيصا لشانهم وتحقيرا لهم وان مثل هؤلاء لا ينبغي تعظيمهم فضلا عن اتخاذهم اربابا
قلت ــــــــ وفيه شرح اتخاذهم اربابا باتباعهم في الصد عن سبيل الله وصدر
بخطاب المومنين تحذيرا لهم ان يكون علماوهم وعبادهم على هذه الطريقة الذميمة
وقدم ذكر اموال الناس بالباطل عن الصد عن السبيل مبالغة في التنفير لان الناس اشد نفضا
لمن اكل اموالهم منهم للعاصي بغير ذلك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ازهد في الدنيا يحبك
الله وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس وشمل الاكل كل مال قال بغير وجه شرعي
والصد عن كل معصية بغير ذلك قال ابوحيان ويصدون يحتمل ان يكون لازما وان يكون
متعديا وهو ابلغ في الذم **والذين يكنزون** هو ايضا من فعلهم كما وردت به الاحاديث
وقصد به العموم لمن فعل ذلك من المسلمين وقرئ باسقاط الواو جريا على ما قبله وقرئ
يكنزون بضم اوله من اكنز واصل الكنز في اللغة الضم والجمع ثم غلب استعماله في المدفون
من الذهب والفضة وخصا بالذكر من بين سائر الاموال لانهما قيم الاشيا واثمانها **ولا ينفقونها**

الضمير

الضمير قيل للذهب لان تانيثه اشهر وقيل لكثرة النفقة الدالة على الفعل وقيل للقصد
عودا على احد المذكورين كقوله تجارة او لهوا انفضوا اليها **فبشرهم** دخلت الفا لتضمن الذين
معنى الشرط **يوم** ناصبه اليم او يحذبون الدال عليه عذاب **يحمى** بالتحتية من احميت الحديدة
ادخلتها في النار لتحمي وبالفوقية على معنى تحمى النار عليها **فتكوى** قرئ بالتحتية للفصل
جباههم وجنوبهم وظهورهم قيل خصت هذه المواضع بالكي لانها في الجبهة اشنع وفي
الجنب والظهر اوجع وقيل لانها مجوفة فيصل الى اجوافها الحر بخلاف اليد والرجل وقيل لانهم
كانوا يعبسون وجوههم اذا راوا الفقير ويحرفون عنه جنوبهم ويولونه ظهورهم
هذا على اضمار القول اي ويقال لهم وقت الكي والاشارة الى المال المكنوز لانه حاضر محمي
عليه ويعذب او الى الكي على حذف مضاف اي جزاء ما كنزتم والامران في قوله **فذوقوا**
ما كنتم تكنزون وقرئ بضم النون **ان عدة الشهور** ابوحيان مناسبة الاية لما قبلها
انه تعالى لما ذكر انواعا من قبايح اهل الشرك واهل الكتاب ذكر ايضا نوعا منها وهو تغيير العرب
احكام الله في الاشهر من احلال شهر حرام وتحريم اخر بدله فانهم كانوا يستحلون المحرم فيقاتلون
فيه لاستطالتهم ثلاثة اشهر حرم متوالية ويحرمون بدله صفر وصدر بذكر عدد الشهور
وتبيين الحرم منها وان ذلك مكتوب عند الله من مبدا الخلق واتى بالشهور جمع كثرة لانها فوق
العشرة **عند الله** اي في حكمه **اثنا عشر** قرئ بسكون الشين وبسكون العين مع اثبات الالف
ففيه جمع بين ساكنين على غير حده كما روي التقت حلقتا البطان باثبات الف حلقتا **شهرا**
تمييز موكد وفي تذكرة ابن الصايغ سال العلامة ركن الدين عن فايدة شهر مع ان اثنا عشر
خبر عن عدة ولا مدخل للشهر في العدة اصلا وهو سوال حسن وجوابه انه قد قيد عدة الشهور
بكونها عند الله فاحترز بذلك عن العدة المعتبرة بانها كانت اثنا عشر شهرا من شهورنا المعروفة
وفي ذلك فايدة عظيمة الا ترى الى قوله تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون
فكانت الفايدة في ذلك ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر مما تعدونه شهرا **في كتاب الله**
اي حكمه وقيل اللوح المحفوظ وقيل القران لانها هلالية وذلك في قوله يسالونك عن الاهلة
الاية وقوله وقدره منازل لتعلموا عدد الاية يوم متعلق بكتاب ابن عطية اي فيما
كتبه واثبته في اللوح وغيره فهي صفة فعل مثل خلقه ورزقه وليس لمعنى قضايه
وقدره لان تلك قديمة مثل خلق السموات والارض ابوحيان لما كانت اشيا توصف
بكونها عند الله ولا يقال فيها انها مكتوبة في كتاب الله كقوله ان الله عنده علم الساعة
جمع هنا بينهما اذ لا تعارض **منها** الضمير عايد على اثنا عشر وفي فيهن عايدا الى الاربعة
لان القاعدة العربية عوده على الكثرة وهنا على القليل وسر ذلك الاعتبار بالتمييز
كما بيناه وفي الانفال وخص الاربعة بالنهي عن الظلم فيهن وان كان منهيا عنه في كل
وقت تشريفا لها وتعظيما لحرمتها **النسي** مصدر كالنكير بمعنى التاخير اي تاخير حرمة
شهر الى غيره وفي قراة بالتشديد بدلا من الهمزة تسهيلا والادغام كنسي وقرئ بسكون
السين والنسي بوزن فعول ــــــــ بفتح الفا **يضل** بالبنا للفاعل وللمفعول
وقرئ بضم اوله من اضل فالفاعل ضمير الله او الذين كفروا والمفعول محذوف اي اتباعهم
وقرئ يضل بفتحتين لغة وقرئ نضل بالنون المضمومة ففيه التفات الى التكلم وفي
حرم الله التفات منه الى الغيبة **ليواطيوا** قرئ بالبا المحضة بدلا من الهمزة وتشديدها

مبالغة في بيان البا وتخليصها من اللبس قرئ بالبنا للفاعل ففيه ضمير راجع الى ذلك الفعل
يا ايها الذين امنوا هذه اول الايات النازلة في غزوة تبوك وهي من هنا الى اواخر السورة
ترهيب لعتابهم على تثاقلهم عن النفر لانها كانت في وقت عسرة وحر شديد وقد طابت الثمار
ووجه ارتباطها بما تقدم انه تعالى لما شرح معايب الكفار رغب في قتالهم ما لكم استفهام انكار
وتقريع اثاقلتم قرئ تثاقلتم على الاصل وقرئ اثاقلتم بفتح الهمزة للاستفهام على تقدير
فيما قبله اي ما لكم تتثاقلون كما قال ابو حيان او ما تصنعون اذا قيل لكم كما قال الزمخشري
والماضي اثاقلتم معنى الميل والاخلاد عدي بالى ارضيتم استفهام انكار وتعجب
من الاخرة اي بدلها في الاخرة قيل متعلق بمحذوف اي محسوبا في نعم الاخرة وقيل بقليل
ولا تضروه الضمير لله وقيل للرسول والله على كل شي قدير الختم به مناسب لما ذكر في الاية
من التعذيب والاستبدال وانتفا الضرر الا تنصروه الضمير للرسول خاصة وجواب الشرط
محذوف دل عليه ما بعده اي فينصره في المستقبل كما نصره في الماضي سكينته عليه
قيل على الرسول كضمير ايده وقيل على صاحبه لان الرسول صلى الله عليه وسلم لم تزل عليه
السكينة ففيه تلوين الضماير وقيل عليهما وافرد لتلازمهما وفي مصحف حفصة عليهما وايدهما
وقرئ وايده بالمد وكلمة الله بالرفع على الاخبار لانه اثبت وقرئ بالنصب اي وجعل
والله عزيز حكيم به مناسب للدلالة على القهر والغلبة والحكمة المناسب لاعزازه
دينه واوليائه واضرار الكفر واعدائه انفروا خفافا وثقالا لما توعد من تثاقل عن النفر
مع الرسول وضرب لهم الامثال ما ضرب اتبعه بهذا الامر الجزم والخفة والثقل
مستعارات لمن يمكنه السفر بسهولة ومن يمكنه بصعوبة وجاهدوا باموالكم وانفسكم
قدم الاموال لانها اول ما يصرف وقت التجهيز لو كان عرضا الاية عدل عن خطابهم الى
خطاب النبي صلى الله عليه وسلم بخبره عن المتخلفين بعدت قرئ بكسر العين لغة تميم
الشقة هي الغاية التي تقصد وقرئ بكسر الشين لغة تميم وسيحلفون اخبار بغيب
والقول مقدر في الاية اما قيل بالله او بعده والا لقيل لو استطاعوا لخرجوا لو قرئ بضم
الواو فرارا من ثقل الكسرة عليها وبفتحها عفا الله عنك هو استفتاح كلام يخاطب به
من يراد تعظيمه ورفعة قدره كما يقال اصلح الله الامير كان كذا وكذا وهذه عادة
العرب في محاوراتهم قاله جماعة ولما كان في الكلام نوع عتب على الاذن بدئ بذلك
ما يطمئن له وخوفا على قلبه ان يتاثر لهيبة الكلام وهذه من الله تكرمة عليه الصلاة
والسلام غاية المبرة حتى غاية لمحذوف اي وهلا اخرتهم او تركتهم بلا اذن لا يستاذنك
الذين يومنون بالله واليوم الاخر اي في القعود كراهة ان يجاهدوا او في ترك ان يجاهدوا
ولما كانت الاية في المومنين ناسب ختمها بالمتقين ولما كانت التي بعدها في المنافقين
ناسب ختمها بقوله يترددون عده قرئ باسقاط التا على حد واقام الصلاة مضافا
للضمير وقرئ عدة بكسر العين وبالتا وبالكسر وفتح الضمير ولكن فان قلت كيف يرضه
حرف الاستدراك قلت لما كان قوله ولو ارادوا الخروج متضمنا معنى نفي خروجهم
واستعدادهم للغزو صح وقوع ولكن كره الله انبعاثهم كانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا في
عن الخروج لكن اهتماما انبعاثهم وقيل حكاية عن قول الله في سابق قضائه او للتعود عادة
عن التخلف ما زادوكم قرئ زادكم بالالف اي خروجهم ولاوضعوا اي اسرعوا ومفعوله

محذوف

محذوف اي ركائبهم لان الراكب اسرع من الماشي وقرئ ولاوفضوا اي اسرعوا كقوله الى نصب
يوفضون ولارفضوا فالرا بمعناه وفيكم سماعون لهم اي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه
اليهم او قوم يسمعون لهم ويطيعونهم فاللام على الاول للتعليل وعلى الثاني لتقوية التعدية
والله عليم بالظالمين عام في المنافقين والسماعين وهو تهديد وقلبوا قرئ بتخفيف اللام
ولا تفتني قرئ بضم اوله من افتن لغة تميم سقطوا قرئ سقط مراعاة للفظ من وفي الايات
تلوين الخطاب بين النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين قل لن يصيبنا قرئ قل هل يصيبنا بتشديد
اليا مضارع صيب وقرئ قل لن يصيبنا بنون التوكيد على تشبيه لن بلا ولم الا احدى الحسنيين
اي القسمة او الشهادة ونحن نتربص بكم اي احدى السوايين المفسر بما صرح به ففيه احتباك
حيث حذف من كل شق ما اثبت نظيره في الاخر وقرئ الا احدى بوصل الف احدى لغة
فتربصوا امر تهديد انفقوا قال الزمخشري هو امر في معنى الخبر كقوله فليمدد له
الرحمن والمعنى لن يتقبل منكم ما انفقتم طوعا او كرها وقرئ بضم الكاف انكم كنتم قوما فاسقين
تعليل لعدم التقبل لما يتقبل الله من المتقين وذلك في فسق مخصوص وهو الكفر والنفاق
كما اراده ايضاحا بقوله وما منعهم الاية فبدا بالكفر وضم اليه التهاون بالصلاة التي هي
راس الاعمال البدنية والزكاة التي هي قرينتها ابن جماعة قال هنا كفروا بالله وبرسوله
وفيما ياتي ورسوله لان ما هنا في سياق اثبات بعد نفي فناسب التاكيد باعادة الجار
والقراءة تقبل باليا والتا وقرئ نقبل بالنون ففيه التفات ثم في بالله التفات
ثان وقرئ نفقتهم بالافراد فلا تعجبك الاية لما قطع سبحانه رجا المنافقين من جميع منافع
الاخرة بين ان ما نالوه من منافع الدنيا انما هي اسباب لتعذيبهم فلا ينبغي ان يستحسن
قيل وفي الاية تقديم وتاخير والمعنى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحياة الدنيا
انما يريد الله ليعذبهم بها في الاخرة فجعله انما يريد اعتراضا لتسديد الكلام وتقويته ابتغا
الاعجاب وقيل هي على ظاهرها والتعذيب بها في الدنيا لما يقاسونه من التعب في جمعها
وحفظها والرزايا فيها من غرامة والحسرة على تخليفها وقدم الاموال على الاولاد لانها كانت
اعلق بقلوبهم وهم اليها اميل ولهذا كان منهم من يعد ولده حسنة وذهاب ماله
ابن جماعة الاية هنا بالفا وتكرار لا وباللام في ليعذبهم وبلفظ الحياة وقال بعد ولا
تعجبك الاية بالواو وسقوط لا والحياة وان موضع اللام لان هذه في قوم احيا وقبلها
افعال مضارعة تتضمن معنى الشرط كانه قيل ان تصفوا بهذه الصفات من الكسل
فلا تعجبك والاية في قوم اموات وقبلها افعال ماضية فلا يصلح الشرط فناسب
مجيئها بالواو ولما تقدم التاكيد بالحصر في قوله ناسب التاكيد بتكرار لا والاخلاف للاية
ومفعول الارادة هنا محذوف اي ما هم فيه من الاموال والاولاد واللام تعليلية
ومفعولها في الاية ايجازا واكتفا بذكرها في الاولى وايضا انما نخشى وانها لا تستحق
ان يسمى حياة ولا سيما حين تقدمها ذكر موت اربابها فناسب ان لا تسمى حياة
ويحلفون الايتين لما ذكر سبحانه فرق المنافقين اخبر بحالهم مع المومنين من الحلف
لهم انهم منهم والفرق منهم وانه لو امكنهم الهرب منهم هربوا وقرئ مغارات بضم الميم
من اغار الرجل بمعنى غار اي دخل او من اغار الثعلب اذا اسرع يعني مهارب ومغارا مدخلا
سا تاكيد ومبالغة اصله مدتخل مفتعل من ادخل وفي قراءة مدخلا بفتح الميم من دخل

وقرئ بضم من ادخل وقرئ مدخلا بالنون من اندخل ومندخلا بالتا ابو حيان بدى بالاعم
وهو بالملجا ثم بالمغارات وهوا لغيران في الجبال ثم بالمدخل وهو النفق بباطن الارض لولوا
قرئ لوالوا من الموالاة اي لتابعوا او اسرعوا اليه وقرئ لوالوا بالجراي لالتجوا اليه
وافرد الضمير في اليه لان العطف باو وهم يجمحون قرئ يجمزون بالجيم والزاي بمعناه اي
يسرعون ويهرولون ومنهم من يلمزك الايات هذه الايات لم تنزل في قصة تبوك
وانما وضعت هنا لكون الامرين من المنافقين والسورة فاضحة لبيان احوالهم وكشف
عوراتهم ولذا قال مازالت ومنهم ومنهم حتى ظننا انها لا تبقي احدا فناسب ذكرها في خلال
ذكرهم وقد تقدم ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ومنهم الذين يوذون النبي ومنهم من
عاهد الله الاية اللث الطعن في الوجه وقال الجوهري العيب واصله الاشارة بالعين ونحو
وفي قراءة يلمزك بضم الميم وقرئ يلامزك وهي مفاعلة من واحد وان لم رضوا جملة فعلية
للاشارة الى قدم ثبوته بالسخط اسمية لانه ثابت لهم لازم وقرنه باذا المفاجاة للاشارة
الى سرعة مفاجاتهم بالسخط وعدم تاخره ولو انهم رضوا الاية بدا بالوصف القلبي وهو
الرضى ثم بالقولي ولما كانا متغايرين تعاطفا ثم بالرجاء ثم بالالتجا ولما كانت متلازمتين وهما
كالشرح لقولهم حسبنا الله ترك التعاطف وفي رسوله التفات من الكاف وفي تقدم الى الله
افادة الاختصاص وجواب لو محذوف اي لكان خيرا لهم انما الصدقات الاية
لما ذكر تعالى من عيب الرسول في قسم الصدقات ويريد اعطاها ذكر مستحقها ليعلم انه لا
حق لغيرهم فيها فلا عيب على الرسول في عدم اعطائهم منها ويمنع من ليس من اهلها من طلبها
والتشوف اليها واكد ذلك بقوله فريضة من الله وبقوله والله عليم حكيم ليعلم ان ذلك حكم
جزم من الاله القادر الغالب القاهر العليم من يعرض الذي يضع الشي في محله بحكمته الباهرة
وعودا لعاملين بعلى لا بعن لانها للاستعلا المشعر بالولاية الكشاف فان قلت
لم عدل عن اللام الى في في الاربعة الاخيرة قلت للايذان بانهم ارسخ في استحقاق التصدق
عليهم ممن سبق ذكره لان في للدعا فنبه على انهم احقاء بان توضع فيهم الصدقات
ويجعلوا مظنة لها وتكرر في في قوله وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب
والغارمين لما فيهما من الجمع بين الفقر والعبادة او الغربة فان قلت فكيف وقعت
هذه الاية في تضاعيف ذكر المنافقين قلت دل انه يكون هذه الاصناف خاصة مصارف
الصدقات على انهم ليسوا منها حسما لاطماعهم واشعارا باستيجابهم الحرمان وقرئ فريضة
بالرفع على معنى تلك فريضة ومنهم الذين يوذون النبي وجه الربط بما قبله ظاهر
لان كلا حكاية قول صدر من المنافقين في اذى النبي صلى الله عليه وسلم فذاك قولهم
فيه انه لم يعدل في القسمة وهذا قولهم فيه هو اذن ويقولون هو اذن اي سمع وفصل
قول كل سمع بالجارحة التي هي الة السماع كان جملته اذن سامعة ويستوي فيه الواحد
والجمع قل اذن خير لكم فيه القول بالموجب كانه قيل سلمنا انه اذن لكنه اذن خير لا اذن
شر كقوله
واخوان حسبتهم دروعا ❊ فكانوها ولكن للاعادي ❊
وخلتهم سهاما صائبات ❊ فكانوها ولكن في فوادي ❊
وقالوا قد صفت منا قلوب ❊ لقد صدقوا ولكن عن ودادي ❊
واذن خبر مبتدا مقدر واضافته على حد رجل صدق وقرئ بالتنوين ورفع خير خبر ثان او صفة اذن

ثم بين جهة الخيرية بقوله يؤمن بالله ومن امن بالله كان خائفا فيه لا يقدم على الايذا بالباطل
ويومن للمومنين اي يسمع منهم ويصدقهم ويسلم لهم ما يقولون لكونهم مومنين فهم صادقون
ولذا عدا الاول بالبا والثاني باللام لان الايمان الذي هو نقيض الكفر يعدى بالبا
والدال والذي بمعنى التسليم يعدى باللام ومنه وما انت بمومن لنا قاله في الكشاف
ورحمة بالرفع عطفا على يومن وبالجر عطفا على خير وما بينهما اعتراض وقرئ بالنصب
مفعولا له حذف متعلقه اي ويأذن لكم رحمة والذين يوذون رسول الله عام في ما تقدم وغيره
رسول الله من اقامة الظاهر مقام المضمر تعظيما وتشريفا ووصفه في الاية بوصفي النبوة
والرسالة والله ورسوله احق ان يرضوه افرد الضمير لتلازم الرضيين اذ رضى الله ورضى
رسوله واحد وقيل حذف من الاول نظير المذكور ودل فيه تقديم وتاخير اي والله احق
ان يرضوه ورسوله ام يعلموا استفهام توبيخ وقرئ بالفوقية ففيه التفات وقرئ الم
تعلم خطابا عاما او للنبي صلى الله عليه وسلم على الالتفات فيكون الاستفهام للتقرير
فان بالفتح وقرئ بالكسر على الاستئناف عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم الضماير
الثلاثة للمنافقين وقيل الاخير فقط والاولان للمومنين استهزءوا امر تهديد
ان يعف بالياء مبنيا للمفعول وبالنون ففيه التفات نعذب بالتاكيد وبالنون
وقرئ فيهما بالتحتية مبنيا للفاعل وبالفوقية للمفعول والمنافقات بعضهم من
بعض وقال في المومنين بعضهم اوليا بعض لان المنافقين اعدا السريرة لا موالاة بينهم
كما قال تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى الا ان بعضهم من بعض في الكفر والنفاق
يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف فيه ثلاث طباقات ويقبضون ايديهم
كناية عن الشح او الامساك عن كل خير نسوا الله اي تركوا طاعته فنسيهم تركهم
من رحمته وفضله ابو حيان يعبر عن الترك بالنسيان مبالغة في انه لا يخطر ذلك
ببال كالذين من قبلكم فيه التفات من الغيبة الى الخطاب والكاف في موضع نصب
متعلق بوعد او بيفعلنه مقدرا او رفع اي انتم كالذين كانوا اشد الى اخره تفسير لتشبيههم
بهم الكشاف فان قلت اي فايدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين
من قبلكم بخلاقهم مغن عنه كما اغنى كالذي خاضوا قلت فايدته ان يذم الاولين
بالاستمتاع ثم تشبيه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم واما وخضتم كالذي خاضوا فمعطوف
على ما قبله ومسند اليه فاستغنى باسناده اليه عن تلك المقدمة وقال غيره
اعيد كما استمتع الذين من قبلكم بالاسم الظاهر ليدل على التحقير لانه كما يدل
بالظاهر مقام المضمر على التعظيم لذلك يدل به على ضده وخضتم اي دخلتم في اللهو
واقامة الباطل وهو مستعار من الخوض في الما قال ابو حيان ولا يستعمل الا في الباطل
كالذي خاضوا اي كالخوض الذي خاضوه وقيل الاصل كالذين خاضوا فحذفت النون
وقيل الذي هنا موصول مصدري اولئك الاشارة الى الذين من قبل وقيل للمنافقين
والخطاب للرسول ففيه خروج من خطاب الى خطاب غير الاول وتقوية قوله
الم ياتهم بالغيبة وفيه التفات وتبيين لما ابهم في الاية قبل انهم سان للسادة
وفيه تقدير اي فكذبوهم فاهلكوا كان والمومنون والمومنات الاية لما ذكر المنا
والمنافقات وصفاتهم القبيحة ووعيدهم عقبه بذكر المومنين والمومنات واعمالهم

الصالحة ووعدهم وفي الاية ثلاث طباقات وتعميم بعد تخصيص وفيها مع امة المنافقين
ثمان مقابلات المومنون في مقابلة المنافقين والمومنات في مقابلة المنافقات واوليا
بعض في مقابلة من بعض ويامرون بالمعروف في مقابلة يامرون بالمنكر وينهون عن
المنكر في مقابلة وينهون عن المعروف ويوتون الزكاة في مقابلة ويقبضون ايديهم
ويطيعون الله في مقابلة نسوا الله وسيرحمهم الله في مقابلة فنسيهم قال الزمخشري والسين
تفيد تاكيد الوعيد كما يفيد تاكيد الوعد وعد الله الاية اي تفصيل الرحمة وذكر الرضوان
في مقابلة ذكر اللعنة من وعيد المنافقين يا ايها النبي الاية ابو حيان لما ذكر وعيد غير
المومنين وكانت السورة قد نزلت في المنافقين بدا بهم فقال وعد الله المنافقين والمنافقات
والكفار ولما ذكر امر الجهاد وكان للكفار اشد شكيمة واقوي اسبابا في القتال بدا بهم يحلفون
اي المنافقون وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله هذا من تاكيد المدح بما يشبه
الذم فان يتوبوا فتح لهم باب التوبة بعد ارتكاب تلك الجرائم احسانا ولطفا لنصدقن
ولنكونن قرا الاعمش فيهما بالنون الخفيفة فاعقبهم الضمير لله وقيل للبخل وكذا في يلقونه
الم يعلموا استفهام توبيخ وقري بالفوقية خطابا للمومنين فهو استفهام تقرير الذين يلمزون
مبتداء خبره سخر الله والذين لا يجدون من عطف العام على الخاص وهو المطوعين لتشريفهما
جهدهم بضم الجيم وقري بفتحها لغتان بمعنى وقيل الاول القوت والثاني العمل سخر الله منهم
من باب المشاكلة استغفر لهم او لا تستغفر لهم امر تسوية كقوله اصبروا او لا تصبروا فرح
المخلفون لما ظهر تعالى ما ذكر من النفاق المنافقين الذين خرجوا مع النبي صلى الله عليه
وسلم الى غزوة تبوك ذكر حال المنافقين الذين تخلفوا او المخلف لفظ يقتضي الذم والتحقير
بمقعدهم هو مصدر اي بقعودهم خلاف نصب على الظرف اي بعد ويويده ما قري خلف
وقيل مفعول له ويويده ما قري لخلف بضم الخاء رسول الله فيه التفات من الخطاب
وكرهوا فيه مع فرح طباق معنوي لان الفرح من ثمرات المحبة لو كانوا يفقهون قرا ابن
مسعود يعلمون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا هو امر اريد به الخبر وانما خرج عن صيغة الامر
للدلالة على انه حتم لا يكون غيره وفيه طباقات فان رجعك الله فيه التفات واستعمال
ان في التمكن للاشارة الى انه صلى الله عليه وسلم لا يعلم من مستقبلات امره الا ان اعلمه الله
قاله ابن عطية وغيره فاقعدوا اي اقيموا مع الخالفين اي المتخلفين وقيل المخالفين
وقيل الاخسا ولا تصل عقوبة لهم ثانية انهم تعليل للمنع من الصلاة ولا تعجبك الاية
قال ابن عطية كررت للتاكيد والتقرير وارادة ان يكون على بال من المخاطب لا ينساه
وقال بعضهم ليس بتكرير بل الايتان في فريقين من المنافقين وقيل اريد بالاولى لا يعظمهم
في حال حياتهم بسبب كثرة المال والولد وبالثانية لا تعظمهم بعد وفاتهم لمانع الكفر
والنفاق وعطف هنا بالواو لمناسبته قبل ولا تصل ولا تقم وهناك بالفا لقوله ولا
ينفقون الا وهم كارهون اي انهم يعجبون بكثرة المال والولد فنهاه عن الاعجاب بفا السببية
وقال هناك ولا اولادهم لانه مشعر بالنهي عن الاعجاب بكل واحد على انفراده وسقطت
هنا اشعارا بالنهي عن الاعجاب بالمجموع فتضمنت الايتان النهي عن الاعجاب بهما مفردين
ومجتمعين وهذه نكتة لطيفة واذا انزلت فيه معنى التكرار وان ذلك كان ديدنهم
الاستيذان في التخلف عن الجهاد ان تفسيرية او مصدرية ثم في اسناد ذلك التفات اليه

قال

قال ابو حيان مع الخوالف اي النسا مبالغة في الذم وطبع على قلوبهم قيل هو على حذف
همزة الاستفهام اي اوطبع على قلوبهم فلاجل الطبع لا يفقهون لكن الرسول الاية لما ذكر
اختيار المنافقين الدعة وترك الجهاد ذكر حال المومنين في المثابرة عليه وضم اليهم
الرسول تشريفا لهم وفيه التفات الخيرات جمع خيرة وهو المستحسن من كل شي فيتناول
محاسن الدنيا والاخرة وقيل اعد الله لهم جنات تفسير له وجا المعذرون من الاعراب
لما ذكر حال المنافقين من اهل المدينة ذكر حال المتخلفين من الاعراب وقسمهم الى ذي
عذر وغيره والمعذرون اصله المعتذرون فادغم وقري المعتذرون بمعناه
وقري المعذرون من اعذر وقري كذبوا بالتشديد ليس على الضعفا بيان
للمعذرين وتفصيل للعذر المقبول وقري نصحوا الله تتعدى بنفسه ما على
المحسنين شامل للمذكورين وغيرهم ولا على الذين اذا ما اتوك هو مندرج في قوله
ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون زيد مع وصف وفي اتوك
التفات وجواب اذا قلت وتولوا جواب سوال مقدر
كانه قيل فما كان حالهم اذا اجابهم الرسول فقيل
تولوا وقيل هو الجواب
وقيل على حذف العاطف
تم هذا الكتاب
بمنه وكرمه
وحسن
توفيقه
تم

وكان الفراغ من ذلك يوم الاثنين المبارك سادس شهر الحجة سنة سبع وخمسين وتسعماية
على يد كاتبه محمد الاجهوري بلدا الشافعي مذهبا غفر الله له ولوالديه والمسلمين امين امين امين

حدثني احمد بن اشكاب حدثنا محمد بن فضيل عن عمارة بن القعقاع
عن ابي زرعة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله
عليه وسلم كلمتان حبيبتان الى الرحمن خفيفتان على اللسان
ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله
العظيم

205

SÜLEYMANİYE G. KÜTÜPHANESİ
Kısmı : Tekkeler - Murad
Yeni Kayıt No.
Eski Kayıt No. 41
Tasnif No.